مجلة

آداب المستنصرية

تصدرها كلية الآداب بالجامعة المستنصرية

١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م

العدد العاشر

١٠





مجلـــة آداب المستنصريـــــة

- بدأت بأسم (مجلة الجامعة المستنصرية) في السنة الدراسية ١٩٧٠/١٩٦٩ وصدر منها للاختصاصات كافة خمسة اعداد ، وكانت تصدر عن رئاسة الجامعة .
- حملت اسمها الجديد (مجلة آداب المستنصرية) في العام الدراسي ١٩٧٦/١٩٧٥ وكانت تصدر عن كلية الاداب . وتم اصدار تسعة اعداد منها لحد الان .
- ابتداء من العام الدراسي ١٩٨٣/١٩٨٢ أصبحت قطرية تنوب عن مجلات كليات الاداب في الجامعات العراقية استنادا الى قرار مجلس الوزراء المرقم (٥) بأجتماعه الاعتيادي الثلاثين في ١٩٨٣/٨/١٢ .
- تعمل هيئة تحرير المجلة على اصدار عددين سنويا وقد يكون معدل الاصدار اكثر من ذلك مستقبلا اذا استمرت بصفتها القطرية المعمول بها حاليا .
- هيئة تحريرها في الوقت الحاضر على النحو الاتي : -

لجنـــة المجلــــة

كلمـــة المجلـــة

يسر هيئة تحرير مجلة آداب المستنصرية ، ان يصدر العدد العاشر من المجلة في موعده المحدد من العام الدراسي ١٩٨٤/١٩٨٥ ، لتفي بالتزاماتها الفكرية والادبية والثقافية مع السادة المهتمين باختصاصاتها في الوسط الجامعي وخارجه قراء وباحثين .

ان مجلة آداب المستنصرية قد اصبحت معلما من معالـم الاصـدارات الجامعيـة المتخصصة في العراق والوطن العربـي . وان هذا الموقع المتميز بين المجلات المناظرة يدفعنا الى مزيد من الجهد والمثابرة للارتفاع بمستواها مضمونا واخراجا . لتجاوز الهفوات التـي ظهرت في الاعداد السابقة من حيث الطباعة او تبويب الموضوعات واننا اذ نؤكد ثقتنا بتطور المجلة عددا بعد آخر نشكر الزملاء الباحثين من اعضاء الهيئات التدريسية في كليات الآداب بالجامعات العراقية الذين يرفدونها بالدراسات والبحوث وندعوهم الى مزيد من الغزارة والعطاء في ظل ثورة ١٧-٣٠ تموز الخالدة وبيادر قادسيـــة صـــدام المجيـــدة .

ومن باب عرفان الجميل نشكر لرئاسة الجامعة المستنصرية دعمها للمجلة والسخاء في تيسير متطلبات طباعتها وتوزيعها داخل وخارج القطر وفي ظل هذا الدعم تجد هيئة تحرير المجلة مايحفزها وينزع بحماسها نحو التطوير الجاد والهادف .

ان مجلة آداب الجامعة المستنصرية ثمرة فكرية من ثمرات جامعة البحث والتراث وسنبلة معافاة في بيادر العراق الجديد . ولان المجلة تنوب عن المجلات السابقة لكليات الاداب الشقيقة في القطر فقد حرصنا على تحقيق العدل في اتاحة فرص النشر للزملاء الباحثين من الجامعات كافة ولانتجاوز هذا المبدأ الا عند شحة البحوث المرسلة من احدى الجامعات او تعسر بعضها عند التقويم العلمي الذي يجريه خبراء المجلة المختصون .

وفي الختام نرجو العمل النافع والموفق لخدمة الوطن والامة في ظل راية القائد المنتصر المناضل صدام حسين – حفظه الله – .

مع التقدير ...

حميد مخلف الهيتي
عميد كلية الآداب
رئيس هيئة تحرير المجلة

اللغة العربية وآدابها

المحتويات

ظاهرة التقابل في علم الدلالة

الدكتور احمد نصيف الجنابي
كلية الاداب – الجامعة المستنصرية

« المدخل »

(١)

بعد قراءة في كتب الدلالة العربية القديمة والحديثة ، لم أجد أحداً بحث « ظاهرة التقابل» في أي كتاب من الكتب الدلالية . وأستطيع أن أقول مطمئناً : إن مصطلح التقابل الدلالي هو من وضعي وهذا أمر متصل بالاول ؛ « وقد استرشدت بكتب البلاغة والمنطق فاستقرّ رأيي على مصطلح « التقابل » « بزنة» « الترادف » ؛ والاخير بحثه الدلاليون العرب القدامى والمحدثون .

(٢)

غير أن الأمانة العلمية تحتّم عليّ أن أشير إلى أن نفراً من الدلاليين المعاصرين الغربيين قد بحثوه بشكل من الأشكال ، يتفق ومعطيات لغاتهم . وقد استفدت من هذه الكتب بقدر مايتصل ذلك بموضوعي وشواهدي ولغتي ، ولاشك في أن لكل لغة خصائصها ورموزها التي لاتتفق مع اللغات الأجنبية الا في خطوط عامة ... أما التفاصيل فهي مختلفة . وقد اشرت إلى تلك المراجع في مواضعها من البحث .

(٣)

وبعد ... فهذه وجهة نظر أقدمها بين يدي أهل العلم الراسخين في علم الدلالة لأنهل من معين خبرتهم واستفيد منها في اغناء البحث .

والحمدُ لله في الأولى والآخرة .

وهو حسبي ونعم الوكيل ...

ماذا تعني هذه الظاهرة ؟

تعني هذه الظاهرة وجود لفظتين تحمل كل منهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى ؛ مثل : الخير والشرّ والنور والظلمة ، والحبّ والكراهية ، والكبير والصغير وفوق وتحت ، ويأخذ ويعطي ، ويضحك ويبكي ...

وأطلق على هذه الظاهرة في اللغة الإنجليزية
مصطلح ANTONYMY

وقد عرفه « المعجم العالميّ الموسوعي» (١٩٧٦م) بأنه يعني كل كلمتين تحمل احداهما عكس المعنى الذي تحمله الاخرى (١).

وكذلك فعل (بالمر) ، في كتابه .(٢) : علم الدلالة (١٩٧٧م) .وأشار اليه هذا التعريف جون لاينز ، باختصار (٣) في كتابه : علم الدلالة (١٩٨٨م) .

وأصل هذا المصطلح أغريقيّ ، وهو مكون من مقطعين ، هما : (٤)

(١) ANT ويعني (ضدّ او عكس) .

(٢) NYMA ويعني (اسم) .

وأعتقد أن ظاهرة التقابل واحدة من مجموعة ظواهر تشكل مايسمّى في علم الدلالة المعاصر :

العلاقات الدلالية (Semantic Relations)

او علاقات المعني (٥) (Sense Relations)

وقد تسمى ظاهرتنا بالتضاد ، وتسمى في الفلسفة والمنطق بظاهرة التناقض . والتناقض من المصطلحات الأساسية في فلسفة هيكل HEGEL (١٧٧٠ — ١٨٣١ م) .

أما في البلاغة العربية فيطلقون عليها اسم الطباق — غالباً — والمقابلة — أحياناً — وان كان بعض البلاغيين يفرق بين الطباق والمقابلة .

---

(١) Encyclopedic world Dictionary, p.102

(٢) F. R.PALMER: Semantics, p. 79

(٣) J. Lyons: Semantics, Vol. I, p. 271

(٤) Encyclopeolic ... p. 102

(٥) PALMER, ibid. p. 59, Lyons, ibid I, p. 270

فأبو هلال العسكري يفرق بين المقابلة والمطابقة وبحث كل ظاهرة في فصل مستقل. وعرف المقابلة بقوله : هي ايراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى عـــلى جهة الموافقة او المخالفة .(١) ومن أمثلة الموافقة قوله تعالى : (نَسُوا الله فنسيهم) (٢). ومن أمثلة المخالفة قوله تعالى : (لقد جاء الحق وزهق الباطل) (٣) .

وعرف المطابقة بقوله : (قد أجمع الناس على أنّ المطابقة في الكلام هي : الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرسالة او الخطبة او بيت من بيوت القصيدة ، مثل السواد والبياض ، والليل والنهار ، والحرّ والبرد). (٤)ومن الأمثلة التي اوردها:قوله تعالى :« يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحيّ» . (٥) وقوله تعالى : (فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات) (٦) .

والاخيرة تشكل ظاهرة أخرى هي التي سماها الدلاليون ظاهرة الاضداد ... وان اختلطت عندهم بما أسميناه التقابل .

وجعل ابن أبي الاصبع (ت ٦٥٤هـ) المقابلة داخلة في مفهوم طباق الايجاب (٧) !!

وهكذا يبدو اضطراب اللغويين العرب القدامى في تحديد مصطلح المقابلة ...

والمحدثون (او فريق من الذين تعرضوا لموضوع المقابلة والطباق)، جعل قسم منهم الطباق والتقابل ظاهرة واحدة (٨) !! أو هكذا استنتجت ...

وهو أمر ليس كذلك اذا أردنا الدقة ، لأننا نعرف أن ظاهرة التقابل تعني وجود لفظتين تحمل احداهما عكس معنى الأخرى ، وهذه السمة لاتتحقق في الطباق البلاغيّ ولاسيما طباق السلب .

---

(١) كتاب الصناعتين /٣٤٩ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٦٧ .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ٨١ .

(٤) كتاب الصناعتين /٣١٩ .

(٥) سورة الروم ، الآية ١٩ .

(٦) سورة الفرقان ، الآية ٧٠ .

(٧) تحرير التحبير /١١٢ .

(٨) الدكتور محمد حسين آل ياسين في كتابه : الأضداد في اللغة /٢١٦ والدكتور عبده بدوي في كتابه : ابو تمام وقضية التجديد في الشعر /١٨٤ ، والدكتور عبد الكريم اليافي ، في كتابه جدلية أبي تمام /٢٢ وما بعدها .

وسبب رفضنا الأخذ برأي هؤلاء الباحثين أنّ « طباق السلب» (الذي يعني اللفظة ونفيها) ، لايولّد في أغلب الأحيان مانريده بمصطلح التقابل .

فعندما نقول : هذه الفتاة جميلة ، وتلك الفتاة غير جميلة ؛ فانّ لفظة (جميلة) لاتقابل (غير جميلة) ، ولكنّ الذي يقابل (جميلة) هي (قبيحة) .

واذا قلتُ : أُحبُّ سلوى ولا أُحبُّ سلمى ، فانّ الفعل (أُحبّ) لايقابل الفعل المنفيّ (لا أُحبّ) ، لأن الذي يقابل (أحبّ) هو (اكره) .

واذا قلت : أَعلمُ أنّ الله على كل شيء قدير ، وقلت : لاأعلمُ أيّانَ يومُ القيامة ؛ فان الفعل (أعلم) لايقابل الفعل المنفيّ (لاأعلم) ، لان الذي يقابل الفعل اعلم هو الفعل (أجهلُ) . كما أن الذي (لايعلم) قد يَعْرفُ فلا يجوز أن يوصف بالجهل ، بدليل قوله تعالى : « ولكنّ أكثرَ الناس لايعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة غافلون » ؟! (١) . ولو كان (لايعلمون) يعني أنهم جاهلون لما قالت الاية بعد ذلك (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) .

أما الفعل (يستخفُون) في الاية الكريمة: (يستخفون من الناس ولايستخفُون من الله وهو معهم ...) (٢) ، فانه يقابل الفعل المنفيّ (لايستخفون).

والذي نخلص اليه من هذا كله أنّ ما سمّي بالطباق — ولاسيما طباق السلب— لا يدخل في مفهوم المقابلة لانه لايفيدها الا نادراً ، أما في أغلب الأحيان فانه واياها لمختلفان .

ويبدو أن ظاهرة التقابل لاتقتصر على وجودها في اللغة . بل هي سمة من سمات الفكر ، وسمة من سمات الكون ، وسمة من سمات الخلق ، ولاسيما خلق الانسان .

فليس في مظاهر الكون شيء عالٍ إلا ويقابله شيء منخفض .

وليس هناك جانبٌ صغير الا ويقفز في الذهن — عند ذكر او تذكره — شيءٌ كبير.

وليس في الكون شيءٌ بعيد إلا ويقابله شيء قريب . وليس في الكون شيءٌ مضيء إلا ويقابله شيء مظلم بسبب دورة الارض حول الشمس . وربنا العظيم يقول :

(وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ...) (٣) .

---

(١) سورة الروم ، الآية ٧ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٠٨ .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ١٢ .

م/٦/م-م-س

وليس في الكون شيءٌ خشن إلا ويقابله شيء ناعم وما تراه قريبَ المنال قد يراه غيرك بعيد المنال .

وقد قال المتنبي فأحسن :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظُمُ في عين الصغير صغارُها ... وتصغُرُ في عين العظيم العظائم

واذا مانظرنا إلى جسم الإنسان وجدنا ظاهرة التقابل واضحة فيه فاليد اليمنى تقابل اليد اليسرى والعين اليمنى تقابلها اليسرى ، والجسم أعلاه الرأس واسفله القدمان ... وهكذا البقية .

وفي النفس الأنسانية خطوط متقابلة ؛ ففيها نوازع الخير ، وفيها نوازع الشرّ . وقد فاز من ربى جانب الخير ورعاه وكبح جانب الشرّ ودحره . قال تعالى :

« ونفسٍ وماسوّاها . فالهمَها فُجورها وتقواها . قد أفلح من زكّاها . وقد خاب من دسّاها » . (١)

وفي النفس الانسانية نزوع فطريّ إلى الايمان ، وإلى هذا أشار الحديث النبوي الصحيح (كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرة) .

وفيها ميلٌ إلى الانفلات من ضوابط الايمان ولهذا فتح الربُّ الرحمن الرحيم بابَ الرحمة على مصراعيه ، ليتوب مسيء الليل ومسيء النهار ، لأنه خالقُ الانسان ويعلم سرّه ونجواه ويعلم حقيقته . قال تعالى : « فمنْ شاء فليؤمنْ ومن شاء فليكفرْ » (٢) . وما ذلك إلاّ لوجود الاستعداد عند الانسان لسلوك احدى السبيلين .

وفي النفس نزوع إلى الإقدام وفيها نزوع إلى الاحجام ، والانسان تتجاذبه هذه النوازع فمرّة يميل مع هذه ، ومرة مع تلك . قال الحُصين بن الحمام المُرّيّ :

تأخّرتُ أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياةً مثلَ أنْ أتقدّما

وبعض النفوس تُغلِّبُ جانب الشرّ فتصرّ على الأذى والعُدوان وتأبى الصُّلح ... فلا بُدّ أنْ ترضى او تخضع لحرب ، وفي هذا الجانب يأتي قول زهير بن أبي سُلمى(٣) :

(١) سورة الشمس ، الآيات : ٨—١٠ .
(٢) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .
(٣) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، المنسوب لثعلب /٣١ .

ومَنْ يعصِ أطرافَ الزِّجاج فانه يطيعُ العوالي رُكِّبتْ كلَّ لهذم

يقول : «مَنْ أبى الصُّلْحَ — وكنّى عنه بالزِّجّ — أطاع العوالي ، وهي التي يطعن بها » (١) . وأنشدوا قول كثير عزّة :

رميتُ بأطراف الزّجاج فلم يُفِقْ عن الجهل حتى حلّمتْهُ نصالها

وفي النفوس من يقدّر الاكرام ويُجلّ الكرام ، ويزيد في الاحسان إحساناً .

وفي النفوس من يسيء . إلى من يُحسنُ اليه .

وعن هذا التقابل عبّر المتنبي بقوله :

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

لذلك يرى المتنبي أن المعادلة الصحيحة في التعامل أن نضع كل شيء في موضعه ، فنكرم من يقدّر الكرم ، ونهين أصحاب النفوس اللئيمة بعدم اكرامهم :

ووضعُ الندى في موضع السيف بالعُلى مُضرٌّ ، كوضع السيف في موضع الندى

كل هذه المواقف والاوامر تتضمن علاقات دلالية ... وكل هذه العلاقات تعبر عنها اللغة باعتبارها وعاءً للفكر الانساني .

وقد حفل الشعر العربي بأمثلة حية تعبر عن الجوانب النفسية من هذه العلاقات ، لأن الشعر هو عالم النفس والشعور .

وفي ميدان التحليل الدقيق للتراكيب الدلالية في الشعر فطن عبدالقاهر الجرجاني (المتوفى ٤٧١هـ) ، إلى أنّ لمبدأ الجمع بين الأشياء المتباعدة (في عالم التقابل الدلاليّ) صلةً حميمة بالنواحي الجمالية في الشعر العربي . ورأى ان (التشبيه) يقوم بمهمة الجمع بين الاشتات وتوليد الاواصر بين المتنافرات ، وأنك « اذا استقريت التشبيهات وجدتَ التباعُدَ بين الشيئين كلما كان أشدّ كانت إلى النفوس أعجبَ ، وكانت النفوس لها أطرب ، وكان مكانها الى ان تحدث الاريحية أقرب ، وذلك ان موضع الاستحسان ، ومكان الاستظراف ، والمثير للدفين من الارتياح والمتألف للنافر من المسرّة ، والمؤلف لاطراف البهجة انك ترى بين الشيئين مثلين متباينين ومؤتلفين مختلفين ، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض ... » (٢)

(١) نفسه /٣١ : (قال خالد بن كلثوم : كانوا يستقبلون العدو اذا به استقبلوهم وأرادوا الصلح ، وإلا قلبوا عليهم الأسنة وقاتلوهم) .

(٢) دلائل الاعجاز/١٤٦

وخلص – عبدالقاهر – من تحليل مجموعة كبيرة من الأبيات التي تتضمّن تشبيهات، إلى أنّ التشبيه « يعمل عملَ السّحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بُعْدَ مابين المشرق والمغرب ، ويريك التئام الاضداد ، فيأتيك بالحياة والموت مجموعتين ، والماء والنار مجتمعتين ... » (١) .

وهي ملاحظة ذكية متوقعة من صاحب « نظرية النظم » التي تعدّ سبقاً للزمن ، اذ بسط فيها عبدالقاهر نظرية « في التراكيب النحوية» ، متكاملة ، سبق فيها كتاب « التراكيب النحوية» Syntachic Stnutwes لجومسكي (N.Chomsky) ، الذي نشر لاول مرة سنة ١٩٥٧ . فيكون عبدالقاهر سابقاً لهذا اللغوي بما يقرب من ٩٥٠ سنة !!

والتعقيب الوحيد على رأي عبدالقادر في علاقة التشبيه بالتقابل هو أنه ليس كل تشبيه يجمع بين الاضداد، وليس كل تشبيه يجمع بين المشرّق والمغرَّب من الأشياء .
فقسم من التشبيهات يتحقق فيه مارآه عبدالقاهر ، والقسم الاخر لايتحقق فيه هذا الذي لاحظه . وآية ذلك أن كتاب « التشبيهات» (لابن أبي عون) ، وهو مطبوع معروف ، ومافيه من أشعار تتضمن ظاهرة التقابل يؤيد ماذهبنا اليه ، لأن قسماً من هذا التشبيهات لايتحقق فيه هذا الذي رآه عبدالقاهر ، على الرغم مما فيها من تشبيهات ...

واذا تتبعنا أنواع التقابل – من وجهة النظر الدلالية – فسنجد أنها تؤلف مجموعة من العلاقات .

فالخير والشرّ . يمثلان علاقة تقابُل من وجهة النظر الدلالية، ويمثلان آصرة إنسانية من وجهة النظر الأجتماعية (*)

والتقابل بين الحبّ والكره يمثّل علاقة دلالية ، ويمثل آصرة انسانية .

والتقابل بين الجمال والقبح يمثل علاقة دلالية ، ويمثل آصرة جمالية.

والتقابل بين التفاؤل والتشاؤم يمثل علاقة دلالية ، ويمثل – من جانب آخر – آصرة نفسية .

والتقابل بين الحياة والموت يمثل علاقة دلالية، ويمثل – من جانب آخر – آصرة وجودية .

---

(١) نفسه/١٤٧

(*) للتمييز بين العلاقات الدلالية وغيرها من العلاقات، جعلت العلاقة للدلالة، والآصرة لغيرها.

والتقابل بين الحركة والسكون يمثل علاقة دلالية ، ويمثل – من جانب آخر– آصرة كونية .

والتقابل بين النظام والفوضى يمثل علاقة دلالية ، ويمثل – من جانب آخر– آصرة ذهنية .

والتقابل بين الايجاب والسلب يمثل علاقة دلالية، ويمثل – من جانب آخر– صلة ذهنية (وقد يمثلان آصرة توازن ، كما في الذرة) .

والتقابل بين التطور والثبات يمثل علاقة دلالية ويمثل – أيضاً – آصرة كونية وحيوية واجتماعية .

والتقابل بين القلة والكثرة يمثل علاقة دلالية ويمثل – أيضاً – آصرة حيوية .

والتقابل بين الذكورة والأنوثة يمثل علاقة دلالية ، ويمثل آصرة حيوية وجنسية .

والتقابُل بين الزواج والعزوبة يمثل علاقة دلالية ، ويمثل آصرة اجتماعية .

والتقابُل بين القُرْبِ والبُعْدِ يمثل علاقة دلالية ، ويمثل آصرة مسافة أيضاً .

والتقابُل بين العالي والواطي يمثل علاقة دلالية ، ويمثل – من جانب آخر– علاقة مسافة .

والتقابُل بين الطول والقصر يمثل علاقة دلالية ، ويمثل – من جانب آخر– علاقة مسافة .

والتقابُل بين الحرية والعبودية يمثل علاقة دلالية ، ويمثل – من جانب آخر– آصرة سياسية .

والتقابُل بين الايمان والكفر يمثل علاقة دلالية ، ويمثل من جانب آخر– آصرة ايمانية .

والتقابل بين الهدى والضلال يمثل علاقة دلالية ، ويمثل – من جانب آخر– آصرة ايمانية .

ويظهر أنّ التقابُل سمة من سمات الأشياء المادية والمعنوية ، والمحسوسة وغير المحسوسة . وهو ظاهرة كامنة في حقيقة الأشياء وبارزة على سطوحها . وهذه الظاهرة من سمات الكون والحياة والانسان : نفسه وجسمه وعقله ، كما أنها سمة دلالية من سمات اللغة

المتصلة بالفكر ، فلا غرابة – بعد ذلك – أن يدركها العقل الانساني بسهولة او بصعوبة ، حسب اختلاف المدارك ...

واذا كان « هيجل» HEGEl – الفيلسوف الألماني– من ۱۷۷۰ – ۱۸۳۱ م ، قد جاء فيما بعد – بمبدأ (التناقض): "Widerspruch" فانه لم يأت بمبدأ جديد وهذا المبدأ يمكن رده إلى الطريق ذي الخطوات الثلاث التي هي : الموضوع ، ونقيض الموضوع ثم التأليف بينهما .

ويرى هذا الفيلسوف أن الكون أجمع يمكن تفسيره ومنهجه بسلسلة متضافرة كل جزء منها له ثلاثة حدود ، حيث ينبت الفكر (أولا) : فكرة هي الاثبات ، ثم يقابلها بالنفي ، ثم ينفي النفي .

ويسمي الفلاسفة المحدثون الاثبات أطروحة ، والنفيَ الأول طباقاً ، ونفيَ النفي تركيباً .

واكثرها تجريداً الوجود (او الكينونة) ، وهي تستدعي بالضرورة نقيضها (وهو اللاوجود) ، لأنّ كلاً من الحدين لايفهم الا مع الآخر .

وبين الوجود واللاوجود تناقضٌ نتجاوزه بتركيبهما معاً ، والانتهاء إلى فكرة التبدل أو الصيرورة (۱) .

هذه ثلاثة حدود ننتقل منها إلى ثلاثة حدود أخرى ، وهكذا دواليك ...

* * * * * *

أنماط التقابل وعلاقتها بمبدأ التفسير

يمكن تقسيم التراكيب اللغوية (من حيث الوضوح وعدمه) قسمين :

القسم الأول : واضحة الدلالة يستوي في فهمها اوسط الناس فهماً واذكاهم .

القسم الآخر : مايحتاج إلى اعمال الفكر ولايفهم الا ببذل جهد غير عاديّ ، وبهذا يتميز أذكياء الناس وعقلاؤهم ، وصدق الله العظيم : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولو الالباب) (۲) .

---

(۱) جدلية أبي تمام/١٦

(۲) سورة الزمر ، الآية ۹

ومن أمثلة القسم الأول قوله تعالى : (قل : اللهم مالكَ الملك تؤتي الملكَ من تشاءُ وتَنْزِعُ الملك ممّن تشاء ، وتُعزّ من تشاء ، وتُذِل مَنْ تشاءُ بيدكَ الخيرُ إنّكَ على كلّ شيءٍ قدير . تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ ، وترزق من تشاء بغير حساب (١) » . وفي سعة علم الله بكل مايستكنّ في النفس يقول عزّ منْ قائل : (قل : إنْ تُخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمْهُ اللهُ ، ويعلَمُ مافي السموات ِ ومافي الارض ، والله على كلّ شيء قدير) (٢) .

ويقول عزّ وجلّ : (ألم تر أنّ الله يعلمُ مافي السموات وما في الارض ، مايكونُ من نجوى ثلاثةٍ إلاّ هو رابعُهُم ،ولاخمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا اكثر إلا هو معهم اين ماكانوا (٣) » .

ومن أمثلته الشعرية قول أبي صخر الهذليّ :

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الامر
لقد تركتني أحسدُ الوحشَ أنْ أرى ... خليلين منها لايَروعُهُما الذُعرُ

وقول البحتري في وصف البركة :

اذا علتها الصّبا أبدتْ لها حُبُكاً ... مثل الجواشن مصقولاً حواشيها
فحاجبُ الشمس أحياناً يضاحكها ... وريّق الغيث أحياناً يباكيها

وقول أبي تمام في بائيته التي قالها في فتح عمورية :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتب ... في حدّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ
بيضُ الصفائح لاسودُ الصحائف في ... متونهنّ جلاءُ الشكِّ والرِّيَبِ

لقد برزت ــ كما لاحظ (الدكتور عبدالكريم اليافي في مقدمة هذه القصيدة ظاهرة التقابل (التي سماها التضاد) ، فالجدّ يقابله اللعب والبياض يقابله السواد والشكّ يبدده الجلاء وأسنّةُ الرماح تقابل في لمعانها الاتي باليقين سنا النجوم التي ترمي بالظنون. وقد لوح بها المنجمون ليصدوا المعتصم عن التوجه للمعركة (٤)

---

(١) سورة آل عمران، الاية ٢٦

(٢) سورة آل عمران، الاية ٢٩

(٣) سورة المجادلة، الاية ٧

(٤) جدلية أبي تمام/٤٦

والنمط الآخر من العلاقات الدلية جاء في تراكيب لاتفهم الا بعد اعمال الفكر ، الذي يختلف فيه الناس وتتباين المدارك ، وبذلك يتفاضل العارفون .

ومن ذلك النمط العلاقة الدلالية التي جاءت في (الآية ١٧ من سورة الرعد) ، وهي قوله تعالى :

« فاما الزَّبَدُ فيذهب جفاءً واما ماينفع الناس فيمكث في الأرض » .

(أ) فما العلاقة الدلية المقصودة في هذه الآية الكريمة ؟

(ب) وما العلاقة (في الآية ١٧٩ من سورة البقرة) ، وهي قوله تعالى :

« ولكم في القصاص حياةٌ ياأولي الألباب »

(ج) وما العلاقة الدلالية (في الآية ١٠٠ من سورة المائدة) :

« لايستوي الخبيث والطيِّبُ ، ولو أعجبك كَثْرةُ الخبيث » .

اعتقد أن لمبدأ التقابل أهميته الدلالية التي يعتمد عليها في التفسير الدلالي لمثل هذه الآيات ،

فمبدأ التقابل في الآية الاولى يمكن أن تفسر أدلالياً بأن كل شيء في الوجود يبقى ويقاوم عوامل الفناء ، اذا كان مفيداً نافعاً ، قد يبقى عينه ، وقد يبقى معناه ، وقد يبقى أثره ، وقد يبقى ذكره « والذكر للانسان عمرٌ ثان » ، وان كل شيء فاسد او مضر يزول ولو بقي الى حين . وقد قيل : دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة .

أما الآية الثانية فليس فيها (في الظاهر) علاقة تقابل ، ولكن الحقيقة انها تتضمن علاقة تقابل ، ففي قتل القاتل المتعمد حياة لبقية الناس ، لأن في العقاب ردعاً للنفس الشريرة . ومن أمن العقوبة اساء الأدب !!

أما الاية الثالثة : «قل : لا يستوي الخبيثُ والطيّب ... الخ» فيمكن توضيح علاقتها الدلالية اعتماداً على مبدأ التقابل ...

الاية من الانخداع بالمظاهر البراقة التي تصاحب الاشياء في الكثرة والقلة، فيرى بعض المحجوبين أن الكثرة أفضل دائماً من القلة ، دون نظر إلى النوعية ... فيحكمون على الخبيث الكثير العدد بأنه أفضل من القليل العدد، ولو كان الاخير أحسن وأجود، وأفضل .. وما علم هؤلاء المخدوعون بالمظاهر أن حقائق الاشياء تكمن في نوعيتها لا في كميتها وانّ نفائسَ الاشياء أقلُّها وجوداً، وأقلّها عدداً ... فما أقلَّ الرسلَ إن قيسوا بالناس عدداً ؟!

وما أقلَّ الذهبَ اذا قيس ببقية المعادن الرخيصة وجوداً ؟! وهل علم هؤلاء أن اللؤلؤ الذي في الاعماق قليل وانّ الحصى الذي بجانبه على الشاطىء كثير جداً ؟!

واعتماداً على مبدأ التقابُل يمكن أن نفسِّرَ تراكيب نحوية عديدة يصعب تحديد دلالتها من النظرة الظاهرة.

واستناداً إلى مبدأ التقابل يمكن تفسير النصوص التي حدث فيها حذف (السبب من الاسباب المعروفة عند النحاة والبلاغيين) .

فقول المتنبي :

أتـى الزمانَ بنـوهُ في شبيـبتـه فَسَرَّهُمْ وأتيـنـاهُ عـلى الهرَم

يمكن تفسيره اعتماداً على هذا المبدأ. وتقدير الكلام:

أتى الناسُ الزمان في اوله فنالوا منه ما أرادوا، واتيناه في وقت هرمه وقد حلب الناس ضرعه فلم ننل منه ما نريد، فساءنا هذا ....

واستناداً إلى مبدأ التقابل يمكن تفسير الدلالات التي استعملت استعمالاً مجازياً، كما في قول الشاعر :

مـن لـم تفـده عـبَـراً أيّـامُـه كـان العَمَـى أولى بـه مـن الهـدى

استعمل الشاعر لفظة (العمى) في سياق البيت استعمالاً مجازياً، فدلتْ على (الضَلال)، الذي يقابل الهُدى. وتشفع لهذا التفسير الاية الكريمة : «وما أنت بهادي العُمْي عن ضلالتهم». فالعَمَى — هنا — يعني الضلال لجامع عدم الاهتداء إلى الصراط السويّ بينهما !!

هذا التفسير يصح اذا كان التقابل بين لفظين يخلو كل منهما من الدرجات الدلالية : كالخير والشرّ، والشمال والجنوب، والذكر والانثى ....

أما اذا كان التقابل بين لفظين تحت كل منهما درجات من العلاقات الدلالية فان المقابلة لا تصح الا مع القمم أي : مع اللفظين دون درجات العلاقات الدلالية تحتهما ، وكذلك اذا كان أحد اللفظين يتضمن درجات من العلاقات الدلالية .... وكذلك اذا كانت درجات العلاقات الدلالية تحت اللفظ الاول مختلف عن درجات اللفظ الآخر ....

كما سيتضح في «المبحث الآتي:

درجات العلاقات الدلالية

لو أخذنا مجاميع من الالفاظ المتقابلة لوجدنا أن التقابل يمكن أن يؤدي عمله كاملاً في التفسير الدلالي في حالة وجود تقابل كلّي بين اللفظين المتقابلين؛ كالاول والآخر، والظاهر والباطن، والايمان والكفر، والحرية والعبودية، والذكر والانثى ....

أما في حالة وجود تقابل جزئي او غير متكامل بين اللفظين فانّ المقابلة تكون صعبة.

ومن أمثلة التقابل الجزئيّ : الجمال والقبح .

فالجمال نسبيّ. والقبحُ كذلك. ولذلك تختلف مقاييس الجمال من أمّة إلى أمة. ومن شعْب إلى شعْب. وقد تختلف المقاييس بين أبناء الامة الواحدة؛ فما أراه جميلاً قد لا يراه غيري كذلك. وقد دخلت (بُثينة) على (عبد الملك بن مروان) . فأطال النظر اليها ... !!

فقالت : مالك تطيلُ النظر إليّ يا أمير المؤمنين؟

فقال : لا أرى فيك ما يقول (جميل) ... !! فأجابت جواب الواثق من نفسه : «إنه يراني بغير العين التي تراني بها» !!

ولا ننسى ما للنفس الانسانية من أثر في اختلاف النظرة إلى الجمال والقبح ... فالجمال والقبحُ صفتان تنبعان من داخل النفس لا من خارجها. وقد أحسن الشاعر المهجري حين قال:

والذي نفسه بغير جمالٍ   لا يرى في الحياة شيئاً جميلا

وقد تتبعتُ أنماط التقابل فوجدتها أربعة :

النمط الأول : تمثل كل كلمة من الكلمتين المتقابلتين نهاية من نهايات الاشياء ، او حالة من الحالات التي لها مقابل دلاليّ غير قابل للتعدد ... ولا للتدريج ؛ كما في : الحرية والعبودية. والذكر والانثى. والعلم والجهل. والشمال والجنوب. والشرق والغرب. وفوق وتحت ...

النمط الثاني : أن يندرج تحت كل لفظة من اللفظتين المتقابلتين مجموعة من الدرجات تساوي ما تحت اللفظة الاخرى من درجات ، كما في الليل والنهار .

النمط الثالث : أن يندرج تحت اللفظة الاولى درجات لا تساوي درجات اللفظة الاخرى ؛ كالحبّ والكراهية .

النمط الرابع : أن يندرج تحت اللفظة من اللفظتين المتقابلتين درجات دلالية متعددة ، في حين لا يندرج تحت الاخرى أية درجات، مثل : الحياة والموت، والتطور والثبات.

فالتطور يعني انتقال الكائن من مرحلة إلى أخرى تتصل بما قبلها وتمهد لما بعدها ، حتى تصل الكائن إلى مرحلة التكامل ... إلا أن الثبات حالة من حالات الاتساق او النظام، في الكون والحياة ....

ويمكن بيان هذه الحالات بالرسوم البيانية الآتية

وتلك الحالات الاربع تتدرج في الصعوبة او تختلف صعوبة ويسراً ....

فالحالة الاولى أيسرها تقابلاً، والحالة الاخيرة أصعبها تقابلاً ...

إننا — في الحالة الاولى — أمام تقابُل حقيقيّ وكامل، دون أن يتشتت الذهن بين درجات كل لفظ من اللفظين المتقابلين .

أما في الحالة الثانية (الليل والنهار) فنحن نستطيع أن ندرك التقابل بسهولة إلى حدّ ما، لوجود درجات دلالية متساوية في اللفظين المتقابلين ... فاوقات النهار مقسمة على اثنتي عشرة درجة، وكذلك أوقات الليل ...

أما في الحالة الثالثة (الحب والكراهية) فنحن نلاقي الصعوبة ليس من تقابل اللفظين، بل من التقابل بين درجات اللفظ الاول ودرجات اللفظ الآخر ...

أما في الحالة الرابعة (الثبات والتطور) فان الصعوبة تكمن في أن احدى اللفظتين المتقابلتين تندرج تحتها درجات، قد تكون محددة تحديداً ما كما في حياة الانسان (في حالة الحياة والموت)، وقد لا تكون محددة كما في التطور (في حالة الثبات والتطور) .

الحالة الأولى

الحرية	الذكر	العلم	الشمال	فوق	يأخذ
العبودية	الأنثى	الجهل	الجنوب	تحت	يعطي

الحالة الثانية *

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
النهار	الشروق	البكور	الغدوة	الضحى	الهاجرة	الظهيرة	الرواح	العصر	القصر	الأصيل	العشي	الغروب
الليل	الشفق	الغسق	العتمة	السدفة	الفحمة	الزلة	الزلفة	البهرة	السحر	الفجر	الصبح	الصباح

الحالة الثالثة **

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
الحب	الهوى	العلاقة	الكلف	العشق	الشعف	الشغف	الجوى	التتيم	التبل	الوله
الكره	البغض	القلى	الشنآن	الشنف	المقت	البغضة				
	١	٢	٣	٤	٥	٦				

الحالة الرابعة

الثبات	الموت
التطور	الحياة
↓	↓

(*) ألفاظ الليل والنهار أخذتها من كتاب: فقه اللغة، للثعالبي/٢٩٤

(**) المرجع نفسه/١٦٨ — ١٦٩

المراجع

(أ) المراجع العربية

* الاضداد في اللغة ، للدكتور محمد حسين آل ياسين ،مطبعة المعارف ببغداد ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

* تحرير التحبير ، لابن أبي الاصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) ، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، ط. القاهرة ١٣٨٣هـ .

* كتاب التشبيهات، لابن أبي عون .

* أبو تمام وقضية التجديد في الشعر، للدكتور عبده بدوي ، نشر مكتبة الشباب بالقاهرة ١٩٧٥م .

* جدلية أبي تمام، للدكتور عبد الكريم اليافي ، منشورات دار الجاحظ، بغداد ١٩٨٠ (الموسوعة الصغيرة ٦٦) .

* خزانة الادب
لابن حجة الحموي

* دلائل الاعجاز، للشيخ عبد القاهر الجرجاني.
تصحيح الشيخ محمد عبده، ط. المنار ١٣٧٢هـ .

* شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، المنسوب لثعلب ط. دار الكتب المصرية (١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م) .

* كتاب الصناعتين. لابي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ،تحقيق علي محمد البجاوي وزميله، ط٢. القاهرة (عيسى البابي الحلبي)، بدون تاريخ .

* فقه اللغة وسرّ العربية، للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) . تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، ط . ثانية - القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

ب‌ـ المراجع الأنجليزية

- John Lyons:
  Semantics (Val. one)
  (University press, Cambridge, 1978)
- HAMLYN
  Encyclopedic world Dictionary, (Kondon 1976)
- G. LEECH:
  SEMANTiCS
  (Penguin Books 1974)
- F.R. PALMER:
  SEMANTiCS
  (Cambridge University Press, 1977)

الربيع بن ضبيع الفزاري

حياته وشعره

الدكتور عادل جاسم البياتي
كلية الاداب الجامعة المستنصرية

هو أبو سالم الربيع بن ضُبيع بن وهب الفزاري الذبياني (١). واختلف في ضبط أسمه ، فأورده بعضهم محلّى بالألف واللاّم (٢) ، بينما ورد في مصادر أخرى مجرداً منهما : ربيع « على وزن أمير» ، في حين ذكرته مجموعة ثالثة من المصادر مصغراً مع اسم والده ، فقيل : رُبيع بن ضُبيع (٣) ، كأن خفة النطق والنسق وتجانس اللفظين وزنتهما كان لها نصيب في هذا التوجه الأخير . وقد رجحنا ماكان أئمة اللغة والأدب قد رجحوه ، كما أشارت إلى ذلك مصادرنا المتقدمة ، وثبتناه هنا . فهو بأتفاق المصادر : الربيع بن ضبيع

(١) التيجان ص ١١٨ والإصابة ص٢٦ ٥ ويزيد الاخبار يون في نسبة، على عادتهم متجاوزين جده (وهب) في سلسلة طويلة: وهب بن بغيض بن مالك بن عامي بن فزارة بن ذبيان .

(٢) أمالي المرتضى ص ٢٤٣ واورد المحقق في الامشى مانصه: «ضبع بالتنوين، وفي حاشية الأصل في نسخة مقروءة من كتاب سيبويه — وقد قرىء على ابي علي الفارسي رحمه الله — وفي أخرى مقروءة على ابن اخته ابي الحسين: «الربيع بن ضبيع، منوناً بآخره» وقد وضعه صاحب الاصابة ٢٦ ٥ ضمن من اسمه (الربيع) محلى بالألف واللام، وسلكه مع الصحابة ثم عاد فابدى تحفظه في ذلك.

(٣) ينظر «المعمرون والوصايا ص ٨» في الهامش رقم (٣).

بن بغيص بن مالك بن سعد بن عدي . بن فزارة ، وزاد صاحب التيجان : بغيص من ذبيان . وهذا نسب متفق عليه في كتب جمهرة الانساب وغيرها (١) .

والربيع – فضلاً عن كونه شاعراً – خطيب حكيم ، عاش قبل الاسلام طويلاً حتى عُدّ في المعمّرين.وليس في كتب الأدب والشعر والثقافة العربية ترجمة وافية لهذا الشاعرولا شعره،شأنه في ذلك شأن مئات الشعراء من متقدمي الجاهلية ، ممن فقدت سيرتهم الذاتية أو دواوينهم أو مجموعاتهم الشعرية .

لكننا استطعنا أن نلقي بعض الضوء على جوانب من مجاهيل حياته ، استقيناها من عدة روافد ، بعضها كان السبب الرئيس فيها شخصية الربيع نفسه ، فقد كانت متعددة الجوانب على أن الدوافع لسيرورة جانب ولو ضئيل من أخباره كثيرة ، أبرزها :

(أ) كان الربيع بن ضبيع كثير التطرق لأخبار الماضين في شعره ، مما لفت أنتباه رواة الأخبار والمؤرخين اليه ، فقد تعرض لشيء من سيرته صاحب كتاب : «التيجان في ملوك حمير» فأورد عنه خبراً مطولاً ، لأنه لمس في شعره اشارة واضحة لملوك حمير ، مثل ذي القرنين في قوله :

ألا أين ذو القرنين أين جموعـــه ... لقد كثرت أسبابه ثم قلّــت

ومثل التبّع ولقمان وسليمان حيث يقول :

سيدركني ماأدرك المرءَ تبعاً ... ويغتالني ماأغتال أنسر لقمان
أجار مجير النمل من عزّ ملكه ... وأنزل سيف البأس من رأس غمدان

ومثل هود والصعب وغيرهما :

أين بنو هود النبي ومن ... شمّرَ عن راحتيه وابتكرا
والصعب لمّا عَتَتْ أرومته ... وخان ريب المنون فاذكرا

هذا غير ذكره لامرىء القيس وحجر أبيه والملوك والرؤساء العرب ، فكان استشهاد المؤرخين بشعره يعدّ من قبيل توثيق الخبر بالشعر ، ومن ثم اضطرهم ذلك إلى التعرض بشيء من الإيضاح لسيرته الذاتية .

---

(١) المصدر السابق . والتيجان ص ١١٨ والاصابة ص ٥٢٦ والمصدران الاخيران تفردا بايراد (ضبع) .

(ب) والسبب الثاني وراء استعادة المؤرخين لشيء من اخبار الربيع ، كونه أحد المعمرين المعدودين في الجاهلية ، فكان هذا المظهر في حياته دافعاً للعودة اليه عند حديثهم عن هذا الجانب من حياة الأعلام ، فوضعه الرواة العرب ضمن الأسماء التي تذكر في هذا المجال . ولو لم تكن هذه المزيّة في سيرته لأهملته المصادر أيضاً ، لكن اصرارهم على أنه عاش طويلا جداً هو في نظر المعتدلين مائة عام ، وفي نظر المبالغين يربو على الثلاث مئة عام ، جعله يذكر ولو بشيء يسير من الخبر في كتاب المعمرين والوصايا ، كما ورد في أمالي المرتضى في الفصل الخاص منه بالمعمرين . ونقل ابو عبيد البكري في السمط عن ابي حاتم انه عاش ثلاثمائة واربعين سنة ولم يسلم .

(ج) وتدخل مزية ثالثة في حياة الربيع لتكون سبباً في عودة العلماء الى سيرته ، فلم تنطمس تماماً مع مئات السير المطموسة من رجال العصر الجاهلي ، وهي احتواء شعره على الفاظ وعبارات وصيغ عربية باتت مع تقدم العصور ومضيّها ، ذات استخدام خاص جعل ائمة اللغة والنحو ورجال الأدب والثقافة يستشهدون بنتف من ابياته ومقطوعات من اشعاره تثبيتاً لمذهبهم أو تأكيداً لقواعدهم أو تأييداً لما في قواميسهم ومعاجمهم ، وعلى سبيل المثال نقول أن سيبويه ذكره في كتابه مرتين (١) ، وإن كان في الموضع الثاني قد وهم حين نسب البيت المستشهد به من شعر الربيع الى يزيد بن ضبة فنقله ابن المستوفي عنه كما سيتضح لنا في القطعة رقم (١) من شعره . وممن ذكره في شواهده أيضاً ، الرضي في الكافية ، وابو زيد في النوادر (٢) ، والزجاجي في الجمل ، وتابعه ابن السيد في شرح الجمل ، كما ذكره ابن قتيبة في أدب الكاتب (٣) . هذا بالاضافة الى وورد ذكره في الصحاح للجوهري واللسان لابن منظور (٤) . ولا يخفي علينا ان هذه الكتب تعد اصولا في اللغة والنحو ، غير مايرد في الذيول والتكملات والشروح ، لكنه ذكر لايتعدى التعريف الذي لايبل ظمأ طالب المعرفة الى المزيد ، لتتضح اجزاء الصورة المبتغاة .

(د) لقد كانت شخصية الربيع في قضايا الكرم والأمانة فذة كبيرة ، فكان له [illegible] باع في الكثير من [illegible]

(١) الكتاب لسيبويه [illegible] (طبعة بولاق) [illegible]
(٢) النوادر لابي زيد ص ١٥٨ ، ط . الكاثوليكية بيروت ١٨٩٤ .
(٣) أدب الكاتب — ابن قتيبة [illegible]
(٤) تراجع مصادر تحقيق شعر الربيع بن ضبع بعد هذه الدراسة .

العرب ان يتناولوا جانباً من سيرته الذاتية . فنلاحظ كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١) مثلاً ، عندما يبسط سيرة امرىء القيس ورحلته الى ملوك الغساسنة قاصداً القيصر ، يشير الى ان الربيع بن ضبيع هو الذي رافق الشاعر الثائر الى الغساسنة وكان واسطته اليهم لمعرفته اياهم واتصاله بهم ومكانته لديهم ومديحه اياهم كما افادتنا القطعة رقم (٨) من شعره ، يمدح بها السموأل الشاعر ، صلة الوصل بين الربيع وملوك الغساسنة . وكذلك تعود اخبار الربيع الى الظهور مرة اخرى عند الحديث عن اكبر حدث تاريخي في زمانه يخص قومه وأمته العربية ، الا وهو يوم « داحس والغبراء » (٢) وشعره فيها معروف ، وموقفه منها واضح ، فقد ذكر ايامها في قصائده ، مثل قوله في يوم الهباءة ، اخطر ايام هذه الحرب:

تجاوزت في يوم الهباة هنيدة والقيت عوداً حين ما حين حلّت

أي جاوزت المائة في هذه الحرب واصبحت كالعود أي الجمل المسنّ. وقال ينصح حمل بن بدر الفزاري ويمنعه عن التمادي في الضلال والفرّ والحرب لأن خصمه قيس بن زهير العبسي لايزال سادراً في هذا الضلال مثله :

ياحمل هل تعلم مالا أعلمهْ سدّيتَ غزلاً لا تطيق تلحمهْ
والظلم للظالم حتماً يلجمهْ الا ترى قيساً تأطّت اسهمه
يقتل ذا الظلم ومن لايظلمهْ

وقال أيضاً ، ينصح غطفان كلها بما فيها عبس وذبيان ، ايام حرب داحس ، أن يكفوا لأنهم ابناء عم (٣) :

أخاك أخاك ان من لا اخاً له كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

والربيع من الشخصيات المهمة التي ساهمت في عكاظ لايقاف هذه الحرب وله خطب مشهورة فيها سنعود اليها بعد قليل .

(هـ) ويزخر شعر الربيع — مع قلته — بفقرات من الحكمة البالغة والموعظة الحسنة . وحكمته تأخذ عدة اتجاهات ، اهمها تذكيره الناس بفاجعة المصير الانساني ، واتخاذ العظة في الذاهبين

---

(١) الأغاني لأبي الفرج ٢١/١١٨.

(٢) تراجع دراستنا حولها في كتابنا الشعر في حرب داحس والغبراء — طبع الأديب بالنجف ١٩٧٢.

(٣) تراجع أشعار الربيع بن ضبيع في موضعها من التحقيق.

الأولين ، ومن ثم ردعه للظلم والبغي مانحاً الانسانية بعداً حضورياً من انسانيتها وتعاطفها في هذه الحياة الزائلة مهما طال المقام فيها . وهذا الاتجاه في شعر الربيع مثله في نثره الذي بناه على خطب تدعو الى الرفق والصفح والاعتراف بالخطأ والعودة الى العقل وتحكيم الضمير . ان هذا الموضوع الحيوي الخالد في شعر الربيع ونثره منحهما خلوداً وزادهما قوة وسيرورة ، مما ترتب عليه ان يعود الناس الى سيرة الربيع في اكثر من موضع وموقع .

(و) ولعل السبب الأخير في عدم ضياع هذه الصبابة من شعر الربيع ونثره وبقاء اسمه وعدم اختفاء سيرته نهائياً ، انه كان علماً في الرجال ومعلمة تاريخية في معالم هذه الامة ، فكانت اخباره في كتب الأمالي والأدب تتردد احياناً برغم ضياع السيرة الرئيسة له ولشعره . وبلغ من حب المتتبعين لاخباره في التراث برغم معلوماتهم الشحيحة حوله ، انهم امدوا في عمره حتى جاوزوا الجاهلية الى الاسلام فجعلوه مخضرماً ، وادرجوه في سلسلة الصحابة والتابعين فوضعه ابن حجر ضمن رجاله الذين ادركوا الاسلام وان عاد وشكك في ذلك ، وكذلك فعل الشريف المرتضى في أماليه عندما ناقش قصة دخول الربيع بن ضبع على معاوية بن سفيان وعبد الملك بن مروان . قال الشريف المرتضى : ومن المعمرين الربيع بن ضبع الفزاري ويقال انه بقي الى ايام بني أمية . وروي انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : ياربيع اخبرني عما ادركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية . قال : انا الذي أقول :

ها أنذا آمل الخلود وقد ادرك عقلي ومولدي حجرا

فقال عبد الملك : قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي . قال : وأنا القائل :

اذا عاش الفتى مائتين عاماً فقد ذهب اللذاذة والفتاء

قال عبد الملك : « قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام . وأبيك ياربيع ، لقد طلبك جد غير عاثر ، ففصل لي عمرك » قال : عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام ، وعشرين ومائة في الجاهلية ، وستين سنة في الاسلام . قال : أخبرني عن فتية من قريش متواطئي الأسماء . قال : سل عن أيهم شئت . قال : أخبرني عن عبدالله بن العباس . قال : فهم وعلم ، وعطاء جذم ، ومقرى ضخم . قال : فاخبرني عن عبدالله بن عمر قال حلم وعلم ، وطول كظم ، وبعد من الظلم . قال فأخبرني عن عبد الله بن جعفر . قال : ريحانة طيب ريحها ، لين مسها ، قليل على المسلمين ضررها . قال : فاخبرني عن عبدالله بن الزبير .

قال : جبل وَعْر ، ينحدر منه الصخر . قال : لله درك ياربيع ماعرفك بهم ! ؟ .. قال : قرب جواري ، وكثر استخباري .

وقد ناقش الشريف المرتضى في اماليه هذا الخبر قائلا : ان كان هذا الخبر صحيحاً فيشبه ان يكون سؤآل عبد الملك له انما كان في ايام معاوية ، لا في ايام ولايته ، لأن الربيع يقول في الخبر : « عشت في الاسلام ستين سنة » وعبد الملك ولي في سنة ٦٥ من الهجرة ، فان كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه ، فقد روي ان الربيع ادرك أيام معاوية ، ويقال انه بلغ مائتي عام فقال :

اذا بلغ الفتى مئتين عاماً ... فقد ذهب المذاذة والفتاء

انتهى كلام الشريف المرتضى :

لتلك الأسباب المتقدمة ظلت سيرة الربيع تذكر بايجاز مخل ، لكنه لو قيس بسواه ممن يحمل نفس مميزاته اوجدناه أوفر حظاً وأعلى قدحاً ، لاسيما اذا نظرنا الى هذه السيرة والأخبار والأشعار بعين التمحيص والتدقيق والتوثيق ، فقد جاءت صحيحة سليمة لأنها تستمد قوتها واصالتها من صدق المنابع التي صدرت عنها ، ومن صحة الرواية التي خرجت عنها . فاذ شئنا أن نلقي نظرة على العلماء الرواة الذين مرت بهم هذه الأشعار وخرجت من بين اصابعهم ، لوجدناهم في غاية السمو والرفعة في سلامة لغتهم وصدق روايتهم مثل أبي الأسود الدؤلي والأصمعي وابي عمرو الشيباني والقاسم بن معن ووهب بن عتبة . أما المؤلفون من العلماء فخير مثال لهم ابو حاتم السجستاني والشريف المرتضى وأبو الفرج الأصفهاني وابو محمد عبد الملك بن هشام . وقد سبق ان رأينا خيرة النحاة يتناولون بشعره يتخذونه شواهد لمذاهبهم كما فعل سيبويه والزجاجي . ان استشهادهم ببعض شعر الربيع انما هي تزكية لما يروى له من اشعار رغم شحتها ، وتثبيت لشخصيته بابعادها التاريخية رغم غرابتها . ومثلهم فعل المعجميون كالجوهري وابن منظور ، وكذلك المعنيون بالتراث والأدب من المتأخرين كالبغدادي في الخزانة والألوسي في بلوغ الأدب .

هذه لمحة سريعة للقنوات الجيدة التي مر بها شعر الربيع بن ضبيع الفزاري ولا ننسى ان ابن قتيبة الدينوري كان قد اطلع على شعره ، وكذلك ابو علي الفارسي والرضي والطبرسي صاحب الاقتضاب وابو علي القالي في الأمالي والنوادر وغيرهم . واذا اتجهنا بنظرتنا الفنية والذوقية نحو طبيعة الشعر لوجدناه مما يدخل ضمن لغة ذلك العصر واجوائه ومعطياته فليس لعالم بلغة العرب ، عارف بكلام الجاهلية مميز له عن كلام اهل الاسلام ، الا ان يحكم بان هذا الشعر يمثل العصر الذي وجد فيه الربيع .

ولو عمدنا الى مزيد من التعرف على سلاسل الرواية والرواة في الكتب التي اوردت شعر الربيع ، لوجدناها رويت عن ثقات . مثل ابن هشام عن ابي مخنف عن كميل بن زياد النخعي ، وهي رواية لكتاب وهب بن منبه . اما كتاب .. « المعمرون والوصايا » لأبي حاتم السجستاني فهو عن ابي الأسود التوشجاني عن العمري عن ابي عمرو الشيباني قال: سألني القاسم بن معن ، ثم اورد خبر الربيع . وأما كتاب الاصابة لابن حجر العسقلاني ، فهو ينقل مباشرة عن ابن هشام وابي حاتم السجستاني ، ولم يذكر الشريف المرتضى في أماليه الجهة التي نقل عنها خبر الربيع ، ولا اسم الرواية العالم الذي استقى عنه شعره ، لكن الشريف المرتضى رحل موثق الرواية مصحح الخبر .

شعره :

حكم ابو محمد عبد الملك بن هشام (١) للربيع بن ضبيع الفزاري في كتاب « التيجان» بانه اشعر شعراء عصره . ويبدو انه لم يعد كثيراً في حكمه ، لأن الروايات تفيد بان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) كان يتمثل بشعره في مواقفه المهودة ، والخليفة عمر معروف بنقده للشعر وانتقائه لما يحفظ ويتمثل وينشد . ومما زاد في ذلك ان الخليفة علي بن ابي طالب (رض) سمع مرة انشاد عمر بن الخطاب لشعر الربيع بن ضبيع فاهتزت له اعطافه واجازه متمماً الأبيات ببيت أو اكثر من وزنها وقافيتها ومعناها . والامام علي كرم الله وجهه ، هو من هو في الشعر والفصاحة والبلاغة ليس بحاجة الى فضل بيان وزيادة تعريف . تقول الرواية : انه لما خرج عمر بن الخطاب الى الشام في خلافته ، سار بعلي بن ابي طالب فغادرا المدينة حتى بلغا الشام ، ثم جعل الموكب يعبر وادي الأردنين ، قال عمر : قاتل الله الربيع بن ضبيع حيث يقول :

وكم غمرة ماجت بأمواج غمرة ... تجرعتها بالصبر حتى تجلت

وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت عزمي على الأمر ذلت

هي النفس ما منيتها طال شوقها ... والا لنفس اويست فتسلت

فزاد علي بن ابي طالب عليها بيتاً فقال :

وما جزت وادي الأردنين تطرباً ... ولكن امورا وكلتها بي فحلت

فالشاعر مشهود له عند اعلم الناس بالشعر والرواية مثل ابن هشام ، ومروي له عند من لا يرقى الشك الى ذوقهم وانشادهم كعمر وعلي رضي الله عنهما .

---

(١) ص ١١٨ .

وشعر الربيع أعف شعر وأصدقه ، لانه ينطلق من عاطفة يتحكم فيها العقل والسن والتجارب فجاء حافلاً بالتأمل وبعد النظرة، فعده الأوائل من حكماء العرب في الجاهلية وعقلائهم .

وحكمته الشعرية منطلقة من تجاربه الشخصية وامتداد حياته وسلامة فطرته ولم يستمدها من تأمل فلسفي مدروس او كتاب من وضع حكيم او فيلسوف وهذا شأن شعراء عصره حتى جـــاء الاسلام فآل الناس الى كتاب الله واصبحت تأملاتهم مستمدة منه ومن سنة رسول الله (ص) واحاديثه واثره واقوال صحابته ، فكانت هذه الظاهرة أول وسيلة للمعلومات المنسقة المبنية على تأمل عقلي مسبق.فاذا أراد الربيع ان يعظ الناس ليكفوا عن اندفاعهم وراء اطماعهم ولذائذهم الحسية ،لم يتجاوز منطق حكماء عصره أمثال اكثم بن صيفي وقس ابن ساعدة الايادي وذي الاصبع العدواني والاضبط بن قريع ومعد يكرب الحميري وغيرهم . ممن يعيدون الى ذاكرة الناس سيرة الجبابرة الملوك الذين كانوا ممتنعين بقوتهم وممالكهم ، والفاتحين الذين بسطوا اكفهم على وجه المعمورة ، فلم ينفع الجبار بطشه ولا الملك منعته ولا الفاتح سطوته ، ومضى الجميع كأن لم يكونوا وعادت الحياة ثانية الى مجراها هادئة بسيطة ، ينعم بها الناس على مختلف اصنافهم ، كأن يداً خفية انتزعت عنهم ما كان قد أفسد عليهم عيشهم . وتدور هذه المعاني في شعرهم وسجعهم ، لكن في تنوع بالاسلوب وتعدد في التناول ، بحسب نظرتهم او نظرة الحكيم نفسه الى الوضع الذي يناسبه عند التعبير والارشاد .

ان اكثر مواعظ الربيع وحكمته ،في شعره تقريرية في نظر النقد الحديث مثل قوله : اذا عاش الفتى مئتين عاماً فقد ذهب اللذاذة والفتاء وهذا في نظر الدراسات النقدية مما لايستوجب التأمل العميق وانما هي بديهية ، وأكثر شعره من هذا القبيل ، لكننا لانقيس ذلك القصد على مايقيسون به اليوم ، بسيطة اذا قيست إلى أفكار هذا العصر ، لكنها في زمانها جديدة أصيلة ، لأنها تمثل مرحلة متطورة بالنسبة إلى مراحل الشعر السابقة عليها ، عندما كان الشعر يدور في اجواء بعيدة عن هذا الواقع الجديد ، غارقاً في افكاره الغيبية البدائية الساذجة ، لايتعدى عالم الاساطير والملاحم ، ثم جاء بعدها الشعر الجاهلي بواقعيته الجديدة،وشعر المعمرين وحكمتهم من ضمنه ولو شئنا ان ننثر كل افكار الربيع في حكمته لما جاوزت هذه المعاني او الصيغ البديهية البسيطة : ان امتداد العمر يسلب المرء أحاسيس اللذة والشباب ،وان السنين العديدة التي تمشت فوق جسدي تركته متهدماً

فانياً ، وعافتني وقد سئمت من نفسي ومن بقية حياتي ، فغدوت مسلوب الارادة والقوة لأحمل السلاح ولا أميز الأشياء ، وأخشى الظلام والمطر والذئب ولا أملك رأس البعير اذا نفر أفلت من يدي . وان الانسان ينبغي أن يتعظ من تجاربه وتجارب الآخرين ، وان هزائم الأقوياء أمام الدهر وطرقات الزمن على أبوابهم مؤشر كبير لضعف الانسان اذا بغى وظلم وتجبر ، وان سرقوة الانسان في عدله وتراحمه وتوادده وتواصله ، وان الملوك والسوقة والموسرين والمقترين يؤولون إلى مصير مشترك واحد .

لكن حكمة هذا الشعر خرجت بعد قرون قليلة عن هذا الاطار التقليدي إلى رؤية شعرية معمقة ، وجدت في ابي تمام وابي الطيب المتنبي ومن نهج نهجهما ، خير راع لهذا الاتجاه . وقد سبق أن استشهدنا بالأبيات التي رواها الخليفة عمر واجازها الأمام علي ، فهي مثال طيب لشعر الحكمة الناضج . والحقيقة أن هذه الأبيات والقصيدة نفسها تمثل اتجاهاً سليماً في شعر الحكمة أكثر من غيرها في شعر الربيع ، ومثل قوله أيضاً :

لابد أن القي المنون ، وان نأتْ عني الخطوب ، وصرفه المحتوما
أمنَ الأمورَ أخو الدهور فهل رأى ذا سوقٍ من قبله معصوما

وما سوى الهموم الذاتية والمواعظ والحكمة لانلتقي في شعره بشيء يذكر ، لأن غرض الاستشهاد بشعره من قبل العلماء كان منصباً على هذا الجانب ، فليس بين ايدينا من مديحه شيء سوى أبيات ثلاثة قالها في مديح السموأل لايمكن أن نبني عليها حكماً في اتجاهات شعر المديح لدى الربيع . كما ليس بين ايدينا من شعره في الهجاء الا ابياتاً ثلاثة أيضاً قالها في هجاء حمل بن بدر احد سادة بني فزارة قوم الربيع نفسه ، وكان احد اسباب حرب داحس والغبراء وداعية من دعاتها ، فهجاه الربيع لموقفه الظالم منها ، ولكي يحقن دماء القوم ، فالحكم على شعر الهجاء عند الربيع من خلال ابياته قليلة يعد ضرباً من التحمل . أما الغزل في شعره فهو تقليدي يسوقه في مقدمات قصائده أو يذكره في ثنايا شعره ليعبر عن حالة وعظ مطلوبة لديه كقوله بعد ان مهد لموضوعه عن هلاك البشر .

لاتعجبي يا أميم من صفتي ... فقبل ما كنت أنعت القمرا
أصبو بهند وزينب أمداً ... وزمرة كن قبلها درا
لما رماني الزمان عن عرض ... وقادني خطوبه أسرا
اصبح مني الشباب قد حسرا ... ان ينأ عني فقد ثوى عصرا

ان الأوشال الباقية من شعر الربيع لتدل على التزامه بالبناء الفني للقصيدة العربية في افتتاحياتها قبل الدخول في الغرض، كقوله:

اقفر من اهله الجريب الى الزجن الا الظباء والبقرا

وهو مطلع طللي . ومثله:

طال الثواء عن السنين أميما ألقى عذاباً للسنين أليما.

ان هذه الاشارات الطللية والممهدات المعنوية للبلوغ الى غرض القصيدة تدل على قصائد طوال مفقودة من شعر الربيع.

نثره :

وكما امتلك الربيع بن ضبيع الفزاري ناصية الشعر، فقد تمتع بملكة ادبية أخرى، الا وهي موهبته الفذة في الخطابة والقدرة الكبيرة على التعبير بالنثر الفني. قال ابن هشام: كان الربيع أحكم العرب في زمانه وأشعرهم وأخطبهم وشهد يوم الهباءة وهو ابن مائة عام، وكان أنجد فارس في حرب داحس والغبراء» وتتجلى الحكمة في نثره بنفس الشوق التي تجلت بها في شعره، وقد حفلت بمعاني الدعوة الى الخير والمحبة وتحكيم العقل والضمير في جميع الأمور. كما وردت في نثره اشارات قوية الى تزيين الصلح ونبذ الخلاف، كما اشار الى رغبة صادقة في نشر العلم والمعرفة، واغاثة الملهوف واجابة السائل والتأكيد على معاني السلم والحرية بمفهومها القديم، ومقاومة السفه والظلم والتصدي للمعتدي ودحر كيده وايقافه عند حده.. وهكذا. وتدور أكثر معانيه في فلك الخطب التي دارت فيها خطب العصر الجاهلي، وما كان يقوله قس بن ساعدة واكثم بن صيفي وسواهما . وتفيد اخباره انه كان يقف في سوق عكاظ خطيباً ناصحاً داعية متكلماً عن عشيرته وعن العرب في كثير من امورهم الخطيرة. فمن امثلة خطبه يوم همت عبس الى صلح ذبيان ساعياً في السلم بينهما رجال عظماء مثل عوف بن حارثة، نيابة عن بني مرة بن سعد بن نصر بن ذبيان، وحصن ابن حذيفة، نيابة عن بني فزارة، وقام هرم بن سنان المري، نيابة عن بني عبس . فأتى بنو عبس بالدية لبني ذبيان، وأتى بنو ذبيان بدياتهم لبني عبس، وبقي على حصين بن ضمضم المري عشرة أبكار، وكان بخيلاً أكولاً فأدركه البخل فأراد نقض الصلح حتى لايدفع ماعليه من الغرامة فقال: «يابني عبس لانصالحكم الا الصلح المخزية جدع الأنوف والأذنين» وكان ذلك في سوق عكاظ، فوقف الربيع

---

(١) المصدر السابق (التيجان لوهب بن منبه — رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام)

بن ضبيع وقال.. «... الحريم (١) ، ولج الغريم ، وطال الشرر ، وغدر الدهر » فدارت معارك ادبية وكلامية دخل فيها الحصين بن ضمضم وعنترة وعروة بن الورد العبسي فأوردوا شعراً حامياً، فلم يقف الربيع الى جانب الحصين برغم انه من عشيرته، وانما قال له: «ياحصين لقد تعرضت للسب» يريد انه بسوء تصرفه جعل من نفسه غرضاً وعرضة للتشهير. فلما رأى العبسيون والذبيانيون حكمة الربيع ورجاحة عقله ، جعلوا امرهم الى حكمه ، فاسترسل يخطب في عكاظ بين الحيين المتقاتلين عبس وذبيان فقال :

«أيها الناس أصاب الإياس ، وأخطأ القياس، وبين الحق والباطل التباس. أيها الناس ، من عبر غبر ، وكل عثار جبار ، وكل فائت مطلول ، الخير والشر على اللسان ، والنجاة في البيان . يابني ذبيان داروا الحروب فانها تذل . يابني ذبيان طاب الثأر ضالة الاشرار ومزالق الاعمار وهلاك الأخيار. أخوكم عبس، عدوكم أمس، فطلاب أمس الذاهب هلاك غد المقبل. هلا سألتم عن الأحقاد طسم وجديس وعاد وثمود . اعلموا ان كل ذاكر ناس، وكل مقيم ظاعن وكل ثابت زائل. وبين الأموات موت الأحياء ، والسرعة الى الأجل ذهاب العاجل ، والذل غنيمة الظالم» وانشد من شعره في هذا الموقف :

على حـرج ياعبـس اضحى اخوكم | وبت على أمـر بـغـيـر جـنـاح

القصيدة :

والربيع بن ضبيع هو القائل في يوم شبيم وامر شبيم وهو شخص قتلته فزارة بعد الصلح مع عبس ، وقال فيه زهير بن سلمى معلقته. قال الربيع «ظلمتم يابني فزارة ، والظلم عاقبته وخيمة، فداروا الظلم بالرفق، او فأنتم شاه الذئب، وغرض الرامي» .

ثم قال: «يابني اجمعوا لي بني ذبيان» فلما حضروا قال: «يابني فزارة بن ذبيان : من أعزكم؟! قالوا أنت يأبا سالم.. قال : ان لكم ان تدوسوا اعزكم عليكم بارجلكم ، فذلك ارفع لقدره عندكم . يابني ذبيان، آمركم بأربع وأنهاكم عن اربع : آمركم بالحلم فانه يحسن المعاشرة، وبالجود فانه يزرع المودة ، آمركم بحفظ بعضكم بعضاً يهابكم الناس الأباعد ، آمركم بالعلم فانه زين ومحبة في قلوب العالم. وانهاكم عن السفه فانه باب الندم ومنزل الذل، وأنهاكم عن البخل فانه سلم السب ، وانهاكم عن التخاذل فانه آفة العز ، وانهاكم عن الجهل فانه رزية ومهلكة . وأسألوا عما جهلتم فأن في السؤال هدى ، وفي الصمت على الجهل عمى ، ولا تستصغروا من لاتعرفونه ، ولا تحسدوا من

---

(١) كذا وردت في التيجان، وقبلها كلمة ساقطة.

لاتدركونه ، ولا تحمدوا غير كريم، ولا تبخلوا على شريف ، ولا تفضلوا على غير محتاج فيذهب فضلكم هباء . ولا تمنعوا السائل فان منعه مقت، ولا غيبة فأنها قرضٌ مردود، ولا سيما انها تعقب . يابني ذبيان اجعلوا قبري علماً فاني قدمت للناس خيراً، فأنه شأن وذكر حسن، وتركت للبنين فخراً، ولو قدمت شيئاً امرتكم ان تخذوه، فانه علم السب. احفظوا قولي فانه مقامي ورائي فيكم. وانشأ يقول:

لقــد عزفت نفسي عن اللهــو جــمــة وان نهلت مــن لــهــوهــا ثــم عــاــت

القصيدة :

ويلاحظ في وصيته كيف يأتي بالشيء ونقيضه حين يأمر وحين ينهي، فهو بذلك يكون قد ثبت الغرض المطلوب والهدف المنشود، وهذه غاية في الأمر لأنه اعرض عن تكرار الوصية لكنه عاد اليها بذكر ماينافضها، فكأنه ثبتها مرتين في وجهتين مختلفتين وهو قمة الابداع في التوجيه . ويلاحظ ايضاً أنه وضع أسساً لقيم اجتماعية صارت فيما بعد شرائع وقوانين وسنناً في الأسلام ، وهذا هو الدور الكبير الذي قام به اولئك الرجال العظماء من معاصري الربيع بن ضبيع وسابقيه ولاحقيه، عندما صنعوا مجد الأمة وأرسوا تقاليدها العربية والانسانية . وجاءت تعاليمه اشبه بوصايا انبياء الله والمبعوثين في الناس .

والملاحظة الثالثة في نثر الربيع بن ضبيع الفزاري انه كان ينقد نفسه نقداً بناء حين أوصى بان يجعل قبره علماً، فان كان الذي قدمه للناس خيراً فليكن قبره رمزا للخير وحسن الذكر، وان كان ماقدمه مما يسيء الى شخصه فليكن قبره كقبر ابي رغال، علماً للسب واللعنة، تلك هي لغة الربيع في شعره ونثره ، وهذه هي بعض خطبه واقواله ووصاياه مما بقي في يد الزمن، وأما بقية شعره فسأذكر ماوقعت عيني عليه في المصادر التي بين يدي الآن ، وعسى أن يسعدنا الحظ بالمزيد في مستقبل الأيام.

— (١) —

شعره :

قال الربيع بن ضبيع الفزاري لما بلغ من العمر مئتي عام:

١ — الا أبلغ بني بني ربيع (١) فأشرار (٢) البنين لكم فداء
٢ — بأني قد كبرت (٣) ودق عظمي فلا تشغلكم (٤) عني النساء
٣ — وان كنائني لنساء صدق وما آلى بني وما أساءوا (٥)
٤ — اذا كان (٦) الشتاء فادفئوني فأن الشيخ يهدمه (٧) الشتاء
٥ — فأما حين يذهب كل قر (٨) فسربال خفيف أو رداءُ
٦ — اذا عاش الفتى مائتين عاماً (٩) فقد اودى المسرة والفتاء(١٠)

مصادر تخريج الشعر

الابيات في كتاب : المعمرون والوصايا (ص ٩ — ١٠) وأمالي المرتضى ص ٢٥٥ والتيجان ص ١١٨ عدا البيت الأخير ، وحماسة البحتري ص ٣٢٢ عدا الثالث والسادس. ووردت في الخزانة ٣٠٦/٣ وبلوغ الأدب ١٦٦/٣ بتمامها، وروى صاحب الاقتضاب ص ٣٦٩ والاصابة ص ٥٢٦ الأبيات (٤ — ٥ — ٦) والسمط ص ٨٠٢ البيتين (٤و٦) واللسان مادة (الا) و(فتا) البيتين (٢و٤) والصحاح مادة (الى) روى الثاني فقط.

وقد رويت الابيات في المصادر بترتيب يختلف بعضها عن الآخر، وما ثبتناه هنا هي رواية كتاب : «المعمرون». وقد ناقش صاحب الخزانه رواية ابن المستوفي في كون الأبيات ليزيد بن ضبه وكون البيت الاخير يروي ستين عاماً بدلا من مائتين عاماً وسأذكر ذلك في الهامش رقم (٩) القادم.

اختلاف الروايات وشرح المفردات الغريبة :

١ — ضبطت في بعض مصادر التحقيق مصغرة، وقد تعرضت لها في اول سطور الدراسة المتقدمة عن الربيع.

٢ — في النوادر والخزانة (انذال) بدلاً من (اشرار).

٣ — في النوادر (رق) .

٤ — التيجان والنوادر (يشغلكم) .

٥ — رواية البيت في التيجان.

وان كـنا نـتـي لانـت بـقـسـر   واني لا أسـر ولا أسـاء

واثبتنا اتفاق الروايات الأخرى. واختلف في (الي) و(الا) وهي لدى العلماء بمعنى ابطأ وقصر. والكنائن جمع كنة: امرأة الابن او الأخ.

٦ — كان هنا تامة، ورويت ،في التيجان والاصابة (جاء).

٧ — في التيجان والاصابة والسمط (يهدمه).

٨ — التيجان : وان دفع الهواجر كل قر... البيت. والقر: البرد . الاقتضاب : رقيق بدل خفيف.

٩ — ذكر صاحب الخزانة ان ابن المستوفي رواها: اذا عاش الفتى ستين عاماً..

ونسبها ليزيد بن ضبة ، ورد عليه صاحب الخزانة بان هذه الرواية نفت الشاهد ونفت ضرورتها، لأن البيت سيق مجموع الابيات بسبب كلمة (مائتين) فاذا روي البيت بلفظة (ستين) بطلت الرواية وانتفى سياق الابيات، وان اجماع الرواة ورد في المصادر على انها للربيع بن ضبيع الفزاري. ثم تعرض البغدادي لقول شارح اللباب بان رواية البيت هي : اذا عاش الفتى خمسين عاماً. فأسقط صاحب الخزانة هذه الرواية وعدها واهية ، لأن ابن الخمسين لايبلغ من الضعف هذه الحالة التي صورها البيت والابيات التي قبله.

١٠ — في أمالي المرتضى والاصابة والاقتضاب واللسان (فتا) وبلوغ الأرب وردت بهذه الرواية: (فقد ذهب اللذاذة والفتاء) لكن الاقتضاب نص على (المسرة) ايضاً والنوادر ٢١٤ (المروءة) بدل (المسرة) وفي هامش الأصل (اودى) بدل (ذهب) . ورويت في الإقتضاب ٣٦٩ ايضا:

فقد ذهب التخيل والفتاء

وقال :

١ — لقد عزفت نفسي عن اللهو جملة	وان نهلت من لهوها ثم علـت(١)
٢ — رأيت قروناً، بعد قرن، تقدمت	فلم يبق الا ذكرها حين ولت
٣ — الا أين ذو القرنين اين جموعه	لقد كثرت اسبابه ثم قلت(٢)
٤ — خرفت وأفنتني السنون التي خلت	فقد سئمت نفسي الحياة وملت (٣)
٥ — تجاوزت في يوم الهباة هنيدة	وألفيت عوداً حين فاضى حلت (٤)
٦ — فكم مشهد اوردت نفسي وطيسة	أجشمها مكروهة حين كلت (٥)

٧ ـ وكم غرة ماجت بأمواج غمرةٍ   تجرعتها بالصبر حتى تجلت (٦)
٨ ـ وكانت على الأيام نفسي عزيزة   فلما رأت عزمي على الأمر ذلت
٩ ـ هي النفس مامنيتها طال شوقها   والا فنفس اويست فتسلت (٧)

مصادر التخريج

كتاب التيجان ص ١١٨ .

الشروح

١ ـ عزفت : اعرضت. نهلت: شربت الشربة الأولى. علت: الشربة الثانية ثم الشرب مستمرا.

٢ ـ ذور القرنين: الاسكندر. اسبابه: وسائله نحو المجد.

٣ ـ خلت: مضت .

٤ ـ الهباة : الهباءة. يوم من ايام داحس والغبراء بين عبس وذبيان قتل فيه حذيفة بن بدر واخوه حمل،وهما سيدا بني فزارة،قتلهم قيس بن زهير العبسي عندما استغاثا بماء يقال له جفر الهباءة . هنيدة : المائة من الابل ، واراد هنا أنه بلغ مائة عام. عوداً . مسناً.

٥ ـ وطيسه: اشتداده. وحمي الوطيس: اي اشتدت الحرب. اجشمها: التجشم ، تكلف الصعاب والمشقة. مكروهة : اي مااشتد من الأمور والمشاهد . كلت : تعبت.

٦ ـ غمرة: مايغمرك من الماء او الشدائد. تجرعتها: تقبلتها على مرارتها تجلت : انكشفت.

٧ ـ أويست: ادركها اليأس.

وقال :

١ ـ على حرج ياعبس أضحى أخوكم   وبتّ على أمرٍ بغير جناحٍ (١)
٢ ـ حذار حروب الأقربين وإنّه   ليأتي افتلاتاً وجه كل صباحٍ
٣ ـ أخاك اخاك إنّ مَنْ لا أخاً له   كساعٍ الى الهيجا بغير سلاحٍ
٤ ـ وانّ ابن عم المرء فاعلم جناحه   وهل ينهض البازي بغير جناح
٥ ـ لنا غطة في الذاهبين وعبرة   تفيد ذوي الألباب أمر صلاحٍ
٦ ـ الم تعلموا داحاول الصعب مدّه   وما صبّح الساعي وآل رزاح (٢)
٧ ـ فهل بعد ذي القرنين ملكٌ مخلّد   وهل بعد ذي الملكين يوم فلاح (٣)
٨ ـ تريش له الأطيار عند غدوّه   وتجنح إن اومى لها برواح

التخريج

التيجان ص ١١٨

الشروح

١ — الحرج : الضيق من الامور

٢ — الصعب : لقب المنذر بن ماء السماء ، وعرف بذلك ايضاً احد ملوك اليمن القدماء .

٣ — أراد بذي الملكين : النبي سليمان

— ٤ —

وقال الربيع في الحكمة ، مخاطباً الحصين بن ضمضم المري :

١ — دار الصديق اذا استشاط تغيّظاً والغيظ يخرج كامن الأحقاد
٢ — ولربما كان التعصب باحثاً لمثالب الآباء والأجداد

التخريج

التيجان ص ١١٨

— ٥ —

وقال ايضاً :

الا ايها الباغي الذي طال طيلُهُ وتبلاله في الأرض حتى تعوّدا (١)

التخريج

اللسان مادة (بلل) .

الشروح

١ — طيله : عمره . تبلاله : مكثه . تعوّدا : صار عوداً ، أي مسنّاً.

وقال (١)

١ — أقفر من أهله الجريب الى الز جين الا الظباء والبقرا
٢ — قل للذي راح عن اخيه وقد أودعه حين ودع الحجرا
٣ — هل أبصرت عينه له أثرا او سمعت أذنه له خبرا
٤ — أين همام الجديل اذ أمرا وأين رب السدير اذ قدرا (٢)

٥ ـ أين بنو هود النبي ومن شمر عن راحتيه وابتكرا
٦ ـ والصعب لما عتت أرومته وخان ريب الزمان فادكرا (٣)
٧ ـ لم يدفع الموت بالجنود ولا رد بأسباب علمه القدرا
٨ ـ فاز علي الدهر ينحني فرهى فوق جناحي ومفرقي شررا
٩ ـ لا تعجبني ياأميم من صفتي فقبل ماكنت أخ[illegible]را (٤)
(١٠) ـ اصبو بهند وزينب أسمـا ونسوة كن قبلها هورا (٥)
١١ ـ لما رماني الزمان عن عرض وقامرتني خطوبه قمرا
١٢ ـ أصبح مني الشباب قد حسرا ان ينأ عني فقد ثوى عصرا (٧)
١٣ ـ ودعنا قبل أن نودعه لما قضى من جماعنا الوطرا
١٤ ـ اصبحت لاأحمل السلاح ولا املك رأس البعير إن [illegible]فرا
١٥ ـ والذئب اخشاه ان مررت به وحدي وأخشى الرياح [illegible]طرا
١٦ ـ من بعد ماقوة أسر بها أصبحت شيخاً أعالج الك[illegible]
١٧ ـ ها أنذا آمل الخلود وقد أدرك عقلي ومولدي حجرا (٨)
١٨ ـ أبا امرىء القيس هل سمعت به هيهات هيهات طال ذا عمرا

التخريج :

الأبيات ـ عدا الأول ـ في التيجان وسبعة ابيات في «المعمرون والوصايا» وهي (١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨) وثلاثة ابيات في حماسة البحتري ص ٣٢٢ في أمالي القالي ١٨٥/٢ والخزانة ٣٠٩/٣ (الأول والعاشر والثاني عشر) وبيتان في الزاهر ٤٩٥/١، ٢٧٩/٢ (الأخيران) واماالي المرتضى ص ٢٥٥ وبلوغ الأرب ٢٦٨/٣ واللسان (مادة ضمن) البيتان «الرابع عشر والخامس عشر» والسمط ١٨٧/٢ واللسان مادة (د ر ر) «الأول والعاشر. وترد الأبيات بترتيب مختلف في مصادرها، وقد ثبتت رواية التيجان لأنها جمعت كل الروايات.

الاختلاف والشروح :

١ ـ السمط، واللسان (مادة درر) (مية) بدلا من (اهله). والجوب والوجن : [illegible]
٢ ـ الهمام: الملك. والجديل محبس للإبل كبير كان للنعمان بن المنذر. والسدير قصر معروف للمناذرة.
٣ ـ الصعب: هو ذو القرنين ، قال طرفة بن العبد.

اذا الصعب ذو القرنين ازجى لـــــواءه الى مـلـــك ساسانلــــقامت نوادبه

وهو الصعب بن الحارث الرائش الحميري.

لكن قسماً من المفسرين والرواة يؤكدون انه الأسكندر المقدوني ، والرومي كما يسمونه (ينظر فاروق خورشيد «في الرواية العربية ــ عصر التجميع» طبع دار العودة بيروت ، طبعة ثالثة ١٩٧٩

الأرومة: الأصل الثابت. وعتت: قويت وتجبرت.

٤ ــ (ما) هنا زائدة .

٥ ــ اللسان مادة (درر): كأنها درة منعمة.

٦ ــ قامرتني: لاعبتني فغلبتني.

٧ ــ في حماسة البحتري واماي الغالي والخزانة (مبتكرا) بدلا من «حسرا» .

٨ ــ أمالي الغالي (عمري) بدلا من عقلي وترد في الروايات (سني) ايضاً . وأورد محقق الأمالي في هامشه اختلاف النسخ بين (سني) و(عقلي) فتكون نسخ الأمالي اوردت ثلاث روايات.

حماسة البحتري: (ارتجي) بدلا من (آمل) .

ــ ٧ ــ

وقال لما مضى بامرىء القيس الى السموأل الشاعر ليوصله بملوك الغساسنة:

١ ــ ولقد رأيت بني المضاض مفاخراً   والى السموأل زرتـــه بـــالأبــلــق(١)

٢ ــ فأتيت أفـــضـــل من تحمل حاجة   ان جئته في غـــارم او مـــرهـــق (٢)

٣ ــ عرفت لـــه الأقوام كل فضيلـــة   وحوى المكارم سابقاً لم يــــــــــسبــــق

التخريج

الاغاني لأبي الفرج ١١٨/٢٢

الشروح

١ ــ بنو المضاض من ملوك اليمن، ورويت اللفظة بالضاد والصواب ماأثبتناه وهو يوافق نسخ الاغاني والمختار. الأبلق حصن معروف كان فيه السموأل بن عادياء السموأل شاعر في ديوانه يفخر به.

٢ ــ غارم: مايترتب على المرء من غرامة لقاء ماأحدثته يده كالدية مثلا. ومرهق: اي أمر يرهق صاحبه من فاقة او حاجة او سواهما.

وقال في يوم الهباءة وقد اثخنته الجراح

١ — رأيت مو تين علينـا نـزلا   موتي وموت الغرّ من قومي الملا (١)
٢ — بذلت روحاً دونهم معجلا   كيما الاقي الموت منهم منهلا (٢)

التخريج

التيجان ص ١١٨

(١) اطلق الشاعر هنا على قومه لفظة «الملأ» ولم يشتهر عن فزارة انها عرفت بهذا الاسم . وانما كان العرب يطلقون على قريش اسم (الملأ) اللسان مادة ملأ (والمفصل ٤/٥)

٢ — لفظة الروح تبدو غريبة هنا ، اذ لم ترد في الشعر الجاهلي وانما يقولون « النفس » لكن الربيع قال هذين البيتين في يوم « جفر الهباءة » قبل الاسلام . (ينظر في الروح والنفس والنسمة والنسم والدم كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ١٣٦/٦ الفصل الخامس والستون في الروح والنفس والقول بالدهر .

وقال أيضاً :

١ — طال الثواء عن السنين أميما   القى عذاباً للسنين أليما
٢ — أنسيت أم لم أنس أم عاهدته   فوجدته بعد السفاه حليما
٣ — لابد أن ألقى المنون ، وان نأت   عني الخطوب ، وصرفه المحتوما
٤ — هلا ذكرت لنا الصرنجج حميراً   ملك الملوك على القبائل مقيما
٥ — والصعب ذو القرنين عُمّر ملكه   الفين أمسى بعد ذاك رميما
٦ — ونبتت به اسبابه حتى رأى   وجه الزمان بما يسوء نسيما
٧ — أمن الأمور أخو الدهور فهل رأى   ذا مرةٍ من قبله معصوما (١)
٨ — طال الزمان وطال عني غيبه   مازال من قبلي الزمان قديما
٩ — ألوي بشمر والقمقع بعده   وأباد سعداً بعده وتميما (٢)
١٠ — لما حشون حشاً على لطيفة   واستحسن القيصوم والتنوما (٣)

م/٤/م٣٠٠

التخريج

التيجان ١١٨

الشروح

(١) ذو مرّة : ذو قوة وشدة .

٢ — شمرّ والمقعقع وسعد وتميم : اجداد القبائل .

٣ — القيصوم والتنوم : نبات .

وقال — ١٠ —

١ — الا يالقومي قد تبدد أخواني ندامای في شرب الخمور واخداني (١)
٢ — وأنسى قليلا ثم آتي سبيلهم فتبلى عظامي يال سعد وذبيان
٣ — وأبلى ويبقى منطقي بعد ميتتي وكل امرىء الا أحاديثه فاني
٤ — سيدركني ما أدرك المرء تبعاً ويغتالني ما اغتال أنسر لقمان (٢)
٥ — أجار مجير النمل من عز ملكه وأنزل سيف البأس من رأس غمدان (٣)
٦ — وألوي بذي القرنين بعد بلوغه مطالع قرن الشمس بالانس والجان
٧ — اذا بين يومين، فأمسي الذي مضى وصرف غد لابد بالحتم يلقاني
٨ — ألم تر أن الدهر ياقوم طالبي وان لم أكن يوماً لأرتاره جاني
٩ — سيأخذ ما أعطي وان كان محسنا وما كان من شرخ الشبيبة أولاني

التخريج

التيجان ص ١١٨

الشروح

١ — اخدان جمع خدن، وهو الصاحب .

٢ — تبع : احد ملوك حمير، وأنسر لقمان ثلاثة قصتهم معروفة في التراث العربي قبل الاسلام، عاش لقمان عمر نسوره، وكان آخرها اطولها عمراً.

٣ — مجير النمل : النبي سليمان، وغمدان قصر تاريخي عربي.

وقال :

١ — ياحمل هل تعلم مالا أعلمه ... سديت غزلا لاتطيق تلحمه (١)
٢ — والظالم للظالم حتماً يلجمه ... الا ترى قيساً تأطت اسهمه (٢)
٣ — يقتل ذا الظلم ... ومن لايظلمه

التخريج

التيجان ص ١١٨

الشروح

١ — حمل: هو حمل بن بدر الفزاري كان احد اسباب حرب داحس والغبراء مع اخيه حذيفة.

سديت غزلا: اي مددت. تلحمه : تنسجه . بمعنى اشعلت حرباً لاتطيق عليها .

٢ — قيس : هو قيس بن زهير العبسي قاد قومه في حرب داحس. تأطت اسهمه : صوتت وهي منطلقة. يريد ان الحرب استعرت وجدت .

مصادر التحقيق والدراسة :

١ - أدب الكاتب - ابن قتيبة ت : محي الدين عبد الحميد . مط : مصر السعادة ١٩٦٣

٢ - الأعلام - الزركلي - طبعة ثالثة .

٣ - الأغاني - ابو الفرج الاصبهاني طبع دار الكتب والهيئة المصرية للكتاب .

٤ - الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ

٥ - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي بيروت ١٩٠١م

٦ - أمالي المرتضى - علي بن الحسين تح : ابوالفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٥٤

٧ - بلوغ الأرب تح : الشيخ محمد بهجة الأثري - طبع الرحمانية مصر ١٩٢٥

٨ - التيجان - منسوب لابن هشام طبع حيدر اباد ١٣٤٧ (رواية وهب بن منبه).

٩ - الحماسة للوليد بن عبيد البحتري - طبعه وعلق على حواشيه كمال مصطفى بيروت ١٩٢٩

١٠ - خزانة الأدب - البغدادي - بولاق ١٢٩٩

١١ - سمط اللآلىء لأبي عبيد البكري تح: عبدالعزيز الميمني طبع لجنة التأليف مصر ١٩٣٦

١٢ - الزاهر لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري تح: الدكتور حاتم الضامن وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٧٩.

١٣ - الشعر في حرب داحس والغبراء - عادل البياتي مط الآداب بالنجف ١٩٧٢

١٤ - الصحاح - الجوهري اسماعيل بن حماد تح : احمد عبدالغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦

١٥ - الكتاب لسيبويه - طبع بولاق ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ

١٦ - لسان العرب ، ابن منظور محمد بن مكرم. طبع بيروت .

١٧ - المعمرون والوصايا ابو حاتم السجستاني تح : عبد المنعم عامر طبع البابي، مصر ١٩٦١

١٨ - المفصل من تاريخ العرب . قبل الاسلام للدكتور جواد علي، المجلد السادس طبع بيروت ١٩٧٠ م .

١٩ - النوادر لأبي زيد - طبع المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٤ م

منهج البلاغيين في بحثهم لمصطلح الكناية

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

الدكتور عبد الرحمن شهاب احمد

قلتُ في بحث كتبتهُ حول الاستعارة وقيمتها الفنية ..... إنّ كثيراً من القيم البلاغية التي أخضعها التقرير الاصطلاحي للتسمية كانت في حقيقتها مفاهيم وصفية تدخل في جذور الحس المباشر باعتبارها ملاذا يلجأ اليه الانسان للتعبير عن خلجات نفسه ، ولست هنا في معرض التكرار لما قدرته في بحثي السابق غير إني اردت أن أخلص إلى أن المبادرة التلقائية للرؤيا الحسية تتشكل من خلال عقد المقارنات التي تغلّف ظواهر الأشياء لذلك فالمرحلة الأولى لعقد المتشابهات تكون وصفية على الاغلب ، فمصطلح الفصاحة على وجه التمثيل كان يعني الابانة والظهور في المفهوم العام ثم أخذت طريقها إلى التخصص في كونها وصفاً للكلام والمتكلم وتعني ضمناً وصفاً للشعر والشاعر وظل مفهومهما هذا دائراً في الدراسات البلاغية والنقدية حتى استطاع ابو هلال العسكري أن يبلورها في حد اصطلاحي ميّز بموجبه الفصاحة باعتبارها تختص بقيم الألفاظ دون المعاني ،وعلى هذا الأعتبار نستطيع ان نقرر أن الكنايه من تلك المصطلحات البلاغية التي ارتبطت بمفهوم وصفي عام حددَ المفهوم الاصطلاحي فيما بعد ، فالكناية كانت تعني الستر والاخفاء

ولعلّ الدافع الاساسي باديء ذي بدء كان يرمي إلى عدم التصريح بما يستهجن ذكره ولايستحب أظهاره . وقد دارت الكناية في مفهومها الوصفي في مواضع كثيرة من كتب الجاحظ ورسائله (١) وقد أشار إلى الكناية ابن المعتز وحلل عدة شواهد أدبية دون أن يخرج في معالجته لهذا المصطلح عن ذات المفهوم الوصفي الذي اشرنا اليه (٢).

ويبدو لي أن الكناية كانت في أصلها ضرباً من الامثال ، فمن الأمثال قولهم (تسمع بالمعيدي خير" من ان تراه) يضرب مثلاً للذي رؤيته دون السماع به . وفي كل ماجرى هذا المجرى وكذلك قولهم «على أهلها جنت" براقش » يضرب مثلاً للرجل الذي يهلك قومه بسببه» (٣)

وليس من شك في أن هذه الأمثال واضرابها من قبيل المفهوم الوصفي الذي يعني الاخفاء والتغطية وعدم التصريح بصورة مباشرة .

ولم يخرج ابن سنان الخفاجي عن هذا المفهوم الوصفي للكناية وقد حلل عدداً من الامثلة والشواهد وأجراها في هذا السياق منها قول المتنبي (٤)

تدعي ما ادعيت من ألم الشو ق إليها والشوقُ حيث النحولُ .

وقد حددت دراسات البلاغيين المفهوم الاصطلاحي للكناية بأنه اراده المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به إليه ويجعله دليلاً عليه ، مثال ذلك قولهم (هو طويل النجاد) يريدون طول القامة (٥) وقد دار البلاغيون المتأخرون هذا المفهوم في تحديد مصطلح الكناية حول اللزوم الذهني ... وقد لاحظ الدكتور لطفي عبدالبديع ان البلاغيين عدوا اللزوم أصلاً في الكناية كما عدوه أصلاً في المجاز .... وهذا حق" لانهم قالوا في الكناية « إنها لفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادته » وفرق السكاكي وغيره بأن الانتقال فيها — أي في الكناية — من اللازم إلى الملزوم كالانتقال من طول النجاد الذي هو لازم لطول القامة ، كالانتقال من الغيث الذي هو ملزوم النبت ، ومن الأسد الذي

---

(١) راجع الجاحظ : البيان والتبيين ج١ ص ٨٨ — ١١٧ — ١٤٩ — ٢٦٣ — ٣٠٧ ج٢ ص٧
الحيوان ج ١ ص ٣٣٤ ، ج ٢ ص ٢٨٧ ، ج ٣ ص ٣٤ ، ج ٥ ص ٢٩٥
راجع رسائل الجاحظ — رسالة النساء ج ١ ص ٣٠٧ ، ج٣ ص ١٤٠

(٢) البديع لابن المعتز ص ٦٤ منشورات دار الحكمة — حلبوني — دمشق

(٣) العمدة ج ١ ص ٢٨٥ ابن رشيق القيرواني .

(٤) راجع ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة ص ١٥٦ — ١٥٨

(٥) عبد القاهر — دلائل الاعجاز ص ٥٧ .

هو ملزوم الشجاع إلى الشجاعة (١) « وقد عولت البلاغة على اللزوم في اكثر أبوابها وأدارت مسائلها بين طرفيه من لازم وملزوم ومع ماقالوه من أن اللازم والملزوم يقصد بهما التابع والمتبوع فأن أشباحهما وأشباح ماوراء ها من المقامات والقرائن لم تزل تختال التراكيب اللغوية والصور البيانية باللوازم المتناهية واللامتناهية » .

ومعلوم أنّ البلاغة العربية في بحثها عن اللزوم وطرفيه تابعت التفكير المنطقي في الأنتقال الذهني المطرد الذي لايكف عن البحث وراء اللوازم بحيث يتشبث بها ريثما يستشرف إلى ماوراءها على مايقتضيه اللزوم العقلي وتستوجبه حركة الذهن » (٢)

ولا جرم أنّ البلاغيين لم يولوا الكناية من الأهتمام والشرح والدرس والتفصيل مثلما أولوا التشبيه والاستعارة .... ولكنهم درسوها ووقفوا على كثير من الشواهد والنصوص في ميدانها وذهبوا يجهدون أنفسهم في البحث عن مسائلَ يفترضون أنها أصول لمفهومها دون أن يدور في خلدهم أن الكناية إنبجاسٌ نفسي وتلقائي ينجم عن التركيب الفني برمته ويصدق ذلك على التشبيه والاستعارة .

ومن هنا فان تجزئة النص الأدبي إلى جملٍ أو عبارات والنظر إليها بمفردها وفي معزلٍ عن السياق يؤدي إلى الاخلال بقيمتها الفنية فضلاً عن الأضطراب في تحليل التراكيب الادبية وبيان مؤداها الدلالي وقيمتها الجمالية التي تتجسد في البناء اللغوي للسياق داخل النص الادبي ، كما يتجلى ذلك عند ابن الأثير في تحليله لأبيات (نصر بن سيار) حيث يقول « وقد يأتي في الكلام ما يجوز ان يكون كناية ويجوز أن يكون استعارة وذلك يختلف باختلاف النظر اليه بمفرده والنظر إلى مابعده كقول «نصر بن سيار» في أبياته المشهورة التي يعرض بها بني أمية عند خروج أبي مُسلم :

أرى خلل الرماد وميض جمرٍ ويوشكُ أن يكون له ضرامُ
فأنّ النارَ بالزندينِ تورى وإنّ الحرب أولها الكلام
أقول من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام
فان هبوا فذلكَ بقاءُ ملكٍ وإن رقدوا فأني لا ألامُ

فالبيت الأول لوروده بمفرده كان كنايةً ، لانه يجوز حمله على جانب الحقيقة وحمله على جانب المجاز ... واذا نظرنا إلى الأبيات في جملتها اختص البيت الأول منها

---

(١) السكاكي — مفتاح العلوم ص ١٩٠ .

(٢) راجع الدكتور لطفي عبد البديع – التركيب اللغوي للادب ص ٣٢ ط ١ – ١٩٧٠ القاهرة .

بالاستعارة دون الكناية ، (١) وكثيراً مايردُ ذلك ويشكل لتجاذبه بين الكناية والاستعارة ومن عجبٍ انّ البلاغيين قد تأثروا إلى حد كبير بالفقهاء والاصوليين فذهبوا يتمحكون اراءهم في الجدل حول تأصيل التعبيرات الكنائية مع أنهم يُدركون تماماً إن باب البلاغة غير باب الفقه ، ولكن العامل الديني يبقى هو المهيمن الفعّال الذي يتحكم في بلورة مناقشاتهم للمصطلحات البلاغية ، فأبن الأثير الذي عدّهُ بعض الباحثين من رواد الاتجاه الادبي في الدراسات البلاغية (٢) والذي أخذ على البلاغيين أنهم ادخلوا الاقيسة المنطقيه في مباحثهم . نراه يوغل في الذي امعنوا فيه من توجيه منطقي وتحديد يخضع إلى تقرير الاصوليين كما يناقش اراء الفقهاء في تحديده لمصطلح الكناية وينتهي إبن الأثير إلى أن الكناية اذا وردت حملها على جانبي الحقيقة والمجاز (٣) . وكأنّ ابن الاثير ومن دار في فلكه قد نسوا اوتناسوا إن أي نمطٍ ادبي عالٍ في فنيته اشعراً كان أم نثراً يتحول إلى ثرثره إذا حملناه على جانب الحقيقة ، ويمضي صاحب المثل السائر في مناقشةٍ مضطربة لمصطلح الكناية يخلط فيها بين اراء علماء الفقه وتعليلات أصحاب المنطق ، فيذكر أن الكناية (حُدّت بحدٍ ، فقيل هيّ اللفظ الدال على الشيء على غير الوقع الحقيقي بوصف جامع بين الكناية والمكّنى عنه ... وهذا الحدُ فاسدٌ ، لأنه يجوز أن يكون حداً للتشبيه، فأن الكناية هي اللفظ الدال على غير الوضع الحقيقي طابع لها هو انها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز والدليل على ذلك ان الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره ... وعلى هذا فلا تخلو إما ان تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة ومجاز او في لفظ تجاذبه جانبا مجاز ومجاز أو في لفظ تجاذبه جانبا حقيقة وحقيقة ... ولايصح أن تكون في لفظ تجاذبه جانبا حقيقة وحقيقة لأن ذلك هو اللفظ المشترك وكذلك لايصح أن تكون الكناية في لفظ تجاذبه جانباً مجاز ومجاز ، لأن المجاز لابدّ له من حقيقةٍ نقل عنها لانه فرع عليها .. فتحقق حينئذٍ أن الكناية ان تتكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز وهذا الكلام في حقيقته الدليل على حقيقة أمر الكناية لم يكن لأحدٍ فيه قولٌ سابق (٤)

---

(١) راجع ابن الاثير — المثل السائر — القسم الثالث ص ٥٥ — ٥٦ وراجع رجاء عيد في البلاغة العربية ص .

(٢) راجع احمد مطلوب البلاغة عند السكاكي ص ١٠٩ القزويني وشرح التلخيص ص ٢٣٢؛

(٣) راجع المثل السائر ص ٥١ القسم الثالث.

(٤) المثل السائر — القسم الثالث ص ٥١

ثم يخلص من هذا الخلط والاضطراب – الذي يعتد بأن احداً لم يسبقه اليه – إلى أن (الكناية هي جزءٌ من الأستعارة فكما أن الأستعارة لاتكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار اليه كذلك الكناية فأنها لاتكون إلا بحيث يطوى المكني عنه وشبهها إلى الأستعارة شبه خاص إلى عام فيقال كل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية) (١)

أما معالجة الرازي للصورة الكنائية فانها أفقدت هذا المصطلح ثراءه الفني الذي كان من الممكن أن يغني النصوص الأدبية بدلالات رامزة ولكنّ الرازي ذهب يسرف في الجدل المنطقي الذي سلب الكناية أنسيابيتها وثراءها الحقيقي فشغل نفسه مثلاً في كون الكناية من المجاز أملا ، حيث قال : (إعلمْ إنّ اللفظة إذا أُطلقت وكان الغرض الأصلي غير معناها فلا يخلو إما أن يكون معناها مقصوداً أيضاً ليكون دالاً على الغرض الاصلي وإما أن لايكون كذلك فالاول هو الكناية والثاني هو المجاز) (٢)

ويأتي العلوي مبرزاً في المناظرات الجدلية بما أوتي من ثقافة في الفلسفة والعلوم الشرعية . فيعترض على الرازي بحجة ان تحديده لمصطلح الكناية يبطل بالاستعارة حيث أنّ الأستعارة تدل (على معنى مقصود مع ملاحظة معناها الأصلي فيلزم على ماقاله دخولها في الكناية ويبطل أيضاً بالحقيقة مع مجازها فأنه مامن مجاز يدل على معنى إلا وهو دالٌ على حقيقةٍ وفي هذا دخول انواع المجاز في الكناية وهذا باطل) (٣)

ثم يعترض العلوي على ابن الأثير ويبطل رأيه الآنف الذكر في بلورة مفهوم الكناية ويسوق وجوهاً ثلاثة ترفض هذا المفهوم أولها : (إنّ ظاهر علامه (معنى) يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز يدل على ان المحمول معنى واحد على جهة الحقيقة والمجاز وهذ خطأ فأنّ المعنى الواحد لايجوز ان يكون حقيقة ومجاز لاجتماع النفي والاثبات فيه لأنه يصير حقيقة ليس حقيقة وهو باطل بل الحق في الكناية انها معنيان احدهما حقيقة والآخر مجاز ، والثاني (فأنّ ماذكره يبطل بالاستعارة في مثل قولنا فلانٌ أسدٌ وبحر فان قولنا اسدٌ كما يدل بحقيقته على السبع فهو دالٌ بمجازه على الشجاعة فيجب دخوله في حد الكناية) .

---

(١) راجع ابن الاثير ، المثل السائر ص ٧٧ ق٢ ، ق٣ .ص ٥٥.

(٢) نهاية الايجاز ص ١٠٢ .

(٣) العلوي ، الطراز. جـ١ ص ٣٧١.

والثالث (فان قوله بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز يدخل فيه التشبيه فإنه لابدّ من اعتبار أمرٍ جامع بخلاف الكناية فأنها لاتفتقر إلى ذكر الجامع. فاعتبار قيد الوصف الجامع يدخلهما في التشبيه ويخرجهما عن حقيقتها) (١) .

وهكذا يبذل البلاغيون جهداً عقلياً لايستهانُ به في تحديد مفهوم الكناية على اساس منطقي ، الامر الذي يجعل العقلانية مقياساً مهماً في تحليل النصوص الشعرية ويرى كثيرون أنّ الشعر (تعبير عن العاطفة والوجدان) وإن التفنن العقلي انحراف بالشعر عن وضعه الطبيعي وعن وظيفته أو مهمته الاصلية وإنّ الفن كله والشعر منه لم يخلق ليكون مجالاً لهذا النوع من الجهد العقلي الذي يكون على حساب التعبير العاطفي والذي من شأنه ان يطمس هذا التعبير ويخرج الفن إلى نوع من الصناعة العقلية . (٢) والذي يبدو أن معالجة البلاغيين لمصطلح الكناية على هذا الوجه قد كانت تروج فيها الدلالات التي تنطوي وَراء (جبان الكلب) و(مهزول الفصيل)و (طويل النجاد) ولكنّ هذه المدلولات ظل البلاغيون يتوارثونها ويقيمون حولها جدلاً منطقياً كالانتقال من اللازم إلى الملزوم والعلاقة بين الكناية والاستعارة ونحو ذلك من صنوف الجدل الذي افقد الصورة الكنائية سلاستها ورواءها لأنه كثيراً مايدور بمعزل عن التحليل الفني لأدب الاجيال المتعاقبة وكأني بالبلاغيين في جدلهم حول الكناية وغيرها من الصور والمصطلحات البلاغية لم يفطنوا إلى أن اللغة تتغير طبقاً للنمو الحضاري والتطور الثقافي والاجتماعي فقول الشاعر (جبان الكلب مهزول الفصيل)ليس له ذات الوقع النفسي والفكري في القرون التي تلت عصر الشاعر وبيئته الأدبية وأي أثر فني يمكن ان نستشفه في عصرنا هذا من قول (زياد الاعجم) :

إنّ السماحةَ والمروءةَ والندى ... في قبةٍ ضربت على ابن الحشرج

لقد حوّل السكاكي الكناية إلى قياسٍ من المنطق وشُعبةٍ منَ الاستدلال (٣) ولعل قدامه كان على صوابٍ حين عدّ الكناية ضرباً من أئتلاف اللفظ والمعنى(٤) إلا أنه سماه ذلك ارداقاً ولم يقصده على التعبيرات الكنائية بل ادخلَ ضمنه ماهو من صُور الاستعارة

(١) العلوي : الطراز ج١ ص ٣٧٢ وراجع ابن الاثير في ق٣ ص ٥٢ .

(٢) راجع عبد العزيز الاهواني ابن سناء الملك — مشكلة العقم والابتكار في الشعر ص ٤٧ — ٤٨ دار الجيل للطباعة — القاهرة ١٩٦٢.

(٣) راجع مفتاح العلوم ص ١٧٥.

(٤) نقد الشعر ص ١٧٨ .

وما هو من صور التشبيه ، ويتابعه ابو هلال العسكري إلا أنه قد خاط بين التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية والكناية . فضلاً عن توسيع الارداف إلى كناية ومماثلة وإرداف فنحن نجد الرغبة في التقنين قد قيدت كل تحليل فيه ثراء فن فالعسكري توهمه الشكلية المحضة عندما يقول (وقد أدخل بعض من صنّف في هذا النوع أمثلة باب الأرداف في باب المماثلة وأمثلة باب المماثلة في باب الارداف فأفسد البابين جميعاً فلخصتُ ذلك وميزته وجعلتُ كلاً في موضعه في دقة واشكال) (١) ولكن معالجته للشواهد الأدبية التي اوردها في المماثلة والارداف تُناقض زعمه هذا والراجح عندي انّ المنهج الادبي القائم على التحليل يتنافى مع شكلية هذه الحدود التي تُضيق أفقه الخلاّق ... ويُخيل إليّ إنّ السبب في هذا الاضطراب الذي نلحظه عند ابي هلال العسكري وغيره هو أنهم يحاولون أن يفصلوا في تحليلاتهم بين الصورة البيانية وسياقها العام ، فالصورة البيانية سواء كانت تشبيهية أم استعارية أم كنائية لايمكن أن تحتفظ بفنيتها إذا دُرست بمعزل عن البناء اللغوي التي تشكل إحدى لبناته ، وقد إنتبه عبد القاهر بحسه المرهف وذكائه اللمّاح إلى ذلك فذكر في موضع من (دلائل الاعجاز ...) (إنا عندما نتكلم في علم البلاغة فليس لنا مع معاني الكلمة المفردة شغل وإنما قصدنا الى الأحكام التي تحدُثُ بالتركيب والتأليف) (٢) .

واكد هذا المفهوم في كتابه (أسرار البلاغة) عندما قال إنّ (البيت إذا قطع عن القطعة كان كالكاعب تفرد عن الاتراب ، فيظهر فيها ذل الاغتراب والجوهرة الثمينة مع إخواتها في العقد أبهى في العين وأملأ بالزينة منها إذا أفردت عن النظائر ، وبدت فذة للناظر) (٣) .

وإنا لندهش منبهرين عندما نلاحظُ أنّ الفيلسوف جوته يتفق تماماً مع عبد القاهر حيث يُشبه (العمل الفنّي بالبساط الغني بالألوان والأشكال قد يتوهم المرء أنه يمكن الوقوف على سره إذا هو فض نسيجه ولكن هيهات فلن يبلغ من ذلك وسيظل السر محجوباً عنه مادامت تخفى عليه((الرابطة الروحية)) التي تتحد بها الخيوط وقد أحسن الدكتور لطفي عبد البديع حين صوّر هذه الرابطة في الاعمال الفنية والأدبية بأنها ليست إلا المعنى الذي يمسكها ويصلها بالوجود الانساني ، وليس نسيجها إلا تلك الشبكة من الدلالات

(١) كتاب الصناعتين ص ٢٦٣ القاهرة تحقيق محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي

(٢) راجع دلائل الاعجاز. عبد القاهر الجرجاني ص ٦١.

(٣) اسرار البلاغة ص ١٧٩ تحقيق هـ. ريتر.

التي يصوغها المرءُ ليَقتدح بها الحقائق الشعرية . أما السبيل إلى ذلك فتفسير الرموز اللغوية التي تحتضن الدلالات وتزجيها إلى غايتها وهي تأخذ في كل جهةٍ من جهات المعنى) (١). وقد أكدت الدراسات الحديثة (إنّ معنى الشعر يعتمد على السياق فالكلمة لاتحمل معها فقط معناها المعجمي بل هاله من المترادفات والمتجانسات) (٢).

ويمكننا أن نقطع جازمين أنّ فصل الصورة الكنائية عن سياقها العام ضربٌ من العبث ، حيثُ أنّ فنية الصورة الكنائية ترتبط قيمتها بما قبلها وما بعدها من الصور تشبيهية كانت أو أستعارية ويتجلى ذلكَ بوضوحٍ في قول (عمر أبو ريشة) :

وتلاقينا غريبين هنا ... لَمْ تكن أنت ... ولا كنت أنا
بَدّلت منا الليالي . وأنتوى ... عبَثُ الكأسِ وأغراء الجنى
موسم الوردِ أخذنا عطره ... وتركنا فيه غصناً لينا
آن للنعشِ الذي أودعته ... كلّ اشلاءِ الصبا أنْ يُدفنا

تلك هي معاناة الشاعر الخاصة وها هو ذا تصويره البليغ المؤثر لتجربته الحياتية التي تلبست بوجدانه فجعلنا نَعيش حالةً من الذهول تعاطفت فيها احاسيسنا مع الشاعر في مآربِ النفس والشعور التي تتجاوز الوقوف أمام النظر الشكلي ، إلى الجزئيات في هذهِ الأبيات .

ويتضح تآزر العلاقات في البناء اللغوي في قول أبي فراس :

ولا تملك الحسناء قلبي كلّه ... وإن شملتها رقة وشباب
وأجري فلا أعطي الهوى فضل مقودي ... وأهفو ولا يخفى عليّ صواب
بمن يثق الانسانَ فيما ينوبُه ... ومن أينَ للحرُ الكريم صحابُ
وقد صار هذا الناسُ إلا أقلهم ... ذئاباً على أجسادهنّ ثيابُ
أنا الجارُ لا زادي بطيءٌ عليهمو ... ولا دونٌ مالي للحوادثِ بابُ(*)

أرأيت كيف ترابطت هذه الأبيات وأحكم نسجها وتداخلت الدلالات الرامزة فيها لينبثق منها نتاج في متكامل بحيث يصبح الوقوف على كل بيتٍ بمفردهِ أمراً غير مُجد في العمل الادبي. وعلى هذا نستطيع أن نقطع بأنّ الخيط الذي يربط بين الكناية والمجاز

(١) راجع التركيب اللغوي للأدب. لطفي عبد البديع ، ط١ ، ١٩٧٠ القاهرة ص ١٤٤.
(٢) نظرية الأدب — ص ٢٢٥.
(*) ديوانه ص ٢٤.

لا يعدو أن يكون الجذر الوصفي الذي يستلهمه الاديب المبدع في عقد مقارناته الحسية دائماً، ولا يخفى إن التحليل البلاغي والنقدي يقتضي بطبيعته التقرير الاصطلاحي ... ومن ثمّ فأنّ البلاغيين قد أحسوا بهذا الخيط فما استطاعوا إلا أن يؤولوا آرتباط مصطلح بمصطلح فما كان فيه قرينه تمنع من إرادة المعنى الوصفي .... فهو مجاز ... وما خلا من هذه القرينة فهو كناية، على إنّ الذي يجلي الامر في مثل هذه الحالات هو التطبيق وتساوق المعنى في النصوص الأدبية .

المصادر والمراجع

١ — اسرار البلاغة/ عبد القاهر الجرجاني/ تحقيق هـ ـ ريتر ، استانبول ١٩٥٤ .

٢ — البديع/ ابن المعتز/ منشورات دار الحكمة ، دمشق .

٣ — البلاغة عند السكاكي/ احمد مطلوب/ مطبعة دار التضامن ، بغداد، ١٩٦٤ .

٤ — البيان والتبين/ الجاحظ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ١٩٤٨ .

٥ — التركيب اللغوي للأدب/ لطفي عبد البديع/ القاهرة ١٩٧٧ .

٦ — الحيوان/ الجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون/ القاهرة

٧ — دلائل الاعجاز/ تحقيق محمد رشيد رضا، ٦٧، ١٩٦٠م .

٨ — ديوان أبي فراس الحمداني.

٩ — ديوان عمر ابي ريشة .

١٠ — رسائل الجاحظ/ رسالة النساء/ الجاحظ. رسائل الجاحظ ج٣. تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي/ مجلة المورد — المجلد السابع — العدد الرابع — ١٣٩٩هـ — ١٩٧٨م .

١١ — سر الفصاحة/ ابن سنان الخفاجي/ تحقيق علي خودة/ مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٣٢ .

١٢ — الصناعتين/ ابو هلال العسكري تحقيق علي محمد البجاوي — محمد ابو الفضل ابراهيم/ مطبعة عيسى البابي الحلبي/ القاهرة — الطبعة الثانية .

١٣ — الطراز/ يحيى بن حمزة العلوي/ مطبعة المقتطف ١٩١٤ .

١٤ — العمدة/ ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد — بيروت لبنان — ١٩٧٢ .

١٥ — في البلاغة العربية/ د. رجاء عيد/ دار غريب للطباعة/ القاهرة .

١٦ — القزويني وشروح التلخيص/ احمد مطلوب/ بغداد ١٩٦٧ .

١٧ — المثل السائر/ ابن الاثير/ تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانه/ القاهرة مطبعة نهضة مصر ١٩٥٩ .

١٨ — مفتاح العلوم/ السكاكي/ القاهرة ١٩٣٧

١٩ — نهاية الايجاز في دراية الاعجاز/ فخر الدين الرازي/ مطبعة الآداب والمؤيد القاهرة ١٣١٧هـ .

العاصمي البغدادي
الشاعر والمحدث

٣٩٧–٤٨٢ هـ

عبد اللطيف سلمان الدوري
كلية الاداب / جامعة بغداد

حياته :

هو ابو الحسين (١) عاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم بن مهران العاصمي البغدادي ، وهذه النسبة هي إلى عاصم وهو اسم بعض اجداده (٢). من اهل كرخ بغداد يسكن بباب الشعير (٣) من ملاح البغداديين وظرفائهم ، كان ظريفاً كيساً، ثقة، صدوقاً، عفيفاً، ورعاً ، مكثراً من الحديث (٤)، صاحب ملح ونوادر (٥)، وقد أثنى السمعاني عليه في أنسابه ثناءاً كثيراً يقول (كان من ملاح البغداديين وظرافهم، الجامع لألطافهم، حكماته حلوة عذبة، ومعانيه رائقة سهلة، حلو اللفظ، قريب المأخذ، بعيد التكلف.

(١) في الانساب (ابو الحسن) ص ٣٧٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه وانظر الخريدة ٣/٢٩٠ المنتظم ٩/٥١ حوادث ٤٨٢هـ، البداية والنهاية ١٣٦/١٢. وباب الشعير محلة ببغداد (فوق مدينة المنصور كانت ترفأ اليها سفن الموصل والبصرة (معجم البلدان ١/٣٠٨) .
(٤) الانساب ص ٣٧٨ ، الخريدة ٣/٢٩٠.
(٥) مرآة الجنان ٣/١٣٤ ، شذرات الذهب ٣/٣٦٨.

مطبوع البادرة (١)، مسموع النادرة كان له شعر رقيق مليح في الغزل ووصف الخمر في غاية الحسن ما عرف له صبوة ولا اشتغال قط بمعاناة ذلك (٢) . بلغ من العمر ستاً وثمانين سنة ومرض في آخر عمره وكان ذلك من المرض (٣) ، كانت ولادته سنة ٣٩٧هـ ووفاته في جمادي الآخرة سنة ٤٨٣هـ (٤) ودفن في مقبرة جامع المدينة .

شيوخة :

للعاصمي مكانته العالية وله الصدارة بين شعراء عصره ومحدثيهم ، فهو كما تمكن من الشعر وتفوق فيه فقد تمكن من الحديث الشريف حتى صار ثقة في روايته فقد استقاه من شيوخ ثقاة كانت له مكانتهم المميزة في رواية الحديث مع تمكنهم في اللغة والادب منهم :

١ — ابو الحسين احمد بن محمد بن احمد بن حماد بن الهيثم الواعظ (٥)

٢ — ابو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران السكري (٦)

٣ — ابو الحسين محمد بن عبد العزيز بن جعفر البردعي (٧)

٤ — ابو بكر احمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (٨)

٥ — ابو عمر عبدالواحد بن مهدي الفارسي (٩)

---

(١) البادرة : مايسرع من اللسان عند الحدة من قول او فعل عند الغضب (لسان العرب ٥/١١٢)

(٢) الانساب ص ٣٧٨ وقد نقل العماد في خريدته ٣/٢٩٠ الثناء نفسه عن السمعاني . ثم انظر الكامل ١٠/١٨٠ واللباب ٢/١٠٥ والنجوم الزاهرة ٥/١٢٨ والاعلام ٤/١٢.

(٣) الخريدة ٣/٢٩٠، المنتظم ٩/٥١، شذرات الذهب ٣/٣٦٨، مرآة الجنان ٣/١٣٤

(٤) اما المصادر التالية فقد ذكرت وفاته في حوادث سنة ٤٨٢هـ وهي :
البداية والنهاية ١٢/١٣٦، النجوم الزاهرة ٥/١٢٨، هدية العارفين ١/٤٣٥، الاعلام ٤/١٢ .

(٥) نزيل اصبهان المتوفى في حدود سنة ٤١٥هـ له (الانتصار المنبي عن فضل المتنبي) وله ديوان شعر كبير. انظر هدية العارفين ١/٧٢).

(٦) محدث بغداد المتوفي سنة ٤١٥هـ انظر (دول الاسلام للذهبي ١/١٨١).

(٧) قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١/٦٣٠ (هو محمد بن عبد العزيز يعرف بمكي البردعي يروي عن القاضي الابدي، قال الخطيب: فيه نظر) ولم يذكر سنة وفاته.

(٨) هو الخطيب البغدادي المعروف المتوفى سنة ٤٦٣هـ نشأ ببغداد وتوفي بها، ومن تصانيفه الكثيرة تاريخ بغداد (انظر دول الاسلام ١/١٩٩ ويقول انه توفي عن ٧١ سنة، وانظر معجم الادباء ٤/١٣، معجم المؤلفين ٢/٣. اما السمعاني في الانساب ص ٣٧٨ وابن الاثير في اللباب ٢/١٠٥ فقد عداه من تلاميذ العاصمي فقالا ان الخطيب قدروي عنه وتوفي قبله بعشرين سنة.

(٩) قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/٦٧٦ (هو عبد الواحد بن محمد روي عن ابي اسلم الرعيني ، قال الدار قطني : مجهول) ولم يذكر سنة وفاته.

تلامذته

لقد ذاع صيت العاصمي محدثاً كما ذاع شاعراً وطبقت شهرته الآفاق فانتشرت روايته في البلدان ورحل اليه الطلبة من الأصقاع الاسلامية البعيدة لا يهمهم ما يتجشمونه من مشاق السفر ومخاطر الطريق ماداموا سيصلون إلى المنبع الصافي فينهلون من معينه فقد رحلوا من مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة ودمشق (١) وغيرها من البلدان الاسلامية يطلبون الحديث (٢) من شيخهم العاصمي الذي اجمعت المصادر بقولها عنه انه كان ورعاً ، ديناً ، ثقة، صدوقاً، عفيفاً، فمن كانت هذه صفاته كان حرياً به أن يشد تلامذته الرحال اليه من جميع الانحاء ليأخذوا الحديث الشريف من رجل ثبتٍ صادق متقن له كل الاتقان ، وقد ذكرهم السمعاني في الانساب فقال عنهم (هم جماعة كثيرة) (٣) منهم :

١ ــ ابو عبدالله محمد بن الفضل الفراوي (٤)

٢ ــ ابو بكر وجيه بن طاهر السخامي بنيسابور (٥)

٣ ــ طابو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ (٦)

٤ ــ ابو الفضل محمد بن ناصر بن محمد السلامي (٧)

٥ ــ ابو البركات عمر بن ابراهيم بن حمزة بن الحسين (٨)

٦ ــ ابو محمد هبة الله بن احمد بن طاووس المقري بدمشق (٩)

---

(١) الانساب ص ٣٧٨، الخريدة ٣/٢٩٠.

(٢) الانساب ص ٣٧٨

(٣) المصدر نفسه.

(٤) عالم بالحديث والفقه مولده في نيسابور ووفاته فيها سنة ٥٣٠هـ (الاعلام ٢٢١/٧) .

(٥) مسند خراسان المتوفى سنة ٥٤١هـ وله ٨٦ سنة (انظر دول الاسلام ٤٢/٢)

(٦) كان اماماً في التفسير والحديث والأدب وله المصنفات الحسنة، والمعروف بجورجي (وهو العصفور بلسان اهل اصبهان) توفى سنة ٥٣٥هـ (انظر دول الاسلام) ٤٥/٢ ويقول انه توفي عن ٧٨ سنة) وانظر الوافي بالوفيات ٢٠٨/٩. اما كحاله في معجم المؤلفين فيذكر وفاته سنة ٥٣٨هـ ويقول عنه (مؤرخ من آثاره سير الأسلاف) انظر معجم المؤلفين ٢٨٥/٢.

(٧) حافظ بغداد المتوفى في شعبان ٥٥٠هـ وله ٨٣ سنة (انظر دول الاسلام ٤٨/٢، ومرآة الجنان ٢٩٧/٣) .

(٨) العلوي الكوفي ينتهي نسبة الى علي بن ابي طالب (رضي) عالم مشارك في الفقه والحديث. ولد سنة ٤٤٢ وتوفي سنة ٥٢٤هـ (انظر ميزان الاعتدال ١٨١/٣، معجم المؤلفين ٢٧١/٧)

(٩) محدث دمشق المتوفى فيها سنة ٥٢٤هـ (انظر دول الاسلام ٣٣/٢).

٧ ــ ابو اسحق ابراهيم (١)

٨ ــ ابو سعد احمد بن الحسن الحافظ بمكة والمدينة (٢)

٩ ــ ابو الفضل محمد بن احمد بن مالك الدير عاقولي

١٠ ــ ابو نصر احمد بن عمر بن محمد الغازي

شعره

اجمعت المصادر على ان للعاصمي الاشعار الرائعة وانه كان من ملاح البغداديين وظرفائهم وانه من اهل الفضل والادب وانه كان كيّساً وله شعر حسن في الغزل والخمر من غير ان تكون له صبوة بهما، الا ان شعره قد ضاع حين بلغ من العمر عتيا فغسل ديوان شعره اذ انه قد بلغ السادسة والثمانين وانه في اشد حالات المرض، ومن بلغ هذه السن فقد هرم وفقد وعيه حيث اشتد به المرض واخذت منه الحمى مأخذها ولذلك غسل ديوانه وهو لا يحيى، بما يفعل، ولو بقي ديوانه لكان الآن في مصاف دواوين الشعراء التي تزدان بها مكتباتنا العربية فما بقي من شعره الا القليل المتناثر في بطون المصادر، ونستدل من القليل هذا على ان صاحبه كان حقاً من الشعراء المجودين المتمكنين في صنعته، فالعاصمي كان يأخذ من المحسنات البديعية ليزيّن بها شعره بالقدر الذي لا يؤثر في المعنى فكلماته حلوة عذبة ومعانيه رائقة سهلة، حلو اللفظ لا تجد فيه تكلفاً، قوي في مبناه رقيق في معناه .

---

(١) هكذا ذكره السمعاني في انسابه ص ٣٧٨ ولم يذكر اسم والده، الا اني عثرت على اثنين عاشا في نفس الفترة هما:

(أ) ابو اسحق ابراهيم بن المبارك البغدادي، ذكره الاصبهاني في خريدته ج٤ مج١ ص ٢٢٨ في ترجمته للشاعر احمد بن عمار الحسيني المتوفى سنة ٥٢٧هـ وقال عن ابي اسحق انه كان راوية الشعراء ينوب عنهم في الانشاد، لكنه لم يذكر سنة وفاته.

(ب) ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم النسوي العميدي اللغوي بنيسابور المتوفى سنة ٥١٩هـ (انظر هدية العارفين ٩/١ ومعجم الادباء ١٤/٢) وارجح ان يكون الاول منهما هو المقصود لأنه كان راوية الشعراء وينوب عنهم في الانشاد كما قال عنه الاصبهاني في خريدته.

(٢) هؤلاء الثلاثة (٨، ٩، ١٠) لم اعثر عن حياتهم شيئا.

لقد عاصره الانماطي (١) فاثنى عليه قائلاً (كان نزه النفس عفيفاً) (٢) ثم قال انشد في عاصم لنفسه : —

فـؤادي فيـك متبـول معنـى ً يهيـم بـوجـده سقـمـاً ويضنـى

وهي قصيدة لا تتجاوز الثمانية عشر بيتاً لكنه يُظهر لنا فيها لوعته المريرة وسقمه الشديد فقـد اصابه الضنى واشتـد به الحزن وذابت احشاؤه ونحل جسمه فهو المتبول المعنّـى فعيناه تفيضان دمعاً ممزوجاً بالدم وانه مريض ، فكيف يفيق الكئيب من مرضه بعد ان وقع في حب خليل ملول صلف ليس ضنيناً بوصله فحسب بل هو يتيه ويتباهى بضنه وشحه عليه ولذا فهو يهيم شوقاً اليه اذا وضح النهار ويبكيه جوىً وحزناً اذا جنّ عليه الليل، استمع اليه وهو يسترسل في قصيدته هذه فيقول : —

واجفاني تفيـض دمـاً ودمعـاً وأحشائـي تذوب جـوىً وحزنـا
وكيف يفيـق مـن مـرضٍ كئيبٌ اذا جـن الظـلام عليـه أنّـا
فـوالهفـي عـلى صلـف ملـول يشـح بـوصله تيهـاً وضنّـا
أهيـم اذا تبـدى الصبـح شـوقاً وأبكيـه اذا مـا الليـل جنّـا

ثم ينتقل العاشق الولهان إلى وصف حبيبه فيشبه وجهه بالهلال اذا بدا ، وقدّه بالخيزران في تثنيه :

لـه وجـه الهـلال اذا تبـدى وقـدّ الخيزران اذا تثنـى

اما اذا التفت اليك فيخزرك بلواحظه الواسعة كلواحظ ولد البقرة الوحشية، اما اذا لاح لك من بعيد فيسطع وجهه كالبدر في تمامه، واذا ابتسم إفترّ ثغره كاشفاً عن اسنانه اللؤلؤية ، واذا أقبل عليك تأطر في مشيته وماس بقامته :

يـلاحظ جؤذراً ويلـوح بـدراً ويبسم لؤلؤاً ويميـس غصنـا (٣)

انه كثير الصدود، شديد التجني، بل هو يتقصد في تجنيه ولا يملّ منه، ومما يزيد حبيبه حسناً لديه هما صدوده وتجنيه لأنه يكبر في عينيه بل ويزداد كبراً :

---

(١) هو ابو البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطي محدث بغداد في زمانه المتوفى سنة ٥٣٨ هـ عن ٧٩ سنة. انظر ترجمته في دول الاسلام ٢/٤١، المنتظم ١٠/١٠٨، البداية والنهاية ١٢/٢١٩.

(٢) الخريدة ٣/٢٩٠.

(٣) وفي هذا المعنى يقول الحربي .
لح كوكباً وامشي غصناً والتفت ريما — فان عداك اسمها لم تعدك السيما
والجؤذر : ولد البقرة الوحشية (لسان العرب ٤/١٢٤) .

يصد ولا يمـل مـن التجني وأحسـن مـا يكـون اذا تجنّى

ويبالغ في وصف جمال حبيبه فأذا أطلّ عليه فهو بدر، ولكن اي بدر! انه يفوق بدر السماء بنور وجهه لان بدر السماء يستمد نوره من وجهه، وأما ورود الرياض فتقتبس عطرها والوانها الزاهية من خديه المتوردين :ـ

علينـا منـه بـدر الأفـق يُجـلى ومـن خـديـه ورد الـروض يُجنى (١)

وبعدما أظهر الشاعر جمال حبيبه اراد ان يرد الأقاويل والاتهامات التي أخذت ألسنة الناس تلوكها فيه حتى اتهموه بالجنون، لكنه مع ذلك كان يتسامح معهم ولا يغضب أو يتأثر فهو يعطيهم الحق لأنهم لم يكتووا بنار الحب ولو انهم اكتووا بها كما اكتوى هو لأقرّوا له واعتذروا :ـ

وقـالوا قـد جننـتَ بـه ومثـلي يحـق اذا رآه أن يُـجـنّـا

ثم اخذ يشكو مرارة الفراق ولوعته ويقرع سن الندم ويعض بنانه لأن حبيبه قد نأى عنه وبَعُد مزاره، فيا لشقائه وقد تقرح جفناه من كثرة البكاء :

نـأى يـوم الحمـى فعضضت كفـاً لبعـد مـزاره وقـرعت سنّـا

فكـم اشقـى غـداة البيـن قلبـاً وأقـرحَ بُعدُه بالـدمع جفنـا

سقـاه من سلافـة مـقلتيـه بكـات اللحـاظ وقـد سكـرنا

وأنشد نصف بيت: قيـل قبـلـي (مَن الجاني جعلـت فداك منـا؟)

فماذا يبغي العاصمي من وراء هذا التساؤل ؟ وهو أدرى الناس بالجواب ، فمن الجاني يا ترى ؟ هل هو أم حبيبه؟ انه يعلم حق العلم ان حبيبه هو الجاني ولاشك في ذلك لأن هذا الحبيب كما عرفناه شحيح بوصله ، متعالٍ متكبر متجبر يتجنى عليه بصدوده المتكرر بالأضافة إلى ذلك فقد هجره وصار بعيداً عنه وهو المتيم الذي يبكيه اذا جن عليه الليل لأنه قد غاب عنه ، وما أن يبزغ نور الشمس حتى يسارع ليستصبح بوجهه المنير وبشعاعه الساطع فترتاح نفسه ويهدأ قلبه ، إذاً فالجاني هو حبيبه بلا ريب وها هو يجيب عن السؤال:

فقلت له (وقيـل لـه تمـام أليـس هجـرتنا وصبـرت عنا ؟)

---

(١) وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

أيـن منـك الـغـزال مهمـا تحـلى وهلال السمـاء مهمـا تجـلى

انـت عنـدي احـلى وأغـلى وأجـلى أيهـا الـريـم مـا ذكـرتك إلا

واحتقـرت الأقمـار والآرامـا

ثم يحن إلى ذكريات صباه فيتذكر تلك المعاهد والمغاني التي كان يمرح فيها مع حبيبه في تلك الديار وكيف تمتع بالسويعات الحلوة التي صفا لهما الجو فيها وغاب عنهما الرقيب، ولم يعكر صفوهما صروف الدهر وتقلباته فقد كانت في غفلة منهما :

رعـى الله الـديار بـدوِّ سلـع　　فكـم مـن معهـد فيهـا ومغنى (١)
غنينا فيـه أيـام الـتصـابـي　　وقـد غفلـت صروف الـدهر عنا

وبعد كل ما أظهره العاصمي من حب ولوعة تجلت نفسيته الصافية وقلبه النقي وبان لنا ورعه وتقاه فقد أكمل القصيدة بوصف سفره مع صحبه وقد يمموا شطر المسجد الحرام لأداء مناسك الحج ، الا انه وإن تعرض في تكملته هذه لحبيبه، فهي من ملحه ونوادره التي اشتهر بها، فهو بعد الانتهاء من طواف الأفاضه صدّ عنه حبيبه، وصدوده ليس غريباً عليه فهذا ديدنه معه مذ كان صبياً :

ولمـا سار نحـو الخيَـف صحبي　　وود عنابهـا الـرشـأ الأغنّـا (٢)
وقـد كنـا اعتمـرنـا بالمـصـلى　　وقضّينـا منا سكنـا وعـدنـا
فضـنـا ختـم ادمعنـا بـ (جمـع)　　حـذار فـراقـه لمـا أفـضنـا
وكان يصد في زمـن التصابـي　　فكيف بـه اذا رأى شيخـاً مسنّـا؟

وفي قصيدة أخرى يقول الأنماطي (انشدنا عاصم العاصمي نفسه لنفسه وهو هذا)(٣)

مـاذا عـلى متلونِ الاخـلاق　　لـو زارنـي فأبثه اشـواقـي؟

يبدو لنا العاصمي في قصيدته هذه انه متألم من عبث حبيبه معه وتلوّن اخلاقه وخداعه له فهو حائر مع هذا الناكر الجاحد ، فماذا يفعل؟ وأي طريق يسلك للوصول اليه كي يبوح له بشكواه ؟ ليس لديه ما يروّح به عن نفسه وينفس به عن كربته الا البكاء حتى وان تقرحت آماقه ، فهو لا يبالي ان تذلل له أو تودد أو توسل أو أطلق لدموعه العنان أمامه

---

(١) الدو : الفلاة الواسعة، المستوي من الارض (لسان العرب ٣٠٢/١٨)
والسلع : موضع قرب المدينة المنورة (لسان العرب ٢٥/١٠)
(٢) الخيف : خيف مكة موضع فيها عند (منى) وفيه المسجد المعروف لأنه في سفح جبلها (لسان العرب ٤٥١/١٠) .
والرشأ : ولد الظبية اذا قوي وتحرك، والأغن : ذو الغنة وهو الصوت يخرج من الخيشوم (لسان العرب ١٩١/١٧ مادة غنن)
(٣) الخريدة ٢٩٠/٣ .

فعسى ان يرق قلب حبيبه له فيسمح بالوصال لهذا الصب الملوع المشتاق، وها هو يبوح بالشكوى والعتاب فيقول :ـ

وأبوح بالشكوى اليه تذللاً وأفضّ ختم الدمع من آماقي
فعساه يسمح بالوصال لمدنفٍ ذي لوعة وصبابة مشتاق

فوا لهف نفسه على هذا الحبيب الملول الذي اعرض عنه وقطّع حبائل الوصل أو كاد، انه الغادر المذّاق الذي لا تصفو مشاربه حتى اذا لحظه فكأنما قد سل عليه سيفاً قاطعاً :

لهفي على صلف ملول معرض رث الحبائل غادر مذّاق (١)
سلّت لواحظه عليه صوارماً طُبعت مضاربها من الأحداق

ثم يصفه اذا مالاح وهو يخطر في مشيته مائساً كالغصن ، اما وجهه فبدر لكنه ليس كبدر السماء ، فبدر السماء يصيبه المحاق، مرة في كل شهر أما وجه حبيبه فبدر كامل لا يصيبه المحاق :

وترى اذا مالاح يخطر مائساً غصناً وبدر دُجىً بغير محاق (٢)

لقد بدأ يخاف ويحذر من ساعة الفراق أن تحل فتكون المصيبة لكن حذره لم يغنه شيئاً فلا جدوى من الحذر والحيطة لأن حبيبه لم يبالِ بما أصابه أو سيصيبه من ذلك الفراق وما درى انه بفراقه هذا قد أسر فؤاد العاشق الولهان عنده ولم يرقّ قلب معشوقه عليه وقد صار موثقاً بحبه، مكبلاً بسلاسل هواه فماذا يضيره لو جاد على متيمه ولو بكلمة طيبة :

لما حذرت عليه يوم فراقه لم يغنني حذري ولا إشفاقي
أسَرَ الفؤاد ولم يرق لموثقٍ ماضره لو جاد بالأخلاق (٣)

ويشبّه العاصمي صدغ حبيبه بالعقارب وقد لسعت قلبه فهو لايشعر باللسعة لأن رضاب من يحب هو الدواء بل هو الدرياق الذي يبريه منها :

---

(١) مذق اللبن : مزجه بالماء ومذق الود لم يخلصه ، ورجل مذاق : كذوب وملول (لسان العرب ١٢/٣١١ مادة مذق) .

(٢) يقول الشاعر من قصيدة في مدح الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)
البدر يكمل كل شهر مرة وهلال وجهك كل يوم كامل

(٣) يقول الشاعر في هذا المعنى :
أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي يضركم لو طال عندكم الكل

إن كان قد لسعت عقارب صدغــه ... قلبي فـان رضا بــه دريـاقـي(١)

ثم يتودد اليه ويتوسل لأن حبيبه قد سلّ عليه سيف صدوده يروم قتله ظلماً وعدواناً:

ياقاتـلي ظلمـاً بسيـف صدوده ... حاشاك لاتقتلـني بـلا استحقـاق

وسقيتـني دمعي وما يـروى بــه ... ظمئي ولكـن لاعدمت الساقي(٢)

لقد سقيتني دمعي بدلاً من سلافة ريقك ، ان دمعي لايرويني ولا يطفيء ظمئي لكني اقول : لاشُلت يداك أيهاالساقي ولاعدمتهما فلاتثريب عليك حتى ان كنت قد سقيتني دمعي فأنا لاأدعو عليك بالشر لأن خلقي وعفتي وشيمتي كلها لا تسمح لي بذلك لأن الشر ليس من أخلاقي التي جُبلت عليها :

ولقد خلقتُ من العفــاف وانـه ... مذ كنـت من شيمي ومـن أخلاقي

أما الأبيات الأربعة التالية فيبدو لك العاصمي وانت تسترسل في قراءتها انه مدمن على الخمرة لايفيق من سكر وانه دؤوب مواصل في شربها طوال حياته وقد شجعه على ذلك الأدمان مجاورته لمعصرة العنب التي تنتج الخمرة فهو يستمع كل يوم إلى أنين دولابها وهو يدور في هدأة الليل والمعصرة كائنة وسط ميدان واسع من الكروم والأزهار الزاهية بألوانها الجذابة التي تنثر ثغورها باسمة بالنور المتفتح الذي تفوح رائحته فتعم أرجاء الميدان اضافة الى اصطخاب الآلات الموسيقية واختلاطها مع صوت الناي الشجي .

ولكن لايغرب عن البال ان العاصمي كان كما ذكرنا ورعاً ثقة في الحديث عفيفاً ولم تكن له صبوة في الخمرة إنما كان يحلو له أن ينظم في الوان الشعر ومنها الغزل الرقيق ووصف الخمرة وشربها فقد كان من ملاح البغداديين وظرافهم .

وهذه الأبيات قال عنها الأنماطي(أنشدنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن السلال الوراق(٣) انشدنا عاصم لنفسه :

---

(١) الدورق: مقدار لما يشرب ، يكتال به: فارسي معرب، والدراق والدرياق والدرياقة كله الترياق، معرب ايضاً (انظر مادة درق في لسان العرب ١١/٣٨٤) .

(٢) هذان البيتان الأخيران ذكرهما ابن الجوزي في المنظم ٩-١٥ من ضمن التعميدة ولم يذكرهما غيره .

(٣) محدث مشهور توفي سنة ٤٤٥ (انظر الخريدة ٣/٤/٢٩٤ الحاشية) أما في ميزان الاعتدال ٤/٢٩ قال عنه (هو محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله السلال البغدادي الكرخي الحبار بمهملتين، حدث عن ابن هزار مرد، عمر وتفرد بعوال) ولم يذكر سنة وفاته .

أنّهُ الدولاب في السحرِ واصطخاب الناي والوترِ
والميادين التي ابتسمت عن ثغور النَّور وازهر (١)
تركتني جار معصرة لاأفيق الدهر من سكري
وكذا دأبي أواصله ماأمدّ الله في عمري

ومن ملحه وظرافته انه اجتاز يوماً (بقطيعة اللحم) (٢) بالكرخ فشاهد غلاماً خبازاً مستحسناً فوقف بأزائه ينظر اليه ويتعجب من جماله وقد توردت وجنتاه واحمرتا من اللهيب فقال مرتجلاً هذين البيتين :

فديت خبازاً إذا مابدا يخجل بدر التم من نوره
في كبدي من طول هجرانه مثل الذي في وسط تنوره

ومن ملحه ايضاً انه دخل الحمام يوماً فوجده غاصاً بالمستحمين فشبهه بمجلس قوم وقد اجتمع فيه الفقير والغني والوضيع والشريف والوغد والرئيس فأنشد هذين البيتين اللذين قال عنهما الأنماطي (أنشدني احمد بن علي الحلاوي) (٣) قال انشدنا عاصم لنفسه في الحمام :

ومجلس اقوام اذا ماتقابلوا تشابه فيه وغده ورئيسه
اذا ماأعرت الجو طرفاً تكاثيرت على مابه أقماره وشموسه

ومما يدل على ظرافته المحببة ونوادره المستملحة انك تجده يتغزل بأبيات رقيقة ، وأين ياترى ؟ في مكة بل وفي منى عند رمي الجمرات والناس محرمون وهم يتزاحمون على اداء مناسك الحج وهو في هذه الساعة وفي هذا المكان المقدس يتوقف أمام شاب حلو الصورة جميل المحيا منهمك مع بقية الحجيج في رمي الجمار قد بهره حسنه وأخذ بلبه حتى حرمه نومه فأبت عيناه أن تغمضا فتسمرت قدماه حين رآه يرمي الجمرات فكأنما رمى

---

(١) النؤر والنورة جميعاً : الزهر وقيل النور الأبيض والزهر الأصفر (انظر مادة نؤر في لسان العرب ١٠٢/٧) .

(٢) قطيعة اللحم أو قطيعة النجم : ببغداد في الجانب الغربي ، وابو النجم هو أحد قواد المنصور وهي الآن خراب (انظر معجم البلدان ٣٧٧/٤) وفي حاشية الخريدة ٢٩٥/٣ يقول (ما يقتطعه الخليفة لقواده ومواليه قطائع) .

(٣) الخريدة ٢٩٠/٣ وجاء في هدية العارفين ٨٢/١ أنه احمد بن علي بن بدران المحدث المتوفي سنة ٥٠٧هـ ، وأنظر مرآة الجنان ١٩٣/٣ .

قلبه بجمرة من نار ، ولما تفرق الجمع افتقده فلم يجده فقد غاب عن ناظريه في وسط الزحام فبكاه بكاءً مراً حتى اختلطت دموعه بالدم من شدة شوقه اليه ومن شدة ماتركه في نفسه من لوعة وصبابة ، يقول الأنماطي (انشدني ابوبكر محمد بن عبد الباقي بن محمد) (١) قال : انشدني عاصم لنفسه :

وحرّم غمضي والحجيج على منى ... غزال رأيناه بمكة محرما
رمى وهو يسعى بالجمار وانما ... رمى جمرة القلب المعذب اذ رمى
ولما تفرقنا بمنعرج اللوى ... وانجدتُ لا أرجو لقاءاً وأتهما
بكيت على وادي الأراك ، وماؤه ... معين فصار الماء من عبرتي دما (٢)

ويتحدث العماد في خريدته ان (ابا المعالي الكتبي) (٣) أعاره ببغداد (مجموعاً بخطه فكتب منه من شعر عاصم المحدث في الخمرة . والعاصمي في ابياته هذه يدعو الناس ان يعرجوا على قطر بل (٤) وفيها دير ينزل به القساوسة والشماسون وهو يحثهم على شرب الخمرة في ذلك الدير بين خضرة الأس ووجه الساقي الذي يتدلى عذاره الأخضر ، وها هو يطلب من الساقي ان يسقيه من الشراب بعد أن يدعدع له الكأس ، فدعدعة الكأس تعجبه وتدفعه لشربها على عجل حتى الثمالة ، والساقي لاينفك يزيده بالشراب المدعدع حتى يفقد صوابه فيقع مطروحاً على الأرض بين ندمانه وجلاسه .

عرج على دير ب(قطربل) ... وانزل بقسيس وشماس
واشرب على الآس ووجه الذي ... عذاره في خضرة الآس
وأسقني حتى تراني لقىً ... مابين ندماني وجلاسي
ودعدع الكأس فاني امرؤٌ ... يعجبني دعدعة الكأس

---

(١) هو ابو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الانصاري الكعبي المعروف بقاضي المارستان، عالم بالفرائض والحساب، مولده ووفاته ببغداد سنة ٥٣٥هـ (الاعلام ٧/٥٤)

(٢) جاء في حاشية الخريدة ٣/٢٩٠ تعليقاً على هذا البيت قوله: لقد أحسن القائل وزاد عليه (وأظنه مهيار) :

بكيت على الوادي وحرمت ماءه ... فكيف يلذ الماء أكثره دم

(٣) هو الشيخ ابو المعالي سعد بن علي الوراق الكتبي الحظيري صاحب التصانيف الحسنة المتوفى ببغداد سنة ٥٦٨هـ (انظر الخريدة ج٤ مج١ ص ٢٨ – ١٠٦)

(٤) قطربل: قرية كانت بين بغداد وعكبراء وكانت بها معاصر الخمور (انظر معجم البلدان ٤/٣٧١)

وهذه ملحة أخرى من ملحة اللطيفة ونادرة من نوادره المحببة فقد رأى غلاماً متشيعاً جميل الوجه ذا قامة تميس كالغصن يتمايل في مشيته .

لقد كان ذلك الغلام مواصلاً له ثم صد عنه وليته لم يواصله فقد تعلق قلبه بحبه ووجل لفراقه وفرط هجرانه لأن الحاظه قد سحرت العاشقين فهو حين يرميك بها فكأنها تندب مستغيثة ومستنجدة بالأمام علي كرّم الله وجهه

وشادنٍ دينـه التشيـع بالكـ ..خ يضاهي الغصون بالمَيَـل (١)
واصلني ثم صد عن مـللٍ فليته قبل ذاك لم يصلِ
فكل يوم قلبي لفرقتـه وفرط هجرانه على وجل
تصيح الحاظه اذا فتنت بسحرها العاشقين يال (علي)

ثم ينتقل العاصمي إلى لون آخر من الوانه الشعرية وهو الشكوى فهو يتلهف على قوم بكاظمة ودعهم وقد اعترضه الركب ومقلته ترنو اليه تارة وتغتمض تارة أخرى ودموعه تنهمر على خديه كلما ابتعد ، فدموعه تهطل غزيرة وقلبه محشو بالآلام لفقدهم اذ لاشيء يعوضه عنهم لقد وثق بهم وأقرضهم قلبه لكنهم سلبوه ولم يردوه عليه كما وانهم لم يكفهم بأنه من بعد غيبتهم لم يبق له غرض في العيش بعدهم فان همُ أبرموا أمرهم بالصد عنه فقد نقضوا عهدهم ولم يلتزموا به :

لهفي على قوم بكاظمـة (٢) ودعتهم والركب معترض
لم تترك العبرات مذ بعدوا لي مقلة ترنو وتغتمض
رحلوا فطرفي دمعه هطل جارٍ وقلبي حشوه مرض
وتعوضوا لاذقت فقدهمُ عني ومالي عنهم عوض
اقرضتهم قلبي على ثقةٍ بهمُ فما ردوا الذي اقترضوا
أو ماكفاهم انني رجل في العيش مالي بعدهم غرض
إن ابرموا امراً فأنهمُ بصدودهم للعهد قد نقضوا (٣)

---

(١) الشادن : الظبي المترعرع المستغني عن أمه (لسان العرب ١٧/١٠٠ مادة شدن)
(٢) كاظمة : جر أو خور على رصيف البحر في طريق البحرين بينها وبين البصرة مرحلتان (انظر الخريدة ١/٤٩ الحاشية) وكاظمة الآن — كما اعلم — هي مدينة من مدن الكويت .
(٣) الأبيات الخمسة الأولى من المنتظم ٩/٥١ أما البيتان فهما من الخريدة ٣/٢٩٩

وهذه ثلاثة أبيات يظهر لنا العاصمي فيها شوقه لحبيبه وكيف ذاب وجداً بحبه وقد اعتل جسمه من المرض بعد هجر حبيبه له حتى أصبح مطروحاً في فراشه لايقوى على النهوض وذلك حين سمع حبيبه يتغنى وهو مصطبح في شرابه ويتمنى أن يفديه في صبوحه وفي غبوقه ، لقد برّحه الحب فهو لاينقطع عن الشراب لأن ابنة البكري وهي حبيبته قدأخلفت وعدها معه فهجرته حتى أصبح الوصل بينهما واهياً :

فديت من ذبت شوقاً من محبته ... وصرت من هجره فوق الفراش لقى

سمعته يتغنى وهو مصطبح ... أفديه مصطبحاً ومغتبقاً

وأخلفتك ابنة البكري ماوعدت ... وأصبح الحبل واهياً خلقاً (١)

وها هو يرد على من يراه ويتعجب من بياض شعره قبل أوانه ولما يمتد به الكبر بعد ، فهو يناشدهم ألاّ يتعجبوا من بياض لمته لأن هجر حبيبه هو الذي أدى إلى اشتعال مفرقيه بالشيب فهو يرخي لدموعه العنان بالبكاء كلما مر بدار حبيبه ووجدها خالية فيتراءى له ذلك الموقف المؤلم وقد دنت ساعة الفراق فنهضت الناقة تحمل حبيبه وهي تأخذ طريقها مع بقية النياق فتبتعد عن ناظريه مغادرة ، انه مشهد يثير في نفسه الحزن ويزيده صبابة ولوعة فيبكي في ربوعها حتى تخضل الأرض من دموعه فتنبت الشقائق والأزهار :

أتعجبون من بياض لمتي ... وهجركم قد شيّب المفارقا

فان تولت شرتي فطالما ... عهدتموني مرخياً غرانقا (٢)

لما رأيت داركم خالية ... من بعد ماثوّرتمُ الأيانقا (٣)

بكيت في ربوعها صبابة ... فأنبتت مدامعي شقائقا (٤)

وبعد فأن هذه المقطعات الشعرية هي كل مابقي محفوظاً في بطون المصادر من شعر العاصمي ، وهي على قلتها قد خلدت لنا هذا الشاعر ، فكيف لو أبقى لنا ديوانه ولم يغفله

(١) هذه الأبيات الثلاثة ذكرها ابن الاثير في الكامل ١٨٠/١٠ ولم يذكرها غيره وقد أشار اليها محقق الخريدة في الحاشية ٢٩٩/٣ نقلا عن ابن الاثير ايضاً

(٢) الغرانق : جمع غرنوق وهو الشاب الحسن الشعر الجميل الناعم (انظر لسان العرب ١٦٠/١٢ مادة غرنق)

(٣) الأيانق : جمع ناقة (لسان العرب ٢٤٠/١٢)

(٤) انظر الكامل لابن الاثير ١٨٠/١٠ . والشقائق هي شقائق النعمان نبت واحدتها شقيقة ، سميت بذلك لحمرتها وانما نسبت إلى النعمان بن المنذر لانه نزل ارضاً فحماها فكثر فيها هذا النبت فسميت باسمه (لسان العرب ٤٩/١٣ مادة شقق)

في مرضه؟.لقد فقدت المكتبات العربية ديواناً لشاعر أثنى عليه معاصروه ومن جاء بعدهم من المؤرخين الأدباء ثناءً عاطراً وأجمعوا على أنه من ملاح البغداديين . وظرافهم ، فشعره حسن ومعانيه رائقة وكلماته حلوة عذبة إلى غير ذلك من الثناء الكثير ، لقد مدحوه من خلال هذه المقطعات اليسيرة التي عثروا عليها وجمعوها . فكيف بهم لو عثروا على ديوانه كله ؟ إذاً لازداد اعجابهم ولكثر ثناؤهم ولاحتل العاصمي مكاناً مرموقاً بين شعراء عصره ولاشتهر اسمه وذاع صيته في الآفاق ، فهو كما اشتهر شاعراً اشتهر محدثاً متقناً للحديث الشريف ، فقد اجمعت المصادر على انه كان محدثاً ورعاً ديناً صدوقاً مما حدا بطلبة الحديث ان يشدوا اليه الرحال من البلدان البعيدة والقريبة علاوة على من كان يساكنه في بغداد ، إلا أن مما يؤسف له أن هذه المصادر لم تذكر لنا شيئاً عن آثاره التي خلفها في الحديث لكنها اكتفت بالتنويه فقط بقولها بأنه من أصحاب الحديث وانه الصادق الورع العفيف .

ومن مقطعاته هذه برزت لنا ملحه ونوادره فهو تارة امام خباز شاب قد احمر وجهه من حرارة التنور ولهيبه فيرتجل بيتين يصف حسنه وجماله ، ثم يدخل حماماً فيرى أناساً على أختلاف مشاربهم فيرتجل بيتين يصف فيهما الوغد منهم والرئيس وانهما متشابهان في وضعهما بالحمام ، ومن نكاته الحلوة تغزله بشاب يشبه الغزال ، وأين ؟ في مكة وفي أيام الحج وساعة رمي الجمار في الأيام التي يتجرد الشخص فيه من دنياه ويتجه بكل جوارحه لعبادة ربه وطلب مغفرته لأن الله سبحانه وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا فينظر إلى عباده الذين جاءوا شعثاً غبراً فيباهي بهم الأمم يوم القيامة وانه قد غفر لهم ، ولكن كما قلنا انها نادرة من نوادره ولا نقول غير ذلك فهو التقي الورع ذو الصلاح والعفه ليس في ذلك شك ، أما نوادره وملحه في وصف الخمرة فكثيرة ايضاً فقد وصفها وصفاً دقيقاً يخيل لمن يقرأها لأول وهلة ولم يطلع على حياته وسيرته بأن صاحبها من المجان الخمارين المعاقرين للخمرة بل والمدمنين عليها ، الا أن العاصمي لم له أية صبوة بها ولم يذقها ، ولكنه شاعر متمكن يحب أن ينظم كل الوان الشعر ومنها الخمرة والمعصرة التي يئن دولابها وهي تدور في السحر .

لقد تأثر العاصمي بالمحسنات البديعية بصورة خفيفة أضفت على شعره طلاوة وزادته حلاوة فكانت سهلة الأسلوب ، رقيقة الألفاظ ، واضحة المعاني ولو لم يغسل ديوانه في مرضه ويتلفه لكنا قد عثرنا على شعر جيد لايمكن الاستغناء عنه .

اما المذهب الذي سار عليه العاصمي في شعره فلربما يحسبه القارىء انه شاعر خليع فنقول له . لا . لأن هذا المذهب الخليع في ظاهره لايعني أن أصحابه قد مارسوا اللـذة المادية فهم في غنىً عنها بتقواهم وسلوكهم المعروف لاشتغالهم بعلوم الشريعة ، فالموضوع هو طريقة أدبية شائعة اتبعها كل الشعراء المعاصرين للعاصمي فأرادوا أن يظهروا براعتهم بهذه الفنون فقط ، وقد نظرت في فوات الوفيات للكتبي فوجدت جملة من الشعراء الذين اتصفوا بالفضيلة والورع وصاغوا شعراً بالخمرة والمجون وهم براء منها نذكر منهم على سبيل المثال : —

١ — عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التيمي ابو منصور الفقيه الشافعي ولد ببغداد ونشأ بها تفقه بنيسابور على ابي اسحق ابراهيم الاسفراييني وقرأ عليه أصول الدين توفي سنة ٤٢٠هـ يقول :

أقول لشادن في الحسن فـردٍ ... يصيد بلحظه قلب الكمـي
ملكت الحسن أجمع في نصاب ... فأدّ زكاة منظرك البهـي
وذاك بأن تجـود لمستهـام ... برشف من مقبلك الشهـي
فقال : أبو حنيفة لي إمـام ... يرى أنْ لا زكاة على الصبي(١)

٢ — عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز بن يزن الحاكم ابو سعيد بن دوست المتوفى سنة ٤٣١ كان زاهداً عارفاً ورعاً، أقرأ الناس الأدب والنحو ومن شعره قوله

الا يا ريم خبرني ... عن التفاح من عضّه
وحـدّث مسمعي عن ... فمك البكر من افتضه
وختّمُ الله بالورد ... على خدك مَن فضّه
لقد أثرت العضة ... في وجنتك الغضة
كما تكتب بالعنبر ... في جام من الفضة (٢)

٣ — عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري من ائمة الدين واعلام المسلمين قرأ الاصول على والده وتفسير القرآن والوعظ ولازم امام الحرمين وعقد مجلس الوعظ ببغداد توفي سنة ٥١٤هـ يقول :

ماعلى من يقبل الحبَّ حـدّ ... غير اني اراه حاول نكرا
امتحان الحبيب باللثم حيف ... لو تعففت كان ذلك أحرى

والكمي : الشجاع البطل

(١) فوات الوفيات ٦١٣/١
(٢) فوات الوفيات ٥٤٩/١

وهي ثمانية أبيات ، ومن شعره قوله

تقبيل ثغرك أشتهي أمل اليه أنتهي
لو نلت ذلك لم أمل بالروح مني أن شهي
دنياي لذة ساعة وعلى الحقيقة أنت هي (١)

٤ — شفهفيروز بن شعيب بن عبد السيد بن منصور ابو الهيجاء الشاعر المتوفى سنة ٥٣٠ كان أديباً فاضلاً شاعراً ، أنشأ مقامات أدبية ، وسمع من ابي جعفر محمد بن أحمد بن مسلمة وغيره ، يقول :

وساقٍ بتُّ أشرب من يديه مشعشعة بلون كالنجيع
فحمرتها وحمرة وجنتيه ونور الكأس في نار الشموع
ضياء حارت الأبصار فيه بديع في بديع في بديع (٢)

٥ — عبد الرحمن بن أحمد بن ابراهيم بن الأخوة العطار ابو الفضل ، سافر إلى خراسان في طلب الحديث توفي سنة ٥٤٨هـ يقول :

ولما التقى للبين خدي وخدها تلاقى بهار ذابل وجنى ورد
ولفّت يد التوديع عطفي بعطفها كما لفّت النكباء مائستيّ رند
واجرى النوى دمعي خلال دموعها كما نظم الياقوت والدر في عقد
وولت وبي من لوعة الوجد ما بها كما عندها من حرقة البين ماعندي (٣)

هذه بعض الأمثلة التي سار عليها شعراء عصره فتجده شعراً خليعاً لكن صاحبه قد اتصف بالفضيلة والتقى .

لقد غلب على شعر العاصمي الغزل ووصف الخمرة وقد تغزل بالمذكر وربما أراد به الأنثى ذلك لأن الشعراء دأبوا على هذه العادة منذ العصر العباسي الثاني ، اما الأغراض الشعرية الأخرى من مدح ورثاء وحماسة إلى غيرها من الاغراض المعروفة فلم نجد لها أثراً عنده وربما طرق شاعرناهذه الأغراض فضاعت عندما شمل ديوانه ، وربما انه لم يطرقها لانشغاله بعلوم الحديث فلم نعرف عنه انه تكسب بشعر أو أنه تقرب إلى أصحاب

(١) فوات الوفيات ١/٥٥٩

(٢) فوات الوفيات ١/٣٨٦

(٣) فوات الوفيات ١/٥٥٧

سلطان ، ويغلب على شعره الوضوح والبساطة ، وشيء غريب اننا نجده لايغرق في فنون المحسنات البديعية التي ابتلى بها شعراء زمانه فجاءت قصائده بريئة من هذه المضايقات التي تخنق المعنى في كثير من الأحيان لأن الايغال بالبديع لايكون الا على حساب المعنى بينما نجد شاعرنا ينساب مع عواطفه بكل لطف وسهولة وبراءة فتذكرنا هذه القصائد بشعراء العذر ولو من طريق بعيد اذ ان الشعراء العذريين لايهتمون بالصنعة الشعرية الا بالقدر الذي يعبر عن عواطفهم وخلجات نفوسهم فربما كان العاصمي متأثراً بمنهجهم ولو بحدود ضيقة .

ثم ان العاصمي لم يهتم بالشعر كثيراً حتى يجود في الفاظه على عادة شعراء زمانه وانما هي خطرات تمر على باله وتمازج نفسه فيحيلها إلى تفعيلات جميلة تنساب انسياباً مع النفس البريئة الشجية ، فالصنعة الشعرية عنده شيء ثانوي .

ولا نريد أن نغالي بأن العاصمي عبر عن عواطفه بشعر عذري عميق اذ أن الزخم العاطفي عنده ليس كما نتوقعه وليس هو كما يريده في الفاظه . فكلمات البكاء واللوعة والفراق وما إلى ذلك لم تؤد معنى هذا الزخم العاطفي الذي ألفناه عند شعراء بني عذرة.

مصادر البحث

١ – الأنساب للسمعاني ت سنة ٥٦٢هـ منشورات د.س مرجليوث ،طبعة المثنى سنة ١٩٧٠م .

٢ – الخريدة للعماد الاصبهاني ت سنة ٥٩٧ منشورات وزارة الاعلام العراقية تحقيق الاثري .

٣ – المنظم لابن الجوزي ت سنة ٥٩٧ المجلد التاسع ط١ دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد سنة ١٣٥٨هـ .

٤ – معجم البلدان للحموي ت ٦٢٦ منشورات صادر بيروت .

٥ – معجم الأدباء للحموي ت سنة ٦٢٦ .

٦ – الكامل لابن الأثير ت سنة ٦٣٠ المجلد العاشر دار صادر بيروت سنة ١٩٦٦م

٧ – اللباب في تهذيب الانساب لابن الاثير منشورات مكتبة القدسي القاهرة١٣٥٦هـ

٨ – لسان العرب لابن منظور ت ٧١١ منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٩ – ميزان الاعتدال للذهبي ت ٧٤٨ منشورات دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي .

١٠ – دول الاسلام للذهبي ت ٧٤٨ ط٢ دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ١٣٦٤هـ.

١١ – الوافي بالوفيات للصفدي ت ٧٦٤ ط٢ باعتناء هلموت ريتر ١٩٦١م

١٢ – فوات الوفيات للكتبي ت ٧٦٤ تحقيق محي الدين عبد الحميد منشورات مكتبة النهضة المصرية .

١٣ – مرأة الجنان للرافعي ت ٧٦٨ ط٢ منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت سنة ١٩٧٠م

١٤ – البداية والنهاية لابن كثير ت ٧٧٤ ط١ مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النصر الرياض سنة ١٩٦٦م

١٥ – النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ت ٨٧٤ منشورات وزارة المعارف المصرية.

١٦ – شذرات الذهب للحنبلي ت ١٠٨٩هـ منشورات المكتب التجاري للطباعة

١٧ – هدية العارفين لاسماعيل البغدادي ت ١٩٢٠م استنبول سنة ١٩٥٥ طبعة المكتبة الاسلامية والجعفري تبريزي بطهران ط٣ سنة ١٣٨٧هـ

١٨ – الاعلام للزركلي ط٢

١٩ – معجم المؤلفين كحالة،مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٩٦٠م

اقسام المفعول المطلق

بين النحاة وكلام العرب

الدكتور فاضل صالح السامرائي

كلية الآداب/ جامعة بغداد

ذهب النحاة إلى أن أنواع المفعول المطلق ثلاثة :

أ ــ المؤكد لعامله .

ب ــ المبين لنوعه .

جـ ــ المبين لعدده .

أ ــ المؤكد لعامله :

يسمي النحاة المفعول المطلق في نحو قمت بالامر قياماً مؤكداً لعامله والعامل هنا الفعل. والحقيقة انه في نحو هذا مؤكد لمصدر الفعل لا للفعل لأن الفعل هو مادل على حدث مقترن بزمن أما المصدر فهو الحدث المجرد فعندما تقول (قمت قياماً) تكون قد أكدت الحدث وحده ولم تؤكد الحدث والزمن جميعاً . فالمتكلم قد يحتاج إلى توكيد الفعل كله فيكرره فيقول : قام قام محمد فيكون قد اكد الحدث والزمن وقد يحتاج إلى توكيد الحدث فقط فيقول قام محمد قياماً . وقد يؤكد الزمن الذي تضمنه الفعل دون الحدث فيأتي بالظرف المؤكد فيقول (قام محمد حيناً) ف(حينا) مؤكد للزمن الذي تضمنه الفعل (قام) لأن القيام لابد أن يكون في حين . ونحو قوله تعالى (سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام

إلى المسجد الأقصى) – الاسراء / لان الاسراء لايكون الا في الليل . فهذا القسم من المفعول المطلق اذن مؤكد لمصدر عامله سواء كان فعلاً او وصفاً نحو (محمد قائم قياماً) فالمفعول المطلق هنا مؤكد لمصدر الوصف لا للوصف الذي يدل على الحدث والذات ولو اردت توكيد الوصف لقلت (محمد قائم قائم) ولايؤكّد عامله الا اذا كان مصدراً نحو : عجبت من ضربك خالداً ضربا .

قال الرضي : ((المراد بالتأكيد المصدر الذي هو مضمون الفعل بلا زيادة شيء عليه من وصف او عدد وهو في الحقيقة تأكيد لذلك المصدر المضمون لكنهم سموه تأكيداً للفعل توسعا فقولك (ضربت) بمعنى : احدثت ضربا فلما ذكرت بعده (ضربا) صار بمنزلة قولك : احدثت ضربا ضربا .

فظهر انه تأكيد للمصدر المضمون وحده لا للاخبار والزمان اللذين تضمنهما الفعل (١)

ب – المبين للنوع :

ويقصد به المبين لنوع العامل نحو انطلقت انطلاقاً سريعاً وانطلاق السهم. وادرجوا تحت هذا القسم ماينوب عن المصدر من كلية المصدر وبعضيته ونوعه وصفته وهيئته ومرادفه وضميره والاشارة اليه ووقته وآلته وعدده ونحوها (٢) .

جـ – المبين للعدد :

ويقصد به عدد العامل سواء كان العدد معلوماً ام مبهماً فالأول نحو ضربته ضربتين والثاني نحو ضربته ضربات .

وفي هذا التقسيم – فيما نرى – نظر لأنه لم يستوف اقسام المفعول المطلق أولاً ولأنه لو اقتصرنا على هذه الاقسام لأوقعنا ذلك في اشكالات لامفر منها .

من ذلك على سبيل المثال قولهم : انت ابني حقاً . وله علي الف دينار اعترافاً ، فهذا في أي قسم من الأقسام التي ذكرها النحاة يندرج ؟ أهو يندرج في المؤكد لعامله ، وهذا لايمكن لأن حذف عامل المؤكد ممتنع كما يقول النحاة ، وهو ليس مبيناً للنوع ولا للعدد وقد جعل النحاة هذا من المؤكد لنفسه أو المؤكد لغيره (أي) المؤكد لنفسه أو لغيره غير المؤكد لعامله أم هو نفسه ؟ فان كان غيره كان صنفاً آخر وان كان اياه نفسه فقد انتقض الحكم القائل بعدم جواز حذف عامل المؤكد .

---

(١) الرضي ١/١٢٢ وأنظر حاشية الخضري ١/١٨٦

(٢) انظر الاشموني ٢/١١٢ – ١١٤

ونحو قولهم : خالدٌ سيراً وخالد سيراً سيراً مما لايصلح ان يكون المصدر فيه خبراً عن المبتدأ وهو ماقال فيه ابن مالك :

كـذا مكرر وذو حـــــصر ورد نائب فعل لاسم عين استنـــــد

فهم يقولون اننا اذا كررنا المصدر في نحو هذا كان الحذف واجباً وان لم نكرره كان الحذف جائزاً ، ففي قولنا (خالد سيراً) يكون ذكر العامل وحذفه جائزين . فأصل (خالد سيرا) هو (خالد يسير سيرا) ولكنا لو قلنا لأحد من المتعصبين لهذا العلم إحذف العامل (يسير) من هذه الجملة لقال لنا : هذا ممتنع لأنه لايجوز حذف عامل المؤكد ، وهذا تناقض — كما ترى — فهم يقولون لنا : هو جائز الحذف وهم يمنعون حذفه .

فنحن اما أن نقول هذا قسم آخر او ان نبطل قاعدة عدم جواز حذف عامل المؤكد ونحو ذلك وغيره .

ان أقسام المفعول المطلق فيما أرى ثلاثة هي :

١ — المفعول المطلق المؤكد :

ولا أعني به المؤكد لعامله فحسب كما يقول النحاة بل هو أوسع من ذلك يدخل فيه المؤكد لمصدر عامله كما ذكرت نحو انطلقت انطلاقاً ويدخل فيه غيره من المؤكد لمضمون الجملة وهو مايسميه النحاة المؤكد لنفسه والمؤكد لغيره نحو (أنتَ ابني حقاً) ونحو قوله تعالى(ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين — البقرة ٢٣٦) فانه حين امر بالتمتيع علم ان ذلك حق لهن وأكد ذلك بقوله (حقاً على المحسنين) ونحوه قوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين — البقرة ٢٤١) فانه لما ذكر ان للمطلقات ان يمتعن بالمعروف علم ان ذلك حق لهن وقد أكد مضمون الجملة بقوله (حقاً على المتقين) . فهذا توكيد لمضمون الجملة . ونحوه قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن — التوبة ١١١) فانه ذكر ان الله ضمن للمقاتلين في سبيله الجنة [illegible] وعداً عليه حقاً ، ونحوه قوله تعالى (الم غلبت الروم في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين — الروم ١ — ٣) فانه ذكر انهم سيغلبون في بضع سنين [illegible] وقد أكده بقوله (وعد الله لايخلف الله وعده — الروم ٦) ونحوه قوله تعالى (يوصيكم الله في اولادكم

للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك — النساء ١١) فعلم بهذا ان هذا فرض افترضه الله علينا في المواريث وقد أكده بقوله (فريضة من الله) .

فهذه وامثالها مؤكدة لمضمون الجملة وليست مؤكدة لعاملها . اذ لو كانت مؤكدة لعاملها ماجاز حذفه لأن حذف عامل المؤكد ممتنع عند النحاة .

فهذا إذن ليس مؤكداً لعامله ولا مبيناً للنوع ولا العدد وانما هو قسم برأسه يفيد التركيد والمصدر المؤكد على هذا هو كل مصدر فضلة غير تابع دل على معنى ماتقدمه من مفرد أو جملة .

٢— المبيّن :

قسم النحاة المصدر المبين إلى مصدر مبين لنوع عامله ومبين لعدده كما ذكرنا . والحق أن التبيين لايختص بهذين القسمين بل يكون مبيناً لهما ولغيرهما . فقد يكون المصدر مبينا للنوع وللعدد وقد يكون مبيناً للمقدار أيضاً . وان كثيراً مما ادرجه النحاة في المبين للنوع ليس كذلك وانما هو مبين للمقدار .

فمن المبين للمقدار فيما أرى قولنا (انا لا أظلمك ذرة من الظلم أو مثقالاً من الظلم) فهذا بيان للوزن وهو تعبير مجازي لأن المصدر لايوزن وانما يقصد به بيان المقدار ويحتمل أن يكون منه قوله تعالى (ان الله لايظلم مثقال ذرة — النساء ٤٠) وذلك أن المعنى يحتمل أن يكون : ان الله لايظلم مثقال ذرة من الظلم ويحتمل ان يكون المراد : لايظلم مثقال ذرة من العمل أو نحو ذلك . فاذا كان المثقال يعود على الظلم كان اعرابه مفعولاً مطلقاً واذا لم يعد على المصدر كان مفعولاً به .

فاذا كان بالمعنى الأول كان المفعول المطلق مبيناً للمقدار وليس مبيناً للنوع ولا للعدد. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) فقوله (رضا نفسه) ليس مبيناً لنوع عامله المقدر وهو (اسبح) ولا لعدده وانما المعنى مقدار ذلك . ثم ان قوله (زنة عرشه) في أي قسم من الأقسام التي ذكرها النحاة يُدخله ؟

انك اذا قلت : (سبحت الله عدد الرمال وزنة الجبال) فهل يكون (زنة الجبال) مبيناً لنوع العامل ؟ انه اذا كان قولك (عدد الرمال) مبيناً لعدد العامل فأن قولك (زنة الجبال) يكون مبيناً لوزن العامل .

ومن هذا القسم فيما ارى ماكان دالاً على كلية المصدر وبعضيته نحو (ضربته كل الضرب ، وضربته بعض الضرب ، وشيئاً من الضرب ، وجزءاً منه ونصيباً منه) فهذا ليس مبيناً لنوع الضرب ولا لعدده وانما هو لبيان مقدار الضرب ومنه قوله تعالى (ولا تظلمون فتيلاً — النساء ٤٩) فقوله (فتيلاً) ليس مؤكداً لعامله ولا مبيناً لنوعه ولا لعدده بل المقصود انهم لايظلمون ظلماً وان كان قليلاً فهو مبين لمقدار العامل .

ان النحاة يجعلون هذا من المبين للنوع وأحسب أن في هذا بعداً فقولك (ضربته كل الضرب) يختلف عن قولك (ضربته ضرباً شديداً أو مبرحاً) فالاولى بيان لكمية الضرب لا لنوعه بخلاف الجملة الاخرى فانها مبينة لنوع الضرب،وكذلك لو قلت:(ضربته جزءاً من الضرب أو نصيباً منه) فانها مبينة لمقدار الضرب لا لنوعه .

ان النحاة يلحون على تقسيمهم المذكور ولا يحاولون ان يجدوا عنه معدلاً ولو كان فيه تعسف وبعد ، ألا ترى أن بعض النحاة يجعل (العدد) من المبين للنوع ففي قوله تعالى (فاجلدوهم ثمانين جلدة — النور ٤) يجعل العدد (ثمانين) من المبين للنوع ولا يجعله نائباً عن المبين للعدد (١) فأي تعسف ابعد من هذا ؟

بل أن الامر ليبدو لي انه لاداعي لذكر جزئيات المبين بل الاولى ان يكتفى باطلاق المبين فيقال (المصدر المبين) فقد يكون المصدر مبيناً للنوع وقد يكون مبيناً للعدد ، وقد يكون مبيناً للمقدار وقد يكون مبيناً لغير ذلك . فان نيابة الآلة عن المفعول المطلق لاتدخل في بيان نوع الفعل ولا مقداره ، فاذا قلت (طعنه سكيناً) و (ضربه سوطاً) فهذا بيان لنوع الآلة التي استعملت في الفعل وليست بياناً لنوع الفعل .

وقد تثور شبهة في نفسك ان الامثلة التي ذكرتها انفاً كلها أو جلها من باب النيابة عن المصدر وليست مصادر . وهذا لايضير فان النحاة يحددون انواع المفعول المطلق بهذه الانواع الثلاثة سواء كان مصدراً ام نائباً عنه ، ولا يخرج النائب عندهم عن الانواع التي ذكرناها في انواع المفعول المطلق كما هو موضح في كتب النحو .

٣ — النائب عن الفعل .

وهو قسم مستقل برأسه وليس مؤكداً أو مبيناً للنوع كما يذهب النحاة وذلك نحو (اقداماً ياسعيد) فان معناه الأمر أي أقدم ، ولو قيل (أقدم أقداماً ياسعيد) لم يفد المصدر معنى الأمر وانما يفيد التوكيد .

---

(١) انظر الاشموني ٢/١١٢ — ١١٤

ان حذف عامل المؤكد ممتنع عند النحاة ، قال ابن مالك :

وحذف عامل المؤكد امتنع ... وفي سواه لدليل متسع

قيل لأنه مسوق لتقوية عامله وتقرير معناه والحذف ينافي ذلك (١) .

ومعنى التقوية تثبيت معناه في النفس لتكريره والمقصود بتقرير المعنى رفع توهم المجاز عنه (٢) أي يراد به معناه الحقيقي .

وقد ذهب ابن الناظم إلى أنه يجوز حذف عامل بعض المصدر المؤكد قال : لايجوز حذف عامل المصدر اذا دل عليه دليل كما يجوز حذف عامل المفعول به وغيره ، ولا فرق في ذلك بين أن يكون المصدر مؤكداً أو مبيناً .

والذي ذكره الشيخ رحمه الله في هذا الكتاب وفي غيره أن المصدر المؤكد لايجوز حذف عامله . قال في شرح الكافية لأن المصدر المؤكد يقصد به تقوية عامله وتقرير معناه وحذفه مناف لذلك فلم يجز : فإن أراد أن المصدر المؤكد يقصد به تقوية عامله وتقرير معناه دائماً فلا شك أن حذفه مناف لذلك القصد ولكنه ممنوع ولا دليل عليه .

وان اراد ان المصدر المؤكد قد يقصد به التقوية والتقرير وقد يقصد به مجرد التقرير فمسلّم ولكن لانسلّم ان الحذف مناف لذلك القصد لأنه اذا جاز ان يقرر معنى العامل المذكور بتوكيده بالمصدر فلأنه يجوز أن يقرر معنى العامل المحذوف لدلالة قرينة عليه أحق وأولى .

ولو لم يكن معنا مايدفع هذا القياس لكان في دفعه بالسماع كفاية فإنهم يحذفون عامل المؤكد حذفاً جائزاً إذا كان خبراً عن أسم عين في غير تكرير ولا حصر نحو انت سيراً وسيراً وحذفاً واجباً في مواضع يأتي ذكرها نحو سقياً ورعياً وحمداً وشكراً لاكفراً)(٣)

وقد رد ابن عقيل عليه بقوله ان نحو (ضرباً زيداً) ليس من التأكيد في شيء بل هو أمر خال من التأكيد بمثابة (اضرب زيداً) ، وكذلك جميع الامثلة التي ذكرها ليست من باب التأكيد في شيء لأن المصدر فيها نائب مناب العامل دال على مايدل عليه وهو عوض عنه ويدل على ذلك عدم جواز الجمع بينهما ولا شيء من المؤكدات يمتنع الجمع بينها وبين المؤكد .

---

(١) ابن عقيل ١/١٨٦، الاشموني ٢/١١٥

(٢) الصبان ٢/١١٥

(٣) ابن الناظم ١٠٩ — ١١٠

ومما يدل أيضاً على أن (ضربا زيداً) ونحوه ليست من المصدر المؤكد لعامله أن المصدر المؤكد لاخلاف في أنه لايعمل واختلفوا في المصدر الواقع موقع الفعل (١) .

فأنت ترى أن ابن عقيل رد على ابن الناظم بأن نحو (ضرباً زيداً) ليس من التأكيد في شيء وانما هو أمر خال من التأكيد .

فجعله قسماً آخر غير المؤكد ولاشك انه ليس مبيناً للنوع ولا العدد . وجاء في (حاشية الخضري) ان نحو ضربا زيداً قسم برأسه وليس مؤكداً «فالمصدر اما مؤكد أو نوعي أو عددي أو يدل من فعله ولا ضرر في زيادة ذلك» (٢) .

ان قول ابن الناظم ان المؤكد قد يقصد به التقوية والتقرير فلا يحذف عامله وقد يقصد به التقرير فقط فيجوز عند ذاك حذف عامله فيه نظر . فمن يقول إن (اعترافا) في قولك (له عليّ الف دينار اعترافا) مثلاً لايراد به التقوية اذا ذهبنا إلى أنه مؤكد لعامله كما ذهب اليه ابن الناظم ؟ وان قوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين — من البقرة ٢٤١) لايراد به تقوية العامل وتقرير معناه وأي دليل على ذلك ؟ وكذلك قوله (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن — التوبة ١١١) فاخراج هذا من ان يراد به التقوية فيه نظر .

وهذا عندنا من المؤكد لمضمون الجملة كما مر .

ونقول في الختام :

انه لابد من تعديل قسم المصدر المؤكد لعامله وادراجه في قسم المصدر المؤكد — على وجه الاطلاق — وتعديل قسمي المصدر المبين النوع والعدد ودمجهما في قسم المصدر المبين . كما انه لابد من اضافة قسم آخر إلى ماذكره النحاة وهو النائب عن الفعل يختلف عنهما في المعنى والحكم .

---

(١) ابن عقيل ١٨٩/١

(٢) حاشية الخضري ١٨٩/١

ظاهرة الفكاهة والغزل في الشعر النجفي في القرن التاسع عشر

محمد حسن علي مجيد
كلية الآداب — جامعة بغداد

فكرة البحث

عُرفت النجف في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين انها مركز مهم من مراكز الدراسات العلمية والدينية ، ومقر لمرجعية دينية عليا .

وخلال دراستي للأدب العراقي في القرن التاسع عشر ، وجدت شيوع ظاهرة الفكاهة والغزل في الأدب النجفي فقد رأيت شعر الغزل والفكاهة والخمر في النجف قد كثرت موضوعاته وارتقت صوره ونضجت قصائده كماً ونوعاً ، حتى اني أكاد اجزم ان غرض الفكاهة والغزل في هذه الحقبة كان نجفياً ونال شعراء النجف فيه سبقاً على شعراء العراق .

هذه الظاهرة ، التي تبدو متناقضة — حين اجتمعت الدراسات الدينية والعلمية في هذا المجتمع بهذه القوة والكثافة ، مع شيوع روح الغزل والفكاهة ، وكثرة قصائد الخمر

في وقت واحد وفي مكان واحد – هي التي دفعتني إلى رصدها ، والتوفر على دراستها وتحليلها واعطاء الحكم فيها ، وهي موضوع هذا البحث ، مما ارجو ان اكون فيه على صواب -.

الحياة العامة في النجف في القرن التاسع عشر

١ – نظرة في الحالة السياسية :

عندما دخل العراق في القرن التاسع عشر ، كان المماليك مايزالون يمسكون بزمام الحكم فيه منذ نصف قرن (١) ، ولكن أحوال العراق السياسية كانت تزداد سوءاً كلما اقترب من نهايته . ولعل داود باشا وعلي رضا ونجيب باشا والسردار عمر باشا ومدحت باشا (٢) كانوا من أشد ولاة العراق في القرن التاسع عشر (٣) تأثيراً في الاحداث وأكثرهم ذكراً في تاريخ العراق ، لما اقترن به حكمهم من آثار ماتزال الكثير من بصماتها مطبوعة على حياة العراق إلى وقت قريب .

---

(١) اولهم الوالي سليمان باشا الذي تولى حكم العراق سنة ١٧٤٩ وآخرهم داود باشا الذي انتهى حكمه سنة ١٨٣١م. انظر: تاريخ العراق بين احتلالين – عباس العزاوي ١٢/٦، ٣١١ طبعة شركة التجارة والطباعة – بغداد ١٩٥٤.

(٢) ينظر عن الوالي داود باشا واعماله: رحلة فريزر – ترجمة جعفر خياط ص ٩٣ – ١٢٨ مطبعة المعارف، بغداد، داود باشا والي العراق – د. عبد العزيز سليمان نوار.

– وعن الوالي (علي رضا): الحياة في العراق منذ قرن – فوصيل – ترجمة اكرم فاضل ص ٩١ – ٩٣ ط وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٦٨، رحلة فريزر/١٤٨ – ٢٠٠

– وعن الوالي (نجيب باشا): اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث – لونكريك ترجمة جعفر خياط ص ٥٩٢ ط٣، صور من تاريخ العراق – جعفر خياط ٣٠٣/١ بيروت ١٩٧١ .

– وعن الوالي (السردار عمر باشا): صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ٣٣٤/١

– وعن الوالي (مدحت باشا): مدحت باشا – قدري قلعجي ط١٩ ط٢، مدحت باشا – صديق الدملوجي ص ٣٧ – ٣٩ مط الزمان – بغداد ١٩٥٣ .

(٣) حكم العراق في القرن التاسع عشر (٣١) والياً – انظر: الشعر السياسي العراقي – ابراهيم الوائلي ص ٤٦ ط٢ مط المعارف بغداد ١٩٧٨

امابعد مدحة باشا الذي عزل عن ولاية بغداد سنة ١٨٧٢م وحتى نهاية القرن،فقد تولى امور البلاد ولاة متعسفون (١) ، لم يكن لهم من عمل سوى ارسال ماتأخر من الاموال إلى الاستانة ، وتنفيذ اوامر السلطة بحذافيرها (٢) ، الا ماكان فيه مضاعفة في الويبة أو زيادة في الرسوم أو تقليل في النفقات (٣) ، واستأثروا وحدهم بالحكم (٤) ، لذلك عاش العراقيون في هذه الحقبة حالة من الكآبة واليأس (٥) ، وحالة من الفراغ ،فنخرت الآفات في المجتمع وفرقته المصالح ، واقتسمته مطامع الموظفين والولاة، وتعددت فيه الاتجاهات والقوميات والديانات ، وتميزت كل مدينة بميزات خاصة ، تبعاً لساكنيها وتقاليدهم وعاداتهم ، وتباعد سكانها (٦) ، بل خُلقت فيه عوامل التنافر والاحتراب حتى بين أبناء المدينة الواحدة (٧) بسبب اتباع طرق التفريق والتنكيل وتعسف الحكام وأخذ الغرامات باستخدام بطانة فاسدة من الجلاوزة والمتزلفين (٨) ، وتضاءل القانون

---

(١) قالت السائحة الفرنسية (مدام ريولافوا) التي زارت العراق اواخر القرن التاسع عشر: ان الطاعون ومرض حبة بغداد اسهل تحملا من تعسف الخصام الاتراك .
رحلة مدام ريولافوا — ترجمة علي البصري ص ١٢١ — ١٢٢ ط بغداد ١٩٥٨

(٢) مختصر تاريخ بغداد — علي ظريف الاعظمي — ص ٢٤٣ مط الفرات بغداد ١٩٢٦

(٣) العراق .دراسة في تطوره السياسي — ايرلاند — ترجمة جعفر خياط. هامش ص ٤٨ بيروت ١٩٤٩ .

(٤) قال السائح الانكليزي بكنغهام: «ان الاتراك وحدهم هم الذين يحتلون دوائر الحكومة في العراق» رحلتي إلى العراق — بكنغهام — ترجمة سليم طه التكريتي ٢/٥٩ بغداد ١٩٦٩.

(٥) الشعر السياسي العراقي — ابراهيم الوائلي — ص٥٠ .

(٦) الشعر السياسي العراقي — ص ٩٢ — ٩٤ .

(٧) مثل الخصام الذي كان قائماً بين اطراف مدينة بغداد ومحلاتها — انظر عنه: مراحل الحياة في الفترة المظلمة — محمد رؤوف الشيخلي — ص ١٢٩ — ١٣٠ مط البصرة ١٩٧٢، الشعر السياسي العراقي/٩٣ .
والخصام بين ابناء النجف ومحلاتها، كما كان واقعاً بين عشيرتي (الزكرت والشمرت)، وبين عشيرتي (آل شبع وآل ابو الطل) فيها — انظر: ماضي النجف وحاضرها — جعفر محبوبة ١/٣٢٣ — ٣٤٥ مط الآداب ١٩٥٨، ثورة النجف — حسن الاسدي ٤٥ — ٨٤، ٨٥، ٢٠٧ دار الحرية للطباعة — بغداد ١٩٧٥، مجلة البلاغ مقال (مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي) العدد/٨ السنة/٤ لسنة ١٩٧٤ ص ٤١، ٤٦

(٨) انظر: دوحة الوزراء — رسول الكركوكلي — ص ٢٦٩ — ٢٧٠ ترجمة موسى كاظم نورس ط بيروت، تاريخ المماليك الكولەمند — سليمان فائق — ترجمة محمد نجيب ارمنازي ص ٣٤ — ٤٤ مط المعارف بغداد ١٩٦١، صور من تاريخ العراق ١/٢٧٢، ٢٧٨، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٠٤ — ٣٠٧ .

أمام رغبات المتنفذين (١) ، وتفشت الرشوة بين الموظفين والحكام ، حتى قال الشاعر النجفي ابراهيم الطباطبائي :

بلدٌ بـه يرشَى علانيـــــــــة والمـرتشي هـو حاكـم البلـد (٢)

٢ — نظرة في الحالة العلمية والفكرية :

عُرفت النجف بمركزها العلمي والفكري عبر العصور ، لكن القرن التاسع عشر (الثالث عشر الهجري) شهد نشاطاً متميزاً في الحركة العلمية وازدهاراً في الحياة الفكرية فيها حتى غدت مركزا رئيسا من مراكز العلم والفكر ومقرا لمرجعية دينية عليا وموقعاً من مواقع القيادة الاسلامية ، وموطناً لاشهر الفقهاء والعلماء ، ومثابة لآلاف الطلبة من شتى البلاد الاسلامية الذين جاءوا لينهلوا العلم في مدارسها الكثيرة (٣) ،وغدت معهداً كبيراً للدراسات الاسلامية في حقول علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول والفلسفة الاسلامية وما يتصل بذلك من شؤون العقيدة والفكر الاسلامي وغيرها ، اضافة إلى علوم اللغة العربية وآدابها (٤) .

وقد بقيت هذه الحركة الفكرية مزدهرة فيها ، وحافظت جامعتها على مركزها العلمي، ومكانتها الدينية المتميزة طوال القرن الماضي ومطلع القرن الحالي .

٣ — نظرة في الحالة الاجتماعية والأدبية :

النجفيون اجتماعيون بالطبع ، وهم بحكم عروبتهم وظروف بلدتهم الدينية والأدبية ذوو مجالس ومنتديات وبيوت مفتوحة الضيوف والزوار، كما يتميزون بخفة (الطبع والروح

(١) انظر : في غمرة النضال — سليمان فيضي — ص ٥٩ — بيروت ١٩٧٤

(٢) ديوان ابراهيم الطباطبائي — ص ١٠١ مط العرفان — صيدا ١٣٣٢هـ

(٣) ذكر عبد الهادي الفضلي في كتابه (دليل النجف الاشرف) ص ٧٠ وما بعدها: أسماء ٤٣ مدرسة علمية في النجف في تلك الحقبة. ط مكتبة التربية — نجف .

(٤) انظر عن تفصيلات الحياة العلمية والفكرية في النجف :
مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها — محمد مهدي الآصفي — مط النعمان النجف ١٣٨٤هـ، دليل النجف الاشرف لعبد الهادي الفضلي، ماضي النجف وحاضرها ٦/٥٧٣ — ٣٧٩.

وقد ذكر ناشر ديوان الحبوبي — ط٢ ص ٦٩: (انه لم تزدهر جامعة النجف العلمية في أي عصر من عصورها ازدهارها في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي — ط وزارة الثقافة — بغداد ١٩٨٠ .

الخفيفة التي تهتز بيت الشعر) (١) ، لذلك فهم يستغلون مناسبات الافراح ((فتنطلق نفوسهم من عقال القيود العرفية المتشددة فيعبرون عن نزعات الشباب الدفينة ومرحه المكبوت)) (٢) ، وهم محبون للانطلاق والمرح ، ويأنسون بالندوات الأدبية التي كانت تنعقد فيها بين حين وآخر ، فيتبادلون الطُرَف وينطلق الشعر ، ويشارك في تلك الندوات وجهاء القوم وكبار الفقهاء والأدباء بل والنساك والحكماء (٣) ، كما انهم ذوو طبائع مرحة ، واصالة في الظرف وحب للمسرات (٤) .

ولأن الأدب هو ابن البيئة (٥) ، أو نتاج تفاعل الأديب معها ، فهو اذن يصطبغ بألوانها ويتأثر باتجاهاتها ، ومن ثم يؤثر فيها ، لأن لكل بيئة مزاياها وخصائصها التي تطبع الأدب بطابعها وتترك بصماتها واضحة فيه ، في حين يقل الأثر الفردي في أدب البيئة (٦) .

وبيئة النجف هي احدى البيئات التي تركت آثارها واضحة في الشعر العراقي طوال القرن التاسع عشر ، فظروف الحياة القاسية وحكم الولاة المتخبط ، وسياسة التفرقة أدت إلى تباعد السكان ، وجعلت لكل بيئة سلوكاً مختلفاً ، وطبع كل مدينة بطابع أدبي خاص متميز بها عن غيرها . وعلى سبيل المثال : ان مدينة بغداد التي كانت مركز الولاية ومقر الحكام والولاة والموظفين الكبار ، والتي يسكنها عادة أصحاب الثروة والوجاهة واهل

---

(١) مدرسة النجف — ص ٢٩٣
(٢) ديوان الحبوبي — ص ٧٠ .
(٣) شعراء الغري — علي الخاقاني ١/٢٥ — المطبعة الحيدرية — نجف ١٩٥٦ .
(٤) مما يدل على اصالة ظرف النجفيين وحبهم للمسرات ما ذكر عن الشيخ طالب البلاغي مثلا الذي «عرف بالفضيلة وبمركزه العلمي الرفيع، والذي يشهد العلماء بفضله ... انه كان يطرب للغزل بالنساء والديار ويهش قلبه للتشبيب في الغانيات الابكار ويرتاح لاستماع الهزل والمجون كما يرتاح البطل الشجاع للحرب، ويكره من الشعر ما اشتمل على موعظة او رثاء» شعراء الغري ٤/٤٢٩ .
(٥) يكاد يجمع مؤرخو الادب والباحثون على تأثير البيئة في الادب، منهم د. شكري فيصل= = في (مناهج الدراسة الادبية — ص ٨٥ ، ط دمشق ١٩٦٥)، د. يوسف عز الدين في (خيري افندي ص ٢٦ مطبعة الشعب — بغداد ١٩٧٣)، د. قحطان التميمي مقال (الشكوى في الشعر الجاهلي) مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد/١٣ ص ١٤٥
(٦) ذهب الناقد الانكليزي (تين) Taine (١٨٢٨ — ١٨٩٣) إلى اسقاط أثر النزعة الفردية في الأدب اسقاطا تاما. وارجعها إلى قوانين ثلاثة هي: الجنس والبيئة والزمان. — انظر: البحث الادبي — د. شوقي ضيف — ص ٨٨ ط دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

النفوذ وكبار التجار ، كانت أقرب إلى الحياة العامة والحياة السياسية بشكل عام ، وكان سكانها على هذا الاساس أكثر أتصالاً بالموظفين الكبار والاداريين وضباط الجيش ، وأكثر قرباً من الحكام ، لذلك فهم أكثر أهتماماً بالامور العامة من غيرهم من أبناء المدن العراقية الاخرى ، وأشد التصاقاً بالسياسة وأحداثها بحكم هذا القرب من مركز الولاية ، سواء منهم من كان موالياً للحكومة والسلطة أم كان معارضاً لها ساخطاً عليها لذلك ازدهر فيها الشعر السياسي (١) مثلما ازدهر (شعر الرثاء) في الحلة في الحقبة نفسها بسبب ظروف الحالة السياسية والاجتماعية (٢) .

أما النجف فقد ابتعدت عن السياسة (٣) ، وعن المشاركة في الحياة العامة (٤) ، بل لنقل أنها أبعدت عن التدخل في أمور البلاد (٥) وحرم ابناؤها من التوظف أو المشاركة

---

(١) انظر القصائد الكثيرة والناضجة من الشعر السياسي في دواوين شعراء بغداد ومجاميعهم الشعرية، منها مثلا: مجموعة عبدالغفار الاخرس فيما يتعلق بشعر عبدالغني جميل، وديوان الطراز الانفس لعبدالغفار الاخرس، وديوان صالح التميمي، وديوان عبدالباقي العمري وغيرها .

(٢) انظر: الشعر في الحلة بين سنتي ١٨٢٤ – ١٩١٧ محمد حسن علي مجيد رسالة ماجستير ص ٤١١ – ٤١٨

(٣) نهضة العراق الادبية – محمد مهدي البصير ص ٦٠ مط المعارف بغداد ١٩٤٦

(٤) قسم الدكتور يوسف عزالدين تيارات الحياة العامة في العراق في القرن التاسع عشر إلى تيارين: الاول – هو التيار البغدادي الذي اتصل بالحياة العامة وبالحياة التركية في بغداد والاستانة. والثاني – التيار النجفي الذي انعزل عن الحكم وانطوى تحت راية أخرى حريصاً على كرامته خائفاً وجلاً لم يثق بالحكام واغراضهم ومقاصدهم. انظر: مجلة الايمان (النجفية) مقال بعنوان: البيئتين والأدب الحديث العدد/٧ لسنة ١٩٦٩ ص ١٩٥ – ١٧٥ .

(٥) قال الشيخ علي الشرقي: «ان النجف خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين قد اضطربت في مبادئها ونزعاتها السياسية ... ولما ارادت سياسة بغداد أن ترسخ وتستقر وتتدخل في بنيان حكومة دائرة اختلفت مع النجف في بعض تعاريج السياسة ومنعرجاتها فقضت بغداد باعتزال النجف عن السياسة فاعتزلت». انظر: مجلة لغة العرب – مقال بعنوان: الأدب النجفي مج٩/ص ٣٢٤ عدد كانون الاول ١٩٢٩ .

المباشرة في ادارة شؤون وطنهم (١) ، كما اسهمت مسألة التجنيد الاجباري واساليب السلطة في التجنيد من حدة النفور بين النجفيين والحكومة (٢) ، لذلك أحسوا بفراغ وخلو كبيرين ، فانطووا على أنفسهم (٣) ، وأنصرفوا إلى حياتهم الخاصة ، وصار ابناء الأسر الموسرة يتمتعون بثرواتهم وشبابهم ، بما يتوفر لديهم من مجالات اللهو والانس من متع الحياة مما كانت تسمح به التقاليد والأعراف ، أو مما كانوا يختلسونه من تلك اللذات اختلاساً ، يتسلون به عن لذة الحكم وجاه السلطة وعزتها (٤) .

---

(١) انظر : تاريخ العراق بين احتلالين ١٩٦/٦ ، المماليك في العراق – احمد علي الصوفي – ص ٢١٧ ط الموصل ١٩٥٢ ، تاريخ التعليم في العراق – عبدالرزاق الهلالي – ص ٣٦ شركة الطبع والنشر الاهلية – بغداد ١٩٥٩ ، الشعر العراقي – اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر – د. يوسف عزالدين ص ١٩٥٩ طبعة القاهرة ١٩٦٥ ، رحلتي إلى العراق – بكنغهام ٥٦/٢ .

(٢) كان لمسألة التجنيد الاجباري اثر حاسم في ابتعاد الناس عن السلطة وتخوفهم من الاقتراب منها او الاتصال بها ، فقد نفر العراقيون من التجنيد نفوراً تاماً ، وبخاصة ما قام به الوالي (السردار عمر باشا) من تجنيد الناس بالقوة في النجف وغيرها من المدن العراقية سنة ١٨٥٧ – انظر (تاريخ العراق بين احتلالين ١١٦/٧) ، بل جعل الوالي (نامق باشا) في وزارته الثانية في العراق سنة ١٨٦١ التجنيد عقوبة لكل من يقترف جريمة او يسرق او يشرب الخمر او من لا عمل له. انظر : (تاريخ العراق بين احتلالين ١٣٧/٧) .

اما سبب نفور العراقيين من التجنيد فلأن الجنود العراقيين الذين كانوا يرسلون للحرب كانوا نادرا ما يرجعون إلى اهلهم من سوح القتال (مختصر تاريخ بغداد/٢٤٥)

اما في النجف فقد بلغ من استهتار السلطة العثمانية بالناس انها كانت تدخل البيوت وتفتش النساء بزعم انهم رجال يتخفون بزي النساء هرباً من التجنيد. (انظر : ثورة النجف – ص ٩٣) .

(٣) هنالك اسباب اخرى ادت إلى انكماش النجفيين اضافة لموضوع اختلافهم مع السلطة ولمسألة التجنيد ، منها : هجمات الوهابيين المتكررة على النجف ، انظر : (الشعر السياسي العراقي – ص ٥٨ – ٩٤) ، ومنها النزاعات الداخلية بين اهالي المدينة انفسهم – كما سبق ذكره – ، ومنها فقدان الحاكم العربي المتذوق والامير المعطاء والكريم المشجع ، لان غياب التشجيع والعطاء قد يؤدي إلى خمول الذهن وفقدان الحافز ، وإلى فقر او عوز الكثير من الشعراء مما يضطرهم إلى الانشغال بلقمة العيش .

(٤) ولا أدل على ذلك من خلو دواوين شعراء النجف من الشعر السياسي خلواً يكاد يكون تاماً الا ماندر من قصائد او مقطوعات قليلة لاتدل على اندفاع او مشاركة حقيقية ويغلب

ومن الجدير بالذكر أن الكثير من الأسر النجفية في تلك الحقبة كانت على جانب كبير من اليسار والغنى ، فقد كانت ذات املاك وعقار وبساتين ، تدر عليهم الأموال والأرباح الطائلة ، وأن الأموال كانت تجبى الى النجف من كثير من المدن العراقية . يقول الشيخ علي الشرقي : أن الكثير من النجفيين كانت لهم املاك ومزارع في المدن المحيطة بالنجف كالكوفة والشامية والرميثة والشنافية والسمارة والرماحية ، وكانت تجبى الأموال والواردات الى الملاكين من اهل النجف ، وكان قسم من النجفيين يشرفون على مزارعهم ومحاصيلهم ، وعندما يستوي الزرع ويحصدون ويجمعون الحصيلة يعودون الى النجف أوقد ينوب عنهم بعض اقربائهم أوعمالهم فيصبح أهل تلك القرى والنواحي يزرعون ويقدمون الحصيلة للقاطنين من النجف من اهلهم وعشيرتهم (١) ، كما أن الجاليات والنازلين على النجف من مختلف بلدان العالم الإسلامي للزيارة أو الدراسة أو الإقامة

= عليها المصانعة والمجاملة ، بل ان الشاعر محمد سعيد الحبوبي اكثر شعراء النجف في تلك الحقبة خلا ديوانه المطبوع البالغ (٣١٣) صفحة في طبعته الأولى خلواً تاماً من أي نوع من انواع الشعر السياسي او القومي وحوى على (١٣) مقطوعة فقط من (الرثاء الاجتماعي والديني) بينما ضم (٩٥) قصيدة ومقطوعة في الغزل هذا عدا عن الموشحات الكثيرة التي احتوت على انفس الغزل ، اما الطبعة الثانية التي تقع في (٦١٩) صفحة فقد ضم باب المراثي والتعازي على (١٩) قصيدة فقط بينما ضم باب (الغزل والنسيب) ٤٤ قصيدة اضافة إلى ١٠ موشحات كلها في الغزل والخمر ، بينما خلت هذه الطبعة هي الأخرى من أي نوع من الشعر السياسي والقومي .

انظر ديوان الحبوبي ط ١ — المطبعة الاهلية بيروت ١٩١٣ .

و ط ٢ وزارة الثقافة والاعلام — بغداد ١٩٨٠ .

اما الشاعر محسن الخضري فقد حوى ديوانه بابين للغزل والفكاهة ، الاول : بعنوان الوصف والغزل والنسيب) والثاني بعنوان (النوادر والفكاهات) بينما لم يحو الديوان كله غير بيتين من الشعر السياسي .

انظر ديوان محسن الخضري — المطبعة العلمية — بغداد ١٩٤٧

اما الشاعر موسى الطالقاني فقد ضم ديوانه المطبوع قصيدة واحدة فقط من الشعر السياسي بينما حوى (٢٧٤) قصيدة في الغزل .

انظر ديوان موسى الطالقاني — مطبعة الغري الحديثة — النجف ١٩٥٧ وهكذا غالبية شعراء وشعر النجف في القرن الماضي .

١ — الاحلام — علي الشرقي / ص ٧٤ — ٧٥ شركة الطبع والنشر الاهلية بغداد ١٩٦٣ .

كانوا يفدون اليها بثرواتهم المادية (١) فيستفيد منها سكان النجف وذوو المهن والصناعات والأعمال التجارية ، كما افادت النجف من تجارتها الواسعة مع بادية الشام والحجاز وبلدان الخليج العربي واليمن وايران (٢) ، كما أن هناك عاملاً آخر افاد النجف اقتصادياً هو كونها مدفناً لكثير من المسلمين من انحاء العراق ومن بلدان كثيرة في العالم الإسلامي لما تتطلبه عملية الدفن من نقل وتجهيز وحفر القبور وبنائها واحتياجات المرافقين والتركات المادية التي تصل الى النجف لتوزع على طلبة العلم والقراء فيها . هذا كله الى مورد مهم آخر هو الحقوق الشرعية التي كانت تأتي الى النجف من انحاء العراق وانحاء العالم الإسلامي ، لتوزع في النجف بشكل خاص على اهل العلم ومعاهده وعلى الطلبة وعلى المقيمين فيها ، وعلى المستحقين والمحتاجين منهم ، وعلى بعض المشاريع الخيرية فيها كما كان لآلاف الزائرين (٣) الذين كانوا يفدون على النجف سنوياً اثر في ثراء ابناء المدينة ومعيشتها جعلتهم في بحبوحة من العيش وجعل ادرارها يسيراً ، وحياتها سهلة

هذه العوامل كلها تظافرت فأوجدت في النجف مجتمعاً ميسوراً مترفاً — بشكل عام — ومن المعلوم أن عوامل الثروة والغنى والفراغ بالرأي والشباب والترف إذا اجتمعت قادت الإنسان الى اللهو والعبث (٤) ، لذلك راح النجفيون يزجون اوقات فراغهم باصطناع الطيب وينفسون عن آلامهم ومشاعرهم الكبيرة بالفكاهة والضحك ، وقد قيل (شر البلية مايضحك) ، ويلذون همومهم شتى وكان من ثمرات الدول والعداء مجالس الخمر والقمار والشراب ، وسيل من المداعبات والظرائف والاكاذيب والمساجلات الاخوانية ، بمجالس ودواوين (٥) يعقدها وجهاء المدينة ، وابناء الأسر المعروفة فيها ، ومن تلك المجالس المنعقدة

---

(١)— النجف الاشرف، عاداتها وتقاليدها — طالب الشرقي/ص ٥٥ والنجف ١٩٧٧ والاحلام ص٨٥.

(٢)— النجف الاشرف ... عاداتها وتقاليدها ... ص ...

(٣)— [illegible]

(٤)— قال الدكتور يوسف عزالدين ... [illegible]

(٥)— من تلك المجالس ... مجلس آل ... راضي ومجلس الجزائري ، ومجلس آل الشالجي ، وآل فرج الله وآل مظفر ومجلس السيد ... الطهراني .

مجاميع من الدرر وروائع من الشعر التي جاءت به المساجلات والمباريات والمعارضات والمفاكهة والإخوانيات » (١) . كما استدعت الدراسات الإسلامية — بالضرورة — التمكن في علوم اللغة والتأريخ والأدب لأنها الطريق الذي يؤدي الى فهم العلوم الإسلامية وبسبب الهجرة الواسعة لغرض الدراسة . قال الشيخ علي الشرقي« انهم هاجروا اليها بالأدب وبمواعين الأدب ، فأوجدوا حركة فكرية متميزة » (٢) ، وأن اولئك الرواد والمهاجرين كانوا يفدون على النجف بثرواتهم المادية والأدبية وأهمها امهات الكتب المخطوطة في الأدب والفلسفة والرياضيات والفلك والتأريخ وغيرها (٣)، كما كان للكتب مكانة كبيرة في نفوسهم ، ولهم في اقتنائها والحرص عليها ونسخها نوادر كثيرة طريفة (٤) .

كل هذه العوامل انعشت في النجف روحاً شعرية ، ووجد الشعر فيها بيئة شعرية صالحة بعافيها الأدب وترعرع ، اضافة الى عوامل عديدة اخرى اسهمت في خلق هذه البيئة الأدبية (٥)، ممايشكل ظاهرة ادبية واضحة يجدر الوقوف عليها وتأملها وتتبعها ودراستها

لو استعرضنا دواوين الشعر النجفي ومجاميعه في القرن التاسع عشر لوجدنا أن الغزل والخمر والفكاهة هي أبرز اغراضها ، لأنها تشغل مساحة واسعة فيها . ومع أن المسألة ليست مسألة كم ، انما يظهر من الدراسة أن الغزل — مثلا — الذي بدأ لدى شعراء النجف أوائل القرن تقليدياً يقصد به تزجية الوقت وقتل الفراغ ، فأنه بالممارسة وكثرة الإلحاح فيه

(١)— العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية — جعفر الخليلي /٢٨ نجف ١٩٧٠ وانظر نماذج من تلك المساجلات ص ٤٠ — ٤٤ .

(٢)— الاحلام — علي الشرقي / ٤٠ .

(٣)— الأحلام / ٥٨ .

(٤)— من تلك النوادر : مانقل عن الشيخ الجليل النوري انه أعياه المطلب في كتاب ، ثم عثر عليه صدفة وقد عرضته امرأة للبيع ، وصادف فراغ كيسه من النقود ، فوقف في السوق بالقرب من المرأة وامسك بالكتاب حرصاً ، وخلع عباءته وسط السوق ودفعها للمنادي ليبيعها ، فباعها بثمن بخس وسلم للمرأة ثمن الكتاب ، ومشى بقية السوق والطريق بدون عباءة ، [illegible] ، لكنه كان يمشي مزهوا بذلك الكتاب . انظر : الاحلام ص ٦٠ — ٦١ ، وانظر نماذج اخرى من تلك النوادر ص ٥٩ — ٦٢ .

(٥)— انظر مقال الشيخ محمد رضا الشبيبي في مجلة الاعتدال (النجفية) بعنوان (بيئة النجف الشعرية العدد / ١ السنة / ٢ حزيران ١٩٣٤ ص ١٤٩ ، وانظر : العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية) جعفر الخليلي / ٧ — ٢٨ .

اعتاده الناس وقبله وجهاء المدينة وعلية القوم ، ومنهم رجال الدين والمتفقهون ، والذي صار ينشد هذا الغزل امامهم أو فيهم وخاصة في مطالع قصائد التهنئة بالزواج والحج و امثالها ، فانساق الناس وراء هذا التيار ، اذا به يغدو بعد فترة وجيزة طبعاً في النجفيين ، وصرنا نقرأ في سيرة شعراء النجف بعد ذلك من عرف بحبه اللهو والهيام بالجمـــال والسعي وراء الحسن اينما لمحه : في قوام فتاة حسناء ، أو في غلام مليح ، أو في الطبيعة ، أو حتى في وسامة ابنائه الصغار كالسيد أبراهيم الطباطبائي مثلا ، بل انه عرف في النجف من احب حباً حقيقياً وخلص لمحبوبة واحدة ، ولما لم ينل مطلبه مات عشقاً كما هو معروف عن الشاعر عباس ملا علي النجفي — كما سنوضحه فيما بعد — ، ولم يكن من باب الصدفة أن يقول الأستاذ البصير عن الشاعر الحبوبي النجفي « وعندي أن الحبوبي أغزل شعراء عصره » (١) مقدماً اياه على كل شعراء العراق في فن الغزل في هذه الحقبة ، لذلك حقق شعراء النجف في هذا الفن سبقاً واخذوا صوراً وبعدوا فيه مداه لم تكن في الغزل العراقي ، وأن شعراءه حازوا قصب السبق فيه ، وأخذوا بزمامه دون شعراء المدن العراقية في هذه الحقبة .

ولعل ثمة سؤالا يدور في الذهن : كيف يمكن أن تكون النجف رافعة لواء الغـــزل العراقي في القرن التاسع عشر ، في الوقت الذي ذكرنا فيه انها كانت من أكبر مراكـــز الدراسات الإسلامية ، وانها المرجع الديني الكبير في العراق ؟ الجواب : هو الإستعـداد الكامن في نفوس النجفيين في حب المرح والفكاهة ، وهي الظروف السياسية والإجتماعيـة التي ذكرناها سابقاً من ابعاد النجف عن السياسة من جهة ، وانكفائهم على انفسهم من جهة أخرى ، والفراغ الكبير الذي كانوا يعيشون فيه ، اضافة الى ماتوفر لهم من يسار وثروة بشكل عام — مما اضطرهم الى ازجاء اوقاتهم باللهو والغزل والمزاح والفكاهة ، تماماً كما حدث لأبناء الحجاز في القرن الأول الهجري ، حيث ذاع الفقه والتفسير وانبعث الى جانب اللهو والغزل والعبث بسبب تشابه الظروف الموضوعية لكلا البيئتين (٢) ، كما جمع ابن

---

(١)— نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر — محمد مهدي البصير /٥١

(٢)— [illegible]

[illegible]

الغزل عند العرب — حسان ابو رحاب — ط مصر ١٩٤٧ ص ١٩٩ ، ١٧٧ ، ١٩١ ، حديث الاربعاء — طه حسين — ط دار المعارف بمصر ١٩٥٩ ١/١٨٨ ، الأديب المعاصر الدكتور عبدالجبار المطلبي — دار الرسالة للطباعة — بغداد ١٩٧٨ ص ١١٧ — ١١٨ الغزل عند العرب — ج . لـ . فاديه — ترجمة ابراهيم كيلاني ١/١٥٤ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي — دمشق ١٩٧٩ .

غزل النجف وغزل الحجاز شبه آخر، هو أن كليهما لم يبلغ حد الفجور والإستهتار . فمن المعروف أن غزل الحجاز في العصر الأموي كان يجنح الى التمسك بالاداب العربية، لأن السلطة الاموية كانت تراقب ابناء المهاجرين والأنصار وتنظر لهم في كثير من الحذر ، لأنهم لم يكونوا يدينون لها بالولاء والطاعة والخضوع التام ، كما أن شعراءهم كانوا ينتسبون الى أسر شريفة من قريش وغيرها مما لاتسمح لهم التقاليد والأخلاق العربية الإسلامية بخروجهم في القول حد الفجور والإستهتار (١) وهكذا الحال لدى شعراء النجف في القرن التاسع عشر ، فان غزلهم على كثرته وتنوعه لم يبلغ حد المجون والفسق والإستهتار بالمثل والخلق ، أو العبث بالأعراض ، لما للمدينة من مكانة متميزة ، ولما لأسر اولئك الشعراء من الشرف وسمو المنزلة بين الناس مايمنعهم من الإنسياق وراء المجون ، أو الغزل الخليع أو القول الفاجر ، بل أن ذلك كان واضحاً في سلوكهم وشعرهم معاً ، مما يجعل الحالتين متساويتين في كل من الحجاز والنجف . فالسيد ابراهيم الطباطبائي مثلا الذي كان « له من خفة طبعه التي خلقت منه صورة مصغرة لعمر بن أبي ربيعة من حيث حبه الجمال والتغني به » (٢) ، « والذي كانت تأسره الصبابة وتستهويه الملاحة لم ينته الى مجون أوفسق ، لأن الدين كان يملك عنان نفسه ويكبح جماح شهوته » (٣) ، « وأن غزله لم يكن يسيء الى سمعة أحد » (٤) وهكذا بقية شعراء النجف في هذه الحقبة .

ولعل مما ساعد على كثرة الغزل في النجف ونضجه أن النجفي لم يكن محروماً من رؤية المرأة، بالرغم من احتجاب المرأة العراقية في تلك الحقبة وابتعادها عن مجالس الرجال (٥) فقد كان يؤم النجف سنوياً الآلاف من الزائرين والدارسين وطلاب العلم ، ومعهم عوائلهم فكان منظر النساء مألوفاً في المنازل والأسواق والطرقات وأماكن الزيارة ومحطات النقل ،

---

(١)- الغزل عند العرب - حسان أبو رحاب / ١٩١ .
(٢)- [illegible] الأدبية / ١٣٩
(٣)- المصدر السابق / [illegible]
(٤)- المصدر نفسه / [illegible]
(٥)- [illegible] مكانة المرأة [illegible] في القرن التاسع عشر [illegible]
[illegible] - مقال د. يوسف عز الدين (مكانة المرأة العراقية في القرن التاسع عشر) ص ٩ - ٤٠ . مجلة الإيمان (النجفية) مقال د. عارف المرأة [illegible] - العدد ٦ كانون الثاني ١٩٦٥ ص ١٢٢ ، مجلة المقتطف ، مقال يوسف غنيمة مجلد / ٥٢ لسنة ١٩١٨ ص ١٦٩ ، جريدة الرقيب (البغدادية) العدد ٧٤ لسنة ١٩٠٩

هذا الى وقوفها على نماذج من أشكال النساء من اجناس مختلفة وما فيهن من ملاحة وحسن مما يوقظ العاطفة ويزيد الشوق ، ويثير كوامن النفس(١) ، مما ساعد على كثرة الغزل ونضجه . فأذا ما اضفنا الى ما ذكرناه من فراغ الشبان ، وثراء الكثير منهم ، واليأس من المشاركة في الحياة العامة ، امكننا أن ندرك سبب كثرة اشعار الغزل ونضجها وتنوعها في النجف .

مظاهر الفكاهة والغزل واللهو في النجف :

١ — شيوع روح الفكاهة والنكتة والمداعبة :

قلنا أن النجفيين حين ابعدوا عن الحياة العامة شعروا بفراغ وسأم فراحوا يزجون اوقاتهم باصطناع الحب وقصائد الغزل ، وينفسون عن انفسهم بانعقاد مجالس الخمـــر والندمان .

لكن أول مانلحظه في حياة النجفيين في القرن الماضي ، هو سريان روح الفكاهة ، وتلقفهم للنكتة والطريفة والنادرة ، واری أن اذكر جانباً منها لادلل على سريان تلك الروح فيهم .

فمن ذلك ماذكره جعفر الخليلي من أن (سعيد ناجي) أحد وجهاء النجف كلف الشاعر جعفراً الحلي أن يجد له كلمة بليغة أو مناسبة من الشعر تصلح أن يحفر بها ختماً ، فيضمن السيد جعفر أسم ذلك الوجيه النجفي بشطر من الشعر فيه تورية جميلة بهذه الصورة (بحب بني النبي سعيد ناجي (، وقد شاع يومذاك في مجالس النجف أن (سعيد عجينة) وهو من وجوه المدينة أيضاً ، كانت بينه وبين (سعيد ناجي) منافسة في الوجاهة — قد جاء الى أحد الصاغة المعروفين بمهارتهم بحفر الأختام وطلب منه أن يحفر له ختماً على غرار ختم (سعيد ناجي) وينقش له فيه (بحب بني النبي سعيد عجينة) (٢)

(١) — يقول حسان ابو رحاب :

ان العربي بطبعه وبروحه الصافية اذا رأى امرأة جميلة ... [illegible] ... الغزل عند العرب / ص ٢٢ .

وجاء في العمدة ٢/١١٧ : «قيل لابي السائب المخزومي : أترى أحداً لايشتهي النسيب فقال : اما من يؤمن بالله واليوم الاخر فلا » .

(٢) — العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية — ص ٤٦ .

أنا لاأشك أن القصة موضوعة ، الا أنها من جانب آخر تصور روح النكتة والفكاهة التي شاعت في النجف ، حين خلق أهلها مثل هذه النادرة الطريفة .

كما ينقل جعفر الخليلي : أن شخصاً من أهل الأدب واليسار من النجف يعود من سفر ، وينثر في مجلسه الخاص وبين جمع من الأدباء عدداً من الخواتيم التي جاء بها معه وقال لمن حضر من الشعراء : أن ليس من حق واحد منهم أن ينتقي خاتماً مالم يدفع ثمنه شعراً مرتجلا ، وكان من حضار المجلس عدد من الشعراء ، فصار كل واحد منهم يقول بيتين أو أكثر فيها نكتة ثم ينتقي الخاتم الذي يريده ، فكان مما قاله الشاعر عبد الحسين الحلي مستعملا التورية :

حتى تنافسنا عليها معه   القى الخواتيم لنا فانتشرت
ادخل في خاتمه اصبعه (١)   فلا تسل عنا فكل واحد

ان هذه النادرة على ما فيها من مجون، فانها تمثل لونا من الفكاهة والهزل .

اما ما عُرف به الشاعر جعفر الحلي من مرح ، ومن حب للنادرة وخفة الطبع فلا ادل عليه من شعره الكثير في الهزل والخمر والغزل، وفي الروح المرحة التي استكانت في هذا الرجل، وفي حبه للنكتة والمزاح، فهو حين يسمع ابراهيم الطباطبائي ينشد قصيدة في محفل، فانه يتصدى له بقوله :

فان البقّ آذاني   الا من يقتل البق
نصحّت منه اذاني (٢)   لقد طنطن في القلب

وحين يبلغ بيتا الحلي مسامع الطباطبائي يستشيط غضباً، ولا يهدأ حتى يظفر به، فيحسّ الحلي بالخطر فيمدحه ترضية المرحة مرتجلاً :

اضحى كاسماعيل جعفر   رأيت ابراهيم زويا بيوسا
بما أمست الأصل بي مما تزدر (٣)   وما الفيا فيا جدياً متطلسما

(١) المواطن التي جعلت من النجف بيئة شعرية — ص ٥٥
(٢) ديوان سحر بابل ص٣٤٤ ط العرفان — صيدا ١٣٣١هـ
(٣) ديوان سحر بابل ص٢٢٦
وقد جاء في الشطر الأخير اضطراب ، ولعل كلمة (بي) زائدة .

ان هذه الحادثة تظهر روح النكتة وحب المداعبة في النجف، بل حتى فيمن سكنوا النجف ، كالسيد جعفر الحلي الذي ولد في قرية السادة ، ونشأ في الحلة، واستوطن النجف ، منذ شبابه حتى وفاته سنة ١٣١٥ﻫ (١)

اما حين يتزوج احد اصدقائه امرأة مطلقة في الاربعين من عمرها ، فذلك ما كان يفتش عنه جعفر الحلي، اذا به ينبري له فيهنئه ويغمزه ويمازحه بقارص القول بهذه الابيات المشهورة:

بشراك في لؤلؤة قد ثقبت ... انفع من لؤلؤة لم تثقب
ومهرة وطأ شخص ظهرها ... احسن من جامحة لم تركب
ومنهج قد سلكت فيه الخطى ... احسن من نهج جديد متعب
مرّت عليها اربعون حجّة ... فهي اذن كالصارم المجرّب (٢)

لكن السيد جعفر عندما يصف استاذه (الشيخ محمد الشربياني) وحاله مع تلاميذه لا يسعنا الا ان نضحك معه في هذه الصورة الطريفة :

للشربياني اصحابٌ وتلمذةٌ ... تجمعوا فرقاً من داهنا وهنا
ما فيهم من له في العلم معرفة ... يكفيك افضل كل الحاضرين انا (٣)

اما حين يسطو (هرّ) على عشاء كان قد دُعي له جعفر الحلي، ويقلب الاواني ، ويذهب الطعام هدرا ، ويخيب امله بعشاء دسم ، فانه حينذاك يشعر بالاسى العميق لذهاب الفرصة المنتظرة، فيرثي ذلك العشاء المؤلف من (مطبّق التمن والكشمش واللحم) بهذا الرثاء الضاحك الجميل، مستعملاً بعض الالفاظ العامية الشائعة لغرض الهزل والتندر. قال فيها :

وأسفاً على العشا ... مطبقاً مكشمشا
قد ظفر الهر به ... ونال منه ما يشا
لما اتى العبد رأى ... طبيخه مخربشا
وقال ويعن التوسي لا ... يعلم فيمن بلشا (٤)

---

(١) انظر عن ترجمة الشاعر جعفر الحلي :
ديوان سحر بابل — المقدمة ، مجلة العراق الادبية ص١٩٢-١٨٣

(٢) سحر بابل ٤٣-٤٤

(٣) سحر بابل — ٤٥

(٤) بلش : بمعنى تورط

جـر العصـا واستفـزع النسوب لــــه والحبـشـــا
فـنزمجـر الجبـــلـد وجيـــــش الـهـر فيـه احتوشـا (١)
وانتفـــخ الـهـــر ومــــدّ ذيلـــــه وانتفـشـــــا
والـعـبـــد مـــن ســورتـــه لمنخـريــــــه فـــرشـــا
فالتقـيـــا واعـــتــركـا واصطــدمـــا واحتـوشـا (٢)

وقد شاعت هذه (الشينية) في النجف وحفظها الناس وبقوا يرددونها في مجالسهم ونداواتهم فترة طويلة، مما دل على روح مرحة لدى الشاعر ولدى ابناء مدينته .

اما الشاعر محسن الخضري فانه يستغل مناسبة دعوة طعام اخرى مشابهة لدعوة جعفر الحلي، الا ان بطلها لم يكن هراً انما كن نساء للشيخ محمد رضا كاشف الغطاء الذي دعاه جار فقير له اسمه (جسون) ، وطلب منه أيضاً أواني الطبخ وصحونه فلم يسع الشيخ الا أجابه ملتمسه، وخلال اعداد الطعام حدث شجار بين نساء الشيخ في دار جسون انتهى بتراشقهن بالاواني والادوات ، وحين جاء الشيخ للطعام لم يجده ، انما وجد باحة دار مضيفه مغطاة بركام صحونه وأوانيه وقد كان الشاعر محسن الخضري ضمن المدعوين فوقف على الفاجعة وآلمه احداثها كما آلمت الشيخ، فوقف راثياً الصحون المهشمة والصفر المفترد ومحرزة الشيخ بالمصيبين بقصيدة طريفة ضمنها بعض الالفاظ غير الفصيحة بداعي الهزل والنكتة، مطلعها :

معاشر الناس من عرب ومن عجم نصيحة فاسمعوا نصحي وتذكيري (٣)

وقد كانت طبقة الادباء هذه لا تجتمع في ناد الا خلقت فيه جواً من المرح والأدب الممتع ، ولا يلتقي بعضهم في شارع او سوق، الا دارت فيها المناظرات الأدبية والطرائف المضحكة، فمن بيت او ابيات مما يدل على حسب اصيل الهزل اضافة إلى كرة الذهن وسرعة البداهة، لكن مناسبات الولائم ومجالس الطعام كانت الاماكن الاكثر خصباً لانبات الطريف [illegible] [illegible] طارئ والازدهار لذلك حتى حتى دعوة الشاعر جعفر الحلي باحد الشيوخ في وليمة وكان

---

(١) احتوش : بمعنى أحاط .

(٢) سحر بابل — ص ٢٦٨—٢٧٠

(٣) انظر القصيدة في : نهضة العراق الأدبية ١٩٠—١٩٣ ، شعر العربي ٢٢٩/٧ .

الاول يعتم بالسواد والثاني بعمة بيضاء وعيونه المائلة للزرقة ووجهه المحمر، وعند حضورهم للمائدة مدّ الحلي يده إلى دجاجة كأنما يريد افتراسها، فابتدره الشيخ قائلاً :

وافاك قـــوم كالسيوف اكــفهـــــم   وقلـــوبهــم اقســى مـــن الجـلمــود

فرد عليه الحلي في الحال قائـــــلاً :

زرق العيـــون وجــوههـــم محمـــرة   بيض العمـــائم في الليـــالي الســـود (١)

وفي ميدان الطعام ايضاً تدور هذه النادرة حين دعا الشيخ احمد كاشف الغطاء صديقه الشيخ جواد الشبيبي لاكلة (هريسة) مع آخرين، ولكن المدعوين الآخرين تعمدوا ان يسبقوا الشبيبي في الحضور وتناولوا (الهريسه)، وحين حضر الشبيبي ولم يجد شيئاً، امتشاط غضباً، فحاول الشيخ احمد استرضاءه، ولكنه اشترط لرضاه ان يعوضه باكلة سمك يخصه بها وحده كما يقول :

بمن لذاتك بيتاً مــن عـــلا سمكــا   صيّر غداي غــداة الاربعـــا سمكـــا

وخصنـــي فيـــه فـــردا لا يشاركنـــي   سواك فالنفس تأبى الشرك والمشركا

امـــا اعتبرت بهـــم (يـــوم الهريسة) مذ   القــوا اناملهـــم مـــن فرقهـــا شركـــا (٢)

وقد عرفه الشاعر (جواد الشبيبي) «انه كان ... يرصد النكتة والنادرة ولطائفه قصص لازال القصاصون يتناقلونه لملاحته، وله الكثير من الشعر الذي يصوّر مداعباته مع اخوانه»(٣) ، وقد اجمعت المصادر على وصفه بالظرف والمرح، حتى قال فيه جعفر الخليلي : «ان نوادره الادبية ... من الكثرة بحيث تستوعب مجلدات لو تصدى لجمعها احد» (٤) ، وانه «كان يعطي الظرف والنكتة ما يعطي الجد من الاهتمام» (٥) ، كما قال فيه العلامة هبة الدين الشهرستاني : «وانني لم ار شيخا سن شريعة الفكاهة لاصحابه بلا قيد ولا شرط كالمذكور له» (٦) .

وكثيرة هي اقوال مترجمي الشبيبي الذين وصفوه بالمرح والدعابة والظرافة ودلّلوا فيها على مرحه، نذكر جانباً منها .

(١) الشبيبي الكبير — محمود [illegible] — مط النعمان — النجف ١٩٧٢ ص ١٢٧ .

(٢) الشبيبي الكبير — ص ٤٤ .

(٣) شعراء الغري — ٢/ [illegible] .

(٤) هكذا عرفتهم — جعفر الخليلي — مط الزهراء — بغداد ١٩٦٣ ، ص [illegible]

(٥) هكذا عرفتهم /٦٣ .

(٦) الشبيبي الكبير /١٢٨ .

فمن اطرف مداعباته مزاحه مع صديقه الشيخ جواد عليوي الذي تزوج وقد تجاوز الثمانين، فهنأه بهذه الابيات الهازلة :

حصانك من بعد الثمانين صاهل ... فمن ذا يجاريه ومن ذا يطاول
وسائلة ماذا تحاول نفسه ... فقلت لها فتح الحصون يحاول
فقالت: ابا لسيف الذي هو حامل ... وما سيفه في الروع الا حمائل
ومن عجب ان الصبا قبل لم تكن ... تعالجه بل عالجته الصيادل

وبعد ايام من زواج جواد عليوي ، تزوج ابراهيم اطيمش وكان هو الآخر شيخاً مسناً، فاغتنم جواد الشبيبي الفرصة ثانية وقال :

اتاك الصاهل الثاني ... عقيبَ الصاهل الاول
اردنا منه امهالاً ... على الوثبة فاستعجل

وحين تزوج الشيخ عبد المحمد زايد دهام على هذا النحو من الفارق بين الزوجين نظم الشبيبي ابياتاً أخرى على غرار الاولى افتتحها بقوله :

اتاك الصاهل الثالث ... ...

ولكنه حين اقدم المرجع الديني (السيد ابو الحسن) على ذلك النحو من الزواج انفجر الشبيبي ساخراً :

اتاك الصاهل الرابع ... فهنِّ الشرع والشارع
ثمانون لتشرين ... فاينَ (القدر الجامع)؟ (١)

والقدر الجامع هو من مصطلحات الفقهاء واهل العلم التي يبنون عليها تشريعاتهم. واذا عرفنا ان السيد ابا الحسن كان المرجع الديني الاعلى، ادركنا خطورة وجرأة الشيخ الشبيبي وشدة تعلقه بالنادرة حيثما صادفها .

لذلك كان الشبيبي مع ظرفه ومزاحه كان الكثير من الادباء يتحاشون التصدي له ، ويتهيبون مداعبته ويتجنبون مساجلته بالنكت والفكاهة لأنه كان سريع الرد قوي البديهة.

فمن ذلك ماذكر من ان احدهم قال له نابزاً : (انك ولدت سنة وفاة الشيخ مرتضى الانصاري) فعرف الشبيبي مقصده، فاجابه: نعم وانت ايضاً ولدته بنفس السنة، فرد

---

(١) هكذا عرفتهم /٦٩-٦٧ ، وانظر : شعراء الغري ١٨٨-١٨٧/٢ ، الأعيان ١٩٧/١٧-١٩٨ .

عليه الرجل بقوله: لا انا ولدتُ قبل ذلك باربع سنين، قال الشبيبي: صحيح تذكرت انك ولدت قبل ذلك باربع سنين، اذن فليؤرخ كل واحد منا عمره .

وكان صاحب الشيخ الشبيبي يريد ان يقول له ان تاريخ ولادته بحساب الجمل هو (ظهر الفساد) وهي سنة وفاة الشيخ الأنصاري، فاذا بتاريخ ولادة خصمه يكون (ظهر الفسا) بحذف الدال التي تمثل العدد (٤) بحساب التاريخ الشعري. وقد انتشرت هذه الطريقة وبقيت المجالس ترويها زمنا (١)

ومن مظاهر قوة الفكاهة والمزاح لدى النجفيين انهم كانوا يصطنعون الهزل والنكتة حتى في مجالس العزاء .

فمن ذلك أن مجموعة من الأدباء النجفيين اتفقوا على معاكسة السيد حيدر الحلي حين كان ينشد في تأبين السيد ميرزا جعفر القزويني المتوفى سنة ١٢٩٨هـ في النجف قصيدته البليغة التي القاها في محفل من أدباء النجف والحلة ، والتي مطلعها :

(قد خططنا للمعالي مضجعـــا ودفنا الدين والدنيا معـــاً)

فلم يستعد النجفيون منها بيتاً واحداً ليغضبوا السيد حيدر والحليين الذين كانوا معه وليجعلوا من ذلك مجالاً للتندر ، وقد اغتاظ الحليون فعلاً من ذلك الصمت المتعمد الثقيل إلى درجة لم يستطع معها الحليون والسيد حيدر سكوتاً ، فما ان أنهى قصيدته حتى غادروا الحفل غاضبين . وحين لحق بهم جماعة من النجفيين يسترضونهم ، صاح السيد حيدر بالشاعر محسن الخضري قائلاً : (اني لأرى في الحفل من يستحق العتاب سواك) فارتجل الخضري هذين البيتين :

يرثني بالعتب بين معاشر سمعوا وما حيٌّ سواي بسامع
أسمعتني وتقول مالك صامتاً وأنتني وتقول ما لك لا تعي (٢)

وإذا كان النجفيون يرصدون النكتة في مجالس العزاء — كما رأينا — فهي في مجالس الدرس أكثر وفرة، فتجدهم يقتنصون النادرة ويصيدون الطريفة حيثما عرضت لهم. ومن اجمل ما يساق في هذا الباب ما يتداوله طلاب الدرس النحوي حين كان السيد محمد سعيد الحبوبي يحاضر في طلابه عن بعض الادوات الداخلة على الفعل ومعانيها

(١) الأعيان ١٩٧/١٧ ، هكذا عرفتهم /٦٥ .
(٢) نهضة العراق الأدبية /٤٣-٤٤ ، شعراء الغري ٢١٧/٧ .

فاهتبل احد تلامذته الظرفاء هذه الفرصة السانحة وسأل استاذه قائلاً: ما حكم (قد) اذا دخلت على الفعل الماضي يا سماحة الاستاذ؟ فاجابه استاذه الحبوبي على الفور بقوله: (ما شربتها وجدتي) (١)، فاذا عرفنا ان التلميذ يقصد بذلك قول استاذه الحبوبي :

قـــد شربــت الــخمــر لكــن كلمــاك ... ما رأت عينـــي ولا ذاق فمـــي (٢)

ادركنا مبلغ ترصد النجفيين للنكتة والفكاهة التي تأصلت فيهم حتى في ساعة الدرس والجد والعمل .

ومن مظاهر الفكاهة ايضاً هذا الشعر الذي احتشد فيه الغزل والخمر والوصف باوزان راقصة وبحور خفيفة ومعان طريفة من قصائد وموشحات، والتي اشتهرت وحفظها اكثر الناس، لجمال لغتها وحسن معانيها، وخفة اوزانها، وليس لها من غرض سوى اشاعة روح المرح، واحياء مجالس الفرح

منها مثلاً قصيدة السيد رضا الهندي المشهورة بـ (الكوثرية) والتي منها :

امفلــج ثغـــرك ام جـــوهـــــر ... ورحيـــق رضابـــك ام ســكـــــر
قـــد قـــال لثغـــرك صانعـــــــه ... (انـــا اعطينـــاك الــكـــــوثــر)
والـــخـــال بخـــدك ام مــســـك ... نقّطــتَ بــه الــورد الاحــمـــــر
عجبـــاً مـــن جمـــرتـــه تزكـــو.. ... وبهـــا لا يحتـــرق العـــنبـــر
ان يبـــدُ لـــذي طـــرب غنـــى ... او لاح لـــذي نســـك كـــبّـــر
فــاجـــلُ الاقـــداح بصـــرفِ الـــراح ... عســـى الافـــراح بهـــا تُنشـــر (٣)

وقول الحبوبي في موشحة مشهورة له ، مطلعها :

لاتـدر لـي أيهـا الساقـي رحيـقـــا ... أنا من خمر الهوى لن استفيقـــا
ورشيـق القـــد قـــد ارشفنـــــي ... في مغاني لهوه خمراً ورتيقـــا (٤)

---

(١) من محاضرات المرحوم الدكتور البصير على طلبة كلية التربية ، وانظر : الموشحات العراقية ص ٢٠٧ .

(٢) ديوان الحبوبي /١٩١ .

(٣) والقصيدة طويلة انظر في الأعيان ٣٢/٨٥-٨٦ ط دمشق ١٩٤٩

(٤) ديوان الحبوبي — ص ٣٥٧

او قوله في هذا المطلع السلس من قصيدته المشهورة :

مالقلبي تهزه الاشواق   خبّرينا اهكذا العشاق
كل يوم لنا فؤاد مذاب   ودموع على الطلول تراق(٢)

ثم في موشحة محسن الخضري التي مطلعها :

لك نفسي أيها الساقي فدى   وجفنيك اذا ما هو ما
هاتها أعذب من قطر الندى   من لماك العذب ياعذب اللما (٣)

ولا نريد هنا أن نحصي كل مااشتهر من أدب الفكاهة النجفي عبر قرن خصب من الزمن ، فليس هذا الاحصاء مما يعني به البحث ولا هو بقادر عليه لكثرته ، انما حسبنا ماذكرنا من أمثلة دلت بوضوح تام على تلك النفوس الفكهة ، والارواح التي اتخذت من الهزل والمرح سبيلا ، طبعت به سلوك النجفيين وأحاديثهم في تلك الحقبة من التاريخ النجفي .

٢ــ الغزل وشعر الحب :

لقد احتل الغزل مكاناً واسعاً في الشعر النجفي ، وان الكثير من ذلك الغزل يحوي عواطف حقيقية ، وزفرات حارة ، والقسم الآخر ــ التقليدي منه ــ يحوي صوراً جميلة وخيالاً عذباً وأساليب طريفة ، مما يجعل قراءته ممتعة ، ودراسته مفيدة ، تصب كلها في (ظاهرة الفكاهة والغزل النجفي) ، مما يصور نوع الحياة الاجتماعية التي كان يحياها النجفيون في القرن التاسع عشر ، وأمامنا دواوين شعراء النجف فهي بالدرجة الأولى اسفار غزل ، وكتب في شعر الحب ، وسجل في العواطف والذكريات ، ومن أهمها دواوين كبار شعراء النجف كديوان الحبوبي ، وابراهيم الطباطبائي ، وجعفر الحلي وعباس ملا علي وموسى الطالقاني ومحسن الخضري وغيرهم .

---

(١) المصدر نفسه ــ ص ٣٠٢
وقد ذكر السيد حيدر الحلي في كتابه (العقد المفصل) : ان هذه القصيدة هي للشيخ محمد حسن كبة ــ العقد المفصل ١/٩١ ط الشابندر . بغداد ١٣٣١هـ ، وأرجح أنها فعلا للشيخ كبة وليست للحبوبي ، لان السيد حيدر معاصر للرجلين وترتبط بهما علاقة وثيقة ، فهو اعرف بشعرهما ، بخلاف الديوان الحبوبي الذي جمعت قصائده من مجاميع ومظان مختلفة.
(٢) شعراء الغري ٧/٢٢١

وطبيعي ان باحثاً يحاول أن يتحدث عن الغزل في النجف لايستطيع أن يتخطى أكبر شعرائها السيد محمد سعيد الحبوبي – صاحب الموشحات الغزلية الشهيرة – يقف أمامه في المقدمة . ونحن هنا لانستطيع أن نعرض لكل ذلك الحشد من غزل الحبوبي ، فهو كثير جداً لايسعه هذا البحث ، الا أن الراغب يستطيع أن يطالع القصائد والموشحات الكثيرة التي زخر بها الديوان في طبعتيه ، الا أن ذلك لا يمنع من أن أبسط أمام القاريء بعضاً من غزله لتتضح أمامنا روح الغزل التي أستحوذت على حياة هذا الشاعر في شبابه .

لا آتي بجديد اذا قلت أن الحبوبي أفضل وشاح عراقي في القرن التاسع عشر فقد أكد هذا العديد من الباحثين (١) قبلي ، الا أن مايهمنا من موشحاته وقصائده ، هو الروح الغزلية التي اكتنفها ، بل وأبانت عن أشواق حقيقية وعواطف صادقة ،وذكريات واقعية لايستطيع الشك أن يسري في أعصابها ، ويتضح هذا اذا تصفحنا ديوانه ، وبالرغم من أن كل من درس الحبوبي عرض لمسألة صدق عاطفته في موشحاته وغزله او افتعالها الا أن أختلافاً كبيراً وقع بين الباحثين في هذه المسألة (٢) ، كان السيد الحبوبي نفسه يد فيها عندما قال في احدى موشحاته :

---

(١) وقد فضل الدكتور البصير اربعاً من موشحاته على كل ماانتجه الوشاحون القدماء ، ومن بينهم لسان الدين بن الخطيب ، وابن زمرك الأندلسي ، وابن سناء الملك المصري صاحب (دار الطراز) ، وصفي الدين الحلي .

انظر : نهضة العراق الأدبية ، ص ٢١

وقال الدكتور رضا القريشي : أن الحبوبي قد بز الوشاحين العراقيين جميعاً ، وبلغ مالم يبلغه وشاح قبله باستثناء أحمد بن حسن الموصلي ، وصفي الدين الحلي .

الموشحات العراقية ، ص ٢٠٣

(٢) فقد تردد مثلا الدكتور البصير في هذه المسألة ، فمرة قال انه لا يستطيع أن يكذب الحبوبي في ادعائه عدم الحب ، ويحكم بصدق تجربته الشعرية – (نهضة العراق الأدبية /٢٢-٢٤) .
ومرة أخرى قال بعد تحليل احدى موشحاته : انني أكاد أجزم بأن هذه ليست سوى مقدمة خلص منها الشاعر إلى سرد حادثة غرام حقيقية .

(الموشح في الأندلس وفي المشرق /٥٥،٩٦ مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٨) .

أما الدكتور رضا القريشي فانه يرى ان الحبوبي كان عفيفاً حاكى في موشحاته شعراء الغزل العذري ، الموشحات العراقية ، ص /٢٠٦

في حين حكم كل من الاستاذ ابراهيم الوائلي والدكتور يوسف عز الدين بصدق عواطفه وانها تعبير عن تجارب حقيقية . (انظر : مجلة الرسالة (المصرية) السنة/١٩ ديسمبر ١٩٤٩ ص ١٧٥٢ ، الشعر العراقي : في القرن التاسع عشر ، ص ١٦٨

لاتخل ويلك من يسمع يخـــل أنني بألواح مشغوف الفؤاد
أو بمهضوم الحشا ساهي المقل أخجلت قامته سمر الصعاد
أو بربات خدور وكلل يتغنن بقرب وبعاد
ان لي من شرفي بردا ضفا هو من دون الهوى مرتهني
غير اني رمت نهج الظرفا عفة النفس وفق الالسن (١)

لكني أزعم أن الحبوبي عبّر في الكثير من أشعاره عن ذكريات حقيقية مرّت به في عهد شبابه . وما اريد أن أكذّب الرجل في أقواله ، لكني لاأرى تناقضاً بين ماأزعمه من صدق عواطف الحبوبي وذكرياته في شعره — مما سيأتي بيانه — وبين ماذكره من (عفة النفس) ، فالشاعر لم يكن مشغوفاً بالنساء حقاً — حين قال موشحته هذه في التهنئة بعد أن جاز به عهد الشباب ، وبدأ عهد الدرس والبحث ، ولكن ماذا عن ذكرياته في نجد عندما كان يافعاً ؟ (٢)

صحيح اننا لا نعرف عن هذه المرحلة من حياة الحبوبي اشياء ذات بال لها صلة بحياته العاطفية سوى سفره إلى نجد ابان شبابه ، الا اننا نبقى نتساءل عن السبب الذي ابقى الرجل يلهج بذكرياته في نجد طيلة حياته الشعرية (٣) ، بل انه حدثنا غير مرة احاديث صريحة عن مغامرات غرامية وقعت له هناك ، مما لا يستطيع معه الباحث غير الحكم بان الرجل كان صاحب ذكريات حقيقية تهفو اليها نفسه كلما اهاجه شوق اوضمه مجلس أنس . على اني هنا لست في صدد الخوض في مسألة غرام الحبوبي ، ولا يهمني كثيراً صدق عاطفته او انتحالها بقدر ما يهمني توكيد روح الغزل والمرح التي طفحت بها اشعاره .

فهذه واحدة من موشحاته يسرد لنا فيها الشاعر بكل وضوح وصراحة مغامرة غرامية جرت له مع واحدة من ذكرياته هناك، حين صادف ان تحدث مع مجموعة فتيات كان له بينهن واحدة عرف بحبها ، الا انها كانت تمتنع عن مواصلته، لانه شبب بها ، واذاع سرها، فافتضح امرها ، فاغتاظت منه وآلت الا تحدثه او تقابله بعد، لكن الفتيات صرن يسترضينها وهي تأبى، ويناشدنها وهي ترفض، حتى لانت ، وضربت له موعداً في (ذي

---

(١) ديوان الحبوبي ، ص ١٩٦

(٢) جاء في مقدمة ديوانه في الطبعة الثانية ص ٢٥-٢٧ انه سافر إلى نجد في شبابه حيث كانت أسرته تشتغل بالتجارة .

(٣) أنظر أثر نجد في نفس الحبوبي وفي شعره في الديوان /٧٢-٧٣ ط٢

سلم) ثم وفت الحبيبة فأتته ليلا حين اسدل الليل ستوره فحجب العاشقين عن اعين الوشاة فنعموا بليلة وصال هانئة.

الاتدل مثل هذه القصة المحبوكة ، وما فيها نفثات حارة اطلقها الشاعر خلالها على عواطف صادقة وذكريات حقيقية. ولو افترضنا جدلاً انها ليست كذلك ، الا يدل ابتداعها — على الأقل على روح المرح والغزل لدى هذا الشاعر النجفي ؟ .

ولنسمع جانباً من تلك المحاورة الغرامية التي عاشها الشاعر لنستشف العاطفة وتلك الروح الغنائية فيها. وهي طويلة يمكن قراءتها كاملة في الديوان :

لي فيهن غزال ربرب
ليس لي غير هواه مذهب
لا ولا عن داره منقلب

فانا اتلمح ما ان اتلمحا   واذا ابطح اوطنت البطاح
فلكم ازمعت لما ازمعا   وارحت العيس لما ان اراح

قلن لي : عالك يا بادي الشجن
ذلك الصب (العراقي) الوطن
مولع القلب بتسآل الدمن

لست تنفك تحيي الاربعا   ولكم عجت ضحى في سفح ضاح
قلت : هل تنكرن صبا مولعا   بذوات الاعين المرضى الصحاح

* * *

قلن يا (اسم) امنحيه الغزلا
وصليه فهو من خير الملا
فانثنت كبرا وقالت لا ولا
فانثنت كبرا وقالت لا ولا

كان لي سرّ لديه مودعا   ضمن الكتمان فيه ثم باح
ولقد شبب بي حتى سعى   بي في سر التصابي لافتضاح

* * *

ثـم قـد ناشدنـهـــا بالـذمـم
وتلطفـــن بطيـــب الـكـلـم
قالـــن لـي : (المرعد) في ذي سلم)

فـانتظـر حارسـهـا ان يهجـعـا   ورعـاة الحـي ان تأتـي المـراح
وهـزيع الليــل ان ينهـزعـا   وتهيـجُ الـروضَ انفاسُ الـرياح

* * *

فـاتت تـرسل رخـماً ذا غُدُر
مـا حيـا ما سحبتـه مـن أثـر
رهي نجـم بـل هـلال بل قمر

بـل هـي الشمس اضاءتْ مطلعـا   وبـدت والليـل منشور الـجنـاح
ولقـد بتنـا نُريـب المضجعـا   بيننـا ستـر عفـاف ووشـاح (١)

ان هذا الرجل ان كان قد سار في هذه الموشحة على نهج عمـر بن ابي ربيعة في حكاياته وقصصه، وقلّده في أسلوبه ، الا اني لا اراه الا مسطراً صفحة حقيقية من ذكرياته فيها .

واذا هام الحبوبي بفتاة بدوية من نجد ، فان الكثير من شعراء النجف هاموا بالجمال السافر ، فما ان يحط شاعر نجفي ببغداد ويرى المرأة البغدادية المتحضرة السافرة الوجه والقوام، حتى تجن اشواقه ، وتلتهب مشاعره، فيصفه وصفا يدل على تأثر شديد بمنظر المرأة السافرة وكلف بالغ بجمالها واعجاب بمفاتنها،وهذا عائـد إلى ما في نفوس النجفيين من تعلق بالحسن وحب للجمال ، ثم إلى حرمانهم من رؤية المرأة سافرة في النجف .

فهذا الشاعر جعفر الشرقي الذي عرف بخفة طبعه ينم عنه كلفه الشديد بالجمال المسيحي السافر الذي رآه في بغداد، فيقول :

في الحصار النصارى   نزلت في الكرخ دارا
وظباء في كناس   ما تناهين نفارا
بي غزلان جآذر   هي كالمياه غزارا
قلت اذ نالت نفاري   [illegible]
[illegible]   كل [illegible] صاغ السوارا

(١) ديوان الحبوبي /٢٣٧-٢٤١

انت يا آيه عيسى بك اصبحنا نصارى
اين خالك قالت غاص في الساق وغارا (١)

ويظل جعفر الشرقي يتذكر بغداد ونساءها ، ويبقى متعلقاً بهن ينوح كلما ذكرهن، ويبدو ان الرجل يجد ضالته في نساء كناس الكرخ فهن اوضح سفوراً واقرب منالا ، قال:

اعد لي في صباحي من صبوح بدجلة انها ذهبت بروحي
لقد ذهبت كناس الكرخ عنا فيا نفسي عليها الدهر نوحي (٢)

كما يهيم (جواد الشبيبي) بفتاة مسيحية شاهدها ببغداد في احدى سفراته (٣)

اما السيد الحبوبي فيهيم بغزال الكرخ هيامه بغزال نجد حين يزور بغداد كعادته نازلاً عند اصدقائه من وجهائها من ال كبة وغيرهم ، ولكن الرجل يريد ان يستكمل عدة السرور ودواعي الانس، فلا يقبل بغزال الكرخ الا ان يحضر الكأس معه :

يا غزال الكرخ واوجدي عليك كاد سري فيك ان ينهتكا
هذه الصهباء والكأس لديك وغرامي في هواك احتنكا
فاسقني كأساً وخذ كأساً اليك فلذيذ العيش ان نشتركا (٤)

اما الشاعر ابراهيم الطباطبائي فهو يهيم بالحسن حيث وجده، ويتوق اليه حيثما رآه ويهفو اليه حيث تراءى له في طلعة ولد صغير، او في اشراقة الشمس، او في وجه فتاة تتلفع بعباءتها ولا يظهر الا وجهها، وقد علاها الخفر والحياء، او مفاتن فتاة سافرة في بغداد حيث يميل قلبه مع ميلان قدّها المياس. وكثيرون هم الذين سلبوا لب الطباطبائي وسحروا قلبه، ومن يتصفح ديوانه يجد ان احدهم يدعى (محمدا) وهو فتى وسيم غض الشباب سمح الوجه، وهذا آخر يدعى (عباساً) لكنه مقطب الوجه، وهذا فتى فارسي شيق القوام انق الشكل، وهكذا يجري وراء الحسن اينما سار، وتتقد فيه الاشواق اينما صادفه، فهو يتعبد في محرابه حيث ترجه، وهو بهذا يشبه عمر بن ابي ربيعة في حبه الملاحة وافتتانه بالجمال وهيامه بالحسن، فكلاهما صب للجمال مفتن به يتبعه اينما رآه،

---

(١) الاعيان ١٩/٢١٨–٢١٩ ، نهضة العراق الأدبية ٢٨٠–٢٨١
(٢) الاعيان ١٩/٢١٧
(٣) أنظر القصيدة في : الشبيبي الكبير ٣٠٦–٣٠٧
(٤) ديوان الحبوبي ١٨٩–١٩٠

وكلاهما عفيف الغزل نظيف النفس، وكلاهما نشأ من اسرة ذات نسب وحسب، وحظ من المجد والشرف، وكلاهما كان ينشد الجمال في الانثى او في الذكر (١)

لقد تحدث الطباطبائي كسابقه ابن ابي ربيعة (٢) عن المرأة، فعرض لجمالها وزينتها، وعرض لمواقع دلّها، فكان يجري وراء ماهو فاتن، ويتحين له الفرصة، وان ديوانه ليثبت ذلك، فهو سفر غرام وكتاب في شعر الغزل، وما استطيع هنا ان اعرض لكل اشارة في الغزل لكثرتها، فديوانه المطبوع يضم ثمانين قصيدة غزل من مجموع مائتين واثنتين وعشرين قصيدة لمجموع الاغراض، وطبعي اننا لا نحفل بالكثرة وحدها ما لم تكن ذات نفس شعري وعاطفة جياشة وصور طريفة، واني لقادر ان اسوق امثلة كثيرة من قصائد الديوان التي تتوفر فيها العاطفة والصورة (٣)، الا انني لغرض الاختصار ساجتزىء ببعض الابيات من قصيدتين [illegible] من صميم شعر الغرام، الا انهما طريفتان في بابهما، لان فيهما دلالة على الروح المرحة التي وُجدت في النجفيين .

اولى القصيدتين يتغزل فيها الشاعر بأبنه، ولكن فيها من صدق الشعور وجمال الصورة وحسن التعليل مااننا لو حذفنا منها الاشارة إلى انهما في ابنه ، لكانت تمثل شعراً غزلاً نفيساً ، واسلوباً عالياً منه . قال :

من لي بضم رشيق قـــدك ... وبلثم ورد رياض خـــدك
انـــي اذا هـــبّ النسيـــم ... نسيـــم رودك [illegible]
والقابـــل الريـــح القبـــول ... تمر عابقـــة بجعـــدك
أصبـــر اذا سرت الصبـــا ... حمّالة نغمـــات رنـــدك

---

(١) جاء في (الأغاني) : كان عمر بن أبي ربيعة يساير عروة بن الزبير ويحادثه فقال له : واين زين المواكب — وكان ذلك محلاً المح — يعني ابنه محمد بن عروة ، وكان يسمى كذلك لجماله ، فقال عروة : هو أمامك ، فركض يطلبه ، فقال له عروة : ياابا الخطاب : اولسنا اكفاء كراماً لمحادثتك ومسايرتك ، فقال : بلى بأبي انت وامي ، ولكني مغرى بهذا الجمال اتبعه حيث كان ، ثم التفت اليه ، وقال :

اني امرؤ مولع بالحسن اتبعـــه ... لاحظ لي فيه الا لـــذة النظـــر

الغزل عند العرب — حسان أبو رحاب — ص ١٧٨ عن الأغاني ١/٦٤

(٢) انظر عن عمر بن ابي ربيعة ، ونشأته ونبوغه وغزله :

الغزل عند العرب — حسان أبو رحاب ، ص ١٧٧—١٨٧

(٣) ينظر منها مثلا في ديوانه ص ١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ٢١٠ ، ٢٢٦

وأعود ارقب عودها متأرّجاً من عود سدك
قسماً بقدك والتي قسماً بقدك صادقاً
ما خنت عهدك في الهوى لا والهوى وقديم عهدك
صب السوب كعاطش حلاّته عن عذب وردك
فارفق لرق عاشق . متعلق برقيق بردك
لاتبعدن فعبرتي . تجري عليك بطول بعدك (١)

أما القصيدة الثانية فتقليدية الغزل ، الا أنها طريفة المعاني جميلة التركيب مهموسة القافية ، مهزوجة الوزن ، تدل على ظرف كثير وفكاهة مستملحة :

قال متغزلاً :

بعيسى صرتُ قسيساً وعفتُ الغمّدَ العيسا
عصينا اللّه في صنم اطعنا فيه ابليسا
اذا مااختال بالدلّ نقول اختال طاووساً
وان ارسل جعديه ركبنا الليل تغليسا
فيادبياجه الخد تلونك قراطيسا
أجلنا ثَمّ خيل الدمع في النحر كراديسا
تركنا لك مأكولاً ومشروباً وملبوساً
لاقطعناك تفليساً وما تفليس بل طوسا
ولو تصلح باريس لقلدناك باريسا

ثم يقول :

فيا عاقد ذا الزنار لم ترجه تنفيسا
فقم رقص لنا القرط على الوفرة تنكيسا
وضاحكنا على المزل ودع في الجد تعبيسا
لانت الراح بل والروح بل والروح بل عيسى (٢)

صحيح اننا لانلحظ في هذه الأبيات عاطفة غرام مستعرة ، الا اننا بالتأكيد نبتسم ونحن نقرؤها ، ونشارك الشاعر روح المرح والهزل والدعابة التي ساقها في هذه الابيات .

---

(١) ديوان الطباطبائي /٧٣-٧٤
(٢) ديوان الطباطبائي /١٤٤-١٤٥

مما يدل على خفة طبعه ولطف اريحيته ، وبالتالي فالقصيدتان وان لم تكونا من صميم شعر الحب ، الا أن فيهما من الطرافة وجمال الصورة ، مايؤكد نضوج شعر الهزل والغزل في النجف وانتشار روح الدعابة والظرف والفكاهة فيها —.

أما الشاعر جعفر الحلي فهو يرسم صورة طريفة للحبيبة المواتية التي ترهقها عين الرقيب وهي تتسلل عند الغلس إلى حبيبها بهذه الأبيات التي تتسم بلطف النغم وجمال الوقع ورقة الجرس . قال :

بالغلس انسلت إلى حبيبها ... تخطو وعيناها إلى رقيبها
ساحبة الابراد في مرابع ... ارجاؤها تضوعت بطيبها
مرت بها ريح الشمال فاغتدت ... تحمل طيب المسك في جفونها
فرشت احشائي لها لكنني ... خشيت أن تضجر من لهيبها (١)

اية صورة جميلة هذه في البيت الأول ، وأي خيال مرهف صاغها ، وهو يرصد الفتاة العاشقة التي تخطو بحذر مشوب بقلق وخوف متسللة تحت جنح الظلام لتوافي الحبيب وأي تجديد في الصورة عندما تكون الفتاة هي المتلهفة حتى تجازف بالمجيء رغم العيون والارصاد .

تلك كانت الحبيبة النجفية التي أطاعت حبيبها وبرّت بوعدها . لكن نساء السماوة لسن كذلك ، فقد فتكن بجعفر الحلي ، وسلّت سيوف لحاظها عليه دون رحمة ، فجأر بالشكوى يطلب الحماية والامان من اهل السماوة :

ايا اهل السماوة خبروني ... اما فيكم فتى يأوي المخوفا
فتلك ظباؤكم من غير ذنب ... عليّ لحاظها سلّت سيوفا
وما كنا من العشاق حتى ... نزلنا في بلادكم ضيوفا (٢)

وشكا الشعراء ألم الحب ومرارة الحرمان ، وكان اكثر مايثقل عليهم لوم الذين لم يعرفوا الهوى ولم يكتووا بنار الوجد ولكن (ويل للشجيّ من الخلي) كما يقول المثل ، لذلك شكا جعفر الحلي اولئك اللوام والمنافقين الذين لم يذوقوا طعم الحب ، ولم يعرفوا حلاوته ، قال : .

---

(١) سحر بابل /٧٦

(٢) ديوان (سحر بابل / ٣٠٩)

يظن المعافى ان داء الهوى سهل فهان عليه قوله لم لا تسلو
ومن جوابه بالحب بات بصحة وكم صحة للمرء سببها الجهل
خليون ماغصت بيين لهاتهم ولا حجبتْ عنهم سعاد ولا جُمل
ولو عرفوا مافي الثغور لايقنوا بأنْ ليس علّ في سراها ولا نهل
ولو رفرفت تلك الجعود عليهم لهيمهم ذيّالك الشعر الجثل
فمن منصفي من طفلة عامرية تعلقت في اشواكها وانا طفل(١)

أما السيد موسى الطالقاني الذي ذكر عنه انه ((كان عالماً فاضلاً ... الا انه حصر نظمه بالغزل والتشبيب))(٢) ، فان قلبه يجري وراء الملاح ، لكنه لايعود الا مثخناً بالجراح كما يقول :

ياقلب حتى مَ وراء الملاح تصفق من وجدك راحاً براح
كم راعك الهجر وكم جئتني من مرهف الاجفان تشكو الجراح
جد الهوى ياقلب فاجزع به كاس حمام مابها من مزاح (٣)

لكن الشاعر (حسين الدجيلي ١٢٤٨ — ١٣٠٩هـ) ينعم بليلة وصال هانئة عندما تزوره حبيبته تحت جنح الظلام ، فيرقص قلبه فرحاً ، حتى يلثم موقع خطوها، ثم يضمها ويلثمها بعنف حتى يقطع عقدها وينثر لآلئه ، لنسمعه يقول :

زارت وقد ملأ الدلال ثيابها عذراء احسن مارأيت شبابها
من بعد ماهجر الركاب واطفئت نار السمير واغفلت رقابها
مذعورة حذر الرقيب كأنها نظرت حبائل قانص فأرابها
فلثمت موطيء خطوها ولو انني انصفتها حباً سففت ترابها
وضممتها حتى نثرت عقودها ولثمتها حتى انطت نقابها (٤)

يخيل الي ان في الأبيات تجربة حقيقية ، لأن الشاعر يصف اسلوب تسلل الحبيبة اليه بوضوح وتسلسل ودقة ، ثم في حذرة الاشراق واتقادها وفي فرحته العارمة بوصالها ولقائها حتى كاد أن يلثم موطيء اقدامها ، بل هو بالفعل لثم موطيء خطوها ، ثم وصف مادار بينهما من وصال .

(١) المصدر نفسه / ٣٦٦
(٢) الحصون المنيعة — مخطوط— مجلد٢ ص٢٥١ الشيخ علي كاشف الغطاء
(٣) ديوان الطالقاني /١٢١
(٤) شعراء الغري ١٩٥/٣

اذن ماذا يمنعنا ان نزعم ان هذه تجربة حقيقية ؟ ولماذا نغالي في الشك بتجارب الشعراء العاطفية وهم يتحدثون عن انفسهم بصراحة، ويفصحون عن تجاربهم ؟ ، اننا نظلمهم ظلماً فاحشاً اذا قلنا انهم لم تكن لهم قلوب تعشق او أفئدة تهوى أو تجارب في الحب والغرام ، واذا تعذر هذا الحب العذري الطاهر العفيف ، فلا اقل من علائق عارضة يمكن ان تحصل بين رجل وامرأة في كل زمان ومكان . ستقول : ولكنه حسي مادي، فأقول : ومن ذا يدعي انهم كانوا ملائكة ؟ او ليس الغزل العربي في أكثره حسياً مادياً ؟ ثم لو افترضنا ان كل مانسجه شعراء النجف في تلك الحقبة ، من اشعار الحب والغزل ان هو الا من وحي الخيال ونسيج الحرمان ، لأن المرأة لم تكن متوفرة والحجاب كثيف أقول : لو افترضنا ذلك ، فلا اقل من أن يعبر هذا الشعر الكثير في المرأة عن أماني الشعراء في امتلاك الحبيبة، ومطارحتها الغرام ، بعد أن قسا الواقع وضرب الحرمان اطنابه على عواطفهم ، فاذا ماافتقدوا المرأة في الواقع ، استحضروها في الخيال ، وتمتعوا بها في الاحلام ، فصاروا يتغنون بالوجه المشرق والجسد الدافيء والقوام المكتنز ، وصاروا يصفون مواعيد غرامية ولقاءآت ليلية ، فطغت الحسية في الكثير من أشعارهم وهذا طبيعي لأن الغزل المعنوي والحب الذي يسمو بالشعر إلى عالم الخيال قليل الوجود في تلك الحقبة في حقلي الشعر والحياة ، وحين افتقدت العلاقة الموضوعية بين الرجل والمرأة شكلها الانساني ، هام كل منهما بعالم الآخر واشكاله دون روحه وعواطفه ، على اني هنا حين أقول أن الشعر النجفي كان مادياً حسياً في أغلبه ، أرجو الا يفهم انه افتقد العاطفة الحقيقة افتقاداً تاماً ، وخلا من الصدق خلواً كاملاً ، فقد سبق ان ذكرت ان في الشعر النجفي حظاً لابأس به من العواطف الصادقة ، وان لبعض الشعراء ذكريات عميقة الجذور في نفوسهم ، بقوا يلهجون بها طول حياتهم الشعرية ، ولعل في حديثي عن (الشاعر العاشق) (١) عباس ملا علي النجفي الذي سأختم به الكلام على الغزل في النجف مايؤيد صحة زعمي وافتراضي هذا .

---

(١) (الشاعر العاشق) هو اللقب الذي اطلقه عليه الدكتور البصير – نهضة العراق/٢٠٢

عُرف الشاعر عباس ملا علي بغزله الرقيق ، بل اشتهر بقصة حب حقيقية أكدتها كل المصادر التي كتبت عنه (١) ، فقد أحب هذا الشاعر ابنة استاذه (٢) واشتهرت قصة حبه بين الناس ، وما زال المعمرون من شيوخ النجف يؤكدونها حتى اليوم نقلاً عن آبائهم (٣) .

ولو تركنا روايات المصادر والأخبار ، ورجعنا إلى ديوانه مفترضين انه ليس بيننا وبين هذا الشاعر معرفة سابقة غير شعر الديوان ، لوجدنا ان الرجل يعبر عن حبه واشواقه بعبارة صريحة . لنسمعه يتململ ويعترف في نفثات حارة ، ويذكر مايعانيه من ألم في مداراة هواه وكتمانه ، فيقول :

إلى مَ تسر وجدك وهو بـــادٍ   وتلهج بالسلو وأنت صب
وتخشى فرط حبك خوف واش   .وهل يخفى لاهل الحب حب
ولولا الحب لم تك مستهاماً   على خديك للعبرات سكب
تحن لها وان لحت السواحي   وتذكرها وان غضبوا تصبو (٤)

وفي قصيدة أخرى يتضرع الحبيبة أن تتعطف عليه وتعوده ، بعد أن انقطعت عنه وصدت ، فصار طريح الفراش ، قال :

ماالذي ضرك لو عدت فتى   عدَّ ايام الصبا يامي عديدا
وتعطفت على ذي أرق   لم تذق بعدك عيناه الهجودا
دل لأيام النوى أن تنقضي   ولأيام تقضت أن تعودا
شدَّ ماكابدت من يوم النوى   انه كان على القلب شديدا
لم يدع بينكم لي جلداً   ولقد كنت على الدهر جليدا (٥)

---

(١) من تلك المصادر مثلا : كنز الاديب — احمد بن الشيخ درويش (مخطوط) مجلد / ٥ غير مرقم، العراقيات — احمد رضا الزين ١/١٥١، نهضة العراق الأدبية ص ٣٢–٥٥ ، الأعيان ٣٧/٤٠ ط ١

(٢) ان استاذه هو السيد حسين بحر العلوم والد الشاعر ابراهيم الطباطبائي ال بحر العلوم . وكان استاذه السيد حسين قد اقترن بشقيقة الشاعر .

(٣) من شيوخ النجف الذين أكدوا لي القصة : السيد محمد صادق بحر العلوم) وهو حفيد الشاعر ابراهيم الطباطبائي . وقد ايد لي السيد محمد صادق في مقابلة لي معه في داره في النجف بتاريخ ١٩٧٤/٢/٢٠ ان الحكاية صحيحة وان ابنة الاستاذ المعشوقة هي (أخت جده) .

(٤) ديوان عباس ملا علي النجفي /٢٧ المط العلمية — نجف ١٩٥٦

(٥) المصدر نفسه /٢٤–٢٥

وحين تصرّ المحشوقة على الصدود والهجر ، يسوء حال الشاعر المتيّم ، وتضعف قواه على الاحتمال ، فيميل إلى التضرع والتوسل ، ويتمنى حتى لقاء طيفها بعد أن عزّ لقاء شخصها ، علّه يطفيء مااستعر من اواره ، قال :

اهل ودي هل يسمح الدهر يوماً ... بلقاكم وتسعف الأيـــــام
عللونا ولو بطيف خيـال ... علّ يطفي بين الضلوع اوام
قد سئمنا من الحياة وملّت ... لنواكم ارواحها الاجسام (١)

ولا أستطيع أن أختم الحديث عن هذا الشاعر العاشق قبل أن أثبت له بعض الأبيات من قصيدته التي اشتهر بها ، وخاطب فيها حبيبته ، وسطر كل مايعانيه من ألم ويكابده من شوق، وما ينقله الوشاة من اراجيف ، ثم يعاتبها على القطيعة دون ذنب جناه ، والتي يبدو انه خاطبها بها وهو على فراش المرض الذي ادى الى وفاته عشقاً — كما قيل (٢) — انها رسالة (كشف الحساب) التي يضطر المحبون لارسالها حين تعجز كل الوسائل ، وتتقطع الحيل ، وتضيق الحياة ، لنسمعه يخاطبها بهذا النغم الحزين والعتاب الباكي ، فيقول :

عديني وامطلي وعدي عديني ... وديني بالصبابة فهي ديني
سلي شهب الكواكب عن سهادي ... وعن عدّ الكواكب فاسأليني
صلي دنفاً بحبك اوتنتنيه ... نوائي على شفا جرف المنون
اما وهوى ملكت به قيادي ... وليس وراء ذلك من يمين
لانتِ اعزّ من نفسي عليها ... ولست ارى لنفسي من قرين
اما لنواكم امد فيقضي ... اذا لم تقض عندكم ديوني
وكنت اظن ان لكم وفاءً ... لقد خابت لعمر ابي ظنوني
هبوني ان لي ذنباً ومالي ... سوى كلفي بكم ذنب هبوني
الست بكم اكابد كل ذل ... وأحمل في هواكم كل هون
اصون هواكم والدمع يبدي ... دماً فيبوح بالسر المصون

(١) المصدر نفسه /٢١

(٢) جاء في العراقيات (١/١٥١ — ط العرفان صيدا ١٣٣١هـ) : (ان التلميذ حين احب ابنة استاذه طلبها منه ، فأبى الاستاذ ان يتنازل إلى مصاهرة غير كفء ، وملك شعر التلميذ بيأسه ساءت حاله ، حتى أصبح قصيد داره مما يجده ، فمات — رحمه الله — شهيد المحبة وصريع الغرام) .

وتعذلني العواذل ان تراني | اكفكف عارض الدمع الهتون
اعاذلني دعي عذلي وذوقي | بهم ماذقته ثم اعذليني
اذا ماعنّ ذكركم عليه | يكاد يغص بالماء المعين
بنفسي من رفيت لها وخانت | وأين أخو الوفاء من الخؤون (١)

٣ — شعر الخمر والغزل بالغلمان :

شعر الخمر والغزل بالغلمان غرضان آخران كثرا في النجف في القرن التاسع عشر . وانما جعلناهما في موضع واحد، بسبب ان كليهما تقليديان لا يدلان الا على انهما مظهران من مظاهر ذلك الفراغ ، والرغبة في تزجية الوقت ، وان اياً منهما لا يحتوي على عواطف حقيقية او تجارب صادقة .

آ — شعر الخمر :

من المظاهر الأخرى التي دلت على روح الفكاهة والظرف كثرة قصائد الخمر (٢) التي شاعت في الشعر النجفي، ووصف مجالسها واشكالها ، ووصف مذاقها وآثارها ، والتغني بها رغم ما عُرفت به النجف من قداسة ودين .

فحين شعر الناس بالفراغ ، واتجهوا إلى اللهو ، واتسعت مجالسهم ودواوينهم ، احتاجوا إلى ما يلهيهم ويشغل اوقاتهم المملة ، فاصطنعوا مجالس الخمر واحاديث السقاة والندمان .

لقد ندرت في النجف القصائد التي تعالج موضوع الخمر معالجة مستقلة ، وهي لم تأت الا تقليدا او محاكاة ، فقد ندر من الشعراء من عاقرها حقيقة ، ولكنهم حضروا بعض مجالسها، او حاموا حولها ، وقرأوا عنها في شعر السابقين ، وعرفوا اخبارها وآثارها، فنظموها كؤوساً وسقاة ومساحب ومقاصف وخمارين ومجالس ومذاقاً ، وقد جاء وصف الخمر على الأغلب في صدر قصائد التهنئة والمديح ، الا ان تلك المقدمات الخمرية صيغت بأسلوب رشيق وخيال عذب ومعان طريفة ، وما خمريات الشاعر الحبوبي مثلاً واجادته في اكثرها بالجديد الذي اذيعه بين الناس .

(١) ديوان عباس ملا علي / ١٨—١٩

(٢) شعر الخمر غرض قديم في الأدب العربي ، عرف منذ العصر الجاهلي ، وبقي تياراً قوياً في كل العصور ، واتسع في العصر العباسي لرقي الحضارة ورقة الحياة .
انظر : تطور الخمريات في الشعر العربي — د . جميل سعيد /٢٨ وما بعدها طبعة مصر ١٩٤٥ .

ولن استطيع هنا ان اسوق نماذج كثيرة من شعر الخمر التي زخرت بها دواوين الشعر النجفي في تلك الحقبة لكثرتها وتنوعها ، الا انني لغرض تبيان روح الظارف والفكاهة ساحاول ان اجتزىء بعضاً منها، مما حوى طرافة معنى ، ولطف اسلوب وحسن تصوير وجمال لغة، وخفة ايقاع .

ولا استطيع ان ابدأ بغير الحبوبي صاحب القصائد والموشحات الخمرية الشهيرة، الذي شهد له بالاجادة في هذا الفن جمهرة من الباحثين (١) . فمن قصائده الجميلة التي حوت حسن تصوير وطرافة معنى قوله :

شمس الحميا تجلت في يد الساقي   فشع ضوء سناها بين آفاقي
سترتها بفمي كي لا تنم بنا   فأججت شعلة ما بين آماقي
تشدو أباريقها بالسكب مفصحة   بشرى السليم فهذي رقيه الراقي (٢)

ومنه قوله في مرشحته الشهيرة التي مطلعها :

بي يا ساقي الطلا ابدأ اولا   ربي اختم دورها من قرقف
البست خديك منها شعلاً   تسلب الليل رواء السدف

ومنها قوله :

كن لدى حبوتها متنبهاً   فهل تكييفها طال الحجاج
اهي بالكأس ام الكأس بها   اذ بدت صرفاً فاخفاها المزاج
فهما شيء بدا مشتبهاً   ام هما شيئان خمر وزجاج
لا الطلا كأس ولا كأس طلاً   عزب الامر على المعتسف
ولها ان شئت فاضرب مثلاً   وحدة الموصوف مع المتصف

إلى آخر هذه الموشحة الخمرية النفيسة الطويلة التي يمكن مراجعتها في الديوان (٣)

يقيناً ان الحبوبي لم يشرب الخمر، استنتاجاً من سيرته وحياته وتراجمه الا انه لا يستبعد انه حضر بعض مجالسها عندما كان شاباً، ورأى شكلها وعرف اوصافها، ووقف على

---

(١) منهم الدكتور رضا القريشي في (الموشحات العراقية /٢٣٠-٢٣٤) .
وناشر ديوانه — الطبعة الثانية — ص٩٨

(٢) ديوان الحبوبي /٢٧٢

(٣) ديوانه ص ٢٠٣-٢١٠

بعض آثارها في الشاربين، ثم كانت الشاعرية التي ساعدت على ايجاده قريحة خصبة امتلكت الاداة فاحسنت الرسم .

والشاعر جعفر الحلي يرسم صورة طالما الح عليها شعراء الخمر، تلك هي صورة الكأس الفضية حين تجلوها خمرة من ذهب فيقول :

اهل ترى لؤلؤاً في الكأس ام حببا   وغلمة تجتليها ام قطيع ظبا
وذاك جام به الصهباء ذائبة   ام فضة قد اذابوا وسطها ذهبا (١)

ويكرر الصورة في مطلع قصيدة اخرى فيقول :

زفها أعذب من ماء الشباب   في لجين الكأس كالتبر المذاب (٢)

لكنه يشترط ان يصحب الخمر عناقٌ، والا فلا خير في شراب دون عناق فيقول :

ادر المدامة وابتدىء برفاقي   بوركت يا ساقي الطلا من ساقي
فاشرب وعانقني عناق مودة   لا خير في شرب بغير عناق (٣)

ثم يعود جعفر الحلي فيرسم صورة طريفة اخرى لكأس الخمر مجارياً فيها معاني ابي نواس (٤) فيقول :

فكأنها في الكأس نور اقاحة   قذفت عليها الشهب من لمعانها
قد اغرقت كسرى ومن في جنبه   فطفت قلانسهم على جنباتها (٥)

ويشارك جواد الشبيبي في وصف الكأس والندمان والساقي ودبيب الخمر في الجسد، على التقليد الذي درج عليه الشعراء فيقول في احدى قصائده :

(١) ديوان سحر بابل /٦٨

(٢) المصدر نفسه /٤٤

(٣) البابليات — محمد علي اليعقوبي — ج٣ القسم الأول ص١٩ المطبعة العلمية— النجف ١٩٥٥
وهذه الأبيات مما لم ينشر في الديوان

(٤) يقول ابو نواس :

قرارتها كسرى وفي جنباتها   مها تدريها بالقسي الفوارس
فللخمر مادرت عليه جيوبها   وللماء مادارت عليه القلانس

ديوان أبي نواس — ص٣٧ — تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي— طبعة دار الكتاب العربي بيروت .

(٥) ديوان سحر بابل — ص ١٠٧

قم زفها كالشمس حلت كوكبا   في كف بدر كللت بنجوم
رقت فكاد الوهم يشرب كأسها   المظنون ظرف رحيقها المختوم
سطعت على طور الغرام فآنست   عيناي منها جذوة التكليم (١)

ويتغنى ابراهيم الطباطبائي بجمال الساقي والكأس معاً ويصف مذاقها فيقول :

امديرها والعيش اغيد   حمراء او صفراء صرخد
قم فأجلها عقيانة   صبغت لجين الكأس عجد
واقطب حرارة نارها   بمصفق الماء المبرد
وبآسرتي من زارني   قمراً وفرع الليل اربد
نشوان دبّ به الشراب   فما صحا اذ قيل عربد
شرق المحيا حاسراً   عن طرة الفلق المقدد (٢)

أما الشاعر (مهدي حجي) فيضيف ذرعاً بتحريم الخمر ، فهو لايملك عليها صبراً ولا يقدر عنها بعداً ، ولايطيق لها فراقاً ، وهو يطلب سقايتها حراماً كان ذلك ام حلالاً.

لنسمعه يقول في موشحة له :

لائمي بالله خلٍّ العتبا   واسقني الصهبا حلالاً أم حرام
ثم غنٍّ باسمها لي طربا   فهي مولى ولها كنت غلام (٣)

ويستغرب الدكتور رضا القريشي من جرأة هذا الشاعر ، ويقول : (ان هذا الوشاح يزداد جرأة من سابقيه ، ولا يكتفي نجلع العذار ، وانما يبدأ سلوكاً من التحدي تجاه تحريم الخمر ، ولعله بذلك يبدو غريباً في مجتمعه) (٤) ، ولكننا لانرى في سلوك هذا الشاعر أية غرابة ، فهو ليس اول شاعر نجفي يجهر بمدح الخمر او بحبها ، او أو الشوق اليها ، واذا افترضنا ان هذا الشاعر لايعاقر الخمر فعلا ولايمدحها صادقاً ، فيكون قد نفذ إلى هذا كله من خلال التقليد العام الذي أباح للشعراء مدح الخمر واطرائها دون اعتراض او استنكار من أحد ، ومما يؤكد مانذهب اليه من ان النجفيين لم يكونوا جادين في الخمر انما هي مسألة الفراغ وتزجية الوقت والمرح ، هو مزج الشعراء بين

(١) الشبيبي الكبير ص ٣١٠
(٢) ديوان الطباطبائي /٥٧-٧٦
(٣) شعراء الغري ١١٤/١٢ ، الموشحات العراقية ص ٢٣٥
(٤) الموشحات العراقية — ص ٢٣٥

غرضي الخمر والغزل في كثير من قصائد التهنئة بالعودة من الحج ومع ذلك فالمهنئون والحجاج القادمون تواً من بلاد الله الحرام والمتطهرون بفريضة الحج لايستنكرون مايسمعون ولا يعترضون على الشعراء وهم يفتتحون قصائدهم بالخمر والدعوة اليها والتمطق بطعمها وحسن مذاقها ، لان الشاعر لايدعو إلى شرب الخمر حقيقة ، ولو دعا إلى ذلك لسخط عليه الناس واولهم الحجاج المتطهرون .

فهذا الشيخ عبدالكريم الجزائري « الذي كان زعيماً دينياً كبيراً والذي نهض باعباء الزعامة ثلاثين عاماً ... وشخصاً تقدسه الارواح قبل الأجساد والملوك قبل الناس ... فهو يصف الخمرة » (١(هذا الوصف الجميل حين يقول :

قم للسلافة واتلُ آية الطرب ورصّع الكأسَ في درّ من الحبب
وانثر على الأرض دراً من فواقعها ممزوجة بلعاب ِالثغر والحبب
وارشف بعيشك ماداومت لذاذته مقرونة بفنون اللهو واللعب
راح اذا شبها الساقي وشعشعها تكاد تحرق كفيه من اللهب (٢)

ان اطراء الخمرة من قبل هذا الزعيم الديني الكبير لدليل واضح على سريان روح الفكاهة وحب الظرف في النجف وان غرس الخمر غدا تياراً معترفاً به من تيارات الشعر في تلك الحقبة ، لايجد النجفيون بكل طبقاتهم غضاضة في سماعه او نظمه او التغني به ، والا فما معنى ان يقبل الناسُ هذا الاطراء لبنت الكبائر من زعيم ديني كبير نهض باعباء الزعامة ثلاثين عاماً ؟

تعليل حول كثرة قصائد الخمر في النجف :

هناك من يقول : ان افتتان النجفيين بالخمرة والتشوق اليها والرغبة في العبّ منها، يعود إلى أنهم يقصدون بالخمرة في اشعارهم (الماء العذب الصافي (، لان النجف في تلك الحقبة كانت محرومة منه ، بل كانت تعاني شحة في الماء ورداءته ، « وكان اغلب الناس يستقون من الآبار والبرك مالا يطفي الغلة ، ولهذا عاش الماء القراح صورة في خواطر الشعراء في هذه المدينة العطشى ، فها موابه وتغنوا بصورته وهو في القدح وبمذاقة في الفم ، وبأثره في الاحشاء ، وقد تعاظمت صورته عندهم وفخموها حتى تخيلوا الماء خمرة » (١(.

---

(١) شعراء الغري ٥/٥٠٥-٥٠٦
(٢) شعراء الغري ٥/٥١١
(١) ديوان الحبوبي - ص ٧١-٧٢

صحيح ان النجف كانت محرومة من الماء الصافي في تلك الحقبة ، وان شوق النجفيين للماء العذب مشروع ، وقد يكون هناك اختلاط او تقارب بين الماء العذب وبين الخمرة في اذهان النجفيين وامانيهم ، الا ان الالحاح في التركيز على الخمرة ووصف اوانيها ومجالسها ومذاقها ، ثم في محاولة وصف آثارها في نفوس الشاربين واجادتهم في ذلك الوصف ، مقترنا في الغالب بالغزل ، ما يقلل من مصداقية هذا الافتراض ، خاصة واني لم أجد خلال بحثي وقراءتي للشعر النجفي قصيدة يذكر فيها شاعر نجفي (الماء الصافي) او يتحسر عليه ، او يتمنى طعمه ، وهي ظاهرة تلفت النظر حين كانوا جميعاً يعانون من فقدانه او الحسرة عليه ، مما يدل ان افتتان النجفيين بالخمرة لم يكن بسبب حرمانهم من الماء الصافي بالدرجة الأساس ، انما هي روح الظرف والفكاهة والطرب فيها.

لقد حوت نماذج شعر الخمر التي ذكرناها خيالاً عذباً ومعاني جميلة ، واساليب طريفة ، الا أنها لم تحو عمقاً في التصوير ولا صدقاً في التجربة ، لان الشعراء لم يصفوها مجربين . ولم ينشدوها متلذذين ، انما حاموا حولها هازلين ، وذكروها ضاحكين ، فلم تنم تجاربهم عن اصالة ، لانه ندر منهم من تعطاها وعاقرها ، انما كانت الاجادة في الصور نسبب القوة الأدبية التي شملت المدنية في تلك الحقبة ، من جهة ، وتوجه المجتمع إلى اللهو والمرح من جهة أخرى .

ب— الغزل بالغلمان :

وظاهرة الغزل بالغلمان هي مظهراً آخر من مظاهر الفراغ والعبث ، وبسبب من تلك الستور المضروبة بين مجتمع الرجال ومجتمع النساء ، فحين افتقد النجفي لذة الحديث إلى المرأة ، او الغزل بها غزلا صريحاً مباشراً ، اتجه بعض الشعر إلى التغزل بالغلمان والتعلق بهم ، والتغني بمحاسنهم وجمال صورهم وبالمرد الحسان فهم وبصفاتهم الجسدية ، حتى صرنا نسمع بشعراء لهم منزلتهم الأجتماعية والدينية يتغزلون بالغلمان غزلاً صريحاً. على أن الكثير من هذا الشعر نظم للهزل والتظرف والفكاهة ، وان الكثير من الشعراء قد افتتحوا به مدائحهم لشخصيات اجتماعية او دينية (١) او ينشد امامهم ، مما يدل انه

---

(١) ومنه مثلا قصيدة الحبوبي في تهنئة السيد جعفر زدين بمناسبة قران ولده في قصيدته التي يتغزل فيها بالمذكر ، والتي مطلعها :

طرز حذيك العذران تطريزة الورد بريحان

ديوان الحبوبي / ص ٢٧٥

يمثل تياراً من تيارات الذوق الادبي ، واسلوباً من اساليب التظرف في النجف في تلك الحقبة .

فالسيد ابراهيم الطباطبائي يحن إلى الغلمان حنينه إلى النساء وحبه لهن ، فيقول :

اراجعة ايام لهوي والهوى بأغلمة مرد وملموحة جرد (٢)

اما موسى الطالقاني « الذي كان عالماً فاضلا» (٣) ، فانه يهيم غراماً بالغلام المحبوب ويتوسل اليه ، ويغالي في وصف حسنه الذي (لم يأتنا فيه نبي) على حد قوله . لنسمعه يقول في هذه الموشحة :

ياشقيق البدر ما احلى العذار فوق خديك كروض معشب
واجتماع الليل فيه والنهار معجز لم يأتنا فيه نبي
يابني الحسن ماهذا النقار وهواك اليوم اضحى مذهبي
بك آمنت وما خنت الذمام فارحم اليوم مشوقاً ما غدر

فلقد اوهنت بالهجر العظام
آه والهفي إولم اقض الوطر (١)

اترى يستطيع السيد الطالقاني ان يقول هذا الكلام في بيئة متشددة ، غير ذات ظرف وحب للفكاهة . ؟

المنطق يحتم علينا ان نقبل هذا الأفتراض ، لان السيد الطالقاني لم يكن شخصاً عادياً او مجهولاً في النجف ، انما « كان احد الشخصيات التي نالت مكانتها الرفيعة في الحضرة الروحية ... وكان عالماً جليلاً » (٢) كما يقول فيه الشيخ علي الخاقاني ، والذي يقول فيه الخاقاني نفسه ايضاً انه « كان رقيق الطبع ، ولرقة طبعه عشق أحد طلبة العلم من بلد تبريز المهاجرين إلى النجف لتحصيل العلم » (٣) وليس هذا فحسب انما « يعشق

---

(٢) ديوان الطباطبائي / ص ٨١
(٣) الحصون المنيعة — الشيخ علي كاشف الغطاء — مخطوط . المجلد /٢ ص ٢٥١
(١) ديوان الطالقاني ص ٢٨٨
(٢) شعراء الغري ١١/٤٠٧–٤٠٨
(٣) شعراء الغري ١١/٤١٠

الطالقاني ظبياً تركياً أيضاً » (١) كما يدلنا ذلك في شعره (٢) ، كما نقرأ للسيد الطالقاني شعراً نستشف فيه انه عشق مرة اخرى أحد طلاب المدارس الدينية ، فها هو ذا يتغزل بطالب العلم هذا فيقول :

حمل الكتاب وراح يقرأ درسه ... ظبي يصيد الاسد بالاحداق
عرف الحلال من الحرام فقل له ... من ذا احلّ له دم العشاق (٣)

فهل حقا يمكن أن يعشق هذا (العالم الجليل والشخصية الرفيعة) غلماناً وذكوراً ، ثم يصرح فوق هذا بعشقه على رؤوس الاشهاد ، وينشره في شعره ؟ لا ، انما هي النفوس التي عشقت المرح ، واحبت الظرف والضحكة والفكاهة ، فسلكت اليها سبلاً مختلفة..

فهذا الشيخ جعفر الشرقي الذي « كان يعدّ من طليعة العلماء ... وكان عالماً فقيها متميزاً ... معروفاً بالفضل والعلم بين علماء العراق »(٤) ، يتغزل بشاب اسمه (شمران) في قصيدة مطلعها :

شب الهوى شبّه نيران ... والفجر قد فجّر اجفاني

قال :

ما فعل الشمر على كفره ... ما فعلت اجفان شمران (٥)

اما الشاعر الحبوبي الذي (عُدّ من كبار فقهاء عصره ومجتهديه المجددين) (٦) فيترنم بذكر الغلام هذا الترنم الجميل ، والغزل الطريف في معانيه ولغته واوزانه اذ يقول :

طرز خديكَ العذاران ... تطريزة الورد بريحان
خداك من ورد ، ومن نرجس ... عيناك والقامة من بان

---

(١) شعراء الغري ١١/٤٣٠

(٢) منها الموشحة التي مطلعها :

ياظبي الترك والنفس فداك ... قد فتنت الاسد من أحسن الحسن

والموشحة طويلة يمكن مراجعتها في شعراء الغري ١١/٤٣٢-٤٣٤

(٣) ديوان الطالقاني — ص ١٧١

(٤) الاعيان ١٦/٢١١ ط دمشق ١٩٤٠

(٥) الاعيان ١٦/٢٢٠

(٦) ديوان الحبوبي — ص ٤٥

حـرائـر الـعـشـاق شقـقتهـا   فـاخضـرّ مـنك الأحـمر القاني
يـا مـن رأى فـي الأرض بد ر السما   اشـرق فـي صـورة انسـان
جـال فـؤادي ان مـشـى مثلما   فـي خصـره جـال الـوشـاحان
واخـى ـ وقـد شعّ صباحُ الدجى   فقلـت : قـد وافـى صباحـان
يـا لائـمـيّ الـيـوم فـي حبه   مـهلاً ، فمـا شانكـمـا شاني
هـامـوا هيـامي فيك لو انهـم   قـد عـرفـوا معنـاك عـرفـاني
لـكـن تجليـت فـاعشيتهم   بـفـرط أنـوار ونـيـران
لـو لاك لـم اهجـر لـذيذ الكـرى   ولـم اهـوّن هجـر اوطـاني
روحـي فـي روحـك ممـزوجة   وربمـا تـخـرج روحـان
حـتـى كـأني مـنك في وحدة   لو صـح أن يتـحـد اثـنـان (١)

٤ ـ شعر اللهو والهزل :

من مظاهر الفكاهة في النجف كثرة قصائد اللهو والهزل ، مما يؤكد حبهم للمرح ، ورغبتهم في الظرف وازجاء اوقات الفراغ ، ويوضح نوع الحياة التي عاشها المجتمع النجفي في تلك الحقبة .

وقصائد اللهو والهزل كثيرة في الشعر النجفي . نذكر منها على سبيل المثال قصيدة الشاعر ابراهيم الطباطبائي وهو يتذكر فيها مجالس أنس له سلفت وأيام طرب عاشها تقضت ، فيتحدث عنها حديث المشرق المستهام ، والمتلهف لعودتها ، ومن تلك الأيام ليلة ذو قضاها على شط دجلة ببغداد مع اصحابه وقد خرجوا جماعة يطلبون النزهة والشراب واصطحبوا معهم النديم والكاس فيحيون ليلة صاخبة مفعمة بالانس والطرب حتى اصابهم الاعياء فتطرحوا على الاتقاء بعد شراب كثير ، وقد جمع كل واحد منهم كثيباً من الرمل اتكأ عليه ، وأراح فوقه رأسه ، وقد غمضت عيونهم نصف اغماضة وتهدلت اطرافهم فشعروا بقشعريرة التعب ، فينضم بعضهم الى بعض ، ثم يستمر الطباطبائي في سرد حكاية ليلة اللهو تلك باسلوب قصصي أخاذ ، وعبارات سلسة ، ولغة جميلة ، وصور ممتعة والقصيدة طويلة نجتزىء منها قوله :

أنسى متى راجع ليل قضيناه   بشط دجلة نظم العقد اخوانا
بمجلس مشرف الأطـراف مرتفـع   عـال تطول بـه الجـلاس كـيـوانـا

(١) ديوان الحبوبي — ص ٢٧٥-٢٧٦

يـاحيّ دجلـة والـجـرفـان قـد طغـا — فيضاً يسيـل على الرضراض عقيـانا
لـو كنـت تطلبـنـا والملتقى كثـب — لما طابـت حيـاة دون لـقيـانـا
مطرحيـن عـلى الانـقـاء مـن سـهـر — نثـنـي النمـارق أنقـاءً وكـثـبـانـا
يجـثـو بنـا الغمض والاشـواق تنهضنا — للهـو حينـا وللاطـراب احـيـانـا
نهب نبـتـدر اللـذات مـا عرضـت — مثنـى فمثـنـى ووحـدانـا فـواحدانا
يضمنـا الشـوق ضـم البـرد لابسـه — حتـى تـلابس اقصانـا بـادنـانـا
حتـى اذا الكلب اخفـى مـن عقيرتـه — والطير غـرد والناعـور غـنـانـا
قمنـا وقام رهيـف القـد أهيـفـه — كسلان يسحـب فـوق الأرض اردانـا
يمشي اختيـالاً كما يمشي النزيـف بـه — مالـت بهامتـه الأقـداح نشـوانـا
لايملك الخطـو الا ان نـزجيـه — كما تزجـي صحاة الشرب سكرانا (١)

كما يصف الشاعر عباس ملا علي ليلة طرب اخرى من تلك الليالي التي كان يختلف اليها في بغداد من حين لآخر ، مطلعها :

تـذكرت بـالزوراء عهـداً تقـدمـاً — فسالت دموعي عند ذكراه عنـدما (٢)

ويبدو ان علاقات شعراء النجف بوجهاء بغداد كانت وطيدة ، وزياراتهم لها كانت مستمرة ، وما يكاد الواحد منهم يحلو في بغداد حتى يحتفي به (اصدقاؤه البغداديون ويضمونه إلى مجلسهم ، فيسعد بهم ، ويطفيء معهم لهيب الحرمان ، ويكسر طوق الوقار الذي تتسم به بعض مجالس النجف .

فهذا الشاعر موسى الطالقاني هو الآخر يتذكر اياماً هانئة له في بغداد ، في موشحته التي مطلعها :

حـي عني الكـرخ يـاصـاح وهـل — لـذّ عيشٌ في سوى الكـرخ لنـا
كـم كـسـانا البشـر فيـه مـن حـلـل — وسقانا الـدهـر كاسات الهنـا (٣)

لكن الشيخ محمد صالح محي الدين ت ١٣٦١ هـ الذي « تحرر من كثير من آرائه واطلق للظرف عنانه ... وكان ظريفاً ذكيا ... خفيف الروح ظريف الحديث مرح النفس وكثيراً ما كان يخطب في موائد اصدقائه ويصفها وصفاً دقيقاً » (٤) فانه يتخذ من الفكاهة

---

(١) ديوان الطباطبائي / ص ٢٤٣-٢٤٩

(٢) أنظر — ديوان عباس ملا علي — القصيدة ، نهضة العراق الأدبية ٢١١

(٣) ديوان الطالقاني /٣٠٦ ، شعراء الغري ١٢/١١٤-١١٧

(٤) شعراء الغري ٩/٢٥١

سلوكاً ومن الهزل اسلوباً في حياته ، فما ان يدعى إلى وليمة تضم الاحبة والاصدقاء حتى يقوم خطيباً يشيد بمنافع الطعام ولذة الشراب ، ليجمع قوة الفكاهة إلى متعة المائدة . وخطبه في هذا الباب كثيرة منها الخطبة التي جمع فيها النثر إلى الشعر والتي القاها على مائدة أحد اصدقائه والتي مطلعها :

آه على قـــاب الطبيـــخ العنبـــر وعليه مـن لحم الدجاج الاصغر (١)

ومن مظاهر لهو النجفيين انهم كانوا يصنعون المقالب الادبية لبعضهم ، منها ما اتفق عليه جماعة من ادباء النجف منهم جواد الشعبي وجعفر الحلي وهادي كاشف الغطاء وباقر المندي ، وقرروا خطف (خروف) للشيخ اسماعيل الخليلي الذي اعده لعيد الاضحى وكان الفصل خريفاً يساعد على اللهو والهزل . وقد تم لهم ذلك ، فخطفوا الخروف واولموا عليه وليمة ، ودعوا عليه صاحبه وبعض الرفاق الآخرين ، وعلى الوليمة نظموا قصيدة طويلة رثوا لحال الشيخ اسماعيل وهو يرى خروفه مجندلا على الخوان وقد احاطت به الأيادي من كل جانب تقطيعاً وتمزيقاً واكلاً ، مطلعها :

قــف بـرمـل الحمـى وزر الـطـولا بدموع تحكـي السحاب هملا (٢)

ومن اجمل محاورات الهزل وقصائده مادار بين الشيخ جواد الشبيبي والشيخ عبد الحسين الجواهري .

فقد كان معروفاً عن الشيخ الشبيبي كبر انفه وتفلطحه ، وكان الشيخ الجواهري قد اصيب بالقرع في طفولته فترك في رأسه ندوباً ، وفي ذات يوم كانا معاً في السوق . فابصر الجواهري بعض الرقي وهو مفلوق للدعاية ، فالتفت للشبيبي قائلا : (شيخنا خوش ركي (مشيراً الى ضخامة انف الشبيبي ، فابتدره الشبيبي فوراً : (بلي شيخنا احمر الكثر) قاصداً راس الجواهري الاقرع .

لكن الشبيبي لم يكتف بهذا الرد السريع ، انما راح بعدها فنظم قصيدة طويلة يصف فيه رأس الجواهري وصفاً دقيقاً مفصلا هازلا ، يبعث على الابتسام والضحك ، ويسجل تحفه في شعر الهزل والمساجلات الأدبية قل نظيرها ، كما توضح القصيدة قدرة الشبيبي في هذا الباب من خلال مواهبه الفنية ومن خلال روحه الأدبية المرحة وظرفه الممتع ، كما توضح مدى جرأة الشبيبي ، لأن الشيخ الجواهري كان هو الآخر اديباً جريئاً ومقتدراً ومن اسرة اسرة ادبية عريقة ، فهو والد الشاعر محمد مهدي الجواهري وخال الشاعر علي الشرقي الذي

---

(١) شعراء الغري ٢٧٣/٩-٢٧٤

(٢) الشبيبي الكبير /١٤٦

قال عن القصيدة (انها لتعتبر من حيث البديع من باب المديح في معرض الهجاء ، ولوحة فنية من اسمى واغلى الألواح التصويرية (١)

وهذا قسم من القصيدة ، قال الشبيبي مخاطباً الجواهري :

لك رأس مرصّع ومدبج دوحة الجسم انبتت فيه بستج
روضة ينبت الشقائق فيها اقحوانا وسوسناً وبنفسج
خط ياقوت فيه جدول تبر لتقطوه من (قيحه) بسزبرذج
فوق كافوره من الشعر مسك كل من شم نشره يتبنفسج
فيه بحر للقار من ظلمات ضرب الشف يمّه فتموج
ارضه عسجد وحصباؤها درّ لو ازيلت اصدافه لتدحرج
عمموه بلؤلؤ وعقيق فهو ملك معمم ومتوّج

ولايكتفي الشبيبي بوصف رأس الجواهري ، انما اندفع — زيادة في التنكيل الادبي — فوصف الشكل العام للجواهري ، ورسم له هذه الصورة الكاريكترية الضاحكة :

أيها الصقر في خدودك شعر مشرئب كأنه ريش وعلج
كيف يرجى لناظر لك عدلا وله حاجب من الحسن معوج
لك ريق بحومه ياحمانا الله منه بلغم الصدر يمزج
ولك اللحية التي السف بينت من زوايا جهاتها الستريندج (٢)

* * * * * *

هذه هي ابرز ظواهر (الفكاهة والغزل) في الشعر النجفي في القرن التاسع عشر . وهي ليست كل الظواهر . فهناك الوصف الذي تفنن فيه النجفيون ، والمساجلات الاخوانية ، والاسمار ، والمعارك الادبية ، وشعر السخرية والهجاء والنقد ، والتهاني والمدائح والتقاريظ التي اشتملت على قدر كبير من ظواهر الفكاهة والمرح ، الا اننا آثرنا الا نثقل البحث ، وان تكون دراستنا لكل تلك الظواهر وغيرها في بحث كبير بكتاب كبير نقوم الآن باعداده بعنوان (الحياة الادبية في النجف في القرن التاسع عشر) عسى ان يوفقنا الله القدير في اعداده واخراجه في وقت قريب ، والذي لا ابتغي فيه الا وجهه الكريم ، وخدمة امتنا العربية المجيدة ، وبعث تراثها الخالد .

---

(١) هكذا عرفتهم — جعفر الخليلي / ٦٠ ، الشبيبي الكبير ص ١٤٥

(٢) هكذا عرفتهم ص٦٠—٦٢ ، الشبيبي الكبير ص ١٤٥—١٤٦

المصادر والمراجع :

١ – الاحلام . علي الشرقي . شركة الطبع والنشر الاهلية – بغداد ١٩٦٣ .

٢ – الاديب المغامر– د. عبد الجبار المطلبي . دار الرسالة للطباعة – بغداد ١٩٧٨

٣ – اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث – لونكريك – ترجمة جعفر خياط ط٣ بغداد ١٩٦٢ .

٤ – اعيان الشيعة – محسن الأمين– دمشق ١٩٤٩ .

٥ – البابليات – محمد علي اليعقوبي – ج٣ المطبعة العلمية – نجف١٩٥٥.

٦ – البحث الادبي . د. شوقي ضيف . دار المعارف بمصر ١٩٧٢

٧ – تاريخ التعليم في العراق – عبد الرزاق الهلالي – شركة الطبع الأهلية – بغداد ١٩٥٩

٨ – تاريخ العراق بين احتلالين– عباس العزاوي . شركة التجارة والطباعة . بغداد ١٩٥٤

٩ – تاريخ المماليك في العراق – سليمان فائق – ترجمة محمد نجيب ارضازي – بغداد ١٩٦١ .

١٠ – تطور الخمريات في الشعر العربي– د. جميل سعيد – القاهرة ١٩٤٥ .

١١ – ثورة النجف– حسن الأسدي – دار الحرية للطباعة – بغداد ١٩٧٥

١٢ – جريدة الرقيب (البغدادية) العدد /٧٤ لسنة ١٩٠٩

١٣ – حديث الأربعاء – طه حسين . دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .

١٤ – الحصون المنيعة – علي كاشف الغطاء – مخطوط – موجود في مكتبة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في النجف .

١٥ – الحياة في العراق منذ قرن – بييردي نوصيل – ترجمة د. اكرم فاضل . دار الجمهورية – بغداد ١٩٦٨ .

١٦ – خيري الهنداوي – د. يوسف عز الدين – مط الشعب – بغداد ١٩٧٣

١٧ – داود باشا والي العراق – عبد العزيز سليمان نوار .

١٨ – دليل النجف الأشرف – عبد الهادي الفضلي – مكتبة التربية.نجف .

١٩ – دوحة الوزراء – رسول كركوكلي – ترجمة موسى كاظم نورس – ط بيروت

٢٠ – ديوان ابي نواس – تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي – دار الكتاب العربي– بيروت .

٢١ – ديوان الحبوبي– الطبعة الاولى – المط الاهلية – بيروت ١٩١٣ – الطبعة الثانية – وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٨٠

٢٢ – ديوان صالح التميمي– مط الزهراء – نجف ١٩٤٨ .

٢٣ ـ ديوان ابراهيم الطباطبائي ـ مط العرفان ـ صيدا ١٣٣٢ هـ .
٢٤ ـ ديوان الطراز الانفس في شعر الأخرس ـ استانبول ١٣٠٤ هـ
٢٥ ـ ديوان عباس ملا علي ـ المطبعة العلمية. نجف ١٩٥٦ .
٢٦ ـ ديوان عبد الباقي العمري (الترياق الفاروقي) ـ مط محمد افندي مصطفى١٣١٦هـ
٢٧ ـ ديوان محسن الخضري ـ المطبعة الأهلية ـ نجف ١٩٤٧ .
٢٨ ـ ديوان موسى الطالقاني ـ مطبعة العربي الحديثة ـ نجف ١٩٥٧
٢٩ ـ رحلة فريزر الى بغداد سنة ١٨٣٤ ـ ترجمة جعفر خياط ـ بغداد ١٩٦٤ .
٣٠ ـ رحلة مدام ديولافوا ـ ترجمها عن الفارسية علي البصري ـ بغداد ١٩٥٨ .
٣١ ـ رحلتي الى العراق ـ بكنغهام م . ترجمة سليم طه التكريتي ـ بغداد ١٩٦٩
٣٢ ـ سحر بابل ـ ديوان السيد جعفر الحلي ـ مطبعة العرفان ـ صيدا ١٣٣١ هـ .
٣٣ ـ الشبيبي الكبير ـ حمود الحمادي ـ مطبعة النعمان ـ نجف ١٩٧٢ .
٣٤ ـ شعراء الغري ـ علي الخاقاني ـ المطبعة الحيدرية ـ نجف ١٩٥٦ .
٣٥ ـ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ـ ابراهيم الوائلي ـ مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٨ ط ٢ .
٣٦ ـ الشعر العراقي ـ اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر . د . يوسف عز الدين القاهرة ١٩٦٥ .
٣٧ ـ الشعر في الحلة بين سنتي ١٨٢٤ ـ ١٩١٧ ـ محمد حسن علي مجيد رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة .
٣٨ ـ صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ـ جعفر خياط ـ بيروت ١٩٧١ .
٣٩ ـ العراق ـ دراسة في تطوره السياسي ـ ايرلاند ـ ترجمة جعفر خياط بيروت ١٩٤٩ .
٤٠ ـ العراقيات ـ احمد رضا الزين ـ مطبعة العرفان ـ صيدا ١٣٣١ هـ .
٤١ ـ العقد المفصل ـ السيد حيدر الحلي ـ مطبعة الشابندر ـ بغداد ١٣٣١ هـ
٤٢ ـ العمدة ـ ابن رشيق ـ ط ٤ ١٩٧٢ .
٤٣ ـ العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية ـ جعفر الخليلي ـ جمعية الرابطة الأدبية ـ نجف ١٩٧٠ .
٤٤ ـ الغزل عند العرب ـ حسان ابو رحاب ـ مصر ١٩٤٧٨ .
٤٥ ـ الغزل عند العرب ـ ج . ك . فادية . ترجمة ابراهيم كيلاني ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ١٩٧٦٩ .
٤٦ ـ في غمرة النضال ـ سليمان فيضي ـ بيروت ١٩٧٤ .

٤٧ — كنز الأديب — احمد بن الشيخ درويش — مخطوط — موجود في مكتبة المتحف العراقي — بغداد .

٤٨ — مجلة الاعتدال (النجفية) مقال بعنوان (بيئة النجف الشعرية) للشيخ محمد رضا الشبيبي — العدد ١١ السنة /٢ حزيران ١٩٣٤.

٤٩ — مجلة الايمان (النجفية) مقال بعنوان (اليعقوبي والادب الحديث) . — د. يوسف عز الدين — العدد /٧ لسنة ١٩٦٦ ، العدد /١ لسنة ١٩٦٥

٥٠ — مجلة البلاغ (الكاظمية) العدد/١ ٨ السنة /٤ لسنة ١٩٧٤ .

٥١ — مجلة لغة العرب — مقال الشيخ علي الشرقي : (الادب النجفي) عدد كانون الأول ١٩٢٦.

٥٢ — مجلة المعلم الجديد — مقال يوسف عزالدين (مكانة المرأة العراقية في القرن التاسع عشر) عدد ايلول ١٩٥٣ .

٥٣ — مجلة المقتطف —مقال يوسف شنيمة — مجلد /٥٢ لسنة ١٩١٨.

٥٤ — مجلة كلية الآداب — جامعة بغداد — مقال د. قحطان التميمي — العدد /١٣ بعنوان (الشكوى في الشعر الجاهلي)

٥٥ — ماضي النجف وحاضرها — جعفر محبوبة — مطبعة الآداب — النجف ١٩٥٨ .

٥٦ — مجموعة عبد الغفار الأخرس ، نشرها عباس العزاوي — شركة التجارة والطباعة بغداد ١٩٤٩.

٥٧ — مختصر تاريخ بغداد — علي ظريف الأعظمي — مطبعة الفرات — بغداد ١٩٢٦

٥٨ — مدحت باشا — صديق الدملوجي — مطبعة الزمان ١٩٥٣.

٥٩ — مدحت باشا — قدري قلعجي — دار العلم للملايين — بيروت ١٩٥١.

٦٠ — المماليك في العراق — احمد علي الصوفي — طبعة الموصل ١٩٥٢ .

٦١ — المرشحات العراقية . — د. رضا القريشي — بغداد ١٩٨١

٦٢ — الموشح في الاندلس وفي المشرق — د.محمد مهدي البصير — مط المعارف بغداد ١٩٤٨.

٦٣ — مراحل الحياة في الفترة المظلمة — محمد رؤوف الشيخلي — مط البصرة ١٩٧٢.

٦٤ — مدرسة النجف — محمد مهدي الآصفي — مط النعمان — نجف ١٩٨٤. م.

٦٥ — مناهج الدراسة الأدبية — د. شكري فيصل — دمشق ١٩٦٥.

٦٦ — النجف الأشرف — عاداتها وتقاليدها — طالب الشرقي — نجف ١٩٧٧ .

٦٧ — نهضة العراق الأدبية — د. محمد مهدي البصير — مط المعارف ١٩٤٦ .

٦٨ — هكذا عرفتهم — جعفر الخليلي — مطبعة الزهراء — بغداد ١٩٦٣ .

الحميري وكتابه البديع

الدكتور
محمد مجيد السعيد
استاذ مساعد - جامعة الموصل

لمحة تاريخية :

شهد مطلع القرن الخامس الهجري انفراط عقد الدولة العربية الاسلامية في الأندلس وتمزق كيانها ، وتفكك وحدتها ، فأصبحت طوائف شتى ، وعادت دويلات صغيرة متناحرة متصارعة فيما بينها ، يتقاسمها امراء عرب وبربر وصقالبة ، يتربص بعضهم لبعض ويستحوذ فيها القوي على الضعيف ، فظهرت اسماء وزعامات وقيادات ، وتعددت البلاطات ، وفي خضم هذه الاضطرابات والتناحرات التي حلت بالبلاد اثر انعدام القيادة والسلطة المركزيتين في ارجاء الاندلس برزت على مسرح التاريخ عائلة كان دورها لايخرج عن دائرة العمل القضائي او مهنة الكتابة الرسمية ، فدنت هي الاخرى بدلوها يحركها الحلم بالنفوذ والسلطة .. فكان لها ماأرادت من الاستقلال وتكوين دولة مقرها في اشبيلية عام ٤١٤ هـ . كانت تلك هي دولة بني عباد ، وكان زعيمها الأول هو القاضي ابو القاسم بن اسماعيل بن عباد (٤١٤ — ٤٣٣ هـ)(١) .

(١) انظر : ابن بسام : الذخيرة ق ٢/١٣ ومابعدها ، ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ٣/١٩٤ ومابعدها .

وبحنكة القاضي وذكائه تمكن من توسيع رقعة ملكه ومن الهيمنة على الأوضاع الداخلية وتوفير الأمن والاستقرار (١) ، ثم جاء بعده عام ٤٣٣ هـ ، ابنه ابو عمرو عباد (٤٣٣ — ٤٦١هـ) ، وكان يتمتع بمواصفات عديدة أهلته قيادة الدولة وتوسيع المملكة (٢) ، حتى «أضحت مملكة بني عباد تضم من اراضي الأندلس القديمة رقعة شاسعة تشمل المثلث الجنوبي من شبه الجزيرة واراض الغرنتيره شمالا حتى شواطيء الوادي الكبير ، ثم تمتد بعد ذلك من عند منحنى الوادي الكبير غربا حتى جنوب البرتغال وشاطيء المحيط الأطلنطي ، وبذلك أضحت أعظم ممالك الطوائف وأغناها من حيث الموارد الطبيعية وأقواها من حيث الطاقة العربية »(٣) .. وكان آخر ملوكهم المعتمد بن عباد (٤٦١ — ٤٨٤ هـ) وفي عهده ضمّ مدينة قرطبة الى مملكته .. بعد اسقاط الجهوريين ونفيهم الى جزيرة شلطيش (٤) . ولكن الامور تغيرت بعد معركة الزلاقة عام ٤٧٩ هـ حيث عبر المرابطون الى الاندلس بقيادة سير بن أبي بكر المرابطي .. واستولوا على البلاد فاصبحت شبه جزيرة ايبرية ولاية تابعة الى مراكش عاصمة حكمهم (٥) وبذلك زالت دول الطوائف ومن ضمنها دولة اشبيلية .

ولما كان ابو الوليد اسماعيل الحميري مؤلف كتاب البديع في وصف الربيع — وهو موضوع بحثنا — قد عاش في كنف الحاكمين العباديين الأولين ابي القاسم محمد وابنه ابي عمرو عباد فسوف نقف عند هاتين الشخصيتين ونتعرف على جوانبهما الأدبية لتكوين الصورة الدقيقة عن دورهما في رعاية صاحبنا وفي تشجيعه على تأليف كتابه البديع .

فأما مؤسس الدولة فقد كان « ممن له في العلم والأدب باع ، ولذوي المعارف عنده بها سوق وارتفاع ، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك البلاغة ، بسطا لهم واقامة لهممهم (٦) . . وقد ثبت له مؤلف الذخيرة مجموعة أبيات ، وفي كتاب البديع عدة مقطوعات له في وصف الربيع ، يبدو لنا من خلالها انه كان يعنى بالادب الى جانب عنايته واهتمامه بامور السياسة والملك . أما ابنه أبو عمرو المعتضد ، فانه يجمع بين غلاظة القلب وقسوته وبين رهافته ورقته . روى عنه انه أشرف على قتل ابنه اسماعيل بنفسه حينما

(١) انظر : د. محمد مجيد السعيد : الشعر في ظل بني عباد ص ١٨ وما بعدها .

(٢) انظر : نفسه ص٢٢ ومابعدها .

(٣) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ص ٤٨.

(٤) البيان المغرب ٣/٧ و٢ ومابعدها .

(٥) انظر : د. محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين ص ١٢ ومابعدها .

(٦) الذخيرة ٢/١٣ .

تآمر عليه(١)بينما نراه يتهاوى ألما وحزنا لموت طفلته ، فتذيبه فجيعته بها حتى تؤدي بحياته بعدها بأيام قلائل (٢)، وفي الوقت الذي تتصاعد قسوته وصرامته وشدة بطشه باصدقائه وجلاسه نجده « شاعرا غزلا رقيقا يتذلل لمحبوبه ويتلهف للقياه ، ويتطلع بشوق الى قبلة منه او رشفة ، ويتألم في أسى ومرارة من هجره وفراقه ، ونجده ايضاً في لياليه الخمرية الحمرو أمسياته بين الجواري والقيان والقصف والرقص ، يمجن ويلهو حتى يغرق في لهوه ومجونه ، ويجد ويعزم حتى يخشى عليه من جده وعزمه » (٣). ويذكر عنه ابن حيان انه « نظر في الأدب قبل ميل الهوى به الى طلب السلطان ادنى نظر بأذكى طبع ».. فقرض قطعا من الشعر ذات طلاوة في معان امدته فيها الطبيعة وبلغ فيها الارادة ، واكتتبها الادباء للبراعة (٤) وكان حصيلة أشعاره تلك ديوان شعر جمعه له ابن اخيه اسماعيل (٥)، رآه الحميري « سفراً صغيراً في نحو ستين ورقة » (٦) ولكن هذا الديوان فقد (٧).

كان بلاطه مقصدا للشعراء والادباء لايخلو منهم ،وعنده سوق نافقة لهم « وله في ذلك همة عالية ، الف له الاعلم الشنتمري شرح الأشعار الستة ، وشرح الحماسة ، والف غيره دواوين وتصانيف لم تخرج الى الناس »(٨).

وطرز ابن شرف تأليفه « أبكار الأفكار » باسمه وبعث به اليه على البعاد دون القدوم اليه(٩). ومن قبل ارسل اليه خمس قصائد من شعره مع رقعة خاطب بها وزيره ابن زيدون .. (١٠). الى غير ذلك من دلالات تشير الى اهتمام المعتضد بالثقافة وبالمثقفين ورعايته لهم .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ١٥٧/٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١١ ، ص ٢٠٥ (مخطوط).

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ٥٢/٢ .

(٣) الشعر في ظل بني عباد ص ٢٤ .

(٤) الذخيرة : ٢٨/٢ .

(٥) نفسه ، ٢٩/٢ .

(٦) البيان : المغرب ٢٨٥/٣ .

(٧) قمنا بجمع اشعاره ونشرها في مجلة المورد ، المجلد الخامس – العدد الثاني ، سنة ١٩٧٦ ، ص ١٠٥ – ١١٨ ، وقام ايضاً بجمعها ( ) ونشرها على شكل ديوان .

(٨) البيان : المغرب ٢٨٤/٣ .

(٩) الذخيرة ١٧٧/٤ .

(١٠) نفسه : ١٧٢/٤ .

في هذا العصر وفي كنف هذين الحاكمين ترعرع الحميري ونشط وأبدع . وبتشجيعهما وتحفيزهما اياه الف كتابه « البديع في وصف الربيع » .

حياته :

هو اسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميري ، يكنى ابا الوليد (١) ،ويلقبه ابن بسام (حبيب) (٢) ، بينما ورد هذا اللقب عند ابن الأبار لأبيه (٣) .

ويبدو ان تلقيبه بـ (حبيب) جاء التباساً لأن ابن بسام يشير صراحة في متن كتابه اثناء حديثه عن القاضي ابن عباد الى ان المدعو بهذا الاسم هو والد الحميري (٤) . ومن هنا فقد حصل وهم في عنوان ترجمة ابي الوليد اسماعيل (٥) .. وعن هذا الوهم نقل ابي سعيد والمقرى وهما يشيران صراحة الى انهما كان ينقلان عن ابي بسام . اما الحميري وهو قريب العهد بابي الوليد اسماعيل فانه لم يتعرض لهذه المسألة .

كانت عائلته من اشبيلية وممن اظلتهم الدولة العبادية وكان والده (حبيب) مقربا الى مؤسس الدولة القاضي ابن عباد ، وممن أيد حكمه ووقف الى جانبه منذ الأيام الاولى لاعلانه الاستقلال في اشبيلية . وقد شن ابن بسام عليه هجوما عنيفاً ، قال عنه « رجل من أهل بادية اشبيلية لم تكن له نباهة مذكورة ، ولا سابقة مشهورة ، أوسع اهل زمانه شرا واوسعهم خديعة ومكرا »(٦). ثم ذكر ان المعتضد قد افتتح امره بقتل حبيب هذا (٧) .

---

(١) انظر أخباره وترجمته وأشعاره في : الحميدي جذوة المقتبس ، ص١٦٢ ، رقم الترجمة ٢٩٥ ، الضبي : بغية الملتمس ، ص ٢١٣ ، رقم الترجمة ٥٣٤ ، ابن بسام : الذخيرة: ١٢٤/٢ وسابعدها ، ابن سعيد المغربي : المغرب ٢٥٠/١ ، رايات المبرزين ، ص١١ ، ابن الابار : تكملة الصلة ، ص ٢١٩ ، رقم الترجمة ٤٧٤ ، المقرى : نفح الطيب ٤٢٧/٣ ، العمري : مسالك الابصار ، ج١١ ، ورقة ٢١٥ ، وفي كتابه البديع في وصف الربيع مجموعة اشعار ونصوص نثرية له .

(٢) ولقبه كذلك ابن سعيد في المغرب والرايات ، والمقرى في النفح

(٣) التكملة : ص ٢١٩ .

(٤) انظر : الذخيرة ، ١٩/٢ ، ٢٤ .

(٥) انظر نفسه ١٢٤/٢ .

(٦) نفسه ص ١٩/٢ .

(٧) نفسه ٢٤/٢ .

شغل والد الحميري منصب الكتابة للقاضي بن عباد زمناً طويلا . ونال مرتبة اجتماعية وأدبية عالية لدى معاصريه ، وحظي بتقديرهم واعجابهم ، فامتدحه ادباء العصر ، واشادوا بذكره من أمثال ابن الابار ، وأبي الحسن علي بن ابي غالب ، وأبي بكر بن نصر ، وابي بكر بن القوطية وابي الحسن بن علي (١).

قال ابن الابار فيه ضمن قطعة يصف فيها لوز الباقلاء بعد أبيات عديدة :

كــأن جــلّ عـــامـــر ... مــن خلقـــه طيبـــا خلـــق (٢)
مــلك اذ صـــان عـــا ... حلـــمـــا وأن ســيـــل اندفــق
ان يَـخـــل الغيـــث سـخـــا ... او عـنــف الـدهـــر رفـــق

ومن خلال مدح الوالد كانت تمدح الارومة والعشيرة ويثنى على الأصل والمحتد . يقول ابن الابار ايضاً في وصف الربيع موصولا بمدح والد ابي عامر اسماعيل الحميري ضمن قصيدة طويلة :

ارض تبـاهي الســمـاء مشرقـةً ... بكـل نجـم من زهرهـا أزهـر (٣)
وقبـل مـا فاخرت كـواكبهـا ... بالعـز والصيـد مـن بنـي حـمـيـر
بكـل غيـث اذا السـمـاء صحـت ... وكل ليـث اذا القنـا كـسّـر
وكل سهـم اذا انتحـى غرضـا ... وكـل شهـم اذا عـلا منبـر
.... الخ .

يقول أبو بكر بن القوطية — صاحب الشرطة — فيه ايضاً :

أنس المعالي بابـن عامـر الذي ... عمـرت بدولتـه منازلها الدُّرسْ (٤)
أحيى الرياسة بالسياسة فهو مفصح نكتها... (٥) بعد الخرس
نور تـوقـد فاستبـان بلمحه ... مـا كان قبـل ذلك والتبس

---

١) انظر الحميري : البديع : الصفحات ٢٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١١١ ، ١٣٩

(٢) نفسه ،ص ١٥٤

(٣) نفسه ، ص ٢٥

(٤) نفسه ص١١١ .

(٥) بياض في الأصل .

ولأبي عامر اسماعيل أخ يدعى ابا زيد محمد بن محمد الحميري ، وكان فقيها عاليا في روايته سمع من ابي عبدالله محمد بن احمد بن عبدالله الباجي في اشبيلية (١) واعتبره ابن الأبار القضاعي شيخ ابي بكر بن عربي (٢) ويذكر ابي عربي انه اخذ عنه سنة ٤٨٤هـ(٣).

اما صاحبنا ابو عامر اسماعيل فقد نشأ في كنف والده ورعايته وأبدى رغبته في الادب والميل اليه ، « فكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق ، وينثر النثر الرائق» (٤) وغير والده لم نعرف له استاذا اشرف على توجيه موهبته الأدبية وتنمية قابلياته وابداعاته سوى ابي جعفر بن الأبار « الذي أقام قناته وصقل مرآته ، فاطلعه شهابا ثاقبا ، وسلك به الى فنون الآداب طريقا لاحبا» (٥) فكانت همته الأدبية عالية ونشاطاته واسعة ، ساعدته مكانة والده في بلاط العباديين ان يتعرف على المعتضد بن عباد ويستوزر له (٦) وأن تتوشج بينهما علاقات حميمة (٧) ، ويسر له ايضا قربه من البلاط اقامة علاقات أدبية مع شعراء العصر فكانت بينه وبينهم معارضات ومراسلات برزت في كتابه البديع في وصف الربيع.

ولم يتيسر لنا شيء عن حياته العائلية ولا عن نشاطاته الاجتماعية الا النزر القليل الذي يكشف لنا انه كان متزوجا وانه انجب طفلا وان له جارية توفيت . وذلك من بيتي ابي جعفر بن الأبار اللذين كتبهما اليه ضمن قصيدة :

أوما رأيت الدهر اقبل معتبا ... متفضلا بالعذر لما اذنبا (٨)
بالأمس أذوي في رياضك أيكة ... واليوم اطلع في سمائك كوكبا

---

(١) انظر ترجمته في ابن بشكوال : الصلة ٥٥٧/٢ ، رقم الترجمة ١٢٢٣ وذكر اسمه كالآتي (محمد بن احمد بن عامر الحميري).

(٢) التكملة : ص ٢١٩ .

(٣) الصلة ٥٥٧/٣

(٤) النفح ٤٣٨/٣ .

(٥) الذخيرة ١٣٥/٢ ، النفح ٤٢٨/٣ .

(٦) النفح ٤٣٨/٣ .

(٧) انظر : البديع ، ص ٩١ ، حيث ذكر ان المعتضد كان يتردد على بستان للحميري ، وهو مايؤشر بعد العلاقة بينهما .

(٨) الجذوة ص ١١٥ ، ترجمة رقم ١٩٠ .

ونعلم أيضاً من خلال اخباره المقتضبة انه توفي قريبا من عام اربعين واربعمائة للهجرة (١) وهو ابن اثنتين وعشرين سنة (٢) وقيل ابن تسع وعشرين سنة وهي رواية منفردة لابن سعيد (٣). وهنا لابد من ان نقف عند قضيتين اولاهما تقدير عمره وسنة وفاته قياسا الى نتاجه والى مكانته التي حققها خلال حياته وثانيهما اسباب وفاته .

اما فيما يتعلق بالقضية الاولى فانه اذا كانت وفاة الحميري بحدود ٤٤٠ هـ تكون ولادته قريبة من ٤١٨ هـ على الرواية الاولى . التي حددت أيامه باثنتين وعشرين سنه . وهو أمر لاينسجم مع المعقول والمقبول، ولا مع طبيعة النمو العقلي للبشر ،.الا اذا صدقنا وقبلنا بأن يكونا لحميري قد تولى الكتابة لذي الوزارتين القاضي محمد بن اسماعيل الحميري المتوفى عام ٤٣٣ وهو دون الخامسة عشرة ، وان يكون كتابه البديع الف في هذا العمر ايضاً لأنه يذكر في مقدمتهبانه الف كتابه بفضل ذي الوزارتين القاضي الجليل وابنه الحاجب وبتشجيعهما واحسانهما عليه(٤) ونفهم من النص انه قام بالتأليف في حياتهما لأنه يسأل الله ان يبقيهما ويمد بعمرهما ويديم اعتلاءهما (٥). فهل يصح او يعقل تقبل فكرة تأليفه لهذا الكتاب القيم وهو لما يزل دون الخامسة عشرة ؟! وهل يمكن ان يصبح ذلك اليافع الذي لايزال في سن المراهقة والصبا صديقاً بل وزميلا لشعراء البلاط من امثال ابن الأبار وابن أبي مسلمة وغيرهما .

من ذلك كله نجد من الصعوبة الأخذ بهذه الرواية ولابد من العودة الى رواية ابن سعيد ومناقشتها والتأمل فيها لأنها على انفرادها وعلى غموض مصدرها الذي اخذت عنه ، تبدو أقرب للمنطق وللواقع .. واكثر انسجاما مع المسار العام لحياة الحميري . فحينذا يكون عمره تسعة وعشرين عاما تكون ولادته بحدود عام ٤١١ هـ واذا كنا قد سلمنا – ومن خلال نصوص المقدمة – بأن كتاب البديع قد اعد في حياة القاضي ابن عباد المترفي عام ٤٣٣ هـ يكون الأمر حينذاك مقبولا لأن عمر الكاتب سيقدر بحدود الاثنتين وعشرين سنة حينما الف الكتاب المذكور وهو عمر نتوقع فيه نتاجا علميا ونشاطا أدبيا .

---

(١) الجذوة، ص ١٩٢، البغية ص ٢١٣، التكملة ص ٢١٩ .

(٢) انظر : الجذوة، ص ١٩٢، البغية ص ٢١٣، الذخيرة ق ٢/ ١٢٥، التكملة ص ٢١٩، النفح ٣/ ٤٢٨ .

(٣) المغرب ١/ ٢٥٠ .

(٤) انظر البديع ص ٣ .

(٥) نفسه

أما سبب موته فلم يذكر الحميري ولا الضبي ولا المقرى أي اشارة الى ذلك ولكن ابن بسام ثبت عبارة في ترجمته توحي بانه ربما مات بسبب مرض ألم به ، فأشعره بقرب أجله ودفعه الى نظم أبيات في ذلك ، ربما في رثاء حياته أو وداع ايامه القصار ، وشبابه الغض.

يقول ابن بسام عن الحميري « توفي ابن اثنتين وعشرين سنة ، فذهب باكثر ما كان في ذلك الوقت من حسنة ، وقد أعرب عن ذلك من أمره ، بابيات شعر قرأتها على قبره» (١) وسيبقى الأمر غامضاً مادمنا نجهل الأبيات التي قرأها ابن بسام على قبر الحميري . تلك الابيات التي أعرب فيها عن شيء ما يتعلق بحياته ، وافصح عن امور يعاني منها، ولكن ابن الابار ينفي موته بسبب مرض او علة ، ويقرر انه توفي معتبطاً (٢).

ومرة اخرى ينفرد ابن سعيد فيما يرويه عن حياة الحميري فهو يقرر انه قتيل المعتضد بن عباد (٣) وهذا امر غريب لم نعثر عليه في مصدر آخر مما توفر لدينا من المصادر التي سبقته والتي كانت قريبة زمنيا من عصر المترجم له . ورغم ان ابن سعيد كان ينقل عن ابن بسام ، كما اشار الى ذلك صراحة .. لم نجد هذه الرواية لديه ، ولعله وهم فيما ذكره ابن بسام من خبر استهلال المعتضد حكمه بقتل (حبيب) وزير أبيه (٤) .وحبيب هذا والد المترجم له وليس اياه ، ولعل مصدر الوهم هو التباس المصادر في اضفاء لقب حبيب عليه وعلى والده .

وعلى كل حال فاننا لانجد اية اشارة الى كونه قتيل المعتضد في كتب المؤرخين الذين عاشوا زمنا في كنف العباديين وعاصروهم من أمثال الحميري وابن بسام . والمرجح انه توفي بسبب مرض ألم به وهو ماالمح اليه صاحب الذخيرة ، ولو كان الأمر غير ذلك وانه قتل بيد المعتضد لما سكت عن ذلك المؤرخون ، خاصة وان دولة العباديين قد افلت وانتهى نفوذها بنفي المعتمد عام ٤٨٤ هـ ، فما عاد بعد ذلك ما يخيف أو يرهب المؤرخين من تدوين مثل تلك الأخبار لاسيما وانهم سجلوا اخبار قتلى المعتضد واخبار قسوته المتوحشة مع ابنائه ووزرائه وندمائه في اكثر من مناسبة وفي اكثر من كتاب .

---

(١) الذخيرة : ص ٢/١٢٤ .
(٢) يقال أعبطه الموت : أي أخذه شابا لا علة فيه .
(٣) المغرب : ١/٢٥٥ .
(٤) الذخيرة ق ٢/٢٤ .

أدبه :

حينما نتحدث عن أدب ابي عامر اسماعيل الحميري فانما نعني في حديثنا كتابه (البديع في وصف الربيع) لانه يمثل نتاجه الأدبي الوحيد الذي تركه لنا ، اضافة إلى مقطوعات شعرية أخرى ، سنقف عندها في أثناء كلامنا على شعره ، يعد الحميري ، رغم قصر عمره من أدباء القرن الخامس الهجري المرموقين الذين ساهموا في الحياة الأدبية في أشبيلية وكان لهم دور واضح في نشاطاتها . ولكتابه اليتيم أثر مهم في تاريخها وفي تدوين مأثورها ، اضافة لما امتاز به من منهجية علمية في تبويب الفصول وعرض النصوص — مما سنتعرض له في الصفحات اللاحقة .

عاش مترجمنا في النصف الأول من القرن الخامس الهجري— وهذا القرن يعتبر قمة نضج الأدب الاندلسي — وذروة تطوره وتكامل أدواته ، ويعتبر نقطة تحول كبيرة في مسيرة هذا النشاط الأنساني ، فأصبح الأدب أكثر استقلالاً واعتماداً على التراث وأكثر اهتماماً بحياة الأنسان الأندلسي وشؤونه وعواطفه ، فما عادت التيارات المشرقية ولانتاجاتهم تغري الاندلسي فتنسيه أعلام بلاده ومفكريها من شعراء وأدباء ومؤرخين وغيرهم . بل تحول احساسه وشعوره إلى لون من الحماس الوطني والتعصب البيئي ، وتحدد تأثره بالسياقات العامة لحركة الأدب والفن المشرقيين .. مبتعدا عن التقليد والمحاكاة والسير على المنوال من غير اضافة او ابداع أو تجديد او تطوير ، وما عادت الشخصية الأندلسية تذوب وتمحي أمام ابداع الشخصية المشرقية وسحرها وأهميتها ، فتحول الاندلسي إلى ند بعد ان كان تابعاً وظلا . وقد نسمع ذلك كله منذ مطلع القرن الخامس الهجري وما بعده ، ويمكن تلمسه في النتاجات التي كتبت في تلك الفترة سواء حول مسيرة التاريخ أو الأدب أو التراجم أو الفلسفة أو الفن المعماري ، بل أن بعض الأدباء الاندلسيين حاولوا ان يعبروا عن ذلك صراحة وأن يظهروا فضل بلادهم على غيرها ، وأن يعلنوا تفوقهم في ميادين عديدة ، ويكفي هنا ان نشير إلى رسالة ابن حزم في فضل الأندلس (١) وإلى ما ورد في مقدمة الذخيرة لابن بسام (٢) .. ومقدمة البديع للحميري (٣) وغيرها .

---

(١) الذخيرة [illegible] وما بعدها ، النفح [illegible] وما بعدها .
(٢) ص ١١ وما بعدها .
(٣) ص ١ وما بعدها .

ولسنا بصدد تحديد ملامح الأدب الاندلسي عامة ابان تلك الفترة لأن ذلك يتطلب منا وقفة طويلة عند كثير من نصوص التراث تخرج بنا عن حدود بحثنا، وتبعدنا عن الغرض الذي نقصده، ولكون الحميري اديبا متفاعلا مع تيارات عصره ومعطياته، مؤثراً ومتأثرا بنادي أدباء اشبيلية، قريبا من مسار الحركة الأدبية والفكرية التي تحكم ابناء زمنه، فان تلمس خصائصه الأدبية سيحدد لنا معالم مهمة من خصائص أدب تلك الفترة، ولكي نكون اكثر دقة في دراسة أدبه وسماته ومميزاته علينا ان نفرد القول عن نثره ثم عن شعره، لأن لكل منهما خصائصه ومجالاته ...

(أ) نثره :

ان نثر الحميري المتوفر لدينا قليل جدا، وهو لا يخرج عن النصوص التي ضمها كتابه البديع بين دفتيه، وهذا النثر على قلته يمكن ان يؤشر سماته الأساسية التي تميز بها الحميري، فقد كان يعتمد المحسنات اللفظية والمعنوية. وهي استجابة لطريقة الاندلسيين وولعهم بالزخرفة والتزيين، كالسجع والجناس والطباق والمقابلة. فمن ذلك كلامه المسجع في مقدمة كتابه وهو بصدد الحديث عن ذي الوزارتين القاضي بن عباد وابنه الحاجب :

وتأمل ايها الناظر في كتابي، تأمل اليقظ المنتقد، والمميز المنتقد، تر أغرب التشبيهات، وأعجب الصفات، وأبرع الابيات، وأبدع الكلمات لمن كان حواليهما من مُسند اليهما، معوّل عليهما، ومتصرف بين أيديهما ومتورط على أياديهما (١) .

ومن استخدامه الجناس التام وغير التام وسيلة لتزيين الفاظه : قوله في جواب على رسالة بعثها اليه صاحب الشرطة ابو الوليد ابن العثماني ومعها زهر الخيري :

«فلما تعاهدت خيريك عهاد شيمك، ودامت عليه ديم كرمك، بكر متنعما منها متنفساً عنه، ولا ندّ له الا الندى ولا مسابق له الا السابق، وقد قبضته مشغوفا به مستلذاً بقربه، متعجبا من حسن اختياره لاستتاره باستهتاره تحت جناح الظلام ليسلم من الجُناح والملام» (٢) .

اما الطباق فمثل قوله على لسان نواوير فصل الربيع «فلما قرأته اكبرت ما فيه، وبقيت في شدة خجلها، وانقضى عتابه وشرقت الورد بما عليه فيما نسب اليه من استحقاقه ما لا يستحقه واستيهاله ما لا يستأهله» (٣) .

---

(١) البديع ص ٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٣ .

(٣) نفسه ص ٥٩ .

وتظهر المقابلة في العبارتين الاخيرتين من قوله :

«يا مولاي الذي رقه لي شرف، وجوده على سرف ومن ابقاه الله لرفع شأن ودود، ووضع شأن حسود» (١) .

وكان استخدامه لتلك الوسائل الجمالية متفاوت .. ولكنه للسجع أميل وأخوم من الأساليب الاخرى وهي على كل حال ميزة تميزت بها مؤلفات تلك الفترة ونتاجاتها .

أما رسالته في تفضيل البهار على الورد (٢) فقد كتبها رداً على رسالة الوزير ابي حفص احمد بن محمد بن برد التي فضل فيها الورد على بقية النواوير (٣). ويبدو ان الحميري قد استعار طريقة ابن برد رسالته «ولكنه اربى عليه بالافاضة والاطناب» (٤). وهذا اللون من الرسائل التي تقوم على الجدل والحجة والمحاورة والمفاضلة شاع في الاندلس وتجاوز مجال الزهور إلى أشياء أخرى .

وقد فصل القول في ذلك الدكتور احسان عباس (٥) وحاول ان يحملها معاني رمزية ودلالات ايمائية قد تعني في حالة تفضيل البهار على الورد .. تفضيل الشاعر نفسه على بقية الشعراء من اصدقائه ونظرائه.. وكذلك حينما يفضل ابن برد الورد على بقية الزهور فهو يرمي من ذلك إلى انه الورد بين زهور حدائق الأدب ونواويرها وعندما يتساوى القلم والسيف في رسالة اخرى فان الكاتب يدعو إلى التسوية بين الفريقين (٦)، في عهد تأخرت فيه مرتبة اصحاب الاقلام وتوجهت منازل الجند والفرسان وهو عهد دول الطوائف (٧) .

ويلاحظ على اسلوب هذا النوع من الرسائل النثرية عادة الطرافة والسلاسة وتجنب التعقيد مع ان المرتقب ان تكون هذه الموضوعات مما يجنح إلى التصنع والتعقيد بسبب

---

(١) نفسه ص ٨٥ .

(٢) انظر نص الرسالة في البديع ص [illegible]

(٣) انظر نص الرسالة في البديع ص ٣٢ وما بعدها .

(٤) [illegible]

(٥) انظر كتابه تاريخ الأدب الاندلسي - عصر الطوائف - ص ٢٨٧ وما بعدها .

(٦) انظر: نفسه ص ٢٨٨ وما بعدها .

(٧) انظر نفسه ص ٢٨٩ .

ما يتخلله من جدل واحتجاج وتفاخر وتنافس يقوم على مباهاة بالقول ومباراة في اللفظ وتصنع واضح وتعمد» (١) .

وتقوم رسائل المفاخرات بين الازهار على عناصر عديدة تتشكل منها اللوحة الأدبية، فيها شيء من روح الاقصوصة وتحتوي على الحركة والتلون والتنوع في بنائها كما انها تقوم على عنصر الخيال. فهي غالباً ماتكون مجموعة أزهار في ديوان أو مجلس واحد وتبدأ هذه النواوير – وهي بمثابة شخوص – تتحادث وتتحاور وتتناقش، وأحياناً تتفلسف من أجل الوصول إلى غاية معينة وهي تفضيل أحد الانوار.. وتنصيبه رئيسا او تجعله مميزا ومتقدماً على بقية نواوير المجلس ثم يكتب اليه بكتاب المبايعة والاقرار. ثم بعد ذلك يتقدم كل نور على انفراد ليقدم اليه الولاء والشهادة بالتقدم والتفوق والتفضيل بكلمات رقيقة من الشعر او من النثر. وكتّاب هذه الرسائل بما يقدمونه من مراسيم وتقاليد ذات صفات رسمية دقيقة في طريقة المبايعة، انما يتقلون «صورة الديوان السلطاني إلى الطبيعة بما وضعوه لها من رسوم الحضرة ومجلس الجماعة» (٢) .

ويتضح لقارىء هذه الرسائل من خلال ما تعتمد عليه من ركائز جدلية فيها الحجة وفيها المحاورة وتقديم الدليل والبرهان، ان الاندلسيين كانوا يرمون إلى اشباع حاجة في نفوسهم نحو هذا اللون من العمل الذهني وارضاء ميل عقلي «اكثر من توفرهم على اقامة الصلة العاطفية بينهم وبين المنظر الجميل» (٣) ، كما انهم بذلك قد «امتحنوا بها مقدرتهم الجدلية، واتخذوا من الطبيعة موضوعا للجدل بدلا من أن يكون جدلهم حول شؤون العقيدة اذ كانت المناظرات في أمور العقيدة مظلة خطر» ... (٤).

فهي اذن وسيلة يمتطيها المثقف الاندلسي للتعبير عن خلجات في أعماقه يصعب عليه البوح بها بشكل مباشر فيستخدم الايماء أو الإيحاء أو الرمز .

(ب) شعره :

اما شعره فلأبي عامر اسماعيل الحميري مجموعة مقطوعات شعرية تضمن كتاب البديع النثرية، وأورد ابن بسام مقتطفات اخرى في كتابه (الذخيرة) وتكررت هذه الأشعار

---

(١) د. حازم عبدالله خضر، النثر الاندلسي ص ١٤٧ .

(٢) تاريخ الأدب الاندلسي – عصر الطوائف – ص ١٤٧ .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

في المصادر التي تعرضت له ولم يذكر احد ان للحميري ديوان شعر (١) ، ولكنه كان يقرض النظم وهو لما يزل في السابعة عشرة من عمره (٢) ، وشعره يتوزع بين المدح والوصف والخمر والغزل . ولكن هذه الاغراض قلما تأتي مستقلة منفردة في موضوع واحد .

فالمدح يغلب على اغراضه الشعرية الاخرى وهو موجه إلى ذي الوزارتين القاضي ابن عباد او إلى ابنه ابي عمرو عباد (المعتضد) او إلى والد الشاعر او إلى احد اصدقائه من الشعراء، وقصيدة المدح لديه لا تختلف كثيراً عن النهج العام الشائع بين شعراء عصره من بدء الممدوحة بتمهيد تلطيفي يخف على النفس ويلين على السمع لينتقل الشاعر بعد ذلك إلى موضوعه الأساس ويدخل إلى الحديث عن ممدوحه ، والحميري في مدائحه يتكيء على وصف الطبيعة فيجعل منه تمهيدا لغرضه ، بعد ان كان الشعراء يتوكلون على الغزل التقليدي، لأن هذا اللون من الوصف كان يحظى باستلطاف جمهور المتأدبين والمثقفين ويستحوذ على مسامعهم وقلوبهم، وفي ذلك يحقق الشاعر نجاحه في لفت اهتمامهم إلى قوله.. وبالتالي إلى فتح الابواب والنوافذ امام مديحه ، اضافة إلى ان الشعراء « كانوا يجدون التشجيع في ذلك من الممدوحين انفسهم » (٣) .

فمن مدائحه التي جاءت مقدمتها في وصف السوسن وموصلة بمدح الحاجب ابي عمرو (المعتضد) وفيها تشبيه مبتكر :

وسوسن يتهادى   للأنس بالراحتين (٤)
نعم المواصل لو لم   يعد بنأى وبين
كأنما خلقه الفـ   ـد خمسه من لجين (م)
أو أنمل بضه ما   تركبت في يدين
وبينها حارس لا   ينام طرفة عين
علا واشرف منها   على جمال وزين

(١) وردت له في كتاب البديع ثلاث وعشرون مقطوعة وقصيدة معظمها جاء مستقلا والقليل منها ورد ضمن نثره. وفي كتاب الذخيرة ١٣٣/٢ و١٣٤ ثلاث قطع شعرية جديدة .
(٢) النفح ٤٢٨/٣ .
(٣) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف – ص ١٩٦ .
(٤) البديع ص ١٣٨ .

كما علا الحاجب المنتقى على الشعريين (م)
ملك به حال دهري بين الخطوب وبيني

وتمتزج صفات الربيع وصفات ازهاره ونواويره بصفات الممدوح وأخلاقه واريحيته : حتى ليتحولا الى شيء واحد : الربيع والممدوح ، وهذا الاندماج يعبر عن عمق المشاعر وصدق الانفعالات للشاعر المادح : لأنه يسحب حبه للطبيعة ولرياضها ولبهجتها ولانوارها ولألوانها الزاهية الى محبوبه الآخر الذي هو الممدوح لخصائص تميز بها او صفات توسمها فيه ، فلنسمعه يقول مادحا والده وواصفا الورد :

انما الورد في ذرى شجراته كأجل الملوك في هيأته (١)
رائق منظرا وخبرا وفد في حلاه التي حلت وصفاته
نفحة المسك من شذا نغماته خجل الخد من سنا خجلاته
مزجت حمرة اليواقيت بالد ر فجاءت به على حسب ذاته (م)
مثلما جاء من سماح وبأس خلق الحميري سم عداته
ان يعد فالوفاء حتم عليه فرضه في صلاته كصلاته

اما وصف الربيع وأزهاره ونواويره ورياضه وانهاره وطقسه فقد شغل الاندلسيين زمنا طويلا ، وتداخلت الفاظه وصوره والوانه وروائحه في لغتهم الأدبية بشكل عام وتسبقت بها كتاباتهم الشعرية والنثرية فلا يكاد يخلو منها فن من فنونهم ولا غرض من اغراضهم فكان وصف الطبيعة « بمثابة وتر طريف شده الأندلسيون الى جانب الأوتار الاخرى في قيثارة الشعر العربي ، وعزفوا من خلاله ابهج الألحان »(٢) .

ويبدو ان اديبنا كان مولعا بهذا الفن مغرما به ، نلمس هذا الولع وذاك الغرام في جميع مأثوراته ، وكتاب الربيع شاهد على هذه العناية والاهتمام بالطبيعة بوصفها ، فالمقرى يشير الى اكثار الحميري في نظمه ونثره من وصف الازاهر ، وجعل ذلك دليلا على رقة نفسه وشفافية حواسه (٣). والوصف الشعري يعتبر في معيار النقد من أدق انواع الفنون الاخرى « واصعبها منالا وأعزها مطلبا ، اذ لايحسن حتى يدق التشبيه ويسبح الخيال ويندر المجاز وتغرب الاستعارة ويكون ذلك رميا من الخاطر والهاما من العقل »(٤).

(١) نفسه ص ١٢٩ .
(٢) د. عمر الدقاق: ملامح الشعر الاندلسي ص ٢٦٦ .
(٣) النفح: ق ٤٢٨/٣ .
(٤) عبدالعزيز محمد عيسى: الأدب العربي في الاندلس، ١١٧ .

ولا نريد هنا ان ندخل في تفاصيل اندفاع الأندلسيين - ومن ضمنهم الحميري - الى مثل هذا اللون من الوان الشعر الوصفي ، فان ذلك يحتاج منا وقتا وجهدا طويلين يخرجان بالموضوع عن خطه ونهجه . ولكننا لابد ان نشير هنا الى اثر الطبيعة الاندلسية بشكل عام والاشبيلية بشكل خاص. « فالبيئة الاندلسية تنعم بجمال ثر وروعة آسرة ، وتصطبغ بظلال وارفة والوان ساحرة ، وتتنفس في جو عبق عطر يضاعف من روعته وبهائه مايتخلل جنباتها من مواطن السحر ومظاهر الفتنة التي تبعث الانبهار والدهشة في النفوس ، فتشد الالباب اليها ، وترهف الاحساس بجمالها ، وتزيد من الانجذاب اليها والتعلق بها» (١)، والحميري اشبيلي المولد والمنشأ فلا غرابة ان نلمس لديه ذلك الانصراف والتوفر على ممارسة هذا الفن والاكثار منه.

ومن خلال النصوص المتوفرة لدينا نقف على مقطوعات انفردت في منظر للربيع اوجانب من الطبيعة او نور او زهر دون ان تتداخل مع اغراض اخرى ، وهي حتى في حالة تداخلها فانها تقدم لنا صورا متكاملة لظواهر جميلة من طبيعة الاندلس :

فلنسمعه يقول في قطعة يرسم فيها مشهدا رائعاً من مشاهد اشبيلية وقت الربيع :

بكت السماء فاضحكت سنّ الثرى
بمدامع نظمت عليه جوهرا (٢)
فكأنها خرقاء تنثر عقدها
وكأنه مستغنم ان ينثرا
عكفت يداه على نظام فريد
وجمانه فردا لذاك مشمرا
وأعاده أبهى لطرف منظرا
وأعده أذكى لأنف مخبرا
فانظر محاسن للربيع تبرجت
لولا الربيع لما تجلّت للورى

(١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ص ١١٦ .
(٢) البديع ص ٢٧ .

وله قطع عديدة في نور او زهر مثل قوله في الجلنار :

وجلنار تبدى يختال في جلّ نار (١)
أحلى حلى من جميع الأنوار والأزهار
حكى خدود العذارى قد شربت باحمرار
وخمشت بأكف الالحاظ والأبصار

والبيت الأخير يتضمن استعارة جميلة :

ويقول في السوسن الأزرق ويسمى أيضاً (الخرم):

وخرّم حلو الحلى يبدو لعيني من لمح (٢)
تلّونا ومنظرا كأنه قوس قزح

وهذه المقطوعات الشعرية القصيرة في وصف صنوف الأزهار تشبه بطاقات المهادات بين بين الأصدقاء ، وغايتهم فيها طلب الصورة المبتكرة (٣).

وللحميري رسالته المشهورة التي يفضل فيها البهار على الورد وعلى بقية النواوير.. وهي رد على رسالة أبي حفص احمد بن برد التي فضل فيها الورد على الأزهار والانوار جميعها(٤) وقد ضمن رسالته هذه مقطوعات شعرية هي شهادات المبايعة جاءت على لسان البنفسج والنرجس والخيري والاقحوان والخيري الأصفر . وله ايضاً في هذا الموضوع قصيدة يرد فيها على من فضل الخيري الأصفر وبخس حق النمام اذ يقول :

يامن يذم خلائق النمام ويحطه عن خطّة الاكرام (٥)
قدك اتئد عن لوحة جهلا به فجماله زار على اللوام
هو أشهر الخيري حسناً فاحبهُ من بينه بتحية وسلام
متنزهٌ عن أن يرى مستهترا إلا اذا اكتمل الورى بمنام
مستطرف في خلقه مستظرف في خلقه مستحسن الالمام

(١) نفسه ص ١٦٠ .
(٢) نفسه ١٤٠ .
(٣) تاريخ الأدب الاندلسي – عصر الطوائف – ص ١٩٧ .
(٤) البديع ص ٥٨ .
(٥) نفسه ص ٨٥ .

لم يرضى الا المسك مسكاً جسمُه ... وبه يبوح اليك في الاظلام (١)

والمنتمي ابدا اليه قُصارهُ ... في الفضل ان يعزى الى النمام

اصفر من حسد له وكآبةٍ ... لما شآه بحسنه البسام

أيقاس منفردٌ بظرف معجزٍ ... بمشاركٍ اخلاق نور العالم

لو كانت الشمس المنيرة سرمداً ... لم تلق بالاجلال والاعظام

والمفاضلات بين الأزهار والمحاكمات والمحاورات بينها « ضرب من اختبار القريحة وترويض الذهن لخلق المحاكمات الجدلية والمعادلات المنطقية . وهو يمثل درجة عالية من صفاء الذهن ودقة الحواس وخصوبة الخيال الذي يتوصل بذكاء الى اكتشاف العلاقات الجامعة بين الصور فيتحسن استخدامها والربط بين جزيئاتها لتكوين الصورة الأم» (٢) فهذا اللون من المقطوعات يمكن ان يقال فيه ماسبق ان قلناه في النثر الذي يعتمد المفاضلة والمحاورة موضوعا له لأنه ايضاً يشبع ميلا عقليا لدى الشاعر ويجس قدراتهم الجدلية ويمتحنها.. وهما جميعا (النثر والشعر) يقومان على شيء من الجدل والنقاش والحوار والتعليل والتفنيد .

وقد تحقق في هذا اللون من وصف الطبيعة استقلال القصيدة الوصفية وتفرغها لغرض واحد ينصرف اليه همّ الشاعر ونشاطه . ولكن الحميري الى جانب مقطوعاته الوصفية الخاصة لفنها وموضوعاتها استخدم هذا اللون مقدمات لمديحه . كما ذكرنا من قبل . وهو أمر شاع آنذاك بين الشعراء واستخدموه في مديحهم .

وعلى كل حال فان شعر الطبيعة لدى الاندلسيين عامة — ومن ضمنهم شاعرنا — كان « يقوم على عدة عناصر بارزة من اهمها الجري وراء الصور الطريفة والاكثار من التشبيهات وذلك لاظهار مهارة الشاعر وبراعته في رسم مناظره » (٣) . وقد لمسنا هذا في نصوص الحميري التي تعنى بالطبيعة حيث تقوم على التشبيه والاستعارة وبناء الصور البسيطة والمركبة والحميري فيما عدا ذلك من اغراض الالاث قصائد بمنتزه أبيا الخمر بالنزل اوردها

---

(١) قال المؤلف في هذا البيت، المسك بضم الميم الجلد، والغرض منه تشبيه لون الزهر بلون المسك .

(٢) انظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ص ١١٨، وحامد عبدالمجيد: الشعر العربي في عصر ملوك الطوائف (رسالة دكتوراه) ص ٣٨ .

(٣) د. فوزي سعد عيسى: الشعر الاندلسي في عصر الموحدين ص ١٩٧ .

له ابن بسام في ذخيرته ، ولم نجد له غيرها في المصادر التي دونت مأثورة ، فمن شعره في الخمر مختوما بالغزل قوله :

وقهوة لايحدهـــا مبصـــر رقـت وراقـت في اعيـــن النظر (١)
اذا دنـت فـالسـرور مبتـسم وان نـأت فـالسـرور مستعبـر
كـأنهـا والحبـاب يحجبها بحـر من التبـر يقـذف الجـوهـر
غنيـت عنهـا فلسـت اقـربها بنـاظر منـه يسكـر المسكـر

وقد ابدع الحميري في بيته الثالث بما اورد من تشبيه ماله شبيه كما يقول ابن بسام (٢) وفي بيته الأخير لم يقنع ان يفعل ناظره فعل الخمر حتى اسكرها منه وهو زيادة حسنة وجميلة (٣) على قول ذي الرمة .

وعينـان قـال الله كـونـا فـكانتـا فعـولان بالالباب ماتفعـل الخمـر (٤)

وله متغزلا ومختما غزله بالخمر :

حمـام بلحظـك قـد حـمّ لـي فمـا زال يهـدي الى مقـتـلي (٥)
وان لم تغثني بمعنى الحيـاة من ريـق مبسمـك السلسـل
فهـا أنـا قـاض بـداء الهـوى وقاضي جمـالك لـم يعـدل
عسى من تلـفت بحبـي لـه يـرق عـلى ذي بـلاء بلـي
اذا مـاأدرت كـؤوس الهـوى ففـي شـربهـا لست بالمؤتـلي
مـدام تعتـق بالنـاظريـن وتـلك تعتـق بـالارجـل

وبيته الأخير « اغرب به الالباب وأعرب فيه عن موضعه من الصواب .. وكان له فضل التوليد وحسن من النقل ليس عليه مزيد» (٦) .. فالحميري يقتنص المعنى ويزيد عليه او يولد منه .. ولكنه يضفي عليه من روحه وحواسه مايجعله جديدا وطريفا .

---

(١) الذخيرة : ق ١٣٣/٢ .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه .
(٤) ديوان ذي الرمة ص ٤٧٨ .
(٥) الذخيرة ١٣٤/٢ .
(٦) نفسه .

هذه هي اغراضه الشعرية . اما وسائله في تحسين اللفظ والمعنى من جناس وطباق ومقابلة وغيرها مما كان شائعاً ومعروفاً لدى أدباء العصر ، فلا أجد حاجة الى الاطالة فيها والوقوف عندها لأنها كانت واضحة وجلية في معظم نصوصه الشعرية التي استشهدنا بها .

وعلى كل حال فان أبا عامر الحميري شاعر مقتدر وموهوب .. وقد شخص ادباء عصره تلك المقدرة الأدبية لديه ، وعرفوا منزلته ومكانته فتوثقت بينهم العرى وأمتدت الجسور.. وفي كتابه البديع اشارات الى تلك اللقاءات والمراسلات والى تلك الحلبة والنخبة من ادباء العصر .. ولاغرابة ان نجد ابا عامر بن مسلمة يخاطبه بقصيدة ثناء ويصفه بأحسن الصفات واعلاها اذ يقول :

يـــا واحـــد الادبـــاء والشعـــراء ... وابـن الكـرام السـادة النجبـاء (١)

.... الخ .

وكان يمكن ان يكون من الشعراء الكبار الذين يؤثرون في حركة الادب العربي ويتركون بصماتهم واضحة عليها ومن الذين يشار اليهم ، علما من الاعلام المرموقة لولا ان يد المنون اختطفته ، وهو لما يزل في ريعان شبابه وفي بدايات نتاجه . « ولو تحاباه صرف الدهر ، وأمتد به قليلا طلق العمر ، لسدّ طريق الصباح ، وضير في وجوه الرياح » (٢).

كتاب البديع :

أما كتابه الوحيد (البديع في وصف الربيع) (٣) فيعتبر من اهم الكتب التي وصلت الينا في موضوعه ومن اندرها . لأنه تميز عن تراث تلك الفترة بكونه يعنى بغرض شعري واحد ويعالج فنا من فنون القريض العديدة . وفق منهج علمي اعتمده المؤلف ، وأشـــار اليه في مقدمة الكتاب .

فقد اقتصر المؤلف على ماقيل في الربيع من مقطوعات وأشعار وما قيل في مكوناتـــه وتشكيلاته ومظاهره مــن أنوار وازهار وثمار .. وتخصيص الكتاب لمثل هذا الغرض يعتبر مبادرة طريفة وجديدة في الأدب لم يسبق اليها صاحبنا من قبل الاندلسيين ، ولعله ايضاً لم يسبق الى مثلها من قبل المشرقيين — كما سنوضح ذلك فيما بعد — ففي الوقت الذي كانت

(١) البديع : ص ٨٧ .

(٢) الذخيرة ٢/١٢٥ . .

(٣) نشر الكتاب الاستاذ هنري بيريس عام ١٩٤٠م – ١٣٥٩هـ. عن النسخة الوحيدة الموجودة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا وهي مصححة ولكنها غير محققة .

المؤلفات الأدبية تتخذ أسلوب التراجم أو المنوعات أو المجموعات الشعرية التي تتعدد فيها الأغراض والموضوعات نلاحظ تفرد الحميري باسلوبه الجديد .. واهتمامه بنوع واحد من انواع الفنون الأدبية .. وقد بوب هذه المقطوعات حسب طريقة ثبتها في المقدمة والتزمها في مؤلفه وكان حينما يخرج عنها – وخروجه قليل جدا – يبرر ذلك ويخرجه بأسلوب ادبي ليق .

ردّ الحميري كتابه الى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة . فجعل الفصل الأول منها يشتمل القطع التي قيلت في الربيع ، ولم يسم فيها نور ولاّ قصد بوصفها منه نوع .

والفصل الثاني قيد فيه القطع التي لم تنفرد بوصف نوار بل تناولت وصف نورين او اكثر .

وفي الفصل الأخير جمع المقطوعات المنفردة بنور واحد (١) . وثبت في الخاتمة ان الكتاب قابل للزيادة لأن موضوعه غير منته ، وقد نص على ذلك بقوله « هذا ما عثرت عليه وانتهيت البحث اليه ، وان وقع الي ّ بعد وصف رائق او معنى فائق الحقته في هذا الكتاب ووضعته بموضعه من كل باب » (٢) . فمنهج الكتاب يهدف الى التناسق والتماثل في تقسيمه للنتاج الوصفي والى التخفيف على القارىء والمراجع في الوصول الى مبتغاه» فمن الصواب في الدواوين والحذق في التواليف ان يضاف المثل الى مثله ويقرن الشكل بشكله فيقصد الطالب أي معنى شاء فيجد مقصده ويعتمد القارىء أي فصل أراد فيلقي معتمده» (٣).

ويذكر الحميري دوافع تأليف الكتاب وأسبابه فيقول ان فصل الربيع على جماله وعلى ما تميز به من « الصفات الرائقة والسمات الشائقة والالآت الفائقة لم يعن بتأليفه احد ولا انفرد لتصنيفه منفرد ، فلما رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب مضمنا ذلك الباب»(٤).

ويجعل من دوافعه الى تأليفه هو التشجيع والرعاية اللتان لمسهما من ولي النعمة القاضي ابن عباد وابنه عباد « والفضل في هذا الصنع الجميل لذي الوزارتين القاضي الجليل المنقطع المثيل ولابنه الحاجب الشهاب الثاقب نثره عبد ررحمة الله على العباد مولي ّ وسيدي ّ ابقاهما الله سترا علي ّ ، فهما اللذان اقامت مقعد العدم يد اغتباطهما وأمطرت ارض القطن سماء افضالهما

---

(١) انظر البديع ص ٥ .

(٢) البديع ، ص ١٦٠ .

(٣) نفسه ص ٥ .

(٤) نفسه ص ١ .

فدرت الدرر من تلك الفكر التي يسعيان لتحصين مرادهما وتحسين مرادهما » (١) .

ثم انه اراد وهو سبب ثالث دفعه الى تأليف الكتاب في هذا السفر ان يكشفَ عن فضل الاندلسيين على المشارقة في باب الربيعيات وان يرى سبقهم في حسن المعاني وطيبها (٢) وهو نفس لمسناه جليا منذ مطلع القرن الخامس الهجري بالاندلس ومابعده ، كما المحنا الى ذلك من قبل . وكما قلنا سابقا انّ الحميري الزم نفسه بخطة ومنهج لم يحد عنها الا في النادر ، وكان ينبه الى ذلك ويمهد بالتبرر وبالتخريج لهذا الابتعاد أو الخروج .. فهو في الفصل الثالث من الكتاب رتب ما قيل في الأنور والأزهار حسب تقدم زمانه وتبكر أوانه فالورد على علّو مكانه بين الزهور جاء متأخراً فذكره بعد مجموعة أزهار مشيراً الى انّه « لم يوجب تأخير امره (أي الورد) ولا ولدّ أرجاء ذكره تأخر منزلته وانحطاط رتبته وانما بنينا ان نقدم من تقدم به زمانه ونبدأ بمن بكر أوانه» (٣) وحينما أخرّ زهر اللوز وهو من الأزهار المبكرة علل ذلك التأخر بقلة ماقيل من وصف (٤).

ويتميز الكتاب ايضاً بكونه مقتصراً ، أو كاد ، على الاندلسيين من شعراء وادباء فهو يشير الى ذلك صراحة بقوله « ولست اوردته الا ما ذكر لأهل الأندلس خاصة في هذا المعنى اذ أوصافهم لم تتكرر على الأسماع ولا كثر امتزاجها بالطباع فتردها سيقة وتوردها تيقة »(٥) بل اقتصر او كاد ، على معاصري المؤلف من اصدقائه ومعارفه «واكثر ذلك لأهل عصري اذا لم تغب نوادرهم عن ذكري ، وأما من بعد عصره ، وكم فيهم من جليل قدره فقلما أوردت لهم» (٦) .

فكانت معظم نصوصه لشعراء وادباء من معاصريه من الذين كانت له معهم لقاءات ومسامرات ونزهات ومعارضات ومهاداة ، أو كانوا يلتقون في منتدى بلاط العباديين فالحميري يشير في أماكن كثيرة من كتابه الى تلك الروابط التي جمعته مع شعراء العصر . فمن الذين ذكر صراحة انهم انشدوه شعرا لانفسهم فيما يندرج تحت غرض كتابه ، ابو جعفر بن الآبار وأبو عامر بن مسلمة ، وأبو بكر بن القوطية (صاحب الشرطة) ،

---

(١) نفسه ص ٣ .

(٢) أنظر : نفسه .

(٣) نفسه ص ٢٠ .

(٤) نفسه ١٤٧ .

(٥) نفسه ص ١ .

(٦) نفسه ص ٢ .

وأبو بكر بن نصر ، وأبو القاسم البلمي ، والفقيه أبو الحسن بن علي ، وابو الحسن علي بن أبي غالب ، وأبو عبدالله بن مسعود ، وأبو علي ادريس بن اليماني ، وابو الحسن بن علي الاشجعي النحوي (١) .

كما ذكر ان ذا الوزارتين القاضي الجليل بن عباد قد أمّل عليه ابياتا شعرية من نظمه (٢) ، وان ابا بكر بن نصر كتب اليه بمقطوعة زمن الربيع يسأله فيها الخروج للاستمتاع بجمال الربيع وكماله (٣). ويضم الكتاب نصوصا اخرى لأدباء سبقوه زمنا ولم يعاصرهم ولم يسمع عنهم او يلتق بهم، منهم ابن شهيد، والرمادي، وابن دراج القسطلي، وابن عبد ربه وابن هانيء الاندلسي وغيرهم. ثم ان هذا السفر لم يورد النصوص مجردة كما فعل وسيفعل غيره في امثال هذه المؤلفات ذات الغرض الواحد . وانما تدخل المؤلف في سياقته للنصوص فكان يمهد لها بما يقربها من فهم المتلقي فلا يجتزئها من جوها العام، او يدفع بها مقحمة دون اعطاء الظرف الذي صاحب ولادتها، فمن ذلك قوله «واخبرني الفقيه ابو الحسن بن علي قال : كان في داري بقرطبة حائر (٤) صنع فيه مرج بديع وظلل بالياسمين، فنزهت اليه ابا حفص التدمري في زمن الربيع ، فقال: ينبغي ان تسمي هذا المرج «السندسة» وصنع على البديهة ابياتا تشاكل هذا الباب وتطابق غرض الكتاب وهي :

نهار نعيمك ما أنفسه   وربع سرورك ما آنسه

.... الخ الابيات (٥)

أو يشير إلى أن القطعة مأخوذة من قصيدة في المدح (٦) أو أنها مستلة من قصيدة مشتملة على أوصاف عديدة غير الأزهار (٧) .. وهكذا .....

وفي اماكن اخرى يجد نفسه مضطرا إلى توضيح معاني كلمات صعبة ترد خلال القطعة (٨) او قد يشرح معنى ورد في القطعة لغرابته أو لجماله وطرافته (٩) .

---

(١) انظر على سبيل المثال: الصفحات ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٩ ، ٧٤ ، ٩٤ ، ٩٨ .
(٢) البديع ص ٩٤ .
(٣) نفسه ص ٢٧ .
(٤) حائر : بمعنى البستان .
(٥) البديع ص ١٩ .
(٦) نفسه ص ١٢ .
(٧) نفسه ص ١٥ .
(٨) انظر على سبيل المثال: البديع، ص ٦ ، ٩ ، ١٣ .
(٩) انظر على سبيل المثال: البديع، ص ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ .

ولما كان الحميري شاعرا فليس من الحق أن يحرم نفسه وشعره من الصول والجول في هذا الميدان ومن آثاره الانتباه إلى موهبته وابتكاره وقدرته ، لا سيما وان زملاءه واخوانه قد أخذوا نصيبهم من سفر الربيع ، فكان بين الحين والآخر يورد نصا من أشعاره في وصف زهر او نور ، كقوله في وصف زهرة السوسن موصولة بمدح الحاجب :

وسوسن يتهادى للأنس بالراحتين (١)

.... الخ .

أو يأتي بقصيدة فيها مجاراة او محاكاة لمعنى من المعاني الطريفة او صورة من الصور المبتكرة التي ترد في شعر غيره ممن يستشهد لهم مدللا بذلك على مقدرته وقابلياته ، فمن ذلك مثلا ، قطعة ابي الحسن بن علي التي مطلعها :

كأنما الروض لما وشت يد المزن ارضه

حيث قال على نحوها وغرارها .

انظر إلى النهر وأعجب بحسن مرآه وأرضه (٢)

قد حل بين رياض من النواوير غضّه

فيها بهار بهيّ بدا قرين ارضه

كأنه جيد تبر يلوح في طوق فضّه

.... الخ .

او يأتي بشعره جوابا على رسالة شعرية ترده من أحد اخوانه (٣) وهذا الكتاب الذي نتوقع ان ينتقي القطع الشعرية الجميلة التي نظمت في مظاهر الطبيعة وقيلت في معالم الربيع وتناغمت مع الوانهما وزهورهما وبدائعهما.. لم يقف عند هذا اللون من الوان الفن الأدبي بل أشرك في اختياراته وانتقاءاته قطعا نثرية — وهي قليلة ايضا قياسا إلى القطع الشعرية — لا تقل عن الشعر روعة وجمالا .. فهي شعر منثور وصور تحكي قدرة مبدعها وموهبة خالقها فزادت النواوير نورا والأزهار زهراء وبذلك يسجل الحميري ميزة اخرى لكتابه في اقتناص القطع النثرية ذات العلاقة بموضوعه ، فكانت له وقفة طويلة عند مبايعة الأزهار والتفاضل فيما بينها ، فأورد رسالة الوزير ابي حفص احمد بن محمد بن برد إلى الوزير

(١) نفسه ، ص ١٣٨ .

(٢) نفسه ، ص ٤١ .

(٣) انظر : نفسه ، ١٨٨ ، ١٢٨ .

ابي الوليد ابن جهور التي فضّل الورد على بقية النواوير والازهار (١) ، ثم اردفها المؤلف برسالة مشتملة على وصف مجموعة انوار فضّل فيها البهار على الورد (٢) . ورسالة ثالثة لابي جعفر بن الأبار (٣) في الغرض ذاته. وموضوع المفاخرة بين الازهار سابقة ظهرت بوادرها في العصر العباسي فألفت فيها رسائل نثرية عديدة (٤) ، ونظمت فيها القصائد ودالية ابن الرومي التي فضل فيها البهار على الورد مشهورة في هذا المجال (٥) . وقد جرى الأدباء والشعراء بعد ذلك على طريقته في المفاضلة والتغليب بين الزهور بالشعر والنثر ، وكان للاندلسيين اهتمام خاص بذلك، متوسعين فيه إلى التفاضل والتفاخر بين امور اخرى غير الازهار.. كالمفاخرة بين القلم والسيف (٦) . كما كان يفعل المشارقة في هذا المجال من قبل (٧) .

هل تأثر الحميري أو أثر بغيره ؟

في السطور الاولى من مقدمة الكتاب يقرر المؤلف بثقة ووضوح انه لم يعرف احدا كتب في مثل هذا التصنيف واهتم بهذا اللون من الوان الأدب على مافيه من رقة وبداعة وجمال .. بل انه اعتبر مؤلفه هذا سبقا في هذا الميدان لأنه كان مغفلا من قبل المؤلفين ، فهو يقول «ان أحق الأشياء بالتأليف، وأولاها بالتصنيف ما غفل عنه المؤلفون ، ولم يعن به المصنفون مما تأنس النفوس اليه وتلقاه بالحرص عليه، وفصل الربيع آرج وأبهج وآنس وأنفس وأبدع وأرفع من أن أحدّه بحسن ذاته وأعدّ بديع صفاته، وحسبي بما يعلم الكل منها ويخبر به الجميع عنها شهيدا لما قلته ودليلا على ما قلته ، وهو مع هذه الصفات الرائقة والسمات الشائقة والالآت الفائقة لم يعن بتأليفه أحد ولا انفرد لتصنيفه منفرد ، فلما رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب مضمنا ذلك الباب» (٨) ولكن ولأجل الجواب على سؤالنا

(١) انظر نص الرسالة: البديع ص ٤٣ وما بعدها .

(٢) انظر نص الرسالة: البديع ص ٥٨ وما بعدها .

(٣) انظر نص الرسالة: البديع ص ٩٧ .

(٤) انظر: هلال ناجي: رسالة الازهار ص ١ .

(٥) انظر: القصيدة في ديوانه — ط ١ كامل كيلاني ص ٣٨ .

(٦) انظر مثلا: الذخيرة ١/٥٢٣ وما بعدها .

(٧) انظر: هلال ناجي: مناظرتان بين السيف والقلم: مجلة المورد: المجلد الثاني عشر — العدد الرابع ١٩٨٣، ص ١١٣ .

(٨) البديع ص ١ .

السابق يتوجب علينا ان نتتبع عبر العصور الأدبية السابقة للحميري في المشرق والمغرب الاعمال الي حاولت ان تعتمد منهجا قريبا او شبيها بما اتبعه الحميري في كتابه ، وعندما يكون مثل هذا العمل امامنا ، يتطلب الامر بعد ذلك ان نتأكد من احتمال اطلاع الحميري عليه بطريقة او باخرى ، ومن ثم نقرر مقدار استفادة المؤلف من السابقين وتأثره بهم .

وعندما نعود إلى المكتبة الأدبية لما قبل الحميري نجد من المؤلفات التي جعلت من وصف الربيع ووصف مظاهره موضوعا تفردت به واقتصرت عليه كتابا واحدا هو كتاب (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب) (١) لشاعر السري الرفاء المتوفي عام ٣٦٢هـ (٢)، وقسم المشموم منه هو الجزء الخاص بالعطور والأزهار والأنوار ، ووصف الانهار والغدران والجداول وغير ذلك (٣) ... وكتاب السري الرفاء يتألف من مقدمة نثرية احتوت على نعوت الربيع باسلوب شاعري جميل (٤) واربعة وثلاثين بابا ... وهي كالآتي حسب تسلسلها في المخطوط (٥) .

(١) تفضل الاستاذ الجليل هلال ناجي باطلاعنا على مايكروفلم لقسم المشموم الى مصور عن مخطوطة ليدن ذات الرقم ٥٥٥٥ والكتاب المذكور جمع فيه المؤلف من رقيق شعر معاصريه والقريبين من عصره في الغزل والخمر والطبيعة وقسمه أربعة كتب :
١ — وصف قوام الحبيب
٢ — اشعار في الحب
٣ — العطور والازهار
٤ — اسماء الخمر
انظر : ديوان السري ، تحقيق ودراسة الدكتور حبيب حسين الحسني — رسالة دكتوراه لا تزال مخطوطة ص ٢٢ ، ٥ (وقد نشر القسم الاول من الكتاب الدكتور حبيب حسين الحسني) بعنوان (المحب والمحبوب) عام ١٩٨٧ ، دار الرسالة للطباعة — بغداد .

(٢) هو ابو الحسن السري بن احمد بن السري الكندي الرفاء الموصلي ، كان شاعراً عذب الالفاظ حسن المعاني [illegible] عام ٣٦٢ بالقاهرة وقدم عنه دراسة وتحقيق الدكتور حبيب حسين الحسني لنيل درجة دكتوراه من جامعة القاهرة عام ١٩٧٢ .

(٣) انظر مخطوط المشموم ورقة ٦ .

(٤) استغرقت المقدمة سبع صفحات من المخطوط .

(٥) انظر مقدمة مخطوط (المشموم) ورقة ١ .

في الربيع ، في البرق، في الغيم والرعد، في الغدران والجداول وتدرج الرياح اياها وتركيب السماء والنجوم فيها، في باكورة الخلاف، في تفتح الانوار ، في جري الماء بين الخضر، في سقوط الطل على الانوار، في اهتزاز الاوراق بالاغصان ، في تمايل الاغصان وتعانقها، في طلوع الشمس من خلال الاوراق، في تنزه العين في الربيع، في تناثر النوّار ، في رقة النسيم، في الشقايق، في البنفسج، في الورد، في الاقحوان ، في النرجس، في الياسمين والخرّم والليمو وورق العصفر والباقلي، في النمام والشامقرم، في السوسن، في الخيرى، في النارنج، في الاترج، في الاذريون، في البهار، في الجلنار، في التفاح ، في السفرجل، في الآس، في الينوفر، في الزعفران ، وفي مشموم الطيب. وما تستعمله العرب (من العنابر والكوافير والاعواد والغوالي وغيرها) . وفي نهاية الكتاب اضاف المؤلف ابوابا اخرى لم يذكرها في المقدمة وهي ابواب تخص الباب الاخير اي ما يتعلق بما تستعمله العرب، فافرد بابا لما جاء في الأثر من استعمال الطيب (١) ، وبابا في اسماء المسك (٢) ، وبابا في اسماء العود (٣)، وبابا فيما صرفته الشعراء من معانيه (٤) ، وبابا آخر في اسماء العنبر (٥)، وبابا فيما وصفه الشعراء (٦) ، وبابا فيما يلون فيه الطيب (٧) ، وبابا للذي تستعمله البادية (٨) ، وآخرها باب اسماء الزعفران (٩) .

وسفر السري الرفاء (المشموم) لم ينفرد في الربيع وبذا النحو في الطبيعة ومعالمها وظواهرها وانما جمع الى ذلك كل مايشم وتطيب رائحته من الأشياء .. فتطرق الى العطور المستعملة في عهده من المسك والكافور والغوالي وما يلون الطيب ومن يستعمله من اهل البوادي الى غير ذلك ، وهذا أمر بدهي في سفر يحمل عنوان المشموم وان كنا نجد غرابة في ادراج امور غير مشمومة ولا ذات رائحة في الكتاب ، مثل الغدران والانهار وطلوع الشمس من

---

(١) مخطوط المشموم ص ٣٦ .
(٢) نفسه ورقة ٣٦ .
(٣) نفسه ورقة ٣٧ .
(٤) نفسه ورقة ٣٨ .
(٥) نفسه ورقة ٣٩ .
(٦) نفسه ورقة ٣٩ .
(٧) نفسه ورقة ٤٠ .
(٨) نفسه ورقة ٤٠ .
(٩) نفسه ورقة ٤١ .

خلل الأوراق وغيرها من الأبواب الرئيسة في الكتاب .. ثم انه كان يكتفي بنقل النص الشعري دون تعليق او تمهيد أو شرح او تفسير أو توضيح مما وجدنا في كتاب الحميري ، الا في القليل النادر ، والسرى والرفاء شاعر مجيد ومبدع وبخاصة في وصف الطبيعة ، ولكنه لم يأت بشواهد من نظمه في معاني موضوعه ولم يشر الى معنى او صورة قالها في مجال ما من مجالات الكتاب مثلما فعل الحميري .

ولا نستطيع ان نقرر ان الحميري تأثر بالسرى الرفاء في تأليف كتابه لأن منهجي الكتابين يختلفان كليا .. فالسرى الرفاء قد تناول نصوصا شعرية في اوصاف الزهور وغيرها من مظاهر الطبيعة كالأنهار والغدران وظلال الشمس .. وتناول ايضاً مواد العطور التي يستخدمها الناس دون ان تكون له خطة مسبقة في توزيع تلك الموضوعات على ابوابها واكتفى بافراد باب كل موصوف ، بينما نجد الحميري افرد كتابه الربيع وما يتعلق به من مظاهر جمالية وبخاصة الأزهار والأنوار .. فهو هدفه الرئيس بغرضه الأساس ، أما ان ترد في مقطوعاته امور اخرى كالمطر والندى والغيوم والانهار فهي مكملات للصورة الشعرية وهي ليست مبتغى المؤلف ولا غرضه ، ثم انه قسم هذه النصوص الى ثلاثة فصول وفق قياسات وتبريرات معقولة ومقنعة ، وقد وضح ذلك في المقدمة .. ومن المفيد والضروري هنا ان نقف على زمن دخول كتاب السرى (المتوفى ٣٦٢هـ) الى الأندلس ، ان كان ذلك ممكنا ، فاذا تحقق لدينا انه كان معروفا لدى ادباء الاندلس في عصر الحميري فقد يصح عندها القول بأنه اطلع عليه واستفاد منه ويمكن ان نحدد حينئذ مقدار تأثره واستفادته .

ومن خلال تتبعاتنا للكتب المشرقية التي عبرت الى الاندلس لم نعثر على ذكر لكتاب السرى الرفاء بين المؤلفات التي تداولها المثقفون في الأندلس وتدارسوها او اهتموا بها (١).

اما في الاندلس فلا نعتقد ان هناك من الف لديه كتابا بهذا الموضوع .. وقد يتبادر الى الذهن بأن كتاب (حديقة الارتياح في صفة حقيقة الراح) لمؤلفه ابي عامر بن مسلمة ، معاصر الحميري ، هو نموذج آخر لهذا الصنف من المؤلفات ، ولكن اسم المؤلف يدل ويشير صراحة الى مضمونه ومحتواه ، وينفي هذه المبادرة ، ومن الضرورة ان نفارق بين الكتابين

---

(١) فعلى سبيل المثال لم ترد اية اشارة اليه في فهرسة ابي بكر بن خير (المتوفى ٥٧٥هـ) وهو كتاب ضم بين دفتيه مجموعة كبيرة من أسماء الدواوين والكتب المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف التي عرفت فترة المؤلف ورواها عن شيوخه، وكذلك خلا كتاب نفح الطيب وهو موسوعة تراثية شاملة عن الأدب الاندلسي، من التعرض له او الاشارة اليه.

من حيث المنهج والموضوع لأن كتاب حديقة الراح مفقودة ولم يبق منه شيء يشير الى مضمونه سوى نصوص قليلة حفظها لنا ابن بسام في مجال تعرضه لشعراء مقلين من ابناء القرن الخامس الهجري (١) .

وبالعودة الى هذه النصوص المختارة تزيد قناعتنا بأن الكتاب مجموعة مقطوعات في الراح والخمر وفي مجالس الشرب وما يتعلق بها من سقاة وقيان وغلمان وكؤوس وغيرها ، « وانه أكثر من النعت للراح والوصف وأثر الافراح والقصف »(٢) ، وضمّ الكتاب الى جانب ذلك نصوصاً في موضوعات اخرى كالغزل وكوصف الأزهار والفواكه (٣) .

من كل ماتقدم باطمئنان ان أبا الوليد اسماعيل الحميري كان سباقا الى هذا النوع من التأليف ومنفردا في منهجه الذي اتبعه في تصنيف المقطوعات وفق طريقة علمية ، وليس مجرد جمع للنصوص ، وانه كان محقا فيما ذكره في المقدمة من ان احدا لم يسبقه في ذلك ، وان المؤلفين قد اغفلوا هذا التصنيف ولم يعنوا به .

وقبل أن ننتهي من البحث تجدر الإشارة الى سفر مشرقي اعتنى بموضوع الزهريات والأنوار عناية السرى الوفاء والحميري به وهذا السفر لايزال مخطوطاً وهو يحمل عنوان (حدائق الأنوار وبدائع الأشعار) لمؤلفه الجنيد بن محمود ألفه عام ٧٨٨ وانتهى منه عام ٧٩٠ هـ (٤) ، والكتاب يحتوي على مقدمة مختصرة تضم اشارة الى ممدوح يدعى أبا النصر شاه يحيى ، الذي بفضله ورعايته وتشجيعه ألف الكتاب (٥) . ثم توزع السفر على ثلاثة أقسام ، ضم القسم الأول منها :

الربيع ورياضه وأطياره وهوائه وبركه وجداوله ، وجعله ثمانية أبواب هي : في صفة الربيع وشره العين في نقشه البديع ، وفيما يحث على ادراك زمانه وانتهاز العيش في أبانه وفي الرياض المبهجة والمروج المزلقة ، وفي تغني الأطيار على الأفنان وما يهيج صبوة

(١) انظر: الذخيرة ٢/٢٠٦ وما بعدها .
(٢) انظر: [illegible]
(٣) انظر موضوعات النصوص التي نقلها ابن بسام في الذخيرة ٢/٢٠٦ وما بعدها .
(٤) أشير الى الاستاذ هلال ناجي مشكوراً لفرصة الاطلاع عليه وتصويره، وهو نسخة خزائنية تتكون من ١١٢ ورقة كل صفحة تحتوي على خمسة عشر سطراً ، والمصورة مأخوذة عن أصل المخطوط المحفوظ في مكتبة باريس تحت رقم ٣٣٦٨ باريس .
(٥) مخطوط حدائق الانوار ورقة ٥ .

العاشق الأسوان وفي استنشاق الهواء وتنسم الرياح ومايهتز به القلوب والأرواح ، وفي البرق ولمعانه وما يبدو من حاشية أردانه ، وفي المطر والسحاب وتهطال دمعه على الأكام والظراب ، وأخيراً في الجداول والبرك والغدران والأنهار وسقوط الطل والندى على أوراق الأشجار (١) .

وتحدث المؤلف في القسم الثاني عن الرياحين والأزهار ، وبوبه سبعة عشر باباً ، جعلها في الأكمه والانوار ، في النرجس ، في البنفسج ، في الورد ، في المنثور في الياسمين في السوسن ، في الريحان ، في الأذريق ، في الشقايق ، في النيلوفر ، في الاس ، في النمام في الزعفران ، في الخيري ، في الأقحوان ، في أنبانات شتى (٢) .

وجعل القسم الثالث منه في الأشجار والفواكه والثمار .. ويشتمل على ستة عشر باباً ، وهي في السرو والصنوبر والبان ، في السفرجل ، في التفاح ، في الكمثرى ، في الأترج في النارنج ، في الشمام والليمون ، في الكرم والعنب ، في النخيل والبسر والرطب ، في الموز والتين ، في المشمش والخوخ والأجاص ، في الفستق واللوز والجوز والشاهبلوط ، في الرمان والتوت ، في العناب والنبق ، والزعرور والبطم ، في البطيخ ومايتبعه ، وفي أصناف متفرقات (٣) .

وهذا المؤلف المشرقي يلتقي مع منهج الحميري في تقسيمه للموضوع الى ثلاثة اقسام ولكنه يختلف عنه في محتوى كل قسم ، يضاف الى ذلك ان كتاب حدائق الأنوار لم يتخصص فيما قيل بالازهار والانوار والربيع عامة .. وانما توسع الى اكثر من ذلك فأورد ماقيل في الأطيار والنسائم والرياح وفي البرق ولمعانه وفي المطر والبرك والغدران ، وما نظم في السرو وفي الكرم والنخيل والموز والتين واللوز والجوز والبلوط والتوت والبطيخ .. وهي موضوعات جديدة لانجدها في كتاب البديع . ويمتاز كتاب الجنيد عن كتاب الحميري بكونه اقتصر على ايراد النصوص الشعرية فقط دون تعليق او تفسير او تمهيد او اشارة الى المناسبة التي قيلت فيها المقطوعة .. وخلا ايضاً من النصوص الأدبية النثرية التي قيلت في تلك الموضوعات وميزة اخرى تبدو واضحة ايضاً بين المؤلفين وهي ان كتاب الجنيد احتوى على نصوص لشعراء من مختلف العصور ومن شتى الديار والامصار بينما كان سفر الحميري

(١) استغرق القسم الأول من الورقة ٩ إلى الورقة ٤٩ .
(٢) استغرق القسم الثاني من الورقة ٤٩ إلى الورقة ٦٧ .
(٣) استغرق القسم الثالث من الورقة ٨١ إلى الورقة ١١٢ وهو آخر الكتاب .

يتحرك ضمن دائرة عصره ووطنه ، فلم يستشهد لشعراء من عصور بعيدة عن زمنه ولا عن بلده الاندلس .

وفي الختام فإن هذه المؤلفات اللامعة في تاريخ الأدب العربي التي اعتنت بموضوع واحد له طعم خاص وجو فريد لجديرة بالدراسة والتحقيق لأنها تضم اشراقات نيرة من تراثنا العظيم ، وتكشف عن قدرات كامنة في التصور والخيال والوصف لشعرائنا عبر عصور مختلفة .. فكتاب السري الرفاء (المشموم) وكتاب الجنيد بن محمود (حدائق الانوار) لايزالان مخطوطين وفي حاجة الى من يعكف عليهما أو على واحد منهما ليخرجه الى النور ويشيعه بين القراء.. اما كتاب الحميري (البديع في وصف الربيع) – كما ذكرنا في اول البحث– فانه منشور منذ عام ١٩٤٠ م ، ولكنه يحتاج الى مزيد من العناية والدرس والتحقيق.

المصادر والمراجع

١ — ابن الأبار : ابو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) :

أ — تكملة الصلة : نشره الشيخان الفريد بل وابن شنب ، المطبعة الشرقية، الجزائر ١٩٢٠.

ب — الحلة السيراء : تحقيق الدكتور حسين مؤنس — القاهرة — الشركة العربية العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣م .

٢ — ابن بسام : ابو الحسن الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) :

الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : تحقيق الدكتور احسان عباس ، في اربعة أقسام، دار الثقافة — بيروت — ط٢ ١٩٧٩ .

٣ — ابن بشكوال ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ) :

الصلة ، القاهرة ، مطابع سجل العرب ١٩٦٦ م.

٤ — ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت ٨٠٨هـ)

مقدمة ابن خلدون ، وهي الجزء الأول من كتابه : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ.

٥ — ابن الرومي : ابو الحسن علي بن العباس بن جريج (ت ٢٨٣ هـ) :

ديوانه تحقيق الدكتور حسين نصار واختيار كامل كيلاني— القاهرة ١٩٧٣ — ١٩٧٤.

٦ — ابن سعيد المغربي : ابو الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت٦٨٥ هـ):

أ — رايات المبرزين ، تحقيق أميلو غرسيه غومس ، مدريد ، ١٩٤٢ م .

ب — المغرب في حلي المغرب : تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، ط٢ ، مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م .

٧ — ابن عذارى المراكشي : ابو العباس احمد بن محمد (كان موجودا سنة ٧١٢هـ).

البيان المغرب في أخبار ملوك الاندلس والمغرب تحقيق ومراجعة : ج . س . كولان أ . ليفي بروفنسال . دار الثقافة — بيروت ط٢ ، ١٩٨٠ م .

٨ — ابن محمود : الجنيد (ت ٧٩٥هـ):

حدائق الأنوار : نسخة خزائنية مأخوذة عن اصل المخطوط في مكتبة باريس تحت رقم ٣٣٦٨ .. والمايكروفلم محفوظ لدى الاستاذ الجليل هلال ناجي .

٩ — احسان عباس (دكتور) :
تاريخ الأدب الأندلسي — عصر الطوائف والمرابطين — دار الثقافة — بيروت ١٩٦٢
١٠ — حازم عبدالله خضر (دكتور).
النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين — دار الرشيد للنشر — من منشورات وزارة الثقافة والاعلام — بغداد ١٩٨١ .
١١ — حامد عبد المجيد (دكتور):
الشعر في عهد ملوك الطوائف بالأندلس — رسالة جامعية مقدمة الى جامعة القاهرة كلية الآداب — لنيل درجة دكتوراه — لاتزال مخطوطة.
١٢ — الحميدي : ابو عبدالله محمد بن فتوح (ت ٤٨٨ هـ) :
جذوة المقتبس ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٦٦ م .
١٣ — الذهبي : شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ):
سير أعلام النبلاء — مصور دار الكتب المصرية ، رقمه (١٢١٩٥ ح).
١٤ — السرى الرفاء(ابو الحسن أحمد بن السرى الكندي الموصلي ، ت ٣٦٢ هـ):
— ديوان شعره : نشر لأول مرة في القاهرة عام ١٣٥٥ هـ.
وحققه ودرسه الدكتور حبيب حسين الحسيني عام ١٩٧٣ — وقدمه الى جامعة القاهرة لنيل درجة دكتوراه .
أ — ديوان شعره : نشر لأول مرة في القاهرة عام ١٣٥٥ هـ .
وحققه ودرسه الدكتور حبيب حسين الحسيني عام ١٩٧٣ — وقدمه الى جامعة القاهرة لنيل درجة دكتوراه .
ب — المحب والمحبوب والمشموم والمشروب . وهو مخطوط ... نشر القسم الأول منه تحت عنوان المحب والمحبوب — بتحقيق الدكتور حبيب حسين الحسيني ، دار الرسالة للطباعة — بغداد ١٩٨٢.
وقد اعتمدنا في بحثنا على قسم المشموم من الكتاب ، وهو مخطوط حصلنا على نسخة ميكروفلم منه من الاستاذ الفاضل هلال ناجي وهي مصورة عن أصل مخطوط ليدن التي تحمل رقم ٥٥٩ .
١٥ — الضبي : احمد بن يحيى بن عميرة (ت ٥٩٩ هـ):
بغية الملتمس : مدريد ، مطبعة روخس ، ١٨٨٤ م .

١٦ ـ عبد العزيز محمد عيسى (دكتور) :
الأدب العربي في الأندلس ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ١٩٣٦م .

١٧ ـ عمر الدقاق (دكتور):
ملامح الشعر الاندلسي ، منشورات جامعة حلب ، ط ١٩٧٨/٣ .

١٨ ـ العمري : شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ):
مسالك الأبصار في ممالك الامصار ـ مصور دار الكتب المصرية ـ تحت رقم ٥٥٩ ـ معارف عامة .

١٩ ـ فوزي عيسى (دكتور):
الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٩ م.

٢٠ ـ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٠ م .

٢١ ـ محمد مجيد السعيد (دكتور):
أ ـ ديوان المعتضد بن عباد : مجلة المورد ـ المجلد الخامس ـ العدد الثاني ـ سنة ١٩٧٦ ـ ص ١٠٥ وما بعدها .
ب ـ الشعر في ظل بني عباد ـ مطبعة النعمان بالنجف الأشرف عام ١٩٧٢.
جـ ـ الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، دار الرشيد للنشر ـ من منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ١٩٨٠ م .

٢٢ ـ المقريَ : احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ):
نفح الطيب ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، دار صادر ١٩٦٨م.

٢٣ ـ هلال ناجي :
أ ـ رسالة الأزهار ، لضياء الدين بن الأثير (مقدمة الرسالة) ـ مطبعة الجامعة من منشورات جامعة الموصل ـ ١٩٨٣م .
ب ـ مناظرات بين السيف والقلم . مجلة المورد ـ المجلد الثاني عشر ـ العدد الرابع عام ١٩٨٣ ـ ص ١١٣ .

الحاجب المصحفي حياته وشعره

دراسة أدبية تأريخية

٣٩٧ - ٤٨٢ هـ

محمد محمود يونس

كلية التربية — جامعة الموصل

«توطئة»

خلال اعدادي رسالتي الموسومة « ابن دراج القسطلي — حياته — أدبه » لنيل شهادة الماجستير كانت مصادر دراستي تعرض لشعراء القرن الرابع الهجري ، وتورد طائفة من أخبارهم وأشعارهم ، ومنهم شاعرنا الحاجب المصحفي ، فكنت أقف عند أشعاره وقفات طويلة مأخوذا بجمال تشبيهاته ، وروعة أوصافه ، ولا سيما في حديثه عن الطبيعة ، وتغنيه بالخمر ومجالسها وكؤوسها كما أنني وقفت على أشعاره التي صور فيها ما أصابه من مآسي ونكبات في أخريات حياته ، فكنت آمل أن أرى — في يوم من الأيام — بحثاً يلقي الأضواء على هذه الشخصية المهمة في تأريخ الأندلس ، ويتناول أشعارها بالبحث والدرس ، وطال انتظاري دون أن يظهر هذا البحث ، لذا وجدتني أتصدى لهذا العمل ، خدمة لأدبنا العربي وأعلامه الأجلة ، وارضاء لتلك الرغبة القديمة في نفسي .

الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي – كما تقدم – علم من أعلام القرن الرابع الهجري تبوأ أرفع المناصب السياسية في الدولة الأموية في الأندلس على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ) والحكم المستنصر (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ) وست سنوات من عهد هشام المؤيد (٣٦٦ – ٤٠٦ هـ) بفضل مواهبه الأدبية ، فقد جمع بيديه فني الكتابة والشعر وبرز فيهما ، فأصبح مفخرة فاخربها الأندلسيون أهل المشرق ، حيث وضعوه ونفراً من شعراء الأندلس المبدعين بازاء بشار بن برد وأبي تمام وأبي الطيب المتنبي ، كما فعل ابن حزم في رسالته التي تحدث فيها عن فضائل الأندلس وأهله وأوردت أخباره مصادر الأدب والتأريخ وتراجم الرجال التي تناولت عصره بالبحث ، فقد أفرد له ابن الكتاني في كتابه (التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) أبياتاً من روائع تشبيهاته ، وأورد الحميري في كتابه (البديع في وصف الربيع) مجموعة من أشعاره في وصف الطبيعة ورياضها وازهارها وورودها ، وترجم له ابن خاقان في (مطمح الأنفس) فذكر طرفاً من أخباره وأشعاره ، وذكر ابن بسام في (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) طائفة مهمة من أخباره وأشعاره ، أما المراكشي فقد اجتزأ نتفاً من أخباره وأشعاره في كتابه (المعجب) وفي (الحلة السيراء) لأبن الابار معلومات مهمة عن أسم المصحفي الكامل ونسبه ، وفيه أخبار وافية عن حياته وشعره ، كما ذكر لنا المقري في (نفح الطيب) مجموعة كبيرة من أخباره وأشعاره منقولة عن الكتب التي سبقته مثل (المطمح) و (الذخيرة) و (الحلة) ... وغيرها .

كذلك تحدثت عنه الكتب التأريخية التي تناولت هذه الفترة بالبحث كـ (البيان المغرب) لأبن عذاري الذي أورد تفصيلات تأريخية دقيقة ومهمة ، كما أنه لم يغفل الجانب الأدبي ، وذكره ابن الخطيب في كتابه (أعمال الاعلام) وابن خلدون في تأريخه الكبير المسمى (العبر وديوان المبتدأ والخبر) .

أما من المشارقة فقد ذكره الثعالبي في (يتيمة الدهر) فأورد مجموعة من أبياته المختارة مع تعليقات نقدية مفيدة .

هذا اضافة الى كتب أخرى سيرد ذكرها في ثنايا البحث .

أما المراجع الحديثة فقد وجدنا في عدد منها لفتات نقدية يسيرة لشعره ، كما في كتاب الدكتور احسان عباس (تأريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة –) وكتاب المستشرق الإسباني غرسيا غومس (الشعر الأندلسي) وكتاب المستشرق بالنثيا (تأريخ الفكر الأندلسي) وله ترجمة موجزة في كتاب الدكتور سامي مكي العاني (دراسات في

الأدب الأندلسي أما كتاب الدكتور محمد عبدالله عنان (دولة الإسلام في الأندلس) ففيه معلومات تأريخية غنية ، وهناك كتب أخرى سيشار اليها في موضعها .

على الرغم من شهرة المصحفي كاتباً في عصره الا أننا لم نعثر على قطعة نثرية واحدة ، لعلها تمكننا من التعرف على أسلوبه النثري وسماته ، أما شعره فكثير ، ولعل المصحفي لم يعن بجمع أشعاره بسبب ماحل به من مآس ونكبات — في أيامه الأخيرة ألا أنه من الغريب ألا يعنى ادباء عصره،او ادباء العصور التي تلت عصره بجمع أشعاره التي يبدو أنها كانت كثيرة،متنوعة الأغراض،لذا فأني سأعمل على نشر ماتيسر لي من أشعاره، في فرصة قريبة قادمة ، إن شاء الله ، لتكتمل الفائدة بها . وسيجد القارىء أن البحث قد اشتمل على نصوص شعرية كثيرة ، وذلك لأن شعر الشاعر غير متيسر بين يديه من ناحية وليتبين طبيعة الأحكام الواردة فيه من ناحية أخرى .

وختاماً فالله أسأل أن يوفقنا لكل مافيه خير لأمتنا العربية وتراثها الخالد والله من وراء القصد.

الحاجب المصحفي

حياته — ثقافته — نفسيته

أسمه : لا خلاف على أن أسمه جعفر بن عثمان بن نصر (١) وأن كنيته أبو الحسن ، ولقبه المصحفي (٢) ، ولكن الخلاف بدأ بعد أسم جده نصر ، فذكر ابن الابار أن أبا نصر هو : قوي بن عبدالله بن كسيلة (٣) أما ابن عذاري فذكر أنه : فوز بن عبدالله بن كسيلة ، ولعله ليس ثمة خلاف بين المؤرخين اذ ربما وقع تصحيف في احدى الروايتين وهو بربري من بربر بلنسية ينمى الى قيس بالمحالفة ، ولكننا وجدنا ابن الفرضي يلفق لأبيه عثمان نسباً عربياً خالصاً فيعده قيسياً صلبية اذ قال في نسبه بعد نصر : ابن عبدالله بن حميد ابن سلمة بن عباد بن يونس القيسي . (٤) .

ومع أن الحاجب المصحفي بربري الأصل — كما ذكرت مصادره — الا أن أصله البربري هذا لم يؤثر على شخصيته ولا على شعره ، ولعل ذلك يعود الى أن البربر الذين دخلوا الأندلس مع الفاتحين الأوائل انصهروا في المجتمع الأندلسي انصهاراً جعلهم يشعرون بأندلسيتهم قبل شعورهم باصولهم الأولى . وهذا ينطبق بشكل خاص على الأجيال التي تلت جيل الفاتحين الأوائل .

كان أبوه عثمان من كبار علماء عصره وفقهائه ، وقد تولى تأديب الحكم المستنصر في عهد أبيه عبد الرحمن الناصر . (٥) (وهكذا نشأت بين الحكم وبين ولد استاذه ومؤدبه جعفر مودة عميقة) (٦) كان لها الفضل الكبير في علو شأنه وتهيئته لتسنم أرفع المناصب الأدارية والسياسية في الدولة فيما بعد .

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٢٩٤ ، جذوة المقتبس ت ٣٥٣ ، بغية الملتمس ت ٦١٤ ، وفيهما اكتفى المؤلفون بذكر اسمه واسم ابيه ، الحلة السيراء ١ : ٢٥٧ ، البيان المغرب ٢ : ٢٥٤ .

(٢) جذوة المقتبس ت٣٥٣ ، بغية الملتمس ت ٦١٤ وفيهما ذكر المؤلفان ان لقبه هو (ابن المصحفي) ولعلهما وقعا في الوهم لأن جميع مصادره الأخرى متفقة على انه المصحفي : مطمح الأنفس ١٣٧ ، الذخيرة ق٤ : ١ : ٥٨ ، المعجب ٧٥ ، الحلة السيراء ١ : ٢٥٧ ، البيان المغرب ٢ : ٣٩٦ ، المغرب ١ : ٢٠٠ أعمال الاعلام ٢٦٠ ، نفح الطيب ١ : ٣٦٠ .

(٣) الحلة السيراء ١ : ٢٥٧ .

(٤) تاريخ علماء الأندلس ت٨٩٨ .

(٥) تاريخ علماء الأندلس ت٨٩٨ ، الحلة السيراء ١ : ٢٥٧ .

(٦) دولة الاسلام في الأندلس ٥١١ .

على الرغم من المكانة المهمة التي وصل اليها االمصحفي في الحياة السياسية . وعلى الرغم من علو كعبه في صناعة الأدب – شعراً ونثراً – فأن مصادره تهمل الحديث عن ولادته وطفولته وصباه ، ومصادر ثقافته ، وهناك أشارة وردت في « المغرب » ذكر فيها ابن سعيد أنه قد ترجم له في كتابه ، (١) ولكن – وبكل أسف – ذكر المحقق أن ترجمته قد سقطت مع ما سقط من كتاب « المغرب» (٢) ولو بقيت هذه الترجمة ، لكان من المحتمل أن تزودنا بما نفتقده من معلومات عن حياته .

ومع ذلك يمكننا أن نستنتج أنه كان في عمر يقارب عمر الحكم المستنصر ، حيث ولد الأخير في سنة ٣٠٢ هـ . (٣) كان المصحفي في صباه وشبابه مقدماً لدى الحكم ، أثيراً عنده ، (٤) ولعل ذلك يعود الى تقارب السن بينهما .

أما ثقافته فيمكننا أن نجزم أنه كان لأبيه دور كبير فيها ، فقد كان أبوه مؤدب الحكم المستنصر واستاذه ، فليس من المعقول الا يزود ابنه المصحفي بأسباب الثقافة ووسائلها والا يغرس في نفسه حب الأدب والتفتح على علوم عصره وفنونه ، ولا سيما أن قرطبة في ذلك العصر كانت في أوج عزها ، ومجد ازدهارها السياسي والثقافي . وكانت تقف على قدم المساواة مع عواصم الأدب والثقافة بغداد ودمشق والقاهرة ، وكانت تدرس في جامعة قرطبة الكائنة في المسجد الجامع علوم ومعارف شتى ولاننسى دور الحكام الأمويين في هذه النهضة العلمية والأدبية الشاملة التي شهدتها الأندلس في تلك الحقبة فقد (كانوا يغرون العلماء والأدباء المشارقة بالقدوم الى الأندلس أو بالتأليف من أجل خزائن الكتب الأندلسية ، ونقل الكتب من الخارج ، وتشجيع الثقافات المختلفة ، من أدبية ودينية وفلسفية ودفع الملكات الأندلسية الى جمع التراث الأندلسي قبل أن يتطاول عليه الزمن ويتحيفه النسيان) (٥) ومن أبرز الأدباء المشارقة الذين وفدوا الى الأندلس ، أبو علي القالي . الذي وفد على الخليفة الناصر سنة ٣٣٠ هـ واختص بالحكم المستنصر وطرز بأسمه كتاب (الأمالي) (٦) وكان قدوم القالي الى قرطبة يمثل نهضة في الدراسات

---

(١) المغرب في حلى المغرب ١ : ٢٠١ .
(٢) هـ-المغرب ١ : ٢٠١ .
(٣) البيان المغرب ٢ : ١٦٦ .
(٤) الحلة السيراء ١ : ٢٥٨ .
(٥) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) ٦٤ .
(٦) العبر ٤ : ١٤٦ .

اللغوية والادبية ، فعنه أخذ الأندلسيون ، واتخذوه حجة واماما (١) . ويغلب على الظن ان المصحفي قد التقى أبا علي القالي وافاد منه علما وادبا كثيرا ، كزميله ورفيقه ابي بكر الزبيدي (٢) ، ولابد انه في صباه ومطلع شبابه — قد نهل من علوم عصره وادابه وفنونه، ولابد ان يكون قد اختلف الى جامعة قرطبة فدرس فيها القرآن ،والحديث والفقه وآداب اللغة العربية وفنونها .

سبق أن ذكرنا أن المصحفي كان مقدما لدى الحكم أثيراً عنده وهذا مادفع الحكم الى أنْ يتخذه كاتباً له عندما اصبح وليا للعهد (٣)، وربما بتأثير منه على والده الناصر ، ولي المصحفي (ميورقة)(٤)

وعندما توفي الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠ ه(٥) ، تقلد ابنه الحكم الخلافة، فكانت فرحة المصحفي بذلك عظيمة ، فبادر الى إهداء الحكم بهذه المناسبة هدية كبيرة القيمة ، غالية الثمن ترضح المكانة الرفيعة التي وصل اليها في سلك الدولة ،والاستقراطية الباذخة التي كان عليها ، فكانت هذه الهدية مثار حديث الناس لفترة طويلة من الزمن ، وقد اشتملت على : (مائة مملوك من الفرنجة ناشئة على خيول صافنة كاملي العدة والسلاح ، وثلاثمائة وعشرين درعاً مختلفة الأجناس ، وثلاثمائة خوذة كذلك ، ومائة بيضة هندية وخمسين خوذة حبشية من حبشيات الافرنجية وثلاثمائة حربة افرنجية ، ومائة ترس سلطانية ، وعشرة جواشن مذهبة ، وخمسة وعشرين قرنا مذهبة من قرون الجاموس) (٦) وكانت هذه الهدية من ابرز الاحداث الاجتماعية في تلك الحقبة ونالت الرضى والقبول من الحكَم .

« وكان الحكَمُ عارفاً باقدار الرجال ، مميزاً للنابهين منهم» (٧) لذا فانه بادر الى اتخاذ المصحفي وزيراً له ، وضم اليه ولاية الشرطة،(٨) ثم ولاه منصب الحجابة — أي رئاسة

(١) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ٢١٣ .

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي ٦٥ .

(٣) المقتبس ٥ : ٤٧ .

(٤) الحلة السيراء ١ : ٢٨٢ .

(٥) المغرب ١ : ١٨٣ .

(٦) العبر ٤ : ١٤٤ .

(٧) دولة الإسلام في الأندلس ٥١١ .

(٨) الحلة السيراء ١ : ٢٥٧ .

الوزارة – فاصبح الرجل الأول في الدولة بعد الخليفة (١) . ولما كان الحكم منصرفاً بكليته لشؤون العلم والأدب فقد اوكل للمصحفي النظر في شؤون السياسة، والادارة وحلّ المشكلات الاخرى ، فقام بها خير قيام ، وكان لايرجع الى الخليفة الا في بعضها (٢) فـ « عنه كان يسمع – الحَكَم – وبه كان يبصر » (٣) .

وقد بلغ المصحفي مكانة عظيمة في العز والمجد السياسي ، جعلت الناس يطلبون رضاه ، ويتوددون اليه ، ويؤمون مجلسه ، ويتوسطون لديه لقضاء احتياجاتهم ومطالبهم ، وينتظرون مواكبه في الطرق راجين عطفه ونواله: « قال محمد بن اسماعيل كاتب المنصور – ابن ابي عامر – وقفت له – أي للمصحفي – أروم أنْ أناوله قصة كانت به مختصة ، فوالله ماتمكنت من الدنو منه بحيلة، لكثافة موكبه وكثرة من حفّ به، وأخذ الناس السكك عليه، وأفواه الطرق ، داعين ومادين بين يديه وساعين حتى ناولت قصتي بعض كتابه الذين نصبهم جناحي موكبه لأخذ القصص (٤) .

وعندما أُصيب الحَكَمُ في آواخر أيامه بالشلل الذي اقعده عن الخروج والحركة ، تولى المصحفي تدبير شؤون الدولة كلها خلال تلك الفترة الى أن توفي الحكم بعد أشهر ثلاثة من مرضه، سنة ٣٦٦ هـ (٥) .

وكان للمصحفي الدور الأول في تولية هشام بن الحكم الخلافة بعد أبيه ، فقد كلف محمد بن ابي عامر بقتل المغيرة بن عبد الرحمن عم هشام ، الذي اراد الصقالبة – وكانوا حراس القصر ، ولهم نفوذ واسع – صرف البيعة اليه لصغر سن هشام (٦) ، وانما أراد المصحفي أنْ يبقى على الخلافة لهشام المؤيد تحقيقا لمآربه الشخصية وذلك ليستبقي سلطانه ، ويحافظ على نفوذه ، وتُصبح الدولة دولته ، أما اذا تولى المغيرة الخلافة فانه – أي المغيرة – سينفردُ بالحُكْم ويقرب الصقالبة اليه ، لأنه سيكون مدينا لهم بتوليه الخلافة (٧) .

---

(١) دولة الاسلام في الاندلس ١١٥ .
(٢) المجمل في تاريخ الاندلس ١٤٢ .
(٣) مطمح الأنفس ١٣٧ .
(٤) مطمح الأنفس ١٤١ ، نفح الطيب ٣ : ١١٩ .
(٥) البيان المغرب ٢ : ٢٥٣ .
(٦) الذخيرة ق ٤ : ١ : ٥٨ ، البيان ٢ : ٢٦٥ ، العبر ٤ : ١٤٧ .
(٧) المغرب ١ : ٢٠٧ ، دولة الاسلام في الاندلس ٢٢٢ .

وهكذا تولى هشام المؤيد الخلافة سنة ٣٦٦ هـ وابقى المصحفي حاجب أبيه حاجبا له (١) ، وعين محمد بن ابي عامر – الذي كان يشغلُ في ذلك الوقت خطة الشرطة – وزيراً له (٢). ومن هنا نشأ صراع بين الرجلين على السلطة وكانت هناك عدة أسباب اعانت ابن ابي عامر على الانتصار على المصحفي ، اولها قوةُ نَفْس ابن ابي عامر وعلّو همته ، وقدرته الفائقة على تنفيذ كل مايوكل اليه من الامور الجسيمة ، بصورة تثير الاعجاب ، وثاني هذه الأسباب ميل السيدة صبح «البشكنسية» والدة الخليفة اليه وحبها له ، وبفضل هذا الحب استطاع ابن ابي عامر ان يصل الى اعلى المراتب في القصر وفي الدولة ، وثالثها ميل الوزراء الى ابن ابي عامر وايثارهم له بسبب حقدهم على المصحفي الذي قدمه الحكم عليهم ، ولم يكونوا يجدون له مزية أو فضلا عليهم ، فبادروا الى نصرة ابن ابي عامر عندما تصدى لمنافسة المصحفي (٣) ، ورابعها أنّ المصحفي كان رجل قلم وسياسة بينما كان ابن ابي عامر رجل سيف وحرب وسياسة وقد واتت ابن ابي عامر فرصةٌ عظيمة عندما هاجم القشتاليون حدود الدولة الاسلامية ، وامعنوا في غاراتهم حتى وصلوا الى مقربة من العاصمة قرطبة نفسها ، ولم يجد الناس عند المصحفي غناءً ولا نُصرةً ، وكان مما آثار عليه العامة والخاصة أنه أشار على اهل قلعة رباح بقطع سدّ نهرهم ليأمنوا شرّ العدو المهاجم ، مع كثرة الجيش ، ووفرة الأموال ، فكان ذلك من الاخطاء المهلكة التي وقع فيها المصحفي ، وقد أنف ابن ابي عامر من ذلك ، وأشار على المصحفّي باعداد الجيش للجهاد وتطوع لقيادته بعد أن تنصل من مهمة القيادة كبار القادة ، فنفر بالجيش ، ورد القشتاليين عن حدود الدولة الاسلامية وتبعهم الى عمق بلادهم ، واقتحم عددا من حصونهم ، وعاد الى قرطبة مثقلا بالغنائم والاسلاب (٤) ، وقد أثرت هذه البداية الطيبة على مستقبل ابن ابي عامر السياسي تأثيراً ايجابياً فقد مال اليه الجند وأحبه الناس بعامتهم وخاصتهم ، وجرت بعد ذلك أمور كثيرة في خضم الصراع بين الرجلين – لامجال لذكرها هنا – علت فيها كعب ابن أبي عامر ، ولم يبق للمصحفي من الحجابة سوى اسمها ، وابن ابي عامر قائم بشروطها وأعبائها الى أن حلت النكبة على المصحفي وسخط عليه السلطان وعلى اولاده واقربائه ، وأمر بالقبض عليهم واستصفيت اموالهم .

---

(١) المغرب ١ : ٢٠٠ ، اعمال الاعلام ٦٠ ، دولة الاسلام في الاندلس ٥٢٣ .

(٢) المغرب ١ : ٢٠٠ .

(٣) مطمح الانفس ١٤٢ .

(٤) الذخيرة ق ٤ : ١ : ٩٢ ، الحلة السيراء ١ : ٢٦٩ ، نفح الطيب ٣ ٨٧ .

واستمرت النكبة على المصحفي ، فمرة كان يحبس ومرة يحتجز في داره ، ومرة يحمل مع ابن ابي عامر في غزواته تحنيثا له وانتقاماً منه ، وكان يطالب بالاموال التي تصرف فيها ، فلما بان عجزه اعتقل في المطبق بالزهراء الى أنْ وافاه هناك اجله (١) ، وقيل في موته أن ابن ابي عامر دس له السم في ماء شربه (٢) ، وقيل قتل خنقا (٣) .

كان المصحفي متواضعاً ، محباً للناس مطلقاً لهم البشر محسناً لاستقبالهم بعيدا عن التكبر ، وعندما تقلد حجابة هشام المؤيد ، رفع هشام فراشه فوق فراش الوزراء من اصحابه وأبدله بالكتان الديباج تمييزاً له عنهم ، الا ان المصحفي لم يرض بذلك وقال للخليفة : (اني أستحيي من اصحابي أنْ أتمهد افضل من فرشهم ، مع عجزي عن درك شأوهم ، إنّا نُسلّم لامير المؤمنين اختياره ، فاما يساوي بيننا في فرش كرامته واما أقرنا على الأمر الأول ، ولا كفران لنعمته) (٤) فاجيب الى طلبه واستحسن فعله وعدّ من بعد غرره .

اما قيمه الاخلاقية فكانت مستمدة من ثقافته الدينية التي نشأ وترعرع عليها في مجتمعه وغرس مبادءها في نفسه أبوه الفقيه المحدث ومن أبياته التي تشير الى هذه القيم قوله : —

قل للذي أودعني سرّه   لاترجُ أنْ تسمعه مني
لم أجره بعد في خاطري   كأنّه مامرّ في اذني (٥)

فهو هنا حريص الحرص كله على سرّ صاحبه ، حتى انه يخشى على هذا السر من نفسه ويبلغ به الأمر من شدة كتمانه للسر انه لايجريه على خاطره ، فهذه القيم قيمٌ اخلاقية عالية ، تجلها التعاليم السماوية وتكبرها الاعراف الانسانية .

وتميز المصحفي بطموحه الكبير الى المجد والعلى ، فكان يسهر الليالي ويُكد خاطره ، ليهديه الى سُبل المجد ، لينافس الكواكب والنجوم في علو منازلها وارتفاع شأوها ، قال : —

سألتُ نجوم الليل هل ينقضي الدُجى   فخطت جواباً بالثريا كخطك (لا)
وما عن هوى سامرتها غير انني   انافسها الى رتب العُلا (٦)

---

(١) الذخيرة ق ٤ : ١ : ٦٦ ؛ الحلة السيراء ١ : ٢٥٩ ، نفح الطيب ٢ : ٥٩ .
(٢) الذخيرة ق ٤ : ١ : ٦٦ ، نفح الطيب ٢ : ٥٩ .
(٣) الحلة السيراء ١ : ٢٥٩
(٤) الذخيرة ق ٤ : ٥٩ .
(٥) التشبيهات من اشعار اهل الاندلس ٢٧٥ ، نفح الطيب ١ : ٦٠٤ واوله يااذا الذي .
(٦) الحلة السيراء ١ : ٢٥٩ ، نثار الازهار ٥٢ .

الا أن المصحفي ، مع يسره وغناه ، وكثرة أمواله واملاكه، كان بخيلا حريصاً على الدنيا ، فقبض يده عن اصحابه ، ولم يساوهم في النعمة التي هو فيها ، فاستأثر بالاعمال دونهم ، وبنى المنازل والقصور وحرمهم منها ، مما جرّ عليه حقدهم ونقمتهم (١) ولا تناقض بين وصف مصادره له بالتواضع وحب الناس ومجاملته لهم، ووصفها له بالبخل وحب المال ، فالنفس البشرية غالبا ماتجمع المتناقضات في ذاتها بحكم ترتيبتها ونشأتها والظروف المحيطة بها .

كان بين المصحفي وكبار رجال عصره وادبائه علاقات طيبة فكانت تجري بينهم مهاداة الورود والأزهار ، ومراسلات كتابية ومساجلات شعرية ، فمن هؤلاء الوزير زياد بن افلح والوزير الأديب ابو بكر الزبيدي النحوي ، وكان صاحب الشرطة آنذاك ، وهو شاعر كثير الشعر ، ومن هذه المساجلات أن المصحفي أرسل كتابا الى ابي بكر الزبيدي فيه خطأ املائي ، حيث وردت فيه (فاضت نفسه) بالضاد ، فجاوبه الزبيدي ، بمنظوم بين له فيه الخطأ دون تصريح ونسب السهو الى كتاب المصحفي وليس اليه فقال : (٢)

قل للوزير السني محتده ... لي ذمة منك أنت حافظها
عناية بالعلوم مفخرة ... قد بهظ الأولين باهظها
يُقّر لي (عَمْرهُا) و (مَعْمَرُها ... فيها و (نظّامها) وجاحظُها (٣)
قد كان حقا قبول حرمتها ... لكن صرف الزمان لافظها
وفي خطوب الزمان لي عظة ... لو كان يثني النفوس واعظُها
ان لم تحافظ عصابة نسبت ... اليك قدما فمن يحافظها
لاتدعن حاجتي مطرحة ... فان نفسي قد فاظ فائظها (٤)

فجاوبه المصحفي معتذراً عن هذا الخطأ قائلا :

خفض فواقا فانت اوحدها ... علما ونقابها وحافظها
كيف تضيع العلوم في بلد ... ابناؤه كلهم يحافظها
الفاظهم كلها معطلة ... مالم يحرك عليك لافظها

(١) الذخيرة ق ٤ : ١ : ٥٩ .
(٢) المعجب ٦٣ .
(٣) يعني سيبويه وابا عبيدة معمر بن المثنى .
(٤) المعجب ٦٣ .

مـــن ذا يـــساويـــك ان نـــطـــقــــت وقـــد ... أقـــر بالعجـــز عنـــك (جاحـــظـــهــــا)
علــــــم ثـنـى العالـمـيــن عنـــك كـمــا ... ثـنـى عـــن الشمـــس مـــن يلاحظـــهـــا
وقـــد أتـتـنـي فـديـت شاغلـــة للنــ ... ـــفس ان قلــت فـــاظ فائـــظـهــــــا
فـــاوضحنْهـــــا تـفـــزْ بـنــــادرةٍ ... قـــد بهـظ الأوليـن باهـظـهـــــــا (١)

فنسب الخطأ لنفسه وعدّه من باب السهو ، وقد ذكر المراكشي ان ابن حزم أجاز كتابة (فاظ) بالضاد ، اما الشاعر يوسف بن هارون المعروف بالرمادي ، فكان من اعز اصدقاء المصحفي وخلصائه ، وكان مختصا به ، منضويا اليه ، وعندما وقع الصراع بين المصحفي وابن ابي عامر انحاز الرّمادي الى جانب المصحفي ونظم اشعاراً في هجاء ابن ابي عامر ، فكان ذلك سبباً في غضب الأخير عليه ولما انتهى الامر اليه أوسع الرّمادي عقوبة ونكالا وأمر بتغريبه ، فشفع له عنده في أنْ يُترك ببلده . فأذن بذلك (٢) .

« شعره »

آراء النقاد الاقدمين في شعره : —

حظي شعر المصحفي بتقدير ادباء الأندلس ونقاده ، فقد ذكر ابن حيان مؤرخ الاندلس الكبير أن المصحفي قد اشتمل على فني البلاغة من النثر والنظم وبرز فيهما (٣) ، وهذا اديب الأندلس وفيلسوفها ابن حزم يعدُّه وابن دارج واحمد بن عبد الملك الجزيري بمنزلة بشار بن برد وابي تمام وابي الطيب المتنبي ثم قال : (وكل هؤلاء — الشعراء الاندلسيين — فحلٌ يهاب جانبه ، وحصان ممسوح الغرة) (٤) .

اما ابن الكتاني فاورد له ابياتاً كثيرة تضمنت تشبيهات في وصف الطبيعة تدل على اعجاب ابن الكتاني بها .

وللحميري تعليقات نقدية على الأبيات التي اوردها للمصحفي في وصف الربيع وأزهاره ، قال (وللحاجب أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي — رحمه الله — اوصاف للنواوير وتشبيهات في الازاهير — ابيات بارعة فيها تشبيهات رائقة) (٥) وقال الحميري

(١) المعجب ٤٢ — ٤٣ .
(٢) المعجب ٧١ .
(٣) المقتبس ٥ : ٤٧ .
(٤) التشبيهات من اشعار اهل الأندلس ٢١ ، ٩٠ ، ٩٥ .
(٥) البديع ٣٢ .

في مكان آخر : (فمن المستندر في الورد قول الحاجب ابي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي ..) (١) . وقال : (وقال الحاجب ابو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي — يصف البهار — بالفاظ ومعان عذبة) (٢) وقال الحميدي : (كان — المصحفي — من اهل العلم والادب البارع وله شعر رائع يدل على طبعه وسعة ادبه) (٣) .

واورد كلٌّ من ابن خاقان والضبي والمراكشي وابن سعيد نَصّ عبارة الحميدي . وقال ابن بسام : (وكان — المصحفي — احد من اجتمع له في ذلك الوقت نوعا البلاغة في النظم والنثر) (٤) .

وقال ابن الابار : (وكان المصحفي — مقدما في صناعة الكتابة مفضلا على طبقته بالبلاغة وله شعر مدون يدل على تمكنه من الاجادة ، وتصرفه في افانين البيان (٥) .

من هذا يمكننا ملاحظة ان شعر المصحفي قد راق الاندلسيين ، فتداولوه وانشدوه في مجالسهم ، واشتملت عليه كتبهم ، ويمكننا ان نلخص آراء نقادهم بشعره على الوجه الآتي :

١ — تصرفه في أفانين البيان شعرا ونثرا .
٢ — حضور بديهته وعدم تكلفه في شعره مع سعة أدبه .
٣ — حسن التشبيه لديه .
٤ — اجادته في وصف الطبيعة بمظاهرها المختلفة ولاسيما الأزهار والورود .
٥ — تميزه بالابيات المستندرة البديعة والمبتكرة .
٦ — وقوفه مع نفر من الشعراء الاندلسيين المبدعين على قدم المساواة مع كبار شعراء المشرق

وسنعرض في الصفحات الآتية لدراسة شعره لنرى الى أي حدّ يمكن أنْ تتفق هذه الآراء النقدية القديمة مع مفاهيم النقد الحديثة .

---

(١) البديع ١٢٠ .
(٢) البديع ١٤٧ .
(٣) جذوة المقتبس ت ٣٥٣ .
(٤) الذخيرة ق ٤ : ١ : ٦٨ — ٦٩
(٥) الحلة السيراء : ١/٢٥٩ .

شعره :

لم يكن المصحفي فارس حلبة المدح في شعره على الرغم من أن له مدائح كثيرة في الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، فقصائده في هذا الميدان تقليدية فيها ترديد لمعاني الشعراء الذين سبقوه كقوله في احدى قصائده في مدح الناصر :

كفى بأمير المؤمنين لهذه الـ ـرعيّة مأمولاً يَسُرُّ حزينَها (١)
ويحفظ قاصيها ويُعلي وضيعُها ويُنْعشُ مُكْدِيها ويُفدى رهينها (٢)

فالخليفة حام لرعيته ، رؤوم على الضعفاء منهم ، مدافع عن كل شبر من ارض دولتهم ضد الاعداء .

وله في اخرى مادحا الحكم ومهنئاً إياه بمناسبة توليه الخلافة : —

امام تلقته الخلافة صبة الى نسم مشمولة عن إمامها
فصارت اليه في حدود تمامه وصار اليها في حدود تمامها
لم ينتقلْ بالناس يوم انتقالها اليه سبيلٌ عن محل قوامها
أتوه فاعطوه المواثق عن هوى تمكّنّ في أبشارها وعظامها
وناولهم كفاً يطولُ بها الهدى رضا الله في تقبيلها واستلامها
أناف على الدنيا بعين محيطة وقال : ادخلوا في أمنها وسلامها (٣)

فقال هنا : ان الخلافة هبةٌ مشتاقة الى الحكم لأنه مؤهل لتحمل اعباء المسؤولية ، وكانت الدولة بانتظار قدومه وهي في عز مجدها وازدهارها ، فكان خير خلف لخير سلف ، لذا بادر الناس الى اعطائه البيعة عن حب واعجاب واكبار .

ونجد في مدحه قيماً مستمدة من الدين والشريعة ، فطاعة الخليفة من طاعة الله ، والحكم منح رعيته الأمن والسلام في حياتهم ، وهو كذلك قائدهم ومرشدهم في شؤونهم الدينية .

ونجد ان المستوى الفني لهذا الشعر — اعني شعر المدح — يهبط في عدد من مقطوعاته في المدح كقوله مادحا الخليفة الناصر :

---

(١) هكذا اضبطها محقق كتاب (المقتبس) وربما كانت (يسر حزينها) ليتفق الفعل (يسر) مع الافعال المعطوفة عليه في البيت الذي يليه ويستقيم المعنى وتنسجم القافية .

(٢) المقتبس ٥ : ٤٧ .

(٣) الحلة السيراء ١ : ٢٦٤ .

أيــا زهــرة المجــد والمكرمــاتِ ... وياعلـم الفخـر والمــأثــرات
وياشبـه البــدر في المدجنــات ... وياخــلف الغيــث في المحــلات
ويــا ثــامن الخلــفـاء الـذيــن حــيـوا بمساعيــه بعـد الممــات
ومن تنجــلي مظـلمــات الامو ... ر لأوجــه آرائــه المشــرقات
ومــن تــرك الـدهـر احسانه ... يـروح ويغـــد وبــلا نائبـــات (١)

وله ابيات قليلة في مدح الناصر. ارتفع فيها أداؤه الفني فذكرنا بمدائح المتنبي في سيف الدولة الحمداني، قال مصورا انتصار الناصر على احد الخارجين عليه في احدى معاركه:

وجاريتَ ذا السيفَ العريضَ جبينةِ ... أرتْ مُستجيش الشركِ كيف اختيالُكا
وأقبلتَ نحوهم والمنايا صوائـــبٌ ... تسيل بها في ساحتيهم سجالُكا
اذا ما الكرى رام اعتلاق جفونهم ... تخطّفه بالخوف عنها خيالُكـا
وان ذهبوا للشرّ في الأرض مذهبا ... تراءى لهم في كلّ أفق مثالُكـا
فهل الأجلُ المرهوبُ الا صيالكا ... أم الأمل المرغوب الا نوالُكـا (٢)

وله ابيات اخرى هنأ بها الحكم المستنصر لاشتمال احدى جواريه — صبح — على حمل و (كان الخليفة الحكم شديد الكلف بطلب الولد لعلوّ سنة... فلما بشر بهذا فرح به) (٣) والابيات هي :—

هنيئاً للانـامِ وللامـامِ ... كريمٌ يستفيدُ على الكـرام
مرجـى للخـلافـة وهـو مـاء ... ومأمول لآمال عظـــام
أضاء على كريمته ضياء ... فلم تعلم بغاشية الظلام
ولم لا يستضاء بجانبيها ... وبين ضلوعها بدر التمامِ (٤)

ونجد في هذه الابيات شيئا من الطرافة ، فهذه الجارية قد استمدت قبسا من ضياء الخليفة ، فأشرقت به وأضاءت ما حولها ، وكيف لا وبين ضلوعها بدر التمام ؟؟؟ وجاءت البشرى بالوليد السعيد فتهلل لها وجه الخليفة وغمرت الافراح اجنحتها عليه

---

(١) المقتبس ٥ : ٤٨
(٢) المقتبس ٥ : ٤٩ .
(٣) البيان المغرب ٢ : ٢٣٧ ، اعمال الاعلام ٤٣ — ٤٤ .
(٤) البيان المغرب ٢ : ٢٣٧ ، اعمال الاعلام ٤٣ — ٤٤ .

(وكان المصحفي عنده في خلوة فارتاح لارتياحه) (١) فبادره بابيات على البديهة مهنئا بهذا الحدث السعيد :

اطّلع البدر في حجابه | واطرد السيف من قرابه
وجاءنا وارث المعالي | ليثبت الملك في نصابه
بشرنا سيد البرايا | بنعمة الله في كتابه
لو كنت اعطي البشير نفسي | لم اقض حقا لما آتى به (٢)

وهي أبيات تدلّ على سرعة بديهته، وتمكنه من صناعة الادب .

وهكذا نجد ان المصحفي في مدحه يردد المعاني التقليدية في شعره، مع وجود عدد من الابيات الطريفة لديه، كما اننا وجدنا له لمحات فنية ذكرتنا بقصائد المتنبي في سيف الدولة. وهناك ملاحظة اخيرة على شعره في المدح، وهي ان مستواه الفني دون مستوى بقية الاغراض الاخرى لديه .

اما في الرثاء فلم نجد له سوى قطعة واحدة رثى بها عبدالرحمن الناصر، وليس من المعقول الا تكون له قصائد اخرى، سواء في رثاء الناصر او ابنه الحكم ولاسيما ان الحكم كان صديقه ورفيق صباه – كما تقدم – ولعل هذه القصائد ضاعت فيما ضاع من شعره. وقد بدأ قصيدة الرثاء هذه بالنعي على الدنيا جور احكامها، حيث تختطف يد الموت اعاظم الرجال وترمي المصائب والاحزان على الناس :

الا انّ ايامنا هنت بامامها | لجائرة مشتطة في احتكامها
فلم يزلزل الدنيا عظام خطوبها | واحداثها الا فلرب عظامها (٣)

وتبدو المبالغة في قوله :

كأن نفوس الناس كانت بنفسه | فلما توارت أيقنت بحمامها

وتكشف هذه الابيات عن نفحات من آرائه في الحياة والموت، وهي اراء تنطلق من نفس مشبعة بالثقافة الدينية، نفس مؤمنة بقضاء الله وقدره، فكلّ حيّ على وجه الارض

---

(١) البيان المغرب ٢ : ٢٣٧ .
(٢) البيان المغرب ٢ : ٢٣٧ .
(٣) الحلة السيراء ١ : ٢٩٤ ، البيان المغرب ٢ : ٢٣٢ .

مآله الموت والزوال، فيد المقادير هي التي تحرك الناس وتتصرف بمصائرهم قال : —

تأمل فهل من طالع غير آفل لهنّ وهل من قاعد لقيامها
وعاين فهل من عائش برضاعها من الناس الا ميت بفطامها (١)

والملاحظ ان في هذه الابيات شيئا من التأمل والحكمة، والاعتبار بأحوال الدنيا والمصير الذي يؤول اليه كل من يعيش فيها، وهي خطرات فرضتها طبيعة الموقف. والمصحفي — على كل حال — يبتعد بشعره — بعامة — عن فلسفة الامور والغوص إلى اعماقها، فاهتمامه الاكبر انصب على وصف المظاهر الخارجية للصور والاحداث .

* * *

كانت الدولة الاسلامية في الاندلس في صراع دائم مع الممالك النصرانية التي تحيط بها، فاذا شعر حكام هذه الممالك بضعف الدولة الاسلامية نقضوا الاتفاقات المعقودة معهم، بل ربما عمدوا إلى مهاجمة المسلمين، لذا فان الحكام المسلمين كانوا يعطون الاهمية الأولى في الانفاق لاعداد الجيوش الضخمة التي تحمي حدود دولتهم وتهاجم المعتدين، وعند وفاة الخليفة الناصر جاشت جيوش النصارى وهاجمت الدولة الاسلامية وارعبت المسلمين، فبادرهم الحكم وتصدى لهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وفرّ الباقون يجرون اذيال الخيبة والخسران (٢) وأنشدت الشعراء بهذه المناسبة اشعارها متغنية بهذا الحدث العظيم، ويبدو أن للمصحفي قصائد في ذلك. ولكن لم يبق منها سوى ابيات قليلة، ومن هذه الابيات قوله في وصف الجيش الاسلامي وقدرته على انتزاع النصر : —

كتائب أمثال البحار زواخرا تفيض على طول البلاد وعرضها
تزيل الكرى عمن تنوم كأنما هواجلها بين الجفون وغمضها (٣)

ونجد هنا أن المصحفي أجاد في وصف هذه الجيوش المكونة من كتائب كأنها البحار الزاخرة، تغطي بامواجها المتلاطمة طول البلاد وعرضها، وهي تؤرق الاعداء وتمنع عن عيونهم النوم، لانّ لها طرقا بين جفونهم وغمضها .

وله أبيات اخرى في وصف السهام والمنجنيق، ربما كانت من قصيدة ثانية في وصف انتصارات الجيش الاسلامي، قال : —

---

(١) الحلة السيراء ١ : ٢٦٤ ، البيان المغرب : ٢ : ٢٣٧ ، اعمال الاعلام ٤٣ .

(٢) التشبيهات ٢١٣ .

(٣) الحلة السيراء ١ : ٢٦٤ ، البيان المغرب ٢ : ٢٣٣ .

وكأن مستنّ السهام على الـ باقين منهم صيّبٌ بردُ
وكأن قذف المنجنيق بها صعق غدا يهمي ويطردُ (١)

رسم المصحفي في هذين البيتين صورة جميلة لهذا الانتصار فالسهام تتساقط كالبرد، وقذائف المنجنيق كأنها الصواعق تمطرهم في كل لحظة، وفي هذه الصورة من الانسيابية والتدفق الحركي ما يجعلها طريفة في بابها .

لم تنبئنا الأبيات المتبقية من شعره عن اي نشاط حربيّ له، ولم تشر مصادره إلى انه حمل سيفا أو تنكب رمحا، وانما له أبيات افتخر فيها بنفسه، وذكر علوّ همته، وقدرته على مواجهة الصعاب، قال (٢): ـ

وكم مهمه لا يوجد الركب مشرعا قطعت وبحر شامخ الموج أسفعا
خضم اذا استعلت به الشمس لم يزل يطاولها حتى تملّ فتخضعا
اذا ما ارتمت امواجه خلت أنها ذرى الشمّ أمتنا من البرّ نزّعا
تقاذف في رحب الجمال بسيطها يردّ وفود الريح حسرى وظلّعا

ونجد أنّ الشاعر بدأ أبياته بالفخر بنفسه، ولكنه سرعان ما نسيها وانهمك في وصف الطبيعة، فرسمها بريشة فنان امسك باطراف صورة جميلة اعجبته ـ فأبى ان يتركها دون أن يستوفي جميع جوانبها ويطيل في عمرها الفني، فالبحر الهائج المضطرب يطاول الشمس حتى تملّ من مطاولته، فتخضع وتستسلم له، والشمس تغيب وتظهر في هذا البحر الهائج المضطرب، والبحر الهائج المضطرب تخاله جبالا شاهقات .

هكذا تتلاحق الصور تباعا، وترتسم امامنا بكل تفاصيلها ودقائقها، وهكذا يرسم المصحفي لوحاته بالكلمات

* * *

استطاع المصحفي ان يطرق بشعره معظم الأغراض الشعرية ومن هذه الأغراض (الغزل) الذي له فيه ابيات متفرقة، لا نعرف تاريخ نظمها على وجه الدقة، ونجد في هذه الأبيات أنّ الشاعر برع في رسم الصور واستطرد فيها، ويبدو انه كان يسعى من وراء ذكره للمرأة وتغزله بها إلى طلب الصورة أكثر من سعيه إلى ابراز عاطفة الحب، قال:

(١) التشبيهات ٥٢٥ .
(٢) الحلة السيراء : ١ : ٢٦١

إنْ فاه أُشربت الضلوع هوى   حتى كأنّ جميعها أذن
لا تنكروا كلف الضلوع به   فحديثه لوجيبها سكن(١)

فهذه ضلوع المحب تتلهف لسماع ما يقوله المحبوب، فكأن كل ضلع من ضلوعه يتشوق لسماع كلامه، ولا عجب في ذلك لان كلمات المحبوب انما هي انغام تعزف على قيثارة قلب الشاعر وتسكن فيه، وكأني به نظر في هذين البيتين إلى قول بشار بن برد:

يا قومُ أُذني لبعض الحيّ عاشقة   والاذن تعشق قبل العين احيانا

كما نجد أنّ له صورا غريبة في وصف حال العاشق مع معشوقه، فقد ذكر انّ محبوبه جمع كلّ الصفات التي تشتهى في كل معشوق، من جمال وكمال واخلاق، ردت العاشق المتيم إلى رشده، بينما نجد ان هذه الصفات عند غيره من الشعراء تفقدهم صوابهم ورشدهم قال:

يا من آراني بالحاظ يصرفها   عني الصبا والهوى رشدي وتوفيقي
جمّعت فيك غليل العاشقين كما   جمعت ما تشتهي من كلّ معشوق (٢)

ومن أبياته الطريفة في هذا الباب قوله:

كلمتني فقلت دُرٌّ سقيط   فتأملت عقدها هل تناثر
فازدهاها تبسم فارتني   نظم درّ من التبسم آخر (٣)

من شعره الغزلي الذي تعمد فيه المبالغة قوله: ــ

أما والهوى ــ ماكنت اعرف ماالهوى   ولا مادواعي الشوق حتى تكلما
دعاني بلفظ اودعا (يذبلا) به   للباه مشتاقاً ووافاه مغرما (٤)

من خلال استقرائنا لابيات المصحفي الغزلية يمكن أن نلاحظ أنها لاتشتمل على عواطف مضطرمة تؤرق الشاعر فيسهر لأجلها ليله الطويل، ويهيم على وجهه، ولا عجب في ذلك فأن الغاية الكبرى من ذكره للمرأة وتغزله بها هي طلب الصورة، والتفنن برسمها كما سبق أن ذكرنا. ونلاحظ كذلك أن الشاعر لايستطرد في أبياته الغزلية فيكتفي بالبيتين

(١) الحلة السيراء ١ : ٢٦٠ .
(٢) يتيمة الدهر : ١ : ٢٩٤ .
(٣) الحلة السيراء ١ : ٢٦٠ ، رايات المبرزين ٦٩ .
(٤) الحلة السيراء : ١ : ٢٦٠

والثلاثة ، وربما كانت هذه الأبيات التي بين أيدينا مجتزأة من قصائد غزلية متكاملة ضاعت فيما ضاع من شعره .

أما خمرياته فتلمس فيها روح أبي نواس تنساب برقة عبر أبياته ، انها صورة عاشق للخمر ، مولع بشربها ، ووصفها والتحدث عن محاسنها في المجالس ، فهي محبوبته الأثيرة التي يجب أن ينشر محاسنها في الناس ، ليعجبوا بها كما يعجب ويتعاطونها كما يتعاطاها ، فالخمرة الصفراء تضيء في زجاجتها ، فاذا دبّ دبيبها سرت في الجسم كما يسري السمّ في اوصال من تلدغه أفعى سامة ،وتخفى هذه الخمر على شرابها ، فكأنهم ينتشون ويسكرون من آنية فارغة ، قال :—

صفراء تطرق في الزجاج فإن سرت ‌ ‌ ‌ في الجسم دبت مثل صلّ لادغ
خفيت على شرابها فكأنهـــم ‌ ‌ ‌ يجدون رياً من اناء فارغ (١)

ذكر الثعالبي ان المصحفي لم يحسن في تشبيه دبيب الخمر في جسم شاربها بدبيب الحية اللادغة ، ورأى أنه أحسن في البيت الذي يليه جداً (٢) أما الدكتور احسان عباس فقد عدّ البيت الأول من الصور التي فيها قسط من الجدة والابتكار التي نجدها عنـــد الأندلسيين ولا نجدها عند المشرقيين ، قال : ((انّ اكتمال هذه الصورة بين اطراق الصلّ وانبعاثه وتشبيه الخمر ليست من الصور التي نجدها في المشرق)) (٣) وارى أنّ الشاعر أحسن في البيتين واجاد لأنه في البيت الأول انما قصد إلى تشبيه دبيب الخمر بدبيب السمّ من حيث سرعة السريان لا من حيث المفعول .

ولا يحلو للشاعر شرب الخمر الا في احضان الطبيعة الغناء الساحرة الجمال ، مع فتية نجب من الأصدقاء والخلان تدار عليهم كؤوس الراح — في لياليهم الصاخبة — وهم في نشوتهم ولذتهم يعيشون في نعيم دائم ، صرعى كؤوس الراح ، يضيئون ظلام لياليهم بأنوار كؤوسهم الساطعة ، وهم يحبون الخمر ويتعاطونها معها ، لذا فهم يخشون عليها من الاختناق بزقها ، فيسارعون إلى فتح الزق لتتنفس وتسفر عن وجهها الصبوح ، قال :

كم ليلة بت اطويها وأنشرها ‌ ‌ ‌ ولا أرى في الذي أقضي بها حرجا
في فتية نجب صاروا بمعتـــرك ‌ ‌ ‌ يجري النعيم على الصرعى بها خلجا

(١) التشبيهات ٢٩٠ ، المطمح ١٣٩ ، الحلة السيراء ١ : ٢٦٣
(٢) يتيمة الدهر ١ : ٢٩٥
(٣) تاريخ الادب الاندلسي ١١٥

والجــوّ ملتحــــف ( ) والنجم مكحولــة الحاظــه دعجـا
لفوا دجى ليلهم في نور كأسهـم ونفسوا من خناق الزق فانبلجا (١)،

وبيته الاخير من أبياته البديعة المبتكرة.

والخمر تبعث في نفس شاربها الظرف والخفة ، لذا تراه يبوح بكل مايعتمل في نفسه من امور بصفاء وصدق ، فيبعث في نفوس ندمائه البهجة والمسرة ، بينما غيره من الناس يغش ويخدع ، ولا يقول الحقيقة ، ومن أعجب الامور أن يلوم الناس هذا الشارب الثمل على ظرفه وخفة دمه ، قال : —

عجبت لقوم ضيعوا كـلّ لـذة ولاموا ظريفـاً شاطراً فـي طرائقه
اذا ماشكا بالراح في الثمل سرّهم وكم قائل قولا بغير حقائقه (٢)

+ + +

أما الطبيعة فقد برزت في شعره بصورة واضحة جلية ، ولاعجب في ذلك ، فقد أحبّ الأندلسيون بلادهم ، وأعجبوا بطبيعتها الساحرة ، وأطالوا التغني بجمالها ، فوصفوا الرياض والحدائق والأزهار والأوراد بأنواعها المتعددة ،وأصنافها المختلفة مفضلين بعضها على بعض ، ذاكرين ميزاتها ، والوانها ، وروائحها ، وتباروا في ذلك وابدعوا حتى انه ليندر أن نجد شاعراً أندلسياً ليس له شعر في الطبيعة ، وقد أوجدوا باباً جديداً في الشعر العربي سموه بـ (النوريات) او انه على أقل تقدير ، تطور على أيديهم فأصبح غرضاً قائماً بذاته بعد أن كان يرد لماماً في ثنايا القصائد لدى الشعراء المشارقة.

رسم لنا المصحفي صور الطبيعة الجميلة ، ولونها بأزهى الألوان ، فجعلنا نعيش لحظات قراءتها في ظلال جناتها وثمارها وانهارها ، ولا سيما في زمن الربيع أيام تتجدد الحياة ، وتسفر الطبيعة عن وجوهها الجميل وتجود السماء بمطرها الوفير فتشرق الأرض بالعطاء وتتجدد أيام السرور التي طالما غابت عن الأحبة والخلان .

فصور لنا كيف أن النفوس كانت عطشى متلهفة تنتظر قدوم المطر ، فوافاها الربيع بقدومه والمطر كما يوافي محبوب حبيبه بعد طول هجر وصد ، فتنعقد مجالس الأنس والسمر ويقرع الأحبة والخلان كؤوس الراح مترعة ، ويتمتعون بكل الوان البهجة والمسرة ، قال : —

---

(١) الحلة السيراء ١ : ٢٦٣ البياض في اصل الكتاب.
(٢) التشبيهات ٩٥ .

بادر فأنّ نذير الغيث قد نذرا مجددا لسرور كان قد دثرا
أرخت عزاليه واصطرت بعنصره ريح الصبا واستدرت دمعه فجرى
أوفى فبرّد من حرّ القلوب كما أوفى علينا حبيب طالما هجرا
فلاقه بكؤوس الراح مترعة شكراً له فكريم القوم من شكرا (١)

ومن أبياته التي جمع فيها إلى جانب جمال الصورة ، وجمال اللون عنصر الغرابة ، قوله:

ياربّ سوسنة قد بتّ ألثمها وما لها غير طعم المسك من ريق
مصفرة الوسط مبيض جوانبها كأنها عاشق في حجر معشوق (٢)

فشبه السوسنة ذات اللون الأبيض في جوانبها والأصفر في وسطها بمعشوق يحنّ على عاشقه بعد طول صد وهجر ، فيضمه بين أحضانه على خلاف ماهو معروف من أحوال العاشقين فانظر إلى هذه القدرة على التقاط وجه الشبه بين الصورتين وجمعهما معاً في هذين البيتين .

كما وصف المصحفي سفرجلة في أبيات مرتجلة ، جاء فيها بأوصاف متعددة ، وصور مركبة لطيفة فقال : —

ومصفرة تختال في ثوب نرجس وتعبق عن مسك ذكيّ التنفس
لها ريح محبوب وقسوة قلبه ولون محب حلة السقم مكتسي
فصفرتها من صفرتي مستعارة وأنفاسها في الطيب أنفاس مؤنسي
فلما استتمت في القضيب شبابها وحاكت لها الأنوار أبراد سندس
مددت يدي باللطف ابغي اقتطافها لاجعلها ريحانتي وسط مجلسي
وكان لها ثوب من الزّغب اغبر يرّف على جسم من التبر أملس
فلما تعرت في يدي من لباسها ولم تبق الا في غلالة نرجس
ذكرت بها من لا أبوح بذكره فأذبلها في الكفّ حرّ تنفسي (٣)

فهذه السفرجلة الحسناء تختال بثيابها النرجسية الجميلة ، تفوح منها رائحة المسك الزكية وانظر إلى هذه المقابلات والتقسيمات التي جاء بها الشاعر ، فلهذه السفرجلة طيب رائحة المحبوب ، وقسوة قلبه ، أما لونها فيستمد من لون المحب الذي أصابه سقم الحب ، وطيب

(١) الحلة السيراء ١ : ٢٦٠
(٢) الحلة السيراء ١ : ٢٦١
(٣) الحلة السيراء ١ : ٢٦١ — ٢٦٢ ، مطمح الانفس ١٤٠ .

أنفاسها مستمد من طيب انفاس احبته ، وحينما اسر جمال هذه السفرجلة لبّ الشاعر ، بادر إلى اقتطافها ، وعرّاها من زغبها ، وهنا تذكر محبوبته فهفا به الشوق اليها ، فتصاعدت زفراته حرى ، فأذابت بلهيبها هذه السفرجلة بين يديه .

وهكذا رسم لنا الشاعر لوحة متشابكة الألوان والصور كما تضمنت انفعالات المحبين وحالاتهم بين الرضى والخصام ، وكانت هذه السفرجلة مصدراً لكل تلك الصور التي استلهمها الشاعر من وصفها . ولا اتفق مع المستشرق الاسباني غرسية غومس عندما ذكر ان المصحفي الوزير الكبير ، وصف عملا بسيطا هو اقتطاف سفرجلة وتعريتها من زغبها الذي كان يحيط بها ، ونقلها الى وسط مجلسه بعاطفة وئيدة متراخية (١) .

فالسفرجلة لم تكن في الواقع سوى نقطة الانطلاق التي اثارت كوامن نفس الشاعر وعواطفه ، فمن خلال وصفها تداعت صور الطبيعة المتنوعة ، وذكرى الاحبة ، وعذاب الشاعر بهجرهم وصدهم . وللمصحفي مقطوعات شعرية في وصف النرجس والبهار والسوسن والورد ومنها هذه المقطوعة : —

انظر الى الروض الأريض تخاله ... كالوشي نمّق احسن التنميق
وكأنما السوسان صبّ مدنف ... لعبت يداه بجيبه المشقوق
يوم الوداع ومزّقت اثوابه ... جزعاً عليه أيما تمزيق
والنرجس الغضّ الذكي كأنه ... قد صيغ من التذهيب والتأريق
يحكي لنا لون المحب بلونه ... واذا تنسم نكهة المعشوق
وكأن دائرة الحديقة عندما ... جاد الغمام لها برشف الريق
فلك من الياقوت تسطع نوره ... فيه كواكب جوهر وعقيق (٢) .

وقد علق الحميري على هذه الأبيات فقال : (شبه أوراق السوسن في افتراقها بجيب مشقوق وهو معنى دقيق أنيق وقد تداوله جماعة واظنه من اختراعه . وتشبيهه الأخير في الحديقة من التشبيهات العظم على الحقيقة) (٣) . ولا اتفق مع الحميري في تعليقه على البيتين الأخيرين ، لأن الشاعر — فيما ارى — لايسعى وراء الحقيقة ليذكرها في شعره ويشير بها ، وانما هو فنان يتحسس مواطن الجمال ويرسمها في لوحة ، ويبرز محاسنها بالوانه المتنوعة

(١) الشعر الاندلسي ٥٩ ، تاريخ الفكر الاندلسي ٤٤ — ٤٥
(٢) البديع ٣٢ .
(٣) البديع ٣٢/٣٣ .

ووسائله المختلفة ، وقد يغرب احيانا ويأتي بصور غير مالوفة ليترك للقارىء تحليل رموزها ، فيتمتع بحلاوة الاكتشاف وماهذه الحديقة بما اشتملت عليه من اوصاف الألوحة جميلة من لوحات المصحفي .

وعندما اهدى اليه الوزير زياد بن افلح وردا سيق اليه من (ريّة) في شهر كانون الآخر قال في وصفه :

لعمرك ماني فطرة الروض قدرة　　تحيل بها مجرى الزمان عن الحدّ
ولكنما اخلاقك الغرّ نبهت　　بربعك في كانون نائمة الورد
كأنك امطرتها ديمة المجـ　　ـد واجريت في اغصانها كرم العهد (١)

فمزج مزجا لطيفا بين مدح الوزير ووصف الورد ، فليس من طبع الورد ان ينبت في كانون الآخر ولكن اخلاق الوزير الرفيعة نبهت الورد النائم فهبّ ملبيا النداء ، وماأجمل البيت الاخير الذي صور فيه الورود وهي تسقى من ديمة مجد الوزير ، ويجري كرمه في اغصانها فتتفتح ويتألق جمالها .

وللمصحفي مقطوعات اخرى وصف فيها مظاهر الطبيعة الاخرى ، فقد وصف السماء والنجوم ، والمطر والغيوم ، كما وصف مظاهر الحضارة والعمران كالقصور والرياض والمتنزهات ومن وصفه السماء والنجوم قوله :

وكأن انجم الثريا اذ بدت　　قرط مليح في بساط زمرد
وكأنما لبس السماء ملاءة　　خضراء ترصف من جمال العسجد (٢)

يبدو الشاعر هنا مغرما بالفنون البيانية ولا سيما بفن التشبيه ، ولا يخفى اثر البيئة الاستقراطية التي عاش فيها على هذه التشبيهات ، ونلمح من خلال هذه الأبيات صورة ابن المعتز الذي عاش في الأجواء الاستقراطية نفسها ، فالشاعران يستمدان صورهما من واقعهما ومحيطهما . وله ابيات في وصف (الدمشق) وهو قصر شيده بنو امية ، فابدعوا في بنائه وحاكوا به قصورهم في المشرق قال :—

كل قصر بعد الدمشق يذم　　فيه طاب الجنى وراق المشم
منظر رائق وماء نمير　　وثرى عاطر وقصر أشم

---

(١) البديع ١٢٠ .
(٢) التشبيهات ٢١ .

بـت فيـه والليـل والفجر عنـدي　　عنبـر اشهـب ومسك احـــمّ (١)

* *　* *　* *

المصحفي في محنته اشعار كثيرة عبر فيها بصدق عن معاناته ومكابدته في هذه المرحلة المؤلمه من حياته ، فكان شعره مرآة انعكست عليها كل آلام نفسه ، وكلّ آمالها . انها مرحلة امتزج فيها الرجاء باليأس ، والهلع والخوف بالأمل ، وكان في محنته هذه يتذكر ايامه الجميلة متحسرا عليها ، قال : —

فلله ايـام مضـت لسبيلـهـا　　فاني لا انسى لهـا ابـدا ذكـرا
تجافـت بهـا عنـا الحوادث برهـة　　وأبـدت لنـا منها الطـلاقـة والبشرا
ليالي لم يـدر الـزمـان مكانـنـا　　ولا نظـرت منـا حوادثـه الشـزرا
وماهذه الأيـام الا سحـائـب　　على كل ارض تمطر الخير والشرا (٢)

ونجد هنا انه ضمن ابياته جانبا من آرائه في الحياة وطبيعة الدنيا ، فليست ايامها سوى سحائب تمطر الخير والشر على الناس ، ومن ابتسمت له الدنيا فايامه كلها سعد وهناء ، فكأن مصائب الزمان ونكباته قد نسيته ، وهي في حقيقة الأمر تتغافل عنه الى حين . ذكر ابن سعيد أنّ هذه الأبيات قالها المصحفي وقد حمله ابن ابي عامر معه في احدى غزواته (٣) حيث كان ابن ابي عامر يحمل المصحفي في غزواته اينما ذهب امعانا منه في اذلاله وقهره (٤)، وبلغ المصحفي ان قرناءه توجعوا له وتفجعوا مما اصابه فكتب اليهم : —

احنّ الى انفـاسكـم فاظنهـا　　بواعـث انفـاس الحيـاة الى نفـسي
وان زمـانـا صـرت فيـه مقيـدا　　لاثقل من رضوى وأضيق من رمس (٥)

وله ابيات صور فيها رعايته لابن ابي عامر ، واكرامه اياه واخذه بيده الى ذرى المجد . متصورا انه غرس كريم المنبت ، طيب الثمر ، فاذا به يتنكر لليد التي رعته واكرمته واحسنت اليه ، فأول ماشب عن الطوق عضّ هذه اليد واوقع بصاحبها ، كل ذلك لأن اصله خسيس ، ومنبته سيء ، قال :

---

(١) [illegible] ذكر المقري ان ابن [illegible] نسبها الى ابن عمار وزير المعتمد ابن عباد
(٢) مطمح الانفس [illegible] ، البيان المغرب ٢ : [illegible] ، المغرب ١ : [illegible] ، اعمال الاعلام ٦٠.
(٣) [illegible] ٢ : ٢٧٦ .
(٤) الذخيرة ق ٤ : ١ : ٦٠ .
(٥) مطمح الانفس : [illegible] ، نفح الطيب ١ : ٤٢٣ .

غرست قضيبا خلته عود كرمة　　وكنت عليه في الحوادث قيما
واكرمه دهرى فيزداد خبثه　　او كان من اصل كريم تكرما »(١)

ونقل الينا المصحفي في ابيات اخرى خلاصة تجربته في الحياة ، وهي ان الزمان متقلب وأيامه حبلى بالاعاجيب ، فعلى الانسان الا ينخدع بمظاهر الرخاء والسعادة التي قد يمنحه اياها الدهر حينا ، لأن مآسيه ونكباته سرعان ماتقضي على هذه الأوهام ، ومن الأعاجيب التي جاء بها الزمان ان يتغلب ابن ابي عامر ، ذلك الشخص المغمور الخامل الذكر ، على الحاجب المصحفي ، وهو من هو عزة وجاها وسلطانا : —

لاتأمنن من الزمان تقلبا　　ان الزمان باهله يتقلب
ولقد اراني والليوث تهابني　　واخافني من بعد ذاك الثعلب
حسب الكريم مهانة ومذلة　　الا يزال الى لئيم يطلب (٢)

ذكر ابن سعيد ان المصحفي قال هذه الأبيات عندما سيق الى مجلس الوزارة للمحاسبة (وواثق الضاغط يزعجه ويستحثه وهو يقول له : رفقا بي ياواثق فستدرك ماتحبه وتشتهيه وترى ماكنت ترتجيه) (٣) .

وقد اودعه ابن ابي عامر المطبق ، والاحزان قد ملأت نفسه وغلب عليه اليأس والالم ، واستكان لمصيره المحتوم واستسلم لحكم القدر : —

أجاري الزمان عن حاله　　مجاراة نفسي لا نفاسها
اذا نفس صاعد شفها　　توارت به دون جلاسها
وان عكفت نكبة للزمان　　عكفت بصدري على راسها (٤)

ومن ابياته التي استعطف بها ابن ابي عامر قوله :
[illegible]

(١) الذخيرة ق ١ م ٢ : ٢٧ ، نفح الطيب ١ : ٢٢٢ .
(٢) الذخيرة ق ١ م ٢ : ٢٦ ، مطمح الانفس ٥ ، الحلة السيراء ١ : ٢٦٦ ، البيان المغرب ٢ : ٢٧٢ .
(٣) البيان المغرب ٢ : ٢٧٢ .
(٤) مطمح الانفس ٥ ، جذوة المقتبس ص ٢٠٢ ، بغية الملتمس ص ٢١٩ ، الحلة السيراء ١ : ٢٦٥ .

لئـــن جـــلّ ذنـــب ولم اعـتـمـــد ... ه فـــانـــت اجـــلّ وأعـــلى يـــدا
ألم تـــر عبـــدا عـــدا طـــوره ... ومـــولى عفا ورشيدا هــدى (١)

وتكشف هذه الأبيات عن جوهر نفسية المصحفي الخائرة الضعيفة المتشبثة بالحياة برغم صنوف الذل والهوان التي ذاقها على يد ابن ابي عامر ، فهو هنا يستعطفه راجيا عفوه وصفحه ويلصق بنفسه صفات العبودية ، وينسب اليها ارتكاب الذنوب ، وينسب الى ابن ابي عامر صفات الحكمة والرشد والعقل ، وهو يعلم في قرارة نفسه ان ابن ابي عامر ثعلب ماكر ، ولا عجب في ذلك فقد (كان جعفر بن عثمان في محنته اخور الناس ، ارأمهم للذل ، واحبهم في الحياة انتهى به الاستخذاء لمحمد بن ابي عامر ، والطمع في الحياة ان كتب اليه يعرض نفسه عليه لتأديب ابنيه عبدالله وعبد الملك ، فقال ابن ابي عامر : اراد ان يستجهلني ويسقطني عند الناس ، وقد عهدوا مني ببابه مؤملا ثم يرونه اليوم بدهليزي معلما) (٢) .

وله ابيات اخرى استعطف فيها ابن ابي عامر ، تتضح من خلالها الحالة النفسية السيئة التي وصل اليها في آواخر أيامه ، فقد قاده نحو ابي عامر الذل والاذعان والندم ، متوسلا ان يعطف عليه ويصفح عنه ، ويرثي لشيخوخته المتعبة ، قال :

هبني أسأت فاين العفـو والـكـرم ... إذ قـادني نحـوك الاذعـــان والندم
ياخير مـــن مدت الأيـدي اليـه اما ... ترثي لشيخ نعاه عندك الـقـلـم
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر ... انّ الملوك اذا ما استرحموا رحمـوا

ولكن ابن ابي عامر بدلا من ان يرق لحاله ويعطف عليه ، ويصفح عنه ، بعث اليه بهذه الأبيات : — (٣)

الآن ياجاهلا زلّت بك القدم ... تبغي التكرم لما فاتك الكرم
اغريت بي ملكا لولا تثبته ... ماجازني لي عنده نطـــق ولا كلم
لا بأس من البغي اذ قد صرت في يدي ... ان الملوك اذا ما استقدروا نقـمـوا
نفسي اذا سخطت ليست براضية ... ولو تشفع فيك العرب والعجم (٤)

---

(١) مطمح الانفس ١٥١ ، البيان المغرب ٢ : ٢٦٨ .
(٢) مطمح الانفس ١٥١ ، البيان المغرب ٢ : ٢٦٨ .
(٣) الذخيرة ق ٤ : ١ : ٦٩ ، الحلة السيراء ١ : ٢٦٥ نفح الطيب ١ : ٦٠٤ .
(٤) الذخيرة ق ٤ : ١ : ٦٩ ، الحلة السيراء ١ : ٢٦٧ ، نفح الطيب ١ : ٤٠٨ .

وهي ابيات تدل على السطوة والجبروت الذي كان يتصف به ابن ابي عامر ، فقراره في هذه المسألة حاسم لارجعة فيه ولا تنفع معه استغاثة مستغيث ولاشفاعة شفيع . واشار ابن ابي عامر في ابياته هذه الى واقعة كادت تودي بحياته ، وذلك ان ابن ابي عامر عندما كان قيما على خزينة الدولة ، اسرف في ارسال الهدايا النفيسة الى السيدة (صبح) زوج الحكم والى حرم القصر ليستجلب حبهن وعطفهن عليه ، فاثيرت الشكوك حول مصادر امواله وهداياه لدى الخليفة الحكم ، وربما كان للمصحفي ضلع فيها ، وعندما علم ابن ابي عامر بذلك سارع الى الوزير ابن حدير وهو احد اصدقائه ، فاقترض منه اموالا كثيرة ليسد النقص الحاصل في الخزينة ، وعندما كشف الحكم على الخزينة وجدها خالية من كل نقص (١) ، فرفعت عن ابن ابي عامر المظنة ، ولو ثبتت عليه التهمة لهلك من ساعته .

ولما وصلت أبيات ابن ابي عامر للمصحفي ردّ عليها بابيات حذرة فيها من البطش والطغيان ، فبالأمس كان بمثل حال ابن ابي عامر من العز والمجد والجاه ، فانظر اليه اين اصبح الآن : —

لي مدّة لابد ابلغها فاذا انقضت أيامها متّ
لو قابلتني الاسد ضارية والموت لم يعدن لما خفت
فانظر اليّ وكن على حذر فبمثل حالك امس قد كنت (٢)

ويبدو انه في آواخر أيامه يئس من عفو ابن ابي عامر وصفحه ، فاستسلم لمصيره المحتوم فسكنت نفسه وخيم عليها الهدوء ، فانصرف يفكر باحوال الدنيا ومظاهرها الخادعة التي قد تغر بعض الناس فتجعلهم يتبعون اهواءهم وشهوات نفوسهم ، فيبالغون في ظلمهم وقسرتهم على الآخرين ، دون تحسب للعواقب ولايعتبرون بما أصاب من سبقهم من الجبابرة والطغاة .

---

(١) البيان المغرب ٢ : ٢٥٢ .
(٢) الذخيرة ق ٤ : ١ : ٧٠ ، نفح الطيب ١ : ٦٠٣ .

ــ الخاتمة ــ

استمد المصحفي عناصر ثقافته من الاجواء الثقافية القرطبية التي كانت آنذاك تشتمل على الوان العلوم والاداب والفنون كافة ، ووصف بشعره مباهج حياته المترفة التي عاشها في ظلال قصور الخلفاء ، فوصف الوان الحياة الحضارية المتنوعة بمباهجها ووقائعها المختلفة. فوجدناها حية في صوره الشعرية ، وعكست نفسها على خياله ومفرداته اللغوية .

عني المصحفي بطلب الصورة في شعره ، وكرس لذلك كل جهده الفني ، وقد وفق في معظم الصور التي جاء بها ولاسيما في وصف الطبيعة والخمر ، الا ان ولعه بطلب الصورة كان — في بعض الأحيان — يبدو وكأنه هدف بحد ذاته فلا نكاد نشعر ان وراء الصورة عاطفة صادقة ، أو تعبيراً عن احساس حقيقي ، ويلازمنا هذا الشعور — على وجه الخصوص ونحن نقرأ شعره الغزلي .

طرق شاعرنا معظم الأغراض الشعرية ، ولكن براعته تجلت بوضوح عندما كان يطرق موضوعات ذاتية لها مساس بحياته الخاصة ، فتفيض احاسيسه ومشاعره متدفقة وهاجة ، لذلك وجدنا انّ معظم اشعاره التي نظمها أيام سعده وهنائه دارت حول قضايا ذاتية ، تحدث فيها عن عواطفه ومشاعره ، ولهوه مع اصحابه في احضان الطبيعة الاندلسية الغناء يتساقون كؤوس الخمر ويشربونها حتى الثمالة ، ويصبون ويعشقون في هذه الأجواء المليئة بالبهجة والمسرة وقد عني بشكل خاص بوصف الطبيعة بجميع مظاهرها ومفرداتها ، فوصف الحدائق والرياض والأزهار بانواعها المختلفة كما تحدث عن الكواكب والنجوم والشمس والقمر والليل والنهار . كان للخمر نصيب وافر من اشعاره ولا عجب في ذلك فقد كان عاشقاً لها مغرماً بشربها ، مفتوناً بالتحدث عن اوصافها ومجالسها وكؤوسها ونشعر من خلال قراءتنا لهذه الأشعار بالتآسي الذي تتصاعد عبر أبياتها .

وقد مزج الشاعر مزجاً جميلاً بين وصف الطبيعة ووصف الخمر وتعاطي كؤوسها مع الأحبة والخلان .

مدح المصحفي اولياء نعمته واشاد بمآثرهم وانتصاراتهم على اعدائهم ، الا ان المستوى الفني لشعره في هذا الميدان دون مستواه في الميادين الأخرى . كما رثى من مات منهم ، وتتوضح من خلال شعر الرثاء لديه نظرته الى الحياة والموت ، فهو انسان مؤمن بقضاء الله وقدره ، وأن الموت حق على كل حي على وجه هذه الأرض : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا » ؛ « كل نفس ذائقة الموت » .

اما المرحلة المؤلمة في حياته ، التي اصابته فيها المصائب والنكبات ، فهي المرحلة التي استطاع فيها الوزير محمد بن ابي عامر ان يستأثر بالحكم دونه ، وأن يسلبه شيئا فشيئا كل عزّ وجاه وسلطان ، حتى احكم عليه الطوق وسجنه في المطبق الى ان مات . وله في محنته هذه اشعار كثيرة عبر فيها بصدق عن معاناته ومكابدته ، ونجد ان نظرته الى الحياة في هذه المرحلة ـ قد تعمقت ، فأخذ يفكر باحوال الدنيا ومظاهرها الخادعة ، وتقلبها بأهلها ، وعدم بقائها على حال واحدة ، فالجاهل الأحمق من يغتر بعطائها اذا اعطت والحكيم العاقل من يتواضع في حالتي اقبال الدنيا عليه ، وادبارها عنه ، فليعتبر الانسان ويتعظ من دراسة تاريخ الامم والاقوام التي سبق ان عاشت على وجه هذه البسيطة .

من خلال قراءتنا لاشعار المصحفي وجدنا ان لغته الشعرية سهلة واضحة بعيدة عن التكلف والوعورة ، تنساب سلسة دونما حاجة الى معجمات اللغة وقواميسها ، وقد امتلك قدرة على توليد الصور ، واختراع الأوصاف ، وهذه ظاهرة واضحة في شعره ، قال في وصف الشتاء والصقيع : —

طرقتنا طوارق الغيث وهنا نبحث ايدي الحوادث عنا
فكأن الرياض حلة وشي نفضت صرفها السحائب قطنا (١)

ومن ينظر الى هذه الأبيات تتراءى له لوحة مكتملة الالوان بفعل المطر ، فيها الورود والأزهار وخضرة الروض ، كل ذلك مؤطر باطار من بياض الثلج . كما انه مال الى المبالغة في شعره .

وقد اولع بالفنون البيانية ولاسيما بفن التشبيه وتشبيهاته ملوكية ارستقراطية تذكرنا باوصاف ابن المعتز وتشبيهاته ، ولعل ذلك يعود ان ان الشاعرين عاشا في بيئتين متشابهتين من حيث القصور الفخمة ووسائل العيش المترفة .

كما تميز المصحفي بقدرته على ارتجال الشعر وهذا يدل على طبعه وسعة ادبه ، وتمكنه من ناصية اللغة وقدرته على تصريف فنون الكلام ، فقد مرّ — فيما سبق — انه ارتجل ابياتا جيدة هنأ بها الخليفة الحكم المستنصر بمولد ابنه هشام ، كما انه ارتجل ابياتا جميلة في وصف سفرجلة ، وهذا يدل كذلك على ان الشعر لديه سليقة تواتيه دونما معاناة او مكابدة اذا اراد —

واخيرا يمكننا ان نقول ان آراء النقاد القدامى بشعره تدنو الى حد كبير مع الفروق الطفيفة اما نثره فليس لنا فيه رأي لاننا لم نطلع عليه .

---

(١) التشبيهات ١٧٢ .

المصادر والمراجع

١ — اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام — لسان الدين بن الخطيب السلماني (— ٧٧٦هـ) تحقيق ا. ليفي بروفنسال — دار المكشوف— بيروت ١٩٥٦ — الطبعة الثانية.

٢ — البديع في وصف الربيع— ابو الوليد اسماعيل بن عامر الحميري (— ٤٤٠هـ) اعتنى بنشره وتصحيحه هنري بيريس ١٩٤٠ م نشر مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية — مطبعة الاقتصاد بالرباط .

٣ — بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس — احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي (— ٥٩٩ هـ) طبع في مجريط بمطبع روخس سنة ١٨٨٤ م .

٤ — البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب — ابو العباس احمد بن محمد بن عذارى المراكشي (— ٧١٢ هـ) تحقيق ج . س . كولان و أ . ليفي بروفنسال — دار الثقافة — بيروت ١٩٦٧.

٥ — تاريخ الأدب الاندلسي (عصر سيادة قرطبة) الدكتور احسان عباس بيروت — دار الثقافة (المكتبة الاندلسية — ٢—) سنة ١٩٧٨ . الطبعة الخامسة .

٦ — تاريخ علماء الاندلس — عبدالله بن محمد بن يوسف الازدي المعروف بابن الفرضي (— ٤٠٣ هـ) طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ (سلسلة تراثنا — المكتبة الاندلسية).

٧ — تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة عبد العزيز سالم — بيروت — دار المعارف سنة ١٩٦٢ .

٨ — التشبيهات من اشعار اهل الاندلس — الشيخ ابو عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب (— ٤٢٠ هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٦.

٩ — جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس — ابو عبدالله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله الازدي الحميدي (— ٤٨٨ هـ) طبع : الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ (٣ المكتبة الاندلسية ، سلسلة تراثنا — ٣) .

١٠ — الحلة السيراء — ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي المعروف بابن الابار (— ٦٥٨ هـ) تحقيق الدكتور حسين مؤنس — القاهرة ١٩٦٣ الطبعة الاولى

١١ — دولة الاسلام في الاندلس — الخلافة الاموية والدولة العامرية — العصر الأول — القسم الثاني — محمد عبدالله عنان — مكتبة الخانجي — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة — ١٩٦٩ — الطبعة الرابعة .

١٢ — الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة — ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (— ٥٤٢هـ) القسم الرابع — المجلد الأول — تحقيق الدكتور احسان عباس — طبع ونشر دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت ١٩٧٩ — الطبعة الاولى .

١٣ — رآيات المبرزين وغايات المميزين — علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد الاندلسي (— ٦٨٥ هـ) تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي — المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية — لجنة احياء التراث الاسلامي — القاهرة — ١٩٧٣ مطابع الاهرام التجارية .

١٤ — الشعر الاندلسي — بحث في تطوره وخصائصه — اميليو غرسية غومس ترجمة عن الاسبانية حسين مؤنس — طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٩ الطبعة الثالثة .

١٥ — العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر — عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (— ٨٠٨هـ) دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦١ الطبعة الثانية .

١٦ — المجمل في تاريخ الاندلس — عبد الحميد العبادي — طبع مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٨ .

١٧ — المعجب في تلخيص اخبار المغرب — عبد الواحد المراكشي (— ٦٤٧ هـ) حققه محمد سعيد العريان — لجنة احياء التراث الاسلامي ١٩٦٣ .

١٨ — المغرب في حلى المغرب — علي بن موسى بن سعيد الاندلسي (— ٦٨٥ هـ) تحقيق الدكتور شوقي ضيف — طبع دار المعارف بمصر — سلسلة ذخائر العرب ١٩٦٤ الطبعة الثانية .

١٩ — مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس — الفتح بن خاقان (— ٥٢٩هـ) تحقيق هدى شوكة بهنام — مجلة المورد — المجلد العاشر — العدد الثاني سنة ١٩٨١

٢٠ — المقتبس — ابن حيان القرطبي (— ٤٦٩هـ) الجزء الخامس اعتنى بنشره — ب . شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف . كورنيطي و — م . صبح وغيرهما — طبع المعهد الاسباني العربي للثقافة — كلية الآداب بالرباط — مدريد ١٩٧٩ .

٢١ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ـ احمد بن محمد المقرى التلمساني (ـ ١٠٤١هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس، طبع ونشر دار صادر ـ بيروت ١٩٦٨.

٢٢ ـ يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ـ ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (ـ ٤٢٩ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٣ ـ الطبعة الثانية.

الأصوات الداكنة في اللغة العربية
وأثرها في تعليم اللغة العربية
للناطقين بغيرها

محمد صنكور

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

أثارت الدكنة في بعض أصوات اللغة العربية ، تساؤلات كثيرة سواء في إهتمام العرب المتقدمين بالنظرية الصوتية للغة العربية المبثوثة في كتبهم التراثية ، أم عند المتأخرين منهم في كتب علم اللغة العام — الصوتيات الحديثة لغة العربية — ، ولتوظيف (اللسانيات) العربية الحديثة في خدمة أغراض واستعمالات اللغة العربية بمختلف مستوياتها التي يؤلف النظام الصوتي فيها أحد الأنظمة الرئيسة الذي له أثر مهم في تكوين اللغة ، وفي عملية السماع اللغوي التي تقابلها عملية فهم المعنى اللغوي بعد تكوينه بمساعدة الأنظمة الأخرى للغة العربية ، فيتبلور معنى لغوي ذو دلالة اجتماعية حضارية تمثل فيه الوحدة الصوتية (الفونيم) (١) اصغر وحدة صوتية(٢) فعالة ومؤثرة في تكوين وتغيير المعنى اللغوي ، علماً

---

(١) يعني الباحثون العرب في المغرب العربي هذه الوحدة بـ (الفونيم)

(٢) انظر رأي البروفسور ستيفن اولمان ، المتضمن أن أصل الوحدة الصوتية هو الكلمة ، في كتابه الموسوم بـ «دور الكلمة في اللغة» ترجمة الدكتور كمال محمد بشر ، فقسه ص ٤٢ ، ٤٣ وكذلك رأي المترجم بهذه المسألة في الهامشين ٢ ، ٣ من الكتاب .

أن هذه الوحدة الصوتية لامعنى لها بحد ذاتها إلاّ إذا اتحدت بوحدة صوتية أو أكثر من وحدات اللغة الصوتية الأخرى وعندها يمكن أن تُحدث تغييراً جوهرياً في إنتاج المقطع أو الكلمة ، ومن ثُمَّ المعنى اللغوي الذي ترمز إليه هذه الكلمة بسبب تغيير وحدة صوتية واحدة أو أكثر تغييراً جذرياً يَنتج عنه معنى لغوي دلالي جديد يختلف عن الأول تماماً ، وهذا مايسمى في التراث العربي بعملية الابدال اللغوي ،ونظام التقليب في حروف الكلمة الواحدة الذي أوجده الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥هـ) وعرفته من بعده المعاجم العربية ، أو قد يرافق انتاج هذه الوحدة الصوتية إشباع فتخرج داكنة مفخمة أي (غليظة) يترتب عليها معنى مغاير في الكلمة ذاتها للوحدة الصوتية التي تعرفها اللغة في إنتاج هذه الوحدة ، أو قد يَحدث العكس فقد تخفف هذه الوحدة الصوتية او ترقق ويحصل نقص فيها عند انتاجها فتتحول إما إلى وحدة صوتية أخرى تعرفها اللغة فتعمل على تغيير المعنى المطلوب من الكلمة التي فيها هذه الوحدة أو تنتج هذه الوحدة مرققة لايترتب عليها أثر سمعي يؤثر في تغيير المعنى ، والشق الأول من هذه الحالة هو الذي يهمُ هذا البحث بمعرفة أثره في عملية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، إذ أن الترقيق في الصوت الواحد قد لايحدث خلطاً في إنتاج هذا الصوت بأصوات أخرى ، وفي هذه الحالة لايحدث تغييراً في المعنى اللغوي ، ويسمى عندئذ مغايراً صوتياً (ألفون) يدخل في عملية الرطانة التي ترافق الاجنبي وبعض ابناء اللغة عند انتاجهم بعض الأصوات العربية ، ولكن للرطانة في اللغة حدوداً ، فإذا ساعدت على إضافة وحدات صوتية أخرى تعمل على تغيير المعنى اللغوي تعرفها أو لا تعرفها اللغة تكون عقبة أمام تعليم هذه اللغة (لغة ثانية) للناطق بغيرها ؛ لأننا نعلم أن لكل لغة عدداً ثابتاً أو محدوداً من الوحدات الصوتية التيقد تتأثر بالمنحى الجغرافي الاجتماعي، والحضاري للغة عند أبنائها الاقحاح وبالرطانة الصوتية أيضاً التي قد ترافق انتاج هذه الوحدات الصوتية أو بعضها من لدن غير الناطقين باللغة العربية ،ولا سيما تلك الأصوات التي تنتج من مخرج واحد ، أو من مخارج متقاربة ، وعادة ماتكون لهذه الأصوات القدرة أو القابلية منفردة أو مجتمعة مع وحدات أخرى على إحداث أثر سمعي يغيّر المعنى ، وينتقل في النهاية إلى الكتابة التي تقابل مهارة القراءة ، ولعل الدكنة واحدة في مظاهر الأصوات العربية المطبقة التي يكون الأثر السمعي فيها صفة أساسية تعمل على تغيير المعنى إذا لم تنتج بشكل سليم ، فتشكل هذه الأصوات صعوبة لمتعلم اللغة، باعتبارها غير مستساغة النطق بالنسبة له فتوبكد في فهم جرس مقطع الكلمة الصوتي والكلمة كلها ، ومن ثمّ المعنى اللغوي الذي ترمز

إليه هذه الكلمة فيتشوش ويتعقد عليه الأمر في فهمها ، والسبب في ذلك يكمن في النظام الصوتي للغته الأم ، وبُعْد أو قرب اللغة العربية من هذه اللغة ، ووجود أو عدم وجود هذه الأصوات أو مايقاربها في لغته الاصلية فيضطر إلى سحب انتاجها نحو مخارج الأصوات التي تعرفها لغته الأم أو تكون قريبة منها على الأقل وذلك بحكم السليقة وتكوّن العادات اللغوية التي جُبلَ عليها في حياته ، وقد يكون ذلك أكثر وضوحاً عند الأجانب الكبار من متعلمي اللغة العربية منه عند الصغار ، وغيرها من الأسباب الأخرى ، وحتى لو افترضنا أن الأجنبي الذي يتعلم اللغة العربية قد حاول أنتاج هذه الأصوات العربية أو أحدها بالتركيز على التقليد والتكرار ، فأنه بلا شك يضطرب ويلاقي عسراً في نطقها وقد لايفلح في انتاجها مثل ماتنتج عند ابناء اللغة الاقحاح ، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث «الأصوات الدّاكنة في اللغة العربية وأثرها في تعليم العربية للناطقين بغيرها» .

ومسألة جِدُّ هامة ، جديرة بالذكر في هذا الموضع ، هي أن إثبات الصعوبات في بعض الأصوات العربية ومنها الأصوات الدّاكنة في اللغة العربية في منهج البحث العلمي الدقيق بسبب تقدم تقنيات البحث اللغوي ، ويقتضي منطق علم اللغة لايمكن تشخيصها ومعالجتها والتفريق بينها في مقدار وحجم الصعوبة إلاّ من خلال التحليل اللغوي في المعامل اللغوية التقْنية الحديثة (١) ، وهي غير متوفرة لدينا في الوقت الحاضر ، وإن توفرت فإننا معطلون عن الدراية والدُّربة في كيفية استعمالها فلا بد من ميل البحث إذن إلى الجانب التطبيقي في تشخيص هذه الظاهرة اللغوية وتتبع أثر نطقها في بعض الأصوات العربية في عملية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، واختيار عينات لغوية صوتية تظهر فيها الاصوات التي ترافق الدّكنة انتاجها ، فتكون جلية واضحة نتلمس أثرها على المعنى اللغوي ، ونوع الصعوبة التي تسببها لمتعلم اللغة العربية من غير العرب ، والمقابل الذي يمكن أن يأتي به هذا المتعلم بديلاً لهذه الوحدات الصوتية ؛ ونكون بذلك قد حاولنا تسليط بعض الضوء على صعوبة لغوية صوتية يعاني منها المتعلم الأجنبي للغتنا الكريمة المقدسة .

---

(١) عن هذه الاجهزة في التحليل الصوتي ، أنظر بحث الدكتور محمد حسن باكلا ، الموسوم بـ «التكنولوجيا اللغوية وتعليم الاصوات» من بحوث الندوة العالمية الأولى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها — جامعة الرياض

ما الدكنةُ ؟ وماهي الأصوات العَربية التي يمكنُ ان تنتجُ داكنة ؟

قبل أن نبحث «الدُّكنة» ظاهرة لغوية صوتية؟ لابد أن نشير إلى معناها في اللغة ، فالدّكنُ والدّكن والدُّكنة (١) : لون الأدكن ، لون الخزّ الذي يضرب إلى السواد(٢) قال رؤبه يخاطب بلال بن أبي بُردة :

« فاللهُ يجزيكَ جزاءَ المحسنِ
عن الشّريفِ والضعيفِ الأوهنِ
سلمتَ عرضاً ثوبهُ لم يدكنِ »(٣).

ويقال : الشيءُ ادكنُ قال لبيد (٤) :

أُغلي السِّباء بكلِ أدكنَ عاتقٍ   أَو جونةٍ قُدِحتْ وفُضّ ختامُها

يعني زقاً قد صلح وجاد في لونه ورائحته لعتقه .

وفي حديث فاطمة (ر) : أَنها أوقدت القدر حتى دُكنَتْ ثيابهُا ، أي اتّسخت واغبّر لونها . وفي قصيدة مُدِحَ بها الرسول محمد «ص» :

عليّ لَهُ فضلانِ فضلُ قرابةٍ   وفضل بنصلِ السّيفِ والسُّمُرِ الدكلِ

والدكل والدكن واحدة ، يريد لون الرماح ، ودكن المتاع : نضّده بعضه على بعض(٥) ومنه الدُّكان ، وثريدة دكناء علتها من الابزار مادكنها من الفلفل (٦) وغيره .

هذه المعاني اللغوية المتقدم ذكرها لكلمة « الدكنة » ، قد تكون بعيدة وغير مرادة لأنها غير منسجمة مع المفهوم اللغوي الذي نريده للدكنة التي ترافق انتاج بعض الأصوات العربية والصوت عموماً ليس له كيان يحدد معناه الحسي الذي يمكن أن نلمس من خلاله صفاته المرئية باستعانة بعض الأجهزة التي يمكن أن تصور الصوت ، وقد أشرنا الى بعضها فلا نستطيع أن نعطي معناً دقيقاً للدكنة ، اذ أنّ عوامل كثيرة تتدخل في كمية الصوت ورنينه وصفاته من حيث الجهر والهمس أو الشدة والرخاوة وغيرها ، ولعل في مقدمة هذه العوامل

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ص ...

(٢) في المعجم الوسيط ، ص ٢٩١ «مال إلى السواد» .

(٣) ابن منظور ، المصدر نفسه .

(٤) ابن منظور ، المصدر نفسه .

(٥) في المعجم الوسيط «وضع بعضه على بعض في نظام» ص ٢٩١

(٦) في المعجم الوسيط «كثيرة التوابل»

كمية الهواء الخارجة من الرئتين وهي المادة الخام للصوت التي تتلون صوتياً عند مرورها بالممرات الصوتية خلال الأجهزة الحيوية عند الانسان التي تكون اللغة عادة وظيفة ثانوية لها ، وأهم هذه الأجهزة في تحديد صفات الأصوات اللغوية هي الحبال الصوتية في الحنجرة بالاضافة الى ذلك ، فان الصوت يختلف في النساء عنه في الرجال ومثل ذلك في الأطفال والكبار الأمر الذي يجعل من الصعب علمياً تحديد المعنى اللغوي الذي نريده للدكنة في هذا الموضوع ، فما هي الدكنة ؟ وماهي الاصوات العربية التي يمكن ان تنتج داكنة ؟ نعني بالدكنة صفة (الغلظ او الشدة) في الصوت التي قد تزيد عن الحد الطبيعي لانتاجه في بعض الأصوات العربية وتؤدي الى الرطانة او تغيير المعنى اللغوي نتيجة لتحويل الصوت الى صوت آخر بسبب الدكنة او النقص في انتاجه ، وهي صفة ملازمة لبعض الأصوات العربية ، وقد تكون هذه الصفة جوهرية اساسية تعمل على تغيير المعنى او صفة ثانوية مصاحبة للصوت لاتعمل على تغيير المعنى ، وقد يفترضها السياق الصوتي ايضاً ، وأغلب ماتحدث في نطق أصوات الاطباق في اللغة العربية ، وتفسير(١) هذه الظاهرة الصوتية في هذه الأصوات ، هو عند النطق بها يرتفع اللسان قليلا من الخلف بالاضافة الى تقلص ارتفاعه من الامام حيث المخرج ، ومعنى ذلك يكون شكل اللسان يشبه شكل الملعقة ويتكوّن من جراء ذلك صندوق رنين في الوسط يقوي نغماً يعطي احساساً بـ « الدكنة » او بضخامة الصوت ، بالاضافة الى تكوّن صندوق رنين في المخرج الصوتي عند نطق الأصوات : /ص/ /ض/ /ط/ /ظ/ ويضاف اليها صوت القاف /ق/ الذي يعد داكناً من أثره السمعي بالرغم من ارتفاع اللسان من الأمام عند انتاجه اصلا وتسمى هذه الأصوات بالاصوات الداكنة في اللغة العربية وتجمع بينها صفة الدكنة ، وقد تسمى بالاصوات المفخمة او المطبقة او المستعلية كما سنرى في نماذج الدكنة في كتب التراث ولاسيما كتب النحو والقراءات . والمهم في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، هو أن الأجنبي غالبا ماينتج الأصوات الداكنة في اللغة العربية انتاجاً ناقصاً لأنه لم يتمكن من ادائها اداءً طبيعياً مثل ما تؤدى من لدن أبناء العربية أي أنه يترك فيها صفة الدكنة جانباً ، وهي جوهرية ومصاحبة لأكثر هذه الأصوات فتتحول بهذا السبب الى اصوات أخرى تعرفها اللغة العربية ، فتصنع صعوبة لغوية لهذا المتعلم في محاولة نطقه لهذه الأصوات في اللغة العربية ، فمثلا الأصوات الآتية ، تتحول بسبب النقص في الدكنة عند انتاجها الى الأصوات المؤشرة ازاءها ، وهي : —

---

(١) انظر الدكتورة تغريد عنبر ، محاضرات في الصوتيات ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ٧٧/١٩٧٨ م .

صوت الصاد / ص / يتحول الى صوت السين / س /
صوت الضاد / ض/ يتحول الى صوت الدال /د/
صوت الطاء / ط / يتحول الى صوت التاء / ت /
صوت الظاء / ظ / يتحول الى صوت الذال / ذ / أو صوت الزاي / ز /.

اما صوت القاف /ق/ فالتغيير فيه لايحوله الى صوت آخر بالرغم من نقص الدكنة فيه ، أي أن التغيير لايرقى فيه الى مرتبة وحدة صوتية اخرى تعرفها اللغة فالدكنة فيه تكون صفة مصاحبة ليس لها القدرة على تغيير المعنى اللغوي ، ونتيجة لما تقدم نستطيع أن نلمس صوتياً أن الدكنة عبارة عن وحدة صوتية (فونيم) ، لو تركت في بعض الأصوات العربية — وظيفياً — لأدت الى أثر سمعي يعمل او يساعد على تعيين المعنى اللغوي ، ومما يزيد الطين بلة على متعلم اللغة العربية من غير الناطقين بها أن هذا النقص في اصوات العربية الداكنة التي لاتنتج انتاجاً صحيحاً يحولها الى وحدات لغوية صوتية تعرفها اللغة وكان قد تعلمها او كاد ، وهذا مصدر الصعوبة الصوتية التي يلاقيها متعلم اللغة العربية من غير العرب في نطقه لهذه الأصوات العربية .

وقد ترافق الدكنة انتاج بعض الأصوات الاخرى في اللغة العربية ، فيمكن ان تنتج « داكنة » مفخمة او مرققة نحو أصوات : اللام /ل/ ، الراء /ر/ ، الغين /غ/ ، الخاء /خ/ ، ولكن الدكنة في هذه الأصوات ليست صفة جوهرية تعمل على تغيير المعنى اللغوي في حالة النقص في انتاجها ، معنى ذلك أن الدكنة فيها صفة ثانوية مصاحبة يفترضها السياق الصوتي وليس لها القدرة على خلق وحدة صوتية جديدة وانما تخلق تحقيقات صوتية (ألفون) ليس لها القدرة على تغيير المعنى ، ومعنى ذلك ايضاً أنه يمكن التنبؤ بحدوثها مقدماً في نطق المتكلم لهذه الأصوات وبخاصة في صوتي : اللام / ل / ، والراء /ر/ . أما في صوتي : الغين /غ/ ، والخاء /خ/ نلاحظ أن الدكورة تفرض نفسها ، فيهما ظهوراً في الاداء الصوتي داكنين في العربية تحديداً (١) . وفي التطبيق العملي في مجال تعليم اللغة لغير الناطقين بها في الوقت الحاضر ، نلاحظ أن الدارسين الأجانب للغة العربية من أوربا الشرقية ، وبخاصة البلغاريين والتشيكيين يلاقون صعوبة في انتاج هذين الصوتين /غ/ /خ/ ، فمنهم من يقلب صوت الغين /غ/ الى صوت يشبه /ج/ الانكليزية والكاف الفارسية /گ/ التي لايلفظها معلموهم بالطول نفسه الذي يلفظه العربي وانما بقصر وسرعة فمثلاً كلمة (بغداد) يلفظونها « بگداد » ، وكلمة « غراب » « گراب » وكلمة بغاء ، « بگاء » .. الخ .

---

(١) المصدر نفسه

أما صوت الخاء / خ / فيحولونه الى صوت الهاء /ه / فمثلاً الكلماتَ : ـ

خُبز تلفظ « هُبز »

خالد تلفظ « هالد »

بخير تلفظ « بهَير » .. الخ . ولعل اللغتين البلغارية والهنكارية تعرفان هذين الصوتين المبدلين عن صوتي الغين والخاء في العربية ، أو اصواتاً أُخرى قريبة منهما والتّساؤل الذي يمكن الاشارة اليه في هذا الموضوع هو : هل أن جميع الدارسين الأجانب للغة العربية يلاقون صعوبة في انتاج هذين الصوتين بسبب ملازمة صفة الدكنة لهما مثل ما مرَّ بنا في الأصوات العربية الداكنة المتقدم ذكرها ؟ ان الفيصل الذي يمتلك الاجابة عن هذا السؤال (سلباً او ايجاباً) هو نتائج الدراسات المقارنة لاصوات العربية عامة ، وبخاصة هذين الصوتين مع اصوات كافة لغات متعلمي العربية من الأجانب ، وهذا لايتوافر للعربية في الوقت الحاضر ، وربما كانت الصعوبة التي يلاقيها الدارس الأجنبي في هذين الصوتين متأتية من عمق مخرجهما الصوتي لدى الانسان العربي ، وعدم وجودهما في اغلب لغات متعلمي اللغة العربية .

إن صعوبة هذه الأصوات الداكنة في مجال تعليم اللغة العربية (لغير العرب) ، تكمن — تربوياً — في القاعة التي تتكون منها مدارس تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ، في عدم تمكن الدارسين الأجانب ولاسيما المبتدئين منهم نطق الأصوات الداكنة — سواء كانت الدكنة فيها أساسية ام ثانوية — نطقاً صحيحاً مثل ما تنطق في اللغة العربية ، فيتطلب العناية في مساعدة الدارسين في انتاجها كما ينبغي ان تكون عليه في اللغة ، وهذا الأمر يساعد تربوياً على تعلم العادات اللغوية الخاطئة التي قد تستمر مع هذا المتعلم فيبدأ بتطبيقها في نطقه الخاطيء لها في الاستعمالات الاخرى وبالذات لكثرة هذه الأصوات فيها في مجال تعليم اللغة العربية عامة ، ولهذا أشرنا إليها [illegible] .

[illegible] في نطقها ، وفي أدائها الصحيح خصيصاً في الكتابة ، وعلاجها يتم : اولاً بمعرفة القائمين [illegible] [illegible] خللاً لغوياً ترفضه اللغة في اصولها ومنطقها ، وفي هذا الشأن يرى الدكتور عبدالله الجبوري

أن « هذا الخلط بين الأصوات ظاهرة طبيعية بالنسبة لدارسين غير ناطقين اصلا باللغة العربية لعدم وجود هذه الأصوات في لغاتهم ويمكن علاج هذه الظاهرة بالتركيز دائماً ، ومنذ البداية ، على السماع وبتعويد الأُذن على الأصوات الجديدة . مع اعداد دروس للكتابة خاصة لعلاج هذه الظاهرة . كما يمكن الاستفادة في هذه الحالة ببعض التسجيلات الصوتية وتصميم دروس وتسجيلها في المعمل للتدريب على سماع الاصوات المراد التدريب عليها مع الربط دائماً بين الصورة والصوت» (١) . واذا توخينا الدقة في تحديد صعوبة الأصوات الذاكنة على متعلم اللغة العربية ، فإنه يتطلب من اهل اللغة العربية القيام بدراسات وبحوث مقارنة بين أصوات اللغة العربية من جهة ، واصوات اكثر اللغات انتشاراً او حاجة لتعلم اللغة العربية من جهة أُخرى ، وملاحظة النتائج في هذا الشأن والاستفادة منها في التطبيق العملي بمناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (٢) .

تبين لنا فيما تقدم مفهوم الذكنة صوتياً ، ووظيفياً وأثرها تربوياً في عملية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وظهرت على انها تسمية حديثة لظاهرة لغوية صوتية عرفتها اللغة ، بقي أن نبرهن على استمرار وجودها في كتب التراث العربي الخالدة ، حتى لاتبدو هذه الظاهرة مقطوعة الجذور أو طارئة ، دخلت الى اللغة العربية نتيجة لسعة الاختلاط ، او العمر الزمني للغة العربية الموغل في القدم ، او بتأثير المنحى (الجغرافي — الاجتماعي) لأهل اللغة في ايجاد بدائل في اللغـــة للاصوات الذاكنة ، او بتأثير خطر المنافسة للعربية من لدن اللغات الأخرى ، وغيرها من العوامـــــل الاخرى ، ويبدو أن كل هذه العوامل —

---

(١) كيفية تقديم المفردات في الكتاب المدرسي ، ص ٥ ، من بحوث ندوة تأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى / مكتب التعريب في العربي / الرباط ، ٤ — ٧/ مارس / ١٩٨٢ م

(٢) أنظر : [illegible]

[illegible] الفروق بين أصوات اللغة العربية ووجودها أو عدم وجودها في عدد من اللغات الأخرى في عدة بحوث منها بحث الأستاذ [illegible] — من بحوث ندوة تأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى ، ويظهر في هذه المقارنات ، أن الأصوات الذاكنة الأربعة الأولى لا توجد في أغلب هذه اللغات .

ب — يمكن للمعنى بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها الاستفادة من بحوث عديدة أجريت في هذا الشأن في معهد الخرطوم الدولي للغة العربية .

مجتمعة او منفردة — لم تؤثر في خصائص العربية الخالدة التي تستمد خلودها من خلود القرآن الكريم على مَرّ العصور والأزمان ، ونظرة فاحصة في بعض كتب التراث العربي ولا سيما الدراسات الصوتية واللهجية الكثيرة المبثوثة في كتب التراث الخالدة من معاجم وكتب نحوية وصرفية وقراءات ، ونوادر ، ودواوين شعر وغيرها ، وقد وردت الدكنة في المفهوم الصوتي لها في التراث ضمن مصطلحات لغوية عرفها الباحثون العرب المتقدمون منها : الاصوات « المطبقة » او « المفخمة » او « المستعلية » وبعضها سمي باصوات « الصفير » بل ذهبوا الى أبعد من ذلك حين تتبعوا أثر الأصوات ومنها الاصوات الداكنة في اختلاف اللهجات العربية عند العرب (١) ، وعنديّ أن هدف البحث ينحصر في تبيان أثر الدكنة وأبعادها وتطبيقاتها في عملية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وحتى لاتبدو ظاهرة الدكنة مستحدثة وغير أصيلة في اللغة العربية ، نرى لزاماً علينا اختيار نماذج تطبيقية لها من التراث للتدليل على استمرار وجودها ، وأثرها في تكوين اللهجات فيه ، بكونها صعوبة تصادف المتعلم سواء كان عربياً ام أجنبياً ، وقد اكتفينا بنقل هذه النماذج نصاً من بعض كتب التراث دون التعليق عليها لما تمثله من دلالة تشير الى وجود واستمرار هذه الظاهرة اللغوية الصوتية في بعض الاصوات العربية ، وفيما يأتي النماذج المختارة :

آ — « كتاب العين » / الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ — ١٧٥ هـ)

« ... ولكن العين والقاف لاتدخلان في بناء الا حسنتاه لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً » ثم يقول : « فاذا اجتمعا او احدهما حسن البناء لنصاعتهما ، فإن كان البناء اسماً لزمته السين او الدال مع لزوم العين والقاف لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء فحسنت . وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي » (٢)

ب — كتاب « الحجة في علل القراءات السبع » لأبي علي الفارسي (المتوفى ٣٧٧ هـ) . في قراءة كلمة « صراط » قال : « القارئ بالسين أن يقول هو أصل الكلمة ولم يلزمه

---

(١) [illegible] ابن جني ، ص [illegible] ١٩٨٥ م .

(٢) العين ج ١ ص [illegible] ، تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠ م

لغة من يجعلها صاداً مع الطاء لم يعلم ما أصلها » (١) ، « ومن يقرأ بالصاد انها أخف على اللسان لأن الصاد حرف مطبق فيتقاربان وتحسنان في السمع والسين حرف مهموس فهو أبعد من الطاء ..

ويقول من قرأ بالزاي ابدلت منها حرفاً مجهوراً حتى يشبه الطاء في الجر ، ورمت الخفة ، يحتج بقول العرب : « صقر وسقر وزقر » (٢) . وقوله : « والحجة لمن قرأ بالصاد أن القراءة بالسين مضارعة لما أجمعوا على رفضه في كلامهم ، الا ترى أنهم تركوا امالة واقد ونحوه كراهة ان يصعدوا بالمستعلي بعد التسفل بالامالة ، فكذلك يكره على هذا أن يتسفل ثم يتصعد بالطاء في سراط »(٣) .

جـ — ابن جني (ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي ٣٢٠ –٣٩٢ هـ) .

قال : « فاما قول طفيل الغنوي :

تُنيفُ إذا اقورّت من القَوَدِ والـطـوتْ

بـهـادٍ رفيعٍ يقهرُ الخيـل صَلْـهـب

فيجوز أن يكون الصاد فيه لغة ، ويجوز ان تكون بدلاً من سين سلهب لانه اكثر تصرفاً من صلهب » (٤) .

وفي الطاء والدال قال : « وقالوا تركته رقيداً ورقيطاً والوجه عندي والقياس أن تكون الطاء بدلاً من الدال لقوله عز اسمه : والمرقوذة بالذال ، ولقولهم : وقذه يقذه ولم اسمع رقطه ولا مرقوطة ، فالدال اذن اعظم تصرفاً ولذلك قضينا بانها الاصل » (٥) ، وقال ايضاً.

« وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك اولى بأن تكون لغات الجماعات اجتمعت لانسان واحد [illegible] عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في الصقر ، فقال أحدهما الصقر (بالصاد) وقال الآخر السقر (بالسين) فتراضيا بأول وارد عليهما [illegible]

[illegible]

ص ٤٨ ، ١١ ، مصدر سابق إذ نقلت منه النصوص منه .

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible] مصدر سابق ص ١٣ .

د ــ أما (الجاحظ) فقد سجّل لنا في كتابه الخالد في التراث العربي « البيان والتبيين » كثيرا من الصعوبات التي تجابه المتعلم الأجنبي من كل قوم تقريباً في تعلمه اللغة العربية ، وترك لنا بصمات الخبرة العملية في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، نذكر على سبيل الاشارة لا الحصر منها مايخص بعض الأصوات الداكنة صراحة اوضمناً وهي : ــ

« ... يقال في لسانه لكنة ، اذا ادخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى الى المخرج الأول » (١) .

ويقول : « فمن اللكن ، ممن كان خطيباً او شاعراً او كاتباً داهياً ، زياد بن سلمى ابو امامه وهو زياد الأعجم ، قال ابو عبيدة ينشد قوله :

فتـى زاده السلطـان في الـود رفعـة

إذا غيـر السلطـان كـل خليـل

قال : كان يجعل السين شيناً والطاء تاءً فيقول :

« فتى زاده الشلتان في الود رفعة »(٢). وفي ظاهرة الدكنة في صوت الطاء وابدا له بصوت الدال ، وهو مانعاني منه في الوقت الحاضر في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يقول الجاحظ في وصف لغة أهل المدينة : « .. ويسمون الشطرنج الاشترنج .. » (٣) .

ولعل النتائج التي تظهر من هذه النصوص التراثية وامثالها لو اطلنا فيها النظر هي تأكيد وجود واستمرار الظواهر اللغوية التي نعاني منها اليوم في تعليم لغتنا العربية لابنائها ولغير المتحدثين بها ، والسبق في تشخيصها وبحثها ، والاعتراف بفضل الريادة في هذا المجال اذا ماطرحنا جانباً الامكانيات التقنية المتوفرة في الوقت الحاضر ، وتبيّن هذه النصوص ايضاً مقدار اهمالنا في الاستمرار بدراستها ومعالجتها ورفدها بالجديد الذي يحدث كل يوم بعد معرفة خصائص اصوات اللغة العربية دون تطور عبر الزمن ، ويمكن الاستفادة من التراث الصوتي الذي توفر العربية بوساطة مبدأ الرواية والمشافهة في فن الاداء والتجويد والارشاد [illegible] حديثة ، والتمييز ما فيها من [illegible] تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

---

(١) ص ٢١

(٢) ص ٢٥

(٣) ص ١٩

التطبيق العملي لصعوبة نطق الأصوات الداكنة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

ان الكلمات المختارة ، فيما يأتي نماذج تطبيقية تظهر فيها الاصوات الداكنة التي يلاقي المتعلم الأجنبي صعوبة في نطقها وهي تشكل ظاهرة لغوية صوتية عامة يمكن لأي معني بتعليم اللغة العربية أن يلمسها ويشعر بنقص انتاجها لدى الدارسين الأجانب ، وأبناء اللغة أحياناً ، وقد اخترنا هذه الكلمات من بين الكثير منها بعد أن جردناها من سياقاتها في جملها خشية الاطالة ، وبواقع عشر كلمات لكل صوت داكن من كتاب « تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها » (١) ، المنهج التعليمي في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في كلية الآداب بالجامعة المستنصرية ، وعندي أن هذه الكلمات كافية للتدليل على وجود الظاهرة ، ومن خبرتي المتواضعة في هذا الشأن فقد طبقت ولاحظت نطق هذه الكلمات من لدن بعض الدارسين في المعهد المذكور ، وقبل الحكم على نطق هذه الأصوات والبدائل التي يأتي بها الأجنبي تعويضاً للنقص الحاصل في انتاجها انتاجاً سليماً ، لابد من الاشارة بايجاز الى العوامل التي قد تؤثر في نطق الأجنبي هذه الاصوات منها : —

١ — صفة الصوت اللغوي ، ومخرجه ، وحركته ، وطريقة نطقه .

٢ — علاقة صفة الدكنة بعملية الابدال اللغوي (قلب — كلب).

٣ — صور الاداء اللغوي الذي يحاوله الدارس الأجنبي في تعلمه اللغة العربية تقليدها من حيث كونها مثالا يحتذى به ، وتأثير النبر والتنغيم والتلوين الصوتي في ذلك .

٤ — الصوت والحركة التي قبل الصوت الداكن وبعده في الكلمة ، ووقوعه في أول أو وسطها أو آخر الكلمة أو في انتاجها .

٥ — قرب أو بعد ابجدية المتعلم الأجنبي من اللغة العربية ، ووجود هذه الأصوات أو مايقاربها في هذه الابجدية .

٦ — أثر هذه الأصوات واضح جداً ، ولابعاده الى اللثات في الأخطاء الاملائية والكتابية [illegible]

---

(١) انظر الوبيتي ، حميد مخلف وآخرين ، ج ١ ، ٢ ، مطبعة السايجي ، بغداد .

١ — صوت الصاد

صَيّاد	سَيّاد
حصان	حسان
صباح	سَباح
الصّورة	السورة
الإخلاص	الإخلاس (١)
قصير	قسير
عنصري	عنسري
صيف (٢)	سيف
صيام	سيام (شيام) (٣)
صديق	سديق

٢ — صوت الضاد (٤)

ضابط	دابط (أو) دابت
ضيف (٥)	ديف
أرض	أرد
ضياء	دياء
تفضل	تفدل
المحاضرات	المحادرات
فاضل	فادل
الخضروات	الخدروات
أفضل	أفدل
اخضر	أخدر

(١) [illegible]
(٢ و ٣) أنظر بحث الدكتور الجربوع ، عبد الله الجربوع ، مصدر سابق ص ٥٠ .
(٤) يلاقي أبناء اللغة العربية صعوبة في نطقه والتمييز بينه وبين صوت الظاء في الكتابة ، والعربية لغة الضاد .
(٥) المصدر السابق .

٣ ـ صوت الطاء

لعل من المفيد في الجانب التطبيقي لصوت الطاء قبل الاتيان بنماذج هذا الصوت ، ذكر النادرة الآتية ، اذ المعروف عن احدى المدن العراقية قديماً ، يكثر فيها القاطنون الأجانب لاسباب دينية ، فاحتار المسؤولون في طريقة لتشخيص ومعرفة هؤلاء الأجانب ، فهداهم تفكيرهم الى اتباع طريقة صوتية عملية بأن يسأل الشرطي القادم من الشارع الى صحنه : « مولانا كول طلي » فيجيب (تلي) فيطلب منه ان يصعد في السيارة المعدة لهذا الغرض ، وصدفة مرّ شخص مستفسراً عن هذا التجمع ، فأخبره الواقفون المكلفون بهذا العمل بأن الشخص يُسأل « قل طلي » فيعرفون من اجابته أنه ليس عربياً فيُصعَد في هذه السيارة لأنه اجنبي ، فقال هذا الشخص « هذه احسن تريقة» (١) ، ويذكرنا هذا بما اورده الجاحظ في البيان والتبيين من ان « النخاس يمتحن لسان الجارية اذا ظن انها رومية وأهلها يزعمون انها مولدة بأن تقول « ناعمة » وتقول شمس ثلاث مرات » (٢) ، واليك نماذج صوتية الطاء :

طالب	تالب
مطار	متار
[illegible]	[illegible]
طفل	تفل
مطر	متر
طريق	تريق
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
طيب	تيب (٣)

---

(١) يقصد «طريقة» وقد روى لي هذه النادرة أحد المسؤولين في المدينة عام ١٩٧٧ م .
(٢) [illegible]
(٣) الدكتور [illegible] ، مصدر سابق .

٤ ـ صوت الظاء (١)

نظيف	نزيف (أو) نذيف
منظر	منزر (أو) منذر
حظ	حز (او) حذ
ظُهر	زُهر (أو) ذهر
ظنّ	زنّ (أو) ذنّ
نظارات	نزارات (أو) نذارات
ظل	زل (أو) ذل
يستيقظ	يستيقز (او) يستيقذ
نظام	نزام (أو) نذام
الجاحظ	الجاحز (او) الجاهز (٢)

أما الأصوات الداكنة الاخرى فقد يحدث فيها ابدال فيتغير المعنى وتكون فيها صفة مصاحبة وليست أساسية.

(١) الاشقاء المصريون يلفظونها زايا

(٢) لفظها طالب لبناني .

الخصومات

الأدبية في العشرينات

منعم حميد حسن

كلية الآداب/جامعة البصرة

مقدمة

حفلت مرحلة العشرينات من هذا القرن بخصومات ومساجلات أدبية ونقدية بين الادباء في العراق ، حيث أسهم كثير منهم في هذه الخصومات ، وفي توسيع دائرتها . وكانت الصحافة العراقية والعربية الميدان الذي يتبارى فيه المتخاصمون ، حيث انها كانت تنشر المقالات والردود والتعليقات والمناقشات دون تردد او حرج .

ان المتتبع لما نشرته الصحافة العراقية في تلك الحقبة ، يجد سيلاً من المقالات والردود التي تهدف إلى النيل من هذا الاديب او ذاك ، او الانتصار لهذا او لذاك . وقد شكلت تلك الخصومات ظاهرة بارزة في تاريخ الادب العراقي الحديث آنذاك ، وكان [illegible] محور تلك الخصومات ، [illegible] هذا البحث [illegible] التي لم [illegible] دراسة .

تلك الخصومات لها ما يماثلها في تاريخ الادب العربي الحديث في مصر ، فقد شهدت خصومات عنيفة بين ادبائها ، كالعقاد ، وطه حسين ، والرافعي ، وزكي مبارك ، انتشرت بيانهم على صفحات الجرائد والمجلات في تلك الحقبة .

قد لاتخلو تلك الخصومات الأدبية والنقدية بين الادباء من فوائد بالرغم مما فيها من جوانب سلبية . فقد ساعدت كثيراً على قيام حركة نقدية ساهم فيها كثير من الادباء ، ودفعهم إلى المناقشات والردود وعرض الافكار والآراء التي تثري الحركة الأدبية والنقدية وتخطو بها خطوات في طريق التقدم .

الخصومات النقدية في العراق في مرحلة العشرينات

شهدت مرحلة العشرينات من هذا القرن قيام خصومات عنيفة في العراق ، دارت رحاها بين الزهاوي وانصاره من جهة وخصومه من جهة أخرى . وقد بدأت هذه المعارك النقدية بصدور صحيفة « الناشئة الجديدة » التي أصدرها ابراهيم صالح شكر في بغداد في ٢٧ كانون اول ١٩٢٢ .

وقد نشرت هذه الصحيفة العديد من المقالات النقدية التي تناولت الأدباء في العراق . حيث كتب صاحبها ابراهيم صالح شكر سلسلة مقالات نقدية بعنوان « ادباؤنا في الميزان » ، حول مقالة مجلة الزنبقة في موضوع حملة الاقلام » ، نشرها بتوقيع مستعار ، هو « الجرجاني » في تسع حلقات ، رد فيها على مقال نشرته مجلة « الزنبقة »البغدادية بعنوان « حملة الاقلام في بغداد دار السلام» في اعدادها الثلاثة الأولى (١)

نقد فيها صاحب الناشئة تراجم الادباء التي وردت في الزنبقة كترجمة انستاس ماري الكرملي ، ابراهيم صالح شكر ، ابراهيم منيب الباجه جي ، جميل صدقي الزهاوي ، وآخرين .

واتسم هذا النقد بالجرأة والعنف ، فقد تناول الادباء المذكورين بالنقد والتجريح، وهذا اللون من النقد لم يكن مألوفا في تلك الحقبة حيث كان النقد هادئاً لايثير المنقود ، بل ربما يتسم بالمجاملة كالنقد الذي نقرؤه في مجلتي لغة العرب والرصافة . فقد جاء في نقد كتاب « اداب العرب » لابراهيم بك العرب قولها « هو كتاب نفيس . حبينا به فرأيناه مشتملاً على درر يتيمة ، ولئالىء نظيمة ، وحكم وأمثال ، وآداب وكمال ، قد رق لفظاً ومعنى وراق سبكا ونظما اما مافي بعض قصائده من الركة الشعرية وبعض الاغلاط النحوية فمغتفر عند ارباب الادب ... ولعل غالب اغلاطه مطبعية » (٢)

ولم يلبث كاتب هذه المقالات ان كشف عن اسمه الحقيقي في العدد الثاني من المجلة ذاتها ، فذكر في بيان له ان كاتب هذه المقالات هو صاحب الصحيفة ابراهيم صالح شكر وقد رد الاستاذ توفيق السمعاني رئيس تحرير مجلة الزنبقة بعنف على ابراهيم صالح شكر

(١) مجلة الزنبقة ج ١ ، ع ٢ ، م ١ ، ص ٥ ، ت ١ ، ٤ ، آب ٢ ، ١٩٢٢ .
(٢) م الرصافة ج ١ ، الفصل السابع ص ٤٣ .

(١) بمقال عنوانه « رد على صاحب الناشئة » (٢)

وقد فتح ابراهيم صالح شكر ابواب صحيفته للاقلام الناقدة لنشر المقالات النقدية باسماء صريحة ومستعارة ، وكانت اغلب المقالات في نقد الزهاوي . والمتتبع لما نشرته هذه الصحيفة على صفحاتها لايكاد يجد عدداً منها يخلو من مقال او أكثر ، او خبر أو تعليق عن الزهاوي ، بحيث يشعر المتتبع ان الزهاوي صار هدفا للناشئة وموضوعاً خصباً للاقلام التي تكتب في الناشئة ، ويجد ان هذه الاقلام راحت تتبع سقطاته وتكشف سرقاته وتبين عيوبه وتعدد مؤاخذاته .

والمقالات التي تناولت الزهاوي على صفحات الناشئة هي : الرباعيات في هبوط ، بقلم عفريت الفلاسفة والشعراء » الذي سخر فيه كاتبه من رباعيات الزهاوي ، و «المعلوم والمجهول ، الرصافي والزهاوي ، الواحد في نظر الآخر ، لاديب بغدادي فاضل » الذي عرض فيه كاتبه اقوال الزهاوي والرصافي احدهما في الآخر ، والتي تشير كل منهما نحو صاحبه ، و « شعر الزهاوي على المحك ، درس في فلسفة الرباعيات ، محمود أحمد » الذي نقد فيه رباعيات الزهاوي وكشف سرقاته من شعراء العرب واقتباساته من القرآن الكريم ، واغاراته على كتاب « جوامع الكلم » للدكتور (غوستاف لوبون) ، و « السكرت من ذهب ، لعفريت الفلاسفة والشعراء » و « الزهاوي وأدب الاطفال ، لابن رشيق » الذي نقد فيه كاتبه لقصيدة الزهاوي « تنويمة الام لطفلها » وبين سرقاته . غير الابواب الأخرى في المجلة التي ذكرت الزهاوي او علقت عليه .

ان بعض الأسماء المستعارة قد عرف اصحابها في حينها او فيما بعد فابن رشيق هو رفائيل بطي كما المح الزهاوي إلى ذلك (٣) والجرجاني ، وعفريت الفلاسفة هما الأسمان المستعاران لابراهيم صالح شكر ، وقد كشف ابراهيم صالح شكر عن الجرجاني في العدد الثاني من صحيفته وكشف عن الثاني فيما بعد (٤)

---

(٢) [illegible] (البيان [illegible]) [illegible] (الجرجاني) صاحب [illegible] [illegible] الكتاب [illegible] المقال المذكور [illegible] في الصحافة [illegible] .

[illegible]

(٣) في مقاله (الادب وادعياؤه) المنشور في ج الاستقلال ع ١٢٤٤ لعام ٢٢٤ ، ج الامل ع ٩ ؛ لعام ١٩٢٣

(٤) أنظر ابراهيم صالح شكر حياته وآثاره : عبدالحميد الرشودي وخالد محسن اسماعيل وجميل الجبوري ، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٨ ، ص ٢٢ .

ان ظاهرة نشر المقالات والقصائد باسماء مستعارة كانت شائعة في تلك الحقبة ، منذ كان الادباء ينشرون قصائدهم في جريدة العرب التي كانت تصدر عام ١٩١٧ في بغداد ومجلة دار السلام عام ١٩١٨ ومابعدها . وقد فسر ابراهيم صالح شكر هذه الظاهرة بانها « من باب التفنن ليس الا » (١) . ولكن الأستاذ الأثري يرى انها « جري على عادة لبعض حديثي النقاد من الانكليز والالمان زعما منهم ان شهرة الكاتب تؤثر في رأي القاريء ، فان كان من الخاملين لايعبأ بقوله وان كان فصل الخطاب ، واذا كان من النابهين ذوي الشهرة العظيمة عد خطأه صواباً » (٢) وقد ذهب الأستاذ الاثري إلى بطلان هذا الزعم . والذي أراه ان الكاتب او الناقد لايمتلك الجرأة في التصريح باسمه بخاصة اذا كان النقد سلبياً يثير حفيظة المنقود ، فهي محاولة منه للوصول إلى تحقيق غرضه دون ان يقع تحت وطأة المؤاخذة او المخاصمة .

وقد رد الزهاوي وانصاره على مقالات صاحب الناشئة وعلى نقاد الزهاوي الآخرين بعنف . فكتب « نجفي منتصر : ع » مقالاً بعنوان « مناصرة الأستاذ الزهاوي » دافع فيه عن الزهاوي كما انتصر للزهاوي ايضا (احمد مناصفي) و(الملاعبود الكرخي) الشاعر الشعبي و (عبدالقادر الزهاوي) على صفحات الاستقلال .

وحين أصدر الرصافي صحيفته « الأمل» عام ١٩٢٣ فتح ابوابها للزهاوي ، فاغتنم الزهاوي الفرصة للرد على صاحب الناشئة فنشر مقالاً بعنوان « رد على نقد » في حلقات ثلاث . جاء في مقدمته : « كان صاحب الناشئة قد حشر نفسه بين علماء النقد بعد أن وجد فيها القدرة على القول هذا باردو هذا حار وهذا رطب وذلك ناشف الى غير ذلك من الاقوال التي يوردها من يعوزه الدليل والبرهان والذوق الادبي ... »(٣)

وانتقلت عدوى المعارك والخصومات إلى الصحف نفسها ، اذ بادرت بعض الصحف بالرد على تقولات الناشئة على الادباء والتعريض بهم .فكتبت جريدة الأستقلال تقول تحت عنوان (العبث بكرامة الأدب) : « يسيئنا ان ننشر نبأ الأشمئزاز العظيم الذي احدثته تقولات صاحب جريدة الناشئة ابراهيم أفندي صالح شكر واستخفافه بالادباء وتشنيعه بنا وذلك من دون سبب ولا داع . فعسى ان تزجره نفسه ويرجع إلى الصواب قبل ان يشوه سمعة الصحافة العراقية ويشغل الحاكم بدعاوى الذين كثيرا ماشتمهم وتقول عليهم

(١) ج الناشئة الجديدة ع ٢ ، ٧ ك ٢ ١٩٢٢ .
(٢) ج العاصمة ع ١٧٨ ، ٥ حزيران ١٩٢٣ ص ٣ . من مقال « حول قصيدة شوقي بلمث ».
(٣) ج الامل ع ٤٣ ، ٢٠ ت ٢ ١٩٢٣ ص ٣ .

ظلما وبغية مآرب لايخفى على العارفين بتاريخ حياة صاحب الناشئة الجديدة وزمرته ، وقد رأينا ان نكتفي بهذا الان لنرى تأثير النصيحة » (١). فرد ابراهيم صالح شكر على هذه الكلمة بعنف فكتب كلمة بعنوان « الجريدة الهوجاء ، الاستقلال » (٢) وحمل عليها حملة منكرة .

ولم تقتصر حملة الناشئة على الزهاوي فحسب بل تناولت الرصافي ايضا ، فنشرت مقالات في نقد الرصافي وثلبه كمقال « المعلوم والمجهول ، النابغة معروف الرصافي ، لاديب بصري » (٣) ثم نشرت في اعدادها التالية مقالين هما « المعلوم والمجهول ، معروف الرصافي يستجدي بشعره » (٤) و « المعلوم والمجهول ، معروف الرصافي وانصاره » (٥) كالت فيهما التهم جزافا للرصافي وتقولت عليه تقولات ووصفته بصفات لايوصف بها الا الاراذل من الناس كقولها : « معروف الرصافي الدعي المنبوذ البذيء الشتام الخبيث المطرح ... الخ » (٦)

اما الرصافي فانه لم يقابل البذاءة بالبذاءة بل وجه كلمة الى الشعب العراقي اعلن فيها انه غير عاجز عن الرد على صاحب الناشئة ولكنه لايجاريه في سفاهته (٧)

ولكن اصحاب الرصافي لم يغفروا لصاحب الناشئة تقولاته وتخرصاته على الزهاوي والرصافي بل صالوا وجالوا وهجموا عليه هجمات عنيفة بدأها متتبع في مقاله « ادب الصحافة » (٨) وعباس فضلي في مقاله « جريدة الناشئة » (٩) ومرصلي في مقاله « العبيدي والناشئة الجديدة » (١٠) ومصطفى علي في مقاله « الناشئة الطائشة » (١١) .

---

(١) ج الاستقلال ع ١٤٩ ، ١٠ حزيران ١٩٢٣ ص ٣ .

(٢) ج الناشئة الجديدة ع [illegible] حزيران ١٩٢٣ ص ٢.

(٣) ج الناشئة الجديدة ع ١٣ ، ٢٦ ت ٢ ١٩٢٣ ص ١ .

(٤) ج الناشئة الجديدة ع ١٤ ،

(٥) ج الناشئة الجديدة ع [illegible] ك ١ ١٩٢٣ ص ١ .

(٦) ج الناشئة الجديدة ع ١٧ ، ١٩ ك ١ ١٩٢٣ ص ١ .

(٧) [illegible]

(٨) انظر الاهالي ع [illegible] ك ١ ، ١٩٢٣ ص ٢ .

(٩) انظر المصدر السابق ع [illegible] ١٩٢٣ ص ٢.

(١٠) انظر المصدر السابق ع ٦٠ ، ١١ ك ١ ، ١٩٢٣ ص .

(١١) انظر المصدر السابق ع ٦٢ ، ١٣ ك ١ ، ١٩٢٣ ص ٢.

وقد أدت هذه المعارك إلى توقف صحيفة الناشئة الجديدة عن الصدور في تلك الفترة بسبب تعرض صاحبها لاعتداء بالضرب والسب (١)

لقد احتدمت الخصومات بين الادباء على صفحات الناشئة الجديدة والاستقلال والامل والعراق ، والزنبقة وتباروا بينهم في أيهم يكون اكثر جرأة على الطعن والسب واظهار عيوب خصمه ، وتلمس مواطن الطعن والثلب .

وحين رأى بعضهم هذه المعارك الطاحنة بين الادباء وما لها من تأثير سلبي على الأدب والادباء أنكر عليهم ماهم فيه من الخلافات والضغائن والاحقاد . فكتب مقالاً في جريدة العراق بعنوان « يحزنني أيها القوم ماانتم عليه » قال فيه « يحزنني ايها القوم ان ارى العداوة مستحكمة بين ادبائنا والاحقاد كامنة في قلوب رجالنا والخلاف ضاربا اطنابه بين شبابنا . ماهذا التنافر والتباغض ؟ ماهذه الحملات القلمية التي تقرض ركن الادب وتسود صحائف تاريخنا ... ! (٢)

وبالرغم من تعرض الناشئة الجديدة [illegible] الا أنها كانت الدافع لقيام حركة نقدية نشيطة ، فقد دفعت [illegible] في حركة النقد الادبي الحديثة في العراق ، وكسرت الجمود الذي ران على الحركة النقدية لقرون عديدة . وبالرغم من [illegible] الناشئة [illegible] خطوة كبيرة في طريق النقد الحديث الذي بدأ بصدور مجلة لغة العرب في بغداد .

بداية الخصومات

الخصومات بين الادباء والنقدية بدأت منذ صدور العدد الأول من صحيفة الناشئة [illegible]

(١) [illegible]

(٢) العراق ع [illegible]

(٣) الناشئة الجديدة ع [illegible]

قول كهذا فيه مدح للرصافي واشادة بفضله في ايصال الشعر العصري إلى مرتبته الرفيعة الحاضرة ، واغفال لذكر الزهاوي الذي يرى أن الرصافي تلميذه ، يروى عنه انه كان يقول في مجالسه : « ان الرصافي أشعر من « شوقي » و «حافظ» شاعري مصر الكبيرين ، وهو تلميذي » (١). فاذا كان الزهاوي يرى ان الرصافي اشعر من شوقي وحافظ وهو تلميذه ، فكيف لاتثيره الاشادة بتلميذه ، واغفال ذكره هو ؟! وهو الأستاذ لاينسب اليه فضل .

والذي يثير الزهاوي أكثر فأكثر قول الأستاذ رفائيل بطي :ـ

ان الرصافي احيا التراجيديا في ادبنا الحديث ، وسبق صاغة القوافي من معاصريه كلهم في نظم الشعر القصصي وانفرد بينهم بهذا الاسلوب (٢) هذا الزعم كفيل بأن يثير غضب الزهاوي ويقض مضجعه ، مماحدا به للرد على هذا الزعم وتفنيده ، فدفع بابن المكرم ـــ ولعل ابن المكرم هو الزهاوي نفسه ـــ ليرد على صاحب الناشئة برسالة عنوانها « الزهاوي والشعر القصصي » اكد فيها سبق الزهاوي في نظم الشعر القصصي وانه سبق الشعراء العراقيين والشعراء العرب بعامة في نظم هذا النوع من الشعر (٣) . وقد علقت الناشئة الجديدة على هذه الرسالة بقولها : « جاءتنا هذه الكلمة من أحد الادباء ونخشى ان يكون حضرة الأستاذ الزهاوي هو الذي املاها على كاتبها وذلك لكثرة ذكر الأستاذ هذا الموضوع في مجلسه ومهما كان فنحن نحيل الجواب على كاتب المقال (عن الرصافي في جمهورية الادب) وعند « جهينه الخبر اليقين ! » (٤)

وقد نفى رفائيل بطي ماورد في رسالة ابن المكرم من انه ادعى ان الأستاذ الرصافي أول من نظم الشعر القصصي التراجيدي وقد أول قوله في السبق بانه يعني السبق في الرهان وليس في طرق الموضوع (٥) فكتب رسالة الى صاحب الناشئة بعنوان « الزهاوي والشعر القصصي »

ان اهداء بطي في رسالته غير صحيح لانه ورد هكذا في مقاله المذكور .

ان العلاقة بين الزهاوي ورفائيل بطي كانت حسنة وودية ، ولكنها فترت بينهما بعد المقالات التي كتبها ونشرها في الناشئة الجديدة تارة باسم صريح وتارة باسم مستعار

(١) ج الناشئة الجديدة ع ٤ ، ٢٧ ك ٢ ١٩٢٣ ص ٥ ، ع ١٠ ، ٢ ت ٢ / ١٩٢٣.
(٢) ج الناشئة الجديدة ع ١ ، ٢٧ ك ١ ١٩٢٢ ص ٦.
(٣) ج الناشئة الجديدة ع ٢ ، ٧ ك ٢ ١٩٢٣ ص ٦.
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق ، ع ٤ ، ٢٧ ك ٢ ١٩٢٣ ص ٤ .

كابن رشيق ، ثم ساءت وبلغت حد القطيعة بعد الحادثة التي وقعت بين رفائيل وابراهيم ادهم ابن اخي جميل الزهاوي فقد وقعت حادثة ضرب وسباب بين ، رفائيل وابراهيم في مكتبة محمود حلمي الكتبي في بغداد من جراء سب رفائيل لجميل صدقي الزهاوي .

يقول الزهاوي في مقاله « الادب وادعياؤه » الذي نشره في جريدة الاستقلال : «وحدث قبل يوم من صدور العدد الثامن عشر من الناشئة أمر اسفت حدوثه بينه وبين ابن أخي « ادهم» من جراء سبه اياي في مكتبة صديقنا « محمود حلمي الكتبي » فنشر في الناشئة بعد سبع وعشرين ساعة مقالاً ينتقصني فيه باسم النقد وينعت بضاعتي بالقدم والبلى بعنوان « بين الزبد وماينفع الناس» والرجل ليس بمخلص في نقده ومانقده هذا الا تمويه واضلال للرأي الادبي العام » (١)

وعلى أثر هذه الحادثة اعلن رفائيل حربه على الزهاوي ووقف له بالمرصاد يتتبع سقطاته ويحبر المقالات في ثلبه . فقد انقلب رفائيل من صديق ودود للزهاوي اقام له الحفلات في المناسبات إلى خصم عنيد . وقد استغلت بعض الاوساط توتر العلاقة بين رفائيل والزهاوي لاثارة الزهاوي بصبها الزيت على النار . فقد نشرت صحيفة الأمل خبراً بعنوان « جمعية مثالب» تقول فيه : « بلغنا من مصدر ثقة انه قد تألفت في بغداد جمعية مثالب برئاسة رفائيل أفندي غايتها مواصلة الثلب والطعن بالاستاذ الكبير الزهاوي ذلك الأستاذ الكبير الذي خدم العلم والادب في هذه الديار اربعين سنة ولقي في سبيل تحرير الافكار من الأذاة اضعاف مايلقاه اليوم من رفائيل أفندي بطي وانصاره .

اما نحن فلا يسعنا تجاه هذه الحادثة سوى أن نقول : « صبراً ايها الاستاذ في مجال هذه الفوضى صبراً . ولو كان هذا مايرتاب وحده فان الخطب ربما دعونالك إلى الصبر ، ولاسرينا عنك بالقول ، ولكنه وايم الله مما يؤلم كل ذي شعور في هذه الديار التي انتصر [illegible]
[illegible] (٢) .

[illegible]
[illegible]
من المعقول ان تصل إلى حد انشاء جمعية للطعن في الزهاوي ، ولعل القصد من هذه الخبر

(١) ج الاستقلال ع ٤٢٢ ، ٣ ك ٢ ، ١٩٢٤ ، ص ١.
(٢) ج الامل ع ٢٤ ، ٢٩ ت ١ ، ١٩٢٣ ، ص ٢.

هو شدة الخصومة واستمرارها بين الرجلين . وقد تكون فكرة هذا الخبر مستوحاة من مدرسة الديوان في نقدها لشوقي .

ما ان قرأ رفائيل هذا الخبر في صحيفة الأمل حتى سارع للرد عليه في اليوم التالي في صحيفة الاستقلال ، فكتب رسالة إلى صاحب الأمل « ردفرية» (١) نفى فيه هذا الزعم وتحدى الأمل في اثبات صحة هذا الخبر .

يبدو أن رفائيل نسي ماقاله بالأمس في الزهاوي من تمدح بشاعريته وفلسفته بخاصة في كتابيه « سحر الشعر » و « الادب العصري» اللذين صدرا في عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣ . حيث قال في «سحر الشعر » : « وقد أثرت قصائده في شعر العصر فاحدثت انقلابا وتطورا جديداً في الادب العربي وطفق كثيرمن الشعراءيحذون حذوه وينسجون على منواله » (٢). ثم قوله : «لقد حكمت صحافةالعالم العربي وكثير من نقدة المستشرقين على ان شعر الزهاوي من اعلى طبقة بين الشعراء المعاصرين ، وانك لتشعر بالجزالة العربية والمتانة لدى تلاوتك غرر قصائده » (٣) وقوله في كتابه الادب العصري في العراق العربي عن شعر الزهاوي : « اما شعره فمن اعلى طبقات الشعر العصري لاتجد فيه تعقيدا ، والفاظا غريبة كثيرة . تغلب عليه الحكم والامثال مع جزالة في اللفظ ، ومتانة في الاسلوب يحمل كل ذلك شعور رقيق [illegible] » (٤) ثم قوله في مقال له : « واذا كان قد سمي شعر « حافظ ابراهيم » بشعر « الجلال» فاحرى بشعر الزهاوي [illegible] من هنا نعلم ان الزهاوي ليس بالشاعر فحسب بل هو شاعر فيلسوف لايجاري في خطته » (٥). وفي خطبته التي القاها في الحفلة التي أقيمت للزهاوي عند ابلاله من مرضه في ٤ نيسان ١٩٢٢ التي نشرتها جريدة العراق في صفحات بعنوان « فيلسوف بغداد في القرن العشرين » (٦) والتي بدأها بقوله : « الأستاذ

---

(١) [illegible]
(٢) سحر الشعر ، رفائيل بطي ، ص ٧ ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٢٢ .
(٣) [illegible]
(٤) الأدب العصري في العراق العربي [illegible]
(٥) العراق ع [illegible] ، ٢ نيسان ١٩٢٣ ، ص [illegible]
(٦) العراق ع [illegible] نيسان ١٩٢٢ .

الزهاوي : فيلسوف عربي انكشفت له من الحياة أسرار ، فاودعها شعره الراقي المتين، ونابغة شرقي حاب فيه نظام هذا الكون فراح يفكر في معجزاته غير معتمد في تفكيره على اجنبي ، وشاعر سباق في حلبة البلاغة ، ينقل نبضات قلبه الحساس، أبيات أبيات وقصائد عامرات ، وينظم منثورات الحقائق العلمية في قلائد شعرية ، فيجمع بين العلم والفن » (١) . بعد كل هذا المدح والثناء للزهاوي ولشاعريته وفلسفته .

ما الذي غيره وحدا به أن يقول في تشرين الثاني من نفس العام ١٩٢٣ في مقاله « الزهاوي وأدب الاطفال » باسم مستعار « ابن رشيق» في نقده لقصيدة الزهاوي تنويمة الام لطفلها» : « فيجيء نظمه غثا ثقيلا اوتافها لامعنى له ، دفنه أفضل من نشره والتبجح به » (٢) ثم يحط من شاعرية الزهاوي ويفضل عليه الرصافي ومن هم دون الرصافي فيقول : « وفي بغداد شاعر عظيم هو معروف الرصافي السائر شعره مسير الشمس في شهرته لما امتاز به من الصفات النادرة التي قلما اجتمعت في شعر شاعر آخر يحاول ان يطاوله شاعر ويتطاول عليه هو جميل الزهاوي الذي يعلم الخبيرون بفنون الادب حق الخبرة انه لايداني الرصافي في شعره وليس الزهاوي وحده بل هناك شعراء عراقيون وان كانوا دون الرصافي فهم يفضلون الزهاوي في شعرهم نظير رضا الشبيبي واخوه باقر الحلي وعلي الشرقي وغيرهم . »(٣) يجيب الزهاوي على هذا السؤال في مقال له بعنوان « الادب والعباقرة » بقوله : « قرأ قرين [illegible] العدد « البيان» العقاد والمازني وهما من مشاهير الكتاب في مصر و [illegible] نبذة وهو كاتب من كتاب [illegible] الادبي هذا كل ماعندهم من علم الأدب ورجاله في مصر غير هيابين فقالوا في أنفسهم ، ماذا لاتكون [illegible] » (٤)

ومهما يكن من أمر فان رفائيل لم ينطلق في احكامه على الزهاوي وشعره من منطلق [illegible] ورصانة وهذه الاحكام التي تتحكم فيها العواطف والمؤثرات [illegible] في نظر النقاد

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) ج العراق ع ٩٢٢ ، ٣ أيلول ، ١٩٢٣ ، ص ٣ .
(٤) ج الاستقلال ع ٤٢٣ ، ٩ ك ٢ ، ١٩٢٤ ، ص ١ .

الادبي وانه لايمكن الاعتماد على مثل هذه الاحكام المتناقضة لانها فقدت موضوعيتها.

وقد كتب الزهاوي سلسلة مقالات نقدية في جريدة الاستقلال بعنوان « الادب وادعياؤه » و « غلطات المنتقد» علقت عليها الاستقلال بانها « كلمات ذهبية للاستاذ جميل صدقي الزهاوي » (١) انتقد فيها رفائيل بطي ورد على مقاله « بين الزبد وما ينفع الناس » الذي نشره في العدد الثامن عشر من الناشئة الجديدة .

ولم يترك رفائيل بطي فرصة لنقد الزهاوي والتصدي له الا واغتنمها والزهاوي كان يفعل كما يفعل رفائيل .

واستغل الزهاوي مجلته « الاصابة» التـــي اصدرها في العاشر من أيلول ١٩٢٦ للرد على مقال رفائيل « ثلاث صور لشعر العراق المعاصر» بمقال بعنوان « رد على رفائيل بطي» باسم « ابن الحقيقة» في الاعداد الثلاثة الأولى من المجلة . نقد فيه رفائيل باسلوب تهكمي ساخر فقال : « أحللت نفسك يارفائيل محل العارف بضروب الادب ، واحدث صوره واخذت تعد لنا الموضوعات التي يجب ان ينظم فيها شعراؤنا مما استظهرته من بعض الكتب الحديثة ...» (٢) ثم نصب الزهاوي نفسه مرشدا ومعلما لرفائيل فراح يبين له الشروط والصفات التي ينبغي ان يتحلى بها الاديب كي يكون اديباً ناقداً. ثم جرد رفائيل من هذه الصفات ، والتدليل على هذا راح يبين الاخطاء اللغوية والنحوية التي وقع فيها رفائيل في مقاله ويصوبها كما يفعل المعلم مع تلميذه بقصد الحط من مكانة رفائيل الادبية والنقدية (٣) واستمر في نقد رفائيل في العدد الثاني حتى توقف في العدد الثالث زاعمـــاً انه فعل ذلك نزولاً عند رغبة اصحابه .

الخصومة بين الزهاوي والأثري

والاثري واحد ممن عرفوا بخصومتهم الحادة للزهاوي ولعل ذلك يعود إلى اختلاف منحى الرجلين في آرائهما ومعتقداتهما الدينية والادبية فهما لايلتقيان في آرائهما ومعتقداتهما الاثري رجل دين متزمت حريص على اللغة العربية ، ينحو منحى تقليديا ، محافظ على القديم بينما الزهاوي يقف على الطرف الآخر فهو داعية إلى التجديد في الشعر واللغة والاجتماع مؤمن بنظريات العلم الحديثة كنظرية النشوء والارتقاء وعلوم الفلك والطبيعة ،

---

(١) ج الاستقلال ع ٤٢٢ ٦ آب ١٩٢٤

(٢) م الاصابة ع ١ ، ١٠ أيلول ١٩٢٦ ص ٢ .

(٣) انظر المصدر السابق .

متردد بين الشك والايمان في بعض المعتقدات الدينية . وان قصيدتيه (الدمع ينطق) و (ثورة في الجحيم) قد اثارتا عليه بعض علماء الدين في مصر والعراق .

نقد قصيدة شوقي

في الوقت الذي كان الزهاوي يتعرض لسهام الناشئة الجديدة ، وعلى أثر قصيدة احمد شوقي في رثاء الشاعر المصري اسماعيل صبري في صحيفة الناشئة . نشرت صحيفة العراق مقالاً متسلسلا بعنوان « نقد قصيدة شوقي بك ، لشاعر عراقي كبير » (١) علقت عليه الصحيفة بقولها : « قرأى نقدها استاذ كبير من شعراء العـــراق ينم اسلوبه عن شخصيته على صفحات العراق » والاستاذ الكبير هو الزهاوي . لأن اسلوب هذا النقد يشبه الى حد كبير اسلوب الزهاوي في نقده . كما انه ألمح الى ذلك عفريت الفلاسفة والشعراء ابراهيم صالح شكر في مقاله (السكوت من ذهب) المنشور في الناشئة (٢) .

نقد الزهاوي قصيدة شوقي نقداً تجزيئياً فتناول القصيدة بيتا بيتاً وبين مافيها من اخطاء لغوية ونحوية ومعنوية . واقتصر نقده على تبيان المساوىء وهذه آفة النقاد آنذاك . قال في مقدمة نقده القصيدة : « قصيدة شاعر النيل الكبير احمد شوقي بك في رثاء فقيد الأدب اسماعيل باشا صبري لاتناسب منزلته في القريض ، وقد وجدت في نفسي دافعاً لنقدها ففعلت راجيا ان لا احيد عن الصواب »(٣) .

وبعد ثلاثة أيام من نشر هـــذا النقد نشر الأستاذ (محمد بهجـــة الأثري) مقالا متسلسلا باربع عشرة حلقة في جريدة العاصمة بعنوان « حول قصيدة شوقي بك — بين اديبين »(٤) رد فيه على شاعر عراقي كبير — الزهاوي — في نقده قصيدة شوقي .

انبرى « رشيد الهاشمي » للدفاع عن الزهاوي ، فهاجم الأثري واستخف به ووصفه بصفات الاستصغار ، فوصفه بالمتفيقه والمتشدق والتلميذ في مقاله « أنقد ام حقد — حول النقد الأدبي » الذي نشره في جريدة العراق بست مقالات جاء فيه : « قرأنا نقد قصيدة شوقي فقلنا عنه : كلمة حق صدرت من لسان الانيا ثم قرأنا رد التلميذ (محمد بهجة الأثري)

(١) ج العراق ع ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ في ٣٠ آيار ، ١ ، ٢ حزيران ١٩٢٣ .
(٢) ج الناشئة الجديدة ع ٥ ، ٥ حزيران ١٩٢٣ .
(٣) ج العراق ع ٤٧٤ ، ٣١ آيار ١٩٢٣ ص ١ .
(٤) نشر في الاعداد ١٧٨ — ١٩٧ ، ٥ حزيران — ٢ تموز ١٩٢٣ .

فقلنا : متعرض لم يرد أن يقف موقف التلميذ بل حاول ان يجلس مجلس النظير امام نظيره . فنزلت رجله الى الحضيض »(١).

ان خصومة الأثري للزهاوي ظهرت بصورة جلية وعنيفة في مقاله « الشعر المرسل » الذي نشره في جريدة المفيد ، رداً على آراء الزهاوي في الشعر المرسل . فكان اشد المنتقدين للزهاوي عنفا واكثرهم تسفيها له . فقد هاجم الزهاوي بكلمات قاسية لاتناسب ادنى الشعراء منزلة ووصفه بـ « المتشاعرون ، المستعربون ، المقحمون ، الشويعر الأعجم ، الالكن الأعجم » فقال في مقاله : « اما اولئك المتشاعرون المستعربون الذين منيت بهم العربية والعروبة فلهم ان يستقلوا مايستقلون او يريدوا التقصي مما يريدون ، فالطبع منهم ناب ، والفكر أصلد ، والقريحة قريحة واللسان أعجم يرتضخ لكنة .. فلا بدع اذا ماثار بركان غضب الشويعر الاعجم ، الالكن الأعجم وصب جام أحقاده على العربية وآدابها .. ويبني حججه على مقدمات هي أفسد من أضغاث الاحلام ويدعو الناس غير خجل الى مشاركته في رأيه المأفون »(٢).

ان نقد الأثري للزهاوي في مقاله هذا ، قد اتسم بالانفعال والتزمت . وكان الاولى به أن يكون موضوعيا ، ونقاشه هادئا متزنا يستند فيه الى الحجة الدامغة والدليل المقنع — لا ان يصب جام غضبه على المقترح لأنه طرح فكرة جديدة في تجديد الشعر.

ويعود الأثري مرة اخرى في عام ١٩٢٧ لينقد قصيدة الزهاوي (مات سعد) التي القاها في الحفلة التي اقيمت في بغداد تأبينا لسعد زغلول والتي القى فيها الاثري والزهاوي قصيدتين بهذه المناسبة . فيتولى الأثري بنفسه نقد القصيدتين فيفضل القصيدة الزهاوي على قصيدة الأثري . فقد قامت ضجة كبيرة حول قصيدة الزهاوي (٣) اشترك فيها كثير من الادباء ، ونشرت عدة مقالات مثل « تحليل مرثية الشيخ الزهاوي » للاثري (٤) و « رد على نقد الاثري » لأكرم احمد » (٥) و « الزهاوي على مشرحة نقد » ابراهيم ادهم الزهاوي » (٦)

---

(١) جـ العراق ع ٨٣٨ ، ١٦ حزيران ١٩٢٥ ، ص ٣ .
(٢) [illegible]
(٣) قصيدة الزهاوي (مات سعد) والتي أصبح جزؤها الثالث عشر جزء من قصيدة أخرى [illegible]
[illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]

و « أساليب الانتقاد في القرن العشرين ، و.ن » (١) و « رد على نقد ، اكـرم احمد » (٢) و « رد على انتصار ، ابراهيم ادهم الزهاوي »(٣) و « رد على احد الخالدين اكرم احمد » (٤) و « انتصار الزهاوي ، مسجل »(٥) و « كلمة في ابرد تغني عن مقال ، اكرم احمد (٦) و « حول كلمة المسجل ، اكرم احمد » (٧) .

من العجيب حقا ان نرى كل هذه المقالات والردود والتعليقات تدور حول قصيدة واحدة لشاعر واحد هو الزهاوي ويقف اصحاب هذه المقالات بين مهاجم ومدافع ، ونادح ومادح . فكانت هذه القصيدة سببا في قيام معارك نقدية عنيفة أسهم فيها كثير من الكتاب والنقاد نستدل من كثرة هذه المقالات على كثرة خصوم الزهاوي ونقاده من بينهم ابن اخيه ابراهيم ادهم ، ويكاد يكون اكرم احمد هو الوحيد الذي كان يدافع عن الزهاوي ويرد عنه هجمات الخصوم .

وقد برزت ظاهرة الاتهامات بين الادباء كل يتهم خصمه بالوقوف خلف كاتب يكتب له وينشر باسمه . فهناك اشارات الى ان الرصافي يكتب او يصحح لرفائيل والأثري يكتب لرفائيل ، والزهاوي يكتب لأكرم احمد او غيره ..

وقد كثرت الأصوات التي تتهم الزهاوي بانه كان يتخذ من أسماء مريديه ستاراً ينشر مقالاته باسمائهم . فقد اشار الى هذا (و.ن) و (ابراهيم ادهم الزهاوي) و (مسجل) يقول مسجل في هذا : « يصطفي الاستاذ الزهاوي الفينة بعد الفينة شابا يتخذه اداة يدفع بها عن نفسه عادية المنتقدين او الخالدين — كما يدعوهم الاستاذ — واذا نرى كلما هجم عليه منتقد أغرى به واحدا ممن كان قد اصطفى حينذاك فيبذل له ذلك بدوره كل مجهود في الدفاع عنه ويتزلف بخصومه ...(٨) .

---

(١) ج العراق ع ٢٢٤٧ ، ١٥ ت ٢ ، ١٩٢٧ ، ص ٢ .
(٢) ج العراق [illegible]
(٣) ج العراق ع [illegible] ١٩٢٧ ، ص ٢ .
(٤) ج العراق [illegible]
(٥) ج العراق ع [illegible]
(٦) ج العراق ع [illegible]
(٧) ج العراق ع ٢٢١٧ ، ٧ ك ١ ، ١٩٢٧ ، ص ٢ .
(٨) ج العراق ع [illegible] ١٩٢٧ ، ص ٢ .

انصب نقد الأثري لقصيدة الزهاوي في رثاء سعد على تبيان المساوىء دون المحاسن ، وكأن القصيدة قطعة من المساوىء ، لاحسنة ترتجى منها . فاذا كانت قصيدة الزهاوي – وهو من كبار شعراء العراق وملأت شهرته الآفاق – بنظر الأثري قطعة من المساوىء . فكيف الحال مع قصائد الشعراء الآخرين الذين هم دون الزهاوي في الشاعرية ؟! ولو تتبعنا ديوان الأثري « ملاحم وازهار » فهل يخلو من العيوب والمآخذ ؟

الخصومة بين الزهاوي و (أ. خالد)

ان (أ. خالد) هو الآخر قد تصدى لنقد الزهاوي . فقد تعرض بصورة غير مباشرة في مقاله « الحرية الفكرية في مصر والعراق » حين أعاد نشر رسالة احد علماء الأزهر الموجهة الى وزير الداخلية المصري التي يستعديه فيها على الزهاوي . فكان مقاله يوحي باثارة العراقيين على الزهاوي بخاصة علماء الدين . فقد وصف القصيدة بانها « الحادية » وورد في بعض عباراتها ان الزهاوي « انكر البعث والنشور » (١) ثم نعى على الزهاوي مؤاخذته له في نظم الشعر المنثور في مقاله له بعنوان « الشعر المنثور لا الشعر المرسل » (٢).

وحين أصدر الزهاوي مجلته الاصابة عام ١٩٢٦ تصدى لنقدها (أ. خالد) بعد اسبوع من صدورها . وحمل على المجلة وعلى صاحبها الزهاوي واستخف بها ووصفها بالملزمة في مقالة « أخطأ ام اصابة » فقال : « قال لي البعض وقد عثر على اعلان أعلن فيه جميل افندي صدقي الزهاوي عزمه على اصدار مجلة باسم « الاصابة ما الاصابة ؟ قلت يريد جميل افندي ان يعرف نفسه لمن لايعرفه حق المعرفة .

ولم اكن ادري ولا المنجم يدري — ان دعوى جميل افندي ستتمزق بأول سهم من « اصابته » فقد ظهرت يوم الجمعة ملزمة واحدة بثماني صفحات صغيرة ليست بالمجلة ولا شبه المجلة .. بل كان الباعث على نشره هذه « الملزمة » لينال منا بالطعن والقدح ماينال نطاقي سهمه ، ولم نلاق احداً رأى « ملزمة » جميل الا رجع ساخر آسف »(٣) . ولكننا لم نجد مازعمه أ. خالد من الطعن والقدح له في مجلة الاصابة . الا اذا كان أ. خالد هو وقتيل بطني .

---

(١) ج مرآة العراق ع ١ ، س ١ ، ١٧ ت ٢ ، ١٩٢٤ ، ص ١ – ٢.
(٢) ج السياسة ع ٨١ ، ٦ حزيران ، ١٩٢٥، ص ٣.
(٣) ج العراق ع ١٩٤٣ ، ٧ ايلول ، ١٩٢٦ ، ص ٢ .

الخصومة بين الزهاوي والطريفي

نقد قصيدة « يطل عليها ثم ينعكس البدر »

عجيب أمر الزهاوي فهو لاينشر رأيا او قصيدة الا ويسارع النقاد للرد عليه ونقده كأنهم وقفوا له بالمرصاد ، وغالبا ماتقوم حوله ضجة على صفحات الصحف . ولاتكاد تنتهي ضجة حتى تقوم اخرى . ربما يكون الزهاوي سببا في احداث تلك الضجة .

نشر الزهاوي قصيدته الغزلية « يطل عليها ثم ينعكس البدر » في صحيفة « الدربال » فتصدى لنقدها الكاتب حسين الطريفي الأعظمي على صفحات العراق فكتب مقالاً بعنوان « معرض الانتقاد ، يطل عليها ثم ينعكس البدر »(١) . فرد عليه الزهاوي بمقال بعنوان « حول معرض الانتقاد » في جريدة الاستقلال ، فند فيه نقد الطريفي . وعزا مقال معرض الانتقاد الى رفائيل بطي وقد كتبه رفائيل باسم احد الشبان يعني بذلك الطريفي(٢) .

وانبرى محمد الخليل للانتصار للزهاوي في مقال له بعنوان « انتصاراً لحضرة الاستاذ الزهاوي » دافع فيه عن الزهاوي بحماس وكال له المديح وبالغ في الثناء عليه وعلى قصيدته ، وأعطى القصيدة فوق ماتستحق بكثير . وعنوان هذه المقال ينبيء عن مضمونه . مما جاء فيه قوله : « وان له قصائد تقف عند شرحها — لو دققوا معانيها — اقلام الشارحين . فليعلم حضرة الناقد ان لشعر الاستاذ معان ظاهرية وباطنية .. فاعلم يا حضرة الناقد ان هذه القصيدة تكتب بأهداب العيون على صفحات الخدود لما قد حوته من القوة والبلاغة والسلاسة والرقة واتقان معانيها وابداعها وابتكارها مالو عصرت فطاحل الشعراء ادمغتهم لم يأتوا بمثلها »(٣) لقد بالغ محمد الخليل مبالغة مقيتة . فكلامه يوحي بان هذه القصيدة معجزة ، يعجز فطاحل الشعراء عن الاتيان بمثلها .. ولم نسمع ان للزهاوي معجزات ولم نجد قصيدة للزهاوي تكتب باهداب العيون على صفحات الخدود او بما شابه هذه الأوصاف .

ولم يتمدح الزهاوي نفسه يوما بأن له قصيدة بهذه الصفات بل رأيناه في اكثر من مرة حين تكثر سهام النقاد عليه ينفي عن نفسه الشاعرية وانه ليس بشاعر ولا باصغر الشعراء . ولكن التعصب الذميم هو الذي حمل الكاتب على [illegible]

(١) انظر ج العراق م [illegible] ، ٢١ ك ١ ، ١٩٢٤ ، ص [illegible] .
(٢) انظر ج الاستقلال ع ٢٢٧ ، ٩ ك ٢ ، ١٩٢٤ ، ص٢ .
(٣) ج الاستقلال ع ٣٣٥ ، ١٨ ك ٢/ ١٩٢٤ .

للمنقود وانه لم يقدم لنا الدليل على صحة ماذهب اليه سوى كلمات هي اكبر من ان توصف بها أفضل رائعة من روائع الشعر العربي .

وحين نشر احمد حامد الصراف وهو من انصار الزهاوي ومريديه — مقاليه « مفرضون أنتم » (١) و « الزهاوي انصاره وخصومه »(٢) اللذين دافع فيهما عن الزهاوي ، وهاجم (أ. خالد) و (رفائيل بطي) لنقدهما الزهاوي . كتب حسين مصطفى الأعظمي الظريفي مقالا قصيراً في جريدة مرآة العراق بعنوان « في تيار الاهذار » قال فيه : « ارانا الادب العراقي الهزيل في احد اعداد جريدة الاستقلال الغراء انموذجا لتيار الاهذار به . في هذه البلاد بمقاله الافتتاحي الموسوم به « مفرضون انتم » لذلك عمدنا الى مقاومة هذا التيار مهما كان في غاية الصعوبة في المسلك والوعورة في المعاني البسيطة خدمة للحقيقة ودحضا لمزاعم باطلة خوف الانتشار في هياج تيار هذا الاكثار في الاهذار حيث يخشى الخزي والعار لآداب هذه البلاد لدى الأغيار » (٣).

(انصار وخصوم)

ليس غريباً ان يكون للزهاوي أنصار وخصوم ، وليس غريباً ان يكون خصومه اكثر عددا وأشد بأساً من انصاره . لكن الغريب ان ينقلب انصاره — الذين كانوا يؤازرونه ويذبون عنه — الى خصوم . وقد كان بعضهم من تربطه به صلة قرابة او تلمذة وربما كان أمر هؤلاء أشد خطراً على الزهاوي وأكثر ايلاما لنفسه لأنهم كانوا اكثر معرفة باسراره ومواطن ضعفه من غيرهم .

فقد انقلب عليه ابراهيم ادهم ابن أخيه وصار خصما له ينقد آراءه ويناهضه ، فقد نشرت جريدة مرآة العراق خبراً نقلته عن جريدة البدائع تحت عنوان « زهاويان يتناطحان » قالت فيه : « قالت جريدة البدائع في عددها الأخير بعنوان « المجمل مما أرى »(٤) : كتيب سخيف في الفلسفة والحياة والاجتماع .. والخ . الملفق سطوره جميل افندي الزهاوي ، طبع في مصر [illegible] المسخرة والازدراء ، ونشر في عدد آت نقدا مطولا في تفنيد بيانه وهدم اركانه بقلم ابن أخي المؤلف ، الشاب الذكي المسلم الغيور ابراهيم ادهم الزهاوي »(٥) .

---

(١) ج [illegible] ١٩٢٤ ، ص ١ .

(٢) ج [illegible] ع ٢٩٧ ، ك ١ ، ١٩٢٤ ، ص ٢ .

(٣) ج مرآة العراق ع ٤ ، ٨ ك ١ ، ١٩٢٤ ، ص ٣ .

(٤) المجمل مما أرى : كتاب للزهاوي يضم آراءه في الموضوعات الاجتماعية والسياسية والفلكية طبع في مصر عام ١٩٢٤ ، ويقع في ٧٨ صفحة .

(٥) ج مرآة العراق ع ٢ ، ٢٤ ت٢ ، ١٩٢٤ ، ص ٤ .

وعندما طرح الزهاوي فكرته في الشعر المرسل عام ١٩٢٥ وقف ابراهيم ادهم في الصف المناهض للزهاوي وادعى ان الشعر المرسل ليس من ابتكار الزهاوي ثم عرض ابياتاً من قصيدة ابن عربي التي جعل كل عشرة أبيات منها على حرف من حروف الهجاء ليؤكد ان الزهاوي مسبوق في فكرته جاء هذا في مقالة « الشعر المنثور والمرسل »(١) .

ثم عاد ابراهيم ادهم في عام ١٩٢٧ ليؤازر الأثري في نقده لقصيدتي الزهاوي (دات سعد والحياة والموت) في مقالة « الزهاوي على محك النقد» الذي كشف فيه عن ان قصيدة (الحياة والموت) المنشورة في البلاغ الاسبوعي المصرية في عددها (٤٦) بتوقيع الشاعر الصغير هي قصيدة الزهاوي التي القاها في حفلة تأبين سعد ببغداد (٢). ان ماذهب اليه ابراهيم من نسبة القصيدة الى الزهاوي صحيح . فالأبيات التسعة الاولى من قصيدة (الحياة والموت ، ماتم سعد في العراق) المنشورة في جريدة العالم العربي والتي مطلعها :

كذبتنا الحياة فهي تداجي وأرى الموت واضح المنهاج(٣)

هي المقطع الثالث عشر من قصيدة (دات سعد) . الا ان الزهاوي قد أطال القصيدة بنفس القافية ، بينما كانت قصيدة (دات سعد) من اربعة عشر مقطعاً كل مقطع من ستة أبيات بقافية .

تناول ابراهيم هذه القصيدتين ... من اخطاء نحوية واملائية ثم عرض بعض المسائل الفقهية والعقائدية كمسألة الاختيار وخلود الروح . وقد شكك ابراهيم بايمان الزهاوي في نقده للبيت :

انما تلك الروح حين تسامت ذكرتني بليلة المعراج

فقال : « متى آمنت بالسماء بصاحب المعراج حتى اتذكر ليلة معراجه ؟ وهل القافية تمكنت اليوم من اقناعك بكل شيء حتى بأمور ما كنت تعبأ بها لولاها ؟ فسبحان ... [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) م البلاغ الاسبوعي ... تشرين ... ١٩٢٧ ص ... السنة الاولى

(٤) ج العراق ع ٢٢٩٤ ، ١١ ت ٢ ، ١٩٢٧ ، ص ٣ .

واحمد حامد الصراف هو الآخر من انصار الزهاوي ومريديه المتحمسين للدفاع عنه رد عنه هجمات المنتقدين له . ففي مقاله « مغرضون انتم » رد على أ. خالد في مقاله « الحرية الفكرية بين مصر والعراق » . ثم هاجم رفائيل بطي لنشره مقال الأديب اللبناني عمر الفاخوري في نقد رباعيات الزهاوي التي صدرت في بيروت عام ١٩٢٤ .

ثم نشر الصراف مقالا آخر بعنوان « الزهاوي بين انصاره وخصومه » في جريدة المفيد مدح فيه الزهاوي واثنى عليه ثم هاجم خصومه (١).

بعد كل هذا انقلب الصراف على الزهاوي فوجه اليه كتاباً مفتوحاً نشره في جريدة العراق بعنوان « كتاب مفتوح » اطرى الزهاوي في مقدمته واطنب في وصف العلاقة الطيبة بينهما ووعده بانه لايزال ذلك المخلص للزهاوي ورقع الكتاب بهذه الكلمات « عبدك المخلص الأمين » ثم شرع في نقد الزهاوي مبين سرقاته من عمر الخيام وحافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي وغيرهم من شعراء الفرس . ومما يؤيد هذا القول هو اجادة الزهاوي للغة الفارسية. فقد ترجم رباعيات الخيام من الفارسية الى العربية نظماً ونثراً ونشر قسماً منها في مجلته الاصابة عام ١٩٢٦ .

الخصومة بين الزهاوي والرصافي

لعل أشهر خصومة أدبية عرفها الأدب العربي الحديث في العراق هي الخصومة التي قامت بين الزهاوي والرصافي ، التي دامت بضع سنين وقد لاحت بوادرها منذ صدور العدد الأول من الناشئة الجديدة الذي كتب فيه رفائيل بطي مقالا ذهب فيه الى أن الرصافي سبق صاغة القوافي من معاصريه في نظم الشعر القصصي . الا ان الرصافي يرد الخصومة الى الأيام الاولى من حياته الأدبية في بغداد فيقول : « وفي هذه الفترة من تاريخ حياتي التي قضيتها في التدريس في الاعدادي ملكي ، وهي لاتتجاوز الثلاث سنوات (٢) صرت أبعث قطعاً من شعري الى مجلة (المقتبس) التي كانت تصدر في مصر لصاحبها الاستاذ محمد كرد علي ، وكان يحرر في جريدة (المؤيد) اليومية أيضاً ، فصرت أنا ، والاستاذ جميل صدقي الزهاوي نرسل نسخاً من شعره ، فينشره في مجلته ، وفي بعض الأحيان في جريدة (المؤيد) للشيخ علي يوسف أيضاً .

(١) انظر المفيد ع ٢٦٧ ، ٢٧١ ، في ٨ ، ١٢ ك ١ ١٩٢٤ .

(٢) قبيل اعلان الدستور بثلاث سنوات حتى اعلانه عام ١٩٠٨ أنظر الادب العصري ص ٧

ويظهر أن الاستاذ ، كرد علي ، كان معجباً بشعري ، فنشر قصيدتي ، في محل بارز من مجلته بعنوان (اكبر الشعر) وكانت المقطوعة « اليتيم في العيد » ويظهر ان الزهاوي اغتاظ من ذلك فبعد اطلاعه على هذا النشر انقطع عني ، وصار لايكلمني ، ولا يواجهني مدة من الزمن »(١)

وقد عمدت الناشئة الجديدة الى اثارة الخلاف بين الشاعرين بنشرها أقوال وتعليقات في باب (صدى مجالس الادب) كقولها : « سئل جميل صدقي الزهاوي : ما تقول في الرصافي الشاعر ، فاجاب : الرصافي أشعر من شوقي وحافظ وهو تلميذي » (٢) ثم نشرت في عدد آخر هذا الخبر تحت عنوان (آخر ساعة) قالت فيه :

« صرح سكرتير الزهاوي لمندوب الناشئة الخاص بان الاستاذ قد عزم على الاشتغال بالادب بنشاط بمناسبة عودة الرصافي الى العراق »(٣) ثم تمادت الناشئة في اثارة الخلاف بين الزهاوي والرصافي ، فنشرت أقوالاً نسبتها اليهما في مقال بعنوان « المعلوم والمجهول » الرصافي والزهاوي ، الواحد في نظر الآخر ، لاديب بغدادي فاضل » والاديب البغدادي الفاضل هو ابراهيم صالح شكر كما يرى الزهاوي . قال صاحب المقال :

يقول الزهاوي : ان ترجمة حياة الرصافي المنبثة في « الادب العصري » غير صحيحة .

ويقول الرصافي : ان دعوى الزهاوي في ترجمته تحتاج الى اثبات .

ويقول الزهاوي : ان الرصافي أشعر من « شوقي » و « حافظ » شاعري مصر الكبيرين وهو تلميذي .

ويقول الرصافي : ان الزهاوي لايعرف من العربية بقدر مايعرف طالب « ملائي » وطالما أصلحت شعره في اول عهدي بالنظم .

ويقول الزهاوي : ان شعر الرصافي بدرجة شعر « البناء » وهو من الوسط اودونه .

ويقول الرصافي : اني لاأفهم كثيراً من رباعيات الزهاوي التي يدعي انها فلسفية .

ويقول الزهاوي : اني اول من نظم الشعر القصصي في العراق وفي العالم العربي وتعلم الرصافي الطريقة مني :

---

(١) الزهاوي الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر : الالاني ص ٢٢٦ ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

(٢) ج الناشئة الجديدة ع٤ ، ٤٤ ك ٢ ، ١٩٢٣ ، ص ٥.

(٣) ج الناشئة الجديدة ع ٧ ، ٨ حزيران ١٩٢٣ ، ص ٧.

ويقول الرصافي : لانجد صفة من صفات الفلاسفة عند الزهاوي ولا نعرف ماهي فلسفته التي ارهقنا بذكرها.

ويقول الزهاوي : معروف صديقي وهو فرحتي لاني علمته الشعر وفقهته في الاجتماعيات.

ويقول الرصافي : مسكين جميل له مخيلة اوسع من الفضاء فيتصور كثيرا وان كانت تصوراته اوهاما وهو لايستحق محبتي بل عطفي وشفقتي .

وتقول الناشئة الجديدة : الزهاوي فيلسوف مجهول المكان ، والرصافي شاعر مطارد الزمان(١) نفى الزهاوي هذه الأقوال ورد عليها بانها أقوال مختلقة عليه وعلى زميله الرصافي يريد بها صاحبها القاء الفتنة والبغضاء بينهما (٢).

وعلى الرغم من نفي الزهاوي لهذه الأقوال الا انها تمثل في الواقع مااستقر في نفسي الشاعرين كل منهما تجاه صاحبه سواء ظهرت على لسانهما أم لم تظهر . وقد كانا يصرحان بقسم من هذه الأقوال في مجالسهما .

يبدو ان المنافسة في الشاعرية والسبق في الشهرة هما من اهم الأسباب التي أثارت الخصومة بين الزهاوي والرصافي. وكان الزهاوي ولايرى احدا يفضله في صناعة القريض ، واذا ارتأى الناس احدا يدانيه في ذلك او يوازيه كان خصمه وغدا همه ان يغض من منزلته . وعلى هذا نظر الى الرصافي كما ينظر الى خصم ومنافس ... وكان ينافسه وغير منافسه بقوله : ان الرصافي تلميذي [illegible] شيئاً من ابياته الضعيفة في الاساليب والافكار على اعتبار انه مايزال في حاجة الى مزيد من التقويم والارشاد والأخذ بيده في هذه الصناعة ليكتمل »(٣).

كانت العلاقة بين الزهاوي والرصافي ودية في الظاهر ولكنها لاتمثل مافي نفسيهما من [illegible] وبالرغم من [illegible] في المناسبات والمفاوضات التي اثيرت بين الرصافي والزهاوي فقد اثنى كل منهما على الآخر في هذه المفاوضات [illegible]

[illegible]

كان من جملتها سؤال عن الشعر المرسل والشعر المنثور ، فاجاب الرصافي [illegible]

(١) م. الناشئة الجديدة ج ١ ، ت ٢ ، ١٩٢٢ .

(٢) [illegible]

(٣) الزهاوي دراسات ونصوص : عبدالحميد الرشودي ص ٣٥٧ ، بيروت ، ١٩٦٦ .

بقوله : « .. وجل مايتجلى لي من هذا الشعر الذي يسميه صاحبه بالشعر المرسل ، وانما هو اقتران الرعونة بالشعور وخلط السخافة بالظرافة ، وادغام التفاهة بالنباهة ، وطلب السمعة من وراء البدعة » (١)

ويبدو من هذا الجواب ان الرصافي لم يكن على وفاق مع الزهاوي فكان رده غليظاً .

والذي اشعل فتيل الخصومة بين الزهاوي والرصافي هو تعليق الرصافي على ديوان الزهاوي ورباعياته اثناء مطالعته لهما فقد « حدث ان زار الرصافي في مكتبه في (نظارة المعارف » الاستاذ احمد حامد الصراف . فرأى نسخة من (الرباعيات)و (الديوان) على المنضدة ، فلما قلب صفحاتهما اطلع على تعليقات الرصافي الخاصة حول بعض الابيات،فسارع بطلب اعارتهما من الاستاذ ، فاعارهما اياه بلا تردد .. فخرج من الدائرة مسرعا الى بيت الزهاوي ، واطلعه على ما كتب الرصافي من تعليقات على صفحاتهما ، فكبرعليه الأمر ، وقرر الانتقام من الرصافي عن طريق نقد شعره نقدا شديدا . فلم يتسن له ذلك الا على صفحات جريدة (الفيحاء) الدمشقية وبدأ بنشر سلسلة من المقالات ولكن بتوقيع مستعار مرة هو (كاتب عربي كبير) ومرة بتوقيع (ابن جلا) وهكذا » (٢)

وقد نشر الاستاذ هلالي نص هذه المقالات في كتابه (الزهاوي الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر) مما جاء في مقالات الزهاوي في نقد الرصافي قوله : « لقد ثبت للعلماء ان الشاعر لايكبر الا اذا كبر علمه . وان الشعر الذي لاتسندونه دعائم العلم هو كالكراكيب المؤقتة ، تظهر آونة بعد اخرى في اجواء السماء ، ثم تخمد ولاتظهر . والرصافي يعيش في القرن العشرين . ولكنه جاهل علوم عصره ، ولذلك لم ينضج شعره وإذا قال فكأنه يغني لابناء القرون الوسطى ، فهو قديم وان تأخر زمانه ..» (٣)

وقد اتخذ الزهاوي والرصافي من المقاهي مجالس لهما يجتمع اليهما انصارهما فيها فالزهاوي « قد اتخذ له ندوة يتشاهدا في القهوة التي تدعى اليوم (قهوة الزهاوي) فكانت له حلقة خاصة يجلس فيها كل يوم من ضحوة النهار حتى الظهر ، يجتمع اليه صحبه وعشاق ادبه من الادباء الشيوخ والشباب يستمعون الى مايقتطف من شعره ويستمتعون بحديثه الشيق وطرائفه ونوادره، وتقتصر [illegible] على مقربة من الزهاوي في الجهة المقابلة من شارع الرشيد » (٤).

(١) م الحرية ج ١ – ٢ ، س ٢ ، ١ تموز ١٩٢٥ ، ص ١٥ .

(٢) الزهاوي الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر : هلالي ص ٣٢٤ – ٣٢٥ .

(٣) المصدر السابق ٣٧٧ – ٣٧٨ .

(٤) الزهاوي دراسات ونصوص : الرشودي ، ٣٨٤ .

ويذكر الاستاذ كمال ابراهيم : « ان خصومة الزهاوي للرصافي قد اشتدت ونقده لشعره لاينتهي يعرض له بالمناسبة وغير المناسبة وصديقه الحميم من يشايعه على مايقول وذلك على خلاف الأمر في مجلس الرصافي فانه لم يكن ليذكر الزهاوي بشيء خيرا كان أم شرا » (١)

استمرت الخصومة بين الزهاوي والرصافي بضع سنين ختمت بصلح بينهما سعى اليه الاستاذ محمود صبحي الدفتري في عام ١٩٢٨ ، وأقام لهما حفلة شاي في داره . وبذلك انتهت الخصومة بين شاعري العراق الكبيرين والقيا سلاحهما ليخلدا الى الهدوء والدعة .

الخصومة بين الزهاوي والعقــاد

لم تنحصر خصومات الزهاوي مع ادباء العراق فحسب . بل امتدت الى مصر . فقد قامت خصومات ومعارك نقدية بينه وبين العقاد على اثر نشر العقاد مقاله « كلمة في الاستاذ الزهاوي » في العدد (٤٣) من مجلة (البلاغ الاسبوعي) المصرية في اكتوبر ١٩٢٧ . الذي اجاب فيه على رسالة الأديب التونسي عبد القادر بن خليفة بن ميلاد التي طلب فيها من العقاد ابداء رأيه في الزهاوي . فكتب العقاد مقالا أجاب فيه عن سؤال طرحه هو نفسه : هل الزهاوي شاعر ام عالم ام فيلسوف ؟ فذهب الى ان الزهاوي « صاحب ملكة علمية تطرق الفلسفة وتنظم الشعر باداة العلم ووسائل العلماء »(٢)

عد العقاد الزهاوي عالماً صاحب ملكة علمية . والزهاوي يرى في نفسه انه عالم وشاعر وفيلسوف . وانه قضى عمره في نظم الشعر ودراسة وتدريس الفلسفة ودراسة العلوم والنظريات العلمية . فكان يرى في رأي العقاد غمطاً لحقه وسلباً لصفتين مهمتين من صفاته هما الشاعرية والفلسفة فقد روي عنه انه كان يطلب من الصحف ان تنشر مقالاته تحت القاب فخمة كالشاعر الفيلسوف او الفيلسوف الشاعر . ويروي ايضاً ان صحيفة السياسة الاسبوعية كانت تستأثر بنشر قصائده بلا ثمن لأنها تنشرها تحت اسم الشاعر الفيلسوف فكيف يرضى الزهاوي ان يسلبه العقاد هذين اللقبين اللذين هما أحب مايكونان الى نفسه الأمر الذي حدا به للرد على العقاد بمقال بعنوان « رد على نقد الاستاذ العقاد » في جريدة السياسة الاسبوعية المصرية في ٢٢ اكتوبر ١٩٢٧ (٣). فرد عليه العقاد بمقال بعنوان

---

(١) المصدر السابق .

(٢) معارك العقاد الأدبية : عامر العقاد ، ص ٣٣ ، بيروت — صيدا .

(٣) ع السياسة الاسبوعية ع ٨٥ ، ٢٢ أكتوبر ١٩٢٧ ، ص ١٠ .

« العقل والعاطفة ، حول رد الاستاذ الزهاوي »(١) في مجلة البلاغ الاسبوعي فرد عليه الزهاوي بمقال بعنوان « بين الادباء والعلماء ، بالعقل لا بالعاطفة ، حول رد الاستاذ العقاد »(٢) ، ثم رد العقاد بمقال بعنوان « قصة العقل والعاطفة »(٣) في مجلة البلاغ الاسبوعي

لقد جرت مساجلات بين قلمين جبارين على صفحات البلاغ الاسبوعي والسياسة الاسبوعية المصريتين . ولعل الزهاوي كان يعتقد لأول مرة انه ينازل ناقدا جباراً لآرائه قيمة ادبية ونقدية .

«نقد ديوان العقاد»

وحينما صدر « ديوان العقاد » عام ١٩٢٧ ، نشرت مجلة « لغة العرب » البغدادية نقداً لهذا الديوان بمقال في ست حلقات ابتداء من الجزء الرابع من السنة السادسة وانتهاء بالجزء التاسع من السنة ذاتها . وقد نشر هذا المقال بلا توقيع . جاء في مقدمته : « الاستاذ العقاد كاتب كبير ، وكنا نعتقد انه كذلك شاعر كبير ، حتى جاءنا ديوانه الجديد حافلا بما نظمه قديماً وحديثاً ، فاذا هو دون ما اكبره تصورنا ، واذا هو مشحون بالاغلاط والضرورات القبيحة ، واذا هو قبر للالفاظ الميتة ، دارس فيه كثير من العظام البالية ، واذا هو تافه المعاني في الأكثر .. وكنا نراه قبل نشره ديوانه يطعن في مراهب كبار الشعراء ، بل كان ينال من كل شاعر عربي تقريباً ، مصرياً كان او شاميا او عراقياً ، فما كنا نفهم علة ذلك بعد سكوته الطويل عن الشعر والشعراء حتى ظهر ديوانه العجيب فادركنا السر »(٤).

ما ان قرأ العقاد هذا النقد حتى هب للرد على صاحب مجلة لغة العرب الاب انستاس ماري الكرملي بعنف وكال له الصاع صاعين ، ظانا ان الكرملي هو الذي كتب النقد او هو المسؤول عنه على الأقل مادام المقال منشورا في مجلته بدون توقيع . فكتب مقالا بعنوان « نقد غريب » قال فيه : « وليس من شأني ان اعزو هذا الكلام الى أحد غير صاحب المجلة المكتوب اسمه على غلافها ، فان النقد هو الذي يعنيني ، وليس الكاتب ، ولا من اوعز اليه . وقد صدر النقد في مجلة [illegible] [illegible]

(١) م البلاغ الاسبوعي ع ٤٤ ، [illegible] أكتوبر ١٩٢٧ ، ص ١٢ .
(٢) م السياسة الأسبوعية ع [illegible] فبراير ١٩٢٨ ، ص ٢٣ .
(٣) م البلاغ الاسبوعي ع [illegible] فبراير ١٩٢٨ ، ص [illegible] .
(٤) م لغة العرب ج ٤ ، س ٦ ، ١٩٢٨ ، ص ٣٠٩ .

الاطلاع على قواعدها النحوية والصرفية ، فأن في نقده لغلطا لايقع فيه من له المام بهذه القواعد واطلاع عليها ، ولو كاطلاع التلاميذ المبتدئين » (١)

استمرت مجلة لغة العرب في نشر حلقات النقد في اعدادها اللاحقة .

ورداً على مقال العقاد الذي نقد فيه الكرملي نشرت مجلة لغة العرب مقالا بعنوان « رد على رد العقاد » (٢) في جزئها السابع . فرد عليه العقاد بمقال عنوانه « مثال من النقد » (٣) اتهم فيه الكرملي بالجهل وضيق الفهم فردت عليه المجلة بمقال عنوانه « رد على رد العقاد الثاني » (٤) .

ظن العقاد ان كاتب هذه المقالات النقدية هو صاحب مجلة لغة العرب الاب انستاس ماري الكرملي ، وانطلق في رده من هذا الظن . فوجه هجومه العنيف ، وانتقاده اللاذع للكرملي ، وظل الكاتب الحقيقي مجهولا لفترة طويلة من الزمن الى مابعد وفاة العقاد ببضع سنين ، حتى قيض الله من يكشف عنه . فقد كشف الاستاذ عبد الرزاق الهلالي عن الكاتب الحقيقي ، وهو جميل صدقي الزهاوي في مقال له بعنوان (الزهاوي ناقداً) الذي نشرته مجلة الاديب عام ١٩٧٣ ، فقرر فيه هذه الحقيقة التي ظلت خافية لخمس واربعين سنة . يقول الهلالي في مقاله : « وقد ثبت لنا بما لايقبل الشك ان كاتب تلك المقالات النقدية هو الاستاذ جميل صدقي الزهاوي ، والدليل على ذلك (المسودات) الأصلية لتلك المقالات ، فقد وفقنا بالوقوف عليها ، بارشاد الاستاذين الصديقين كوركيس عواد وميخائيل عواد »(٥) وقد نشر الاستاذ الهلالي قسماً منها من نقد الشوقيات ونقد ديوان العقاد ونقد الرصافي في مقاله المذكور ثم اعاد نشر بعض مقالات هذا النقد في كتابه الزهاوي الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر عام ١٩٧٦ ، ثم جمع هذه المقالات وآثار الزهاوي النقدية الاخرى المنشورة في الصحف ونشرها في كتابه الأخير « الزهاوي في معاركه الادبية والفكرية » الذي صدر عام ١٩٨٧ .

---

(١) معارك العقاد الأدبية : م ن .

(٢) [illegible]

(٣) م البلاغ الاسبوعي ع ٨٧ ، س ٢ ، ٢٧ يوليو ١٩٢٨ ، ص ١٢ ، معارك العقاد الادبية ص ١٢٠ .

(٤) م لغة العرب ج ٩ ، س ٦ ، ١٩٢٨ ، ص ٦٩٩ .

(٥) م الاديب (لبنانية) ج٣ مارس ١٩٧٣ ، ص ٤ .

والمسودات التي حدثنا عنهاالاستاذ الهلالي وهي مسودات نقد الشوقيات وديوان العقاد وقفت عليها بنفسي في خزانة المخطوطات بمكتبة الدراسات العليا — بكلية الآداب جامعة بغداد . فوجدت ان هذه المخطوطات تحمل الرقمين ٩٤٧ ، ١١٥١ ، الا انها لا تحمل اسم الكاتب الصريح ولا المستعار ولكن ذكرت عليها العبارات الآتية ، كتب على الاولى « نقد للقصيدة الاولى من الشوقيات ، بقلم جميل صدقي الزهاوي « بخط يده » وتقع في تسع ورقات . اما الثانية فقد كتب عليها العنوان الآتي : « ديوان العقاد ، نشرت في مجلة لغة العرب .. وقد عزيت الى الزهاوي في سجل المخطوطات » ووجدت ان هذه العناوين والعبارات قد كتبت بخط مغاير لخط المسودات ، مما بعث في نفسي الشك في نسبة هذه المسودات للزهاوي ، فاتصلت بالاستاذين ، عبد الرزاق الهلالي ، وكوركيس عواد (١) للتأكد من صحة نسبة هذه المسودات للزهاوي ، فأكدا لي صحة نسبتها للزهاوي ودليلهما على ذلك هو تشابه خط المسودات مع خط الزهاوي في رسائله الى احمد محمد عيش المنشورة في مجلة الكاتب المصري في عامي ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ وقد ذكر لي الاستاذ الهلالي انه قد صور مسودات رسائل الزهاوي المنشورة في المجلة المذكورة والمودعة لدى كلية آداب القاهرة ، وان خطها يشبه خط مسودات نقد ديوان العقاد والشوقيات ، كما انه ذكر لي بأنه أهدى صورة مسودات الرسائل الى المكتبة المركزية ببغداد .

ليس غريباً ان يكتب الزهاوي مقالات بلا توقيع فينشرها خالية من اسمه الصريح او المستعار ، ولكن الغريب هو لماذا سكت الكرملي صاحب المجلة الذي صار مدافعاً لنقد العقاد اللاذع وهجماته العنيفة وتحمل ماتحمل دون ان يصرح باسم الكاتب الحقيقي ؟ لماذا سكت ولم يصرح باسم الزهاوي ؟ ذكر الاستاذ الهلالي سببا لهذا السكوت قد يبدو وجيها او معقولا ، هو ان الحكومة العراقية قد قررت في تلك السنة ١٩٢٨ الاحتفال باليوبيل الذهبي للكرملي بمناسبة مرور خمسين سنة على صدوره في خدمة اللغة العربية ، وألفت لجنة لهذا الغرض ، كان الزهاوي رئيساً لهذه اللجنة [illegible] الكرملي هذا (٢) فاستغل الزهاوي الفرصة لنشر نقد ديوان (الشوقيات) و (ديوان العقاد) فنشر الكرملي [illegible] من [illegible] مباشرة (٣) .

---

(١) اتصلت بالاستاذ كوركيس عواد هاتفيا في مساء يوم ١١/١٢/١٩٨٣ ، كما زرت الاستاذ الهلالي في بيته [illegible]

(٢) انظر وقائع الاحتفال في مجلة لغة العرب ج ١ من السنة السابعة ص ٢ — ٧ كانون ثاني ١٩٢٩

(٣) [illegible] الزهاوي في معاركه الادبية والفكرية [illegible] المطابع النموذجية وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد [illegible]

اسباب الخصومات

ليس هناك اديب عراقي في العصر الحديث كثر خصومه وتناولته الأقلام وتخاصمت فيه كالزهاوي . فقد كثر خصومه كثرة عجيبة ولقي مالقي منهم من الضيق والعنت . ومع هذا فان الزهاوي لم يعدم من يناصره ويذب عنه ولكن خصومه كانوا اكثر عددا واشد بأساً من انصاره ، وربما انقلب انصاره الى خصوم كما مر بنا . وكثرة الخصوم لأي انسان لابد لها من اسباب . فما اسباب كثرة خصوم الزهاوي ؟ يبدو ان هناك اكثر من سبب ادت الى الخصومة بين الزهاوي وخصومه .

١ — افكاره وآراؤه في التجديد في القضايا الادبية والاجتماعية ، وتمرده على القديم مما أثار انصار القديم فوقفوا ضده .

٢ — نشره بعض القصائد والافكار التي لاتوافق معتقدات الجمهور الدينية كقصيدة (الدمع ينطق) التي نشرها في مصر (وثورة في الجحيم) وتأثره بالآراء الفلسفية والنظريات العلمية الحديثة كنظرية النشوء والارتقاء التي لم تجد عند كثير من الناس قبولاً في تلك الحقبة .

٣ — موقفه المتخاذل او المتأرجح من القضايا الوطنية بخاصة موقفه من ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق . يقول الزهاوي عن موقفه من الثورة :

« وحدثت ثورة العشرين ، فلم اشترك فيها ، لعلمي بوخامة عاقبتها ، فساء ذلك الأهلين »(١) ثم وقف الى جانب الانكليز ومدحهم بشعره ، لكنه عاد ورثى شهداء الثورة بعد ان خاب أمله في ان يحظى بمنصب خطير في الحكومة العراقية الجديدة التي قامت بعد الثورة . وقد علق الشاعر محمد مهدي البصير — شاعر الثورة العراقية وخطيبها — على موقف الزهاوي المتردد بهذين البيتين اللذين علق فيهما على رباعيات الزهاوي . وقد عبر بصورة رمزية

ولسع الطائر بالطـ ... ـب لما ردد خضا
[illegible] ... [illegible] (٢)

---

(١) رباعيات الزهاوي ، ص المقدمة ص (ي — ك) مطبعة [illegible] ، بيروت ١٩٢٤ .
(٢) [illegible] الاستقلال ع ٣٢ [illegible] ١٩٢٢ ، ص [illegible] ، المجموعة الشعرية الكاملة ص [illegible] ج (٢) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٧ . وقد شرح البصير هذين البيتين بقوله :
« المقصود بالطائر الزهاوي ، وبالحب الوظيفة التي كان يشغلها وهي رئاسة لجنة تعريب القوانين عن التركية ، وبالروض : الحركة الوطنية ، وبالغناء ، رباعيات الزهاوي المعبر عن خيبة أمله في شغل وزارة المعارف بالحكومة الوطنية المؤقتة »

المصادر والمراجع

اولا : الكتب

١ — ابراهيم صالح شكر ، حياته وآثاره : عبد الحميد الرشودي ، خالد محسن اسماعيل عبد الله الجبوري ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٨.

٢ — الادب العصري في العراق العربي ح١ : رفائيل بطي ، المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٣.

٣ — رباعيات الزهاوي : مطبعة القاموس العام ، بيروت ١٩٢٤ .

٤ — الزهاوي ، دراسات ونصوص : عبد الحميد الرشودي ، بيروت ١٩٦٦ .

٥ — الزهاوي الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر : عبد الرزاق الهلالي ، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦.

٦ — الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية : عبد الرزاق الهلالي ، طباعة شركة المطابع النموذجية ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٢ .

٧ — سحر الشعر : رفائيل بطي ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٢ .

٨ — المجموعة الشعرية الكاملة : محمد مهدي البصير ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٧.

٩ — معارك العقاد الأدبية : عامر العقاد ، بيروت — صيدا ، بلا تاريخ.

ثانيا : المجلات

١ — الاديب (لبنانية) ج٢ ، مارس ، ١٩٧٣ .

٢ — الاصابة (بغداد) ع ١ ، ١٠ أيلول ، ١٩٢٦ .

٣ — البلاغ الاسبوعي (مصرية) ع ٤٦ ، ٧ أكتوبر ، ١٩٢٧ .

ع ٤٩ ، ٢٨ أكتوبر ، ١٩٢٧ .

ع ٥٧ ، ١٣ ديسمبر ، ١٩٢٧ .

ع ٨٧ ، ٢٠ يوليو ، ١٩٢٧ .

٤ — الحرية (بغداد) مج ١ — ٢ ، س ٢ ، تشرين ، ١٩٢٥ .

٥ — الرصافة (بغداد) س ١ [illegible] ، القعدة [illegible] ١٣٤٣ .

٦ — [illegible] (بغداد) ع ١ ، ١ ت١ ، ١٩٢٢ .

ع ٢ ، ١٥ ت ١ ، ١٩٢٢ .

ع ٣ ، ت ٢ ، ١٩٢٢ .

ع ٩ ، ١ شباط ، ١٩٢٣ .

٧ — لغة العرب (بغداد)
ج ٤ ، س ٦ ، ١٩٢٨ .
ج ٧ ، س ٦ ١٩٢٨ .
ج ٩ ، س ٩ ، ١٩٢٨ .
ج ١ ، س ٧ ، ١٩٢٨

ثالثاً : الجرائد

١ — الاستقلال (بغداد)
ع ١٤٩ ، ١٠ حزيران ١٩٢٣ .
ع ٢٦٧ ، س ٤ ، ٣٠ ت ١ ١٩٢٣ .
ع ٣٢٤ ، ٦ ك٢ ١٩٢٤ .
ع ٣٢٥ ، ٧ ك ٢ ١٩٢٤ .
ع ٣٢٧ ، ٩ ك٢ ١٩٢٤ .
ع ٣٣٥ ، ١٨ ك ٢ ١٩٢٤ .
ع ٥٠٨ ، ٢٨ ت٢ ١٩٢٤ .

٢ — الأمل (بغداد)
ع ٢٤ ٢٩ ت ١ ١٩٢٣ .
ع ٤٣ ٢٠ ت ٢ ١٩٢٣ .
ع ٤٥ ٢٢ ت ٢ ١٩٢٣ .
ع ٥٦ ، ٦ ك ١ ، ١٩٢٣ .
ع ٥٧ ، ٨ ك ١ ١٩٢٣ .
ع ٥٩ ، ١٠ ك ١ ١٩٢٣ .
ع ٦٠ ، ١١ ك١ ١٩٢٣ .
ع ٦٢ ، ١٣ ك ١ ١٩٢٣ .

٣ — السياسة (بغداد)
ع ١٨١ ٩ حزيران ١٩٢٥ .

٤ — السياسة الاسبوعية (مصرية)
ع ٨٥ ، ٢٢ اكتوبر ١٩٢٧ .
ع ٩٢ ، ١٠ ديسمبر ١٩٢٧ .

٥ — العاصمة (بغداد)
ع ١٧٨ — ١٩٧ ، ٥ حزيران — ٢ تموز ١٩٢٣

٦ — العالم العربي (بغداد)
ع ١٠٩٣ ت ١ ١٩٢٧ .
ع ١١٠٧ ٢٢ت ١ ١٩٢٧ .

٧ — العراق
ع ٨٨١ ٩ نيسان ١٩٢٣ .
ع ٨٨٢ ١٠ نيسان ١٩٢٣ .

ع ٨٨٣ ، ١١ نيسان ١٩٢٣ .
ع ٨٨٤ ، ١٢ نيسان ١٩٢٣ .
ع ٨٨٦ ، ١٤ نيسان ١٩٢٣ .
ع ٨٨٩ ، ١٨ نيسان ١٩٢٣ .
ع ٩٢٤ ، ٣١ آيار ١٩٢٣ .
ع ٩٢٦ ، ٢ حزيران ١٩٢٣ .
ع ٩٢٩ ، ٦ حزيران ١٩٢٣ .
ع ٩٣٨ ، ١٦ حزيران ١٩٢٣ .
ع ١٠٩٤ ، ١٩ ك١ ١٩٢٣ .
ع ١١٠٣ ، ٢٩ ك١ ١٩٢٣ .
ع ١٦٢٢ ، ٣ أيلول ١٩٢٣ .
ع ١٦٤٣ ، ١٧ أيلول ١٩٢٣ .
ع ٢٢٨٢ ، ٢٨ ت ١ ١٩٢٧ .
ع ٢٢٩٤ ، ١١ ت٢ ١٩٢٧ .
ع ٢٢٩٧ ، ١٥ ت٢ ١٩٢٧ .
ع ٢٣٠١ ، ١٨ ت٢ ١٩٢٧ .
ع ٢٣٠٤ ، ٢٣ ت ٢ ١٩٢٧ .
ع ٢٣٠٥ ، ٢٤ ت٢ ١٩٢٧ .
ع ٢٣١١ ، ٣٠ ت ٢ ١٩٢٧ .
ع ٢٣١٣ ، ٢ ك١ ١٩٢٧ .
ع ٢٣١٧ ، ٧ ك١ ١٩٢٧ .

٨ ــ مرآة العراق (بغداد)

ع ١ ، ١٧ ت ٢ ١٩٢٤ .
ع ٢ ، ٢٤ ت ٢ ١٩٢٤ .
ع ٣ ، ٨ ك١ ١٩٢٤ .

٩ ــ المفيد (بغداد)

ع ٢٩٧ ، ٨ ك١ ١٩٢٤ .
ع ٤٠٣ ، ١٩ حزيران ١٩٢٤ .
ع ٤١٧ ، ٢١ حزيران ١٩٢٤ .

١٠ ــ الناشئة الجديدة (بغداد)

ع ١ ، ٢٧ ك١ ١٩٢٢ .
ع ٢ ، ٧ ك٢ ١٩٢٣ .
ع ٤ ، ٢٢ك٢ ١٩٢٣ .
ع ٧ ، ٨ حزيران ١٩٢٣ .
ع ٨ ، ١٥ حزيران ١٩٢٣ .
ع ١٠ ، ٢ ت ٢ ١٩٢٣ .
ع ١١ ٩ ت ٢ ١٩٢٣ .
ع ١٣ ، ٢٣ ت ٢ ١٩٢٣ .
ع ١٤ ، ٣٠ ت ٢ ١٩٢٣ .
ع ١٧ ، ١٩ ك ١ ١٩٢٣ .

حسام الدين الحاجري الإربلي
حياته وشعره

الدكتور ناظم رشيد شيخو
كلية الآداب — جامعة الموصل

تمهيد :

ضعفت الدولة العباسية في أيامها الأخيرة ، ودبّ في كيانها الهزال ، وازداد الصراع بين الفئات الحاكمة خضوعاً لهوى الأطماع ، ودواعي المآرب والمنافع ، وانسلخت أراضٍ منها ، قامت عليها دول لها كيانها وملوكها وأنظمتها وجبروتها .. وتُعد الدولة الأيوبية (٥٧٠ — ٦٤٨ هـ) من أبرزها وأميزها ، لما لها من دور فعّال في الحياة العلمية من جهة ، ومجابهة الغزاة الزاحفين من الشرق والغرب من جهة أُخرى .

وكانت « إربل » في ظل أُسرة تركية تنتمي الى الأمير زين الدين علي بن بكتكين المتوفى سنة ٥٦٣ هـ ، وكان ابنه يوسف (١) الذي حكم إربل من بعده بطلاً شجاعاً ومحارباً مقداماً شارك صلاح الدين الأيوبي في محاربة الصليبيين وإيقاف زحفهم وتوفي بالقرب من عكا

(١) ينظر الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٢٢٨ .

سنة ٥٨٦ هـ ، وتسلّم أخوه مظفر الدين كُوكبوري السلطة في إربل(١) ، وهو زوج ربيعة خاتون أُخت صلاح الدين الصغرى . شهدت سوح المعارك مواقف بطولية لهُ ، ويكفيه فخراً أنه كان قائداً للجيوش الشرقية — أي جيوش الموصل والجزيرة — في معركة حطين الخالدة سنة ٥٨٣ هـ .

حكم مظفر الدين إربل حكماً عادلاً ، وعمرها ، وشيد فيها المساجد والمدارس ، وشجع الدارسين وحث العلماء والأدباء على التأليف والتصنيف ، واكرم الوافدين ، وكانوا كثيرين ، ألّف فيهم وزيره المبارك بن أحمد المشهور بابن المستوفي (ت٦٣٧هـ) كتاباً في أربعة مجلدات سمّاه « البلد الخامل ومن ورد عليه من الأماثل »(٢) ومن جملة من جاءه الحافظ أبو الخطاب ابن دحية البلنسي الأندلسي (ت ٦٣٣ هـ) وألف له كتاباً في مولد الرسول محمد — صلى الله عليه وسلم — بعنوان « التنوير في مولد السراج المنير(٣)» وأجازه عليه بألف دينار .

وكان مواطنوإربل يحبون اللغة العربية ، وينطقون بها ، وان كانت أصول الكثيرين منهم غيرعربية كما قال ياقوت الحموي الذي زارها سنة ٦١٧هـ(٤) ، وكان للأدب ، لاسيما الشعر سوق رائجة ، يحفظون روائعه ، ويترنمون به ، ويرددونه في مجالسهم ومحافلهم ، وظهر فيهم شعراء ، وصلت الينا دواوين بعضهم (٥). والحاجري الذي نحن بصدد دراسة حياته وشعره واحد من هؤلاء الشعراء البارزين ، وقد عاصر مظفر الدين أكثر من أربعين سنة .

توفي مظفر الدين سنة ٦٣٢ هـ ، ولم يترك عقباً ، فانتهى حكم الاسرة البكتكينية في اربل بعد أن خدمت لغة القرآن وخلّفت ذكراً حميداً للأجيال التي جاءت بعدها .

---

(١) صدرت دراسة عنه في سلسلة أعلام العرب ٣٢ (ط مصر ١٩٦٣) بعنوان « مظفر الدين كوكبوري أمير إربل » تأليف عبدالقادر أحمد طليمات .

(٢) وصل الينا منه الجزء الثاني فقط ، وطبع باسم « تأريخ اربل » .

(٣) وفيات الأعيان ١ : ٤٤٩ ، البداية والنهاية ١٣ : ١٣٩ .

(٤) معجم البلدان ١ : ١٣٧ وينظر تاريخ إربل ١ : ٢١٩ .

(٥) ينظر مقالنا (الشعر في اربل في ظل الأسرة البكتكينية) المنشور في مجلة آداب الرافدين : العدد التاسع لسنة ١٩٧٨ .

حياة الحاجري :

هو عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل ، ويكنّى بأبي يحيى ، وأبي الفضل (١) ، وقيل : بأبي موسى(٢) ، وشهر بلقب « الحاجري » بين قراء الأدب ، مع إنه لم يكن من بلدة حاجر ، ولكن لغرامه بذكرها كثيراً في شعره . قال صاحبه ابن الشعار الموصلي (٣) : « وعُرِف بذلك لأنه يكثر من حاجر في شعره ، وقلما تخلو له قصيدة الا ويعرض بذكره فيها » كما أورد صديقه ابن خلكان بقوله (٤) : « والحاجري هذه النسبة الى حاجر ، وكانت بليدة بالحجاز .. لم يكن الحاجري منها ، بل لكونه استعملها في شعره كثيراً ، نسب اليها وهو اربلي الأصل والمولد والمنشأ ، ولما غلبت عليه هذه النسبة ، وعرف بها ، واشتهرت بحيث صارت كالعلم عليه ، عمل في ذلك دو بيتاً ، وهو

لو كنتُ كفيتُ منْ هواكَ البينا ما باتَ يُحاكي دمع عيني عينا
لولاكَ لما ذكرتُ نجداً بفمي من أينَ أنا وحاجرٌ من أينا ؟

وذكر ذلك أيضاً في أبيات لطيفة أولها :

أيُّ طرف أحور للغزالِ الأسمرِ

وآخرها :

أيُّها الأربلي هامَ فيك الحُـر بحري »

وكان جدّه جبريل — وهو من أصل تركي — معروفاً في إربل ، وذا جاه وحرمة ، وله محلّة باسمه يقال لها « قريّة جبريل » بالتصغير(٥) . ويبدو أنه كان يعمل هو وأتباعه في الجيش لحماية المدينة ، وبقي هذا العمل في أولاده من بعده ، حتى حسام الدين الحاجري الذي قال فيه ابن الشعار الموصلي (٦) : « هو شاب من أبناء الأتراك باربل ، وقدماء أجنادهم » وقال ابن خلكان (٧) : « هو جندي من أولاد الأجناد ».

---

(١) وفيات الأعيان ٣ : [illegible] .

(٢) المجموعة المصورة ص [illegible] .

(٣) عقود الجمان لابن الشعار ٥ : ٤٠/ب .

(٤) وفيات الأعيان ٣ : [illegible] .

(٥) وفيات الأعيان ٣ : [illegible] .

(٦) عقود الجمان ٥ : [illegible] .

(٧) وفيات الأعيان ٣ : ٥٠١ .

ولد الحاجري في محلة جدّه باربل في حدود سنة ٥٨٢ للهجرة ، ونشأ في أحضان العز والمنعة ، والخير والرفعة ، وبين أسرة تحمل السلاح وتمارس الفروسية الى جانب اليراع والقرطاس .

اختلف الصبيّ الى الكتّاب ثم المدارس ، فاتقن القراءة والكتابة ، وأخذ العلم من علمائها وأدبائها المقيمين والوافدين . وكان ذكياً نابهاً . قادراً على استيعاب مايسمع ، وحفظ مايحفظ من آيات وأحاديث وأشعار وأخبار .. وبعد أن أخذ كفايته من العلوم والمعارف درّبه أبوه على حمل السلاح ، وركوب الخيل ، وضمّه الى جيش مظفر الدين ، فبلغ رتبة عالية ، ونعت بالأمير ، ولكنه بقي يحنّ الى مجالس الأدب ، ثم استعفى من الجيش ، وعاد الى ماكان يهواه ، ويرضي طموحه . ورغبت نفسه في أن يرى الموصل ويقف عن كثب على الحركة الفكرية فيها ، فارتحل اليها ، واستأنس بأجوائها ، وأخذ يتنقّلُ بين منتدياتها ومتنزهاتها ، يمتع سمعه بما يرى فيها ، من مناقشات ومطارحات . وكانت الموشحات تتردد على ألسنة شعرائها قبل غيرها من المدن العراقية ، فأحبها ، واستساغها ، ونظم على غرارها . وطال مكوثه فيها ، وحنّ الى اربل والى أحبابه وخلانه ، وكتب الى رفيق صباه ضياء الدين عيسى ، وهو أخو الأديب المشهور ابن خلكان ، رسالة ضمنها هذين البيتين (١) :

اللهُ يعلمُ ما أبقى سرى رمقٍ ... منّي فراقُكَ يامَنْ قربُهُ الأملُ
فابعثْ كتابكَ واستودعه تعزيةً ... فربما متُّ شوقاً قبل ما يصلُ

وآب الى إربل لابساً ثوب الهوى ، ينتهب اللذةَ ، ويعاقر الخمرة ، ويهتف للجمال ، ويتغنّى بكل بديع في الطبيعة ، وأشار الى ذلك في عدد من القصائد والمقطوعات ، مثل قوله (٢) :

لدواعي الهوى ، وفرط الخلاعهْ ... ألف سمعٍ لا للوقارِ وطاعهْ
بينما والصبوحُ قد رفعَ الكأ ... سَ بأيدي السقاة فينا شراعهْ
ونداماي تيمةً بشرب الخمـ ... ـر منهم فكاهةٌ وبراعهْ
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] كالصلاة جماعهْ
[illegible] ... [illegible] ساعهْ

(١) وفيات الأعيان [illegible] .
(٢) [illegible] وينظر الكشكول [illegible] .

وغــلام حلو الشمائـل قــد الــــ ـــقى على خـدّه المدام شعاعـه
يتثنّـى كالخيزرانـــة بـالـرا ح فيحيي بمقلتيـه الجماعـه
أيّ شيءٍ ألـذّ من صـوت شادٍ حسن الوجـه لا أمـلّ سماعـه
لم يـزل مغرماً بحبــك حتـى كشف الـوجـد والغـرام قنـاعه

إنّ هذا الاستخفاف ، والدعوة الى الخلاعة ، وشرب الخمرة كالصلاة جماعة ، والجهر بها كانت تزعج مظفر الدين الملك الورع التقي ، وتفتح سمعه الى مايقذف فيه بحق الشاعر من قول صادق أو ملفّق . فلما تمادى في غيّه وضلاله ومجونه شكاه الناس الى مظفر الدين ، فرمى به في سجن « خُفْتِيدْ كان » القريب من إربل تمهيداً لنقله الى سجن القلعة ، ومما يؤيد قولنا ورود الخبر الآتي في مقدمة قصيدة مدحية(١) : « قال — رحمة الله — يمدح الأمير ركن الدين أحمد بن الأمير شهاب الدين بن قرطاي باربل ، وهو الذي كان السبب في قتله ، حيث تعرضه عند مظفر الدين صاحب اربل ، وذكر أنه أخذ ولده بالشعر »

ويبدو لنا أن ابن خلكان كان يعرف تفاصيل الحادث والسبب ، ولكنه أخفاه لشيء في نفسه ، فقال (٢) : « وكنت خرجت من إربل في آواخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ، وهو معتقل بقلعتها لأمر يطول شرحه ».

وكانت أيام السجن تجربة قاسية ، ومحنة مريرة ، عصرت قلبه ، وانحلت جسمه ، ونفت الكرى عن عينيه ، وحينما طالت تلك الأيام ، وثقلت وطأتها ، نفذ صبره ، وأخذ يشدو بألحان شجيّة كما يشدو البلبل الغريد في قفصه ، وبدأ يبعث شعره الحزين الى أصدقائه علّهم يترجّون مظفر الدين في فك وثاقه واطلاق سراحه .

رق قلب مظفر الدين ، فمنّ عليه ، وأخرجه ، ولكن بثوب آخر ، ثوب المتصوفة المتعبدين الزاهدين ، وقرّبه وأكرمه ، وحباه ، واستدعاه الى مجلسه .

وبقي على هذه الحال ، خالي البال ، مطمئن النفس ، الى أن قضى مظفر الدين نحبه ، وصارت إربل بيد الخليفة المستنصر بالله ونائبه فيها الأمير شمس الدين باتكين (٣).

---

(١) الديوان ص ٥ .

(٢) وفيات الأعيان ٣ : ٢٣٥ .

(٣) باتكين بن عبدالله الرومي ، من الخلفاء الشجعان ، كان مملوكاً لفاطمة بنت الخليفة المستنجد بالله ، وخدم في الجيش ، وسلمت اليه البصرة ، ولما ملك الخليفة ، المستنصر بالله إربل سنة ٦٣٠ هـ نقله إلى اربل واتخذ نائباً عليها ، ودخلها المغول سنة ٦٣٤ هـ بعد حرب وحصار ، فغادرها إلى بغداد ، ولزم داره إلى أن توفي سنة ٦٤٠ هـ (الحوادث الجامعة ١٨ ، ١٨٣).

بدأت عند ذلك الوساوس تقلقه ، وخشي أن يعود خصومه الذين اوغروا سابقاً صدر مظفر الدين عليه الى ملاحقته والغدر به ، فارتحل الى الموصل ، ومكث غير قليل فيها حتّى غادرها الى بغداد ، ثم عاد الى اربل ليلقى الأعداء والشانئين ، يتربصون به ، ويتعقبونه ، ويشزرون نظراتهم الشزر حوله . فلزم داره ، لايبرحها الا لماماً ، وصادف أن خرج ذات يوم قبل الظهر ، فوثب عليه رجل فطعنه بسكين طعنة نجلاء ، وخلّفه مضرّجاً بدمائه ، فحمل الى داره ، وكتب في الحال الى باتكين المذكور ، وهو يكابد سكرات الموت (١) :

أشكوكَ يامالك البسيطة حالةً ... لم تبق — رُعباً — فيّ عضواً ساكناً
إنْ تستبح ابلي (لقيطة) معشر ... ممن أؤمّلُ غير جأشكَ (مازنا) (٢)
ومن العجائبِ كيف يمسي خائفاً ... من باتَ في حرم الخلافةِ آمنا ؟!

لقد كان جرحه عميقاً ، ولم ينفع معه العلاج ، ومات يوم الخميس ثاني شوال سنة ٦٣٢ للهجرة ، ودفن بمقبرة باب الميدان باربل .

آثاره :

١ — ديوان شعره :

وهو صغير جداً طبع قبل اكثر من مائة عام في اثنتين وسبعين صفحة (٣) ، ويسمى بلبل الغرام الكاشف عن لثام الانسجام (٤) صنعه عمر بن محمد بن عمر بن الحسن الدمشقي وقال في مقدمته : (٥) (ان الادب أجمل ما التحفته الهمة ، وعرفته هذه الامة ، والشعر

---

(١) وفيات الأعيان ٣ : ٤٠٥ .

(٢) يشير إلى قول الشاعر الحماسي قريط بن أنيف العنبري :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
لكن قومي ، وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

(ديوان الحماسة ص ٧٩)

(٣) له طبعتان : الأولى سنة [illegible] (طبع حجر دون ذكر مكان الطبع) والثانية بمطبعة شرف بمصر سنة [illegible] ، وله مخطوطات كثيرة في مكتبات العالم (ينظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٥ : ٨١) . وفي مكتبتي نسخة مصورة من الخزانة الملكية بالرباط رقم ٧٨٠ (٢) بخط أندلسي من القرن الثامن للهجرة .

(٤) كشف الظنون ١ : ٧٨٣ .

(٥) الديوان ص ٤ .

أعلى مراتبه ، وأجمل مذاهبه ، لتخليده محاسن المعاني ، والحاقه الخامل المنخفض بالعالي . ذهب المتقدمون بمعانيه المبتكرة ، وألفاظه المحبرة ، وعدل الاخرون الى المعاني الدقيقة، والألفاظ الرقيقة . ولما كان الأمير الأجل الأوحد العالم الفاضل حسام الدين عيسى بن سنجر بن بورام الإربلي ، المعروف بالخاجري – تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته – ممن بلغ في ذلك الغاية ، وتجاوز النهاية ، اخترت أن أجمع ديوان شعره الفاخر ، الذي سار بذكره المثل السائر ، ورتبته على سبعة فصول . وأنا أسأل الواقف عليه أن يتجاوز عن الخطأ والخطل ، ويتغاضى عن النسيان والزلل ، وبالله التوفيق وعليه المتكل . الفصل الأول في المدح والغزل . الفصل الثاني : فيما قاله وهو مسجون . الفصل الثالث : فيما قاله من المخمسات (١). الفصل الرابع : فيما قاله من المفردات . الفصل الخامس : في الهجاء . الفصل السادس : فيما قاله مراثيا . الفصل السابع : فيما قاله دوبيت) .

وواضح أن هذا الديوان هو المختار من شعره ، وهنالك مقطوعات وردت في المصادر لا وجود لها فيه .

٢ – مسارح الغزلان الخاجرية : صنعه عمر بن محمد بن عمر بن الحسن الدمشقي . المكتب الهندي بلندن ٨٦٩ رقم ٣.

٣ – قصائد متفرقة في مجموعة نزهة الناظر وشرح الخاطر : برلين ٨١٩٨ . وهنالك تخميس لقصيدة ليست في ديوانه ، برلين ٨٢٣٢ الورقة ٨٧ ، الفاتيكان ثالث ١١٢٠ ، ٣٦ .

٤ – الحجازيات في خمر البريات ، ألفها في الحج ، القاهرة ثان ٣ : ٢٧٨ (مؤرخة سنة ٧٩٠ هـ ، وهو تاريخ فيه تحريف !) .

شعره

كان الخاجري يتمتع بشاعرية فذة في التعبير عن مشاعره الذاتية ، وقابلية كبيرة في وصف أحاسيسه ومعاناة الآخرين ، وطاقة ممتازة في تصوير مظاهر الجمال في الطبيعة ، ولغة سليمة، [illegible]
أو [illegible] الانسجام [illegible] وقد تحدث ابن حجة الحموي في خزانته عن هذه الطريقة [illegible]
[illegible] حسام الدين الخاجري [illegible]

---

(١) يبدو أن هذا التقسيم غير دقيق، لأنه خلط بين المخمس والموشح في هذا الباب ، كما أنه [illegible] في الباب الأول .

(٢) خزانة الأدب ص ١٩٠ – ٢٠٠ .

بالإنسجام أن يأتي — لخلوه من العقادة — كانسجام الماء في انحداره ، ويكاد — لسهولة تركيبه، وعذوبة ألفاظه — أن يسيل رقّة . ولعمري إن طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعة، وبمحاسنه الغضّة بين الأوراق ساجعة ، وأهل الطريق الغرامية هم بدور مطالعه، ومكان مرابعه. فإنّهم ما أثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع ، اللهم إلاّ أن يأتي عفواً من غير قصد، وعلى هذا أجمع علماء البديع في حدّ هذا النوع ؛ فإنّهم قرروا أن يكون بعيداً عن التصنع ، خالياً من الأنواع البديعية ، إلاّ أن يأتي ضمن السهولة من غير قصد... ومن غراميات الحاجري في هذا الباب :

لكَ أنْ تشوقني إلى الأوطانِ ... وعليَّ أنْ أبكي بدمعٍ قانِ
إنَّ الأُولى رحلوا غداةَ المنحنى ... ملؤوا القلوبَ لواعجَ الأشجانِ
فالأبعدنَّ مع النسيمِ إليهمُ ... شكوى تميلُ لها غصونُ البانِ
نزلوا بسرامةَ قاطنينَ فلا تَسَلْ ... ما حلَّ بالأغصانِ والغزلانِ)

واستأنس بهذه الطريقة جمع غفير من الأُدباء ، وعلى رأسهم الشاعر المشهور البهاء زهير (١) الذي زار الموصل، والتقى بشعرائها ، ووقف على الحركة الأدبية فيها ، ومتّع أذنه المرهفة بشعر جميل في محافلها ومنه شعر الحاجري. وكان يوصي بالطريقة الغرامية في مجالسه، ويشجع الشعراء على سلوكها . قال ابن حجة الحموي (٢) : «اتفق أنّ الشيخ نورالدين علي بن سعيد الأندلسي (٣)، الأديب المشهور ، لما ورد إلى هذه الديار — أي الشام — اجتمع بالصاحب بهاءالدين زهير، وتطفّل على موائد طريقته الغرامية ، وسأله الإرشاد إلى سلوكها، فقال له: طالعْ ديواني الحاجري والتلعفري (٤)، وأكثر المطالعة

(١) هو أبو الفضل زهير بن محمد بن علي ، الكاتب الشاعر المشهور المعروف بالبهاء زهير . ولد بوادي نخلة قرب مكة سنة ٥٨١ هـ وربي بصعيد مصر بقوص ، وبرع في النظم والنثر، وكانت له صلة وثيقة بالملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر ، وتوفي سنة ٦٥٦هـ (وفيات الأعيان ٢ : ٣٣٢ ، النجوم الزاهرة ٧ : ٦٢) .
(٢) خزانة الأدب للحموي ص [illegible] ، [illegible] أنوار الربيع [illegible] .
(٣) هو نور الدين علي بن موسى بن سعيد المغربي ، ولد في غرناطة سنة ٦١٠ هـ ، وكان شاعراً أديباً ، من آثاره المغرب في حلى المغرب ، والمشرق في أخبار المشرق ، والغصون اليانعة، والمرقصات والمطربات ، توفي بتونس سنة ٦٨٥ هـ (مقدمة المغرب في حلى المغرب ١ : ٥ — ٤)
(٤) هو الشاعر محمد بن يوسف التلعفري ، ولد بالموصل سنة ٥٩٣ هـ ، وتوفي بحلب وقيل في نصيبين سنة ٦٧٥ هـ (فوات الوفيات ٤ : ٦٢ ذيل مرآة الزمان ٢ : ٢٧٨).

فيهما، وراجعني بعد ذلك، فغاب عنه مدّة، وأكثر من مطالعة الديوانين إلى أن حفظ غالبهما، ثم اجتمع به بعد ذلك، وتذاكر في الغراميات». وهكذا انتشر شعر الحاجري في حياته وبعد مماته . وكان للأُدباء الذين انتجعوا إربل دور بارز في نقله إلى آفاق بعيدة أمثال: جمال الدين ابن الدُّبيثي (ت ٦٢٦) وشرف الدين ابن عنين (ت ٦٣٠) وعزالدين أبي رواحة الأنصاري (ت ٦٤٦) وعلي بن محمد بن الرضا الموسوي الطوسي المعروف بدميرخان (ت ٦٥٥) والملك الناصر داود بن عيسى الأيوبي (ت ٦٥٦) ويوسف بن عبدالرحمن المعروف بابن الجوزي (ت ٦٥٦) وشرف الدين ابن أبي عصرون (ت ٦٥٨) وسواهم.

واستهوت أشعار الحاجري مؤلفي كتب الأدب والتراجم، فقال أحدهم (١): « الشاعر المفلق، صاحب الديوان المشهور»، وقال آخر (٢): «وكان أديباً فاضلاً ظريفاً فصيحاً، وله ديوان شعر مشهور، يغلب على شعره الرقة والإنسجام» .

نظم الحاجري في قوالب مختلفة، تتمثل – كما هي في الديوان المطبوع – في القصيد، والموشح، والمسمّط، والمخمّس، والدوبيت، وقد أجاد فيها جميعاً، كما ساهم في فنين من الفنون الشعرية غير المعربة، هما المواليا وكان وكان.

وقد عبر بقصائده عن خوالج نفسه وهواجسها، ونظرته إلى الحياة، واستأثرت بالجزء الأكبر من ديوانه. سلك في الجزء الأكبر منها الاتجاه المحافظ، وهو العودة إلى منابع الشعر العربي الأصيل، والحفاظ على منهج القصيدة بناء ولغة وموسيقى. ويتمثل هذا الشعر في عدّة أغراض، أبرزها المديح، والغزل، ووصف الخمرة، والغربة والحنين، والهجاء .

وكان الحاجري أبيّ النفس، تمنعه نفسه أن يتكسّب بالشعر، ويتأبّى عن الوقوف على الأبواب، ولم يجعل مدائحه إلا قربة من أولي الحكام والقائمين على السلطة، وما قصيدته في [illegible] — [illegible] — إلا شاهد على ذلك، فتراه يطرزها بنسيب رقيق، فضلاً عن رقة أحاسيسه، يشكو فيه الظاعنين — على عادة المتيمين — الذين خلفوا في قلبه جذوة نار حرقة (٣) :

---

(١) العسجد المسبوك ص ٤٩٨ .

(٢) النجوم الزاهرة ٦ : ٢٨٧ ، [illegible] والنهاية ١٣ : ١٠٤ ، شذرات الذهب ٥ : ١٠٤ .

(٣) الديوان ص ٥

ما للدموع تسيلُ سيلَ الوادي   أحدى بركب العامرية حادي
نعم استقلوا ظاعنين وخلّفوا   ناراً لها في القلب قدحُ زنادِ

ويذكر مواقع حجازية — وهذا دكده في كثير من شعره — تسكنها الحبيبة الراحلة، ويشرّق إليها، ويتمنى أن يراها، ويحظى بلقياها. ولكن هيهات ذلك، فما له سبيل إليها سوى التحية:

يا سائقَ الوجناء غير مقصّرٍ   يطوي المفاوزَ من ربىً ووهادِ
مالي إليك سوى التحيةِ حاجةٌ   تلقى سعادَ بها ودارَ سعادِ
إلّا صبٌّ بالعراقِ متيّمٌ   ظامٍ إلى ماء المحصّبِ صادي!
يشتاقُ من بغداد بانَ طُويلعٍ   هيهاتَ، أينَ البانُ من بغدادِ؟!

وما أجمل الوطن! وما أعزه! وما أحلى البلد الذي قضى فيه المرء زهرة شبابه، فهو ضنين به لا يُفرّط به مهما لقي فيه من تعب ومشقة، ولا يستطيع أن يعتاض به منزلاً آخر ولو كانت فيه الحبيبة الفاتنة.

كلُّ المنازل والبلاد عزيزةٌ   عندي، ولا كمواطني وبلادي

إنه تشبث بمدينته إربل التي تعلّق بها، ولم يبارحها كما بارحها الشعراء الآخرون طمعاً في المال والجاه. ونراه يتظلّم من سهام الزمان، وصروف الأيام، ومعاكسة الظروف في هذه المدينة:

مالي وللأيام [illegible] صروفها   أبداً تُلاحظني بعين عنادِ
لا مسعدٌ يرجى، ولا متوجعٌ   نشكي إليه حرارة الأكبادِ
[illegible] أن أنيقَ بإربل   [illegible] وركن الدين رحب النادي

ويتخلّص إلى ذكر الممدوح بعد شطرين بيت، ويتغنى بأعماله وأفضاله، ويباهي [illegible]، [illegible] [illegible] الأنداد، لا سيما في [illegible] شجاعته وفروسيته، وعموم [illegible] [illegible] [illegible] ذكائه، [illegible] [illegible]:

[illegible] [illegible] [illegible] كانت   أيامه، والأيام كالأعيادِ
[illegible] أسمرُ [illegible] والمال أكـ   ـرمُ واهبٍ والعلم أوضحُ هادِ

[illegible] أراد أن يكون [illegible] ممدوحه، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible] له [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في المنزل الأول الذي درج فيه، وشب في رحابه.

فها هو ذا يتحدّث عن نفسه وما يترجاه من ممدوحه:

هجر الهجير مهاجراً عن أرضه ... يدنو له واد ويبعد وادي
يبغي الكرامَ الغرَّ أربابَ العلى ... المحسنينَ المطعمينَ الزادِ
عرِّج بأحمد تلقَ عزّاً باذخاً ... وبلوغَ آمالٍ ونيلَ مرادِ

لم تحرك القصيدة أريحية الممدوح، ولم تفتح مغاليق نفسه، وبقي ناقماً عليه، غاضباً على سلوكه السابق.

ومن الغريب حقاً أن لا نرى في ديوان شاعرنا مدحاً في مظفرالدين كوكبوري ملك إربل مع إنه برز في عصره، وعاش في ظلال دولته، وكان وثيق الصلة به، ولم نستطع أن نقف على دليل قاطع، ولعل الأيام تكشف سرّ ذلك في تراثنا المخطوط.

وشاعرية الحاجري في الحبّ والغزل فياضة، ترفدها عاطفة صادقة، وخيال خصب، سواء كان ذلك في المؤنث أم في المذكر ، وميدان هذا الحب في الجزء الأكبر من شعره الديار الحجازية،فنراه يذكر — على طريقة الشريف الرضي في حجازياته، وأبي المظفر الأبيوردي في نجدياته — ملاعب عالج ، ورمال كاظمة، وأكناف زرود والعذيب وحاجر، ومرابع رضوى والعقيق ، وفاتنة التي تسكن هذه المرابع غالباً ما تكون قاسية القلب، مخلفة المواعيد، ومتقلبة المزاج، كما نرى في الأبيات الآتية التي تفيض بالرقة المشوبة بالحنين والوله (١) :

يشتاقُ قلبي إلى نجدٍ وتطربُهُ ... نسيمُ نجدٍ اذا ما هبَّ خفّاقا
يا برقُ، هل ربّةُ الخالين ذاكرةٌ ... بذات البان لنا عهداً وميثاقا
واوحشةً للديار دونَ كاظمةٍ ... كلُّ [illegible] بعدهم فراقا
قالتْ: فتنتَ بنا وجداً، فقلتُ لها: ... كم قد فتنتِ — وحاشا اللهُ — عشّاقا
وبلاه من عذبة الأكناف [illegible] ... [illegible]

والخيبة، مع إخلافها وصدودها، ثابتة عنده، عزيزة عليه، لا يمل منها، ولا ينساها، ولا يستطيع أن يبعد صورتها التي طبعت في قلبه عن ذاكرته ، لأنه ألفها كما يألف الوليد الرضاع، ويحنّ إليها حنين [illegible] إلى مراتع صباه (٢) :

أألفك إلفةَ الوليدِ الرضاعَ ... وقد يرفضُ المرضعةَ الفطامُ
[illegible] ... [illegible]

---

(١) الديوان ص ٢٥.
(٢) الديوان ص ٥٥.

وأحنو إليكِ حنينَ النياقِ — لهنَّ بأكنافِ نجدٍ غرامُ

ويبقى الحاجري متعلقاً بالحبيبة ، مشدوداً إليها ، متمنياً قربها ، ومتأملاً عودتها إلى أحضانه ، ليستمتع بأنفاسها العطرة ، ومباهج محاسنها النضرة . فهي عنده أنقع من الماء القراح ، وأطيب من كلِّ لذّةٍ ومراح . وحبّه لها دائم بلا انقطاع ، ووثيق بلا انفصام ، مهما كلفه ذلك من أذى وضنى وسقام (١)

سليمى ، وإن لم أقضِ منها مآربا — أعزُّ على قلبي خليلاً وصاحبا
وانقعُ لي من باردِ الماء غلّةً — وأشهى من الدنيا لقلبي مراتبا
وأخافُ عليها من عيونِ وشاتها — وأصدُّ عنها حينَ تقبلُ جانبا
وأقسمُ لو أنَّ المنايا بكفِّها — كؤوسٌ ، وأسقاها ، لطابت مشاربا
أأطلب من سليمى بديلاً وابتغي — سلواً ، ألا لانلتُ قصدي طالبا ؟

ويشكو الحاجري من داء العشق الذي ابتلي به ، وأنحل جسمه ، وقرّح مآقيه ، وأذهب عقله ، وجعله يفوق مجنون بني عامر الذي اصيب بداء الهوى ، واكتوى بنار الجوى ، بعد حبّه لليلى(٢) :

آهِ من داءٍ بقلبي — مالهُ الدهرَ سكونُ
كلما اشتقتُ إليها — فاضَ من دمعي عيونُ
مالقي مجنونُ ليلى — بعضَ مالاقيتُ جنونُ
عشقَ الناسُ ، ولكن — مثلُ عشقي لايكونُ

ويستعذب الحاجري قسوة الحبيبة ونواها ، ويستطيب مرّها وأذاها ، ولايبالي بلوم اللائم وتقريعه ، ولايلتفت الى تأنيب العاذل وعتابه مادام يأخذ من حياته مايريد (٣) :

[illegible] — ما أنتَ للعشقِ أهلُ
أما علمتَ بأنَّ الـ — مشتاقِ ليس يحولُ
إليكَ عني فعندي — من الملامةِ شغلُ
[illegible]
[illegible]

(١) الديوان ص [illegible]
(٢) الديوان ص ٤٤ .
(٣) الديوان ص [illegible] .

إنّ لوم العاذل ، وتجني الرقيب والكاشح والواشي ليس . بجديد ، فكثيراً ماسمعناه من شعرائنا الغزليين والعشاق ، ولكن الحاجري يفرط في ذكرهم ، ويزيد من محاورتهم ومحاججتهم ، ويتخذهم وسيلة لبيان صورة المحبوب ، وحسن قوامه ، ولطافة تثنيه ، واظهار شدّة هيامه به ، وكثرة حنينه اليه ، وزيادة إقباله عليه (١):

ياعاذلي ، أين سمعي منك والعذلُ … أسلوه ، كلا ، وطرفٌ زانَهُ الكحلُ ؟

إن هِمتُ وجداً فما قلبي بأول مَنْ … أودتْ به الوجناتُ الحمرُ والمقلُ

حدّثْ بذكر صباباتي فلا عجبٌ … أنا الذي بغرامي يضرب المثلُ

يمشي فتفصلُ بالعشّاقِ قامتُهُ … مالبس تفعلهُ العسّالةُ الذُّبلُ

أزرى على الظبي جيداً وهو ملتفتٌ … وأخجل الغصن قداً وهو معتدلُ

يدنو فيرحبُ بي سمُّ الخياط كما … يضيقُ بي حينَ ينأى السهلُ والجبلُ

إن هذا النمط من الشعر المتسم بحسن العرض ، وجمال النسج ، وسهولة المأخذ ، شاع في القرن السابع للهجرة ، وعرف — كما مرّت القول — بالطريقة البهائية ، وكان الحاجري أحد أعمدتها ، فاذا قال :

يا جنّتي ونـاري … ومحنتي وسؤلي

من ذا يطيقُ صبراً … عن وجهكَ الجميلِ

حاشاكَ من سهادي … وليلي الطويلِ

فإن هذا القول — وأمثاله كثير في ديوانه — ليس بمبتكر ، وانما وزنه الراقص ، ومعناه السهل وعفته ، وبعده عن الفحش والبذاءة هو الذي حببه وزينه في قلوب قراء الأدب .

أما خمريات الحاجري فلم تكن منفصلة عن نسيبه وغزله ، وهو يعدُّ من رواد الفلسفة الخيامية (٢) ، التي شاعت في عصره (٣) . وكانت تدعو الى ارتشاف الخمرة ، والتمتع بملذات الحياة قبل فوات الأوان (٤) :

---

(١) الديوان ص [illegible] .

(٢) عمر بن ابراهيم الخيام [illegible] وصف في رباعياته الخمرة بأوصاف دقيقة ، وحض الناس على شربها ، وهي عنده الوسيلة الوحيدة في النجاة من آلام الحياة (عمر الخيام ص [illegible]) .

(٣) [illegible] الأدب في بلاد الشام ص [illegible] .

(٤) الديوان ص [illegible] .

فإذا أمكنتك فرصةُ صفوٍ ... فاقتدحْ من زنادها بشهاب
وتغنّمْ صفو الزمانِ فإنّ الـ ... عمرَ إنْ طالَ لمعةٌ من سرابِ

وسلكَ في هذا اللون من الشعر مسلك زعيم الخمرة أبي نواس ، حيث أنكر الوقوف على الاطلال الدارسة ، والربوع الطامسة . واستهجن البكاء بين عراص الظاعنين ، وذرف الدموع على نؤي وأحجار النازحين، ودعا الى التغني بالخمرة ، والإقبال عليها ، وشربها جهراً وبلا خوف (١):

ما العيش أن يبدو براَمة بارقٌ ... ويزورُ طيفٌ من تهامةَ طارقُ
كلا ، ولا اللذاتُ ربعٌ دارسٌ ... ولّى بساكنه ، وجدَ السائقُ
العيشُ صافيةٌ كأنّ شعاعها ... قبسٌ توقّدَ فاستنارَ الغاسقُ
ثم فاسقني من خمرةٍ ما خامرتْ ... قلباً وعاق اللهو عنه عائقُ
عذراءَ ما افترعتْ بمراحةِ شاربٍ ... مذ حيثُ كانت فهي بكر عاتقُ

ومن مستلزمات الخمرة– كما يرى النراجي(٢)– أن يكون ساقيها « بديع الجمال ، زائداً في الظرف والدلال ». وقد اختار الحاجري ساقيه من هذا النوع ، فهو رقيق ، كريم المحيا ، عذب الشمائل ، له خدّ أسيل ، وطرف كحيل ، وخصر نحيل ، تخاله حين يمجر الخيزرانة في اهتزازها وترنحها (٣):

لأطيبُ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بسقطِ اللّوى دارٌ بشرقي إربلِ
تدافعُ الندامي عنده درقشف كأسه ... (نسيم الصَّبا جاءت بريا القرنفلِ (٤))
ألا لا أراكَ الله صحباً بمعرضه ... (يقولون لا تهلك أسىً وتجمّلِ (٥))
ولازال ندماني يطرحُ عليهم ... إذا الكأسُ دارتْ بوجه المتهلل
فما العيشُ إلاّ بين صافٍ وصافيةٍ ... مع الراح لا بين الدخول فحوملِ

إنها دعوة صريحة الى نبذ الزهادة ، والاستمتاع بلذة المدام ، في دور اللهو والمرح ، والطرب والفرح وهو– في نظره– أطيب من ذكرى حبيب ومنزل ، ... [illegible]

(١) الديوان ص ٢٨ .
(٢) [illegible]
(٣) الديوان ص٤٤ .
(٤ ، ٥) تضمين من [illegible] .

ومجلس الحاجري الذي تدار فيه الكؤوس المترعة غالباً مايكون بعيداً عن صخب المدينة وضوضائها ، في أحضان الطبيعة الساحرة ، بين أشجار وارفة الظلال ، ورياض محفوفة بأنواع الأزهار ، وخمائل تتجاوب فيها الأطيار ، وربى تهبُّ عليها نسائم عليلة ، ومروج تجري فيها مياه عذبة رائقة (١):

لا ، والربيعِ النضيرِ ... وزهرِهِ المستنيرِ
مِن نرجسٍ وأقاحٍ ... كأعينٍ ونحورِ
ومن شقيقٍ كحسنا ... قد أقبلتْ في حريرِ
وياسمينٍ كلونِ الـ ... ـمتيمِ المهجورِ
ونسرينٍ كنجومٍ ... أشرقنَ في ديجورِ
وطيبِ نشرِ نسيمِ الـ ... ـبنفسجِ المعطورِ
والطيرُ بين هديلٍ ... مرجَّعٍ وهديرِ
والغصنُ يمالُ عطفاً ... كشاربٍ مخمورِ
والوردُ قد جازَ حسناً ... في جيشِهِ المنصورِ
والماءُ أزرقُ صافٍ ... مرقرقٍ بخريرِ
لأذهبنَّ حياتي ... ما بين بمٍّ وزيرِ
راضعين سكارى ... على ارتشافِ الخمورِ

وكانت الديارات منتشرة في أماكن كثيرة من العراق وديار الشام ، وكان الشعراء اللاهون يكثرون من ارتيادها ، والتردُّد عليها ، والمكوث فيها ، حيث يجدون كلّ ماتتوق اليه نفوسهم من خمورها الجيدة المعتقة ، ويعقدون مجالس لهوهم ومجونهم في حرية تامة ، واستهتار صريح ، ومن ثم لهجت ألسنتهم بذكرها ، وكثر شعرهم حول مايقضونه من أوقات لهوهم ومجونهم »(٢) . والحاجري أحد الشعراء المشاركين في ذكر الديارات ، ونظم الشعر فيها ، لاسيما دير بالرحبة (٣)، من ذلك قوله (٤):

---

(١) الديوان ص ١٤ .
(٢) [illegible] ، حياته وشعره ، ص [illegible] .
(٣) لم أقف على تعريف هذا الدير في مصادري المعتمدة .
(٤) الديوان ص ١٣ .

يـاديـرَ يـاقـوتَ بـالرهابيـنِ بفضـلِ ماجاءَ في الشعانيـنِ (١)
حيـث كؤوسُ المـدام دائـرةٌ والبـدرُ في الأُفقِ شبهُ عرجـونِ
والراحُ في كأسهـا مشعشـعةٌ كالشمسِ في بهجـةٍ وتلـويـنِ
يُـديـرهـا أهيـفٌ شمائلـهُ بـلا ارتياب ، أرقُّ مـن ديـنـي
كالبـدر في الحسن والغزالة في اللحـظِ وغصـنِ الأراكِ في الليـنِ

لقد نحا الحاجري – كما شاهدنا – منحى أبي نواس في صياغة شعره الخمري ، واقتفى أثره في نعت المجالس الصاخبة ، والكؤوس والأباريق ، والسقاة والندماء ، والأجواء الخلابة ، ومظاهر الطبيعة الجذابة. كما أشبهه في تقديسها وبدء القصائد بها بدلاً من الوقوف على الأطلال وبكاء الديار .

وتمردُ الحاجري على العرف والأخلاق والدين – كما هو الحال عند أبي نواس – كان العامل الرئيس في دخوله السجن بعيداً عن مراتع شبابه وملاهي صباه ، ومعزولاً عن أهله وأصدقائه ، وعن مجالس أنسه ولهوه ، ومنشداً شعراً جميلاً عذباً ، دافق الوجدان في الحنين والرجاء والاستعطاف والتحسر .

لقد صهرت نائبة السجن نفسه ، وفجرت عيوناً من الشعر تتجلى فيها الرقة والصفاء وعمق التجربة ، مثل قوله الذي يثير الاشفاق (٢):

قيدٌ أكابدُهُ ، وسجنٌ ضيِّقٌ يـاربِّ شابَ من الهمـومِ المفـرقُ
إنْ لم يكن فـرجٌ ، فموتٌ عاجلٌ إنَّ الحمـامَ من الرزايـا أرفـقُ
قـلَّ الصديقُ أخو الوفاءِ وأعوزَ الـ ـخـلُّ الشفوقُ ، وأيـنَ خلٌّ مشفقُ ؟
يابرقُ إن جـزتَ الديار بـإربـلٍ وعـلا عليكَ من التداني رونـقُ
قلْ ، ياجعلتُ لكَ الفداء أسيركم من كـلِّ مشتاقٍ إليكـم أشـوقُ
كيف السبيلُ إلى اللقاءِ ودونكـم صحـراءُ شاهقـةٌ وبـابٌ مغلـقُ
من لي بحـاملِ تحيـةٍ مودعـةٍ شكـرى برقٌ ذا العدو المحنـقُ

(١) الشعانين : وقيل السعانين ، وهما سواء . وعرف الشعانين في المؤلفات العربية القديمة بالسباسب ، جاء في المخصص ١٣ : ١٠١ وتاج العروس ١ : ٢٩٣ (إن يوم السباسب عيد للنصارى ، ويسمونه يوم السعانين ، ويقال شعانين). والشعانين عند النصارى عيد يقع في يوم الأحد الذي يسبق عيد الفصح من كل سنة (الديارات ص [illegible] حاشية ١) .
(٢) الديوان ص ٩٥ .

أطلق الشاعر المغني هذه الأبيات من قرارة سجنه الضيق ، يصف فيها – وهو في ذلّ الإسر – شوقه الى خلانه ، وحنينه الى اخوانه ، ويبعث لهم تحياته الحارة المقرونة بالآهات والحسرات على واقعه المشين ووضعه المهين .

وحينما زادت آلام المحنة ، وتعاقبت صروف الليالي المدلهمة ، وتكاثرت وساوس الوحشة وأضناه الحنين والشوق الى أهله ، أخذ يئن أنين الملسوعين ، ويبكي بكاء المفجوعين ، ويندب حظه العاثر ، ويترحّم على نفسه الخائبة ، ويطلق ترانيم مشوبة بالحزن والأسى (١).

وارحمتا لعزيزٍ   في السجن أضحى ذليلا
حليف وجدٍ يعاني   أسراً وقيداً ثقيلا
مُبتلى ببين حبيب   لم يلقَ عنه بديلا
ياإخوتي اليومَ حقاً   يفدي الخليلُ خليلا
من يتعبن بقلبي الـ   محزون صبراً جميلا
آهاً ، فلو ست وجداً   كان المباشُ قليلا

ويُعرّض الحاجري – خلال تشكّيه – بأولئك الذين كانوا سبباً في بليته ، ويسميهم بأولاد الزرزاري (٢) :

مَن لمرعوبٍ طليقِ الـ   دمعِ مأسور الجنانِ
دائم الحزنِ فريدٍ   في أعالي خفتيانِ (٣)
حكمت فينا بما تخـ   تار أولادُ الزرزاري

إن كيد الخصوم ووشاياتهم ، وسعيهم الحثيث للانتقام منه أبشع انتقام كان – كما يبدو في شعره – وراء حبسه وتعذيبه الجسماني والنفساني . ونراه يلتفت الى مليكه مظفر الدين محاولاً أن يكسب ودّه ، ويحظى بعطفه ، وينال رضاه ، ويرجوه الى أن يبقى حياته حراً طليقاً في أجواء مدينته (٤) :

قد آن أشكو اليك وننصفا   ولأنت أجدر أن ترقّ وتعطفا
[illegible]   [illegible]
بلغ الوشاة مناهم في السعي بي   ونقد [illegible] زوراً إليك مزخرفا

(١) الديوان ص [illegible]
(٢) الديوان ص ٦١ .
(٣) خفتيان : قصبة [illegible] كانت القلعة [illegible] القريبة من [illegible] التي فيها السجن .
(٤) الديوان ص ٥٨

ولما لم يُصغِ مظفر الدين بسمعه اليه ، وأبطأ في فك وثاقه ، بعث الحاجري اليه قصيدة ، التمس فيها الالتفات اليه ، والرأفة بحاله ، وذكره بسالف صحبته ، منها قوله (١) :

إني لأعجبُ من إبطاءِ عطفِكَ بي ... وأنت لي وعليَّ الخصمُ والحكمُ
في ظلِّ بابكَ أفنيتُ الصِّبا مرحاً ... فحاش لله أنْ تشقى بكَ الهِدَمُ
وأنتَ ألبستني الحسنى مخوَّلةً ... إذا انقضتْ نعمٌ منها أتتْ نعمُ
وأنتَ أنبتَّ عودي في رياض مُنىً ... نوّارها بثمار الغيد مبتسمُ
فإنْ قتلتَ فعبدٌ أنتَ مالكُهُ ... وإنْ مننتَ فتلك العادُ والشِّيمُ

واذا حظي الحاجري أخيراً بالعفو والصفح من مليكه والخروج من معتقله ، فإنه لم يحظ بعطف الناس جميعاً ، لاسيما أولئك الذين هجاهم ، وسخر منهم ، وأزرى بهم .

أما أهاجي الحاجري فكانت تتسم بالضحالة ، وتفتقر الى التأمل الدقيق والخيال الخصب الذي لمسناه في أغراضه الأُخرى ، ومثال ذلك قوله في هجاء الأمير ركن الدين أحمد (٢) :

زبالةَ ، لا لشرٍّ أنتَ ممنْ ... يرجيه الصديق ولا لخيرِ
لقد صدقَ الذي قد قال قدماً ... (فغضِّ الطرفَ إنك من نميرِ)(٣)

إن لفظة « زبالة» ثقيلة ، يرفضها الذوق السليم ، وتمجها الأُذن الموسيقية . ومن أهاجيه في طبيب يعرف بـ « ابن شمعون » قوله (٤) :

حذار طب ابن شمعون فقد حلفت ... أن لا تفارق جسماً زاره العللُ
ما جسَّ نبضَ فتىً إلاّ وأنشده ... (ودِّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ) (٥)

واستساغ الحاجري فن التوشيح الذي انتقل من الاندلس الى المشرق في نهاية القرن الخامس للهجرة . وتعد الاسكندرية السباقة في استقباله (٦) ، وظهر فيها وشاحون ماهرون مثل

(١) الديوان ص ٦١ .
(٢) الديوان ص ٦٨ .
(٣) صدر بيت لجرير في هجاء الراعي النميري ، وعجزه : فلا كعباً بلغت ولا كلابا (ديوان جرير ص ٧٥) .
(٤) الديوان ص ٦٩ .
(٥) صدر بيت للأعشى ميمون بن قيس ، وعجزه : وهل تطيق وداعاً أيها الرجل (شرح القصائد العشر للتبريزي ص ٤٨١) .
(٦) ينظر نشأة فن التوشيح بالمشرق ، بحث للدكتور محمد زكريا عناني (مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة . العدد الثاني لسنة ١٣٩٦ / ١٣٩٧ هـ ص ٢٢٠ - ٢٥١) .

ظافر الحداد (ت ٥٢٩ هـ) وابن قلاقس (ت ٥٦٧ هـ). وكانت الموصل التي زارها الحاجري غير مرّة من أوائل المدن العراقية التي رغبت في هذا الفن، ومالت إليه، ورددته في مجالسها ومحافلها، وبرز فيها عدد من الوشاحين، وصلت إلينا موشحاتهم، وهي لاتقل في جودتها وجمال صياغتها، واحكام بنائها، عن الموشحات الأندلسية، مثل ابن الدهان الموصلي (١) (ت ٥٨١هـ) وأبي الفتح عثمان البلطي(٢) (ت ٥٩٩هـ). ويُعد الحاجري أول الشعراء الإربليين في هذا الفن الوافد، وموشحته المثبته في ديوانه سهلة الاسلوب جميلة الديباجة، تتألق بذلك الجرس المرن في الوزن والقافية في كلّ دور من أدوارها قال في أولها (٣):

سلامٌ على أهلِ تلك الخيامْ
فهم سؤلُ سؤلي وأقصى المرامْ
بحقِّ الهوى يانسيمَ الخزامْ
على رسمِ دارهم عَرِّج وحيّ لنا ربّةَ الهودج
ألا ياحمام اللوى والعقيق
إلى كم من النوح ما تستفيق
أظنك مثلي جفاك الصديق
فبالله غنّي بصوت شجي سليمى رجائي الذي أرتجي

وهكذا اتسمت عباراتها بالتدفق واليسر، والبعد عن التكلف والتلاعب اللفظي، وخلت من الألفاظ العامية والسخف ـ كما هو المتبع (٤) ـ في القفل الأخير المعروف بالخرجة:

حلفت بمَنْ حجّ لم اعتمر
وطافَ وفازَ بلثمِ الحجر
ومن كان بالبيتِ يتلو السُّور

---

(١) قال محقق ديوانه: «هو أول شاعر مشرقي عراقي نظم الموشحات حسب استقرائنا الشعر العربي في المشرق، وحسب ماتوصل اليه البحث (ديوان ابن الدهان الموصلي ص ٢٧٠). وينظر الموشحات العراقية للدكتور رضا محسن القريشي ص ١٣٥.

(٢) ينظر مقالنا (أبو الفتح البلطي الموصلي) مجلة الجامعة، العدد التاسع ١٩٧٨.

(٣) الديوان ص ٦٣.

(٤) قال ابن سناء الملك: والخرجة عبارة عن القفل الأخير من الموشح، والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن ... ويحسن ان تكون معربة (دار الطراز في عمل الموشحات ص ٤٠).

لأنت رجائي الذي أرتجي وبغيةُ قلبِ الكئيب الشجي

وللحاجري مسمطة (١) واحدة في ديوانه ، وهي ظريفة المعنى ، سهلة المبنى ، حلوة الايقاع ، خفيفة على الأسماع ، تتألف من سبعة أدوار ، كل دور يتركب من أربعة أشطر ، تتفق كلها في القافية ماعدا الشطر الأخير الذي يوافق عمود المسمط الذي التزم فيه حرف الهمزة ، نذكر منها الأدوار الثلاثة الاولى (٢) :

لولا تجنّي مَنْ قد هجرني
ما كنت أعني الى قضاءِ

** ** **

أسمر بشامه له علامه
منذ حلَّ رامه ضاعفَ بلائي

** ** **

الخدُّ تركي والخالُ مسكي
والوجهُ يحكي بدرَ السماءِ

كذلك الشأن في المخمسات التي خصّصَ جامع ديوانه الباب الثالث لها ، وتتكون من أدوار ، يتألف كلّ منها من خمسة أشطر ، الأربعة الأولى منها متحدة القافية التي تختلف من دور الى دور ، أما الشطر الخامس فهو بقافية ثابتة دائماً (٣) ، كما في المخمسة الآتية التي يتشوّق فيها الى أحبابه الذين شدّوا رحالهم ، وأبعدوا مرماهم وتركوه أسير دموعه وحبيس شجونه (٤):

هاتيكَ دارهمُ ، رويدكَ بالسُّرى حتى أعفر وجنتي فوق الثرى
ياحادي الأضعان ، ويلكَ أما ترى كتبت دموعي فوق خدّي أسطرا

(١) الشعر المسمط : قصائد نظمت بطريقة خاصة تدور حول قطب واحد يسمى (عمود المسمط) ومعنى ذلك أن القصيدة تتألف من (أدوار) وكل دور يتركب من أربعة أشطر أو أكثر تتفق كلها في القافية ماعدا الشطر الأخير الذي يجب أن يوافق دائماً قافية العمود ذي القافية الثابتة التي بدا بها الشاعر غالباً (معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول ص ١٢٧).

(٢) الديوان ص ٥٨ .

(٣) ينظر علم القافية ص ٧٦ .

(٤) الديوان ص ٦١ .

مـــن بعـد أمـاجــرتْ نجيعــاً أحمـرا

ما كان أطيبَ عيشنـا بالأبـرق   ويد الفراق بوصلنا لم تعلـق !
واحـر قلبي بعدهم وتـشـوّقي   أفما يساعدني الزمـانُ وتلتقـي
عيني بهـم وتلـذّ منهم منظـــرا ؟

والله ماحدلتُ عنهـم خاطري   بليـاليـا سلفت لنا في حاجـر
إلاّ وقرّحـت الـدموعُ محاجري   واذا صرفت الى سواهـم ناظـري
جـذب الغـرام عنـان طرفي مـزورا

لمـا وقفت على عـراص المربـع   أبكـي وأسـألُ عنهـم بتفجـع
نادت حميمتـه بقلب موجـع   رحلـوا عن الأوطان بعد تجمـع
عنهـم وأضحى الـربع منهـم مقفـرا

أما الدوبيت ، أو الرباعي ، فهو قالب شعري طارىء (١) ، رغب فيه الشعراء ، ومالوا اليه ، لاسيما في القرن السابع للهجرة (٢). وهو يتكون من بيتين يصلحان للخاطرة القصيرة والنادرة الظريفة ، والمداعبة الخفيفة . وكان الحاجري معجباً به ، قال ابن خلكان : «وأنشدني أكثر دوبيتاته ، فمن ذلك قوله ، قال لي : مايعجبني فيما عملته مثل هذا الدوبيت ، وهو آخر شيء عملته الى الآن ، وهو :

حيا وسقى الحمى سحابٌ هامي   ما كان ألذّ عامَهُ من عـام
يا علوة ماذكرتُ أيامكـم   إلا وتفلّمتُ علـى الأيـام (٣)

ومن طريف ماله في وصف الطيف قوله(٤) :

طيفٌ لك زارني جميل الوصف   قد صارَ لكثرة العناق إلفي
ما أسعدني — وقد تمتعت به —   لو صحّ عليّ نوم أهل الكهف !

---

(١) الدوبيت : كلمة فارسية معناها « بيتان » ، وقد سماه العرب باسم « الرباعي » لكونه مؤلفاً من أربعة مصاريع . وله وزن خاص وهو (فعلن – متفاعلن – فعولن – فعلن) مكررة مرتين (ينظر علم القافية ص ٧٧ ، وفي العروض العربي الآخر مصطفى جواد : ٢٩٦).
(٢) ينظر ديوان الدوبيت للشيبي ص ٧٢ – ٧٨.
(٣) وفيات الأعيان ٣ : ٢٥٥ وينظر الديوان ص ٦٦ .
(٤) الديوان ص ٧١ .

وتفشت العامية في عصر الحاجري، وشاع اللحن، ولم يعد الناس جميعاً يفهمون الشعر الفصيح خاصة الأقوام الأعجمية التي غزت الديار. وراجت الفنون الشعرية غير المعربة، وأصبحت مرغوبة عند الكثيرين، حتى القائمين على الحكم آنذاك. وكانت تتسم بالسذاجة والضبوط احياناً في مهاوي الرذيلة والسفاهة التي ينبو عنها الذوق السليم. وقد لبّى الحاجري هذه الرغبة، وشارك الشعراء في نظمها، لاسيما المواليا(١)، فمن ذلك قوله (٢):

بحقّ من قد جعل ذا الحسنَ مليرسلكْ   وقّعْ على قصتي باطلاق محبرسلكْ
لولا الفضيحةُ، واحراقي بناموسلكْ   كنتْ ألزمك بينْ جميع الناس وابوسلكْ

أما «كان وكان» (٣) الذي أشار إليه ابن خلكان بقوله (٤): «وله أيضاً كان وكان واتفقت له فيها مقاصد حسان» فلم نعثر عليه في ديوانه المطبوع والمراجع التي وصلت إلينا. ويخيل إلينا أن الحاجري أراد أن يثبت قدرته على النظم في مختلف القوالب التي راجت آنذاك واستساغتها العامة والخاصة، فضلاً على مواكبة التجديد الذي أصاب المجتمع بعد إلتقاء الحضارات، وتبادل الخبرات، وتغير الأمزجة، وتطور الأفكار.

بعد هذه الإلمامة في شعر حسام الدين الحاجري، لاحظنا جملة من الملامح الفنية، منها أنه كان يعنى بمطالع قصائده، ويهتم بها، وقد لمس ذلك البلاغيون الذين وقفوا على شعره، من ذلك ما ذكره ابن معصوم بهذا البيت الآتي:

لاغرو أنْ تبستْ بين [illegible] وتسيلها الخفّاقُ

«وكان شيخنا محمد بن علي الشامي يطرب لهذا المطلع غاية الطرب، ويقول: هكذا فلتكن المطالع» (٥).

ولقد عبّر الحاجري في أغلب شعره — البعيد عن الثقل القريب إلى القلب — عن عواطفه ومشاعره أصدق تعبير، والواقع أنه كلما كانت التجربة الشعرية صادقة وحارة كانت

---

(١) قال ابن خلكان: [illegible] — أي الشعراء — لا يراعون فيه الإعراب والضبط [illegible] يحترزون [illegible]
[illegible] (وفيات الأعيان [illegible]).

(٢) الشذرات [illegible].

(٣) قال صفي الدين الحلي: له وزن واحد، وقافية واحدة، ولكن الشطر الأول من البيت أطول [illegible] الأصل [illegible] أول من [illegible] وأصله [illegible]
ومخترعوه البغداديون، ثم تداوله الناس في البلاد (العاطل الحالي ص ١٤).

(٤) وفيات الأعيان [illegible].

(٥) أنوار الربيع ١: ٤٧.

الوحدة الموضوعية قائمة، وهذا ما لاحظناه من توالي الأبيات في قصائده، وتداعي معانيها، وتماسك أجزائها.

وتتمثل في شعر الحاجري صفتا السهولة والوضوح في الألفاظ والمعاني، فالقاريء لا يشعر بكلمة غريبة، أو لفظة حوشية تأنفها الطباع وتمجها الاسماع ، ومثال ذلك الأبيات الآتية (١) :

لمع البرقُ اليماني فشجاني ما شجاني
ذكر دهري وزماني بالحمى أيّ زمانِ
يا وميضَ البرقِ هل تر جعُ أوقاتُ التداني
وترى يجتمعُ الشمـ ـلُ وأحظى بالأماني
أيّ سهمٍ فوّق البيـ ـنُ مصيباً ورماني ؟
ومرارات كؤوسٍ من تجنّيهِ سقاني
أبعدَ الأحبابَ عني وأراني ما أراني
يا خليليّ إذا لم تسعدا اني فذراني

فالسهولة والوضوح في الألفاظ والمعاني لم تكونا سوى خلاصة لاتجاه معروف في القرنين السادس والسابع ، سمي بـ « الطريقة الغرامية » أو « مدرسة الرقة والسهولة » كما يسميها الدكتور محمد كامل حسين(٢) . وكان الحاجري خير ممثل لهذا الاتجاه .

وأغلب الشعراء إن لم يكن جميعهم ، يلجأون الى الخيال ، وهو ينبوع الصورة الشعرية ويجعلونه وسيلة من وسائل التعبير الى جانب الألفاظ لتصوير العواطف والمشاعر والأحاسيس والتجارب . وكان الحاجري من اولئك الشعراء الذين اعتمدوا الخيال في تحويل المحسوسات إلى كائنات جميلة تتناسب في جمالها مع عالمه الجميل الذي ابتدعه لنفسه ، مثل قوله (٣) :

أسيرُ غرامٍ ، دمعهُ ورقاده طليق على حكم الغرام وطالقُ
أيا قمراً ما لاح إلاّ أضت لنا الـ ـمغاربُ من أنواره والمشارقُ
فديتك قد أوثقت قلبي محبة فلم أنت لاترعى لديكَ المواثق؟
أعيذك من نار اشتياقي ولوعتي ولاذقت من وجدي الذي أنا ذائق

(١) الديوان ص ٦٠ .
(٢) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ص١٩ .
(٣) الديوان ص٥٧ .

سكنت فؤادي وهو من حذر على جمالك من نار ثوت فيه خافقُ

وكثيراً مايستعين في تجسيد صوره الشعرية — من غير ابهام — ببعض الفنون البلاغية، لاسيما التشبيه والاستعارة ، مثل قوله(١):

حكاهُ من الغصن الرطيب وريقُهُ وما الخمرُ إلاّ مقلتاهُ وريقُهُ
هلالٌ ، ولكنْ أُفقُ قلبي محلُهُ غزالٌ ، ولكنْ سفحُ عيني عقيقُهُ
بديعُ التثني ، راح قلبي أسيرهُ على أنّ دمعي في الغرام طليقُهُ
وأسمرٍ يحكي الأسمر اللّدنَ قدُّهُ وخدٌّ شقى قلب المحبِّ شقيقُهُ
على خدهِ جمرٌ من الحسن مضرمٌ يشبُّ ، ولكن في فؤادي حريقُهُ

وتأتي الكناية قليلة في صوره ، مثل قوله مخاطباً الحبيب (٢) :

حاشَ للهِ أن تعذِّبَ قلباً أنت منه بموضعَ الأَسرارِ

وهو — كما ترى — يكني عن القلب بـ«موضع الأسرار»، والكناية عن القلب بهذا الأُسلوب ليست جديدة، فقد استعملها الشعراء قبله، كقول علي بن محمد بن خلف الهمداني (٣):

فلما شربناها، ودبَّ دبيبُها إلى موطنِ الأسرارِ قلتُ لها: قفي

ومن كناياته اللطيفة (٤):

لولاك ما بتُّ أَرعى النجم مفترشاً شوكَ القتاد، قليل الصبرِ والجلدِ

وجاء البديع في شعر الحاجري، ولكن دون ما إسراف، زاد به المعنى قوّة تأثير وبراعة تصوير، من ذلك رد الصدر على العجز (٥) :

وشى الناسُ أَني في هواكَ مقيمٌ لقد صدقَ الواشي النموم بما وشى

ومن الطباق (٦) :

فليتكم عدلٌ، ودهريَ جائرٌ وليتكمُ سلمٌ، وكلُّ الورى حربُ

ومن الجناس (٧) :

---

(١) الديوان ص٣٧
(٢) الديوان ص٣٣ .
(٣) تتمة يتيمة الدهر ١ : ١٢٦ .
(٤) الديوان ص٤٠ .
(٥) الديوان ص٨ .
(٦) الديوان ص٥١ .
(٧) الديوان ص٥٥ .

علمتـم بأنـي مغـرم بكـم صـبٌّ فعـذبتمـونـي، والعذابُ بكم عذب
لحـا الله قلبـاً لا يهيـمُ صبابـةً وصبّاً إلى تـلك المنازل لا يصبـو

ومن التورية (١) :

سرى طيفه ليلاً إليّ مُجـدِّداً عهـودَ الهـوى، يا حبذا ليلةُ الإسرا

ومن الجمع مع التقسيم (٢) :

متى طلبوا مني لدعوايَ شاهـداً فإنّ شهودي أَربعٌ لـم أَربـعُ
نحولٌ، وذلٌ، واشتيـاقٌ، وغربةٌ ووجدٌ، وأشجانٌ، وصدٌّ، وأَدمعُ

وشعر الحاجري منظوم في أغلب الأوزان المعروفة، لا سيما المجزوءة منها، وقد استطاع بحسن ذوقه ولباقته أن يوفر له الموسيقى المحببة التي تبهر السامع بما تؤديه من جمال الجرس، وحلاوة الملاءمة بين الألفاظ من جهة وبين حروف هذه الألفاظ من جهة أخرى. ويكفي أن نسوق هنا الأبيات الآتية من قصيدة غزلية بناها على مجزوء الرمل(٣):

مـا لعشـاقِ سليمـى في الهـوى لا يعقلـون
رقـدَ العـالـمُ جمعـاً وهـم لا يـرقـدون
مـا عليـهـم مـن مـلامٍ في هـواهـا يعـذرون
تـركـوا اللـذات لمّـا علمـوا مـا يطلبـون
آه مـن داءٍ بقلبـي مـا لـه الـدهرَ سكـون

ويحسن بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن النقاد القدامى نظروا إلى بحر المجتث نظرة استصغار واستهانة. قال حازم القرطاجني (٤): «فأما المجتثُ والمقتضبُ فالحلاوة فيهما قليلة على طيش فيهما». فإننا نخالف هذا الرأي، فهو — وإن كان قليلاً في أشعار المتقدمين كما يقول أبو العلاء المعري (٥) — محبب إلى النفوس، وأكثر استجابة للغناء وطواعية للموسيقى، لذلك نظم فيه الشعراء في العصر العباسي أمثال بشار بن برد (٦)، ومطيع

(١) الديوان ص٢٥ .
(٢) الديوان ص٣٨ .
(٣) الديوان ص٤٤ .
(٤) منهاج البلغاء ص ٢٦٨ .
(٥) الفصول والغايات ١ : ١٣٢ .
(٦) ديوان بشار بن برد ١ : ١٥٧ .

ابن إياس (١)، والعباس بن الاحنف (٢)، ومن جاء بعدهم مثل الحاجري الذي وفق في النظم على هذا البحر كما وفق من تقدمه من الشعراء، وقد سبق الاستشهاد بقصيدة منه مطلعها :

لا، والربيعِ النضيرِ وزهرِه المستنيرِ

الخاتمة :

لقد كشفنا في الصفحات السابقة عن مكانة الشاعر الرقيق حسام الدين الحاجري الاربلي الذي أغفلته أقلام الباحثين ، وأهملته أيدي الدارسين ، مع إنه أحد أعلام الفن الشعري في القرن السابع للهجرة ، وأحد الشعراء البارزين في طريقة «الانسجام » التي أرادت أن تخلص الشعر من الجمود أو العقم ــ إن صحَّ التعبير ــ الذي أُصيب به، وكاد يقضي على نمائه واشراقه اللذين رافقاه حقبة طويلة وأوصلاه إلى منزلة رفيعة لا زلنا ننظر إليها نظرة إجلال وإكبار، وبخاصة في النصف الأول من عمر الدولة العباسية .

وشعر الحاجري الذي ذكرنا نماذج منه لا يزال ينتظر التحقيق والتوثيق والاستقصاء، ولعل الأيام تهيء له من يرنو إليه، ويحنو عليه، ويفك أصدافه، ويقدمه للقراء في طبعة أنيقة مضبوطة، كما تهيأ لأقرانه الشعراء الذين عاشوا في عصره، وسلكوا الدرب الذي سلكه، أمثال: ابن مطروح (٣)، والبهاء زهير (٤)، والصاحب شرف الدين الأنصاري(٥) وشهاب الدين التلعفري (٦) وغيرهم .

---

(١) الأغاني ١٣ : ٢٩٣ .

(٢) ديوان العباس بن الأحنف ص ٧٢ ، ٧٤ ، ٣٤٤ .

(٣) حقق ديوانه جودة أمين حسن في رسالة جامعية (جامعة القاهرة ــ دار العلوم ١٩٧٦).

(٤) حقق ديوانه ونشره المستشرق أدورد هنري بلمر (كمبرج ١٨٧٦) وطبع في بيروت ــ دار صادر ١٩٦٤ .

(٥) حقق ديوانه وطبعه الدكتور عمر موس باشا (المطبعة الهاشمية ــ دمشق ١٩٦٧) .

(٦) حققت ديوانه هنرييت زاهي شابا في رسالة جامعية (جامعة القاهرة ــ كلية الاداب ١٩٧٦).

المصادر والمراجع

١ ـ الأدب في بلاد الشام: د. عمر موسى باشا. المكتبة العباسية ـ دمشق ١٩٧٢.
٢ ـ الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني. مط دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٢٧.
٣ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني. مط النعمان ـ النجف ١٩٦٨.
٤ ـ البداية والنهاية: اسماعيل بن عمر بن كثير. مط السعادة ـ مصر ١٩٣٢.
٥ ـ تاريخ الأدب العربي: بروكلمان. ترجمة: د. رمضان عبدالتواب. ج ٥. مط دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٥ .
٦ ـ تاريخ إربل: ابن المستوفي. تح: سامي الصقار. المركز العربي للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٨٠ .
٧ ـ تتمة يتيمة الدهر: أبو منصور الثعالبي. عني بنشره الاستاذ عباس اقبال. طهران ١٣٥٣هـ .
٨ ـ الحسين بن الضحاك، حياته وشعره. د. شوقي رياض أحمد. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ـ القاهرة ١٩٧٢ .
٩ ـ حلبة الكميت: محمد بن الحسن النواجي. المكتبة العلامية ـ القاهرة ١٩٣٨.
١٠ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة: ابن الفوطي. تح: د. مصطفى جواد. مط الفرات ـ بغداد ١٣٥١هـ.
١١ ـ خزانة الأدب: ابن حجة الحموي. المط الخيرية ـ القاهرة ١٣٠٤هـ .
١٢ ـ دار الطراز في عمل الموشحات: ابن سناء الملك. تح: د. جودت الركابي. دار الفكر ـ دمشق ١٩٧٧.
١٣ ـ دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين: د. محمد كامل حسين. مط دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٩٥٧.
١٤ ـ الديارات: الشابشتي. تح: كوركيس عواد. مط المعارف ـ بغداد ١٩٦٦ .
١٥ ـ ديوان ابن الدهان الموصلي: عبدالله بن أسعد الموصلي، تح: عبد الله الجبوري. مط المعارف ـ بغداد ١٩٦٨.
١٦ ـ ديوان امرىء القيس: تح: محمد أبو الفضل ابراهيم. مط دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٩ .
١٧ ـ ديوان بشار بن برد: تح: الطاهر بن عاشور ـ القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٤ .

١٨ ــ ديوان الحاجري: عيسى بن سنجر الاربلي. المط الشرقية ــ مصر ١٣٠٥هـ .
١٩ ــ ديوان الحماسة: أبو تمام الطائي. تح: د. عبدالمنعم أحمد صالح. دار الرشيد للنشر ــ بغداد ١٩٨٠ .
٢٠ ــ ديوان الدوبيت في الشعر العربي: د. كامل مصطفى الشيبي. دار القلم ــ بيروت ١٩٧٢ .
٢١ ــ ديوان العباس بن الاحنف: دار صادر ــ بيروت ١٩٦٥.
٢٢ ــ شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي. نشر مكتبة القدسي ــ القاهرة ١٣٥١هـ.
٢٣ ــ شرح ديوان جرير: الشركة اللبنانية للكتاب. بيروت د. ت.
٢٤ ــ شرح القصائد العشر: الخطيب التبريزي. تح: محمد محيي الدين عبدالحميد. مط السعادة ــ القاهرة ١٩٦٤ .
٢٥ ــ العاطل الحالي والمرخص الغالي: صفي الدين الحلي. نشر ولهم هو نرباخ. ويسبادن ١٩٥٥ .
٢٦ ــ العسجد المسبوك: الملك الأشرف الغساني. تح: شاكر محمود عبدالمنعم. دار التراث الاسلامي للطباعة ــ بيروت ١٩٧٥ .
٢٧ ــ عقو الجمان: ابن الشعار الموصلي (مخطوطة أسعد افندي في استانبول جـ ٥ رقم ٢٣٢٦) مصورة كلية التربية بجامعة الموصل.
٢٨ ــ علم القافية: د. صفاء خلوصي. مط المعارف ــ بغداد ١٩٦٣ .
٢٩ ــ عمر الخيام: أحمد حامد الصراف. مط الشعب ــ بغداد ١٩٤٩.
٣٠ ــ الفصول والغايات: أبو العلاء المعري. مط حجازي ــ القاهرة ١٩٣٨.
٣١ ــ في التراث العربي: د. مصطفى جواد. جـ١. دار الحرية للطباعة ــ بغداد ١٩٧٥.
٣٢ ــ كشف الظنون: حاجي خليفة. المط الاسلامية ــ طهران ١٩٦٥.
٣٣ ــ الكشكول: بهاء الدين العاملي. تح: الطاهر أحمد الزاوي. مط دار احياء الكتب العربية ــ القاهرة د. ت.
٣٤ ــ معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول: د. محمد نبيه حجاب. مطابع دار المعارف ــ القاهرة ١٩٧٢.
٣٥ ــ المغرب في حلى المغرب: تح: د. شوقي ضيف. مطابع دار المعارف ــ القاهرة ١٩٦٤ .

٣٦ ـ منهاج البلغاء وسراج الأُدباء: حازم القرطاجني. تح: محمد الحبيب بن الخوجة. المط الرسمية ـ تونس ١٩٦٦ .
٣٧ ـ الموشحات العراقية: د. رضا محسن القريشي. دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٨١.
٣٨ ـ النجوم الزاهرة: ابن تغري بردي. مط دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٣٢.
٣٩ ـ وفيات الأَعيان: ابن خلكان. تح: د. احسان عباس. مط دار صادر ـ بيروت ١٩٧٢ .

اللامات بين الهروي والنحاة

يحيى علوان حسون
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

لقد عنى المتقدمون والمتأخرون بدراسة حروف المعاني على اختلاف انواعها واقسامها وهم على ثلاثة أقسام :

اولا : الذين ألفوا الكتب العامة في النحو وتعرضوا لهذه الحروف اذكر منها : (الكتاب) لسيبويه و (المقتضب) للمبرد و (الاصول) لابن السراج و (شرح كافية ابن الحاجب) للرضي و (شرح مفصل الزمخشري) لابن يعيش وشروح الالفية والتسهيل وغيرها.

ثانيا : ومنهم من الف كتابا او رسالة في حروف المعاني اذكر منها: (الجنى الداني) للمرادي المعروف بابن ام قاسم و (رصف المباني) للمالقي و (حروف المعاني) للرماني و (الازهية) للهروي و (مغني اللبيب) لابن هشام الذي بحث فيه معظم حروف المعاني اضافة إلى مواضع نحوية اخرى .

ثالثا : ومنهم من خص كتابه او رسالته بحرف واحد من هذه الحروف .
ومن هؤلاء من اختار حرف اللام ليدون كتابه موسوما بهذا الحرف.

ويحدثنا ابن النديم في كتابه (الفهرست) عن الكتب المؤلفة في لامات القرآن الكريم وهي :

١ - كتاب اللامات لداود بن أبي طيبة
٢ - كتاب اللامات لمحمد بن سعيد
٣ - كتاب اللامات لابن الانباري
٤ - كتاب اللامات للاخفش سعيد (١)

كذلك يمكن ان نضيف إلى هذه الكتب كتباً اخرى في اللامات مثل :

١ - كتاب اللامات للزجاجي (٢)
٢ - كتاب اللامات لابن كيسان
٣ - كتاب اللامات لابي زيد الانصاري
٤ - كتاب اللامات لابن فارس الذي نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/ المجلد الثامن والاربعون/ الجزء الرابع/ اكتوبر ١٩٧٣.
٥ - رسالة في اللامات منسوبة لابي جعفر النحاس وقد نشرت في مجلة المورد العراقية (٣) .
٦ - اما كتاب اللامات لابي الحسن علي بن محمد الهروي (٤).

فلم يُذكر في (الفهرست) ولا في كتب التراجم التي تعرضت للهروي فيما اعلم ولعله ذُكر في كتب لم تر النور بعد.

اضف إلى ذلك ان الاستاذ عبد المعين الملوحي محقق كتاب (الازهية) وهو للهروي لم يذكر (اللامات) حين تعرض إلى مؤلفاته .

واليك عزيزي القاريء موازنة بين «كتاب اللامات» للهروى واللامات في الكتب التاليـة :

١ - كتاب اللامات لابن فارس
٢ - كتاب اللامـات للزجاجي
٣ - رسالة اللامـات المنسوبة لأبي جعفر النحاس .

---

(١) الفهرست لابن النديم : ٦٠ ، ١١٨ .
(٢) طبع في دمشق ١٩٦٩ ، م بتحقيق د. مازن المبارك .
(٣) مجلة المورد العراقية لسنة ١٩٧١ العددين (١ ، ٢) ص ١٤٨ .
(٤) طبع في الكويت سنة ١٩٨٠ م بتحقيق يحيى علوان حسون .

٤ ـ اللامات التي اوردها ابن هشام في كتابة (المغنى) .
٥ ـ اللامات التي جاء بها ابن قاسم المرادى في كتابه (الجنى الداني) (١)
٦ ـ اللامات التي اوردها الرماني في كتابه (معاني الحروف) (٢)
٧ ـ اللامات التي وردت في كتاب (الازهية) (٣) للهروي أيضاً .

وسأخصص فصلا لموازنة لامات كل كتاب من هذه الكتب وكتاب اللامات للهروي مع التوضيح بالجداول .

واليك هذه الفصول بالترتيب .

---

(١) طبع في حلب سنة ١٩٧٣ بتحقيق د . فخرالدين قباوة .

(٢) طبع في القاهرة سنة ١٩٧٣ بتحقيق د. عبدالفتاح شلبي .

(٣) طبع في دمشق سنة ١٩٧١ بتحقيق عبد المعين ملوحي .

الفصل الأول

الموازنة بين لامات الهروي ولامات ابن فارس

اورد الهروي أربعاً وثلاثين لاما في حين اورد ابن فارس في كتابه (اللامات) (١) اثنتي عشرة لاما وابن فارس يقسم اللام من حيث كونها مكسورة او مفتوحة :

فالمفتوحة عنده خمس لامات ـ اللام الداخلة لمعنى التوكيد، واللام التي تعقب (إنّ) واللام التي تعقب (إنْ) الخفيفة، واللام التي تعقب القسم، واللام التي تعقب الشرط.
اما المكسورة فهي عنده سبعة :

لام تخفض الاسم بعدها، ولام (كي)، ولام العاقبة، واللام التي تكون بمعنى (أن) ، ولام الامر، ولام تعقب الجحود، ولام تدخل على معنى التعجب. فهذه اثنتا عشرة لاما.
فيكون ابن فارس قد اتفق مع الهروي في كل هذه اللامات الا واحدة هي التي سماها: (اللام التي تعقب الشرط) .

وقد ذكرها الهروي ولكنه سماها: (اللام التي تدخل على (إن) (٢) التي للمجازاة)
واختلف معه الهروي بان ذكر (اللام الأصلية) ولام التعريف ولام التكثير واللام المزيدة في (عبدل) و (لام الوعيد) اضافة إلى تقسيمه (لام الاضافة إلى خمسة عشر قسما ولام التوكيد إلى تسعة اقسام ولم يفعل ذلك ابن فارس .

فانت اذا رجعت إلى الجدولين (١، ٢) المذكورين بعد هذا الفصل تجد ذلك واضحا.

---

(١) نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٤ المجلد الثامن والاربعين .

جدول رقم (١)

تقسيم اللام (عند الهروي) الى أربعة وثلاثون قسماً

اللام (٢)

* **اللام الزائدة (١٢)**
  - لام الإضافة (١٥)
    - لام الملك
    - لام بمعنى الإستحقاق
    - لام بمعنى (الى)
    - لام بمعنى (على)
    - لام بمعنى (مع)
    - لام بمعنى (بعد)
    - لام بمعنى (من)
    - لام بمعنى (في)
    - لام بمعنى (من أجل)
    - لام لتعدي الفعل
    - لام التعجب
    - لام التبين
    - لام المستغاث به
    - لام المستغاث من أجله
    - لام توكيد الإضافة (نفي / نداء)
    - *
  - لام التعريف
  - لام الأمر
  - لام الوعيد
  - لام (كي)
  - لام الجحود
  - لام بمعنى (ان)
  - لام العاقبة
  - لام التكثير
* **اللام الأصلية**
  - لام البدل
  - لام المزيدة في (عبدل)

**

- لام التوكيد (٩)
  - لام الإبتداء
  - لام خبر (أن) (الثقيلة
  - المكسورة (٢) (الخفيفة
  - لام جواب القسم
  - لام جواب (لو)
  - لام جواب (لولا)
  - لام (اذا)
  - لام مع (ان) التي للمجازاة
  - لام (لعل)
  - ***

***

جدول رقم (٢)

تقسيم اللام عند (بن فارس) الى اثني عشر اسماً

- اللام (٢)
  - المفتوحة (٥)
    - اللام الداخلة لمعنى التأكيد
    - اللام التي تعقب (ان)
    - اللام التي تعقب (ان) الخفيفة
    - اللام التي تعقب القسم
    - اللام التي تعقب الشرط
  - المكسورة (٧)
    - لام تخفض الأسم بعدها
    - لام (كي)
    - لام العاقبة
    - اللام التي تكون بمعنى (أن)
    - لام الأمر
    - لام تعقب الجحود
    - لام تدخل على معنى التعجب

الفصل الثاني

الموازنة بين لامات الهروي ولامات الزجاجي

ذكر الهروي اربعاً وثلاثين لاماً في حين اورد الزجاجي في كتابه (اللامات) إحدى وثلاثين لاماً .

اتفق الهروي والزجاجي في إيراد معظم اللامات الا انهما اختلفا فيما يأتي:

اولا: زاد الزجاجي على الهروي لامين هما:

١ ـ لام المضمر (١) ومثل لها بقوله تعالى :

(لكم دينكم ولي دينِ) (٢) وأمثلة اخرى .

٢ ـ اللام الداخلة على المستقبل في القسم لازمة (٣) ، وقد مثل لها بامثلة عديدة منها: قوله تعالى :

(تاالله لاكيدن اصنامكم) (٤) وهذه اللام تدخل ضمن لام القسم عند الهروي .

ثانيا: اما الهروي فقد زاد على الزجاجي سبع لامات هي :

١ ـ اللام بمعنى (على) ومن امثلته لها قول الاشعث الكندي:

تناولت بالرمح الطويل ثيابه فخر صريعا لليدين والفم (٥)

٢ ـ اللام بمعنى (مع) وقد مثل لها بقول متمم بن نويرة :

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلة معا (٦)

٣ ـ اللام بمعنى (بعد) فمن امثلته لها قوله صلى الله عليه وسلم: (صوموا لرؤيته) (٧).

٤ ـ اللام بمعنى (من) وقد مثل لها بقولهم: (سمعت لزيد صياحا) (٨) (٢)

---

(١) اللامات للزجاجي : ٩٥ .

(٢) الكافرون : ٦

(٣) لامات الزجاجي : ١١٣ .

(٤) الانبياء : ٥٧ .

(٥) لامات الهروي : ٤٢ .

(٦) المصدر السابق : ٤٤ .

(٧) المصدر السابق : ٤٥ .

(٨) المصدر السابق : ٤٦ .

٥ — اللام بمعنى (في) (١) فمن امثلته لها قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) (٢)

٦ — لام الوعيد (٣) فقد مثل لها عدة امثلة منها: قوله تعالى: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٤).

٧ — اللام بمعنى (اذاً) (٥) فمن امثلته لها قوله تعالى: (وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره اذاً لاتخذوك خليلا) (٦).

والذي يجب الاشارة اليه أن هذه اللام هي جواب (لو) وهي مضمرة.

اما اللام التي سماها الزجاجي (لام الشرط) فهي نفس اللام التي سماها الهروي: (اللام التي تدخل على ان التي للمجازاة).

واما اللام التي سماها الهروي (لام البدل) فهي نفس اللام التي سماها الزجاجي (لام تعاقب حروفا وتعاقبها).

واما اللام التي سماها الزجاجي (لام المقسم به) فهي داخلة عند الهروي ضمن (لام جواب القسم).

واما اللام التي سماها الزجاجي (لام ايضاح المفعول لاجله) فهي نفس اللام التي سماها الهروي (لام من أجل).

أنظار الجدولين: ١، ٣

---

(١) المصدر السابق : ٤٧.

(٢) الطلاق : ١.

(٣) لامات الهروي : ١٢٣

(٤) الكهف : (٢٩).

(٥) لامات الهروي : ١٠٨.

(٦) الاسراء : ٧٣.

تقسم اللام عند الزجاجي إلى واحد وثلاثين قسما

**

اللام (٣١)

- لام أصلية .
- لام التعريف .
- لام الملك .
- لام الإستحقاق
- لام (كي) .
- لام الجحود .
- لام (أن) .
- لام الإبتداء .
- لام التعجب .
- لام تدخل على المقسم به .
- لام تكون جواب القسم .
- لام المستغاث به .
- لام المستغاث من أجله .
- لام الأمر .
- لام المضمر .
- لام تدخل في النفي بين المضاف والمضاف اليه .
- لام تدخل في النداء بين المضاف والمضاف اليه .
- لام تدخل على الفعل المستقبل في القسم .
- لام تلزم (أن) المكسورة الخفيفة .
- لام العاقبة .
- لام التبيين .
- لام لو .
- لام لولا .
- لام التكثير .
- لام مزيدة في (عبدل) .
- لام مزيدة في (لعل) .
- لام إيضاح المفعول من أجله .
- لام تعاقب حروفاً وتعاقبها .
- لام بمعنى (إلى) .
- لام الشرط .
- لام توصل الأفعال إلى المفعولين .

** جدول رقم (٣)

الفصل الثالث

«الموازنة بين لامات الهروي واللامات المنسوبة لابي جعفر النحاس

لقد اورد النحاس في رسالته سبع عشرة لاما والهروي اربعا وثلاثين لاما. فقد اتفقا في اللامات التالية :

لام القسم، ولام الامر ولام الوعيد، ولام (أن) الخفيفة ولام النفي، ولام الابتداء، ولام (كل) وكذلك فيما يلي ولكن الاختلاف بالتسمية فقط.

الهروي	أبو جعفر النحاس
لام الجحود	لام الجحد (والمعنى واحد)
لام الملك	لام الخفض
لام التوكيد	لام التأكيد (والمعنى واحد)
ضمن (لام الامر)	لام الشفاعة
لام العاقبة	لام الفاء
لام تدخل على (إن) التي للمجازاة	لام لئن
لام تدخل في خبر (إن) الثقيلة	(لام الخبر)
	(لام الجزاء)

وزاد ابو جعفر النحاس (لام الاستفهام) (١) على ما اورده الهروي ومثل لها بـ (لولا ينهاهم الربانيون) (٢)على أن اللام في (لولا) لام الاستفهام والمعنى فيها: هلا.

وزاد الهروي بقية اللامات (٣). انظر الجدولين (١، ٤).

---

(١) مجلة المورد العراقية العددين (١=٢) ص ١٤٨ .

(٢) المائدة : ٦٣ .

(٣) لامات الهروي : ٤٢ — ١٢٣ .

تقسم اللام عند ابي جعفر النحاس إلى سبعة عشر قسما

اللام (١٧)

- لام القسم
- لام الجحد
- لام الخبر
- لام الخفض
- لام التأكيد
- لام الأمر
- لام الإبتداء
- لام الإستفهام
- لام (لقد)
- لام الفاء
- لام (كي)
- لام (أن) الخفيفة
- لام النفي
- لام الشفاعة
- لام (لئن)
- لام الجزاء
- لام الوعيد

جدول رقم (٤)

الفصل الرابع

«الموازنة بين لامات (المغني) لابن هشام ولامات الهروي»

اختلاف ابن هشام فيما اورده من اللامات في (المغنى) مع الهروي حيث قسمها إلى عاملة للجر وعاملة للجزم وغير عاملة، وقسم العاملة للجر إلى اثنتين وعشرين لاما وغير العاملة إلى سبعة أقسام، ثم قسم لام التوكيد إلى اربعة اقسام، ولم يقسم العاملة للجزم.

واما لام الجواب: فتشمل لام جواب (لو) ولام جواب (لولا) ولام جواب القسم. فيكون عددها عنده خمساً وثلاثين لاما وهي عند الهروي اربعٌ وثلاثون لاماً كما عرفنا سابقاً .

فقد اتفقا في معظم اللامات واختلفا فيما يأتي :

اولا: انفرد ابن هشام بتسميته ِ اربعَ لامات هي :

١ ــ لام بمعنى (عند) (١) ومن امثلته لها قولهم : (كتبته لخمس خلون) .

٢ ــ لام موافقة (عن) (٢) ومن أمثلته لها قوله تعالى :
(وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه) (٣) .

٣ ــ لام التقوية (٤) ومن الامثلة التي اوردها لهذه اللام قوله : (ضربي لزيد حسن).

٤ ــ لام التبليغ (٥) وقد مثل لها بـ (قلت له) و (فسرت له) .

ثانيا: انفراد الهروي بتسمية لامين هما :

١ ــ لام (لعل) (٦) ومن الامثلة التي اوردها لها ما انشده سيبويه (٧) قوله :
(يا أبتا علكَ ارعاكا) على أن اللام الأولى في (لعل) زائدة .

---

(١) المغنى ١ : ٢٢٣ .
(٢) المصدر السابق ١ : ٢٢٤ .
(٣) الاحقاف : ١١
(٤) المغنى ١ : ٢١٧
(٥) المصدر السابق ١ : ٢١٨
(٦) لامات الهروى : ١١٦
(٧) الكتاب ١ : ٣٨٨ ، ٢ : ٢٩٩

٢ — لام البدل (١) وقد مثل لها وبقول النابغة الذبياني :
بـ (هتنت السماء، وهتلت، واصيلان ، واصيلال)
وقفت فيها اصيلالاً اسائلها.. عيّتْ جوابا وما بالربع من احد

اما لام (إنْ) التي للمجازاة ولام (إذاً) اللتان اوردهما الهروي فتدخلان ضمن (اللام الداخلة على اداة الشرط) عند ابن هشام.

واما (لام التعجب غير الجارة) عند ابن هشام فتدخل ضمن (لام التعجب) عند الهروي.
واما لام التعليل عند ابن هشام فهي لام (من اجل) عند الهروي.
واما (اللام المعترضة بين الفعل المتعدي ومفعوله) و (لام التعدية) .
عند ابن هشام فيجمعها الهروي بـ (لام تعدي الفعل) .

واما (اللام اللاحقة اسماء الأشارة) عند ابن هشام فيسميها الهروي (لام التكثير).
واما (اللام العاملة للجزم) عند ابن هشام فتتضمن (لام الوعيد) التي ذكرها الهروي.
واما اللام (المقحمة) عند ابن هشام فهي (لام توكيد الاضافة) عند الهروي

واما (اللام الزائدة) عند ابن هشام فهي اللام الداخلة في خبر المبتدأ عند الهروي (٢)
فانت اذا نظرت إلى الجدولين (٩، ٥) تجد ما اقوله واضحا.

(١) لامات الهروي ١ : ١٤٠
(٢) المغني ١ : ٢١٧ — ٢٢٤ ، ولامات الهروي : ١١٦ — ١٣٨

جدول رقم (٥)

قسم اللام عند (ابن هشام) إلى خمسة وثلاثين قسما

اللام (٣)

عاملة للجر (٣٢)

- لام الاستحقاق
- لام الأختصاص
- لام الملك
- لام التمليك
- لام شبه التمليك
- لام التعليل
- لام توكيد النفي
- لام موافقة (إلى)
- لام موافقة (على)
- لام موافقة (في)
- اللام بمعنى (عند)
- لا موافقة (بعد)
- لام موافقة (مع)
- لام موافقة (من)
- لام التبليغ
- لام موافقة (عن)
- لام الصيرورة (العاقبة)
- لام القسم
- لام التعجب
- لام التعدية
- لام التركيد (٤)
- لام التبيين

- **
- اللام المعترضة بين الفعل المتعدى ومفعوله
- اللام المقحمة
- لام التقوية
- لام المستفيات (عند المبرد)

**

- لام الابتداء
- اللام الزائدة (٣)
- لام الجواب
- اللام الداخلة على ادارة الشرط
- لام (ال)
- اللام اللاحقة لاسماء الاشارة
- لام التعجب غير الاجارة

- **
- لام جواب (لو)
- لام جواب (لولا)
- لام جواب القسم

** غير عاملة

الفصل الخامس

«الموازنة بين لامات المرادي ولامات الهروي»

قسم بدرالدين بن قاسم المرادي اللام إلى اربعة واربعين قسما فهو يقسمها من ناحية العمل إلى عاملة وغير عاملة والعاملة: إلى عاملة الجر، وعاملة الجزم، وعاملة النصب (عند الكوفيين).

ويجعل لغير العاملة خمسة اقسام وللناصبة ستة اقسام ولم يقسم الجازمة وللجارة ثلاثين قسما.

وقد نظم اقسام الاخيرة في هذه الابيات:

اتاك للام الجر، ما جمعته ثلاثون قسما، في كلام منظم
فأولها التخصيص، وهو اعمها ويتلوه الاستحقاق، يا صاح فاعلم
وملك، وتمليك، وشبههما معا وعللك بها، وانسب، وبين، واقسم
وعد، وزد صيرورة، وتعجبا وجاءت لتبليغ المخاطب، فافهم
ومثل إلى، في، عن، على، عند، بعد، مع
ومن، لتبعيض، وذا كله نمى
ولامان، قد جاءا باب استغاثة ولام بها فامدح، ولا بها أذمم
وقل: لام كي، لام الجحود، كلاهما لجر وباللام المزيدة تمم
وعندي في التقسيم عيب تداخل وعذري في ذاك اتباع المقسم (١)

واصبح من المعروف ان الهروي يقسم اللام إلى اربعة وثلاثين وجها (٢)

وقد اتفقا في اكثر اللامات واختلفا فيما يلي: —

١ — زاد بدرالدين المرادي على الهروي اللامات التالية: —

(أ) (اللام الناصبة) عند الكوفيين (٣) وقد قسمها إلى ستة اقسام كما هو مبين في الجدول الذي يلي هذا الفصل.

---

(١) الجنى الداني: ١٠٨ — ١٠٩
(٢) لامات الهروي: ٢٩
(٣) الجنى الداني: ١١٤

(ب) اللام التي بمعنى (عن) (١) ومن امثلته لها قوله تعالى :
(وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه) (٢)
(جـ) اللام التي بمعنى (عند) (٣) ومن امثلتها عنده قولهم :—
(كتب لخمس خلون)
(د) ولام التبليغ (٤) ومثل لها: (قلت له ، وفسرت له، واذنت له) وهذا اللام عند الزجاجي (لام المضمر) (٥)
٢ — وزاد الهروي على المرادي اللامات التالية :—
(أ) لام البدل (ب) لام (لعل)
(جـ) لام التكثير (د) اللام المزيدة في عبدل (٦)
اما (لام الملك، والتمليك، وشبههما) عند المرادي فيجمعها الهروي في (لام الملك).
واما (لام الصيرورة) عند المرادي فهي (لام العاقبة) عند الهروي
واما (لام التعليل) عند المرادي فهي (لام بمعنى من اجل عند الهروي) .
واما (لام النسب)،و (لام الاختصاص) عند بدر الدين المرادي فيجمعها الهروي في (لام الاستحقاق) .
واما (لام التبعيض) عند المرادي فهي (اللام التي بمعنى من) عند الهروي.
واما (لام المدح، ولام الذم) فهما بمعنى (لام التعجب) عند الهروي.
واما (لام الامر، ولا الوعيد) عند الهروي فيجمعها المرادي بـ (اللام الجازمة) .
واما (اللام الداخلة على خبر المبتدأ) عند الهروي فهي عند المرادي ضمن (اللام الزائدة).
واما (لام الفاء) عند المرادي فهي (ضمن لام العاقبة) عند الهروي
واما (اللام الفارقة) عند المرادي فهي (اللام الواقعة بعد ان الخفيفة) عند الهروي .
واما (لام (ان) التي ولام (اذا) عند الهروي فهي (اللام الموطئة) عند المرادي (٧) .
وانظر الجدولين (٥، ٦) تجد ذلك واضحاً .

---

(١) المصدر السابق : ٩٩
(٢) الاحقاف : ١١
(٣) الجنى الداني : ١٠١
(٤) المصدر السابق : ٩٩
(٥) لامات الزجاجي : ٩٥
(٦) لامات الهروى : ١١٦ — ١٤٢
(٧) الجنى الداني : ٨ — ١٤٧ ولامات الهروي ٣٢ — ١٤٠

تقسم اللام عند (المرادي) إلى أربعة وأربعين قسما

- اللام (٢)
  - عاملة (٣)
    - جارة (٣٠)
      - لام الاختصاص
      - لام الاستحقاق
      - لام الملك
      - لام التمليك
      - لام شبه الملك
      - لام شبه التمليك
      - لام التعليل
      - لام النسب
      - لام التبيين
      - لام القسم
      - لام التعدية
      - لام الصيرورة
      - لام التعجب
      - لام التبليغ
      - لام بمعنى (إلى)
      - اللام بمعنى (في)
      - اللام بمعنى (عند)
      - اللام بمعنى (على)
      - اللام بمعنى (عن)
      - اللام بمعنى (بعد)
      - اللام بمعنى (مع)
      - اللام بمعنى (من)
      - لام التبعيض
      - لام المستغاث به
      - لام المستغاث من أجله
      - لام المدح
      - لام الذم
      - لام (كي)
      - لام الجحود
      - اللام الزائدة
    - جازمة (لام الامر)
    - ناصبة للفعل (زادها الكوفيون) (٦)
      - لام (كي)
      - لام الجحود
      - لام الصيرورة
      - اللام الزائدة
      - اللام بمعنى ان
      - اللام بمعنى (الفاء)
  - غير عاملة (٥)
    - لام الابتداء
    - اللام الفارقة
    - لام الجواب (٣)
      - لام القسم
      - لام جواب (لو)
      - لام جواب (لولا)
    - اللام الموطئة
    - لام التعريف

جدول رقم (٦)

الفصل السادس

«الموازنة بين لامات الرماني ولامات الهروي»

اورد الرماني في كتابه (معاني الحروف) اثنتي عشرة لاماً واورد الهروي في كتابه (اللامات) اربعةً وثلاثين قسماً للام .

فقد اتفقا في ايراد كل من لام الابتداء، ولام الاضافة ولام التعريف، واللام الاصلية ، ولام (كي)، ولام الجحود، ولام العاقبة ولام الامر.

وكذلك (لام الاستغاثة) عند الرماني فهي عند الهروي (لام المستغاث به والمستغاث من اجله) (١) .

وزاد الرماني لامين على ما اورده الهروي وهما :—

١ — لام الكتابة وقد مثل لها بـ (لهم، له) ثم قال: واصلها لام الاضافة (٢)

٢ — اللام الزائدة وقد مثل لها بقول الشاعر :

لما اغفلت شكرك فاسطنعني : فكيف وفي عطائك جل مالي (٣)

وقد زاد الهروي على الرماني بقية اقسام اللامات (٤) واذا نظرت إلى الجدولين (١، ٧) تجد ذلك واضحا ان شاء الله تعالى .

(١) لامات الهروى : ٧٤

(٢) معاني الحروف للرماني : ١٤٢

(٣) المصدر السابق : ١٤١ — ١٤٢

(٤) لامات الهروي : ٣٠ — ١٤٢

تقسيم اللام (عند الرماني) إلى اثني عشر قسما

اللام (١٢)

- لام الابتداء
- لام القسم
- لام الاضافة
- لام التعريف
- الام الاصلية
- اللام الزائدة
- لام الاستغاثة
- لام الكناية
- لام (كي)
- لام الجحود
- لام العاقبة
- لام الامر

جدول رقم (٧)

الفصل السابع

الموازنة بين اللامات في كتابي (الازهية) و (اللامات للهروي)

افرد الهروي في كتابه «الازهية» بابا سماه :

(باب دخول حروف الخفض بعضها على بعض) ثم قال في آخر هذا الباب: ومنها لام الاضافة ولها ستة مواضع هي :ـ

١ ـ تكون مكان (إلى) .

٢ ـ تكون مكان (على) .

٣ ـ تكون مكان (من) .

٤ ـ تكون مكان (مع) .

٥ ـ تكون مكان (في) .

٦ ـ تكون مكان (بعد) .

هذا كل ما ذكره الهروي عن اللام في كتابه (الازهية) لا غير.

اما في كتاب اللامات فقد فصل اللام تفصيلا دقيقاً وخاصة (لام الاضافة) حيث قسموا إلى خمسة عشر بابا فنراه قد اتفق في المواضع الستة المذكورة سابقاً وزاد تسعة مواضع أخر ناهيك عن مواضع واقسام اللامات الأخرى والبالغة اربعة وثلاثين (١) قسما انظر الجدول رقم (١) .

(١) كتاب الأزهية للهروي : ٢٧٧ ـ ٣٠٠

كلمة لابد منها اختم بها هذا البحث

عندما يقسم الهروي (اللام) الى أربعة وثلاثين قسماً ، وابن قاسم المرادي الى أربعة وأربعين وجهاً ، وابن فارس الى اثني عشر قسماً ، والرماني كذلك ، وابو جعفر النحاس الى سبعة عشر قسماً .... الخ فليس الأختلاف في ذلك جذرياً فاللام نفس اللام عند الجميع الا أنهم يختلفون في التقسيم شكلا أو تسمية أو عملا .

فأبن فارس مثلا يقسمها الى لام مكسورة ولام مفتوحة فهو يختلف مع الاخرين بأنه يتخذ الشكل أساساً لتقسيمه .

وأما الزجاجي فيقسمها الى أحدى وثلاثين لاماً فاللام التي عند الهروي (لام من أجـــل) يسميها الزجاجي : (لام ايضاح المفعول من أجله) والتي عند الهروي (لام تعدي الفعل) عند الزجاجي (اللام التي تكون موصلة لبعض الأفعال الى مفعولها) وهكذا .

وكذلك يختلف ابن قاسم المرادي مع الهروي من هذه الجهة فاللام التي عند الهروي بمعنى (من أجل) عنده (اللام التي للتعليل) وهكذا فهذان الأختلافان من ناحية التسمية .

ولكن كلا من ابن هشام وابن قاسم المرادي يختلفان مع الهروي من جهة أخرى فهما يقسمان اللام الى عاملة وغير عاملة ثم يقسمان العاملة الى ثلاثة أقسام عاملة الجر ، وعاملة النصب ، وعاملة الجزم ولم يتعرض الهروي الى هذه التقسيم فهما يتخذان العمل أساساً لتقسيمهما .

---

(١) لامات الهروي : ٢٩

ليلى والمجنون في الأدب التركي

الدكتور جوبان خضر حيدر
كلية الاداب / جامعة بغداد

تمهيد :

تصادف قصة ليلى والمجنون لأول مرة بشكل حكاية تمثيلية في مصنفات كلشهرى وعاشق باشا إذ. اتخذ الشاعران حكاية قصة « ليلى ومجنون » وسيلة الى الحب الألهي ،قصة هذا الحب كانت عندهما تنتقل من معناها الأنساني لتصبح موضوعاً مجازياً للوصول الى فكرة التصوف وقد نظم كلشهرى من هذه القصة فصلا زهاء تسعة وسبعين بيتاً وأضاف الى نهاية مصنفه منطق الطير الذي الفه في سنة ثلاثة عشر وثلاثمائة والف ، وان عاشق باشا أضاف ثلاثين بيتاً الى نهاية مصنفه غريب نامه والذي أتم تأليفه في سنة أثني عشر وثلاثمائة والف .

وأما في مقالنا هذا فسنعرض الشعراء الأتراك الذين عانوا في شعرهم مايخص مجنون وليلى القصة المعروفة في الأدب العربي ، في أدابهم وشعرهم .

أن الرواة قد اختلفوا في وجود المجنون وصحه نسبه و ذلك لتعدد طرق الرواة عنه .

فمن الرواة من يؤكد أنه لم يصح له أصل ولا نسب ، وأنه لم يعرف في الدنيا الا بالأسم وأنه قد سئلت عن قبيلته من بني عامر بطناً بطناً فأنكرته (٢) .

وهناك من يزعم أن شعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى أبنة عم له . وكان يكره أن يظهر مابينه وبينها . فأخذ المجنون مخلصاً له ونظم جميع الأشعار التي تنتسب اليه . وأن أسم مجنون أسم مستعار لاحقيقة له . وليس له في بني عامر أصل ولانسب . وقال الجاحظ : ماترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في ليلى الا نسبوه الى المجنون (٣) .

ويقول الأصمعي : سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري فقال عن أيهم تسألني ؟ فقد كان فينا جماعة رموا بالجنون فعن أيهم تسأل ؟ فقلت عن الذي كان يشبب بليلى فقال : كلهم كان يشبب بليلى فقلت فأنشدني لبعضهم ، فأنشدني مزاحم بن الحارث المجنون ، قلت : فأنشدني لغيره منهم فأنشدني معاذ بن كلب المجنون ، قلت فأنشدني لغير هذين ممن ذكرت ، فأنشدني مهدي بن الملوح ، فقلت له : فأنشدني لمن بقى من هؤلاء . فقال حسبك فوالله أن في واحد من هؤلاء لمن يرزن بعقلائكم اليوم (٤) .

والمجنون هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (٥) وليلى التي عشقها هي ليلى بنت سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (٦) .

وكان قيس أجمل فتيان قومه وأظرفهم وأكثرهم في رواية الأشعار وأحسنهم فيه . كان المجنون عاشق ليلى وتكنى أم مالك ، وهما حينئذ صبيان يرعيان مواشي أهلهما ولما كبرت حجبت عنه . ونظراً الحب ينمو بينهما ، يجب عليه أن يكتم حبه ، ولكن عبر عن حبه بالأشعار وأنتشرت أشعاره بين القوم تشبيباً بحبيبته ويعد هذا العمل عاراً عند العرب ،

---

(١) آكاد مري لزنة ، ليلى ومجنون ، تورك ديلي صايي ١٠ — ١٢ ، ١٩٧٥ .

(٢) أبي الفرج الاصبهاني ، كتاب الأغاني ، مجلد ٢ ، ص «٢»

(٣) أبي الفرج الاصبهاني ، نفس المصدر ، ص ٨

(٤) أبي الفرج الأصبهاني ، نفس المصدر ، ص ٦ — ٧

(٥) أبي الفرج الاصبهاني ، نفس المصدر ، ص ١

(٦) أبي الفرج الاصبهاني ، نفس المصدر ، ص ٥

وتحرم على من يشبب بفتاة الزواج بها . وعندما تقدم أهل قيس لأهل ليلى في طلب الزواج كان من الطبيعي أن يرفض الطلب بما تقتضيه التقاليد العربية وخوفاً من العار . مما أدى هذا الأمر الى جنون قيس . ولكن قيس لم يستسلم للحرمان ولم ييأس من لقائها وكان يأتي الى حيها في غفلة من أهلها ، وكذلك يتخذ الرسل بينهما ليعرف أخبارها حين يصعب لقاؤها. وأن أمه مضت الى ليلى تخبرها أن حبه قد أدى الى خلل في عقله مما أدى الى ترك الطعام والشراب ، وترجو منها أن تأتي الى قيس وكانت ليـــــلى تزوره ليلا . وضاق أهل ليلى بهذا ومحاولته المتكررة للقاء بليلى مما أدى مضايقة أهل ليلى فشكروه الى السلطان فأهدر دمه . ولكن قيس لم يبال بالخطر . وكان يذهب الى حي ليلى متمنياً الموت لأن يقول أن الموت أحسن لي. وهذا مما أدى الى أرتحال ديارهم .واننا لا نطول الحديث بهـذا الشأن ،أن جميع المحاولات التي قام بها الوسطاء بيـــن قيس وأهل ليلى قد باءت بالفشل . وهذه صدمة كبيرة الى قيس مما أدى الى فقدان عقله تماماً .

وأما ليلى فلما يئست من حبيبها ، استسلمت لأرادة أهلها في تزويجها محافظة لسمعتها وحرصاً على التقاليد . ولما وصل خبر زواجهـــــا الى قيس فقد البقية الباقية من عقله ، وبدأ يضيق بالناس ويضيقون به فكان يفر منهم الى الصحراء حيث يأنس فيها الى الوحش ويقال أن الوحوش كانت تألفه وتلتف حوله .

وأصبح هـــذا الأمر صعباً الى أهله وقيس لم يسمع ولم يصغ الى نصحهم . فنصح أهل الحي أباه أن يأخذه الى مكة ويدع الله له ويتعلق بأستار الكعبة ويسأل الله أن يعافيه من حبها . ولكن قيس كان يدعو عكس مايدعو له قومه « اللهم زدني لليلى حباً ، ولاتنسني ذكراها أبداً » . وأخيراً يئس قومه منه . فكان يهيم في الصحراء ، ويأنس الوحوش والطير وكانت ليلى لاتزال تحتفظ على حبها بالرغم من زواجها ، حتى سقطت مريضة ويزداد مرضها يوماً بعد يوم حتى ماتت . ولم يطل بقاء قيس بعد موتها وقد أختلف الرواة في هذا أن قيساً مات قبل ليلى أم ليلى ماتت قبل قيس .

إن شيخاً من بني مرة وجده ميتاً في واد كثير الحجارة خشن وأن أهله حملوه فغسلوه وكفنوه ودفنوه ، وأنه كانت جنازته أعظم جنازة لم يكن الناس أكثر البكاء ولم تبق فتاة منهم من بني جعدة ولا بني الحريش الا خرجت حاسرة صارخة . وحضر أهل ليلى معزين وأبوها فكان أشد بكاء وهو منشياً عليه وأظهر أبوها ندمه وأسفه على ما فعله . وقيل « مارئي يوم كان أكثر باكيةً وباكياً على ميت من يومئذ» . هذا هو تلخيص القصة في الأدب العربي(١).

---

(١) أبي الفرج الأصفهاني ، نفس المصدر ، ص ١ — ٢٠

والشعراء الأتراك الذين نظموا منظومة ليلى والمجنون هم :

١ — أدرنلي شاهدي (؟ — ١٤٨٢) :

هو من محبي المولوية ومريدي النشاطية ، ولد في مدينة أدرنه ، وكان كاتباً لسلطان جم رتوفي سنة ١٤٨٢ . وكتب مصنفه ليلى والمجنون سنة ١٤٧٨ وعدد صفحاته ١٧١ صفحة وعدد أبياته ٦٤٤٦ بيتاً ، وهي من أطول المصنفات في موضوع قصة ليلى والمجنون (١) .

٢ — أحمد باشا (؟ — ١٤٩٧) :

هو ابن امام الجند وليد الدين بن الياس ، ويعتبر من كبار الشعراء بعد شيخي في القرن الخامس عشر الميلادي ، ولقب في عهده بسلطان الشعراء . وأن تاريخ ميلاده غير معلوم . وبعد اكمال دراسته عين مدرساً في مدرسة المرادية في بورصه . وثم أصبح قاضياً لولاية أدرنه سنة ١٤٥١ . وتوفي في بورصه سنة ١٤٩٧ ودفن في صحن المدرسة التي بنيت من قبله بجرار جامع المرادية . (٢) ويذكر صاحب التذكره ساهي أنه من منظمي المثنوي ليلى والمجنون ، ويادعى فؤاد كوبرولو ليس له مصنف ليلى والمجنون لأنه لم يذكر في المصادر سوى في تذكرة ساهي ، وأنه قد سجله في تذكرته استناداً الى روايات خاطئة .

وأما بالنسبة الى بهشتي ، ان السلطان محمد الفاتح قد أمره بترجمة هذا المصنف الى اللغة التركية وأراد أحمد باشا الشروع الى ترجمته ولكن لم ينجح في ذلك (٣) .

٣ — علي شير نوائي (١٤٤١ — ١٥٠١) :

هو من كبار شعراء الأدب التركي الجغتائي ، ولد في مدينة هرات (٩ شباط لسنة ١٤٤١) . وهو من سلالة تيمور وينتسب الى الأيغوريين ، وهو أخ لسلطان حسين بيقرا في الرضاع . وقضى أيام شبابه في مشهد ، هرات وسمرقند . وبعد سنة (١٤٦٩) أشغل وظائف مهمة عند حسين بيقرا ، وكان غنياً ولذا لم يتقاض راتباً من الدولة وهو من أشهر السياسيين والأدباء في عصره . وتوفي (في ٣ كانون الثاني لسنة ١٥٠١) في مدينة

---

(١) محمد طاهر بك ، عثمانلي مؤلفلري جلد ٢ ص ٢٦٩

(٢) نهاد سامي بناري ، رسملي تورك ادبياتي تأريخي جلد ١ ، ص ٤٦٤ ،
سيد كمال قرا علي اوغلو ، تورك ادبياتي تأريخي ، جلد ١ ، ص ٦٤٣ .

(٣) محمد طاهر بك ، نفس المصدر ، ص ٢
فواد كوپرولو ، اسلام انسيكلو بديس ، جلد ١ ، ص ١٩١

هرات ودفن فيها . وهو أول من نظم خمساً في الأدب التركي : فرهاد وشرين ، ليلى والمجنون وسد اسكندر . . . ويظن أنه كتب مصنفه ليلى والمجنون في سنة (١٤٤٨) (١) كتب مصنفة بأسلوب سلس وبلغة خالصة وليست لها العلاقة بالتصرف أبداً وانما صور الحوادث المؤلمة بصورة حيوية التي مر بها العاشقان في حياتهما (٢) .

بهشتي أحمد سنان :

كان والده مؤرخاً وشاعر ديوان في القرن الخامس عشر الميلادي . وأن تأريخ ميلاده ووفاته مجهولان . ولد في الفترة الأخيرة من عهد سلطان محمد الفاتح وتربى من قبل السلطان بايزيد الثاني وعين واليا وهرب بهشتي الى هرات خوفاً من السلطان لسوء تفاهم حصل بينهما ، وتعارف مع كبار الشعراء ومنهم علي شير نوائي وملاجامي وحضر حلباتهم الأدبية وبعد فترة توسط بيقرا الى سلطان بايزيد الثاني وطلب عفوه . وعفاه السلطان .

وهو من أهم الشعراء العثمانيين لأنه أول من صنف خمساً في الأدب العثماني . ومن أهم مصنفاته ليلي والمجنون موجودة بين المخطوطات في مكتبة جامعة استانبول تحت رقم (٥٥٩١) (٣) .

٥ — حمدي حمدالله (١٤٤٩ — ١٥٠٣) :

هو من أصغر أبناء الشيخ آق شمس الدين شاعر معروف ولد في كوينوك سنة (١٤٤٩) وتوفر له تعليماً جيداً ، توفي سنة (١٥٠٣) ودفن جوار أبيه في كوينوك .أنه كتب خمساً مقلداً (خمس نظامي) ردي : يوسف وزليخا ، ليلي والمجنون ، مولد النبي . تحفة العاشقين ومحمدية . واما بالنسبة لمصنفه ليلي والمجنون فقد كتبه في سنة (١٤٩٩ — ١٥٠٠) تحت تأثير الجامي ولكن بوزن آخر ومصنفه هذا هو أقدم تصوير لهذه القصة الشائعة وقد نسج حمدي على منوال الجامي علما أن مصنف فضولي كمصنف حمدي. والوزن الذي استعمله في مصنف ليلي ومجنون هو :مفاعلن — مفاعلن — فعولن(٤).

---

(١) سيد كمال قرا علي اوغلو ، نفس المصدر ، ص ١٥٧ — ١٦٢ .

(٢) برتلس ، علي شير «ليلى ومجنون» توركيات مجموعة سي جلد ٩ ، ١٩٥١ .

(٣) تورك ديلي وادبياتي اسيكلو بديسي ، جلد ١ ص ٣٧٧

(٤) سيد كمال ، نفس المصدر ، ص ٤٥٧ .

حسن جلبي (ابراهيم قوتلوق) تذكرة الشعراء ، جلد ١ ، ص ٣٠٩ ، ١٩٨٠ .

٦ — خليل بدر الدين (؟. — ١٥٣٠)

من شعراء الجغتائيين ، حصل تعليمه في مدينة هرات وقتل أثناء احتلال هرات من قبل عبدالله او زبك . وله عدة مصنفات : ديوان شعر ، صفات العاشقين ، ليلى والمجنون وشاه كدا وهذه المصنفات موجودة في متحف مولانا تحت رقم (٢٥٤٧) في قونيا(١).

٧ — أحمد رضوان (؟. — ؟.)

تذكر عنه تذكرة ساهي ، لطفي وحسن جلبي : انه كان من كبار الشعراء في عهده وهو معروف باسم توتوسز احمد ، نشأ في ادرنة وتوفي فيها ايضا في عهد السلطان القانوني . وان لطفي وحسن جلبي لم يتطرقا إلى مصنفاته وانما يتناولان اسلوبه في الشعر فقط . واما ساهي وحبيبي صاحب المصنف انيس المسامرين فيتناولان اسلوبه وابداعه في الشعر ويذكران انه ترجم (خمس) نظامي إلى التركية . ومن مصنفاته المعلومة اليوم خسرو وشرين ويظهر في مصنفه هذا انه كتب مصنفين اخرين قبل هذا احدهما اسكندر نامة والاخر ليلى ومجنون .

وقد نسج أحمد رضوان على منوال مصنف نظامي لليلى والمجنون من اوله إلى اخره وحتى نقل بعض ابياته كما هي إلى مصنفه وبالرغم من تقليده لنظامي فانه استعمل وزنا اخر لمصنفه وهو (مفعول — مفاعلن — فعولن)، وان مصنفه بعيد عن التصوف بالرغم من محاولته التقرب إلى التصوف ، وانه من حيث التعبير والاسلوب ضعيف جداً ومن المحتمل ان يكون هذا اول أثر له (٢) .

٨ — حياتي فاتح جلبي (القرن السادس عشر) :

هو من شعراء عهد سلطان بايزيد الثاني . ويذكر ساهي في تذكرته انه انتسب إلى أحمد باشا في شبابه ، وكان ميالا لقول المزاح والنكت وكان يهجو الأشخاص الذين يطلب منه

(١) تورك ديلي وادبياتي انسيكلو بديسي ، جلد ٤ ، ص ٢٣٣

(٢) آكاه سرى لوند ، رضوانين اسكندر نامه سي ، تورك ديلي دهركيسي ، صايي ، ٣ ص ١٤٣ ، ١٩٥١ .

اكاه سرى لوند ، رضوانين ، ليلى ومجنونو ، تورك ديلي دهركيسي صايي ٧، ص ٣٨٩ — ٣٩٤، ١٩٥٢ .

المشايخ الصوفيين الذين انتشر نفوذهم في هـــذا العصر « مولانا جلال الدين الرومي » و«حاج بكتاش ولي ».ومن الطبيعي ألا يبقى الشعراء خارج نطاق هذه الدائرة ، فقد بدأوا يكرسون أقلامهم لنشر المعتقدات الدينية والصوفية . ومن الشعراء المتصوفين المشهورين في هذا العصر « أحمد فقية » المتوفي في ١٢٥٦ م وله قصيدة (جرخنامه) وتتألف من (٨٣) بيتاً كتبت على شكل نصائح صوفية،دينية واخلاقية.أما مؤلفه الثاني فهو على شكل مثنوي(١) يتكون من (٣٨٠) بيتاً ويدعى « كتاب تصوف مساجد شريفة » . وله أيضاً ثلاث قصائد شعرية قائمة على نظام المقاطع عن مدينة القدس .

أما « شياد حمزة » فهو شاعر ودرويش متجول . وله أشعار كتبت وفق شكل القافية المستعمل في الغزل التركي (٢) في مواضيع دينية وتصوفية . وقد دون قصة « يوســف وزليخة » على شكل مثنوي متكون من ١٥٢٩ بيتاً كتبها في سنة ١٢٣٣ م . وهناك شاعر متصوف آخر يدعى « سلطان ولد – ١٢٢٦ – ١٣١٢ » وهو ابن « مولانا جلال الديــن الرومي » . وعلى خلاف والده الذي كتب مثنوية باللغة الفارسية ، فقد رأى أن لغته الام (التركية) هي أولى بأن يكتب بها ، رغم أنه كتب بعض آثاره الأدبية بالفارسية . لأنه أيقن أن مبادئ الطريقة المولوية تكون أكثر فهماً وانتشاراً بين العوام حينما تكتب بلغتهم . وله ثلاث آثار أدبية من الفارسية والتركية كتبت على شكل مثنوي تدعى « ابتداء نامه» وتتكون من (٩٠٠٠) بيت و « رباب نامه » وتتكون من (٨٠٠٠) بيت و « انتهاء نامه » وتتكون من (٧٠٠٠) بيت . وله أيضاً أثر أدبي منثور يدعى « معارف نامه » . ويحوي ديوانه الشعري بعض الغزليات والرباعيات باللغة الفارسية بالأضافة الى أشعار تركية أخرى . أما من حيث

---

(١) المثنوي : شكل من أشكال النظم معروف في الأدب الشرقي والغربي على السواء . ويستعمل في نظم الحكايات التي تحوي طابع النصح والأساطير الطويلة . كل بيت من أبيات المثنوي متشابهان من حيث القافية ولكنهما يختلفان بالنسبة للأبيات التي تليهما . أي أن القافية في كل بيت منه مختلفة عن نظيراتها في الأبيات الأخرى .

(٢) الغزل : شكل من أشكال النظم انتقل من الأدب العربي الى الأدب التركي ويتكون غالباً من (٥ – ٧) أبيات وقد يتعدى الى (١٠ – ١٢) بيتاً ، ويسمى في هذه الحالة بالغزل المذيل ويتناول الغزل عموماً المرأة وجمالها والعشق والغرام والشراب . وازداد التعلق بالغزل بعد أن أضيفت اليه المواضيع الحكمية والفلسفية والصوفية . البيت الأول منه يسمى مصرعاً لتشابه مصراعيه في القافية . أما في الأبيات التالية – اعتباراً من البيت الثاني – فيكون المصراع الأول حراً والمصراع الثاني مشابهاً للبيت الأول في القافية.

١١ — جليلي حامدي زادة :

شاعر الديوان (بورصة ، في القرن السادس عشر) واسمه الحقيقي هو عبدالجليل ولد في مدينة بورصه في عهد السلطان بايزيد الثاني ، وحصل تعليمه في المدرسة وتعلم العربية والفارسية . ويقال انه فقد شعوره في ايامه الاخيرة وعاش حياة منزوية وتوفي في عهد السلطان سليم الثاني . ويذكر في التذاكر انه صاحب (خمس) وانه اكمل منها ليلى والمجنون وخسرو شرين وكتب أثر ليلى والمجنون سنة ١٥١٣ . واثره موجود اليوم في باريس (١) .

Baris Bibliothegueu National, an, fon No, 3643

١٢ — سيودائي :

من شعراء القرن السادس عشر . وتأريخ كتابة مصنف ليلى والمجنون هو ١٥١٤ ونسخته موجودة في مكتبة جامعة كامبريدكه ، وتصويره في مكتبة اكاه سري لرند (٢).

١٣ — خيالي عبد الوهاب (؟ — ١٥٢٢)

شاعر الديوان (بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر) وهو ابن عبدالكريم أفندي من مؤلفي عهد السلطان محمد الفاتح ، وتخرج من مدرسة كاستلي المرلوية وعين مدرساً في مدرسة أيوب قلندر خانة ، وبعده اصبح قاضيا . وحضر في مجالس السلطان سليم عندما كان واليا في طرابزون ، وحينما أصبح سليم سلطاناً عينه كاتباً عاماً في ديوانه . وتوفي في سنة (١٥٢٢) عندما كان قاضياً في ازمير وذكر صاحب التذكرات لطفي ، ساهي وحسن جلبي انه صنف ليلى والمجنون (٣) .

١٤ — حقيري :

من شعراء القرن السادس عشر وهو اذري من تبريز ، وتأريخ كتابة مصنفه ليلى والمجنون (١٥٤٢) ، وعدد صفحاته (١١٧ او ١٩٧) صفحة وعدد ابياته (٢٠٩١) بيتاً والمصنف موجود في British Museum No Add 7936/Iv

(١) تورك ديلي وادبياتي انسيكلوبيديسي ، جلده ، ص ٣١ .

(٢) اكاه سري لوند ، تورك ادبياتنده ليلى ومجنون يازان شاعرلر ، تورك ديلي اراشتيرمالاري بيلليغي ١٩٥٧ .

(٣) محمد طاهر ، نفس المصدر ، جلد١ ، ص ٢١٢ .

(٤) اكاه سري لوند ، نفس المصدر .

١٥ — فضولي (؟ — ١٥٥٦) :

يعتبر فضولي من كبار شعراء الأتراك ، لقد كان فضولي من اكبر شعراء الأتراك من حيث تأثيره الادبي وجمال اشعاره ، حيث انتشرت مصنفاته ولمدة طويلة جدا في رقعة واحدة لم يحصل عليها أي شاعر اخر . ولذلك نستطيع ان نعتبر فضولي من اكبر واعظم شعراء الأتراك قاطبة واستعمل في مصنفاته اللهجة الأذرية . وان السيرة التي نمتلكها عن حياة هذا الشاعر الكبير ليست كافية بل قليلة جدا . نعلم ان اسمه محمد واسم والده سليمان ، ولكن ليست لدينا المعلومات الكافية والتي تدلنا على محل وتاريخ ولادة الشاعر . يذكر المؤرخ عالي بان الشاعر من اهالي بغداد ، بينما يقول قنالي زادة بأنه من أهالي الحلة . ويقول رياضي انه من كربلاء وبالاضافة إلى تذكرة صادقي فان المصادر الأخرى ايضاً تذكر بانه من اهالي الحلة ولد فيها وقضى فيها ردحاً طويلا من عمره.

ونحن لانعلم عن حياة فضولي الأولى شيئاً ، ولانعلم كيف وعلى يد من بدأ دراسته وكذلك لانعلم متى بدأ ينظم أول اشعاره . لكننا نعلم ان فضولي قد حصل لقب الملا لذكائه وكذلك قد درس العلوم العربية على يد رحمة الله .

هنالك روايات مختلفة عن تأريخ وفاة الشاعر ولكن أقرب واصدق هذه الروايات هي رواية عهدي البغدادي والذي يذكر فيها بان فضولي قد توفي سنة ١٥٥٦ وقد ذكر عهدي بأنه قد توفي اثر انتشار مرض الطاعون آنذاك في بغداد ، ودفن بجانب مشهد الحسين (عليه السلام) في كربلاء .

عاش فضولي في العراق في فترة كان العراق مركزاً للثقافة العربية والتركية ، وكانت في تلك الفترة كل من بغداد ، نجف ، كربلاء والحلة مركزاً ثقافياً مهماً . تكونت شخصية فضولي الأدبية والعلمية وتبلورت في المحافل العلمية التي تقام هنالك . لم يكتف فضولي لمعرفة الفنون الشعرية والادبية فقط ، بل كون لنفسه معلومات كافية في العلوم الاسلامية العقلية والنقلية . تتبين لنا قوة سعة المعلومات العلمية للشاعر من خلال اشعاره ، وكذلك نستطيع ان نرى قوة معرفته للفلسفة والفلك والعلوم الدينية من خلال آثاره الأدبية . ويقول عهدي عن فضولي بأنه أسمر وذو صفات حميدة ومرح يسر جالسه والذي يعد أمير الشعر التركي الكلاسيكي .

وكتب منظومته عن ليلى والمجنون في الفترة الأخيرة من حياته وهو يشير في مقدمته إلى أنه اتمها سنة ١٥٥٣ م . وتعتبر ليلى ومجنون من أهم مصنفاته ويقترن اسمه بهذا

المصنف وقد اشتهرت شهرته بين جميع الأقوام التركية وفاق جميع المصنفات التي كتب بعده او قبله بهذا الموضوع . يصرح فضولي ان طاشلجالي يحيى بلك وخيالي بك اللذين اشتركا مع قانوني في سفره إلى بغداد اذ انهما حثاه على نظم قصة ليلى والمجنون في اللغة التركية .

ويبدو ان فضولي لم يسمع شيئاً عن المصنفات التي كتبت بهذا الموضوع واذا شاهد هذه القصص لم يعجب بها ، وان هذا الموضوع ملائم إلى نفسية فضولي ايضاً . اذ أنه تمكن من التعبير عن احاسيسه وافكاره التصوفيه من خلال هذا الموضوع . والشاعر المبدع تفوق واجتاز المستوى الفني الذي بلغه الشعراء قاطبة . ولذا كشف جميع المصنفات بهذا الموضوع . وتبلغ منظومة فضولي حوالي (٣٤٠٠) بيتاً . وتعتبر من أجمل المثنويات التي نظمت بالتركية (١) .

١٦ — حمدي لارنده لي :

من شعراء القرن السادس عشر . وكتب مصنفه ليلى والمجنون سنة (٩٥٠هـ). ونسخته موجودة في مكتبة فاتح تحت رقم (٣٧٤٠) واول من يخبرنا عن هذا المصنف وعنوانه (حيرت نامة) هو علي نهاد طرلان (٢) .

١٧ — عارف فتح الله (؟. — ١٥٦١) :

وان مصنفه غير موجود ، ويذكر عهدي في تذكرته انه من اصحاب الخمسة . واذا كان عارف قد صنف خمساً فلا بد من انه قد صنف ليلى والمجنون (٣) .

١٨ — صالح جلال زادة (؟. — ١٥٥٦)

هو اصغر اخ المؤرخ العثماني ومن كبار الادباء مصطفى جلال زاده ، وتعلم على أيادي خيرة العلماء منهم خير الدين الفندي الذي كان استاذاً للسلاطين ، وابن كمال وهو من كبار العلماء العثمانيين . وبعد اكمال دراسته اصبح مدرساً في استانبول وادرنه واخيراً

---

(١) فضولي (دكتور حسين ايانه) ليلى ومجنون ، استانبول ١٩٨١ . حامد اراسلي ، ليلى ومجنون [illegible]
فضولي ، ليلى ومجنون ، انكليزية ترجمة سي ، استانبول [illegible] .
(٢) علي نهاد طرلان ، اسلام ادبياتنده ليلى ومجنون مثنويسي ، دكتوراه تز ي.
(٣) آكاه سرى لوند ، نفس المصدر .

دخل إلى سلك القضاة . وقام بوظائف شرعية في مصر والشام وحلب وبعد رجوعه إلى استانبول مباشرة تقاعد عن العمل ، وانزوى إلى داره في نيشانجي واشغل نفسه بترتيب وتأليف مصنفاته وتوفي في سنة (١٥٥٦م) ودفن بجانب أخيه . وتحوي مصنفه ليلى والمجنون على قطع شعرية مؤثرة ورقيقة لأنه كتبه تحت تأثير الاحزان الناتجة من فقدان ولديه (١) .

١٩ — خليفة ديار بكري (؟. — ١٥٧٢)

يذكر عهدي في تذكرته أنه من شعراء القرن السادس عشر . ولد في ديار بكر وذاعت شهرته بين اقرانه في فترة قصيرة . وسافر إلى حلب والشام بعد ذكر هذه المعلومات عنه يقول انه من مؤلفي الخمسة ولكن لم يذكر اسماء مصنفاته الخمسة . واما علي أميري ، في تذكرتا بكرو ماهو موجود في تذكرة عهدي ولكنه يضيف انه بعد ان تجول في الشام وحلب ذهب إلى استانبول وتعرف على كبار الشعراء الموجودين هناك ، واستمر في رحلته حتى وصل إلى خراسان فتركستان وبعد رجوعه إلى ديار بكر توفي في سنة (١٥٧٢) . ويتطرق كاتب جلبي إلى مصنفات خليفة فقط ويذكر منها خسرو وشرين. يوسف وزليخا وليلى والمجنون . واختار الشاعر لقصته ليلى والمجنون الوزن (مفعول — مفاعلن ، فاعلاتن) ونسجه على منوال هاتفي . وان مصنفه هذا له أهمية كبيرة بالنسبة للصناعات الأدبية الموجودة في اشعاره (٢) .

٢٠ — خماري خليل :

هو من شعراء القرن السادس عشر وينتسب إلى مدينة بورصة . وان أثره غير موجود. وان المثنوي ليلى والمجنون من ضمن مصنفاته وانه استعمل اسلوباً سلساً ولغة جميلة وهو من كبار رجال عصره ، وعاش في عهد السلطان سليمان القانوني ، وذهب إلى مكة قاضياً (٣) .

٢١ — سنان جلبي :

هو من شعراء القرن السادس عشر الميلادي ، وابن كيرجيجي زادة ، وهو الأخ الأكبر [illegible] ، وان [illegible] غير موجودة ، [illegible]

من اصحاب قصة ليلى والمجنون وتبلغ منظومته حوالي ([illegible]) بيتاً .

---

(١) محمد طاهر بك ، [illegible] ، ص [illegible] .

(٢) آكاه سري لوند ، خليفة نين ليلى ومجنونو ، [illegible] ١٩٦٤ .

(٣) محمد طاهر بك ، نفس المصدر ، ص ١٧٠ .

٢٢ — ادريس محوي :

هو من شعراء القرن السادس عشر الميلادي . وابن عمربك بن توهان بلك اوغلو . وان مصنفه غير موجود . ويذكر ساهي في تذكرته انه ترجم مصنف ليلى والمجنون للشاعر هاتغي إلى التركية .

٢٣ — محبي جلبي :

هو من شعراء القرن السادس عشر الميلادي ، من مدينة نيكده ، وان مصنفه غير موجود ويذكر عهدي تذكرته انه قد صنف المثنوي ليلى والمجنون .

٢٤ — ضميري :

من شعراء القرن السادس عشر الميلادي . ومصنفه غير موجود ايضاً . ويذكر عهدي البغدادي في تذكرته انه قد الف قصة ليلى المجنون باسلوب سلس جميل مزركشة بالبدائع الأدبية .

٢٥ — قول عطا :

من الشعراء الاذريين نشأ في القرن السادس عشر الميلادي ، واول من اخبرنا عن هذا الأثر هو اوخان سائق كوك ياى ، ومحل وجود هذا المصنف هو مكتبة كليـــة اللغة والتاريخ والجغرافية في انقرة (١) .

٢٦ — فائضي قاف زادة (١٥٧٢ م — ١٦٢٢)

شاعر الديوان وكاتب السير . وهو ابن امام الجند والشاعر قاف زادة فيض الله افندي المتوفي في سنة (١٦١٢). واسمه الحقيقي عبد الحي ، وان تأريخ ميلاده غير معلوم بصورة قطعية ، ولذلك نصادف على تواريخ مختلفة في المصادر مثـــل (١٥٧٢ و ١٥٨٩) . بدأ تحصيله من الدروس الذي تلقاه من ابيه ثم انتقل إلى التعليم المدرسي ، واصبح مساعداً لاستاذ مصطفى أفندي (١٦٠٤) ثم اصبـــح قاضياً في جيـــوش مراد باشا الذي أرسل إلى حلب ضد علي باشا سنة (١٦٠٧) .

ثم عين مدرساً في المدرسة التي بناها اسكيجي زادة أحمد باشا (١٦١٠) . وثم نقل إلى احدى مدارس السمانية (١٦١٣)،وثم نقل إلى مدرسة سلطان والده في اسكدار (١٦١٥).

---

(١) اكار سري لوند ، نفس المصدر .

ورفع بعده ونقل إلى السليمانية (١٦١٦). واخيرا عين قاضياً في سلانيك (١٦١٨). وبعد فترة جاء إلى استانبول ليذهب إلى الشام حيث عينه قاضيا فيه (١٦١٩). ولكنه بقي في استانبول لأن قضاء الشام سلم لغيره .

وأثناء خلع السلطان عثمان الشاب كان هو موجودا في السراي فاستولى عليه الخوف والرعب اللذين تسببا إلى موته . ودفن بجانب ابيه .

ذاعت شهرته في كتابة السير (تأريخ الادب) اكثر من الشعر وكان بارعاً في كتابة النثر ومع هذا فان قدرته الشعرية عالية وهو يضاهي نفعي المتوفى (١٦٣٥) في الهجاء. ويذكر اسمه بين الشعراء المعروفين في عهده . ومن مصنفاته : زبدة الاشعار (تذكرة) ديوان الشعر . ساقي نامة وليلى والمجنون ... ويذكر سالم في تذكرته ان مصنفه ليلى والمجنون قد اكمله سيد وهبي من بعده (١) .

٢٧ — رفعتي عبدالحي جلبي (؟ — ١٦٦٩)

هو ابن صادق افندي من المولويين .

ويعتبر من كبار الشعراء في عهده . والف قصتين منظومتين اولاهما يوسف وزليخا وثانيهما ليلى والمجنون وتوفي في استانبول سنة (١٦٦٩) .

٢٨ — ناكام : (٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م)

هو من الشعراء الاذريين ويذكر رسول زادة محمد أمين في مصنفه (الشاعر الاذري نظامي) اسمه بين الشعراء الذين نظموا قصة ليلى والمجنون باللغة التركية (٢) .

٢٩ — عندليب : نور محمد غريب (١٧١٢ — ١٧٨٠)

هو شاعر تركماني ولد سنة ١٧١٢ وتوفي حوالي سنة ١٧٨٠ ، له (ليلى والمجنون) و (يوسف وزليخا) . وقد استفاد في كتابة مواضيع دستانه الأثرين الادبيين إلى التراث الشعبي وإلى الادب الكلاسيكي (٣) .

---

(١) تورك ديلي وادبياتي انسيكلوبيديسي ، مجلد ٧ ، ص ١٦٩

(٢) آكاه سري لوند ، نفس المصدر .

(٣) اذربايجان انسيكلوبيدياسي ، مجلد ٤ ، باكو ١٩٨٠ ، ص ٢٩٠ .

سليمان چلبي ومولد النبي صلى الله عليه وسلم في الأدب التركي

د. هدايت كمال بدري

كلية الآداب / جامعة بغداد

تمهيد :

لقد عثر على الآثار الأدبية الدينية المدونة بلهجة الغز (أوغوز)(١) التركية في القرن الثالث عشر ، ولم يرد ذكر للشعراء الشعبيين المشهورين في قائمة كاتبي هذه الآثار . ومن أهم نتاجات الأدب الشعبي المدون في هذا العصر : « بطال نامه » . ويتحدث هذا الأثر الأدبي عن بطولات « سيد بطال غازي » وحروبه ضد البيزنطيين من أجل أعلاء الدين الإسلامي الحنيف . و « دانشمند نامه » الذي يسرد مناقب وبطولات « دانشمند ملك أحمد » وابنه « غازي بك » وكان الموضوع الرئيس لهذه الآثار الأدبية دينياً . فابطال هذه القصص الشعبية يؤمنون بالعون الالهي وتتراءى لهم صورة النبي (ص) والأمام علي في أحلامهم . وهذه القصص الشعبية ماهي الا قصص بطولية تكونت حول الحوادث التي جرت مع انسياق التأريخ التركي عند فتح الأناضول من قبل الأتراك المسلمين واتخاذها وطناً لهم أعتباراً من سنة ١٠٧١ م . ويلاحظ أن اللغة التركية قد ترسخت جذورها تدريجياً في الأناضول ، وأثرت على اللغات المحلية فيها مثل الرومية وغيرها ، وعلى قسم من الكلمات والمصطلحات

(١) لهجة الغز (أو غوز) : احدى اللهجات التركية الرئيسية وهي أساس اللهجة التركية الغربية . وتشمل الساحة الممتدة بين بحر الخزر ودول البلقان .

العربية والفارسية التي كانت قد دخلت اللغة التركية في بداية اعتناق الأتراك الدين الإسلامي الحنيف أعتباراً من القرن الثامن الميلادي وذلك قبل نزوحهم من تركستان (اسيا الوسطى). وقد وصلت اللغة التركية الى ذروة انتشارها عندما حلت محل اللغة الفارسية — التي كان السلاجقة يستعملونها كلغة رسمية لدولتهم — بفضل القائد التركي « قهرمان أوغلو محمد بك » الذي تسلم الحكم وأمر بأستعمال اللغة التركية بصورة رسمية في تمشية كافة أمور الدولة في سنة ١٢٧٧ م (١) . ثم جاءت العوامل التي مهدت السبيل لأستيلاء المغول على الأناضول ومنها ثورة « بابا اسحاق » (٢) الدينية ، الذي أعلن نفسه نبياً وجمع حوله كثيراً من الأتباع الى أن تمكنت الدولة السلجوقية منه وقتل سنة ١٢٤١ م .

وبمرور الزمن تدهورت أوضاع الدولة بصورة ملحوظة . حيث قتل المغول «قهرمان أوغلو محمد بك » . وبدأ الصراع حول العرش بين أمراء السلجوقيين . وبدأ المغول بترسيخ نفوذهم في الأناضول حتى بدأوا بتعيين وزراء السلجوقيين بأنفسهم . الى أن توفي آخر سلاطينهم « مسعود الثاني » ولم يبق بعده من يتولى العرش وبذلك أنتهى دور السلاجقة على مسرح التاريخ . وخلاصة القول أن الأناضول في هذه الفترة كانت في وضع يرثى له سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، وكان الشعب يعيش في قلق مستمر . وقد مهدت كل هذه العوامل السبيل بسرعة لأنتشار المعتقدات الدينية على أختلاف أنواعها أمثال الباطنية والصوفية وظلت ارادة الإنسان عاجزة عن مواجهة الأحداث . وراقب العجز يسود الثورات ، أو اللامبالاة وأخيراً الرضا بما يأتي به القضاء والقدر والأتكال على الله . وكان قد لجأ الــى الأناضول مئات بل ألوف من دراويش الباطنية هرباً من الزحف المغولي . وقد غطت موجة التصوف بسرعة جميع مناطق الأناضول تقريباً . فقد كان يشاهد المتصوفون والدراويــش يطلقون لحاهم ويتجولون في كل مكان ، حيث انتشرت في الأناضول زواياهم وتكاياهم . وأخذ الناس يتحلقون حولهم . ليس فقط العامة هم الذين بدأوا بالتفتيش عن ملجأ لهم في هذا الوسط الديني بل حتى تجمهر رجال الدولة البارزون لأستغلال ثورة شيوخ هذه الطرق الدينية على الناس . وكانت قونية » وأطرافها هي مركز الفكر والفن . ومن أبرز

(١) Ismail Hakki Uzuncarsili. Anadolu Beylikleri. T.T.K. Basımevi 2.
Baskı, S.S Ankara – 1969. (٢)

(٢) ثورة بابا اسحاق : ثورة طائفية أكثر مما هي دينية ، قامت في عهد السلطان السلجوقي التركي غياث الدين كيخسرو الثاني (١٢٣٦ – ١٢٤٦) . وقد أشغلت الدولة فترة من الزمن الى أن تمكنت منها ، حيث قتل بابا إسحاق مع كثير من أتباعه سنة ١٢٤١ م .

المشايخ الصوفيين الذين انتشر نفوذهم في هذا العصر « مولانا جلال الدين الرومي » و«حاج بكتاش ولي ».ومن الطبيعي ألا يبقى الشعراء خارج نطاق هذه الدائرة ، فقد بدأوا يكرسون أقلامهم لنشر المعتقدات الدينية والصوفية . ومن الشعراء المتصوفين المشهورين في هذا العصر « أحمد فقية » المتوفي في ١٢٥٢ م وله قصيدة (جرخنامه) وتتألف من (٨٣) بيتاً كتبت على شكل نصائح صوفية، دينية واخلاقية.أما مؤلفه الثاني فهو على شكل مثنوي(١) يتكون من (٣٨٠) بيتاً ويدعى « كتاب تصوف مساجد شريفة » . وله أيضاً ثلاث قصائد شعرية قائمة على نظام المقاطع عن مدينة القدس .

أما « شياد حمزة » فهو شاعر ودرويش متجول . وله أشعار كتبت وفق شكل القافية المستعمل في الغزل التركي (٢) في مواضيع دينية وتصوفية . وقد دون قصة « يوسف وزليخة » على شكل مثنوي متكون من ١٥٢٩ بيتاً كتبها في سنة ١٢٣٣ م . وهناك شاعر متصوف آخر يدعى « سلطان ولد — ١٢٢٦ — ١٣١٢ » وهو ابن « مولانا جلال الدين الرومي » . وعلى خلاف والده الذي كتب مثنوية باللغة الفارسية ، فقد رأى أن لغته الام (التركية) هي أولى بأن يكتب بها ، رغم أنه كتب بعض آثاره الأدبية بالفارسية . لأنه أيقن أن مبادى الطريقة المولوية تكون أكثر فهماً وانتشاراً بين العوام حينما تكتب بلغتهم . وله ثلاث آثار أدبية من الفارسية والتركية كتبت على شكل مثنوي تدعى « ابتداء نامه» وتتكون من (٩٠٠٠) بيت و « رباب نامه » وتتكون من (٨٠٠٠) بيت و « انتهاء نامه » وتتكون من (٧٠٠٠) بيت . وله أيضاً أثر أدبي منثور يدعى « معارف نامه » . ويحوي ديوانه الشعري بعض الغزليات والرباعيات باللغة الفارسية بالأضافة الى أشعار تركية أخرى . أما من حيث

---

(١) المثنوي : شكل من أشكال النظم معروف في الأدب الشرقي والغربي على السواء . ويستعمل في نظم الحكايات التي تحوي طابع النصح والأساطير الطويلة . كل بيت من أبيات المثنوي متشابهان من حيث القافية ولكنهما يختلفان بالنسبة للأبيات التي تليهما . أي أن القافية في كل بيت منه مختلفة عن نظيراتها في الأبيات الأخرى .

(٢) الغزل : شكل من أشكال النظم انتقل من الأدب العربي الى الأدب التركي ويتكون غالباً من (٥ — ٧) أبيات وقد يتعدى الى (١٠ — ١٢) بيتاً ، ويسمى في هذه الحالة بالغزل المذيل. ويتناول الغزل عموماً المرأة وجمالها والعشق والغرام والشراب . وازداد التعلق بالغزل بعد أن أضيفت اليه المواضيع الحكمية والفلسفية والصوفية . البيت الأول منه يسمى مصرعاً لتشابه مصراعيه في القافية . أما في الأبيات التالية — اعتباراً من البيت الثاني — فيكون المصراع الأول حراً والمصراع الثاني مشابهاً للبيت الأول في القافية.

اللغة والوزن فنرى أنه قد بذل جهداً كبيراً لأجل تنسيق ومواءمة بحور (أوزان) العروض على الشعر التركي . ذلك لأنه لاتوجد في اللغة التركية مقاطع طويلة مثل المقاطع التي تحتوي على حروف علة كما هو الحال في اللغة العربية . ولهذا نرى أن كثيراً من الكلمات العربية والفارسية ذات المقاطع الطويلة دخلت اللغة التركية من باب الشعر القديم (شعر أدب الديوان (١) لأجل استعمالها لكي تتواءم مع بحور العروض في الحالات التي تتطلب استعمالها في الأشعار التركية . ومما تقدم نجد أن هذه الحالة لاتخص القرن الثالث عشر وحده وانما تستمر الحالة حتى القرون التالية وحتى نهاية « أدب الديوان » في منتصف القرن التاسع عشر تقريباً .

وثمة شاعر آخر برز في النصف الثاني من هذا العصر يعتبر من أعاظم الشعراء المتصوفيـن يدعى « يونس أمره — (١٢٤١ — ١٣٢٠) » . وهو من شعراء التكايا . وبجانب نظام المقاطع الذي استعمله في نظم أشعاره ، فهنالك أشعار كثيرة له نظموا بوزن العروض أيضاً . ولا زالت أشعاره تتناقل من يد الى أخرى بين أبناء الشعب التركي رغم مرور هذه الفترة الطويلة من الزمن لأنه أستطاع أن يعبر عن أحاسيسه بلسان الشعب وذوقه . يقول الدكتور حسين مجيب المصري عن يونس أمره : « شاعر من سواد الناس يسمى يونس أمره وهو يعتبر بحق أهم شخصية أدبية في ذلك العصر المتقدم من عصور الشعر التركي . والأتراك المحدثون يعتزون كثيراً بـ « يونس أمره » ويبالغون في تمجيده مبالغة لم يحظ بها شاعر غيره لأصالة مكنته وصدق شاعريته وعمق شعوره الديني وسلاسة لغته وهي لغة قروي أزادوري . فيونس أمره أول شاعر يمثل [illegible] الأثر في نشأة الأدب البكتاشي (٢)

---

(١) أدب الديوان : من أهم الفترات في تأريخ الأدب التركي . ولا يعرف بالضبط تأريخ ظهوره ، غير أن منظومة (كتاب) قوتادغو بيليك (العلم النافع للسعادة) للشاعر يوسف خاص حاجب — من شعراء القرن الحادي عشر الميلادي — تعد باكورة انتاج لهذا الأدب ويعتبر منتصف القرن التاسع عشر نهاية « أدب الديوان » في تأريخ الأدب التركي . وتجدر الإشارة هنا الى أن [illegible] الديوان في أدب الديوان المذكورة كان يحتوي جميع أشكال الفنون الشعرية [illegible] ترتيباً ابجدياً بحسب القافية .

(٢) [illegible] والتي [illegible] من الأناضول . وفي هذه الأثناء ظهر [illegible] بكتاش [illegible] وأنشأ الطريقة البكتاشية [illegible] وتحلق حوله المناصرون من [illegible] وكان من بينهم الشعراء الشهيرون الذين نظموا لأجل نشر معتقداتهم الدينية . وأفكارهم بين الناس . ولم يبق هؤلاء الشعراء في نطاق طريقتهم الدينية ، بل تعدوا ذلك الى مواضيع عامة ودنيوية . وبرز بينهم شعراء مشهورون لهم مكانة بارزة في الأدب التركي الشعبي . وسمي أدبهم بالأدب البكتاشي .

غير أن هذا الفنان الأصيل كان مثالا يجتذبه شعراء التصوف جميعاً . وحقيقة الأمر أن شعره يعتبر أروع نموذج للشعر التركي القومي الذي يستمد الألهام من الروح التركية . ولا نعرف من سيرة هذا الشاعر الا النزر اليسير ، ويقال أنه كان أمياً وتلك حقيقة ينوط بها الصوفية أعظم الأهمية ،فعندهم أن علمهم وحي والهام وحقائق يشعر بها القلب لامسائل تدرك بكد الذهن ومعاناة التحصيل ، فالصوفي الحق ملهم يلقي الله النور في روحه القاء ويعلمه مالم يعلم دون أن يهيء الوسيلة الى التعلم ،وعلى ذلك فتلك نعمة يسبغها الله عليه ويخصه بها . ولكن شعر يونس أمره يدل على أنه كان على حظ من العلم بالأديان ومذاهبها وتعاليم التصوف ومنها تعاليم جلال الدين الرومي على الخصوص ، وهذا برهان قوي على أن التصوف كان فاشيا بين اتراك الأناضول عوامهم وخواصهم ،فسيطرته على الروح التركيه الى هذا المدى البعيد خلقت شاعراً مثل يونس أمره وهو ذلك الشاعر المستجيب لفطرته المنطلق على سجيته ، لأنه لايبدو شيخاً ولا معلماً ، وانما كان في الحب الالهي هائماً وبه مترنماً ، فكلامه خفقات قلب جاش بعاطفته وانما أجراه على لسانه لعجزه عن كتمانه » (١) بالأضافة الى ديوانه الشعري فله أثر أدبي آخر مكتوب على شكل مثنوي يدعى « رسالة النصحية » .

ويمكن القول أن الأدب التركي تحت تأثير الأسلام في هذا العصر اتخذ لنفسه خطاً أمكن الأعتماد عليه خلال العصور التالية .

وخلال القرن الرابع عشر يبرز شاعر آخر من شعراء البكتاشية يدعى « نسيمي البغدادي » وقد كتب أشعاره الصوفية باللهجة الأذرية التركية . وقد بدت حياته مزيجاً من الحقيقة والأسطورة . واتهم بالزندقة فسلخ جلده وهو حي ومضى حاملا جلده على كتفه . وتردد عنه انه شوهد وهو يخرج من أبواب بغداد السبعة !

وهنالك آخر يثبت وجوده في هذا القرن واشتهر بأسم « رابكوزي » نسبة الى مدينة « رباط أوغوز » بتركستان واسمه الحقيقي « برهان أوغلو قاضي ناصر » وقد كتب « رابكوزي » آثاره الأدبية باللهجة الجغطائية التركية . (٢) وقد كتب أثره الأدبي المشهور « قصص الأنبياء

(١) د . حسين مجيب المصري ، في الأدب العربي والتركي (دراسة في الأدب الإسلامي المقارن) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة — ١٩٦٢ — ص : ٢٨٧ .

(٢) اللهجة الجغطائية : من اللهجات التركية المهمة ، واتخذت هذا الأسم نسبة الى « جغطاي» بن جنكيزخان . وهي امتداد لنفس اللهجة التي استعملت من قبل الدول التركية التي تشكلت في آسيا الوسطى مثل « قره خانلي » (الخاقانية) تشكلت في عهد التيموريين (١٤٠٥ — ١٥٠٦) .

بأمر من أحد أمراء الجغطائيين يدعى « ناصر الدين طوق بوغا » في سنة ١٣١١ . ويحوي الأثر الأدبي المنثور هذا مقاطع شعرية مثل الغزل والمربع أيضاً لها أهميتها في تأريخ اللغة التركية .

أما « علي أوغلو محمود » فقد كتب أثراً دينياً آخر يدعى « نهج الفرادس » وعلى شكل مثنوي . ولهذا الأثر هو الاخر أهميته من حيث السياق التأريخي للغة التركية .

وأشتهر في هذا القرن شاعر متصوف آخر يدعى « شيخ أحمد كولشهري » . وترجع شهرته الى ترجمته كتاب « منطق الطير » للشاعر الفارسي « فريد الدين عطار » الى التركية نظماً . حيث يسرد قوانين واسس التصوف على لسان الطيور بصورة مبسطة في هذا الأثر . وله أيضاً « فلك نامه » و « عروض رسالة سي » .

« عاشق باشا » شاعر آخر أشتهر بسبب سعة انتشار كلماته بين محبيه الكثر ، واسمه الحقيقي « علي » . وله أثر أدبي تصوفي كتب على شكل مثنوي يدعى « غريب نامه » أو « معارف نامه — ديوان عاشق باشا » . ويتكون من عشرة فصول وفي كل فصل عشر حكايات تصوفية . ويقارب مجموع أبيات هذا الأثر الادبي (١٢) ألف بيت . وله أيضاً أربعة مثنويات أخرى تدعى «فقر نامه »، « وصف حال »، « حكاية » و «كيمياءرسالة سي» وفي القرن الخامس عشر نرى أن الأدب التركي وخاصة « الأدب الديني » يستمر في التوسع ويبرز شعراء مشهورون في هذا المضمار . ويزداد الأهتمام بأعمالهم الأدبية الدينية . ومنهم « سليمان جلبي » الشاعر الخالد الذي نظم مراحل حياة الرسول العظيم (ص) في كتابه « وسيلة النجاة » أو « المولد » على شكل مثنوي حيث أشتهر وتناقلته الأيدي ، ويقرأ في المناسبات الدينية بين الأقوام التركية كافة في مشارق الأرض ومغاربها . ولاتزال هكذا حتى يومنا هذا .

وبعد هذه المقدمة القصيرة التي تناولنا فيها الاثار الأدبية الدينية المهمة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر . واستعرضنا أهم الكتاب الذين اهتموا بهذا النوع من الادب . ومررنا مروراً سريعاً على أهم اعمالهم الادبية في هذا المجال ؛ نريد أن نركز دراستنا على أحد هذه الأعمال وهو « المولد» لمؤلفه « سليمان جلبي » باعتباره أحد اكبر الشعراء في هذا المضمار .

يذكر الكاتب التركي حجي خليفة (كاتب جلبي) ١٦٠٨ – ١٦٥٧ معلومات عن كتاب « المولد» فيقول : « المولد : مؤلف تركي منظوم على شكل مثنوي لسليمان

البرسوي المتوفي بعد سنة (٨٠٠هـ). وكان إماماً للسلطان بايزيد (ييلديرم) . وبعد وفاة السلطان قطن ببورسة وصار إماماً لجامع السلطان المذكور . وكتاب المولد يتلى في المجالس والمجامع في البلاد الرومية (المناطق التي يسكنها الاتراك حالياً) . وقد نظمه غير واحد من الشعراء ، لكن لم يلتفت إلى نظم احد سواه ولم يشتهر . وممن نظمه ابن الشيخ آق شمس الدين وله المولد الجسماني والمولد الروحاني . والمولى حسن البحري المتوفى سنة ٩٩٤ هـ، والشيخ محمد بن حمزة العربي الواعظ . والشيخ شمس الدين أحمد بن محمد السيواسي . وقد ذكر الحافظ السخاوي في الضوء اللامع : جماعة ممن الف في مولد النبي (ص) فهم الحافظ ... ابن ناصر الدين الدمشقي له جامع الاثار في مولد النبي المختار في ثلاث مجلدات . والمورد الصادي في مولد الهادي في كراسة . واللفظ الرائق في مولد خير الخلائق وهو أخصر من الذي قبله . والبرهان لمحمد الناصحي عمل مولداً في كراريس . والبرهان أبو الصفاء له فتح الله حسبي وكفى . في مولد المصطفى . والشمس الدمياطي المعروف بابن السنباطي عمل مولداً نظماً . والبرهان ابن يوسف الفاقوسي عمل ارجوزه تزيد على (٤٠٠) بيت . والحافظ زين الدين العراقي له في المولد جزء (١) .

ويقول الأستاذ الدكتور فاروق تيمورطاش (٢) في مقدمة كتابة « مولد » : «يعتبر « مولد» او كتاب « وسيلة النجاة» وفقاً لما اطلقه عليه صاحبه ، من المواضيع الدينية وهو يحظى بمنزلة رفيعة في الادب التركي . وخلال قرون خلت قرأه كل تركي مؤمن بتمعن واستحسان وترك أثراً عميقاً في قلبه لكونه من الاثار الفريدة التي تتحدث عن النبي(ص) بكل حب واحترام . ولم يحظ أي أثر ادبي في ادبنا بما للمولد من حظ وافر ،حيث اصبح تراثاً شعبياً محبوباً ومقدراً دائماً . ورغم مايتمتع به هذا الأثر من الحب والاعجاب إلا اننا لم نعثر على معلومات عن المؤلف يمكن أن نضيفها . كما لم نعثر على نص كامل وصحيح منه حتى الان ! وتجدر الاشارة هنا إلى أن الدراسات اظهرت أن مجموع أبيات كتاب المولد الحقيقي يقارب من (٧٣٠) بيتاً . »

---

(١) كاتب جلبي (حجي خليفة) ، كتاب كشف الظنون ، المجلد الثاني ، ص : ١٩١٠ — ١٩١١ .

(٢) فاروق تيمور طاش ، استاذ اللغة والادب التركي بكلية الاداب / جامعة اسطنبول . توفي في سنة ١٩٨٢ .

نبذة عن حياة المؤلف :

ليست لدينا معلومات واسعة وجدية حول شخصية « سليمان جلبي » والمصادر القديمة تعطينا معلومات ضئيلة جداً عنه بالاضافة كونها متضاربة .

ففي تذكرة لطيفي (١) يذكر على أنه ابن « عيواض باشا» والاخ الاكبر للشاعر « عطائي» . ولكن وجود فروق زمنية بينهما فتكون هذه المعلومات خاطئة ، بالاضافة إلى أنها لم تؤيد من قبل مصادر اخرى . وهناك رأي آخر يقول أن والد سليمان جلبي هو الوزير أحمد باشا ابن محمود باشا ، ولكنه ليس بالرأي الثابت . لانه لا يعرف شخصية والد سليمان جلبي بالضبط .

تاريخ ميلاد سليمان جلبي غير معروف ايضاً . وبما أنه قد كتب الا «مولد» في (٨١٢هـ) (١٤٠٩ — ١٤١٠) م وذلك استناداً لهذا البيت الموجود في الفصل الاخير من كتابه ،

« في تاريخ ثمانمائة واثني عشر قد تم هذا
في بورسة يا أخي » (٢)

فان مؤرخي الادب التركي يذكرون أنه كان قد جاوز العقد الخامس من العمر مستنداً ايضاً على مصراع من الشعر في مؤلفه يقول فيه :

« ابيضّ الشعر واللحية ولكن القلب في ظلام دامس »

وبذلك يخمّن تاريخ ولادته مابين السنوات ١٣٤٦ — ١٣٥١م .

والجدير بالذكر أن « سليمان جلبي» كان قد تثقف ثقافة عالية وكان على علم ودراية بعلوم زمانه . ومن المعلومات التي وصلتنا من « كنه الاخبار» للمؤرخ « غاليبو للي علي» ومن « عاشق جلبي» (٣) أنه كان إماماً لبعض الوقت للسلطان « يلديرم بايزيد » . ثم

---

(١) لطيفي (١٤٩١ — ١٥٨٢) : شاعر وكاتب (صاحب تذكرة) ولد في قسطموني بتركيا توفي غرقاً على أثر غرق السفينة التي كانت تنقله من مصر الى اليمن .

(٢) « دم سكزيوز اون ايكى ده تاريخى
بورسه ده اولدو تمام بو أي أخي

(٣) عاشق جلبي : صاحب تذكره ، أسمه الحقيقي « پير محمد ولد في يوغسلافيا وتوفي فيها (١٥٢٠ — ١٥٧٢) .

عينه السلطان اماماً في «اواوجامع» ببورسة ، والذي تم بناؤه خلال سنتي (١٣٩٩ — ١٤٠٠) م ابان فترة حكمه . ولقّب بـ « جلبي» لكونه شخصاً عالماً وفاضلا ، لأن لقب « جلبي» في تلك الفترة كان يعطى للامراء ، وشيوخ الطريقة المولوية ، وللعلماء ، والافاضل من الرجال . ومثل تأريخ ميلاده ، كذلك تاريخ وفاته غير معلوم بصورة دقيقة غير أن « محمد طاهر البروسوي » (١) يعين سنة ٨٢٥هـ (١٤٢٢) سنة وفاته ؛ معتمداً في ذلك على حساب الجمل (التأريخ الشعري) من مصطلح « راحت ارواح » . وقبر سليمان جلبي في مدينة « بورسة» بتركيا .

نبذة عن الكتاب: « مولد» من أوائل الاثار الادبية من نوعه في الادب التركي ، ومن ثم كثرت نظائره ، ولكنه اشتهر وكان دائماً في المقدمة لكثرة الاعجاب به .و كلمة « مولد» والتي انتقلت من اللغة العربية إلى اللغة التركية تعني عند الاتراك بصورة عامة مولد الرسول (ص) والاثر الادبي الذي يوضح هذا الحدث العظيم في تأريخ الاسلام. وهناك من المؤلفين العرب من كتب عن حياة واخلاق وحروب الرسول (ص) مثل ابن هشام (وفاته ٨٣٤م) وغيرهم على شكل « سيرة» إلاّ أن كتاب المولد يتميز عن السير في بعض محتوياته . وأول أثر أدبي عند العرب يحوي اسم « المولد» كتبه العالم الفقيه المؤرخ ابن الجوزي (وفاته ١٢٠٠م) والذي سماه « مولد النبي» .

ويكتب المولد لكي يقرأ في الطقوس التي تقام بمناسبة ذكرى ميلاد الرسول العظيم محمد (ص). وأول من احتفل بهذه المناسبة العظيمة في التأريخ الاسلامي هم الفاطميون (٩١٠ — ١١٧١)م في مصر. ومن الاحتفالات المهمة والتي تذكر في التأريخ بهذه المناسبة الكريمة هو الاحتفال الرسمي الكبير الذي اقامه « مظفر الدين كوكبورو (من اتابكة أربيل — وفاته ١٢٣٢م). وهو صهر (زوج اخت) صلاح الدين الأيوبي ، ربيعة خاتون وآخر امراء الاتابكة. وكان متديناً ومحباً للخير ، ورجل دولة بمعنى الكلمة (٢) . ويعتبر هذا الحدث بداية بالنسبة للبلدان الاسلامية الاخرى . وفي نفس الفترة ايضاً اشتهر العالم العربي « ابن دحية» (وفاته ١٢٣٥م) بكتابة « كتاب التنوير في مولد السراج المنير» أو « التنوير في مولد البشير والنذير » ويعتبر من الكتب المشهورة في هذا المضمار ، ولكن

---

(١) محمد طاهر البروسوي (١٨٦١ — ١٩٢٦) : كاتب واديب له آثار ادبية وتأريخية كثيرة أشهرها « عثمانلي مؤلفلري »

(٢) Ahmet Kabakli. Türk Edebiyati. 2. Cilt. 3. baskl. S. 219. istanbul-1973.

مع الاسف لم يصلنا سوى بعض الاجزاء منه . وهناك عدة كتب عن المولد في اللغة العربية أشهرها ما الفه « محي الدين إبن العربي (وفاته ١٢٤٠). والبكري (وفاته ٩٥٣هـ) له «الانوار ومفتاح السرور والافكار في مولد النبي المختار ». وابن الجزري (وفاته ٨٣٣هـ) ايضاً كتب في المولد . ول « رضي الدين القزويني» المتوفى سنة ١٠٩٦هـ رسالة في مولد النبي بالفارسية . وكذلك ل « ثغرة الاسلام التبريزي» المتوفى في ١٣٣٠ هـ « ايضاح الابناء في مولد خاتم الانبياء » بالفارسية وقد طبع في ١٣٥٢ هـ .

سبب كتابة كتاب المولد : جلبي كتب أثره هذا من اجل اثبات أن الرسول (ص) له مكانة رفيعة بين بقية الرسل عند الله . والسبب الرئيسي في هذا الموضوع هو أن واعظاً في أحد مساجد بورسة قال في خطبته : أنه لافرق بين رسولنا وبين بقية الرسل .

ويورد « لطيفي» في تذكرته معلومات واسعة حول هذا الحدث ، فيقول : في أحد مساجد بورسة ذكر احد الوعاظ خلال خطبته في موضوع الرسل ، نحن لانفرق بين أحد من رسل الله ونؤمن بجميعهم مستنداً إلى قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم لانفرق بين أحد من رسله (سورة البقرة ، آية ٢٨٥) ولذلك فانه (الله سبحانه تعالى) لم يفرق بين محمد (ص) وبين عيسى (عليه السلام) .

وكان من بين الحاضرين اعرابي مؤمن صادق مثقف اعترض على تفسير الواعظ قائلا بأن التفسير لايتطابق مع الاية . ثم اورد ادلة قوية تدعم قوله ، واضاف بأن القصد من الآية المذكورة اعلاه أن الله سبحانه وتعالى لايفرق بينهم من حيث كونهم انبياء ورسل، ولا ينصرف المعنى إلى المرتبة والافضلية . ثم ساءله قائلا ما المقصود من قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (سورة البقرة ، آية ٢٥٣) . ولكن الجماعة وأهل المدينة وقفوا بجانب الواعظ في ادعائه . وعلى أثر هذا رحل الاعرابي إلى بعض المناطق العربية كمصر وحلب ثم قفل راجعاً بادلة قوية تؤيد قوله ! الا أن الواعظ أصرّ على كلامه ! وعاود الاعرابي الكرة ست مرات وفي السابعة كسب الاعرابي الجولة .

وكان سليمان جلبي يراقب مايجري عن كثب فعز في نفسه موقف الواعظ ، فانشد قائلا مانترجمه إلى العربية .

« لم يمت عيسى ، والطريق الذي سلكه نحو السماء
كان من أجل الفراق عن قومه»

واضاف في نفس الحفلة الابيات التالية إلى البيت الاول ليضع الرسول (ص) في مرتبة اعلى بين سائر الرسل :

« والعصا التي في يد موسى
صارت ثعباناً بقدرة القادر
هؤلاء كانوا يدعون الله كثيراً
لكي يكونوا من امة محمد

وبالرغم من كون هؤلاء مرسلين
الا أن أحمد كان أفضلهم واكملهم
لأنه هو (محمد) للفضيلة اليق
والذي لايعلم ذلك فهو أحمق »(١)

ولما استحسن كل من سمع هذه الأبيات من صغير وكبير ، اشتد بسليمان جلبي الرغبة والحماس وبدأ بنظم »« المولد » .

شكل ووزن منظومة المولد :

يبدأ كتاب « المولد بمقدمة مكتوبة باللغة العربية ، هذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل محمداً سبب كل موجود وشرف كل مخلوق واعز كل مولود ، وفضله على الأنبياء بالشفاعة العظمى والحوض المورود ، وقرن اسمه باسمه تعظيماً لشأنه وترغيماً لشيطان الحسود . وهو عند الله المحبوب المطلوب المحمود ، وملائكة الرحمن له انصار وأعوان وجنود ، وكلمة الشجر والمدر والجلمود وحبه في الدنيا والاخرة مقبول

---

(١) « ئولميوب عيسى كوكه بولدوغو يول
امتيندەن آولماق ايچين ايدى أول
دخى هم موسى الينده كى عصا
اولدو آنك عزتنه أردها
جوق تمنى قيلديلر حقدەن بولر
كيم محمد امتيندەن اولالر
كرچه كيم بونلر دخى مرسل دورور
لكن أحمد افضل واكمل دورور
زيرا افضلليغة أول أليق دورور
آني أيله بيلميه ن أحمق دورور »

وموودود وعدود من باب الله مطرود ومردود . نحمده على ماجعلنا من امة محمد الوفي بالعهود ، واشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ولا شبيه له الذي تقدس ذاته عن زمن ممدود واجل محدود ، وهو الله الاحد الصمد المعبود والمقصود وهو العزيز الغفار الودود وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله الذي هو مظهر الخلق والجود والشفيع والمشفع في العرصات في اليوم الموعود وصلى الله عليه وعلى أهله وا صحابه الذين هم أسعد كل مسعود ، وسلم تسليماً دائماً كثيراً الى يوم الحشر وتعين مقام الخلود ».

ويقول الدكتور حسين مجيب المصري في كتابه « في الادب العربي والتركي » عن هذه المقدمة : « وهذه المقدمة شديدة الشبه بما نصادفه في الموالد العربية وإن كانت تفوق الكثير منها — على غير ما كان متوقعاً — في فصاحتها وجودة عبارتها » (١) .

أما المنظومة الشعرية والتي تؤلف المولد ، فقافيتها شبيهة بقافية المثنوى . والقسم الأخير من الفصل الثاني والفصل الثالث في موضوع ولادة الرسول (ص) قد كتب على شكل قصيدة وكذلك الحقت في نهاية موضوع ولادة الرسول (ص) مقطوعة مدح تتكون من عشرة أبيات . وقد استعمل سليمان جلبي عند كتابته المولد وزن : فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن من بحر الرَّمل . أما مقطوعة المدح فهي على وزن : مفعولُ ، فاعلاتُ ، مفاعيل ، فاعلن . ولاشك بانه نجح في استعمال العروض ، ورغم هذا فقد اضطره الوزن الى اضفاء النغمة العربية الطويلة على المفردات التركية المعروفة بمقاطعها القصيرة . واضفاء النغمة التركية القصيرة على المفردات العربية المعروفة بمقاطعها الطويلة والتي تحوي حروف العلة .

لغة واسلوب كتابة المولد :

كتب المولد باللهجة الأناضولية القديمة (٢) والتي كانت مستعملة في القرن الخامس عشر لدى اتراك الأناضول . ويحوي نفس الخصائص النحوية والتلفظ لذلك العصر . أما في الوقت الحاضر فيقرأ ويكتب بلسان الكتابة الحالية المستعملة في تركيا . وقد استعمل سليمان

---

(١) د . حسين مجيب المصري ، المصدر نفسه ص : ١٩٧

(٢) اللهجة الأناضولية القديمة : تشكلت نتيجة لبعض التطورات التي طرأت على اللغة التركية الغربية . ويقصد بها نسبتها الى لغة الكتابة التي استحدثت وتطورت وتداولت حتى أواسط القرن الخامس عشر الميلادي . ويرى الكثيرون أنها بدأت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي . ويمكن تقسيم هذه الفترة بالنسبة للوضع السياسي الى :
١) الدور السلجوقي ٢) دور الإمارات ٣) الدور العثماني .

جلبي في كتابة المولد لغة سلسة عذبة غير مزركشة كثيراً بمصطلحات دخيلة من اللغة العربية والفارسية وذلك لو قارنا هذا الأثر بالاثار الأدبية المعاصرة له . واسلوبه بعيد كل البعد عن المبالغة ، وكان صادقاً في التعبير عن شعوره ويدون كل مايخالج نفسه تجاه نبيه ودينه . ولذلك كان الطلب عليه شديداً في كل الأزمان . وتكرر قراءته في المناسبات الدينية من قبل عامة الشعب . .

أقسام كتاب المولد

ينقسم كتاب المولد الى عدة فصول هي :

١ — المناجاة والتوحيد.

٢ — سبب خلق العالم .

٣ — الولادة (مولد النبي (ص)).

٤ — معجزات النبي (ص) .

٥ — معراج النبي (ص)

٦ — وفاة النبي (ص)

٧ — قسم الدعاء (خاتمة الكتاب).

ومن قسم المناجاة ننقل ترجمة بعض الأبيات :

« فلنذكر اسم الله أولا
ذلك واجب على كل فرد في جميع أعماله
من يذكر اسم الله اولا
يسهل له الله كل اعماله
« ليكن اسم الله هو بداية كل عمل
الكل فان ولكنه (الله) لابداية له
الذكر ورد دائماً اسم الله
فكل أمر ينجز بذكر اسم الله
ان نطق اللسان مخلصاً اسم الله مرة
تتساقط الذنوب مثل أوراق الخريف
يتطهر من يذكر اسمك الطاهر

« ومن يذكر الله يصل الى مبتغاه » (١)

ونرى من المفيد في الختام أن ننقل رأي د. حسين مجيب المصري حول كتب « المولد» في العربية والتركية من كتابه « في الأدب العربي والتركي» وهو رأي نتفق معه عليه : « أما بعد نظرتنا في الموالد العربية والتركية ، ففي الأمكان أن نشير الى بعض الحقائق العامة في هذا الصدد ، وهي أن الموالد التركية ينسب الكثير منها الى الشعراء المشاهير ، أما الموالد العربية فمنثورة في جملتها وان تخللتها الأشعار وليست من جيد النثر ولا بليغ الشعر . والمولد في الأدب العربي من صميم الأدب الشعبي ، أما في الأدب التركي فيسمو الى الأدب العالي في معناه و مبناه وإن توفر الشعب على تلاوته . والمولد التركي بذلك يفوق المولد العربي . والمولد العربي أبسط اسلوباً واوضح معنى من المولد التركي العامر بالعبارات المنمقة والأساليب المزوقة ، والذي تطمس معانيه عبارات العلم وشطحات التصوف . غير أن الموالد العربية والتركية متفقة في انها منبعثة من روح واحدة هي الروح المؤمنة إذا هامت في جمال التقوى وجلالها .» (٢)

(١) « الله آدن ذكر ايده لم أولا
واجب اولدور جمله ايشده هرقولا
الله آدن هركيم أول أول آنا
هرايشى آسان إيده الله أنا
الله آدى اولساهر إيشين ثونو
هركه ز أبتر أو لمايا آنين صونو
هر نفسده الله آدن دى مدام
الله آديله اولور هر إيش تمام
بركه ز الله ديسه عشق إيله لسان
دوكولور جمله كناه مثل خزان
اسم پاكن ، پالك اولور ذكر إيله يدن
هر مراده أريشير الله ديه ن »

(٢) د . حسين مجيب المصري ، المصدر نفسه ، ص : ٢٠٩

المصــادر :

Kaynaklar

1– Ahmet Ates, Süleyman Celebi– Vesiletü'n–necat Ankara –1954.

2– Ahmet Kabakli, Türk Edebiyati, 2. cilt, 3. baski, Istanbul 1973.

3– Faruk K. Timurtas, Mevlid–Süleyman Celebi, Milli Egitim Basimevi, Istanbul–1970.

4– Halil Erdogan Cengiz, Divan Siiri Antolojisi, Milliyet Yayinevi, Istanbul–1972 .

5– Ismail Hakki Uzuncarsili, Anadolu Beylikleri, Türk Tarih Kurumu Basimevi, 2. baski, Ankara–1969.

6– Nihat Sami Banarli, Resimli Turk Edebiyati Tarihi, Milli Egitim Basimevi, 1. cilt, Istanbul–1971.

7– M. Fuad Köprülu, Türk Edebiyati Tarihi, ötüken Yayinevi, 3. cilt, Iytanbul–1981.

8– Seyit Kemal Karaaliogiu, Türk Edebiyati Tarihi, 1. cilt, 2. baski, istanbul–1980.

النشاط الدعائي الصهيوني في السينما ١٩٤٨ ـ ١٩٨٠

فالح حسن الاسدي
كلية الآداب / جامعة بغداد

المقدمة

ما من قضية لعبت فيها الدعاية ، دوراً أساسياً ومركزياً في الوصول الى الأهداف المتوخاة مثل الدور الذي لعبته في القضية الصهيونية ، وما من جهة استغلت امكانيات الدعاية وارتفعت بالطاقات الكامنة فيها وسخرتها بنجاح فائق للوصول الى مآربها مثلما أستغل الصهيونيون هذه الامكانيات وسخروها .

وقد لازم الاعلام الحركة الصهيونية منذ بداية مسيرتها ، واولى الصهيونيون منذ البداية، الاعلام اهتمامهم الشديد واعتبروه وسيلة ، بل في مقدمة الوسائل التي عليهم أن يستخدموها للوصول الى مآربهم، فقد اكد البند الثالث من بنود برنامج العمل الذي أقره المؤتمر الصهيوني

الأول « مؤتمر بازل بسويسرا » الذي عقد عام ١٨٩٧ على اهمية الاعلام والتثقيف في تنفيذ هدف خلق الدولة اليهودية في فلسطين (١).

ولم يعد خافياً على أحد ان السينما أصبحت جهازاً اعلامياً وسياسياً خطيراً يؤدي دوراً كبيراً في التأثير في الجمهور إذا ما أحسن استخدامه بشكل واع ودقيق .

وتعتبر السينما أهم وسائل الاعلام في متابعة الدعاية الموجهة الى اكبر نسبة من الجمهور . فهي تخدم مثلا هدفاً تعليمياً عندما تمكن الجمهور من الاطلاع على النواحي الجغرافية والثقافية كبلد ما دونما حاجة الى السفر الى ذلك البلد . وتستطيع بفضل استعمال الأساليب السمعية والبصرية بشكل مدروس ان تحقق نتائج مطلوبة في مجالي العلم والعمل (٢) . ان السينما « بايجاز » تعكس التبادل العقلي بين الناس والعالم وهذا التبادل هو استيعاب نفسي تطبيقي للمعرفة او الوعي (٣).

ان العدو الصهيوني يعمل على الاستفادة بصورة واسعة من السينما كأداة للاتصال بالجماهير وترويج الأفكار الصهيونية بأفلام ضخمة يزور فيها الحقيقية والتأريخ مستعيناً بأفضل الفنيين في العالم الغربي ، ومقدماً لهم جميع التسهيلات والامكانيات لتصوير أفلامهم في (اسرائيل) او بذل أقصى الامكانيات المادية لانتاج أفلام تشرح وجهة نظرهم وتفسرها باسلوب مؤثر (٤).

والسينما الصهيونية مثل السينما النازية يمكن ان توجد في اية دولة ، ويمكن ان تصنع بواسطة فنانيين يتبنون الصهيونية ، لذلك نجدها في الولايات المتحدة كما نجدها في العديد من دول أوربا ، ولذلك فقد رأينا ان نتابع حركة السينما الصهيونية تاريخياً منذ انشاء اسرائيل واعتبار كل حرب من الحروب قامت بين اسرائيل والأقطار العربية بداية وضع جديد في تاريخ السينما الصهيونية (٥) .

---

(١) مروان كنفاني : حول وسائل الاعلام الصهيوني وأساليبه ، بيروت ، مجلة شؤون فلسطينية العدد ٢٩ تشرين الأول « اكتوبر » ١٩٧٣ . ص ٦٠ .

(٢) عبدالرحمن عبدالله الزامل : — أزمة الاعلام العربي . بيروت ، الدار المتحدة للنشر ١٩٧٤ ص ١٤٨ .

(٣) الاحجار شوزانه : المتفرجون . القاهرة ، مجلة اطلال ، اكتوبر ١٩٦٥ ، ص ٢١٨.

(٤) رئيق أناسي : تيتو يواجه هتلر في معركة سوتجسكا. بيروت، جريدة الانوار ، العدد ٥٢٤٠ في تشرين الثاني ١٩٧٣ . ص ٧.

(٥) سمير فريد : السينما الصهيونية ١٩٤٨ — ١٩٦٧. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٠ / ١٩٨١ . ص ١٠٨ — ١٠٩ .

وفي هذه الدراسة نحاول القاء الضوء على الانتاج السينمائي الصهيوني للفترة من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٨٠ لتأشيره وتقويمه في هذه الفترة . ان التصدي لهذه الاداة « السينما » التي استخدمتها الصهيونية اكبر واوسع استغلال للوصول الى اهدافها السياسية هي مهمة صعبة . وذلك لأن هناك أجهزة متعددة تتولى الانتاج السينمائي الذي يحمل فكراً صهيونياً أو يؤيد وجهات النظر « الاسرائيلية » ليس في اسرائيل وحدها وانما في أجزاء مختلفة من العالم وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية .

لذلك فإن حصر هذه الأفلام ودراستها هو أمر لايمكن ان يتحقق من قبل باحث واحد ، وبهذه المناسبة ، ونحن نعطي افكاراً عامة عن السينما الصهيونية ، ندعو الأجهزة الاعلامية المعنية في الوطن العربي ، وخاصة ذات التوجه القومي ، الى ان تتصدى لهذا الموضوع بالدراسة ، لأن من اولى المهام الملقاة على الأجهزة الاعلامية العربية المشتركة هي التعرف على النشاط الدعائي الصهيوني وحصره تمهيداً لوضع الاسس لمواجهته .

وآزاء مانحن عليه اليوم من افتقار لمعرفة وضع السينما الصهيونية فقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مانشر من دراسات وبحوث في مجال السينما الصهيونية .

ولو كانت الجهود العربية قد قدمت لنا حصراً للأفلام الصهيونية لكانت قد وفرت لنا البيانات والمعلومات والاحصاءات المطلوبة التي تشكل اساس الدراسة .

وأخيراً فاننا نحاول ان نستعرض في هذه الدراسة ماتوفر لدينا من معلومات عن عدد من الأفلام ذات الاتجاه الصهيوني في مضمونها سواء اكانت قد انتجت في اسرائيل ام خارجها وفي اطار الفترة الزمنية المحددة في الدراسة .

أولا : — لمحة تاريخية عن السينما الصهيونية

انتبهت الحركة الصهيونية منذ مؤتمرها الأول في بال ١٨٩٧ أي بعد سنوات قليلة جداً من ولادة السينما ، الى اهمية الاختراع العجيب والدور الاعلامي والدعائي الخطير الذي يمكن أن يضطلع به . وبعد سنتين فقط من مؤتمر بال شددت على ضرورة استخدام السينما كوسيلة لنقل الفكر الصهيوني الى اليهود والى شعوب أوربا بشكل خاص ، وتطويرها مع الوقت وحسب مقتضيات الحاجة والضرورة الآنية والاستراتيجية الصهيونية (١) .

(١) وليد شميط : السينما وقضية فلسطين ، بيروت ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٤١ — ٤٢ كانون الثاني / شباط /١٩٧٥ . ص ٣٨٩ .

ان الأفلام السينمائية التي انتجتها الدوائر الصهيونية منذ اكتشاف السينما الى تاريخ اعلان قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ قد اتبعت طريقة مدروسة في اسلوبها الدعائي حيث تعطي للدارس في وقتنا الحاضر بعد مشاهدتها تسلسلا تاريخياً في منتهى الدقة عن اساليب الدعاية الصهيونية ونواياها العدوانية .

ومن دراسة الأفلام الصهيونية التي انتجت قبل احتلال فلسطين يتبين بوضوح الاسلوب الدعائي الذي استعمل فيها ، فنجد ان السينما الصهيونية في البداية قد انطلقت من اهداف سايكولوجية واضحة التأثير على شعور المشاهد واثارة الشفقة لديه على اليهودي المضطهد المسكين الى جانب استغلال العنصر الديني والتاريخ القديم ، وذلك بهدف ترسيخ فكرة أرض الميعاد واقناع العالم في اولوية الحق على ارض فلسطين (١) .

شكل نجاح فيلم « قضية درايفوس » الذي أخرجه الفرنسي جورج ميليه عام ١٨٩٩ بداية الاهتمام الصهيوني بالسينما كوسيلة دعائية ، وقد استطاعت الدعاية الصهيونية أن تستغل حادثة « درايفوس » وان تخلق لدى الرأي العام الفرنسي تعاطفاً مع اليهود ومع فكرة « العودة الى ارض الميعاد » التي عبر عنها ميليه في فيلمه . ومن هنا يمكن اعتبار « قضية داريفوس » « البداية الاولى لاعلان انطلاقة السينما الصهيونية في التوجه الدعائي عام ١٨٩٩ (٢)

وفي عام ١٩١١ أنتج فيلم بعنوان « الماعز تبحث عن الخنافس » وهو يتناول حياة عائلة يهودية هاجرت الى فلسطين ، وأخذت تناضل من أجل اقناع العالم بعدالة « حقها » في العيش في فلسطين اعقب ذلك انتاج أفلام عديدة وهي : « الابن العاق » و « شمشون ودليلة ١٩١١ » وفيلم « جوديث » وتؤكد هذه الأفلام الحل مما يسمى بالمشكلات اليهودية من خلال الدعوة للهجرة الى فلسطين الى جانب اعتمادها على تزييف التوراة .

وكان أول فلم سينمائي يوظف مباشرة لخدمة الصهيونية فلم « حياة اليهود في ارض الميعاد » ليعقوب دوف وهو مخرج من اصل روسي .استقر به المقام في فلسطين قبل نشوب الحرب العالمية وقد اخرج هذا الفيلم في عام ١٩١٢ .

---

(١) د. [illegible] : مراحل تطور الدعاية الصهيونية في السينما العالمية . بحث في كتاب أساليب السينما الصهيونية ، تأليف أحمد فياض المفرجي وآخرون ، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٢ ص ١٢ .

(٢) داريفوس ضابط يهودي في الجيش الفرنسي كان قد طرد منه بسبب انتمائه الديني ! يوسف يوسف : الصهيونية على جدران السينما . بغداد ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية العدد ٣٧ نيسان — حزيران ، ١٩٨٠ ، ص ٨٠ .

وبعد صدور « وعد بلفور » أصبحت الصهيونية آزاء وضع جديد كل الجدة يتطلب الاسراع في تجهيز عدد متزايد من اليهود الى فلسطين لتيسير انشاء الوطن القومي الموعود ! وفي سبيل بلوغ هذا الهدف اعتمد دعاة الصهيونية على الاستغلال الدعائي من خلال منطلقين رئيسيين وعاطفيين : اولهما الدين من خلال قصص العهد القديم وأساطير الأولين والثاني الطاعون النازي ومايحمله من فكر عنصري معاد للسامية (١) . أي التركيز على الجانب الديني في محاولة لاستقطاب عواطف الجماهير اليهودية ودفعها للهجرة الى فلسطين .

ولقد ظهرت خلال العشرينات والثلاثينات أفلام عديدة منها « موسى » الوصايا العشرة و (ملك الملوك) التي تطرح موضوعي الدين والهجرة وفيلم (الرعد الكبير) « بني ابي » و « الأرض » وهي تتناول الاضطهاد النازي لليهود .

ففيلم « الوصايا العشر » الذي انتج عام ١٩٢٣ اعتمد على قصة موسى وهو يقود اليهود من أرض مصر الى فلسطين ، ثم محاولة توظيف هذه القصة في هذا الفيلم لدفع اليهود الى تكوين « دولة » لهم .

ومن الروايات التأريخية التي انتجتها اسرائيل أفلاماً للسينما « بنهور » الذي يحاول ابعاد تهمة قتل المسيح عن اليهود وتحميلها للرومان و « يوميات آن فرانك » الذي عمل على تغذية روح الشعور بالذنب لدى الأوربي و«سليمان وملكة سبأ» الذي يحاول أن يظهر أحقية اليهود المزعومة في فلسطين والايحاء بأن اسرائيل دولة قائمة منذ الفي عام ، وفيلم « تاجر البندقية » التي أظهرت فيها الصهيونية شايلوك بمظهر الشخصية الخيرة (٢) .

ونتيجة لسيطرة الصهيونية على صناعة السينما في كثير من بلدان العالم فقد انتجت العديد من الأفلام التي تسيء الى العرب في مختلف بقاع الدنيا ومنها فيلم « العبيد مازالوا موجودين حتى اليوم » وفيلم « تجارة العبيد » الذي يهدف الى وصم الدول العربية امام الشعوب الأفريقية بالتخلف وتجارة العبيد ، والايقاع بينها وبين الدول الأفريقية والاساءة الى الدين الاسلامي .(٣)

---

(١) مصطفى درويش : الصهيونية في السينما ، بيروت ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٢٦ ، تشرين أول ، اكتوبر ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢٢ .

(٢) هادي نعمان الهيتي : الاعلام الغربي والدعاية الصهيونية ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ١٩٦٩ ، ص ١٣٩ — ١٤٠ .

(٣) نافع حسن عبدالامير الاسدي : النشاط الاعلامي لجامعة الدول العربية في أفريقيا . من حرب حزيران ١٩٦٧ إلى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٩ . ص ١٢٥ — ١٢٦.

الا أن العرب في السينما الصهيونية لايواجهون الاسرائليين دائماً ولا ضرورة لوجود هؤلاء في موضوع الفيلم كي يتم التشهير بالعرب وتشويه صورتهم فأينما كان العربي نراه يمثل العنصر الشرير في السينما الغربية الصهيونية (١) .

ويمكن القول ان الأفلام التي انتجت قبل نشوء الكيان الصهيوني قد تميزت بالتركيز على خلق الوهم بالقومية اليهودية ، والاحياء القومي واستغلال عقدة الذنب لدى الشعوب الأوربية وبصفة خاصة الاضطهاد الذي عرفه اليهود خلال فترة الحكم النازي ... ..

وهكذا لم يكن استغلال عقدة الذنب موجهاً الى المجتمع الألماني وانما أنساب وتفاعل مع تقييم الحضارة الأوربية والتراث الغربي ، ويكفي أن نذكر بهذا الخصوص أيضاً موجة الأفلام الغربية التي ظهرت خلال الأعوام الأخيرة والتي تدور جميعها حول اعادة النظر في تبرئة اليهود من قتل المسيح (٢) .

ثانياً : — هوليوود ... والسينما الصهيونية

اضطلعت هوليورد (*) وماتزال بدور كبير في انتاج الأفلام التي تعبر عن وجهة نظر الصهيونية ..

وللصهاينة اليوم نفوذ واسع على الانتاج السينمائي في هوليوود ومن بين المؤسسات السينمائية الكبرى في هوليوود التي تسيطر عليها الصهيونية هي :—

(١) جاد الحاج : أساليب التصدي الممكنة للسينما الصهيونية ، بحث في كتاب ، أساليب السينما الصهيونية ، تأليف أحمد فياض المفرجي واخرون ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ . ص ٣٦.

(٢) حامد عبدالله ربيع : فلسفة الدعاية الاسرائيلية . بيروت ، مركز الابحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية ، تموز (يوليو) ١٩٧٠ . ص ٩٣ — ١٢٣.

(*) هوليوود ضاحية من ضواحي لوس أنجلس في ولاية كاليفورنيا الأمريكية وكانت مجرد قرية صغيرة ضائعة وسط الصحاري يعيش فيها خليط من اهالي الصين والمكسيك والهنود الحمر ورعاة البقر ، وفي عام ١٩١١ بدأت الحياة تدب في المنطقة النائية عندما أنتقل اليها أحد رواد السينما الأمريكية (ال كريستي) وأقام فيها استوديو متواضعاً ، وقد أقتفى أثره بعد هذا عدد كبير من السينمائيين ... ومنذ ذلك الحين بدأت شهرة هوليوود تغزو العالم وصارت عاصمة السينما في العالم : أنظر : أحمد كامل مرسي ، معجم الفن السينمائي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ١٧٢.

أ ــ شركة لويس المساهمة : وهي سيدة الصناعة السينمائية بلا منازع وتبلغ موجوداتها (٢٢٣) مليوناً و ١٤١ الفاً و ٥٨٥ دولاراً مؤسسها ماركوس لو (يهودي) ورئيسها المحامي نيتولاس شنك وهو يهودي من الغيتو الروسي .

ب ــ شركة باراماونت :ــ وتبلغ موجوداتها ١٨٥ مليونا و٥٨٨ الفا و٥٠٥ من الدولارات وهي تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في عالم السينما . رئيسها يهودي يدعى بالايات وتملك شركة للاذاعة الأمريكية .

ج ــ شركة الاخوان ورنر : ــ تأتي في المرتبة الثالثة بين شركات السينما في هوليود وتقدر موجوداتها بمبلغ ١٧٦ مليونا و ٣٨٤ الفا و ٧٦١ دولاراً رئيسها هاري ورمز وقد بلغ مايمتلكه الاخوان ورنر عدا هوليوود حوالي ٣٥٠ مسرحاً في الولايات المتحدة و ٣٥ رسالة للأفلام في مختلف انحاء العالم .

هذا الى جانب مؤسسات اخرى حتى اصبح من الممكن القول ان هوليوود أصبحت مدينة يهودية . فمنطقة فيرفاكس وهي قلب حي السكن يربو عدد اليهود من سكانها على ٦٠ ٪ حسب الاحصائيات اليهودية المنشورة في مجلة الصوت اليهودي في كاليفورنيا ، وليس من المغالاة في شيء القول بأن اليهود يملكون كل دكان او مخزن في هوليوود وان بيدهم ادارة المسارح والمطاعم والصيدليات ومحلات الملابس وحتى ادوات لف السجائر (١) .

ولهذا كانت هوليوود ولاتزال قلعة من قلاع الدعاية الصهيونية على صعيد السينما ، وكما تعتبر نيويورك على صعيد المال والأعمال . وليس هذا لمجرد كونهم يهوداً ، ولكن لانهم أساساً من اليهود الأمبرياليين او المدعمين من اليهود الأمبرياليين أمثال روتشيلد وهم أصحاب المصلحة الحقيقية في انشاء اسرائيل .

وللصهيونية في هوليوود تنظيم رسمي هو قسم السينما في جمعية النداء اليهودي المتحد الذي تأسس عام ١٩٤٧ ورئسه المتيح دافن سلزنيك وكان من بين مؤسسيه الكاتب بن هشت (٢). وتمكنت الحلقة الصهيونية داخل كوادر هوليوود والشركات العالمية الكبرى من تكوين نسيج متين تأتلف فيه عناصر شهيرة من العاملين في السينما العالمية . ولم يعدخافياً على أحد

(١) معين أحمد محمود : هوليوود امبراطورية صهيونية صغيرة ، بيروت ، مجلة الى الامام ، العدد ٤٠٢ ، اذار ١٩٧٢ ، ص ٢٢ — ٢٣ .

(٢) سمير فريد : مدخل إلى السينما الصهيونية ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١ ، ص ١١ .

أن عدداً لايستهان به من نجوم السينما العالمية اللامعين يعتبر دعم اسرائيل على كل الأصعدة واجباً مقدساً ، وقد ذهب بعض هؤلاء الى حد التبرع بمبالغ طائلة وفي اشكال دورية منتظمة بهدف الترويج لاسرائيل ومساندتها (١) .

لقد دأبت الدول الاستعمارية على استغلال السينما خدمة لأغراضها ، فأخذ المنتجون السينمائيون يصدرون الكثير من الأفلام التي لاتمثل الوجه الحقيقي للانسان بل التركيز على استغلال الانسان خدمة للمنافع الاستعمارية عن طريق التركيز على البطولة الفردية والجريمة والجنس والانحراف والرعب (٢) وتشويه واقع كل شعب على وجه الكرة الأرضية .

لقد عرضت هوليوود تاريخ بغداد وأهلها بصورة مشوهة في فيلمها المسمى « بغداد » بغداد مدينة شيدها آدم وحواء ! تقع قرب بحر الخزر .. أهلها قوم متوحشون يقضون معظم أوقاتهم بالتمتع برياضة دفن الأحياء .. ثم قطع رؤوسهم بالعصي الغليضة ؟! (٣) .

قصرت هوليوود جهودها عدة سنوات مضت على اسلوب الدعاية المقنعة ، ولكنها في السنوات الأخيرة بدأت تتجاوز هذا الاسلوب فقد وضعت لنفسها اخيراً خطة ترمي الى انتاج اربعة أفلام على الأقل « للدعاية العنصرية » في السنة الواحدة .

وبهذا الصدد كتب ف . ج جيروم دراسة بعنوان « الزنجي في افلام هوليورد » وفيها تحليل للمجموعة الاولى لمايسمى بافلام المناصرة للزنوج » وهي « موطن الشجعان » « « بنيكي » و « الطفيلي » حيث يشير الكاتب الى أن موضوع الأفلام الأربعة تبدو وكأنها تساند حركة الشعب الزنجي بينما هي في الحقيقة تبذر بذور التفرقة بين الزنوج والبيض ..

الى جانب انتاج افلام تمجد أساليب النازية وأفكارها ففي فيلم « ثعلب الصحراء » يؤكد بطل الفيلم وهو احد كبار القادة الهتلريين على ان غريزة القتل مجبولة في الطبيعة البشرية (٤) .

---

(١) جاد الحاج : أساليب التصدي الممكنة للسينما الصهيونية ، مرجع سبق ذكره . ص ٣٨

(٢) نائل حسن الاماني : السينما الصهيونية والاستعمارية وجهان لعملة واحدة ، بغداد . جريدة الاعلام ، العدد الاول ، كانون الثاني ، ١٩٨٣ . ص ٩.

(٣) يوسف العاني : هوليوود بلارتوش . بغداد . وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٧٥ . ، ص ٦٢ — ٦٩ .

(٤) جون هوارد لوسن : الفيلم في معركة الافكار ، القاهرة ، الدار العربي للطباعة والنشر ، د. ت ص ٢٦ — ٢٧ .

ومن هنا يمكن أن نتعرف على بعض النماذج الدعائية الصهيونية السينمائية التي استطاعت التسلل الى بعض الأقطار العربية والتي قد يبدو للبعض انها لاتحمل مواد دعائية لصالح الصهيونية فيما هي في الواقع تحمل دعاية مقنعة .

ويمكن ايراد نموذج من افلام الممثل العربي عمر الشريف « فتاة مرحة » مع الممثلة الأمريكية « بربارة سترايزان» ويمكن التنبوء أن تأثر الجمهور العربي بممثل عربي في فلم عالمي ربما يكون كثيراً فالأفلام الأمريكية التي مثلها عمر الشريف لاتوحي مطلقاً بأنها انطوت على اساءة للعرب بدليل انها لم تمنع من العرض في بعض دور السينما العربية .

في فيلم « فتاة مرحة » البطلة يهودية حتى في دورها في الفيلم ومغنية كوميدية تبدأ من اسفل السلم ومن الأوساط الدنيا ، والبطل « عمر الشريف » ارستقراطي . . له مظاهر النبيل ورفعة النسب ، مقارنة ترضي للوهلة الاولى اعتداد المتفرج العربي ، هذا المتفرج الذي سيجد نفسه يسخر من الممثلة اليهودية لأن دورها يثير السخرية ، والضحك ، لكن خلال الانغمار بالضحك لايشعر بالتطورات البطيئة المدروسة التي تجعل « البطلة » في النهاية محبوبة رائعة في قمة مجدها ، بينما ينحدر « البطل » الى درك المقامرة الدائمة والضياع واليأس حتى يختفي .

فالممثلة التي ضحك المتفرج عليها في بداية الفيلم سينجذب في نهايته الى احترامها وتقديرها والاعجاب بها ، بينما نموذجه العربي الذي أثار غروره ينحط في مقامرته وضياعه ويأسه. ان حوادث الفيلم مدروسة البداية فان مشاركته النفسية له ستتصل به بحيث توقظ لدى المتفرج العربي على الخصوص تلك المشاعر المريرة لعدوان حزيران ، حيث كنا قبل العدوان كثيري الاعتداء بأنفسنا ومؤمنين بالنصر وننظر للعدو نظرة سخرية واستهتار . ثم انقلب الميزان .. فإذا بنا نتلقى مرارة الهزيمة واسرائيل تتظاهر وكأنها في قمة أمجادها . . ان الفيلم يسعى لاثارة هذه المقارنة والتأكيد عليها باسلوب اللغة الايحائية للسينما (١) .

وهكذا تتسرب السموم الدعائية وهي مستترة بغلاف خادع كشكل من اشكال الدعاية المعاصرة .

وخلاصة القول ان هنالك تحالفاً بين اسرائيل وهوليوود بدأ مع نشوء الحركة الصهيونية وساهم هذا التحالف في نشر الأفكار الصهيونية من خلال السينما لكسب عطف الرأي العام العالمي واقناعه بوجهة نظر الصهيونية وأهدافها ..

(١) معين أحمد محمود : مرجع سبق ذكره . ص ٢٥ — ٢٣.

ثالثاً : ادارة الانتاج السينمائي الصهيوني

أصدر الكيان الصهيوني قانون تنظيم صناعة السينما الا في عام ١٩٥٤ ومع ذلك فقد ظل الانتاج السينمائي مقتصراً على الافلام التسجيلية حتى عام ١٩٦١ ، ولم تتطور صناعة الافلام في الكيان الصهيوني الا بعد عام ١٩٦٧ وذلك بدعم من شركات هوليود التي تسيطر عليها الصهيونية (١) .

وكانت اولى الخطوات التي قامت بها سلطات الكيان الصهيوني لتنمية الانتاج السينمائي بعد عام ١٩٦٧ هو انشاء المؤسسة المركزية الاسرائيلية للسينما . واستهدفت هذه المؤسسة دعم القطاع السينمائي الخاص ، وتشجيع القطاع العام المعني بالافلام التسجيلية . كما قامت سلطات الكيان الصهيوني بتشجيع تصوير الافلام الأجنبية في اسرائيل واجتذاب الشركات الراغبة في القيام بالانتاج المشترك .

وبهذا الصدد يقول بينغال هرفينز وزير التجارة السياحية :

« اننا نرى في ذلك شيئا ايجابياً يخدم الصناعة المحلية في وجوه عدة فمن جهة يشغل عدداً كبيراً من التقنيين والفنانين الاسرائيليين — ومن جهة ثانية يجلب عملة صعبة إلى البلد اضافة إلى أنه يساعد وصول انتاجنا المحلي إلى المستوى العالمي بسهولة اكبر » (٢)

لذا يعتمد الانتاج الصهيوني على الاسواق الخارجية لدعم صناعته السينمائية وخاصة في جذب المنتج الأجنبي للانتاج داخل الأرض المحتلة مستغلا في ذلك كثيراً من المزايا التي يتمتع بها : ففي الوقت الذي ترتفع فيه كلف الانتاج السينمائي يعمل الكيان الصهيوني على تخفيض الكلفة لاتاحة الفرصة امام الشركات الأجنبية ، وتقدم الخدمات التقنية العالمية باسعار منخفضة ... وفي الحقيقة ان الكيان الصهيوني بعد أن ادرك سلاح السينما بدأ يقدم كافة الضمانات لانتاج الأفلام (٣) .

ولعل أسباب هذا التأخير في تطوير صناعة السينما داخل الكيان الصهيوني ذاته هو ان الشركات العالمية في هوليوود وفي غيرها من مدن السينما كانت تقوم بالمهمة ، هذا

(١) مكي حبيب المؤمن : الاعلام الصهيوني في مجال الأذاعة والتلفزيون والسينما . بغداد ، مجلة البحوث ، اتحاد الاذاعات العربية ، العدد الخامس ، ايلول ، سبتمبر ١٩٨١ . ص ١٥٨ .

(٢) جاد الحاج : مرجع سبق ذكره . ص ٤٣ .

(٣) شاكر نوري : السينما الصهيونية عام ١٩٨٠ ، بغداد ، مجلة افاق عربية ، السنة السابعة ، تشرين الثاني ، ١٩٨١ . ص ١٤٥ .

من ناحية ومن ناحية اخرى فقد كان مؤسسوا الكيان الصهيوني أنفسهم لايفضلون تطوير الصناعة السينمائية داخل الكيان الصهيوني ذاته ... خوفاً من انها وسيلة لعكس الخلافات العميقة داخل المجتمعات السكانية ضمن الكيان الصهيوني والتي لم تكن قد انصهرت بعد لان فروق اللغات والاجناس والنقاشات بين المهاجرين كانت كبيرة جداً .

وقد لوحظ ان الكيان الصهيوني قد اتبع اسلوباً خاصاً في انتاجه الافلام التي تصور العرب داخل اسرائيل حيث أنها تعتمد على المعارضة الشكلية للكيان الصهيوني ببعض مظاهر عنصرية داخل الأرض المحتلة مع تجاهل جوهر النزاع العربي الصهيوني ، وهذا ما يؤكد عليه فيلم « ثمن يهود عرب في اسرائيل » للمخرج الاسرائيلي الاصل السويسري الجنسية ايغال فيدام ، الذي يعتبر نموذجاً لهذا النمط من الافلام . وقد منع عرض هذا الفليم في مهرجان قرطاج السينمائي الذي عقد في تونس عام ١٩٧٨ (١) .

في عام ١٩٥٤ صدر قانون في اسرائيل يضع الانتاج السينمائي في عهده وزارتين : التجارة والسياحة ، والثقافة والتربية ، علماً بأن الهيئة التنفيذية موجودة في الوزارة الأولى . بينما تقوم وزارة الثقافة والتربية باعطاء منح الافلام معينة تهتم بالفن والتعليم وتمنح جوائز سنوية وتمول افلام المعاهد والمدارس وتشرف على المركز . الوطني للسينما (٢) .
وهناك قسم الافلام تابع لمكتب المعلومات المركزي ويرتبط بمكتب رئيس الوزراء ويقوم باعداد الصور الاعلامية لتوزيعها محلياً وخارجياً ، عن طريق المندوبين الأسرائيليين في الخارج والوزارات المختلفة ومندوبي الصحافة الأجنبية والمعارض الدولية التي تشترك فيها اسرائيل .

كما يصدر القسم نشرة اخبارية سينمائية توزع في الخارج بواسطة وزارة الخارجية والوكالة اليهودية في اكثر من طبعة بالعبرية والانجليزية والفرنسية والاسبانية كما يخرج أفلاماً وثائقية لعرضها في دور السينما والشبكات التلفزيونية الأجنبية (٣) .

(١) ابراهيم العريش : أيام قرطاج السينمائية السابعة ، بيروت ، مجلة قضايا عربية ، العدد الخامس ، السنة الخامسة ، تشرين اول — كانون اول ، ١٩٧٨ . ص٤٩ .
(٢) جاد الحاج ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .
(٣) منذر عنباوي : اضواء على الاعلام الاسرائيلي ، بيروت ، مركز الابحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية ، حزيران (يونيو) ١٩٦٨ . ص ١٤١ — ١٤٧ .

وتقوم اسرائيل باعداد افلام دعائية تتناول موضوعات شتى مثل « اسرائيل تتكلم» « اللواء ٤٥ عملياته في حرب الايام الستة» الذي يعالج مشاكل المهاجرين ويسجل الصوت على معظم هذه الأفلام بسبع لغات مختلفة (١) .

وتشير احصائيات عام ١٩٧٧ إلى أنه توجد في اسرائيل (٢٣٧) دار عرض سينمائية ثانية علماً بان عدد المقاعد في دور السينما في اسرائيل تؤلف ٤٣,٨ لكل الف شخص وهي نسبة عالية نسبياً اذا ما قورنت بكثير من الدول العربية ..

وقد عرضت دور العرض السينمائية في عام ١٩٧٧ (٤١٣) فلماً منها (٢٩,٥٪) أسريكية و (١١,٤٪) فرنسية و (١٠,٢٪) أيطالية و (٧,٣٪) هنديةو(١٤,٣٪) بريطانية و (٣,٤٪) المانيا الاتحادية و (٦,١٪) يابانية و (١٧,٩٪) من دول أخرى مختلفة .

أما عدد الافلام الطويلة التي انتجت في داخل اسرائيل عام ١٩٦٥ فكانت (٩) افلام طويلة وفي عام ١٩٨٠ (٨) افلام وفي عام ١٩٧٥ (٨) افلام وفي عام ١٩٧٦ (١٣) فلماً وفي عام ١٩٧٧ (١٤) فيماً (٢) .

إلى جانب ذلك فان السينما الصهيونية تحرص على المشاركة فيالمهرجانات الدوليةللسينما حيث بدأ خروجها إلى العالم خارج اسوار اسرائيل وهو خروج توج بمنح الفلم الاسرائيلي «فجوة في العمر» لصاحبه أوري زدهار جائزة أحسن ممثل في مهرجان «كان » عام ١٩٦٥ وبمنح الفلم الاسرائيلي « ثلاثة أيام وطفل » جائزة أحسن ممثل للطفل « أودو كوتلر» في مهرجان « كان » عام ١٩٦٧ وكان ذلك قبيل معارك حزيران بايام .

وقد لوحظ ان نصيب السينما الاسرائيلية في مهرجان فينا عام ١٩٧٢ وهو المهرجان الذي يختتم به موسم المهرجانات السينمائية في أوربا سبعة أفلام في الوقت الذي لم يكن للامة العربية من المحيط إلى الخليج سوى فلمين أحدهما تسجيلي قصير لايتجاوز عرضه عشر دقائق والثاني روائي طويل للكويت ليس فيه شيء من الدعاية للعرب .

أضافة إلى ماتقدم فأن الكيان الصهيوني يقيم مهرجاناً سنوياً لافلام الهواة ، كما يشترك في مهرجانات السينما التي تقام في الغرب منذ عام ١٩٦٧ ، كما تدعم السينما الامريكية

---

(١) مروان كنفاني : مرجع سابق ص ٧١ .

(٢) Unesco Statistical year book 1980. p.p 1178-1192.

الافلام التي تنتج في الكيان الصهيوني وترشحها أحياناً للاوسكار كأحسن فلم أجنبي مثلما حصل لفلم « صالح شباني » عام ١٩٧٢ (١) .

رابعاً : — السينما الصهيونية من عام ١٩٤٨ — ١٩٦٧

اكدت الدعاية الصهيونية بعد انشاء الكيان الصهيوني على المنطلقات الفكرية التالية(٢) .

١ — تقديم اسرائيل كنتاج للفكر والجهد والمهارة التابعة للحضارة الغربية :

٢ — التأكيد على المنجزات التي حققتها اسرائيل في الصحراء والتي كان اسموا فلسطين والتي (أهملها) العرب ودمروا معالم الحياة فيها :

٣ — التذكير المتواصل بان اسرائيل هي تحقيق لنبوءة دينية وردت في العهد القديم .

٤ — التذكير المتواصل بفضائح النازية وغيرها من مظاهر الاضطهاد الاوربي عبر التاريخ لليهود .

٥ — تصوير معاداة العرب لها على اعتبارها نتاج تعصب ديني وعنصري يزيد حدته علاقاتها القوية مع العالم الغربي .

ونحاول ان نستعرض هنا نماذج من ابرز الأفلام التي تؤكد على المنطلقات الفكرية للدعاية الصهيونية في هذه الفترة وهي :

أ — فيلم « الرواد »

بعد حرب ١٩٤٨ مباشرة تم عام ١٩٤٩ انتاج فيلمين أمريكيين يعتبران بداية السينما الصهيونية بعد انشاء اسرائيل وهما الفيلم التسجيلي « الرواد » والفيلم الروائي الطويل « سيف الصحراء » اخراج جورج شيرمان — وقد عرض الاول في ستة الاف ومائتين من دور العرض في الولايات المتحدة في وقت واحد . ويتناول الفيلم انتصار القوات الصهيونية على القوات العربية في حرب ١٩٤٨ مبرزاً المستوطنين اليهود في المزارع الجماعية « الكيبوتزات » على أنهم الرواد الذين انتصروا . اما الفيلم الثاني فيتناول « ميلاد اسرائيل » ويتجاهل الفيلم العرب تماماً ويوجه انتقاداً عنيفاً للانجليز بالتعاون مع العرب ضد اليهود .

---

(١) مكي المؤمن : مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

(٢) منذر غيباوي : مرجع سابق ، ص ٣٦ .

٢ ـ فيلم « الحاوي »

وفي عام ١٩٥٣ انتج الفيلم الاميركي « الحاوي» اخراج ادوارد ديمترك » وتم تصوير جزء منه في اسرائيل . ويتناول الفيلم قصة حاوٍ يهوَدي نجا من الموت في معسكرات الاعتقال النازيه ولكنه « لايستطيع ان يعتبر وجوده في اسرائيل عودة إلى الوطن » وتصوير الفيلم في اسرائيل يعني بالضرورة انه يناقش هذه المشكلة لكي يثبت انه يناقش هذه المشكلة لكي يثبت ان اسرائيل هي وطن كل يهود العالم ، وهي الافكار الرئيسية التي تقوم عليها الدعوة الصهيونية (١).

٣ ـ فيلم « كانوا عشرة »

هذا الفيلم من اخراج بارشين دينار في عام ١٩٦١ عن رواية « قريتي اسرائيل» لبارمز وهو أحد الافلام التي تستلهم الماضي بهدف شحذ عنصرية اليهودي المعاصر ، يختار الفيلم عشره من اليهود المهاجرين إلى اسرائيل عام ١٨٨٠ ليدخلوا قرية عربية ... ويصور الفيلم القرية كيف كانت مهملة .. وكيف أصبحت بعد أن دخلها اليهود المهاجرون وعملوا على بناء المستوطنات فيها ... ومن هذه النقطة ينطلق الفيلم لتكريس أهدافه الداخلية والتأكيد على فكرة « التفوق اليهودي » (٢) .

٤ ـ فيلم الخروج

ويعتبر من ابرز الافلام التي انتجتها اسرائيل وهو مأخوذ عن رواية في غاية التأثير ويهدف إلى تأييد قضية الصهيونية (٣) . حيث يصف بتفصيل وباسلوب شاعري غنائي ميلاد اسرائيل . وقد لانكون مبالغين اذا قلنا ان هذا الفيلم تضمن كل الأفكار الصهيونية شأن فيلم « ميلاد أمه » بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية حيث يظهر الزنوج كعبيد عميان البصائر ومجرمين انذاك تملكهم وسواس القتل وهتك الاعراض والسرقة (٤) .

---

(١) سمير فريد : مدخل إلى السينما الصهيونية ، مرجع سبق ذكره . ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٢) احمد فياض المفرجي واخرون : أساليب السينما الصهيونية ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ . ص ١٧٥ .

(٣) عبداللطيف حمزة : الاعلام والدعاية . بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٦٨، .ص ١٨٨.

(٤) جورج سادول : تاريخ السينما في العالم ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٨ ، ص ١٣٧ .

وانا لوشاهدنا فيلم الخروج لوجدنا فيه كل جراثيم الدعاية الصهيونية حيث أحاط بكل الافكار الصهيونية ... من الفها إلى يائها فجنسيته في الواقع اقرب إلى الجنسية الاسرائيلية منه إلى الجنسية الامريكية . ويؤكد الفيلم على تنبيه اليهود إلى خطر العيش خارج اسرائيل . ويعتبر نقطة تحول في تأريخ السينما الصهيونية داخل اسرائيل وخارجها علماً بأن الفيلم انتج عام ١٩٦٠ .

٥ — فيلم « الظل العملاق »

انتج عام ١٩٦٥ وهو يصور الصراع ضد العرب ، وكأنه صراع ضد النازية كما انه يكشف عن العلاقة المتينة بين الامبريالية الأمريكية والكيان الصهيوني من خلال احد الضباط الأمريكان الذي يشترك في الحرب ضد النازية ومن ثم يشارك في الحرب العربية الاسرائيلية الاولى الى جانب اسرائيل .

٦ — فيلم « التوراة في البداية »

وهو من اخراج جون هيستون (١٩٦٦) وهو يعتبر واحداً من اهم الأفلام التي مهدت عن طريق الدين والأساطير للتوسع الاسرائيلي عام ١٩٦٧ ، فهو يتوقف من منتصفه حتى نهايته أي زهاء تسعين دقيقة عند ابراهيم ليؤكد في ذهن المشاهد تارة بالتصريح وتارة بالتلميح ان اسماعيل هو ابو العرب من نسل العبيد لأنه عن أم امه « هاجر » وان اسحق هو أبو اليهود من نسل السادة عن ام اميرة « سارة » وان ارض اسرائيل تمتد من الفرات الى النيل بالوعد من الله الى ابراهيم (١) .

٧ — فيلم الوصايا العشر : —

تناول المخرج الأمريكي « سيسيل دي ميل » قصة موسى ونبي اسرائيل أثناء وجودهم في أرض مصر ثم اثناء الخروج منها على وجه مشوه وتصوير أهل مصر وكأنهم أبناء شعب منبوذ كتب عليه ذل العيش في أغلال العبودية لفرعون وقومه الظالمين .

والغريب أن يجيء « دي ميل » الى مصر خلال عام ١٩٥٤ ليصور فيلمه في ربوعها وان يشارك الجيش المصري في بعض المشاهد لشعب مصر سيما مشهد البحر الأحمر .. وان يتوج ذلك كله بحفل افتتاح كبير يعرض فيه فيلم « الوصايا العشر » بمدينة نيويورك يوم التاسع من نوفمبر أي فور اجتياح القوات الاسرائيلية لشبه جزيرة سيناء بأيام بل قبل ساعات معدودة .

---

(١) مصطفى درويش : مرجع سابق ، ص ١٢٧.

ويمكن القول ان الأفلام التي تم انتاجها داخل « اسرائيل » أو خارجها للفترة من ١٩٤٨ – ١٩٦٧ منسجمة مع الأهداف السياسية الدعائية للصهيونية ومتطابقة معها .

خامساً : — السينما الصهيونية من عام ١٩٦٧ – ١٩٧٣

عقب عدوان حزيران لم تكتف الصهيونية بانتاج الأفلام الاستعراضية كاداة لبث دعايتها فقد لوحظ أن السينما الصهيونية أخذت تستخدم جميع اشكال التعبير بالصور المتحركة وعلى نطاق واسع يمتد من الفيلم الوثائقي الى الفيلم الروائي سواء كان قصيراً أم طويلا .

وقد استغلت سينما الاحتكارات الحرب العربية – الاسرائيلية وقدمت من خلالها الجندي الصهيوني الذي لايقهر وفي المقابل فإن تلك الأفلام لم تتوقف عند حد الولاء للكيان الصهيوني بل انها قدمت صورة مشوهة للعربي ، اذ وصفته بالخيانة والجبن والتعصب . ومثل هذا الطرح لايوحي بمكانة الكيان الجديد فقط بل انها تدعو الى مناصرة الكيان الصهيوني ، ودعمه بسبب ماتصوره من تهديد عربي ينذر بالهجوم الدائم .

وأضافت الحركة الصهيونية الى اهدافها السابقة هدفاً جديداً استغلته في السينما ، فقد أخذت تعبر به بعد عام ١٩٦٧ من خلال الأفلام التي تصدرها أو تسيطر عليها عن رغبتها في السلام في محاولة الاحتفاظ بالأرض الجديدة التي احتلتها (١) .

ونستعرض فيمايلي نماذج من أبرز الأفلام التي اتسمت بها الفترة على سبيل المثال لاالحصر

١ – فيلم « الحرب من اجل السلام »

وهذا الفلم الأمريكي الذي انتج عام ١٩٦٨ وهو من الأفلام الصهيونية التي تناولت حرب ١٩٦٧ ، حيث يشيد بالحركة الصهيونية ويتعرض لحركة المقاومة الفلسطينية ويعتبرها حركة أرهابية .

٢ – انها ارضه : –

تم اخراج هذا الفيلم عام ١٩٦٩ وهو محاولة لاثبات حق الصهاينة في الأراضي التي احتلوها .

٣ – ارثر روبنشين : –

اخرج الفيلم عام ١٩٧٠ وهو من الأفلام الطويلة التي صورت أهداف الحركة الصهيونية

---

(١) مكي حبيب المؤمن ، مرجع سابق . ص ١١٠ .

بتسجيله لحياة فنان هو « ارثر روبنشين » حين يزور القدس ويقف عند حائط المبكى يتحدث عن اجداده اليهود الذين سكنوا في فلسطين منذ آلاف السنين .

٤ — فيلم معركة سيناء : —

انتاج ايطالي يحاول اسباغ البطولة الكبيرة على الجنود الصهاينة .

٥ — فيلم ادمس بأسمي : —

في عام ١٩٧٢ وبمناسبة مرور (٢٥) سنة على انشاء الكيان الصهيوني انتجت أفلام عديدة تصور هذا الحدث لعل من أهمها فيلم « ادمس باد مي » ويدور حول الضياع الذي يحسه اليهود في العالم والأمن النفسي الذي يحسونه في داخل الكيان الصهيوني .

٦ — فيلم الموت في مدريد : —

وهو فيلم صهيوني يصور العرب دعاة حرب مستسلمين واليهود دعاة سلام محاربين من خلال عرض زائف لتاريخ الصراع بين العرب والصهيونية .

٧ — فيلم تحيا اورشليم : —

انتج عام ١٩٧٢ من قبل الناقد الفرنسي هنري شابيه وقد اختار القدس موضوعاً لفيلمه واختار الأديب الفرنسي الصهيوني « جوزيف ليسيل » ليقدم له . والفيلم ذو نزعة صهيونية جوهرها ان القدس عادت الى « اصحابها » بعد طول « اغتصاب » وان حلم الانسان في السلام قد تحقق بتلك العودة (١) .

٨ — فيلم « صابرا »

في عام ١٩٧٠ انتج الفيلم الفرنسي الايطالي « صابرا » اخراج دنيس دي لاباتلير المأخوذ عن رواية « موت يهودي » تأليف فاهي كاتش والذي اشترك في تمثيله « آساف ديان » ابن مجرم الحرب موشيه ديان . وتروي قصة الفيلم « كوماندوز اسرائيلي يذهب الى القاهرة ايام بعملية تخريب مركز اتصالات لاسلكي . ويكشف المصريون العملية ، ويقبضون على شيمون بعد ان يفتشوا باقي أفراد الكوماندوز ويسجن شيمون ويعذب ولكنه يرفض الاعتراف فيلجأ المصريون الى اغرائه بالمال مقابل ان يتكلم وتلبي كافة طلبات السجين ، حتى صار المحقق يعتبره كابنه ويعلن شيمون يوماً بانه سيكشف عن الأسماء اذا سمح له بالعودة الى

(١) مصطفى درويش : مرجع سابق . ص ١٣٠ .

اسرائيل . وفي الورقة التي يسلمها على الحدود لايجد المحقق سوى رسم لنجمة داود فيطلق النار على شيمون ويقتله (١) .

سادساً : السينما الصهيونية من عام ١٩٧٣ — ١٩٨٠

لوحظ ان الأفلام التي تحدثت عن حرب تشرين عام ١٩٧٣ هي أقل عدداً وأقل تبجحاً من الأفلام التي انتجتها الصهيونية بمناسبة حرب حزيران ١٩٦٧ ، وهذا طبيعي فقد هوجمت اسرائيل لأول مرة ، وهزمت على يد المقاتل العربي في سيناء والجولان غير ان هذا لايعني ان السينما الصهيونية قد توقفت أو انكمشت ، فقد استمر انتاج الأفلام الصهيونية وخاصة في اوربا وامريكا ، وقد ركزت الأفلام التي تم انتاجها في هذه الفترة على مواضيع متنوعة ومنها على سبيل المثال مايلي : —

١ — فيلم « كل الحياة » :

في عام ١٩٧٤ تم انتاج الفيلم الفرنسي « كل الحياة » اخراج كلود ليلوش ، وفيلم « كل الحياة » أحد اكثر الأفلام الصهيونية اضطراباً من الناحية الفنية ، واكثرها وضوحاً من الناحية السياسية .. وتتضح صهيونية ليلوش في هذا الفيلم من خلال الربط بين اضطهاد اليهود في أوربا النازية ، وبين انشاء اسرائيل في فلسطين العربية ومن خلال التماثل المستمر بين أبنة بطلة رجل الأعمال وبين اسرائيل حتى انه يحتفل بعيد ميلاد ابنته وعيد ميلاد اسرائيل في نفس الوقت . وحتى انه يوصي ابنته وهو على فراش الموت بان تعاون اسرائيل في حربها ضد العرب .. وينكر الفلم انتصار العرب على اسرائيل في حرب اكتوبر ويصفها بأنها « أزمة الابتزاز البترولي » لقد سقط القناع الانساني الذي كان يضعه ليلوش على وجهه ، كما سقط الفنان في نفس الوقت ولم يكن من الممكن لهذا الفكر الفاشي الا ان ينتج هذه الفوضى المرئية الرديئة .

٢ — فيلم « رجل في الغرفة الزجاجية » : —

وفي عام ١٩٧٥ انتج الفيلم الأمريكي « الرجل في الغرفة الزجاجية » اخراج ارثر هيلار عن مسرحية ادوار أنالت التي عرضت في لندن عام ١٩٦٧ ، ثم عرضت في نيويورك عام ١٩٦٨ . كما قدمت على المسرح في تل أبيب قبل ان تقدم في السينما ، ويتناول الفيلم مرة أخرى ، ولن تكون الأخيرة موضوع اضطهاد النازي لليهود عن وجهة النظر الصهيونية

---

(١) سمير فريد : مدخل إلى السينما الصهيونية ، مرجع سابق . ص ٦٣ .

التي ترى في هذا الاضطهاد مبرراً لاحتلال فلسطين وانشاء اسرائيل (١) .

٣ — فيلم « البرعم » : —

وهو فيلم تم انتاجه في عام ١٩٧٥ وهو يحكي قصة فتيات صهيونيات يحتجزهن فدائيون فلسطينيون في يخت ويخلصهن بطل الفيلم الصهيوني ويهدف الفيلم الى اشاعة روح الكراهية للفدائيين العرب الذين يصفهم بالارهابيين ، كما يحاول اثارة روح التعاطف مع الفتيات الصهيونيات .

٤ — فيلم حمى الوطن : —

اخراج يومان ليفي عام ١٩٨٠ يتكون الفيلم من مجموعة من اللقطات الوثائقية التي استقاها المخرج من مايقارب من (١٠٠٠) فيلم وثائقي مابين ١٩٥٠ — ١٩٦٠ . يستحضر المخرج « التاريخ الصهيوني » ولادتها ونشوئها عبر السنين ، يحاول المخرج ان يصور (الآلام) التي عانتها الصهيونية إذ يؤكد بأن « الامة الصهيونية » لاتختلف عن الامم الاخرى.

٥ — فيلم (٥ + ٥ الموسيقى)

اخراج شمئيل ايمبرمان ، يصور الفيلم خمسة رجال مجندين في قاعدة عسكرية .. يقررون الذهاب الى مستعمرة « موشاف » المجاورة بعد انتهاء التدريبات لقضاء العطلة هناك يلتقي اولئك بخمس فتيات من بنات المزارعين . ويركز الفيلم على اسطورة الجندي الصهيوني الذي يضحي باجازته وراحته لمعاونة المزارعين !! وهو يعمل كل ما في جهده لبناء الكيان الصهيوني وترتبط خرافة التفوق الصهيوني بخرافة العرق للجنس اليهودي (٢) .

سابعاً : — الأهداف الدعائية الصهيونية من خلال تحليل أنماط الأفلام

بعد عرض الأفلام للمراحل الثلاث التي مر بها الفيلم الصهيوني نحاول هنا استكمالا للفائدة ان نحلل الأهداف الصهيونية الدعائية من وراء انتاج هذه الأفلام خاصة وان صناعة السينما الصهيونية لم تكن معزولة عن معارك الصهيونية السياسية بل كانت مواكبة لها وعاكسة المفهوم الصهيوني الكامل للبطل في السينما . ويمكن ايجازها فيما يلي : —

١ — خلق الوهم بالقومية اليهودية المرتكز على مزاعم الحق الديني والتاريخي لليهود فيما يسمى « ارض الميعاد » والترويج للهجرة الى فلسطين المحتلة .

(١) سمير فريد : نفس المرجع السابق : ص ٧١ .
(٢) شاكر نوري . مرجع سابق . ص ١٤٦ .

٢ ـ تشويه الشخصية العربية حيث قدمت السينما الصهيونية العربي كنموذج للمتعصب والمتخلف الذي يهدد الحضارة الغربية ، وكذلك النيل من الحضارة العربية الاسلامية من خلال تشويه الوقائع التاريخية بل والتلاعب بالكتب المقدسة .

والواقع المؤسف هنا ان تشويه صورة العرب في السينما الصهيونية لايجد تصدياً فعالاً على صعيد السينما العربية وقد وصلت مستويات ذلك التشويه الى درجات خطيرة حتى بدت صورة العربي لكثيرين في الغرب هي صورة البدائي الذي يحصل على كل شيء بالمال والارهاب .

٣ ـ الدعاية الصهيونية في السينما العالمية متسلطة بشكل عجيب والدوائر الصهيونية لاتترك أي فرصة عالمية لتثبت وجودها فما من مهرجان دولي الا وفيه أفلام وصحفيون ومكاتب اعلامية للبرهنة على ذلك . وهكذا تمكنت السينما الصهيونية من المساهمة الى حد كبير في تدعيم مقولات ومبادىء الدعاية الصهيونية .. وكانت النتيجة ان المواقف السياسية التي تتخذها دول العالم الغربي تجاه القضايا العربية مدعومة بقطاعات شعبية ساهمت في ترسيخها الدعاية الصهيونية ، وخاصة في مجال السينما .

٤ ـ ابراز بعض المظاهر المتقدمة في اسرائيل والتأكيد على ان اسرائيل دولة متحضرة من خلال العديد من الأفلام التي تم انتاجها محلياً وعالمياً ضمن هذا التوجه .

٥ ـ لوحظ ان لكل مرحلة من المراحل التي مرت بها السينما الصهيونية كانت لها لغة دعائية خاصة تنسجم مع الأهداف الدعائية الصهيونية .

٦ ـ ان كثيراً من الأفلام التي قامت بانتاجها السينما الصهيونية كانت مقتبسة من الأعمال الأدبية العالمية ووضعها في اطار آخر هو المجتمع الصهيوني واكثر الاقتباسات تعمل على تشويه الأعمال الأصلية ، فالأفلام الصهيونية في النهاية تعتمد على المقولات الجاهزة وليس على الفن والابداع الثقافي .

٧ ـ تكمن قوة السينما الصهيونية في عدم اعتماد معظم الأفلام التي انتجتها على الدعاية المباشرة [illegible] المخرجين هم أجانب والكثير [illegible] ممالئون مع الكيان الصهيوني [illegible] قامت على [illegible] من الخارج ، فالصادر من الخارج لايكون مستغرباً اذا تصبح [illegible] من الخارج .

وسواء كان السينمائيون يدركون خطر مايحدث او لايدركون فان واقع الأمر ان السينما الصهيونية تتحرك بنشاط محموم وتنجح بالفعل في جذب المشروعات السينمائية العالمية

الى اسرائيل بكل المكاسب المادية والدعائية التي تحققها من وراء كل ذلك بينما تتقوقع السينما العربية على نفسها في محاولاتها المتعثرة لصنع سينما قومية في هذا البلد العربي او ذاك، وليس هذا مجال المقارنة بين مايفعلون وما نفعل نحن او ما « لانفعل » على وجه الدقة ، وانما اقصى مانستطيع نحن الآن ان (نخبر) الاعلاميين العرب بما يفعله الاسرائيليون فلعل هذا يحرك فيهم شيئا .

اساليب المعاملة الوالدية وتأثيرها على انحراف الاحداث

الدكتور صباح باقر
كلية الآداب / الجامعة المستنصر

الفصل الرابع

تحليل النتائج وتفسيرها

كان البحث يهدف الى التعرف فيما اذا كانت هناك فروق ذات دلالة احصائية بين الجانحين وغير الجانحين فيما يتعلق باساليب المعاملة الوالدية التي تعرضوا لها خلال عملية التنشئة الاجتماعية وقد استخدم الباحث في سبيل قياس هذه الناحية الاستفتاء الذي اعده واستخدم الوسائل الاحصائية كالنسب المئوية والمتوسطات والانحرافات ومربع كاي لمعرفة الفروق من النتائج. ومن المواقف والأساليب التربوية هي

١ — شعور الأبناء بحب الوالدين وعطفهما

وجدت فروق ذات دلالة احصائية من الجانحين وغير الجانحين فيما يتعلق بشعور الأبناء بحب والديهم وعطفهم عليهم والجدول رقم (١١) يوضح ذلك.

يوضح الجدول بان شعور الابناء الاسوياء يزداد بحب كلاوالديهم لهم وعطفهم عليهم عن الجانحين بينما لايوجد مثل هذا الشعور لدى مجموعة الجانحين الا فيما يتعلق بحب

جدول رقم (١١) يوضح شعور الأبناء بوضوح حب الوالدين

هل	جانح العدد	جانح النسبة	غير جانح العدد	غير جانح النسبة	دلالة مربع كاي
كانت امك تحبك وتعطف عليك بشكل واضح ومكشوف	٤٤	٨٨	٤٦	٩٢	لايوجد فرق ذو دلالة احصائية
لاتظهرحبها ابداً	٦	١٢	٤	٨	
كان أبوك يحبك ويظهر حبه بشكل واضح ومكشوف	٩	١٨	٤٦	٩٢	يوجد فرق ذو دلالة احصائية من
لايظهر حبه أبداً	٤١	٨٢	٤	٨	مستوى ا.و.
	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠	

وعطف امهاتهم دون الاباء ، حيث ظهرت فروق ذات دلالة احصائية وعند مستوى ٠,٠١ بالنسبة للاباء .

٢ ــ شعور الأبناء باهتمام والديهم او اهمالهم لهم.

اتضح من الدراسة وجود فروق ذات دلالة احصائية وعند مستوى ٠,٠١ بين الجانحين وغير الجانحين حيث يوضح الجدول رقم (١٢) ذلك

وجدت فروق ذات دلالة احصائية بين الجانحين وغير الجانحين فيما يتعلق بشعورهم باهتمام والديهم بهم او اهمالهم لهم حيث يوضح الجدول بأن الجانحين اكثر شعوراً بعدم اهتمام كلا والديهم بهم وخاصة بالنسبة للأب بينما يختفي هذا الشعور لدى الأسوياء او غير الجانحين أو لايبدو هذا الشعور الا في ٢ ٪ منهم فقط وتظهر بان المجموعة الجانحة اكثر اهتماما بأمر الأب منها بالام ويظهر هذا الاهتمام بصورة اوضح في المجموعة الجانحة عنها في المجموعة غير الجانحة ويبدو في مجموعة الجانحين بوضوح شعور الأبناء

جدول رقم(١٢) يوضح شعور الاحداث باهتمام والديهم بهم أو اهمالهم

اي من الأبوين	جانح العدد	جانح ٪	غير جانح العدد	غير جانح ٪	دلالة مربع كاي
لايهتم بما تفعله من اعمال اوماتقوم به					فروق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠٫٠١
الأب	٢٩	٥٨	١	٢	
الام	٨	١٦	٠	٠	
كلاهما	٥	١٠	٠	٠	
لأحد	٨	١٦	٤٩	٩٨	
يهملك امره دائماً					
الاب	٣٩	٧٨	١٩	٣٨	فروق ذو دلالة احصائية
الام	٤	٨	٢١	٤٢	عند مستوى ٠٫٠١
كلاهما	٤	٨	٢	٤	
لأحد	٣	٦	٨	١٦	
مقصر في حقك في المنزل					
الأب	٣١	٦٢	٢	٤	فروق ذو دلالة احصائية
الام	٧	١٤	٣	٤	عند مستوى ٠٫٠١
كلاهما	١	٢	١	٣	
لأحد	١١	٢٢	٤٥	٩٠	
المجموع	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠	

بتقصير والدهم نحوهم في المنزل وخاصة بالنسبة للاب وعدم تلبيتهم لمطالبهم او قضاء حاجتهم بينما يهمل هذا الشعور او يكاد يختفي بالنسبة لغير الجانحين او لايبدو الا في ١٠٪ فقط منهم .

٣ — شعور الأحداث باهمال الوالدين وتقصيرهم

ان هذا الشعور يوضحه الجدول رقم (١٣)

جدول رقم (١٣) يوضح شعور الأبناء باهمال الوالدين وتقصيرهم فيحقوقهم

هل	جانح				غير جانح				دلا لة مربع كاي
	دائماً	أحياناً	نادراً	المجموع	دائماً	أحياناً	نادراً	المجموع	
كنت تشعر باهمال الوالدين وحرمانهم من الاحتياجات الضرورية والمقتصر في حقك	٣٦	٨	٦	٥٠	٧	٨	٨	٢٧ ٥٠	فروق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠٠١

اظهرت الدراسة فروق ذات دلالة احصائية وعند مستوى ٠,٠١ بين الجانحين وغير الجانحين فيما يتعلق بشعور الأبناء باهمال الوالدين وتقصيرهم في حقوقهم حيث يوضح الجدول رقم (١٣) مدى شعور الجانحين وبدرجة اكبر من الاسوياء باهمال والديهم لهم وحرمانهم من الكثير من احتياجاتهم الضرورية (مثل الملابس والنقود واللعب) وتعتبر جميعاً ذات أثر هام في حياتهم والفرق بين المجموعتين الجانحة ذات دلالة احصائية وعند مستوى ٠,٠٠١.

٤ — احساس الاحداث بتقبل الاباء لهم او نبذهم لهم

ان هذا الاحساس يوضحه الجدول رقم (١٤)

جدول رقم (١٤) يوضح احساس الابناء بتقبل الاباء لهم اونبذهم لهم

هل		جانح		غير جانح		دلالة مربع كاي
		العدد	٪	العدد	٪	
كان أبوك يحثك دائما على الاشتغال ومساعدته في العيشة	نعم	٤٦	٩٢	٣	٦	فروق ذو دلالة احصائية
	لا	٤	٨	٤٧	٩٤	عند مستوى ٠,٠١
كنت تشعر بأن أبوك كان دائماً متضايق منك وانك حمل ثقيل عليه	نعم	٤٧	٩٤	٤	٨	فروق ذو دلالة احصائية
	لا	٣	٦	٤٦	٩٢	في مستوى ٠,٠١
المجموع		٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠	

اظهرت الدراسة فروقاً ذات دلالة احصائية وعند مستوى ٠,٠٠١ فيما يتعلق باحساس الأبناء بتقبل الاباء لهم او نبذهم لهم حيث يوضح الجدول رقم (١٤) ان معظم الجانحين (٩٢ ٪) اعربوا عن أن أبائهم كانوا يطالبونهم بصفة مستمرة بأن يبحثوا لأنفسهم عن عمل من أجل مساعدتهم في المعيشة وفي مواجهة اعباء الحياة ، وقد اظهرت المقابلات الشخصية للاحداث أن نسبة كبيرة منهم تركوا مدارسهم للالتحاق بأي عمل من الأعمال .

بينما أعرب معظم الأبناء من غير الجانحين (٩٤ ٪) بأن ابائهم لم يطالبوا منهم او يلحوا عليهم في البحث عن اي عمل بل كانوا دائماً وكما عبروا عن ذلك في المقابلات الشخصية يطلبون منهم الاستمرار في دراستهم من اجل تحقيق مستقبل أفضل لهم .

وكذلك اظهرت نسبة عالية منهم (٩٢ ٪) بانهم لم يشعروا يوما بانهم كانوا حملا ثقيلا على ابائهم أو ان ابائهم قد تضايقوا منهم . بعكس المجموعة الجانحة والتي اظهرت نسبة كبيرة منهم (٩٤ ٪) بانهم كانوا يشعرون بتضايق الأب منهم وأنهم يعتبرون حملا ثقيلا على الاباء .

٥ — شعور الاحداث بقسوة الوالدين وشدتهم وسيطرتهم :

ان هذا الشعور يوضحه الجدول رقم (١٥).

اظهرت الدراسة فروقاً ذات دلالة احصائية وعند مستوى ٠,٠٠١ بين الجانحين وغير الجانحين فيما يتعلق بشعورهم بقسوة الوالدين وشدتهم وسيطرتهم حيث يوضح الجدول رقم (١٥) بأن مجموعة الجانحين يشعرون وبنسبة اكبر في نقد الاباء والتدقيق معهم دائماً من مجموعة غير الجانحين .

اما من حيث مضايقة الأب في المنزل فإن مجموعة الجانحين تشعر بذلك وبنسبة عالية بينما مجموعة غير الجانحين لاتشعر بذلك وتشعر بأن لا احد يضايقها في المنزل ، اما من حيث قسوة الأب فإن نسبة ٧٢٪ من الجانحين يعتقدون بأن الأب اكثر قسوة بينما تصفه مجموعة غير الجانحين ٨٨ ٪ بان لا احد من الوالدين يقسو عليهم او يؤنبهم امام الأصدقاء، وكذلك من حيث اهانة الأب لابناءه وضربهم له امام الأصدقاء ، فقد اشار (٦٢ ٪) من مجموعة الجانحين لذلك بينما ٨٦ ٪ من غير الجانحين اشاروا ان لااحد يتعمد اهانتهم وضربهم امام الآخرين .

وكذلك أشارت مجموعة الجانحين وبنسبة ٨٦ ٪ بأن الاباء اكثر شدة عن معاملتهم بينما لم يشر الى ذلك من مجموعة غير الجانحين الا بنسبة ٢٠ ٪ ، اما من حيث الأكثر تساهلا فيما لم يشر الى ذلك من مجموعة غير الجانحين الا ١٨٪ .

٦ — شعور الاحداث لاساليب العقاب :

ان مشاعر الأبناء تجاه أساليب العقاب المختلفة يوضحه الجدول رقم (١٦) . حيث أظهرت الدراسة فروقاً ذات دلالة احصائية وعند مستوى ٠,٠٠١ بين الجانحين وغير الجانحين فيما يتعلق بمشاعرهم تجاه أساليب العقاب المختلفة .

يوضح الجدول رقم (١٦) بأن الجانحين أكثر شعوراً بتعرضهم للعقاب الدائم من جانب الوالدين وخاصة الاب حيث أشار (٨٨ ٪) إلى ذلك بينما مجموعة غير الجانحين لم تشعر بالعقاب الدائم من الاب الا بنسبة ٢٨ ٪ وكان الفرق بين المجموعتين ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠٠١ وكذلك فان مضمون الفقرة الثانية يثبت مضمون الفقرة الاولى وهو نوع من الثبات في أراء المجموعتين واتجاهاتهم نحو اساليب العقاب ويظهر الجدول كذلك بأن مجموعة الجانحين اكثر شعوراً وبصورة واضحة بأن أبائهم كانوا

جدول رقم (١٥) يوضح شعور الابناء بقسوة الوالدين وشدتهم وسيطرتهم

أي من الأبوين كان	جانح								غير جانح								دلالة الفروق باستخدام مربع كاي
	الأب		الأم		كلاهما		لأحد		الأب		الأم		كلاهما		لأحد		
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
ينقدك ويدقق معك دائماً	٣٤	٦٨	٩	١٨	٣	٦	٤	٨	١٤	٢٨	٣	٦	٧	١٤	٢٦	٥٢	فروق ذودلالة عند مستوى ٠٠١و٠
يضايقك في المنزل بدرجة كبيرة	٣٥	٧٠	٧	١٤	١	٢	٧	١٤	٢١	٢	٢	٤	١	٢	٤٦	٩٢	فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠٠١و٠
يقسو عليك أحياناً ويؤنبك أمام الأصدقاء	٣٦	٧٢	٣	٦	٥	١٠	٦	١٢	٣	٦	١	٣	٢	٤	٤٤	٨٨	فروق ذو دلا لة احصائية عند مستوى ٠٠١و٠
يتعمد أهانتك وضربك أمام الآخرين .	٣١	٦٢	٣	٦	٤	٨	١٢	٢٤	٣	٦	٣	٦	١	٢	٤٣	٨٦	فروق ذو دلالة عند مستوى ٠٠١و٠
أكثر شدة في معاملتك	٤٣	٨٦	٣	٦	١	٢	٣	٦	١٠	٢٠	٤	٨	——	——	٢٦	٧٢	فروق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠٠١و٠
أكثر تساهلا في معاملتك	٤	٨	٤٠	٨٠	٣	٦	٣	٦	٥	١٠	٩	١٨	٣٦	٧٢	——	——	فروق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠٠١و٠

جدول رقم (١٦) يوضح مشاعر الابناء تجاه اساليب العقاب

أي من الأبوين كان	جانح: الأب العدد	٪	الأم العدد	٪	كلاهما العدد	٪	لأحد العدد	٪	غير جانح: الأب العدد	٪	الأم العدد	٪	كلاهما العدد	٪	لأحد العدد	٪	دلالة الفرق باستخدام مربع كاي (كا ٢)
يعاقبك دائماً	٤٤	٨٨	٢	٤	٢	٤	٢	٤	١٤	٢٨	٣	٦	٣	٦	٣٠	٦٠	فروق ذو دلالة عند مستوى ٠٠١ ,٠
لايعاقبك دائماً	٣	٦	٤١	٨٢	٣	٦	٣	٦	٤	٨	٨	١٦	٣٤	٦٨	٤	٨	فروق ذو دلالة عند مستوى ٠٠١ ,٠
يهددك دائماً بالعقاب	٤٦	٩٢	٣	٦	١	٢	—	—	٧	١٤	٥	١٠	٢	٤	٣٦	٧٢	فروق ذو دلا لة عند مستوى ٠٠١ ,٠
يهددك بالعقاب وتنفيذه	٤٧	٩٤	٢	٤	—	—	١	٢	١٥	٣٠	—	—	٢	٦	٣٢	٦٤	فروق ذو دلا لة عند مستوى ٠٠١ ,٠
يهددك بالعقاب ولا ينفذه	٣	٦	٤٥	٩٠	١	٢	١	٢	٣	٦	١٦	٣٢	١٣	٢٦	١٨	٣٦	فروق ذو دلا لة عند مستوى ٠٠١ ,٠
عقابه أشد قسوة	٤٨	٩٦	٢	٤	—	—	—	—	١٤	٢٨	—	—	—	—	٢٦	٧٢	فروق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠٠١ ,٠

هم مصدر هذا العقاب والتهديد وكذلك بالنسبة لتنفيذه من مجموعة غير الجانحين ، ويقل في المجموعتين وبصورة واحدة ظهور الام كسلطة توجه العقاب للابناء، كما يقل شعورهم ايضا بتهديد امهاتهم المستمر لهم. وقد أظهرت مجموعة الجانحين كذلك ونسبة (٩٦٪) بان الاب اكثر قسوة وشدة في عقابة بينما لم يظهر ذلك في مجموعة غير الجانحين الا بنسبة ٢٨٪ .

٧ – الوان العقاب التي يتعرض لها الاحداث :

اولت الدراسة اهتماما بالوان العقاب التي يتعرض لها الابناء ويوضح ذلك الجدول رقم (١٧) .

جدول رقم (١٧) الوان العقاب التي يتعرض لها الأبناء

الوان العقاب	جانح		غير جانح		مستوى الدلالة باستخدام مربع كاي (كا٢)
	العدد	٪	العدد	٪	
الضرب بالعصا او الصوندة	٣٦	٧٢	٨	١٦	فرق ذو دلالة احصائية
الطرد من المنزل	٢	٤	—	—	عند مستوى ٠٠١ر٠
السب بالألفاظ البذيئة مع الضرب	٦	١٢	—	—	
التوبيخ	٢	٤	٦	١٢	
الحرمان من المصروف اليومي	٢	٤	٤	٨	
النصح التوجيه	٢	٤	٣٢	٤	
المجموع	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠	

اظهرت الدراسة فروقاً ذات دلالة احصائية بين الجانحين وغير الجانحين فيما يتعلق بالوان العقاب التي يتعرضون لها حيث يوضح الجدول رقم (١٧) ألوان العقوبات التي يتعرض لها الاحداث بحيث يشيع في مجموعة الجانحين اسلوب العقاب البدني والضرب بالعصا أو الصونده ولم تظهر مثل هذه الظاهرة عند مجموعة غير الجانحين الا بنسبة قليلة

وهي ١٦٪ وظهر بأن اسلوب النصح والتوجيه هو الغالب في مجموعة غير الجانحين وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع النتائج التي توصل اليها الدكتور / محمد عمادالدين اسماعيل والدكتور / نجيب اسكندر ابراهيم في بحثه عن الاتجاهات الوالدية واثرها في تنشئة الطفل (١).

٨ ــ مشاعر الاحداث عن اتجاهات الاباء نحو ابنائهم

اهتمت الدراسة كذلك بمعرفة مشاعر الابناء عن اتجاهات والديهم نحو اعمالهم وفكرة الوالدين وبالذات الاباء عنهم وعن امكانياتهم وقدراتهم ويوضح الجدول رقم (١٨) هذه المشاعر.

جدول رقم (١٨) يوضح مشاعر الابناء عن اتجاهات الابناء نحو اعمالهم

هل	جانح العدد	جانح ٪	غير جانح العدد	غير جانح ٪	مستوى الدلالة باستخدام مربع كاي (كا٢)
ينظر أبوك لاعمالك على انها طيبة وصحيحة	١٨	٣٦	٤٨	٩٦	الفروق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠٠١
خاطئة ويغلب الشر	٣٢	٦٤	٢	٤	
تنظر امك لاعمالك على انها طيبة وصحيحة	٤٤	٨٨	٤٨	٩٦	الفرق ذو دلالة احصائية فيمستوى ٠,٠٥
خاطئة ويغلب الشر	٦	١٢	٢	٤	

وقد أظهرت الدراسة فروقاً ذات دلالة احصائية بين الجانحين وغير الجانحين فيما يتعلق بمشاعرهم عن اتجاهات الاباء نحو اعمالهم حيث يوضح الجدول لنا بأن مجموعة الابناء غير الجانحين عبروا وبنسبة (٩٦٪) عن انهم كانوا يشعرون دائماً بأن فكرة والديهم عنهم فكرة طيبة وان ابائهم ينظرون إلى اعمالهم على انها طيبة وصحيحة بعكس الابناء في مجموعة الجانحين حيث اظهرت نسبة كثير منهم (٦٤٪) بأن ابائهم ينظرون إلى اعمالهم على انها خاطئة ويغلب الشر، وان كانت نسبة عالية منهم (٨٨٪) عبرت عن مشاعرها

(١) د. محمد عماد الدين اسماعيل. د. نجيب اسكندر ابراهيم / الاتجاهات الوالدية وأثرها في تنشئة الطفل، القاهرة / دار المعرفة ١٩٥٩ .

الطيبة نحو امهاتهم حيث النظرة كانت دائما تتسم بالطيبة والصحة بالنسبة لاعمالهم ومع ذلك فان الفروق بين المجموعتين كانت ذات دلالة احصائية وفي مستوى ٠,٠٥ .

٩ ـ مدى التفاهم بين الحدث ووالديه

اهتمت الدراسة كذلك إلى التوصل إلى معرفة مدى التفاهم بين الأحداث ووالديهم ويوضح ذلك الجدول رقم (١٩). حيث يظهر لنا فروقاً ذات دلالة احصائية بين الجانحين وغير الجانحين فيما يتعلق بمدى التفاهم القائم بين الاباء والابناء حيث أن نسبة (٧٨٪)

جدول رقم (١٩) يوضح مدى التفاهم بين الحدث ووالديه

الموقف	جانح		غير جانح		دلالة الفروق باستخدام مربع كاي (كا٢)
	العدد	٪	العدد	٪	
أي من الأبوين يعرف اشياء كثيرة عنك					الفرق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠٠١
الأب	٨	١٦	٤	٨	
الام	٣٢	٦٤	٥	١٠	
كلاهما	٢	٤	٣٩	٧٨	
لااحد	٨	١٦	٢	٥	
هل انت متفاهم مع ابوك					
لدرجة بعيدة	٧	١٤	٣٢	٦٤	الفرق ذو دلالة احصائية
لدرجة متوسطة	٩	١٨	١٢	٢٤	عند مستوى ٠,٠٠١
غير متفاهم	٣٤	٦٨	٦	١٢	
هل انت متفاهم مع أمك					
لدرجة بعيدة	٣٧	٧٤	٢٩	٥٨	الفرق ذو دلالة احصائية
لدرجة متوسطة	٨	١٦	١٦	٣٢	عند مستوى ٠,٠٠١
غير متفاهم	٥	١٠	٥	١٠	

من غير الجانحين يشعرون بأن كلا والديهم يعرفان الكثير من الأشياء عنهم بينما لا تصل هذه النسبة في المجموعة الجانحة الا ٤٪ حيث تؤكد المجموعة الجانحة ونسبة (٦٤٪) بأن الام هي التي تعرف اشياء كثيرة عنهم وهذا يؤكد ضعف الاتصال النفسي بينهم وبين ابائهم بعكس المجموعة غير الجانحة حيث انهم كانوا اكثر اتصالا من الناحية النفسية لكلا الوالدين

١٠ – العلاقات بين الوالدين

أولت الدراسة اهتماما بالتعرف على العلاقات بين الوالدين من حيث الخلافات او توفر الاحترام بينهما واثر ذلك على الاحداث من المجموعتين ويوضح الجدول رقم (٢٠ ورقم ٢١) ذلك.

واظهرت لنا الدراسة فروقاً ذات دلالة احصائية بين المجموعتين حيث يوضح لنا الجدول رقم (٢٠) ما يتعلق بالخلافات بين الوالدين حيث يلاحظ بأن وجود ظاهرة الخلافات منتشرة ومستمرة في مجموعة الجانحين وكانت دائما تحدث بدرجة اكبر ممن حولهم من الجيران بينما نفى (٩٤٪) من غير الجانحين وجود هذه الظاهرة في اسرهم وقدر نسبة (٧٠٪) من الاحداث الجانحين بأن ابائهم هم السبب في الشجار والخلافات التي كانت تحصل بينما افاد معظم الافراد من غير الجانحين ونسبة (٨٨٪) بأن لا أحد من والديهم كان يتسبب في حدوث الشجار في المنزل.

ويوضح الجدول رقم (٢١) ما يتعلق باحترام الوالدين لبعضهما حيث أشارت النتائج بأن معظم افراد مجموعة غير الجانحين اشاروا بأن الاب يحترم الام ومتفاهم معها دائماً، وكذلك الحال بالنسبة بتقدير واحترام الام لابائهم اما فيما يتعلق باتخاذ القرار والبت في الامور فقد أشارت مجموعة الجانحين ونسبة (٨٨٪) بأن الاب هو الذي له الكلمة الاخيرة في البت في الامور، اما بالنسبة لغير الجانحين فيظهر ان التعاون والتشاور بين الوالدين في اتخاذ القرارات متوفر حيث أشارت نسبة (٣٢٪) من غير الجانحين إلى ان كلاهما يشترك في البت في الامور من حيث كانت نسبة استجابة الجانحين في هذا الموقف (٦٪) فقط وكانت هنالك فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى ٠،٠١ .

١١ – حالة الوالدين الانفعالية :

لقد اهتمت الدراسة كذلك بحالة الوالدين الانفعالية كما يحسها الحدث ويعبر عنها ويتضح ذلك في الجدول رقم (٢٢).

جدول رقم (٢٠) يوضح الخلافات بين الوالدين

الموقف	جانح العدد	جانح ٪	غير جانح العدد	غير جانح ٪	دلالة الفرق باستخدام مربع (كا٢)
هل كان الوالدان يتشاجران امامك					
نعم	٤٢	٨٤	٦	١٢	الفرق ذو دلالة احصائية
لا	٨	١٦	٤٤	٨٨	عند مستوى ٠,٠٠١
هل كان خلافهم اكثر من الناس الذين حولكم					
نعم	٣٦	٧٢	٣	٦	الفرق ذو دلالة احصائية
لا	١٤	٢٨	٤٧	٩٤	عند مستوى ٠,٠٠١
أي الأبوين كان السبب في الشجار اكثر					الفرق ذو دلالة احصائية
الأب	٣٥	٧٠	٣٢	٦	عند مستوى ٠,٠٠١
الام	٤	٨	٢	٤	
كلاهما	٣	٦	١	٢	
لااحد	٨	١٦	٤٤	٨٨	

جدول رقم (٢١) يوضح احترام الوالدين لبعضهما

الموقف	جانح		غير جانح		دلالة الفرق باستخدام مربع (كا٢)
	العدد	٪	العدد	٪	
هل كان الأب يحترم الام ومتفاهم معها دائماً					
نعم	٢٧	٥٤	٤٧	٩٤	الفرق ذو دلالة احصائية
لا	٢٣	٤٦	٣	٦	عند مستوى ٠,٠١
هل كانت الام تحترم الأب وتقدره دائماً					
نعم	٤٦	٩٢	٤٨	٩٦	الفرق ذو دلالة احصائية
لا	٤	٨	٢	٤	عند مستوى ٠,٠١
أي الوالدين له الكلمة الأخيرة في البت في الامور					
الأب	٤٤	٨٨	٣٢	٦٤	الفرق ذو دلالة احصائية
الام	٣	٦	٤	٨	عند مستوى ٠,٠١
كلاهما	٣	٦	١٦	٣٢	
لا أحد	—	—	—	—	

جدول رقم (٢٢) يوضح حالة الوالدين الانفعالين كما يشعر ويحس بها الأحداث

أي الأبوين كان	جانح								غير جانح								دلالة الفروق باستخدام □ كا ٢
	الأب		الأم		كلاهما		لأحد		الأب		الأم		كلاهما		لأحد		
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
أكثر مرحاً ويحب اللعب في المنزل	١٢	٢٤	٣٢	٦٤	٥	١٠	١	٢	٨	١٦	٥	١٠	٣٢	٦٤	٥	١٠	فروق ذو دلالة عند مستوى ٠١ر٠
يميل إلى العبوس وغير مرح في المنزل	٣٣	٦٦	٧	١٤	٣	٦	٧	١٤	٥	١٠	٢	٤	٣	٦	٤٠	٨٠	فروق ذو دلالة عند مستوى ٠١ر٠
طبعه شديد وحاسم في المنزل	٤٧	٩٤	٢	٤	—	—	١	٢	١٧	٣٤	٢	٤	٣	٦	٢٨	٥٦	فروق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠٠١ر٠
يحتفظ بهدوءه عند حدوث المشاكل	٣	٦	٤٥	٩٠	١	٢	١	٢	٩	١٨	٨	١٦	٣١	٦٢	٢	٤	فروق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠٠١ر٠
يثور ويفقد اعصابه بسرعة	٤٥	٩٠	٢	٤	١	٢	٢	٤	١١	٢٢	٧	١٤	٤	٨	٢٨	٥٦	فروق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠٠١ر٠
يقلق ويستمر تأثره بالمشاكل لمدة طويلة	٤١	٨٢	٧	١٤	—	—	٢	٤	١١	٢٢	٤	٨	٢	٤	٣٣	٦٦	فروق ذو دلالة احصائية عند مستوى ٠٠١ر٠
يصافح ويسامح بسرعة	٦	١٢	٤١	٨٢	—	—	٣	٦	٧	١٤	١٥	٣٠	٢٧	٥٤	١	٢	فروق ذو دلالة عند مستوى ٠٠١ر٠

يوضح لنا الجدول رقم (٢٢) الحالة الانفعالية للوالدين كما يشعر ويحس بها الاحداث ، حيث وصف (٦٤٪) من الجانحين امهاتهم بأنهن كن اكثر حرصا ويملن إلى الضحك بينما أكدت مجموعة غير الجانحين وبنفس النسبة بأن كلا الوالدين يميلون إلى المرح والضحك . وقد اظهرت نسبة (٨٠٪) من غير الجانحين وبنسبة (٩٤٪) وصفوا ابائهم من النوع الشديد القاسي وأنهم ذو طباع شديدة حادة بينما وصف (٩٠٪) منهم بأن ابائهم كذلك يثورون ويفقدون اعصابهم بسرعة في حين أكدو وبنفس النسبة بان امهاتهم غالبا ما يحتفظون بهدوئهم عند حدوث المشاكل اما المجموعة غير الجانحة فقد وصفوا والديهم بأنهم من النوع الذي يحتفظ بهدوئه وثبات انفعاله عند حدوث مشاكل في الاسرة، فقد أشارت نسبة عالية من الجانحين إلى تسامح الأم ورغبتها في تهيئة الجو الهادىء في الاسرة كما ثبت ذلك من المقابلات الشخصية التي اجراها الباحث معهم ايضاً.

١٢ ــ احساس الحدث بنوع معاملة والديه له

فقد اولت الدراسة اهتماماً بمعرفة احساس الحدث بنوع معاملة والديه له ويوضح لنا الجدول رقم (٢٣) هذا الاحساس

جدول رقم (٢٣) يوضح لنا احساس الحدث بنوع معاملة والديه له

هل	جانح العدد	جانح ٪	غير جانح العدد	غير جانح ٪	دلالة الفروق باستخدام مربع كاي
كان الاب في معاملته لك					
شديدة القسوة	٣٢	٦٤	٢	٤	فروق ذات دلالة احصائية
قاسي	١٥	٣٠	٢	٤	عند مستوى ٠.٠١
عادي ورجل طيب	٣	٦	٤٦	٩٢	
كانت الام في معاملتها لك					
شديدة القسوة	٤	٨	١	٢	ليست لها دلالة احصائية
قاسية	٢	٤	٢	٤	
عادية (طيبة وسهلة)	٤٤	٨٨	٤٧	٩٤	

يوضح لنا الجدول رقم (٢٣) فروقاً ذات دلالة احصائية من حيث احساس الحدث بنوع معاملة والديه له ويظهر لنا بأن معظم الاحداث من الجانحين يصفون ابائهم بأنهم كانوا اما شديدوا القسوة او قساه بينما وصف (٩٢٪) من الاحداث غير الجانحين أبائهم بأنهم عاديون في معاملتهم ويمتازون بالطيبة في حين تظهر لنا النتائج من جهة أخرى بأن معظم الجانحين (٨٨٪) وكذلك غير الجانحين (٩٤٪) يصفونه امهاتهم بانهن كن اكثر تسامحاً وتساهلا وعاديات في معاملتهن لهم، وان هذه المعاملة كانت تمتاز بالسهولة والطيبة.

لقد شمل استفتاء اساليب المعاملة الوالدية مواقف حول معرفة مشاعر الاحداث تجاه اساليب العقاب ويوضح ذلك الجدول رقم (٢٤)

جدول رقم(٢٤)يوضح مشاعر الحدث تجاه اسلوب العقاب

الموقف	جانح العدد	جانح ٪	غير جانح العدد	غير جانح ٪	دلالة الفروق باستخدام مربع كاي (كا٢)
ماهو احساسك وشعورك حينما يعاقبك والدك					
ضيق ، الم ، حزن	١٦	٣٢	٥	١٠	له دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠٠١
تفكير في الهرب من المنزل	٢٤	٤٨	١	٢	
كره الام	٨	١٦	—	—	
لاشيء اعتبره تربية وتوجيه	٢	٤	٤٤	٨٨	
ماهو احساسك حينما تعاقبك الام					
تبرم ، ضيق ، الم ، حزن	١٤	٢٨	٦	١٢	له دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠١
تفكير في الهرب من المنزل	٤	٨	—	—	
كره الام	—	—	—	—	
لاشيء اعتبره تربية وتوجيه	٣٢	٦٤	٥٥	٨٨	

يوضح الجدول رقم (٢٤) فروقاً ذات دلالة احصالية عند مستوى ٠,٠٠١ من حيث مشاعر الاحداث تجاه اسلوب العقاب ويظهر لنا بأن الجانحين كانوا اكثر شعوراً واحساساً بالضيق والالم من الاسوياء نتيجة الوان العقاب الشديدة والقاسية التي كانوا يتعرضون لها من جانب الوالدين وبخاصة الاب كما وان نسبة قليلة من الجانحين (٤٨٪) هي التي تتجه إلى التفكير في الهرب من المنزل كرد فعل للعقاب الشديد الذي تعرضوا له وخاصة من جانب الاباء بينما حرصت نسبة عالية من غير الجانحين على اعتبار ان عقوبة الوالدين هي تربية وتوجيه ولاشيء عدا ذلك ويعتبرون ذلك في مصلحتهم كما ثبت ذلك ايضاً في المقابلات الفردية .

١٤ ـ مشاعر الاحداث تجاه غياب الوالدين عن المنزل

كان من جملة المواقف التي شملتها أداة البحث الموقف الذي يعكس مشاعر الاحداث اتجاه غياب الوالدين عن المنزل ويوضح هذا الموقف الجدول رقم (٢٥).

جدول رقم (٢٥) يوضح مشاعر الاحداث تجاه غياب الوالدين عن المنزل

الموقف	جانح العدد	جانح ٪	غير جانح العدد	غير جانح ٪	مستوى الدلالة لمربع كاي (كا٢)
بماذا تشعر عند غياب أبوك أو تأخره عن البيت					
بسعادة وارتياح	٢٨	٥٦	٢	٤	فروق ذو دلالة احصالية
ضيق واسف والم	٢٢	٤٤	٤٨	٩٦	عند مستوى ٠,٠٠١
هل تعتبر غياب والدك من البيت فرصة لك					
نعم	٣٣	٦٦	٧	١٤	فروق ذو دلالة احصالية
لا	١٧	٣٤	٤٣	٨٦	عند مستوى ٠,٠٠١
هل تعتبر غياب والدتك عن البيت فرصة لك					
نعم	٩	١٨	٢	٤	مستوى الدلالة غير دالة
لا	٤١	٨٢	٤٨	٩٦	

بين لنا الجدول رقم (٢٥) فروقاً ذات دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠٠١ من حيث مشاعر الاحداث تجاه غياب الوالدين ويظهر لنا بوضوح ضيق واسف مجموعة الاحداث غير الجانحين لتأخر أبائهم في العمل او في العودة إلى البيت، بينما لم تظهر المجموعة الجانحة هذا الشعور الا بنسبة قليلة حيث ان النسبة الاعلى منهم شعروا بسعادة وارتياح لغياب أبائهم عن البيت وهذا يوضح لنا بأن الوالد الذي يسيء معاملة الابن او يعامله بالقسوة والشدة والصرامة غالباً ما يظهر الابناء سرورهم وسعادتهم لغياب مثل هذا الوالد، كما أن معظم افراد المجموعتين (٩٦٪) من غير الجانحين لم يعتبروا غياب الام عن البيت فرصة لهم ليتحرروا فيها من القيود والضغوط حيث أنهم كما عبروا عن ذلك في المقابلات الفردية كانوا يحسون دائماً بالراحة في وجودهن.

١٥ ــ اتجاهات الأبناء للتشبه بوالديهم

وفي المواقف التي حاولت الدراسة تغطيتها هي التعرف على اتجاهات الأبناء للتشبه بوالديهم ويوضح ذلك الجدول رقم (٢٦).

يبين الجدول رقم (٢٦) فروقاً ذات دلالة احصائية بين المجموعتين ويوضح اتجاهات الابناء نحو التشبه بوالديهم وان ميل الابناء لتقمص شخصيات والديهم تبرز بصورة واضحة اذا تكونت بينهم وبين هذين الوالدين علاقات انفعالية وعاطفية ايجابية ولذلك فمن الممكن معرفة مدى اعجاب الطفل بوالديه او احداهما نتيجة محاولاته تقليدهما او التشبه بهما في المواقف الحياتية المختلفة ويوضح الجدول بأن نسبة كبيرة من الاحداث الجانحين يميل إلى التشبه بأمهاتهم في اخلاقهن وطباعهن وذلك نتيجة ما استحسنوه من اساليب المعاملة الطيبة منهن بينما لم تتعد نسبة من عبروا عن التشبه بالآباء في الطبع والاخلاق (١٨٪) فقط بينما عبر (٦٥٪) من غير الجانحين عن ميلهم إلى التشبه بكلا والديهم في الطباع والاخلاق وان نسبة (٧٦٪) كان يحاول تقليد والده في المنزل بينما لم تتعد هذه النسبة (١٨٪) بالنسبة للمجموعة الجانحة من الاحداث، ان عدم رغبة المجموعة الجانحة من الاحداث في تقليد الآباء او التشبه بما يفعلونه في المنزل يمكن ارجاعه إلى ما لمسه هؤلاء الابناء من الوان الاضطهاد والاذى وكثرة الخلاف المستمر في المنزل والذي يثيره الآباء بوجه خاص.

جدول رقم (٢٦) يوضح اتجاهات الأبناء للتشبه بوالديهم

الموقف	جانح العدد	جانح ٪	غير جانح العدد	غير جانح ٪	مستوى الدلالة الاحصائية باستخدام مربع كا ٢
أي الوالدين تشبهه في تصرفاتك واعمالك					
الأب	١١	٢٢	١٧	٣٤	فروق ذو دلالة احصائية
الام	١٧	٣٤	٢	٤	عند مستوى ٠,٠٠١
كلاهما	١٢	٢٤	٢٢	٤٤	
لا احد	١٠	٢٠	٩	١٨	
أي الوالدين تشبهه في طباعك واخلاقك					
الأب	٩	١٨	١٤	٢٨	فروق ذو دلالة احصائية
الام	٣١	٦٢	٢	٤	عند مستوى ٠,٠٠١
كلاهما	٢	٤	٢٨	٥٦	
لا احد	٨	١٦	٦	١٢	
هل كنت تحاول تقليد والدك في المنزل					
نعم	٩	١٨	٣٨	٧٦	فروق ذو دلالة احصائية
لا	٤١	٨٢	١٢	٢٤	عند مستوى ٠,٠٠١

١٦ ـ تقدير الحدث لوالديه وتفضيله لهم هي من المواقف التي حاولت هذه الدراسة التوصل اليها ويبين الجدول رقم (٢٧) هذا الموقف وبشكل واضح

جدول رقم (٢٧) يوضح تقدير الحدث لوالديه وتفضيله لهم

الموقف	جانح العدد	جانح ٪	غير جانح العدد	غير جانح ٪	مستوى الدلالة الاحصائية باستخدام مربع كا٢
من تختار لتعيش معه مدى الحياة					
الأب	٦	١٢	٧	١٤	فروق ذو دلالة احصائية
الام	٣٨	٧٦	٤	٨	عند مستوى ٠,٠١
كلاهما	٥	١٠	٣٧	٨٤	
لأحد	١	٢	٢	٤	
مع من يسعدك أن تبقى اطول مدة ممكنة في المنزل					
الأب	٤	٨	—	—	فروق ذو دلالة احصائية
الام	٣٨	٧٦	٣	٦	عند مستوى ٠,٠٠١
كلاهما	٧	١٤	٤٦	٩٢	
لاحد	١	٢	١	٢	

يوضح لنا الجدول رقم (٢٧) فروقاً ذات دلالة احصائية وعند مستوى ٠,٠١ بين المجموعتين ويبين بأن نسبة كبيرة من الاحداث غير الجانحين (٧٤٪) يفضلون اختيار كلا والديهم ليعيشوا معهم مدى الحياة بينما عبر (٧٦٪) من الجانحين عن اختيارهم لامهاتهم في المعيشة معهم مدى الحياة وكذلك تشعر بنسبة كبيرة (٩٢٪) من المجموعة غير الجانحة بالسعادة للبقاء أطول مدة ممكنة مع كلا الوالدين بينما نسبة كبيرة من الاحداث الجانحين شعرت بالسعادة في البقاء مع الام.

١٧ – رأي الأبناء في الوالدين

ان رأي الابناء في والديهم يوضحه الجدول رقم (٢٨)

جدول رقم (٢٨) يوضح رأي الأبناء في والديهم

الموقف	جانح العدد	جانح ٪	غير جانح العدد	غير جانح ٪	مستوى الدلالة الاحصائية باستخدام مربع كا٢
أي الوالدين يتصرف التصرف السليم في المنزل					
الأب	١٢	٢٤	١٣	٢٦	فرق ذو دلالة احصائية
الام	٣٢	٦٤	٣	٦	عند مستوى ٠,٠٠١
كلاهما	٤	٨	٣٣	٦٦	
لااحد	٢	٤	١	٢	
رأي الابن في الأب من حيث					
ضربه بشدة ومعاملته قاسية	٣٢	٦٤	١	٢	فروق ذو دلالة احصائية
معاملته التي لابأس بها	٧	٤	—	—	عند مستوى ٠,٠١
طيبته وهدوءه	١١	٢٢	٤٩	٩٨	
رأي الابن في الام من حيث					
شدتها وقسوتها	٤	٨	٢	٤	ليست لها دلالة احصائية
معاملتها التي لابأس بها	—	—	—	—	
طيبتها وهدوئها	٤٦	٩٢	٤٨	٩٦	

يوضح الجدول رقم (٢٨) فروقاً ذات دلالة احصائية بين المجموعتين ويوضح رأي الابناء في الوالدين حيث يحتل كل والد تقدير معين في نفس كل طفل، كما ان لكل حدث

او طفل رأيه الخاص في كلا والديه وفي تصرفاتهم في المنزل وهذا يعتمد على مدى شعور الطفل بالارتياح او عدم الارتياح للوالدين، ويوضح الجدول بأن (٦٦٪) من الاحداث غير الجانحين يشعرون بان كلا والديهم يتصرف التصرف السليم في المنزل، هذا بينما يميل (٦٢٪) من الجانحين إلى الشعور بأن امهاتهم هن اللائي كن يتصرفن التصرف السليم في المنزل كما اشار (٩٨٪) من الاحداث غير الجانحين إلى ان ابائهم يمتازون بالطيبة والهدوء ولم يشر إلى ذلك سوى نسبة (٢٢٪) من الاحداث الجانحين ، وقد اتفق الاحداث الجانحين وغير الجانحين في وصف امهاتهم بالهدوء والطيبة وبنسبة (٩٢٪) و(٩٦٪) على التوالي.

خلاصة نتائج البحث :

لقد اجابت نتائج البحث على السؤال المطروح حيث وجدت هناك فروق ذات دلالة احصائية بين الجانحين والاسوياء فيما يتعلق بمشاعرهم تجاه علاقة والديهم بهم وتجاه اساليب المعاملة والتربية التي تعرضوا لها، حيث ثبت بان الجانحين اكثر شعوراً بشدة وقسوة الظروف التربوية وأساليب المعاملة الوالدية التي مروا بها وخصوصاً قسوة الاباء وشدتهم، كما انهم كانوا اكثر ميلا وطاعة لامهاتهم واكثر تعاطفاً معهم، كما أنهم كانوا أكثر سعادة لغياب ابائهم او تأخرهم عن العودة إلى المنزل وهم اكثر اتجاها إلى التشبيه بأمهاتهم في طباعهن واخلاقهن وإلى تقليدهن والبعد عن تقليد الاباء والتشبه بهم.

ان الاساليب التربوية واساليب التنشئة الاجتماعية واساليب المعاملة الوالدية التي يتعرض لها الطفل لابد ان تترك صداها واثرها في نفسه وهي في كثير من الاحيان تحدد اتجاه علاقة الطفل بوالديه بحيث لو كانت مثل هذه الاساليب طيبة وسليمة نجد ان مشاعر الطفل تجاهها ستكون طيبة اما اذا كانت من النوع غير السليم او الذي يقوم على اساس القمع والكبت والشدة والقسوة والسيطرة والحرمان فلابد ان تترك آثارها السيئة في نفس الطفل وفي علاقاته بوالديه.

ان عدم اشباع الحاجات النفسية الكامنة في نفس الطفل وابرازها مثل الحاجة إلى الحب والحاجة إلى التقبل والحاجة إلى الشعور بالانتماء وكذلك الحاجة إلى لوازم الحياة الضرورية من مأكل وملبس ومظهر طيب وصعوبة تحقيق هذه الحاجات تدفع الطفل إلى الشعور بالقلق وعدم الضمان وبالتالي تدفعه إلى الانحراف.

ان الاسرة التي لا يبلغ فيها الاستقرار النفسي او التماسك لدرجة الملائمة والتي لا يستطيع من ربط الطفل بها تحقيقاً لدوافعه واشباعا لحاجاته هي اسرة لا تستطيع أن تشجعه على البقاء فيها ولا تستطيع ان تمنعه من الهرب ولهذا فهو يبحث لنفسه عن وحدة اجتماعية اخرى يشبع فيها حاجاته ويبحث عن طريقها عن الشعور بالامن والانتماء والتقدير.

ان مثل هذه الاسرة لا يمكنها ان توفر للطفل الجو النفسي الملائم ولا أن تقدم له معايير وقيم صالحة يمتصها فتعينه على التكيف السليم مع المجتمع.

الفصل الخامس

التوصيات والمقترحات

لقد أوضحت هذه الدراسة من خلال النتائج التي توصلت اليها بأن ثمة علاقة كبيرة بين بيئة الحدث الداخلية المتمثلة بالاتجاهات الوالدية والأسرية ومن انحرافه ، لهذا فإن الاهتمام بالاسرة والعمل على توجيهها وابعادها عن التصدع والتفكك يساهم مساهمة فعالة في الوقاية من الانحراف ولهذا نقترح في هذا المجال مايأتي :

١ — انشاء مكاتب للتوجيه الاسري بها باحثون وباحثات اجتماعيات من ذوي الجد لحل المنازعات الاسرية في بدايتها وقبل ان تتفقد امورها وليتبصر الشباب قبل الزواج لتفهم مسؤولياتهم والتمسك بالأساليب السليمة لتدعيم الحياة الزوجية .

ان رعاية الاسرة والطفولة والشباب مهنة فنية لاتحتاج الى كثرة في اعداد القائمين بها بقدر ماتحتاج الى مهارة فنية وتمسك بالقيم الانسانية والاخلاقية واعداد فني سليم لكل العاملين فيها .

٢ — التأكيد على الوالدين بالعمل على تجنيب اطفالهم التعرض ما امكن للأزمات الانفعالية ومواقف الصراع والاحباطات وقد ثبت أن تغيرات الطفولة آثارها الدائمة في حياة الطفل .

٣ — تبصير الآباء والامهات بعدم اللجوء الى العقاب كوسيلة لمنع ظهور الاستجابات غير المرغوب فيها بل العمل على تهيئة الظروف السليمة والملائمة التي يمكن عن طريقها تدعيم السلوك المرغوب فيه وبناء العادات السليمة والتخلص من السلوك غير المرغوب فيه دون تعرض الأطفال الى الوان الصراع المختلفة .

٤ — نقترح ان يقلع الآباء والامهات عن الكثير من أساليب التربية الخاطئة ومنها اساليب العقاب البدني الشديد ، والاهمال والنبذ وعدم تقبل الأبناء وعليهم ان يفهموا بأن الأطفال مثل الكبار بحاجة مستمرة الى التقدير والاحترام والتقبل ، لذا عليهم معاملة أبنائهم بالتفاهم والتقبل ، وان يعمل الآباء على الاعتراف بشخصية ابنائهم كخطوة اساسية للوقاية من الانحراف وان يتيحوا لهم فرصة التعبير عن آرائهم وعن انفسهم وكذلك عليهم عدم التفرقة في المعاملة بين الابناء اذ انها تسبب لدى الأبناء الغيرة او تسبب العدوان نتيجة الشعور بعدم العدالة وعدم المساواة . وكذلك الامتناع عن مقارنة ابنائهم بغيرهم من الأطفال والامتناع عن السخرية والتعريض بهم وبخاصة أمام زملائهم واصدقائهم .

٥ ـ تعتبر المدرسة الحلقة الوسيطة بين المجتمع الأسرة الضيق والحياة الواسع ويتوقف تكيف الطفل للجو المدرسي على التنشئة الاجتماعية التي تلقاها في الاسرة ، وقد يواجه الطفل الصغير قسطاً من عدم التكيف في بداية عهده في المدرسة فاذا ماتلقفته الأيدي الواعية من المربي والاخصائيين فإنه سرعان مايجتاز هذه الحواجز ويتكيف للجو المدرسي وللنظم المدرسية وتصبح المدرسة مجمعاً يرتبط باهتمامات لاتقل في قوتها عن اهتماماته الاسرية ، والطفل الذي يأتي في اسرة غيرمتماسكة ومفككة فانه يطل الى المدرسة وهو محمل بشحنات انفعالية فاذا لم يجد التوصية والرعاية الكافية فإنه قد ينحرف .

لهذا نقترح الاستعانة بالمرشدين والاخصائيين الاجتماعيين والنفسيين في مختلف مراحل التعلم من الابتدائي الى الجامعة بعد ان بات واضحا ما يؤديه هؤلاء من خدمات وقائية وعلاجية للابناء والبنات على حد سواء .

المراجع العربية والانكليزية

١ — د. صباح باقر د. عبد اللطيف حسين انحراف الاحداث — دراسة اجتماعية تقويمية محكمة الاحداث — مكتب الخدمة الاجتماعية — بغداد ١٩٧٨ .

٢ — سعدي لفتة — الخلفية الاقتصادية والاجتماعية للوالدين وأثرها في جنوح الأحداث رسالة ماجستير مودعة بمكتبة كلية التربية — جامعة بغداد ١٩٧٣ .

٣ — د. محمد علي حسن : علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جنوح الاحداث القاهرة — مكتبة الانجلو المصرية — ١٩٧٠ .

٤ — د. محمد عماد الدين اسماعيل د. نجيب اسكندر ابراهيم : الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل — القاهرة — دار المعرفة — ١٩٥٩.

٥ — د . فخري الدباغ : اصول الطب النفساني — بغداد — مؤسسة دار الكتب جامعة الموصل

٦ — د. مصطفى فهمي : الصحة النفسية في الاسرة والمدرسة والمجتمع — القاهرة دار الثقافة ١٩٦٣ .

٧ — سعد المغربي — انحراف الصغار — القاهرة — دار المعارف بمصر — ١٩٦٠ .

8– Andry, R.G. *Family Parental and Maternal Relstionship* Affection and Delinquency, Brit J. Deling Uency 18.1954

9– Bowlby J. *Child aere and the growth of Love* 1964.

10– Nelson Text book of Pediatrics Psychiatric Aspects of Juvenile Delingueucy London 1980.

11– Healy W. and Brommer, A.F. New light on Delinquency and its treatment New York, Yale Univ. 1979.

12– Herbrrt. W.L. and Gravis,F. Dealing with the Delinquent Lon Methuen 1969.

13– Andry, R.G. Delinquency and Parenfal Pathology. Lodon Methuen 1960 PP. 226–227.

14– Bemmet, I. Delinquent and Neurotic Children London, 1960.

ملحق رقم (١)

استفتاء أساليب المعاملة الوالدية

عزيزي الحدث

هذه مجموعة من الأسئلة اللي تتعلق بعلاقتك بأبوك وأمك ، وطريقة معاملتهم «لك» يريد الباحث معرفة اتجاهاتك وآرائك بالأبوين وطريقة معاملتهم واساليبهم بالمعاملة حتى يكدر يعرف الأسباب والدوافع الى دفعتك لارتكاب الأخطاء والأفعال المخالفة للقانون والمجتمع وبالتالي للانحراف ومساعدتك على اصلاح خطأك وتنوير الطريق الك بالمستقبل .

ماكو حاجة لذكر اسمك لأن نتائج البحث ستكون لأغراض البحث العلمي فقط وراح تساعدك الباحثة الاجتماعية بقدر الامكان .

الباحث

الدكتور صباح باقر

العمر بالأشهر نوع التهمة

المستوى التعليمي للحادث

المستوى التعليمي لاباء امهات الاحداث

عدد غرف المنزل

عدد افراد الاسرة اللي جان الحدث عايش وياها.

دخل الأسرة بالدينار

ظروف عمل الأب / يعمل على اساس وبصفة مستمرة ، عمل اساسي واضافي ، يعمل بعض الوقت

نوع عمل الأب موظف ، عامل ، فلاح ، تاجر

ظروف عمل الام الام تعمل كانت تعمل لاتعمل

هل عمل الأب يضطره الى التأخر عن المنزل نعم لا

هل الابن يحس بالضيق من عمل الأب نعم لا

هل عمل الام يضطرها الى التأخر عن المنزل نعم لا لاتعمل كانت تعمل

هل عمل الام يسبب ضيق الابن نعم الام لاتعمل

١ ـ هل كانت امك تحبك وتعطف عليك بشكل واضح ومكشوف اوماتظهر حبها ابداً

٢ ـ هل كان أبوك يظهرحبه وعطفه بشكل ومكشوف واضح اوماكان يظهرحبه ابداً

٣ ـ منو من أبوك وامك جان مايهتم بما تسوي
من اعمال اوما تقوم به — امك — أبوك — اثنيناتهم — ولاواحد

٤ ـ منو من الأبوين كان يهملك امره دائماً — أبوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد

٥ ـ منو من الأبوين تشعر انه كان مقصر بحقك
في البيت — أبوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد

٦ ـ هل جنت تشعر باهمال ابوك وامك — دائماً — احياناً — نادراً
وحرمانهم الك من احتياجاتك الضرورية

٧ ـ هل جان ابوك يحثك دائماً على الاشتغال
ومساعدته في المعيشة — نعم — لا

٨ ـ هل جنت تشعر بأن أبوك كان دائماً
متضايق منك — نعم — لا

٩ ـ منو من ابوك وامك جان يتفقدك ويدقق — ابوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد
وياك دائماً

١٠ ـ منو من أبوك وامك كان يضايقك بالبيت — ابوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد
بدرجة كبيرة

١١ ـ منو من امك وابوك كان يقسو عليك احياناً — ابوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد
ويؤنبك امام الأصدقاء

١٢ ـ منو من الأبوين تشعر انه كان يتعمد — ابوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد
اهانتك وضربك امام الآخرين

١٣ ـ منو من الأبوين كان اكثر شدة بمعاملتك — ابوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد

١٤ ـ منو من ابوك وامك كان اكثر تساهل — ابوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد
بمعاملتك

١٦ ـ منو من الأبوين كان يهددك دائماً بالعقاب — ابوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد

١٧ ـ منو من الأبوين كان يهددك بالعقاب وينفذه — ابوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد

١٨ ـ منو من الأبوين كان يهددك بالعقاب ولاينفذه — ابوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد

١٩ ـ منو من الأبوين كان عقابه اشد قسوة — ابوك — امك — اثنيناتهم — ولاواحد

٢٠ — يانوع من اساليب العقاب اللي تتعرض اليه من قبل الوالدين

أ — الضرب بالعصا او الصوندة.

ب — الطرد من البيت .

ج — السب والشتم بالألفاظ البذيئة مع الضرب

د — التوبيخ

هـ — الحرمان من الخرجية او اليومية

ر — النصح والتوجيه

٢١ — اشلون ينظر ابوك لاعمالك　　طيبة وصحيحة　او خاطئة ويغلب الشر

٢٢ — اشلون تنظر امك لاعمالك　　طيبة وصحيحة　اوخاطئة　ويغلب الشر

٢٣ — منو من الأبوين يعرف اشياء كثيرة عنك　　ابوك　امك　اثنيناتهم　ولاواحد

٢٤ — اشلون انت متفاهم ويا أبوك　　بدرجة كبيرة　بدرجة متوسطة　مامتفاهم

٢٥ — هل جانوا ابوك وامك يتعاركون دائماً كدامك　　نعم　لا

٢٦ — اشلون انت متفاهم ويا امك　　بدرجة كبيرة　بدرجة متوسطة　مامتفاهم

٢٧ — هل جانت عركاتهم وخلافاتهم اكثر من الناس الي حولهم　　نعم　لا

٢٨ — منو من الأبوين جان السبب بالعركات اكثر　　ابوك　امك　اثنيناتهم　ولاواحد

٢٩ — اشلون جان ابوك يحترمها الامك ومتفاهم وياها دائماً　　نعم　لا

٣٠ — اشلون جانت امك تحترم ابوك وتقدره　　نعم　لا

٣١ منو من الأبوين اله الجلمة الأخيرة بالبيت بكل الامور　　ابوك　امك　اثنيناتهم　ولاواحد

٣٢ — منو من الأبوين كان اكثر مرحاً ويحب الضحك بالبيت　　ابوك　امك　اثنيناتهم　ولاواحد

٣٣ — منو من الأبوين جان امعبس دائماً　　ابوك　امك　اثنيناتهم　ولاواحد

٣٤ — منو من الأبوين كان طبعه شديد وحاسم بالبيت　　ابوك　امك　اثنيناتهم　ولاواحد

٣٥ — منو من الأبوين يحتفظ بهدوءه لما تصير المشاكل هواية　　ابوك　امك　اثنيناتهم　ولاواحد

٣٦ — منو من الأبوين يثور ويفقد اعصابه بسرعة ابوك املك اثنيناتهم ولاواحد

٣٧ — منو من الأبوين كان يستمر متعلق بالمشاكل مده اطول — ابوك املك اثنيناتهم ولاواحد

٣٨ — منو من الأبوين كان يسامح بسرعة — ابوك املك اثنيناتهم ولاواحد

٣٩ — شلون جان ابوك ابمعاملته الك — شديد القسوة قاس عادي رجل طيب

٤٠ — اشلون جانت املك اعماملتها الك — شديدة القسوة قاسية عادية طيبة

٤١ — شنو هو احساسك وشعورك من يعاقبك ابوك — ضيق ، الم ، حزن ، تبرم ،كره الاب
تفكير بالهزيمة من البيت ، لاشيء
لاشيء تعتبرها مجرد (تربية وتوجبه)

٤٢ — شنو هو احساسك وشيعورك من تعاقبك املك — ضيق ،الم ، حزن ، تبرم ، كره الام
تفكير بالهزيمة من البيت
لاشيء تغيرها مجرد(تربية وتوجيه)

٤٣ — شنو هو شعورك من يغيب ابوك او يتأخر عن البيت — سعادة وارتياح اوضيق واسف والم

٤٤ — هل تعتبر غياب والدك من البيت فرصة الك نعم لا

٤٥ — هل تعتبر غياب والدتك عن البيت فرصة الك نعم لا

٤٦ — منو من ابوك واملك تشبه بتصرفاتك واعمالك — ابوك املك اثنيناتهم ولاواحد

٤٧ — منو من ابوك واملك تشبه بطباعك واخلاقك ابوك املك اثنيناتهم ولاواحد

٤٨ — هل جنت تحاول تقليد والدك بالبيت نعم لا

٤٩ — المن تختار حتى تعيش وبمدى الحياة — ابوك املك اثنيناتهم ولاواحد

٥٠ — ويامن يسعدك تبقى اطول مدة بالبيت — ابوك املك اثنيناتهم ولاواحد

٥١ — منو من ابوك واملك يتصرف التصرف السليم بالبيت — ابوك املك اثنيناتهم ولاواحد

٥٢ — شنو رأيك بوالدك من حيث — ضربه بشدة ومعاملته القاسية معاملة لابأس بها ، طيبته وهدوءه

٥٣ — شنو رأيك بوالدتك من حيث — شدتها وقسوتها معاملتها الي لابأس بها ، طيبتها وهدوءها

تحليل المضامين القيمية

في ملحمة جلجامش

د. محمد مهدي محمود — كلية الآداب — الجامعة المستنصرية

د. ابراهيم الكناني — كلية الآداب — الجامعة المستنصرية

السيدة مي يوسف عبود — كلية الآداب — الجامعة المستنصرية

الفكر الاجتماعي الذي كان سائداً في بلاد مابين النهرين

يمتد نشوء حضارة وادي الرافدين واصولها وتطورها الى العصور الحجرية والعصر الحجري المعدني. وان فترة ازدهار هذه الحضارة كان في بداية عصر السلالات او مايسمى بالحضارة الجديدة او عصر المدن ، والذي يمكن تحديد زمنه التقريبي في حدود (٣٠٠٠) أو (٢٨٠٠) ق.م. وحتى فترة دخول الحكم الأجنبي سنة ٥٣٩ ق . م وقد تعاقبت فيها عصور السلالات السومرية والدولة الأكدية والعصر السومري الجديد والآشوريين والكلدانيين . ويشمل مصطلح حضارة وادي الرافدين ،في كثير من مقومات الحضارة ، بالاضافة الى الحدود الجغرافية الحالية للعراق ، عدة اقطار مجاورة امتدت اليها تأثيرات هذه الحضارة فاقتبست منها عناصر حضارية اساسية ، مثل بلاد عيلام في ايران وشمال مابين النهرين وبلاد الشام والأناضول، بحيث يمكن اعتبار الحضارات التي قامت في هذه الأقاليم امتداداً لحضارة وادي الرافدين (باقر ، ١٩٧٦ ، ص ٩ ــ ١٠) .

ومن اجل تشخيص العناصر التي ساعدت على التكوين الفكري لبلاد مابين النهرين والولوج في اغوار هذه الحضارة ، يحتم الأمر الرجوع الى اساطيرهم ومعتقداتهم وأمثالهم وتعاليمهم لحصر مكونات هذا الفكر .

فأساطير بلاد الرافدين ، على سبيل المثال ، تمثل حالة نفسية لملء الفراغ الذي لم تستطع اللغة ملأه بما تحتويه من مفردات . وهي تأخذ شكلها ولغتها وصورها من وقائع التجربة لتتخيل تفسيراً لانفعال غامض وعلاقة صافية متفلتة من تحديدات التجربة اليومية ومتحررة من رقاب المنطق وهي تعتبر مفتاحاً لدراسة التكوين الذهني للانسان والمراحل التي مرت بها المشاعر الفردية تجاه العالم (الحوراني ، ١٩٧٨ ، ص ٤٦).

يمكن القول ان الصراع يعتبر سمة بارزة تستأثر على اكثر ماكتبه اهل العراق القدامى من ادبيات ، بل وتبرز في اية دراسة عامة للفكر الديني لديهم . كما ان هذا الفكر قد نبع من انواع مختلفة من الجذور واتبعت نمط نمو القطر نفسه . وراحت اقدم المدن السومرية تبتلع جاراتها الواحدة تلو الاخرى وهذا ماادى الى وجود انماط عديدة من الفكر في زمان ومكان واحد (كونتينو ، ١٩٧٩ ، ص ٣) ومع كل هذه الأنماط المتعددة فلقد نظر الفكر الى الكون على اساس كونه قوى منظمة لها مبادىء ثابتة كما لها اختصاصات ، وتخيل الخير كامناً في الانسجام مع نظام هذه القوى او بتوجيهها بالحكمة اوبالتضحية لها ، ويعتبر الشذوذ عن النظام عمل شر (الحوراني ، ١٩٧٨ ، ص ٣٠١) . والفكر في بلاد وادي الرافدين يؤكد على اهمية اتساق وسائل بناء الحضارة . فكل هذه الوسائل تعمل متظافرة لاعانة الانسان نفسه على العمل . ومن سمات هذه الحضارة ان شخصيتها تتسم بطابع فيه البطولة والعظمة والروح الانسانية العالية . (حبي ، ١٩٨٠، ص ٣٤) .

ان تقويم هذه الحضارة لايكون بذي قيمة مالم ينظر اليها على انها كل متكامل شأنها في ذلك شأن اية حضارة ، وتكون النظرة الى الانسان في هذا السياق ، أي لابد من نظرة كلية اليه دون تجزئته او جعله حاملا الازدواجية ، لابد ان تكون نظرة تؤكد على الوحدة في كينونة الانسان وعلى الوحدة في علاقته بالطبيعة .

لااحد ينكر ان انسان هذه الحضارة شق الأرض قبل غيره وافلحها وشق الترع واقام السدود لتخليص الأرض من الفيضان الدائم ، وهو الذي اخترع الأدوات التي تعينه في الزراعة والحرث والحصاد . وانسان هذه الحضارة اول من اخترع الكلمة لينقل ماصنعته يداه الى الأجيال التي ستليه ، فكان ماحصده كتاباً دالاً على عظمة هذا الانسان . اضافة الى انه اول

من شرع القوانين والأنظمة . وانسان هذه الحضارة اول من شيد المدارس والمكتبات وسكن الدور الطينية والحجرية وأقام المباني وفق نظم هندسية ذات اصول علمية .

إن شخصية كهذه لابد وان تحمل في ذاتها خصائص تناسب هذه الانجازات الرائعة التي قامت بها . وصفات هذه الشخصية لابد وان تتحلى بقيم الجودة في الانجاز ولابد ان تتحلى بالصفات الخلقية التي تمكنها من الاتساق مع عناصر مدينتهم .

ان ادبيات هذه البلاد توضح بجلاء ان طبيعة الانسان وصفاته باقية كما هي ولم تتبدل الا القليل خلال الالوف من السنين . فشخصية الفرد في هذا الوادي تعلقت بحب الخير والصدق والقانون والنظام والعدالة والحرية والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة ، كما كانت الشخصية تمقت الشر والكذب والزور والضلال والصرامة وتحجر القلب (كريمر ، ١٩٥٨ ، ص ٢٠٩) .

ويقيم انسان وادي الرافدين على اساس عمله البناء لتطوير حياته وتطوير الحضارة . فالفأس والسلة تبني المدن والدار الثابتة الأركان بنتها الفأس والدار الثابتة الأركان هي التي سببت الازدهار (حبي ، ١٩٨٠ ،ص ٤٣) .

وانسان هذه البلاد يمتاز بالحكمة لأنه « رأى كل شيء » ويمتاز بالمعرفة لأنه « عرف جميع الأشياء » وهو قوي وفتك سلاحه لايصده شيء وليس هنالك من فرق بين شخصية الرجل والمرأة « ستكون انت زوجي واكون زوجك» ، ونظافة الجسد وغسل الشعر والملبس المناسب ، والتزيين ولبس الحلي جزء من الشخصية لاغنى عنها .

وانسان هذه البلاد يتحلى بالتضامن مع ابناء جلدته وينبذ العزلة لأنها لاتؤدي به الى ان يكون انساناً يعمل على إزالة الشر واقتحام الصعاب وادامة الحياة . وهذه العزلة لاتمكن الانسان من بذل العون للآخرين .

وطاعة الأبناء لأبائهم واجبة ، فسلطة الأب قوية لاحد لها واحترام اعضاء العائلة بعضها لبعض واجبة . وفي قيمهم الاجتماعية تأكيد على فائدة التعاون واهميته ومضار التبذير «عندما تضاف يد الى يد يبنى البيت واذا اضيفت معدة الى معدة فان البيت يدمر» والاستخفاف بالثروة وكونها ليست كل شيء في الحياة (الاحمد ، ٣٩١ ، ١٩٧٨) .

وهم يرون ان مصائب الانسان وكل مايحل به من بلاء انما هو نتيجة ذنوبه وخطاياه وانه لايوجد انسان بدون خطيئة . انه في حالات العذاب والمصائب ليس للانسان سبيل لائق يسلكه سوى تمجيد الالهة دوماً ومتابعة البكاء والضراعة والاستغفار لها حتى تستجيب له (كريمر ، ١٩٥٨ ، ٢٠٩).

ويثني اهل وادي الرافدين على التعاون وذم الضعف والتخاذل والاستسلام والاعتداء على حقوق الآخرين . وهم يرون ان الشخص العاجز الكسول يضيع فرص النجاح ويلقي باللوم على يوم مولده النحس ، ويحاول تغطية العجز بحجج واعذار واهية في حين ان تلك الأخطاء واضحة ولها دلائل تدل عليها (كريمر ، ١٩٨٠ ، ص ٧٢) .

والفرد العادي في هذه البلاد كان متعلقاً بالدين ولم يكن شعوره هذا صادراً عن ايمان اعمى ، بل كان شعوراً عميقاً يدفع اليه الاحساس بالبؤس والشقاء والخضوع لفكرة الواجبات التي يحتمها تقديس الالهة (لوبون ، ١٩٤٧ ، ص١٠٢) .

وانسان وادي الرافدين ، كما اوضحت ذلك نصوص الالواح الطينية ، يتمتع بقدر كبير من الفكر الاخلاقي . ويمكن ان يتضح ذلك من امثالهم الكثيرة : فالصداقة لاتدوم الا يوماً واحداً ، اما الذرية فتدوم الى الأبد ، من هو اليوم حي يموت قبل غداً .

« ولا تتزوج المرأة التي كان لها عشاق كثيرون لأنها ستتخلى عنك اذا ماساءت احوالك ، واذا ما تخاصمت معها فانها ستهزأ بك . إنها تأتي بالكارثة الى اي بيت تحل فيه وتحطم أي رجل يتزوجها » (كونتينو ، ١٩٧٩ ، ص ٤٥١).

وإذا كانت حياة الفرد في هذه البلاد شاقة وصعبة فانها لم تستطع ان تحطم بشاشته الطبيعية الصالحة وبهجته ومرحه اثناء عمله اليومي . غير انه كان غريباً عن الضحك ، ويبدو انه لم يكن قد تعلم كيف يلهو (كونتينو ، ١٩٧٩ ، ٤٥١) .

هدف البحث الحالي :

يسعى البحث الحالي الى التوصل للمضامين القيمية في ملحمة جلجامش في محاولة للتعرف على طبيعة الشخصية في تلك الفترة .

نبذة مختصرة عن الملحمة :

يرجع زمن اكتشاف الواح هذه الملحمة الى عهد الاستكشافات الأثرية التي قام بها اوائل المكتشفين وقناصل الدول المعتمدين في العراق في مدن العراق القديم الشمالية في منتصف القرن التاسع عشر . وقد وجدت في خزانة كتب الملك الأشوري « اشور بانيبال » وسبب وجود الملحمة في شمال العراق يعود الى ان تداول الملحمة لم يقتصر على سكان القسم الجنوبي والأوسط من العراق (سومر واكد) بل انتشرت ايضاً الى القسم الشمالي. كما وجدت نسخة في الأناضول وبعض اجزاء منها في فلسطين (باقر ، ١٩٧٥ ، ص ٢٤).

تبدأ القصيدة بمقدمة في إزجاء المديح لجلجامش . كان بطلاً قلقاً لايضارع . كان مطلق العنان . اضطهد سكان مدينته وسامهم سوء العذاب. كان متعسفاً راغباً في اشباع شهواته ولذاته الجنسية . صرخ اهل مدينته ودعوا الالهة لوضع حد لذلك الظلم . فخلقت الالهة مخلوقاً قوياً من طين هو انكيدو لمواجهة جلجامش . كان ساذجاً بدائياً . ومن اجل ان يصبح متمدناً فإن اشباع غرائزه الجنسية هي التي حولته الى انسان ذي حكمة ومعرفة .ثم اصبح جاهزاً للقاء جلجامش .وتحدث الملاقاة ، ولكن لسبب لم يعرف ، تعانق البطلان ثم نشأت بينهما صداقة حميمة. عرض جلجامش على صديقه المغامرة وان يشدا الرحال إلى غابات الارز البعيدة ويقتلا حارسها ويقطعا الاشجار ويقضيان على كل ماهو شر في البلاد. وبعد سفر طويل يصلان إلى غابة الارز ويقتلان الحارس ويقتطعان اشجار الارز . صارت المغامرة تستتبع بمغامرة اخرى. وقد بلغا ذروة المجد في اعمالهما . واصبحت المدينة تتغنى بمآثرهما وامجادهما. لكن القدر القاسي يختتم نهايتهما المحزنة. فقد حكمت الالهة على انكيدو بالموت المبكر لانه اشترك في قتل حارس غابة الارز . وبعد مرض دام اثني عشر يوماً لفظ انكيدو انفاسه الاخيرة. اما جلجامش فان الخلود المادي المحسوس هو الذي يعذب روحه . شد رحاله وعرض نفسه لمهالك الطريق ليصل إلى الرجل الذي بيده سر الحياة الخالدة الذي اخبره بان الالهة هي التي تهب الحياة الخالدة الابدية وليس البشر . لكن الرجل رفق به في آخر الامر وكشف له عن موضع نبات الشباب الابدي الذي ينمو في اعماق البحر. غاص جلجامش إلى قاع البحر وحصل على النبات العجيب . ثم شرع بالعودة إلى مدينته وقد تملكه الفرح والحبور. لكن النبات سرق اثناء ما كان جلجامش يستحم في بئر. عندها يعود جلجامش إلى مدينته يبحث عن السلوى والعزاء.

لقد دونت الملحمة قبل نحو ٤٠٠٠ عام وترجع حوادثها إلى عهود اقدم. وهي تعتبر اقدم نوع من ادب الملاحم البطولية في تاريخ جميع الحضارات ، وهي اطول واكمل ملحمة عرفتها حضارات العالم القديم. وتعتبر هذه الملحمة الطويلة من اصل سومري، اضيفت اليها زيادات وتعديلات أكدية وعنوانها الاكادي يوحي بالغاية التي وضعت لأجلها «شانقب امورو» اي الذي ينقب عن كل الأمور (الحوراني ، ١٩٧٨، ص ٢٩٢) .

وما تزال الملحمة خالدة في جاذبيتها الانسانية، لان القضايا التي عالجتها تعتبر قضايا انسانية عامة ماتزال تشغل بال الانسان وتفكيره وتؤثر في حياته العقلية والعاطفية. فلقد عالجت مسألة الحياة والموت والخلود وسلوك الانسان في هذه الحياة. كما عالجت مواضيع انسانية حساسة اخرى كالحب والصداقة والكره والحنين والذكريات. ولعل رثاء جلجامش

لموت صديقه «انكيدو» دليل على عمق قيم الحب والصداقة. ويمكن القول ان انتشار هذه الملحمة يعود لما فيها من صراع ومواقف انسانية عميقة وبعيدة التأثير في بنية ذهنية الانسان القديم. فجوهر الصراع هو بين التوحش والمدينة ، وبين الحب والكره والصداقة والعداء والحياة والموت والولاء والاخلاص والدافع للشهرة والاسم وحب المغامرة والانجاز والخوف الشامل من الموت والشوق العذب الملح إلى الخلود، والارادة والقدر (الحوراني، ١٩٧٨، ص ٢٩٢). ان انتهاء الملحمة بموت جلجامش دليل على ان الانسان رغم مساعيه الكبيرة للخلود الا انه لابد من التسليم بحتمية الموت على البشر حتى بالنسبة إلى بطل مثل جلجامش. وانه اذا كان الامر كذلك فلابد من حل هذه العقدة وذلك بجعل القيام بالاعمال العظيمة هي التي تخلد ذكر الفرد لدى الاجيال وتجعل روح الميت تنال الراحة والطمأنينة في عالم الارواح السفلي. (باقر، ١٩٧٥، ص ٢١).

لقد ناقشت الملحمة موضوع الموت بطريقة درامية. فلقد شاهد البطل جلجامش صديقه ورفيقه يحتضر وكان شبح العالم السفلي الذي تذهب اليه الارواح جميعاً ماثلاً في خياله. فما العالم السفلي الا كهف واسع تحت سطح الارض يمكث فيه البشر وهم عراة. وللتأكد من بقائهم هكذا تعني الطبيعة بهم ويكسو الريش ارواحهم كالطيور وليس هناك طعام يأكلونه لأنه لا يمكن ان ينمو اي شيء بغير اشعة الشمس، وكل ما يستطيعون اكله هو طين الارض. على ان اكثر شيء تحن اليه هذه الارواح التعيسة الراحلة عن الدنيا هو الفتحات التي تستطيع ان ترى منها الشمس الجميلة والتي حرمت منها إلى الأبد. ولهذا صمم جلجامش على ان يبذل كل ما في وسعه للهرب من ذلك العالم المخيف. (كبيرا، ١٩٦٤، ص ١٥٥).

طريقة البحث :

من الواضح ان الطريقة المناسبة للدراسة الحالية هي طريقة «تحليل المضمون» وقد عرفها رائدها برلسون (Berlson) بأنها «اسلوب بحث في الوصف الموضوعي المنهجي والكمي للمحتوى الظاهر في وسائل الاتصال» (بود وآخرون، ١٩٦٧).

وقد اتبعت في هذه الدراسة الخطوات المنهجية في تحليل المحتوى. وفيما يلي توضيح لهذه الخطوات :

أولا / تصنيفات التحليل :

يستخدم في تحليل المحتوى عادة تصنيف واحد أو أكثر ، يحلل بموجبه المحتوى إلى مضامينه حسب فئات او حقول تلك التصنيفات، وتختلف التصنيفات في صفتين هما السعة او درجة التعقيد، واسلوب البناء . وتحدد اهداف البحث عادة هاتين الصفتين .

وفي الدراسة الحالية تم استخدام تصنيف «بَعدي» (*) استنبطت فئاته او حقوله ، كما تسمى في تحليل المضمون من الملحمة المحللة نفسها.

التصنيف البعدي :

بما ان الدراسة الحالية قد شملت الملحمة بأكملها ، لذلك فان الحصول على تصنيف شامل يستوعب مضامينها يقتضي القيام بوضع تصنيف بعدي. وللتوصل إلى هذا التصنيف، فقد اخضعت الملحمة إلى تحليل استطلاعي للكشف عن اصناف الموضوعات الرئيسية والفرعية فيها. وبما ان الصراع هو السمة الاساسية الذي تدور حوله الملحمة وتتجمع حوله القيم، فقد تم التوصل إلى التصنيف الذي يتضمن جوانب الصراع الآتية:

١ – الصراع ضد الظلم والتعسف.
٢ – الصراع مع القوى التي تمثل الشر.
٣ – الصراع ضد الفساد الخلقي.
٤ – الصراع مع فكرة الموت.
٥ – الصراع من اجل الحصول على الخلود.

ثانياً : التحليل :

استخدم في التحليل اكثر من «وحدة». فقد استخدمت وحدة المضمون وهي وحدة كبيرة نسبياً تشمل الموضوع الواحد بأكمله ويفسر في ضوئها معنى «وحدة الفكر» . كما استخدمت وحدة «الفكرة Theme» وهي وحدة اصغر من وحدة المضمون تحدد بدايتها ونهايتها عندما تقدم الفقرة لنا معنى قائماً بذاته يحمل فكرة مستقلة، وبهذا قد يكون الموضوع الواحد محتوياً على أكثر من فكرة. ويفسر معنى وحدة (الفكرة) في ضوء الموضوع العام وحدة المضمون لمعرفة ما إذا كانت مرغوبة أو غير مرغوبة . وإذا صادف ان كانت الفكرة تقع في اكثر من صنف من اصناف التحليل ، فانها توضع في الصنف الاقرب لها من البقية.

ثالثاً : ثبات التحليل

لكي يكون التحليل موضوعياً وللحد من الذاتية فيه فقد قام الباحثون باجراء التحليل على عينة استطلاعية من المحتوى بصورة مشتركة للاتفاق على اسلوب التحليل وحجم الوحدات، كما كان الباحثون يتبادلون الرأي في التحليل كلما قطعوا مرحلة فيه.

(*) التصنيف البعدي : هو تصنيف تستنبط حقوله او فئاته من محتوى المضمون الذي يراد تحليله ، لذلك فان مثل هذا التصنيف يعكس اهم الخصائص والمحاور المركزية التي يتضمنها ذلك المحتوى .

نتائج البحث

ان الصراع هو السمة الأساسية التي تدور حوله الملحمة وتتجمع حوله القيم . والصراع هنا بمعناه الواسع والذي يشمل اوجه متعددة يمكن ادراجها في التصنيفات الخمسة الآتية : —

اولاً / الصراع ضد الظلم والتعسف

ان جلجامش يمثل الطرف الأول في الصراع . فهو لم يتورع عن اجبار شعب « اوروك » على القيام باعمال السخرة ، كما انه لم يراع الحرمات ، فهو يعتدي على حرائر النساء ويستولي على العذارى ليلة الزفاف :

لم يترك جلجامش ابناً طليقاً لأبيه
ولم تنقطع مظالمه عن الناس ليل نهار
ولم يترك جلجامش عذراء طليقة لحبيبها
ولا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل

أما الطرف الثاني فهم اهل « اوروك» الذين يرفضون هذا الظلم ولم يبرحوا يشكونه الى الآلهة . وهنا تجدر الاشارة الى نقطة ذات اهمية الا وهي صفة الموضوعية كقيمة سائدة . فهم ، أي ابناء « اوروك» رغم تعدادهم لهذه المظالم يعترفون له في نفس الوقت بصفات حميدة :

هو الذي رأى كل شيء فغني بذكره يابلادي
هو الذي عرف جميع الأشياء وأفاد من غبرها
هو الحكيم العارف

وفي مكان آخر من الملحمة :

لكن جلجامش هو راعي « اوروك» الحمى والسور
هو راعينا القوي ، كامل الجمال والحكمة

وعلى هذا الاساس ، فان رغبتهم كانت في ايقاف هذا الظلم . وقد ابتكرت عقليتهم حلاً رائعاً وهو خلق منافس لجلجامش يوازيه بما يملك من قوة وبأس وذلك من اجل احداث التوازن :

فاخلقي الآن غريماً له يضارعه في قوة اللب والعزم
وليكون في صراع مستديم لتنال « اوروك » السلام والراحة

ولم تكن رغبتهم إذن في ازالة جلجامش من عرشه . لأنه يحقق لهم مكاسب ايجابية

وكل مايرغبون به هو تعديل لسلوكه. ورغم ان الآلهة في تلك الفترة الزمنية هي القوى التي خلقها الناس ليسدون به عجزهم الذي يعانون منه امام قوى الطبيعة او القوى الظالمة من الملوك . إلا ان خلق« انكيدو » كمنافس يعبر عن الحاجة والامنية التي يتمنى شعب « اوروك » ان تتحقق .فانكيدو ، إذن ، ليس شخصية بطل بقدر ماهو دلالة قيمية عبر بها الشعب عن رغبته في تعديل نظام الحكم السائد من نظام دكتاتوري فردي الى نظام متوازن وان هذا التعبير هو تطور حضاري لهذا الشعب .

إن ماحصل بعد ذلك يدلل على التغيير في سلوك جلجامش ، وبالتالي تغيير شكل نظام الحكم . فبدلا من ان تكون قوة جلجامش وسيلة لاخافة شعبه وايقاع المظالم به ، توجهت الى محاربة قوى الشر والآلهة الفاسقة والى الرغبة في تحقيق المجد لأهل « اوروك» والكفاح من اجل قيمة كبيرة وهي الخلود .

ان تحليل محتوى النص في هذا الجزء من الملحمة اظهر القيم التي تؤيد الأفكار السابقة، وكما يتوضح ذلك من جدول (١).

جدول رقم (١) : المضامين القيمية التي تؤكد على الصراع ضد الظلم والتعسف

التسلسل	محتوى القيم	التكرار
١ —	تمجيد القوة البدنية والكمال والجمال	٣٠
٢ —	ترتيب الوسائل التي توقف الظلم	٢١
٣ —	تحفيز الناس واستثارتهم لمواجهة الظلم	١٨
٤ —	تحديد الوسائل التي تحد من الظلم	١٣
٥ —	المواجهة المباشرة لوسائل ايقاف الظلم	١١
٦ —	الشكوى من القيام باعمال السخرة	٨
٧ —	استغلال الظالم ماتوافر لديه من وسائل للكشف عن اعدائه	٨
٨ —	تحديد قوة العدو الظالم	٧
٩ —	امعان الملك الظالم في ظلمه	٧
١٠ —	اجبار الحاكم الظالم على الاعتراف بقوة الناس الذين يحكمهم	٧

١١ ـ اعتراف الناس بقوة الملك الحاكم وحاجتهم له	٧
١٢ ـ تمجيد الشخص الذي يعمل	٦
١٣ ـ تمجيد المعرفة وتدوينها والسعي اليها	٥
١٤ ـ تمجيد الحكمة والموضوعية في الحكم على الأشياء	٥
١٥ ـ تحديد نقاط ضعف الظالم	٥
١٦ ـ الخوف من اللامألوف	٣
١٧ ـ تمجيد الشخص الذي يسعى للحصول على المعرفة	٢
١٨ ـ الشكوى من انتهاك المحرمات	٢
١٩ ـ العمل على ايقاف الظلم	٢
٢٠ ـ استخدام الدين لتبرير الظلم	٢
٢١ ـ اختبار وسائل مجابهة الظلم	١
٢٢ ـ طلب المساعدة من قوى اكبر من قوة الانسان	١
٢٣ ـ ترتيب الأوضاع للحد من الظلم	١

ان نتائج الجدول السابق الذي هو تحليل لمحتوى الجزء الأول من الملحمة « جلجامش وانكيدو » تبين الى حد كبير ان استخدام القوة كقيمة باشكالها المختلفة هي اداة رئيسية للصراع بين طرفي الصراع في هذه الملحمة . لذلك نلاحظ ان ذكر هذه القيمة والتأكيد عليها وتمجيدها جاءت بتكرارات عالية ، رغم ان زيادة التكرارات للقيمة في هذا التحليل قد لا تشكل الاساس ، باعتبار ان الملحمة تتكون من احداث مترابطة . فقد يعبر حدث واحد عن قيمة سائدة ولكن زيادة تكرار القيمة لاشك انه يوضح اهميتها وتمسك الجماعة بها.

كما يتبين ايضاً ان هذه الحضارة او الشعب الذي انتجها يحمل قيم الرفض للظلم ولم يسكت عنه ابداً بل بدأ بالشكوى ، وخاصة تلك المظالم التي تتناول قيم الاستعباد كاعمال السخرة ، او التي تمس المحارم ، لذلك جاء تكرار الشكوى منها عاليا . كما ان القيم التي تحملها هذه الحضارة كانت فعالة ، فهي لم تكتف بالشكوى بل توفرت قيم واتجاهات الانتقال الى العمل لايقاف الظلم ، مستخدمة الوسائل التي تراكمت لديها من المعارف والحكمة والموضوعية والقوة . لذلك جاءت تكرارات الوسائل المستخدمة لايقاف الظلم مثل تحديد قوة العدو ومواقع ضعفه وتحفيز الناس واستثارتهم تحمل تكرارات عالية .

ولكننا نجد انه في نفس الوقت الذي يجبر الحاكم الظالم على الاعتراف بقوة الناس — والرضوخ لمطالبهم ، يملك الناس الموضوعية ويعترفون بحاجتهم للحاكم مادام يملك من القيم مايلبي حاجاتهم .

ثانياً / الصراع مع القوة التي تمثل الشر

في الجزء الثاني من الملحمة « اسفار جلجامش وانكيدو ومغامراتهما » يبدو الصراع بين الانسان والقوى التي تمنعه من استثمار الطبيعة والتمكن منها والسيطرة عليها . إن «خمبابة» حارس غابة الارز هو القوة التي تخيف الانسان حتى لا يستثمر اخشاب الغاب والصيد فيها واذا عرفنا ان الصيد في تلك المرحلة من الحضارة كان مصدراً اساسياً من مصادر الحصول على الغذاء ، وان الأخشاب ، وخاصة أخشاب الارز ، كانت مصدراً اساسياً لوسائل البناء وكذلك المادة الرئيسية في صنع السفن ، لذلك تصبح القوى التي تمنع من استثمار الغابة هي القوى التي ينبغي ان يدخل معها في صراع . ويقول جلجامش في هذا المجال :

انني سأمد يدي وأقطع اشجار الأرز
ولأكونّن لي اسماً خالداً

ولكن الاقدام لخوض الصراع لايعني عدم وجود الخوف والتردد . فكل استجابة تحمل معها قدراً من الكف المانع لظهورها . ولكن هذا الكف اذا كان ضعيفاً ظهرت الاستجابة. وهنا يمكن ان نعطي تفسيراً قد يكون فيه شيء من تحميل النص اكثرمما هو عليه . إن انكيدو كان هو المتردد ، وقد عبر عن تردده في اقتحام الغابة :

فتح انكيدو فاه وقال لجلجامش :
ياصديقي اشعر بان الخوف قد شل قواي
لقد فقد ساعداي القوة
فعلام عزمت على تحقيق هذا الأمر ؟
ياصديقي لقد علمت حيثما كنت اجول مع الحيوان
في التلال والبراري الواسعة
ان الغابة تمتد مسافة عشرة الاف ساعة في كل جهة
فكيف تجرؤ في الايغال داخلها
و « خمبابا » زئيره عباب الطوفان
تنبعث من فمه النار ، ونفسه الموت الزؤام

ولما كان انكيدو بدائياً يعيش لفترة قريبة في الصحاري والسهول مع الحيوانات ، فهو منسجم مع الطبيعة ولا يريد ادخال أي تغيير فيها لأجل السيطرة عليها أو بناء او تطوير الحضارة بعكس جلجامش الذي يعيش في المدينة وهو الذي ساهم في بنائها :

« بنى اسوار اوروك وحرم « راي – أنا » المقدس

والمستودع الطاهر

فانظر الى سوره الخارجي تجد شرفاته تتألق كالنحاس

وانعم النظر في سوره الداخلي الذي لايماثله شيء

فهو انسان مسيطر على الطبيعة ، وبالتالي فان القيم التي يحملها هي القيم التي تؤدي الى استثمار الغابة ، وهو يعرف الوسائل التي تؤدي الى ذلك ، ولعل اولها هو ازاله خمبابا ، لأن رمز الخوف الذي يمنع الناس من التقدم نحو هذه الخطوة :

« فخاطب جلجامش انكيدو وقال له :

يسكن في الغابة « خمبابا» الرهيب فلنقتله كلانا

ونزيل الشر من على الأرض

وفي مكان آخر يقول جلجامش عندما لاحظ خوف انكيدو

عزمت لأرتقي جبال الارز

وادخل الغابة مسكن « خمبابا »

وسآخذ فأساً لأستعين بها في القتال

اما انت فامكث هنا ، وسأذهب انا وحدي

وعلى هذا يمكن القول ان محاورات انكيدو وجلجامش تدلل على الحاجة الماسة الى مقاومة عناصر الشر والتخلص منها سبيلا لبناء المجتمع ، وكما يتضح ذلك من الجدول (٢) الذي اتضح من خلاله ان هناك قيماً يمكن النظر اليها على انها وسائل لمواجهة الشر منها الابتهالات والدعاء سبيلا للعون والعزم والمثابرة على تحقيق الأهداف ، حيث حصلت على اعلى التكرارات. ان لجوء الفرد الى الابتهالات وبهذه السعة قد يعود الى الاعتقاد في تلك الفترة الى ان الشر قد يوجه من الآلهة على البشر ، وقد تستخدم هذه الآلهة مخلوقات غريبة ومخيفة لتنفيذ انتقامها مثل العفريت خمبابا . واضافة الى ماورد من قيم ، اظهر التحليل وجود قيم بناءة اخرى مثل الاستعانة بكبار السن والاستماع الى نصحهم ، وكذلك وجود الصراع بين

جدول رقم (٢) المضامين القيمية التي تؤكد على الصراع مع القوى التي تمثل الشر

التسلسل	محتوى القيم	التكرار
١ ــ	اللجوء الى الابتهالات والدعاء طلباً للعون على مواجهة الشر	٣١
٢ ــ	العزم والمثابرة على تحقيق الأهداف	٢٣
٣ ــ	اسداء النصح من قبل كبار السن والاستعانة بخبراتهم	١٧
٤ ــ	تثبيط العزم في مواجهة الصعاب	١٣
٥ ــ	اعداد الادوات والوسائل المناسبة لتحقيق الأهداف	١١
٦ ــ	الصراع بين رغبة الشباب واندفاعهم نحو تحقيق الأهداف وتردد الشيوخ	١٠
٧ ــ	استخدام الحلم في التنبؤ في الأحداث المقبلة	٧
٨ ــ	التشاور قبل القيام بعمل	٧
٩ ــ	الخوف من القوة التي تمثل الشر	٦
١٠ ــ	الرغبة في دحر القوى التي تمثل الشر	٣
١١ ــ	الايثار وتحمل المسؤولية	١

رغبة الشباب واندفاعهم لتحقيق الأهداف وتردد الشيوخ وتأنيهم ، اضافة الى القيم المرتبطة باعداد الادوات والوسائل المناسبة لتحقيق الأهداف ، والتشاور قبل القيام بالعمل وايثار وتحمل المسؤولية .

ثالثاً / الصراع ضد الفساد الخلقي :

يتركز الجزء الثالث من الملحمة حول الصراع بين جلجامش وعشتار التي تملك قوة الاله القادر على مالم يقدر عليه البشر ، كما انها بنت « آنو» كبير الآلهة السومرية ، لكنها من سياق الاسطورة ، يتضح عدم التزامها بالقيم والمفاهيم التي اوجدها البشر في المجتمع السومري لتنظيم حياتهم ، حيث تسير وفق اهوائها وملذاتها وتستهر بقيم مثل الوفاء والحب التي استتبت في المجتمع واصبحت جزءاً من حضارته .

أي من العشاق الذين اخترتهم من احببته على الدوام

واي من رعاتك من رضيت عنه دائماً
تعالي اقص عليك (مآسي) عشاقك

ويستمر جلجامش بسرد ماقامت به عشتار ، حيث احبت تموز ، لكنها سأمت منه بعد ذلك وحولته الى طير الشقراق ، ولم تكتف بذلك بل ضربته وكسرت جناحيه . واحبت الاسد ثم حفرت له سبع حفرات ليقع فيها . ثم احبت الحصان لكنها حكمت عليه بالعدو شوط سبع ساعات مضاعفة ، ولم تكتف بذلك بل قضت عليه الا يرد الماء الا بعد ان يعكره بقدميه .

فالصراع إذن بين الرغبة في أن تكون للمجتمع قيم ومفاهيم مرغوبة ومتعارف عليها، وبين القوى التي تريد ابقاء حالة الفوضى التي سبقت هذا التطور .

وإذا اعتبرنا جلجامش مجموعة قيم يريد المجتمع الذي وضعها ان يعبر من خلالها عن مرحلة تطوره وحاجاته وامنياته للمستقبل ، فان المقطع الآتي الذي يذكره جلجامش يوضح ماتقدم من تفسير :

« فإذا احببتك فستجعلين مصيري مثل هؤلاء »

كما ان الآلهة رغم سيطرتها وتلعب الدور الرئيسي في تحديد مصائر الناس في تلك الفترة وان لكل اله وظيفة محددة يقوم بها ، وهي تعبر عن عجز الناس وقلة معارفهم في ذلك المجال ، الا انها في الجانب القيمي ، وخاصة الاجتماعي ، تلتزم بشكل عام بما هو سائد . وهذا واضح في النص الآتي ، وهو يعبر عن شكوى عشتار الى ابيها آنو كبير الآلهة .

« يأابي ان جلجامش خبني وعدد فحشائي وعاري
فتح « آنو » فاه وقال لعشتار الجليلة :
انت التي تحرشت فجنيت الثمرة
وعدد جلجامش فحشاءك وعارك

فعشتار تعترف بأن ماقامت به هو فحشاء وعار ، وكذلك أبوها . وهذا يؤكد ان القيم التي عبر عنها جلجامش قيم مستقرة في تلك المرحلة ، والصراع هنا هو صراع للدفاع عنها وتثبيتها . ولكن هذا لايعني ان الآلهة كانت رحيمة بل العكس هو الصحيح . ان الآلهة من خلال هذا النص وغيره في آداب وادي الرافدين كانت قاسية وغير رحيمة ولها رغبة في الدمار وهي ذات وجه واحد هو العقاب فقط ، اما الاثابة فنادراً ماتشير اليه النصوص السومرية او البابلية او الاكدية ، مما يؤكد على ان هنالك جوانب كثيرة في هذه المجتمعات كانت اكثر

تقدماً وتحضراً من فكرة الالهة كقوى مسيطرة ، لذلك فان هذه الآلهة كثيراً ما كانت تهان ويعترض على احكامها وكلما حصلت تطورات حضارية كانت تسقط بعض الآلهة او يخفف الايمان بها .

ويمكن توضيح ماأسلفنا ذكره عن الصراع ضد الفساد الخلقي من خلال تحليل المضامين القيمية التي وردت في ملحمة جلجامش ، والتي عبر عنها جدول (٣) .

جدول (٣) المضامين القيمية التي تؤكد على الصراع ضد الفساد الخلقي

تسلسل القيم	محتوى القيم	التكرار
١ –	استهجان القيم غير المرغوبة مثل عدم الوفاء او عدم الاخلاص في الحب او الاستهتار به والغدر بالحبيب	٢٩
٢ –	الاغراء بالاشياء المادية او المركز والجاه للوصول الى هدف جنسي	٢٢
٣ –	الصراع بين قوة الآلهة – القيم السلبية – ومن يمثل القيم الايجابية	٢٠
٤ –	انتصار القيم الايجابية	١٠
٥ –	الاغراء بمعناه الجنسي	٤
٦ –	التأكيد على قيم النظافة واللياقة	٤

من خلال تحليل بيانات جدول (٣) يتضح ان قيم عدم الوفاء والاستهتار بالحب والغدر بالحبيب قيم غيرمرغوب بها ، وان من يحملها شخص غيرمرغوب فيه ولايقترن فيه كشريك في الزواج .

كما تبين النتائج ايضاً ان الاغراء بالأشياء المادية او الجاه للوصول الى اهداف جنسية او الاغراءات الجنسية المباشرة ، كانت سائدة ، ويتضح هذا من زيادة تكرارات هذه القيم . وفي نفس الوقت ، اوضح تحليل النص ان هناك صراعاً ضد القيم السلبية ولتثبيت القيم الايجابية ، حيث ظهرت زيادة في تكرار هذا المجال .

إن انتصار القيم الايجابية والفرح لهذا الانتصار ، كما تشير الى ذلك تكرارات هذين المجالين ، يدلل على ان القيم المرغوبة والتي تعبر عن حاجة الشعب في تلك الفترة اليها ، هي عكس القيم التي اظهرتها في سلوكها غير الاخلاقي.

رابعاً : الصراع مع فكرة الموت :

يتناول الجزء الحالي من الملحمة عدة جوانب ترتبط بالقيم السائدة في تلك الفترة :

اولاً : ان الموت غير مسبب باسباب مادية وانما هو حق بيد الآلهة ، وهذا واضح من النص الآتي :

إن « آنو » و «انيليل » و «أيا» وشمش السماوي
قد اجتمعوا يتشاورون وقال آنو لأنيليل
لأنهما قتلا الثور السماوي وقتلا خمبابا
فينبغي ان يموت ذلك الذي اقتطع اشجار الارز

وهذا ينسحب على المرض او المصائب ، كما انه لم يرد في هذه الملحمة فقط ، وانما في نصوص اخرى من الحضارة القديمة . كما ان البابليين والآشوريين يعتبرون الخطأ « الذنب» القصدي أو غير القصدي الواعي او غير الواعي يغيظ الآلهة . ان الانسان ، كما يبدو ، يحمل قيم الخضوع للطبيعة ولم يكن مسيطراً عليها ، ويتوضح ذلك جلياً من خلال تقبل ظاهرة الموت او المرض .

ان قيمة الخوف من الموت واضحة في هذا الجزء، وهي قيمة موجودة في كل عصر ، لكن المبالغة في الخوف الموجود في آداب وادي الرافدين القديمة تأتي في تصور الحياة ألمبالغ بها بعد الموت ومايجري فيها من احداث رهيبة . ويتضح هذا عند وصف روح انكيدو لدى خروجها من العالم السفلي لفترة وجيزة لمقابلة جلجامش وبوساطة من الآلهة لتحكي له مايحدث في هذا العالم من احداث. ولعل الأحلام او هلاوس الأحلام عن الموت وخاصة تلك التي تصيب المرضى والذين اقرب الى الموت، تعتبر مصدراً اساسياً من مصادر المعلومات عن هذا العالم . باعتبار ان الحلم في تلك الفترة يقترب كثيراً في تفسيره الى الحدث الواقعي في الايمان به ، وهذا واضح في اجزاء الملحمة المختلفة .

إن موقف الانسان في صراعه مع الموت في تلك الفترة يحمل في جزء كبير منه موقفاً ايجابياً . فجلجامش بعد وفاة صديقه لم يستسلم بل حفزه الحدث الى البحث عن سر الخلود . والخلود هنا ، بمعنى اطالة العمر ، له دلالة كبيرة ، لعل اولها هو الرغبة بالحياة والتمتع بها والشعوب التي تكون لديها الرغبة في الحياة تكون اكثر قدرة على التطوير . ومن دلالاته ايضاً الرغبة في المعرفة . فجلجامش اتجه الى « اوتونوبشتم » ، أي الى المكان الذي توجد فيه الظاهرة او حل الظاهرة . وهناك قيمة اخرى ذات دلالة الا وهي حفظ الود وتقدير الصداقة والوفاء للصديق :

اسمعوني ايها الشيبة (الشيوخ)
من اجل انكيدو خلي وصاحبي ، ابكي وانوح نواح الثكالى
انه الفأس الذي في جنبي وقوس يدي
والخنجر الذي في حزامي والمجن الذي يدرأ عني

وتبرز قيمة الاحساس بالعدالة بشكل كبير. فحينما يعرف جلجامش ان العقوبة وقعت على انكيدو فقط رغم انهما اشتركا معاً فيما اعتبر خطأً من قبل الآلهة، رغم انه يعرف ان عقاب الآلهة كان الموت :

فقال جلجامش : يا أخي العزيز علام يبرؤنني من دونك؟

جدول (٤) المضامين القيمية للصراع مع فكرة الموت

التسلسل	محتوى القيم	التكرار
١ ــ	حفظ الود للصديق بعد مماته	٢٥
٢ ــ	الحزن الشديد على موت الصديق	١٣
٣ ــ	الاعتقاد بان الاحلام تمثل احداثاً سوف تقع	١٠
٤ ــ	الخوف من صورة الحياة بعد الموت	٩
٥ ــ	الرجوع عن الخطأ بالعمل	٩
٦ ــ	الاعتراف بالخطأ	٧
٧ ــ	الاعتقاد بان الآلهة هم الذين يقررون مصير الانسان	٤
٨ ــ	تفضيل الموت في القتال على الموت الطبيعي	٣
٩ ــ	الاحساس بالعدالة	٣

يتضح من تحليل محتوى النص، كما هو في جدول (٤)، ان هناك قيماً ترتبط بالخوف من صورة الحياة بعد الموت والحزن الشديد على الصديق وحفظ الود له بعد مماته، حيث كانت تكرارات هذا المجال عالية. وقد يكون هذا الحزن الشديد وذكر المصيبة باستمرار يرجع، كما سبق، إلى الصور المحزنة التي يحتفظ بها الناس عن الحياة بعد الموت.

كما اكد تحليل النص ان الاحلام تمثل احداثاً سوف تقع، رغم عدم ايمان البعض بذلك. واوضح التحليل وجود قيم ايجابية اخرى يؤكد قسم منها ما تقدم في الأجزاء السابقة، مما يؤكد بأن هذه القيم فيها كثير من الثبات، مثل الاعتراف بالخطأ والرجوع عنه والعدل في الحكم.

خامساً / الصراع من اجل الحصول على الخلود:

ويعتبر هذا الجزء من الملحمة اوسع الاجزاء. وفيه يقوم جلجامش بعد موت صديقه انكيدو وحزنه الشديد عليه بالتوجه إلى «اتونوبشتم» للكشف عن سر الخلود حتى لا يلاقي مصير صاحبه. وخلال رحلته يخوض صراعات عديدة، توضح القيم والاتجاهات التي كانت سائدة في تلك الفترة الزمنية. ولما كان جلجامش هو البطل، فانه يحمل القيم المرغوبة، لان ابطال الاساطير في الغالب تضع فيهم الشعوب التي اخترعت تلك الاساطير القيم التي يرغبون بها.

ومن القيم التي تتوضح في بداية هذا الجزء عدم الاستسلام للواقع والرغبة في تغييره نحو الاحسن والمثابرة على ذلك وتحمل الصعاب. ان جلجامش رغم قوته الكبيرة لا يخاف ان يعبر عن مشاعره دون ان يخجل منها. فهو يخاف حين يكون الموت مخيفاً ، وهذه واحدة من الدلالات على الصحة النفسية للشعب الذي يملك مثل هذه القيم.

اما الصراع الآخر الذي خاضه جلجامش في سبيل الوصول إلى الخلود فلم يكن صراعاً جسدياً وانما كان صراعاً فكرياً بين اتجاهين يمثل كل واحد منهما مجموعة مختلفة من القيم، الاولى تحمل قيم الطموح والمثابرة والرغبة في تغيير الواقع مهما كان صعباً، ويمثله جلجامش الذي يمثل موقف الانسان المسيطر على الطبيعة والذي يرغب في معرفة الظواهر حتى يكون قادراً على التحكم فيها. اما الثاني فهو موقف صاحبة الحانة المنسجمة مع الطبيعة والقانعة بما تمنحه من لذات آنية والتي لا تفكر في عملية التغيير .

ورغم ما يتخلل رحلة جلجامش من جوانب خرافية، الا ان الوسائل والادوات التي استخدمها كانت واقعية ومناسبة لتحقيق الاهداف، وهذا يقودنا إلى استنتاج ان هناك قدرة منطقية على الربط بين الهدف وطرق تحقيقه. فعندما أراد الخلود اتجه إلى من هو خالد «اتونوبشتم» للاستفسار عن الخلود، وعندما اراد الوصول لهذا الاخير اتجه إلى ملاحه ــ اور شنابي ــ الذي حدد له الوسيلة للوصول إلى الهدف. كما تبرز في الملحمة قيمة اخرى هي الرغبة في تحمل مسؤولية استمرار الحياة على الارض وبقائها وتحمل المشاق في سبيل ذلك. ان جدول (٥) يوضح ما سبق ان عرضناه من تأكيد على صراع الانسان في تلك الحقبة السحيقة من الزمن من اجل الحصول على الخلود.

جدول (٥) المضامين القيمية التي تؤكد على الصراع من اجل الحصول على الخلـــود

التسلسل	محتوى القيم	التكرار
١ ــ	تحمل المصاعب والمثابرة في سبيل الوصول الى الهدف	٤٧
٢ ــ	الانسجام مع الطبيعة والاكتفاء بما هو موجود وعدم الرغبة في التغيير	٣٣
٣ ــ	تحمل المسؤولية في الحفاظ على استمرار الحياة	١٩
٤ ــ	ابتكار الوسائل للوصول الى الأهداف	١٩
٥ ــ	الاعتقاد انه ينبغي ان يكون العقاب بقدر الخطيئة	١١
٦ ــ	الوفاء للاصدقاء وذكر افعالهم بعد مماتهم	١٠
٧ ــ	الرغبة في مساعدة الآخرين خاصة اولئك الذين يريدون تحقيق اهداف كبيرة	٨
٨ ــ	تحميل المجموع مسؤولية اخطاء الأفراد	٨
٩ ــ	الاعتراف بالخطأ والندم عليه	٦
١٠ ــ	تقدير البطولة	٦
١١ ــ	الخوف من الموت	٥
١٢ ــ	القسوة والرغبة في التدمير	٣

ان نتائج الجدول السابق توضح ان القيم التي ترتبط بتحمل المصاعب والمثابرة في سبيل الوصول إلى الهدف حصلت على اعلى التكرارات، وهذه القيم في اجزاء اخرى من الملحمة مما يدلل على انتشارها. وكذلك الامر بالنسبة للقيم التي تؤكد على الموقف المنسجم مع الطبيعة والرضا بما تمنحه الحياة وعدم المخاطرة في سبيل التغير التي حصلت على تكرارات عالية ايضاً. كما برزت قيمة ذات اهمية وهي تحمل المجموع للمسؤولية خاصة تلك التي لها علاقة باستمرار الحياة حيث حصلت على تكرارات عالية، وكذلك الامر بالنسبة للقيم التي تؤكد على الوفاء للاصدقاء الذين ماتوا وتقدير البطولة. وظهرت قيمة سلبية تؤكد على القسوة والرغبة في التدمير.

الاستنتاجات العامة للبحث :

لتقويم حضارة اي شعب، هناك معايير كثيرة تنضوي تحت مجالات مختلفة، مثل التقدم العلمي، والذي يدخل تحته المبتكرات والاكتشافات العلمية. وتشمل ايضاً انتاج الغذاء سواء في زراعته او في صناعته. وكذلك انتاج وسائل البناء، وانشاء مؤسسات الحكم

وتنظيم الحياة وفق قوانين وضعية او شرائع دينية تهتم بالضبط الذاتي. ومن خلال طرق التعبير الفني عن مجالات الحياة عن طريق الادب باشكاله المختلفة، وايضاً في ابتكار طرق الاستمتاع بالحياة.

ان ما تقدم من مجالات تعبر عن نفسها في قيم يمارسها الشعب المنتج للحضارة عن طريق الاستجابات او السلوك اليومي في نشاطاته المختلفة. وعند عملية التقويم يمكن الرجوع إلى القيم السائدة وتحليلها. وما تم في هذه الدراسة هو تناول مجال واحد تنعكس فيه قيم بشكل واضح وهو مجال الادب. وهذه الدراسة اقتصرت على اسطورة واحدة فقط، ورغم شيوعها وتناولها مجالات مختلفة، الا انه ينبغي ان يكون واضحاً ان مستوى التعميم ينبغي ان يكون حذراً.

ان الحضارة القديمة في بلاد مابين النهرين، السومرية والبابلية والاشورية، عبرت عن نفسها بقيم سادت بين شعب هذه المنطقة، وهي بعمومها قيم تساعد على التقدم في المجالات المختلفة. ولعل ما يؤيد هذا ما امكن استنتاجه من الملحمة، والذي تمثل بالآتي :

اولاً : رفض الشعب للظلم والقوى التي تفرضه، مهما كانت تمتلك من وسائل التسلط والبطش، وهو ايضاً يملك من القيم ما يساعده على ابتكار الوسائل التي يجابه بها هذا الظلم وينتصر عليه .

ثانيا : كما ان القيم السائدة في هذه الملحمة تعين الشعب على ان يكون مسيطراً على الطبيعة وليس خاضعاً لها، وهو فعال يبحث عن اكتشاف خفاياها ليسخرها لمصلحته، رغم ان الطبيعة في تلك الفترة كانت قاسية بسبب تخلف الادوات المادية التي يملكها.

ثالثاً : ان التغيير نحو الاحسن لم يقتصر على مصارعة الظلم وقوى الطبيعة ، بل كان فيها سعي لوضع اسس اخلاقية متعارف عليها تعينه على تكوين مجتمع متماسك تكون فيه الاستجابات المتوقعة من الافراد أكثر من الاستجابات غير المتوقعة، لذلك نجد في الملحمة زيادة في تكرارات القيم التي تصارع الفوضى او عدم الصدق في التعامل.... الخ.

رابعاً : إن كثيراً من القيم التي ظهرت في الملحمة تسعى إلى اسعاد الانسان والاهتمام بالظواهر التي تقف ضد هذه السعادة .

ان التقويم العام للقيم التي وجدت في الملحمة يوضح ان حضارة وادي الرافدين القديمة كانت تمتلك مقومات الحضارة المتطورة والقابلة للاستمرار، وليس كما يراها بعض المفكرين الغربيين على انها حضارة اوجدتها قدرات بعض الملوك المؤهلين وارستقراطية عسكرية

وطبقة قوية من الكهنة كانت تشرف على المذاهب المعقدة التي يشكل السحر الاساس فيها، وان كل ما ابتدعته هذه الحضارة هو تسجيل حركات النجوم وما صاحب ذلك من ممارسة للسحر والتنجيم، كما يقول برتراند رسل (رسل، ١٩٨٣ ، ص٢٢ - ٢٣). ورغم ان المجال هنا ليس مجال الدفاع عن هذه الحضارة ، الا ان القيم التي ظهرت في الملحمة تدل على غير ذلك. انها تظهر بجلاء ان الشعب هو الذي انتج الحضارة، وان هذا الشعب، كما تدل على ذلك القيم التي وردت في الملحمة، كثيراً ما دخل في صراع مع هذه الفئات، وانها كثيراً ما تخلفت عنه في سلوكها .

مصادر البحث

١ – الاحمد، سامي سعيد. المدخل إلى تاريخ العالم القديم، القسم الاول، بغداد، ١٩٧٨.

٢ – باقر، طه. ملحمة كَلكَامش. منشورات وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٥.

٣ – باقر، طه. مقدمة في أدب العراق القديم. دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦.

٤ – حبي، يوسف. الانسان في أدب وادي الرافدين. منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٠.

٥ – الحوراني، يوسف. البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الاسيوي القديم. دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٨.

٦ – رسل، برتراند. حكمة الغرب، الجزء الاول، ترجمة فؤاد زكريا. عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣.

٧ – كريمر، صموئيل نوح. من الواح سومر. ترجمة طه باقر، القاهرة، ١٩٥٨.

٨ – كريمر صموئيل نوح. هنا بدأ التاريخ. ترجمة ناجية المراني، بغداد، ١٩٨٠.

٩ – كونتينو، جورج. الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور. ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٧٩.

١٠ – كييرا، ادوارد. كتبو على الطين ترجمة محمود حسين الامين، بغداد، ١٩٦٤.

١١ – لوبون، جوستاف. حضارة بابل وآشور. ترجمة محمود خيرت. المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٤٧.

(12) Budd, Richard W. and Others. Content Analysis of Communication. N.Y. Macmillan, 1967.

مشكلات ادارة المدارس الاعدادية للبنات في محافظة بغداد اسبابها ومقترحات علاجها

فضيلة عباس حسين
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

أهمية البحث والحاجه اليه :

تنبثق أهمية هذا البحث من اهمية المرحلة الاعدادية وأهمية الادارة في قيادة هذه المدارس المكملة للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة.

وتبرز أهمية المرحلة الاعدادية في نواحي متعددة منها :

١ — تضم المرحلة الاعدادية مراهقين هم بحاجة إلى العناية والرعاية والتوجيه نتيجة للتغيرات التي تطرأ عليهم في العقل والجسم والنفس

٢ — شدة ارتباط المرحلة الاعدادية بأحوال المجتمع وحاجاته ومشكلاته

٣ — الصلة الوثيقة بين هذه المرحلة والمراحل التي تسبقها والتي تليها من مراحل التعليم (١٧، ص ١).

٤ - تنمي المرحلة الاعدادية المعارف والخبرات والمهارات والاتجاهات التي اكتسبها الطالب في المراحل السابقة لها وعلاوة على ذلك فإنها تكسب الطالب ثقافة عامة وثقافة اختصاصية وقيماً اجتماعية واخلاقية وتعده للحياة العملية المنتجة او للتعليم الجامعي.

٥ - تعمل هذه المرحلة على تطوير شخصية المراهقين في جميع جوانبها الجسمية والفكرية والخلقية والروحية والقومية كما يكتمل نمو الذكاء تقريباً في هذه المرحلة (١ ص ٦٦ - ٦٧) تلعب الادارة التربوية دوراً بارزاً ومهماً في العملية التربوية والتعليمية بل انها تمثل العمود الفقري لنجاح المدرسة في اداء رسالتها على الوجه المنشود. ليست الادارة غاية وانما هي وسيلة لغاية اسمى هدفها تحقيق عملية التعليم والتعلم في المدرسة وتحسين البرامج التربوية وحسن تنفيذها. والادارة المدرسية شأنها شأن اي نمط من انماط الادارة تقوم على تخطيط وتنفيذ ومتابعة وتقويم كل نشاط تربوي وعلمي واجتماعي وخلقي. والإشراف المدرسي فيما يختص بموظفي المدرسة فنيين واداريين انما هو في الواقع عملية تعليم لهؤلاء الموظفين حتى يؤدوا اعمالهم بنجاح وتنعكس خصائصهم على ابنائهم من تلاميذ المدرسة (٥ ص ١)

ان عمل مدير المدرسة لم يعد مجرد المحافظة على النظام والتأكد من سير المدرسة وحضور التلاميذ وتوفير الامكانات التي تساعد على نموه العقلي والبدني والروحي والاجتماعي كافة بل اصبح محور عمل الادارة هو تحقيق الأهداف الاجتماعية التي يدين بها المجتمع (١٩ ص ٩) وهكذا أصبح تحقيق الأهداف التربوية والاجتماعية حجر الأساس في اهداف الادارة المدرسية بعد أن كان عملها ينصب على الاهتمام بالأعمال الادارية الروتينية . كما اهتمت الادارة بتحسين أساليب التعليم للمعلم الذي يساعد نموه المهني والعلمي على القيام بنشاط تعليمي أفضل يرفع من مستوى العملية التربوية . فمهمة الادارة التربوية الحديثة الاولى في المدرسة إذن هي تطوير العمل والانتقال بها من مؤسسة تقليدية يغلب عليها الروتين والعمل الكتابي الى مؤسسة فعالة تلعب دوراً رئيسياً في توجيه بيئتها المحلية وخلق المواطن القادر على التغير والبناء لإنشاء المجتمع العصري الجديد .(١٣ ص٣) .

تؤكد الادارة الحديثة على العلاقات الانسانية بين المعلمين والطلاب واولياء الامور وأفراد المجتمع ممن لهم علاقة مباشرة او غير مباشرة بعمل المدرسة باعتبارهم المادة الرئيسية للمدرسة وأساساً مهماً في نجاح عمل المدرسة وتحقيق اهدافها التربوية لأن الادارة الحديثة هي عمل تعاوني جماعي يقدم فيه المسهمون الجهود التي تؤدي الى خير المجموع (٧ص٣٢ -٣٧) ان نتائج هذا البحث قد تساعد ادارات المدارس الاعدادية للبنات في التعرف على المشكلات

التي تجابهها كل يوم ومعرفة اسبابها ومصادرها والحلول المناسبة لمعالجة تلك المشكلات لتطوير وتحسين ادارة المدرسة الاعدادية والاستفادة من الوقت الذي يصرف لحل المشكلات الى القيام بالأعمال الاشرافية الفنية في المدرسة . كما يمكن ان تكون نتائج هذا البحث عوناً للقائمين والمسؤولين عن شؤون التربية والتعليم في تخطيط ورسم السياسة التربوية في تلك المدارس ويمكن لنتائج هذا البحث ان تساعد في بلورة عدد من الفروض لبحوث اخرى بمجالات على نطاق واسع وذات علاقة مباشرة بهذا البحث .

هدف البحث :

يهدف هذا البحث الى كشف المشكلات التي تواجه ادارات المدارس الاعدادية للبنات في محافظة بغداد ويتضمن ذلك الاجابة عن الأسئلة التالية .

١ – ماهي المشكلات التي تواجه ادارات المدارس الاعدادية للبنات ؟
٢ – ماهي الأسباب الكامنة وراء هذه المشكلات ؟
٣ – ماهي المقترحات الملائمة لحلها ؟

حدود البحث :

يقتصر هذا البحث على المدارس الاعدادية للبنات في محافظة بغداد بجانبيها الكرخ والرصافة .

تعريف المصطلحات :

المشكلة –

هناك عدة تعريفات للمشكلة منها .

تعريف ديوي :

(انها حالة شك وارتباك يعقبها حيرة وتردد وتتطلب عملاً او بحثاً للتخلص من هذه الحالة واستبدالها بحالة شعور بالارتياح والرضا) (٥١ص٥)

تعريف ريزلي :

(هي حالة تحد تتطلب بحثاً وتحقيقاً او هي عبارة عن صعوبة تحتاج الى حل) (١٤ص٥)

تعريف حلمي :

(هي شيء يشعر به الفرد ولكنه لايجد حلاً مباشراً وهي الممثل الخارجي للحاجة) (١٦ص١٦)
وتتفق التعريفات السابقة على المشكلة بانها تمثل حالة من القلق وعدم الرضا بحاجة الى حل.

الادارة :

هناك عدة تعريفات للادارة نذكر منها .

تعريف الياس ويحيى

يقصد بالادارة حديثاً «تسيير الأعمال وتنظيم العلاقات بين افراد مجتمع معين بصرف اقل جهد في اقصر زمن للحصول على اجود ثمرة واعظمها »(٨ص ١٠)

تعريف روسيل كريك **Russel Gregg** .

حلل كريك العملية الادارية الى العناصر الأساسية التالية.

١ ـ توجيه Decision ٢ ـ تخطيط Planning ٣ ـ تنظيم Organizing ٤ ـ ومشاركة Communication ٥ ـ وتأثير Influencing ٦ ـ رتنسيق جهود العاملين Coordination ثم ٧ ـ تقويم النتائج Evaluation ان هذه العناصر الأساسية هي من وظائف الادارة وان نجاح الادارة يتوقف الى حد كبير على مدى تفهمها وتطبيقها لهذه العناصر وما تتركه هذه العناصر من أثر في سلوك الاداري (7 24 P 23)

تعريف لوثر كالك **Luther Gulick**

عبر لوثر كالك عن الادارة بانها عملية تنسيق وترتيب الفعاليات والنشاطات التالية .

١ ـ تخطيط ٢ ـ تنظيم ٣ ـ توظيف ٤ ـ توجيه ٥ ـ تنسيق ٦ ـ تسجيل التقارير ٧ ـ التمويل ٨ ـ الضبط والسيطرة (13 P 22)

تعريف ليبرمان :

يعرف الادارة بأنها « عملية اتخاذ القرارات التي توجه عمل الأشخاص وتنظم تخصيص الموارد المتاحة واستثمارها لتحقيق الأهداف المرسومة بأفضل صورة ممكنة» (١٣ص٦).

تعريف سليمان

« ان الادارة مجال من مجالات الخدمة في المجتمع ويقوم به فرد او مجموعة من الأفراد لديهم من المعرفة ، ولديهم من المواهب ، مايجعلهم يمارسون هذا العمل بخبرة ودراية ،

تكون في اغلب الظروف مبنية على اسس واصول (ثم انها تطبيق للمعلومات في ضوء ظروف تحتاج الى دراسة وفكر كما انها مجال للابتكار. وحسن التصريف. (١٠ ص٢٦) وتتفق التعريفات السابقة القديمة منها والحديثة على الادارة . من انها عملية تسير وتنسيق وتنظيم الأعمال المختلفة وتوجيه جهود العاملين . يقوم بها فرد او مجموعة افراد لديهم معرفة وخبرة وقابلية على الابداع والابتكار وحسن التصرف لتحقيق اهداف معينة بجهد أقل وبزمن اقصر للحصول على نتيجة افضل .

الادارة المدرسية : هناك عدة تعريفات للادارة المدرسية منها :

تعريف مرسي :

« يقصد بالادارة المدرسية كل نشاط منظم مقصود وهادف تتحقق من ورائه الأهداف التربوية المنشودة من المدرسة. والادارة المدرسية ليست غاية في حد ذاتها وانما هي وسيلة لتحقيق اهداف العملية التربوية (١٩ ص٥٧)

تعريف دمعة وآخرون :

« الادارة المدرسية هي جزء لايتجزأ من مجمل الادارة التربوية وبتعبير آخر هي اصغر وحدة ادارية في الهيكل التنظيمي التربوي حيث تمارس العملية الادارية فيها كما هو الحال في أي مستوى اداري آخر . آخذين في الاعتبار حجم ونوع اعمال ومسؤوليات الوحدات الادارية » (١٣ ص٥) .

تعريف سليمان :

« هو ذلك الكل المنظم الذي يتفاعل بايجابية داخل المدرسة وخارجها وفقاً لسياسة عامة وفلسفة تربوية تضعها الدولة رغبة في اعداد الناشئين بما يتفق واهداف المجتمع والصالح العام للدولة وهذا يقتضي القيام بمجموعة متناسقة من الأعمال والأنشطة مع توفير المناخ المناسب لاتمامها بنجاح » (١٠ص ٢٩٣) .

تعريف الطائي :

تتمثل بمجموعة من العمليات والنشاطات والفعاليات التربوية والتعليمية التي يقوم بها كافة العاملين لغرض تحقيق الأهداف المنشودة والمرسومة لها (٦ ص ٤٦).

تعريف (فوكس) :

« انها كل نشاط تتحقق من ورائه الأغراض التربوية تحقيقاً فعالاً منتجاً » (٢ص ١٠).

تعريف (بوراب) : Burrup

« يعرف الادارة المدرسية بقوله انها وسيلة لخلق التعاون المثمر الذي سيؤدي الى تحقيق اهداف المدرسة الثانوية وهي مسؤولية كل العاملين فيها») 20p49

يتضح مما تقدم من تعاريف ان هناك جانباً تتفق عليه معظم المصادر وان اختلفت في الصياغة القديمة منها والحديثة وهو. كون الاداره ـ مجموعة من النشاطات والأعمال المنظمة المقصودة والهادفة التي يقوم بها مجموعة من الأفراد « هيئة المدرسة» لديهم موهبة وخبرة في ممارسة عمليات ادارية وفنية لتهيئة الجو الصالح الذي تتم وتتحقق من ورائه اهداف العملية التربوية .

مشكلات الادارة المدرسية :

مشكلات الادارة المدرسية في هذا البحث تعني ـ هي كل مايعرقل سير العمل في المدرسة الاعدادية ويحول دون تحقيق اهدافها . والتي تم تأشيرها من قبل افراد العينة بنسبة عالية.

الدراسات السابقة

ان مشكلة ادارات المدارس الثانوية على اختلاف مراحلها وخاصة في المرحلة الاعدادية سبق وان عولجت في عدة بحوث نذكر ماتيسر منها في مجال الدراسة الحالية منها .

دراسة الجبوري ١٩٦٨

تهدف الباحثة الى دراسة المشكلات التي تواجه الادارة المدرسية وبرنامج المدير اليومي . وقد استخدمت الباحثه استفتاءً مغلقاً بني في ضوء استفتاء استطلاعي مفتوح وقد طبق الاستفتاء على عينة مؤلفة من (٢٢٨) مديراً ومديرة مدرسة ثانوية . كما قامت بزيارات ميدانية واعتمدت على تقارير المشرفين الاداريين واجرت مقابلة مع المسؤولين عن شؤون ادارة التعليم الثانوي في العراق وكانت من ابرز النتائج التي توصلت اليها الباحثة .

١ ـ ان جميع ادارات المدارس الثانوية خاضعة لنظام موحد حرمها من الابداع والابتكار الفردي .

٢ ـ ان اغلب اعمال مديري ومديرات المدارس تقتصر على النواحي الادارية والكتابية

٣ ـ ان بعض مديري ومديرات المدارس غير مؤهلين لممارسة الأعمال الادارية .

٤ ـ ان هناك تناقضاً بين التعليمات والنظم الصادرة من وزارة التربية والخاصة بواجبات المدير والتنظيم في المدرسة الثانوية.

٥ ـ ان ادارة مدارس البنين ومدارس البنات على السواء تجابه مشكلات كثيرة ومتنوعة برغم وجود فروق ظاهرة بين مشكلات هاتين الادارتين وقد اظهرت الدراسة ان هناك (٢١) مشكلة تواجه ادارة المدرسة الثانوية رتبت ترتيباً تنازليـــاً حسب حدتهـــا في ثلاثة مجالات

١ ـ المشكلات الادارية الخاصة بالمدرسين والمدرسات ٢ ـ المشكلات الادارية الخاصة بالطلاب وأوليائهم ٣ ـ المشكلات الادارية الخاصة بالمدرسة والمسؤولين . ومن ابرز مشكلات المجال الأول. الاجازات المرضية والاعتيادية للمدرسين والمدرسات ، المدرس الجديد ، أما فيما يخص المجال الثانوي فمن ابرز مشكلاته غياب الطلبة ، الأزياء والاهتمام بالمظهر ، دخول الطلبة الفرع العلمي والادبي اما المجال الثالث فمن ابرز مشكلاته هي مشكلات تعاون مديريات التربية مع ادارة المدرسة (٤).

دراسة البزاز وآخرون ١٩٧٤

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على المشكلات التي تواجه مديرو ومديرات المدارس الابتدائية اثناء تأديتهم لواجباتهم الادارية . وقد استخدم الباحث طريقتي المقابلة والاستبيان كأداة رئيسية لجمع المعلومات . تألفت عينة بحثه من (٤٢) مديرة ومديرمدرسة ابتدائية من محافظة بغداد ومن ابرز النتائج التي توصل اليها الباحث هـي .

ان ٧٠٪ من المديريين يشكون من مشكلة التنسيق والتعاون مع اولياء امور الطلبة . وان ٥٠٪ من المديريين يشكون من وجود شواغر في مدارسهم وعدم سدها في الوقت المناسب كذلك أظهرت هذه الدراسة عدم تعاون مديريات التربية مع ادارة المدارس وقلة الصلاحيات الممنوحة لهم وكثرة إجازات المعلمين والمعلمات وتأخر المعلمين في الوصول الى المدارس ومخالفة المعلمات فيما يتعلق بالانظمة المدرسية والزي الموحد (٣).

دراسة الرفاعي ١٩٧٩ .

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على المشكلات التي تواجه مديري ومديرات المدارس الثانوية المسائية في محافظة بغداد اولاً وعلى الفروق في تلك المشكلات بالنسبة لمتغير الجنس ثانياً . وقد استخدم الباحث ألاستفتاء كأداة بني على دراسة استطلاعية استخدم فيهـا اسلوب المقابلة كأداة رئيسية في جمع البيانات . وطبق ألاستفتاء على عينة مؤلفة من (٤٦) مدرسة ثانوية مسائية (٣٦) مدرسة منها للذكور و(١٠) مدارس للاناث . بعد تطبيـق

الاستفتاء على مديري ومديرات المدارس الثانوية المسائية ظهر ان هناك (٨٠) مشكلة تواجهها ادارة المدرسة الثانوية المسائية وقد رتبت تلك المشكلات حسب حدتها في سبعة مجالات هي مشكلات : —

١ — الطلبة وأولياؤهم .
٢ — هيئة التدريس .
٣ — الابنية المدرسية والتجهيزات .
٤ — المنهج والوسائل التعليمية والإمتحانات .
٥ — المسؤولون
٦ — العاملون والخدمات
٧ — الشؤون الادارية .

ومن أبرز مشكلات المجالات السبعة هي . كثرة غيابات الطلبة . ضعف تعاون اولياء امور الطلبة مع الادارة ، انخفاض المستوى العلمي للطلبة ، ضعف واقعية الطلبة نحو التعليم ، ضعف التزام الطلبة بتطبيق النظام ، انتشار ظاهرة الغش بين الطلبة اثناء الامتحان ، قلة عدد المدرسين على الملاك الدائم ، اعتماد هيئة التدريس على الالقاء في تقديم مادة الدرس ، ضعف التأهيل التربوي لبعض المحاضرين ، تحمل المدير مسؤولية الادارة دون الدعم الكافي من هيئة التدريس ، افتقار المدرسة إلى مكتبة والمختبرات ، كثرة التنقلات في ملاك المدرسين ، ندرة زيارة المشرفين الاختصاصيين للمدرسين ، نقص الوسائل التعليمية (١٢)

دراسة الطائي ١٩٨٠

يهدف الباحث من دراسته إلى الكشف عن المواقف والمشكلات التي يواجهها مديرو المدارس الثانوية ومديراتها في محافظة بغداد اثناء العمل المدرسي . والتعرف على القرارات التي يتخذها مديرو ومديرات المدارس الثانوية حيالها والأسس التي يعتمد عليها لاتخاذ القرارات وتقويمها وقد استخدم الباحث المقابلات والزيارات الميدانية وصمم استفتاءاً طبقه على عينة مؤلفة من (١٠٠) مدير ومديرة مدرسة ثانوية مسائية في بغداد وقد توصل الباحث إلى أن هناك (٣٢) مشكلة تواجه ادارة المدرسة وقد رتبت تلك المشكلات في ثلاثة (٣) مجالات ترتيباً تنازلياً حسب حدتها وهي :

١ ــ المواقف والمشكلات الخاصة بشؤون مع قراراتها واسسها .

٢ ــ المواقف والمشكلات الخاصة بالهيئة التدريسية مع قراراتها واسسها .

٣ ــ المواقف والمشكلات الخاصة بالادارة والمسؤولين مع قراراتها واسسها ومن ابرز مشكلات المجالات الثلاثة هي. غياب الطلبة ، ضعف المستوى العلمي ، الاهتمام بالقضايا المظهرية الزائفة ، التقصير في اداء الواجبات المدرسية ، الالتزام بالزي الموحد ، اعداد الخطة اليومية والسنوية ، ضعف المستوى العلمي لدى بعض المدرسين ، ضعف التعاون والانسجام بين الهيئة التدريسية والادارة ، مدى نجاح فاعلية مجالس الآباء والمدرسين حاجة اعضاء الهيئة التدريسية إلى تدريب (٦) .

وهكذا يتبين من الدراسات السابقة انها تتفق من ان ادارات المدارس الثانوية تعاني من مشكلات عديدة مصادرها كثيرة ومختلفة منها ١ ــ الطلاب وأولياؤهم ٢ ــ الهيئة التدريسية ٣ ــ الادارة والمسؤولون ٤ ــ الأبنية المدرسية والتجهيزات ٥ ــ المنهج والوسائل التعليمية والامتحانات ٦ ــ العاملون والمستخدمون اوضحت ذلك دراسة.

١ ــ الجبري فقد تناولت مشكلات ادارة المدارس الثانوية بوجه عام بنين وبنات عام ١٩٦٨ .

٢ ــ دراسة البزاز فقد تناولت دراسة المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الابتدائية بوجه عام بنين وبنات عام ١٩٧٤ .

٣ ــ دراسة الطائي وقد تناولت دراسة التعرف على المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الثانوية والتعرف على القرارات التي تتخذ حيالها وأسسها وتقويمها عام ١٩٨٠ .

٤ ــ دراسة الرفاعي فقد تناولت دراسة مشكلات ادارة المدارس الثانوية المسائية بوجه عام بنين وبنات ، عام ١٩٧٩ .

اما دراستنا الحالية هذه فتنحصر في التعرف على مشكلات ادارة المدرسة الاعدادية للبنات بوجه خاص. ان اهم ما يمكن استنتاجه من الدراسات السابقة هو ان بعض مشكلات ادارة المدرسة الثانوية خفت حدتها وتلاشت بمرور الزمن والبعض الآخر من المشكلات زادت حدته وظهرت مشكلات جديدة لم تكن موجودة من قبل وان بعض المشكلات كانت ولا زالت سائدة .

منهجية البحث

اولاً أداة البحث :

استخدام الاستفتاء اداة رئيسية لهذا البحث وقامت الباحثة ببناء الاستفتاء وفق الخطوات التاليـة :

آ ـ الاستفتاء الاستطلاعي المفتوح :

استخدم في بداية الأمر استفتاء مفتوح يتضمن ثلاثة أسئلة عامة . السؤال الأول يهدف إلى معرفة المشكلات التي تواجه ادارات المدارس الاعدادية للبنات مع ذكر مصادرها والسؤال الثاني يهدف إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء هذه المشكلات والسؤال الثالث يهدف إلى أهم المقترحات الملائمة لحلها وقد طبق الاستفتاء على عينة عشوائية مكونة من (٦) مدارس (٣) منها في جانب الكرخ و (٣) مدارس اخرىَ في جانب الرصافة لغرض جمع المعلومات .

(ب) الاستفتاء المغلق .

قامت الباحثة بتصميم استفتاء مغلق على ضوء الاستفتاء المفتوح . بعد تطبيق الاستفتاء المفتوح قامت الباحثة بتسجيل الإجابات الخاصة بكل سؤال وتنظيمها في جداول خاصة اعدت لهذا الغرض مسبقاً وكانت النتيجة هي حصول الباحثة على (٩٠) عبارة تمثل المشكلات بعد ذلك وحدت العبارات المتشابهة في معناها وصيغت بعبارة واحدة مما ادى إلى انخفاض عددها حيث اصبحت (٦٠) فقرة وبعد دراسة هذه الفقرات أمكن تصنيفها في خمسة مجالات رئيسية لسهولة دراستها .

(جـ) الصدق :

بعد الانتهاء من اعداد الاستفتاء المغلق قامت الباحثة على لجنة التحكيم من الخبراء والاساتذة المختصين بهذا المجال(*) لدراسته وبيان آرائهم في مدى صلاحية فقراته للقياس

(*)

(١) الاستاذ جمال حسين الآلوسي
(٢) الدكتور خالص ابراهيم ادهم
(٣) الدكتور اسماعيل لازم الهاشل
(٤) الاستاذ نجدت قاسم الصالحي
(٥) الدكتور علاء كامل صالح العمر
(٦) الاستاذ حمد عبدالمجيد الكبيسي
(٧) الاستاذ اكرم ابراهيم اسماعيل
(٨) الاستاذ علي هداد رهيف
(٩) الست فوزية علي صالح السامرائي

ما وضعت من أجله وتعديل العبارات غير المناسبة . بعد ذلك عدلت بعض العبارات وحذف بعضها في ضوء اقتراحات الخبراء وبعد الدمج والتصحيح والتعديل انخفض عدد الفقرات من (٦٠) فقرة إلى (٣٩) فقرة ثم عرضت القائمة مرة أخرى على لجنة من الخبراء وبعد ان ابدى الخبراء موافقتهم على صلاحيتها اصبحت القائمة بشكلها النهائي . وبذلك تألف الاستفتاء النهائي من (٣٩) فقرة موزعة على خمسة مجالات ثم بعد ذلك تطبيق الاستفتاء النهائي على عينة البحث الرئيسية المؤلفة من (١٤) مدرسة اعدادية للبنات في محافظة بغداد (٧) مدارس في جانب الكرخ و (٧) مدارس اخرى في جانب الرصافة .

(د) الثبات :

طبق الاستفتاء على عينة محدودة وبعد مرور مدة اقل من شهر طبق مرة اخرى على المجموعة لحساب ثبات الاستفتاء بطريقة اعادة تطبيقه Test–Retest على العينة نفسها ومن ثم حساب معامل الثبات عن طريق استخدام معادلة ارتباط (بيرسون) (١١ص٤٢٤) وقد ظهر ان معامل ثبات الاستفتاء يساوي ٩٠٪ وهو ثبات مقبول في مثل هذه الحالات.

ثانياً– العينة

يشمل المجتمع الاصلي للبحث جميع المدارس الاعدادية للبنات الواقعة في محافظة بغداد وقد بلغ مجموعها (٢٨) مدرسة اعدادية (١٢) مدرسة تقع في جانب الكرخ وتشرف عليها مديرية تربية الكرخ و (١٦) مدرسة تقع في جانب الرصافة وتشرف عليها مديرية تربية الرصافة وفي ضوء ذلك قامت الباحثة باختيار عينة بالطريقة الطبقية العشوائية راعت في اختيارها معيارين هما ١ – التوزيع الجغرافي ٢ – التوزيع الاقتصادي والاجتماعي اي ان مدارس العينة تمثل مناطق مختلفة من محافظة بغداد وكذلك تمثل بيئات ذات خصائص اجتماعية واقتصادية متباينة وممثلة لخصائص المجتمع الاصلي .

(أ) العينة الاستطلاعية .

لأجل الحصول على عينة استطلاعية ممثلة للمجتمع الاصلي قسمت الباحثة مدارس المجتمع الأصلي إلى قسمين ١ – مدارس منطقة الكرخ ٢ – مدارس منطقة الرصافة

وبعد ذلك تم اختيار عينة استطلاعية بالطريقة العشوائية تتألف من (٦) مدارس اعدادية للبنات منها (٣) مدارس تقع في منطقة الكرخ و (٣) مدارس اخرى تقع في منطقة الرصافة . ويوضح جدول رقم (١) اسماء مدارس العينة الاستطلاعية .

جدول رقم (١)

المنطقة	اسم الحي	اسم المدرسة
	الاعظمية/ الشباب	اعدادية الاعظمية للبنات
الرصافة	ثورة/ جوادر	اعدادية خولة بنت الازور
	الزعفرانية	اعدادية المروج
	الكاظمية	اعدادية الكاظمية
الكرخ	المنصور	اعدادية بغداد النموذجية
	المتنبي	اعدادية الكفاح العربي

(ب) العينة الرئيسية

لقد اختيرت بالطريقة العشوائية لكل من المدارس الاعدادية للبنات في محافظة بغداد لجانب الكرخ والرصافة وفقاً للمعيارين التاليين . (١) التوزيع الجغرافي (٢) التوزيع الاقتصادي والاجتماعي . تم اختيار (٧) اعداديات في جانب الكرخ و(٧) اعداديات في جانب الرصافة فبلغ حجم العينة الرئيسية (١٤) مدرسة اعدادية بنسبة ٥٠٪ من مجموع الاعداديات للبنات في محافظة بغداد كما هو موضح في جدول رقم (٢)

(ج) الوسائل الاحصائية

استخدمت الباحثة الوسائل الاحصائية التالية في تحليل بيانات البحث .

١ - النسب المئوية - لمعرفة نسب اجابات افراد العينة حول كل فقرة من فقرات الاستفتاء ولمعرفة نسب مجالاته

٢ - قانون فيشر «Fischer» لاستخراج حدة المشكلة في كل مجال ولاستخراج حدة كل مجال (21) .

٣ - معامل ارتباط «بيرسون» لحساب معامل ثبات الاستفتاء (١١ص ٤٢٤)

جدول رقم (٢)

المنطقة	اسم الحي	اسم المدرسة
الرصافة	حي ١٤ تموز	اعدادية القناة للبنات
	القاهرة	اعدادية البعث
	الجمهورية / الخلفاء	اعدادية المركزية
	المغرب/ الصرافية	اعدادية الحريري
	ثورة/ جوادر	اعدادية خولة بنت الازور
	الاعظمية/ الشباب	اعدادية الاعظمية
	الزعفرانية	اعدادية المروج
الكرخ	الكاظمية	اعدادية الكاظمية
	الحرية	اعدادية الحرية
	المنصور	اعدادية الرسالة
	المتنبي	اعدادية الكفاح العربي
	اليرموك	اعدادية المأمون
	العامل	اعدادية المصطفى
	المنصور	اعدادية بغداد النموذجية

عرض النتائج وتحليلها

بعد تفريغ نتائج البحث واستخدام الوسائل الاحصائية التي ذكرت في منهجية البحث أظهرت نتائج البحث ان هناك (٣٩) مشكلة تواجه ادارة المدرسة الاعدادية البنات وقد صنفت هذه المشكلات في خمس مجالات رئيسية ورتبت تلك المجالات ترتيباً تنازلياً تبعاً لحدتها كما هو موضح في جدول رقم (٣) حيث احتل مجال المنظمات الاجتماعية المرتبة الاولى ويليه في المرتبة الثانية مجال الطالبات ثم مجال المدرسات اللذي احتل المرتبة الثالثة ومجال السلطات التعليمية في المرتبة الرابعة وأخيراً مجال المشكلات الادارية الأخرى فيما يخص (الابنية المدرسية، الكتب، المكتبة، الوسائل التعليمية، الأثاث والاجهزة) كما رتبت مشكلات كل مجال ترتيباً تنازلياً تبعاً لحدتها وسنعرض فيما يلي النتائج المتعلقة بكل

مجال من هذه المجالات وبالنظر لكثرة عدد المشكلات في كل مجال فسيتم تحليل وتفسير المشكلات التي تجاوزت حدتها الواحد .

جدول رقم (٣) يوضح مراتب مجالات المشكلات

التسلسل	مجالات المشكلات	مجموع التكرار	عدد الفقرات	الحدة
	المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية فيما يخص المنظمات الاجتماعية والامهات	٢٦	٢	١,٨٥٧
٢	المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية فيما يخص الطالبات	١٠٤	٩	١,٦٧٥
٣	المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية فيما يخص الهيئة التعليمية (المدرسات)	٨٩	٩	١,٤٧٦
٤	المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية فيما يخص السلطات التعليمية وتشمل (موظفي مديريات التربية والوزارة والمشرفات التربويات)	٨٣	١٢	١,١٨٤
٥	المشكلات الادارية الاخرى فيما يخص الابنية المدرسية ، الكتب ، المكتبة ، الوسائل التعليمية ، الأثاث والأجهزة.	٤٩	٧	,٩٦٢

النتائج المتعلقة بمجال المنظمات الاجتماعية والامهات .

جدول رقم (٤) يوضح النسبة المئوية ومراتب المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية للبنات فيما يخص المنظمات الأجتماعية والامهات وذلك حسب حدة كل منها .

التسلسل	المشكلات	التكرار	النسبة	حدة المشكلة
١	قلة تجاوب الامهات مع مجالس الآباء والمدرسين	١٤	١٠٠٪	٢,٠
٢	انحياز بعض طالبات الأتحاد إلى جانب الطالبات المقصرات	١٢	٨٥,٧٠٪	١,٧١٤

اولاً ــ قلة تجاوب الامهات مع مجالس الآباء والمدرسين.

احتلت هذه المشكلة المرتبة الأولى من هذا المجال وكانت حدتها ٢,٠ كما هو مبين في جدول رقم (٤) فهي مشكلة خطيرة جديرة بالبحث والاهتمام . ان التنظيمات الأجتماعية سمة من سمات المجتمع الديمقراطي التقدمي القومي الاشتراكي من اجل ايجاد الحلول للمشكلات الاجتماعية والتعاون مع الأسر والافراد لتجاوز كثير من المتاعب ولتحقيق اهداف مرسومة تبغي قيادة مجتمعنا الوصول اليها .

لقد اصبح اشتراك الامهات مع المدرسة من أوجب وأهم الأمور التربوية التي تمس حياة الطالبة في المرحلة الاعدادية . تعتبر مجالس الاباء والمدرسين من أفضل الوسائل لتحقيق التعاون المستمر بين البيت والمدرسة فعن طريقها يتم تبادل الخبرات والمعلومات والتعرف على الاخرين وابداء المقترحات والاستماع إلى مقترحات الاخرين من أجل تنمية شخصية الطالبة تنمية متكاملة متزنة والوقوف على درجة تقدمها ونموها وميولها وقدراتها واشباع حاجاتها النفسية ان انفصال البيت عن المدرسة يؤدي إلى انفصال المدرسين عن الآباء وهذا بدوره يؤدي إلى انعدام التعاون بين البيت والمدرسة ويقلل تجاوب الامهات مع المجالس ومن الاسباب الاخرى لقلة تجاوب الامهات مع المجالس يرجع إلى :

١ ــ جهل الأم بأمور التعليم وخصائص مراحل النمو والمشاكل التي ترافق كل مرحلة.

٢ ــ ضعف ايمان معظم الأمهات برسالة مجالس الاباء والمدرسين .

٣ ــ تضارب وقت الاجتماع مع وقت الأم الموظفة .

٤ ــ طغيان روح اللامبالاة والإهمال والكسل لدى بعض الامهات .

٥ — عدم مراعاة الادارة بعض الاعتبارات الرئيسية في تعاملها مع الامهات كالاحترام والتقدير وفسح مجال المناقشة وتبادل الاراء .

٦ — عدم الإستعداد والتهيؤ لمجالس الآباء والمدرسين من قبل الامهات والمدرسات .

ثانيا — انحياز بعض طالبات الاتحاد إلى جانب الطالبات المقصرات :

عند ملاحظة جدول رقم (٤) يتضح لنا أن هذه المشكلة احتلت المرتبة الثانية وبحده مقدارها ١٫٧١٤ فهي مشكلة خطيرة جديرة بالإهتمام لحدتها . مما لا شك فيه أن هناك بعض العضوات في الإتحاد الوطني لطلبة وشباب العراق لم يدركن المهمة الملقاة على عواتقهن اذ أن بعضهن يعتقدن أن مهمة هذا التنظيم هو الوقوف بجانب الطالبة المقصرة وهذا قصور في ادراك الهدف من هذا التنظيم إن هذا التنظيم وجد للتعاون مع الادارة والمدرسات في سبيل تحقيق الإنسجام بين المدرسات والطالبات والعمل في سبيل تحقيق مستوى علمي افضل وهدف تربوي اسمى وبالتالي التعاون على انجاح العملية التربوية بالشكل الأمثل .

إن اسباب هذه المشكلة كثيرة نذكر منها :

١ — غرور بعض الطالبات عند احتلالهن موقع قيادة الطالبات .

٢ — حب الظهور عند بعض الطالبات ونيل رضا جميع الطالبات على حساب مبدأ (انصر أخاك ظالماً او مظلوماً) .

٣ — عدم معرفتها بواجباتها وحقوقها على وجه الدقة فتتدخل في قضايا لا تعنيها.

٤ — ضعف العلاقة بين الادارة واللجنة الإتحادية وانعدام التعاون بينهما

٥ — تمرد الطالبة الإتحادية احياناً على مرقمها الحقيقي كطالبة واهمال (الحضور والتحضير والزي الموحد والنظام والقاعدة المثلى) والتصرف بحجم المسؤولية المهنية التي تعطيها للتسيرا بعيدة عن توجيه المكتب التنفيذي ومكتب السكرتارية .

أولاً — طغيان روح اللامبالاة على روح الطموح :

احتلت هذه المشكلة المرتبة الاولى في هذا المجال وكانت حدتها ١٫٧ كما هو موضح في الجدول اعلاه رقم (٥) إن هذه الظاهرة أخذت تزداد في الآونة الأخيرة بين طالبات المرحلة الاعدادية لأسباب عديدة منها .

١ — كثرة فرص العمل في دوائر الدولة والشركات الاهلية

جدول رقم (٥) يوضح النسبة المئوية ومراتب المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية للبنات فيما يخص الطالبات وذلك حسب حدة كل منها.

التسلسل	المشكلات	التكرار	النسبة	حدة المشكلة
١ ـــ	طغيان روح اللامبالاة على روح الطموح	١٤	١٠٠ ٪	٢,٠
٢ ـــ	عدم الاستناد على معايير في اختيار الفرع العلمي والادبي	١٤	١٠٠ ٪	٢,٠
٣ ـــ	قلة التركيز والانتباه اثناء المحاضرة	١٤	١٠٠ ٪	٢,٠
٤ ـــ	كثرة غيابات الطالبات	١٣	٩٢,٨٦ ٪	١,٨٥٧
٥ ـــ	ندرة الاهتمام بالتحضير اليومي	١٣	٩٢,٨٦ ٪	١,٨٥٧
٦ ـــ	المغالاة في الاهتمام بالمظهر	١٣	٩٢,٨٦ ٪	١,٨٥٧
٧ ـــ	قلة المحافظة على الأثاث والكتب المدرسية	١٢	٨٥,٧ ٪	١,٧١٤
٨ ـــ	تفشي عادة الغش	٦	٤٢,٨٦ ٪	٠,٩٢٩
٩ ـــ	تفشي عادة السرقة	٥	٣٥,٧٠ ٪	٠,٧٨٦

٢ ـــ الاخفاق في التحصيل الدراسي والخوف من الرسوب في الإمتحان الوزاري
٣ ـــ سوء الظروف البيتية الناتجة من انعدام الإنسجام بين الوالدين ، سوء معاملة وقسوة احد الوالدين أو كليهما ، سوء الوضع الإقتصادي للعائلة ، وفاة احد الوالدين أو كليهما .
٤ ـــ قلة المتابعة والارشاد والتوجيه من قبل الوالدين والمدرسة .
٥ ـــ الزواج وكبر حجم المسؤولية الملقاة على عاتقها وانشغالها بشؤون البيت والاهتمام بالزوج ورعاية الأطفال .
٦ ـــ المردود المادي للعمل اصبح اكثر ربحاً من المردود المادي للعمل الذي يعتمد على الشهادة والتعيين وفق الرواتب المحددة الحكومية .

كما اظهرت نتائج دراسة الباحث أن قلة الاهتمام والانتباه اثناء المحاضرة من المشكلات الهامة فقد احتلت المرتبة الثالثة وبنسبة مئوية مقدارها ٩٢٪ وكانت حدتها ٣٤٣,١ يرجع سببها

الى تقصير الهيئات التدريسية في أداء دورهم كمربين في إثارة دوافع واهتمامات الطلبة نحو التعلم وتشويقهم عن طريق توفير الأجواء التربوية والنفسية في المدرسة . ويمكن أن تكون المناهج الدراسية لا تتلاءم ومستوى الطلبة وميولهم . كذلك عدم تفرغ الطلبة للدراسة والتعب والإرهاق ومتطلبات حياتهم وارتباطاتهم الشخصية والعائلية من الأسباب التي تكمن وراء قلة دافعية الطلبة نحو التعلم (١٢ص ٩٩)

ثانياً ــ عدم الاستناد على معايير علمية في اختيار الفرع العلمي والادبي

احتلت هذه المشكلة المرتبة الأولى ايضاً وبلغت حدتها ٢,٠ فهي اذن مشكلة خطرة جديره بالإهتمام . انظر جدول رقم (٥) وقد ترجع اسباب هذه المشكلة الى :

١ ــ عجز المرحلة المتوسطة من ارشاد الطالبة وتوجيهها الى الفرع الذي يلائم ميولها وقابلياتها .

٢ ــ تحكم الآباء في مستقبل الأبناء وإختيار فرع التخصص بناء على رغبة الوالدين.

٣ ــ اختيار الطالبة فرع التخصص على أساس المركز الإجتماعي .

٤ ــ إختيار الطالبة فرع التخصص بناء على مجموع الدرجات .

٥ ــ إختيار الطالبة فرع التخصص لإشباع غريزة حب الظهور ولسد نقص تشعر فيه دون مراعاة قابليتها وميولها .

أشارت البحوث التربوية والنفسية أن الكثير من الميول والقابليات لا تظهر في سن مبكر (المرحلة الإبتدائية) وإنما تظهر بعد أن يجتاز الطالب المرحلة الاولى . لذا فأن وجود مرشد مهني وتربوي في المرحلة المتوسطة والأعدادية أمر ضروري جداً . والمقصود بالتوجيه المهني «هو الكشف عن قابليات الفرد بغية توجيهه شطر المهنة التي هولها أهياً ، أو شطر الدراسة التي يملك لها الإستعداد الأكبر» (٩ص ١٩٣) .

فقد أظهرت دراسة الجبوري هي الاخرى من أن هذه المشكلة تواجه إدارة المدرسة الثانوية بصورة عامة وإدارة المدرسة الأعدادية بصورة خاصة كما أشارت الى أن إختيار فرع التخصص يجب أن يبنى على الأسس التالية

١ ــ الميل الى دراسة فرع التخصص .

٢ ــ القدرة على تحصيل مواد التخصص .

٣ ــ فرع التخصص يجب أن يؤدي الى نوع التخصص في الدراسة العالية .

٤ ــ إستناداً الى فحوص الذكاء والقدرات العقلية (٤ص ٢٧٣) .

ثالثاً — قلة التركيز والانتباه اثناء المحاضرة.

إن هذه المشكلة هي ألاخرى فقد احتلت المرتبة الاولى وجاءت بحدة مقدارها ٢,٠ كما هو مبين في جدول رقم (٥) . ولقد اكدت الدراسة التي اجريت عام ١٩٨٠ حول التعرف على المشكلات المدرسية للطالب في المرحلة المتوسطة من أن عدم الميل الى المذاكرة أو عدم القدرة على تركيز الانتباه أثناءها لا تزال مشكلة حادة وإن إنخفضت نسبتها خلال السنوات العشر الأخيرة (١٩٦٨ — ١٩٧٨) (١٨ص ٤٥)

تعتقد الباحثة أن أسباب هذه المشكلة كثيرة نذكر منها .

١ — سوء طريقة التدريس والإعتماد على الطريقة التلقينية القديمة التي تعتمد على الحفظ والتسميع لا المناقشة والإستجواب.

٢ — كثرة المواد الدراسية وصعوبتها وعدم إستذكارها في وقتها .

٣ — وقوع الطالبة في مشكلات عاطفية تؤثر على عملها المدرسي وتشل نشاطها وتسيطر عليها فتصبح عاجزة عن الانتباه والتركيز والمتابعة .

٤ — عدم ملاءمة المنهج لميول الطالبات وجفاف وجمود المواد الدراسية وعدم صلتها بخبرات حياتها اليومية إضافة الى إرتباطها بالإمتحانات والنجاح والفشل مما يجعلها بقلق دائمي وإنتباه مشتت .

٥ — وضع الطالبة في صف لا يناسب قواها وقدراتها العقلية .

٦ — ضيق الصف وازدحامه بالطالبات .

٧ — الظروف البيتية القاسية .

٨ — سوء صحة الطالبة وإصابتها ببعض ألامراض المزمنة أو قد تعاني من فقر الدم أو الضعف العــام .

٩ — قد يكره التلميذ مادة معينة لأرتباطها بكرهه لمدرس معين فكراهية التلميذ للمدرس تنتقل الى المادة التي يدرسها والى الكتاب الذي يتضمن هذه المادة فلا يستطيع تركيز إنتباهه فيها .

رابعاً — كثرة غيابات الطالبات

يوضح الجدول رقم (٥) إن هذه المشكلة احتلت المرتبة الثانية وكانت حدتها ١,٨٥٧ . ومما تجدر الإشارة اليه إن هذه المشكلة زادت حدة عما كانت عليه قبل عدة سنوات . فقد

أظهرت نتائج دراسة الجبوري ان هذه المشكلة احتلت المرتبة العاشرة وبنسبة ٣٧,٣٪ لم تكن مشكلة خطره ويعزو الجبوري السبب من أن البنت كانت اكثر حرصاً مما هي عليه الآن . كما اظهرت نتائج دراسة الرفاعي أن ١٠٠٪ من مديري المدارس الثانوية المسائية يعانون منها وتعتبر من المشكلات الرئيسية حيث بلغت حدتها ١,٨٢ ويعزو الرفاعي السبب الى ضعف ملاءمة المنهج لطبيعة هذه المدارس وصعوبة بعض المواد الدراسية وعدم انسجام الوسط الاجتماعي داخل الصف . أما نتائج دراسة الطائي (تصدرت هذه المشكلة المشكلات التي عالجتها اداة البحث في ضوء استجابات أفراد العينة حيث بلغت نسبتها المئوية ٩٧٪ ومعنى هذا أن معظم أفراد عينة البحث وهم مديرو المدارس الثانوية ومديراتها يشعرون بخطورة هذه المشكلة من حيث تأثيرها على سير العملية التعليمية وما تسببه من بطء في النمو المعرفي لدى الطلبة وانخفاض المستوى التعليمي والإضطراب الذي يصيب سير العمل المدرسي وما يؤدي اليه من نتائج سلبية تشمل الاهدار وكذلك تسرب الطلبة وعدم إمكانية تحقيق أهداف التعليم الثانوي) (٦ص ١٤٦) .

ترى الباحثة أن الأسباب التي تكمن وراء هذه المشكلة كثيرة نذكر منها :

١ ـ سوء الظروف الإجتماعية والإقتصادية والإنفعالية لدى الطالبات .

٢ ـ قلة حرص الطالبات .

٣ ـ المرض والتراخي والكسل .

٤ ـ كثرت الإمتحانات وصعوبة بعض المواد الدراسية وعدم ملاءمة المنهج لميول وقدرات وقابليات الطالبات .

٥ ـ عدم ممارسة الادارة أسلوب الإرشاد والتوجيه وانعدام الدقة في حصر الغيابات .

٦ ـ ضعف في قدرات الطالبة العقلية ونقص في ذكائها .

٧ ـ ذكاء الطالبة العالي حيث ترى أن ما تدرسه من مواد دون مستواها فحضورها وعدم حضورها لا يؤثر عليها إضافة الى جمود وجفاف بعض المواد الدراسية التي ليس لها صلة بخبرات حياتها اليومية .

خامساً ـ ضعف الاهتمام بالتحضير اليومي.

احتلت هذه المشكلة المرتبة الثانية كما هو موضح في جدول رقم (٥) وكانت حدتها ١,٨٥٧ فهي مشكلة خطرة جديرة بالبحث .

كما أشارت نتائج دراسة الطائي بأن مشكلة تقصير الطلبة في أداء واجباتهم من المشكلات القائمة في المدارس الثانوية في العراق فقد احتلت هذه المشكلة المرتبة الخامسة وبنسبة ٩٣٪ وهذه نسبة مرتفعة تثير إهتمام المديرين والمديرات بعلاجها ووضع الحلول لها (٦) لا يمكن للتحصيل المدرسي أن يتحقق بالإقتصار على الوقت المحدد للدرس في الصف لعدم كفايته . فالواجبات تساعد على إنهاء الأعمال والتمارين التطبيقية لما وضحه المدرس داخل الصف من معلومات نظرية كما أنها تعتبر من وسائل التربية الأخلاقية التي تساعد الفرد على تحمل المسؤولية وانجاز الواجب بالاعتماد على النفس والنشاط الذاتي كما تنمي القدرة على البحث العلمي والتقصي والرجوع الى المصادر ذات الصلة بالموضوع (١٨ ص٤٤) إن أسباب هذه المشكلة كثيرة نذكر منهـا .

١ — عدم متابعة بعض المدرسات للتحضير اليومي وانعدام ثواب اللائي يحضرن .

٢ — سوء طريقة التدريس واتباع المدرسة الطريقة التقليدية التلقينية القديمة .

٣ — أسباب إقتصادية أو ظروف أسرية .

٤ — اللامبالاة وعدم الشعور بالمسؤولية .

٥ — عدم إستخدام المحفزات واسلوب الارشاد والتوجيه ومساعدة الطالبات في حل مشاكلهن الخاصة .

٦ — كثرة مجالات التسلية والترفيه إضافة الى وسائل الاعلام المختلفة من إذاعة الى تلفزيون الى جهاز الفيديو — تيب .

سادساً — المغالاة في الاهتمام بالمظهر.

أهتمت مديرات المدارس بهذه المشكلة فجاءت بالمرتبة الثانية من خلال أستجاباتهن حيث بلغت حدتها ٪٥٨٫١ كما هو مبين في جدول رقم (٥) . وقد دلت نتائج البحوث التربوية «على ان الرضا عن النفس يجعل الفتاة تهتم بنفسها وبمظهرها الخارجي وأن هذا الاهتمام يتوقف على البيئة التي نشأت فيها الفتاة » (٤ ص ٢٦٥) أشارت نتائج دراسة الجبوري أن مشكلة الاهتمام بالمظهر بالنسبة لفترة المراهقة كانت من المشاكل التي صنفت أدارة المدرسة الثانوية والمسؤولين في وزارة التربية حيث احتلت المرتبة الرابعة وبتكرار مقداره ٤٤٫٩٪ بينما أظهرت نتائج دراسة الطائي من أن هذه المشكلة احتلت المرتبة الثالثة حيث بلغت نسبتها المئوية ٩٤ ٪ حيث أعتبرت « ظاهرة قد

تؤدي الى بروز نوع من التناقض الاجتماعي والطبقي بين الطلبة مما يخل النظام المدرسي (٦ص ١٥٩) نستنتج مما تقدم بأن هذه الظاهرة أزدادت حدة بمرورالزمن وتعتقد الباحثة أن هناك عدة عوامل تكمن وراء هذه المشكلة أهمها .

١ — زيادة دخل العائلة وتحسين مستوى المعيشة

٢ — تهاون وضعف بعض المديرات في تطبيق التعليمات التي تصدرها وزارة التربية حول تطبيق الزي الموحد

٣ — حب الظهور عند الطالبة المراهقة أي الحاجة الى جذب أنتباه الاخرين اليها .

٤ — قلة الارشاد والتوجيه

٥ — الافلام والمجلات التي تبرز البطلات في أزياء غير محتشمة

٦ — وفرة الملابس الجاهزة بكثرة والكماليات والبضائع الوطنية والاجنبية المستوردة سابقاً — قلة المحافظة على الآثاث والكتب المدرسية.

احتلت هذه المشكلة كما هو مبين في جدول رقم (٥) المرتبة الثالثة وبحدة مقدارها ١,٧١٤. تواجه ادارات المدارس اثناء اليوم المدرسي بعض المشكلات التي تؤثر على النظام العام للمدرسة . والتي تقوم بها بعض الطالبات والمراهقات في تخريب الآثاث المدرسي والعبث بالجداول وتمزيق الكتب وستائر النوافذ وتكسير المناضد والمقاعد وتخريب الوسائل التعليمية « وسبب ذلك ان نشاطهن العام في دور المراهقة يزداد بنشاط غددهن الجنسية ويزداد نموهن » ودور المراهقة يتميز ببعض الرعونة في الحركة وبعض النقص في التنسيق الحركي لذا يكثر الميل الى التخريب في هذا الدور وخاصة لدى من كان ذكاؤهن أقل من العادي (٤١ ص١٩) كما احتلت هذه المشكلة المرتبة العاشرة فيدراسة الطائي وبنسبة مئوية مقدارها ٧٩٪ ويعزو الطائي سبب هذه المشكلة الى انفعالات الطالبات وعدم التوفيق بين حاجات المراهقات وما يقتضيه النظام المدرسي وقلة تعاون البيت مع المدرسة (٤ص ١٩٠).

هنالك أسباب كثيرة تكمن وراء هذه المشكلة أهمها :

١ — سوء الحالة الجسمية فالتهيج او العصبية ونفاذ الصبر كلها من مظاهر الحالة الصحية السيئة .

٢ — الحسد ، الكراهية ، الغيرة ، الشعور بالنقص .

٣ — عدم انسجام الوالدين او فقدان احدهما .

٤ ــ قلة الارشاد والتوجية

٥ ــ تعرض الطالبة لظلم سواء كان مقصود او غير مقصود من الادارة .

٦ ــ تساهل الادارة مع الطالبات المخربات وعدم معاقبتهن بتعويض وتصليح مايتلف لردعهن عن الاستمرار في هذا النوع من السلوك العدواني .

٧ ــ عدم اشباع حاجتها النفسية في مرحلة الطفولة كالحاجة الى الأمن والطمأنينة والحاجة الى المغامرة والاستطلاع والحاجة الى تقدير الاخرين والحاجة الى الحب المتبادل .

النتائج المتعلقة بمجال الهيئة التدريسية (المدرسات)

جدول رقم (٦) يوضح النسبة المئوية ومراتب المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية فيما يخص الهيئة التعليمية (المدرسات) وذلك حسب حدة كل منها.

التسلسل	المشكلات	التكرار	النسبة	حدة المشكلة
١ ــ	كثرة الاجازات المرضية والاعتيادية واجازة الامومة والحمل	١٣	%٩٢,٨٦	١,٨٥٧
٢ ــ	قلة اهتمام بعض المدرسات بالإلتزام بالزي الموحد	١٣	%٩٢,٨٦	١,٨٥٧
٣ ــ	ضعف تعاون بعض المدرسات مع الادارة	١٢	%٨٥,٧	١,٧٨٦
٤ ــ	ضعف الكفاءة العلمية لدى بعض المدرسات	١٢	%٨٥,٧	١,٧٨٦
٥ ــ	قلة خبرة المدرسة الجديدة	١٢	%٨٥,٧	١,٧٨٦
٦ ــ	قلة التزام بعض المدرسات بالخطة اليومية والسنوية	١٠	%٧١,٤٣	١,٤٢٩
٧ ــ	كثرة تأخر بعض المدرسات عن الدرس الأول	٧	%٤٢,٨٦	٠,٩٢٩
٨ ــ	قلة خبرة المدرسة المسنة القديمة	٦	%٤٢,٨٦	٠,٨٥٧
٩ ــ	شيوع ظاهرة عدم تبادل الاحترام بين بعض	٥	%٣٥,٧١	٠,٧٨٦

اولاً ــ كثرة الإجازات المرضية والاعتيادية وإجازة الامومة والحمل

أحتلت هذه المشكلة المرتبة الاولى في هذا المجال وكانت حدتها ١,٨٥٧ كما هو موضح اعلاه في جدول رقم (٦) هناك عدة أسباب لتك[illegible] الشكلة منها .

١ ـ سوء الحالة الصحية .

٢ ـ الظروف البيتية المضطربة .

٣ ـ عدم الرغبة في مهنة التعليم .

٤ ـ عدم تعاون الادارة مع المدرسة في حل مشكلاتها الرسمية والخاصة .

٥ ـ كثرة مسؤوليات المدرسة داخل البيت لكبر حجم العائلة وعدم وجود من يعينها في شؤون البيت .

٦ ـ أصابة الزوج أو الاطفال ببعض الامراض وملازمتهم الفراش .

وتؤيد دراسة الجبوري ماتوصلنا اليه من نتائج بخصوص هذه المشكلة فقد احتلت هذه المشكلة في دراستها المرتبة الأولى وقد جاءت بتكرار مقدار نسبته ٨١ ٪ (٤).

ثانياً ـ قلة اهتمام بعض المدرسات بالإلتزام بالزي الموحد.

احتلت هذه المشكلة المرتبة الاولى وكانت حدتها ٧٥٨, ١ كما هو موضح في جدول رقم (٦) أن عدم التزام بعض المدرسات بالزي المدرسي الموحد معناه عدم الالتزام بتطبيق النظام وانعدام التعاون والانسجام والشعور بالمسؤولية في المحيط المدرسي وأسباب هذه المشكلة عديدة منها .

١ ـ تساهل وتواطؤ بعض المديرات مع بعض المدرسات في عدم الألتزام بالزي المدرسي الموحد .

٢ ـ حب الظهور عند بعض المدرسات وجذب انتباه بقية المدرسات .

٣ ـ الملل من ارتداء الزي الموحد يومياً والرغبة في التنويع والتغيير . وتؤكد دراسة البزاز هي الاخرى من أن ٥٢ ٪ من مديرات المدارس الابتدائية يشكون من مشاكسة بعض المعلمات فيما يتعلق بالالتزام بالزي الموحد بالرغم من أن التعليمات التعليمية قد الزمت المعلمات والمدرسات بلباس زي موحد ذات الوان معدودة الا أن بعض المعلمات يستغلن الفرص والمناسبات ويختلقن المبررات لخرق هذا النظام .

ثالثاً ـ ضعف تعاون بعض المدرسات مع الادارة

يوضح الجدول رقم (٦) أن هذه المشكلة احتلت المرتبة الثانية فكانت حدتها ١,٧٨٦ . أن المدرسة لاتنجح في مهمتها وتحقيق أهدافها التربوية والتعليمية مالم يكن هنالك تعاون

وانسجام جماعي مشترك بين العاملين فيها من مديره ومعاونه ومدرسه وموظفه ومستخدمه. لكن للاسف الشديد نجد أن بعض المدارس ينقصها التعاون والأنسجام بين العاملين فيها وهذا يعود لأسباب عديدة منها.

١ ــ رداءة الصحة العامة للمدرسة وإصابتها ببعض الأمراض النفسية كالشعور بالنقص.

٢ ــ كبر سنها.

٣ ــ نقلها الى مدرسة لاترغب التدريس فيها.

٤ ــ الطموح والمنافسة على أدارة المدرسة وحقدها على مديرة المدرسة التي جاءت بديلا عنها.

٥ ــ عدم تلبية رغبة المدرسة في اختيار الدروس التي تفضل تدريسها وفرض الدروس عليها دون أخذ رأيها.

٦ ــ تحيز الادارة الى بعض المدرسات والتفرقة في توزيع الدروس وبقية الاعمال.

٧ ــ عدم وقوف الادارة الى جانب المدرسة ومساعدتها عندما تمر بظروف قاسية ومواقف حرجة ومشكلات مدرسية وعائلية.

٨ ــ فردية المديرة وتسلطها.

رابعاً ــ ضعف الكفاءة العلمية لدى بعض المدرسات.

احتلت هذه المشكلة المرتبة الثانية وبحده مقدارها ١,٧٨٦ كما هو موضح في جدول رقم (٦) ان المستوى العلمي للطالبة يتصل بمستوى مدرساتها وما يحملن من خبرات سابقة. فقد اكدت البحوث والدراسات من ان انخفاض المستوى العلمي وارتفاع نسبة الرسوب يعود اصلا افتقار المدارس الى مدرسين ومدرسات كفوءات علمياً اكدت هذه الحقيقة دراسة الراوي عام ١٩٦٦ حول اخفاق آلاف الطلبة في اجتياز الامتحان الوزاري للصفوف الخامسة الاعدادية للسنين ٦٤/٦٥ و ٦٥/٦٦. كما اظهرت نتائج دراسة الطائي ان هذه المشكلة احتلت المرتبة السابعة وبنسبة مقدارها ٨٧٪ وسبب هذه الظاهرة يعود الى الانفجار الحاصل في اعداد المدارس الثانوية وزيادة عدد الطلاب مما دفع وزارة التربية الى تعيين مدرسين ومدرسات غير مؤهلات تربوياً ومن خريجات كليات لاتعد طلبتها لمهنة التدريس وبالاضافة الى ماذكر تعتقد الباحثة ان هنالك اسباب اخرى تكمن وراء هذه المشكلة منها:

١ — قلة العناية باعداد المدرسات وتهيئة الجو الملائم لعملهن وارهاقهن بالعمل الاضافي.

٢ — قلة العناية بتدريب وتنمية المدرسة خلال الخدمة واطلاعها على آخر التطورات المدرسة خلال الخدمة واطلاعها على آخر التطورات في حقل اختصاصها وفن التدريس .

٣ — قلة اشراك المدرسات في المؤتمرات والحلقات الدراسية والندوات العلمية والتربوية والدراسات التجديدية والدورات التدريبية لتطويرها مهنياً وتربوياً وعلمياً .

٤ — بعض المدرسات غير مؤهلات تربوياً ونفسياً .

٥ — اعتماد المدرسة على الكتاب المدرسي المقرر دون الرجوع الى مصادر اخرى .

٦ — قلة زيارات المديرة للمدرسة اثناء تدريسها لمتابعة مستوى ادائها التدريسي والطريقة التي تتبعها يضاف الى ذلك قلة اهتمام المدرسة بالمناهج وطرق التدريس .

٧ — كثرة مسؤوليات المدرسة المتزوجة خاصة داخل البيت والمدرسة وضيق وقتها مما يؤدي الى ضعف انتاجها وكفاءتها العلمية .

خامساً — قلة خبرة المدرسة الجديدة

اظهرت نتائج هذا البحث ان هناك مشكلة هي الاخرى احتلت المرتبة الثانية وقد جاءت بحدة مقدارها ١,٧٨٦ كما هو مبين في جدول رقم (٦) والسبب يعود الى :

١ — قلة متابعة المدرسة للتغيرات المستمرة في العلم والتربية ونتائج البحوث التي لها علاقة في ميدان عملها اثناء فترة الدراسة الجامعية .

٢ — قلة المام المدرسة الجديدة بخصائص مراحل النمو وما يرافق كل مرحلة من مشاكل.

٣ — قلة مطالعة المدرسة الجديدة للكتب والمجلات التربوية الحديثة ذات العلاقة باختصاصها وفقدان عادة القراءة منذ الصغر .

٤ — قلة تزويدها بالخبرات العملية التطبيقية والمعلومات والمهارات النظرية بصورة كافية في مرحلة الدراسة الجامعية .

٥ — قصر فترة التطبيق في المدارس .

٦ — قلة المام المدرسة الجديدة بالمناهج وطرق التدريس والنظريات التربوية الحديثة .

سادساً ـ قلة التزام بعض المدرسات بالخطة اليومية والسنوية

احتلت هذه المشكلة المرتبة الثالثة في هذا المجال وكانت حدتها ١,٤٢٩ كما هو موضح في جدول رقم (٦) كما اظهرت نتائج دراسة الطائي أن هذه المشكلة احتلت المرتبة الرابعة وبنسبة ٩٢ ٪ وقد تبين أن للخطة أهمية في برمجة اداء المدرس وتنظيم مفردات المنهج المقرر وتوزيعها وفق خطة زمنية يراعي فيها سعة المفردات وعمقها (٦ ص ٢٢٣) وتعتقد الباحثة أن سبب قلة التزام بعض المدرسات بالخطة اليومية والسنوية يرجع الى :

١ ـ قلة متابعة الأدارة لخطط المدرسات ومحاسبة المقصرات .

٢ ـ هروب المدرسة من تزويد المديرة والمشرفة صورة واضحة تكشف سيرها في المنهج الدراسي المقرر وتطبيق مفرداته .

٣ ـ أهمال وتهاون بعض المدرسات في أداء واجباتهن .

النتائج المتعلقة بمجال السلطات التعليمية وتشمل (موظفي مديريات التربية والوزارة والمشرفات التربويات) .

اولاً ـ شيوع ظاهرة الوساطة في متابعة الادارة لاعمالها في الدوائر:

احتلت هذه المشكلة المرتبة الاولى في هذا المجال وكانت حدتها ١,٧١٤ كما هو موضح في جدول رقم (٧) فهي مشكلة خطيرة جديرة بالبحث . نرى بعض ادارات المدارس تستطيع تمشية امورها وتسهيل معاملاتها بصورة اسرع من غيرها وذلك عن طريق الوساطة . في حين نجد معاملات ادارات اخرى تستغرق وقتاً للنظر فيها والأسباب عديدة منها .

١ ـ قلة خبرة المديرة وعدم تمتعها بكفاءة عالية في الأمور الإدارية مما يجعلها ترتكب بعض الأخطاء وعندئذ تحتاج الى وساطة لإنقاذها.

٢ ـ قلة صبر وتحمل بعض المديرات من الإنتظار عند استلام الكتب والقرطاسية حسب التسلسل .

٣ ـ شيوع ظاهرة الروتين الرتيب في العمل في الدوائر وقد يكون الروتين معقداً مما يسبب التهاون في تمشية الأعمال أو عرقلتها .

٤ ـ ميل بعض الموظفين وعدم كفاءتهم بواجباتهم أو غرورهم أو إستغلال منصبهم مما يسبب فقدان العدالة والمساواة في معاملتهم مع بعض الادارات فتضطر المديرة الى الوساطة

جدول رقم (٧) يوضح النسبة المئوية ومراتب المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية فيما يخص السلطات التعليمية

التسلسل	المشكلات	التكرار	النسبة	حدة المشكلة
١ ــ	شيوع ظاهرة الوساطة في متابعة الادارة لأعمالها في الدوائر	١٢	٪٨٥,٧١	١,٧١٤
٢ ــ	ضعف تعاون مديرية التربية مع الادارة في اختيار ملاك المدرسة	١١	٪٧٨,٥٧	١,٦٤٣
٣ ــ	ندرة اعتماد المشرفات على اسس علمية للتقويم	١٠	٪٧١,٤٣	١,٥٧١
٤ ــ	فقدان بعض الكتب الرسمية والاحصائيات من قبل موظفي التربية	٦	٪٤٣	٠,٩٢٩
٥ ــ	صيغة مخاطبة الادارة في كثير من الكتب الرسمية وماتحويه من تهديد	٦	٪٤٣	٠,٩٢٩
٦ ــ	ضعف تعاون بعض موظفي مديريات التربية مع الادارة	٦	٪٤٣	٠,٩٢٩
٧ ــ	قلة الدورات التدريبية الادارية والتطويرية	٦	٪٤٣	٠,٨٥٧
٨ ــ	اقتصار مهمة الاشراف التربوي على الجانب الروتيني الرتيب	٦	٪٤٣	٠,٨٥٧
٩ ــ	تأخر وصول الكتب الرسمية	٥	٪٣٦	٠,٨٥٧
١٠ ــ	قلة متابعة مشرفات الاختصاص لتوصياتهن	٥	٪٣٦	٠,٨٥٧
١١ ــ	قلة زيارة المشرفات للمدارس	٥	٪٣٦	٠,٧١٤
١٢ ــ	الزيارات المفاجئة للمدارس من قبل المشرفات	٥	٪٣٦	٠,٧١٤

٥ ــ رغبة بعض المديرات في قضاء اعمالهن ومهامهن بما فيه مصلحتهن دون أن يتعبن انفسهن ولو على حساب المصلحة العامة .

ثانياً ــ ضعف تعاون مديرية التربية مع الادارة في اختيار ملاك المدرسة.

عند ملاحظة الجدول رقم (٧) نجد أن هذه المشكلة احتلت المرتبة الثانية وكانت حدتها ١,٦٤٣ اسباب هذه المشكلة عديدة نذكر منها :

١ ــ التوسع السريع في التعليم وخاصة الثانوي وكثرة المدارس الثانوية.

٢ ــ كبر حجم المسؤولية الملقاة على عاتق مديرية التربية في تنسيق وتنظيم الملاكات

٣ ــ قلة الكوادر التدريسية وعدم توفر الإختصاصات الكافية .

٤ ــ كثرة الشواغر الناتجة من كثرة إجازات الأمومة والحمل .

٥ ــ كثرة طلبات والحاح بعض الادارات وبصورة مستمرة في تغيير ملاكها وذلك بنقل المدرسات غير الكفوءات الى مدارس اخرى وتعيين مدرسات كفوءات في مدرستها للحصول على نسبة نجاح عالية . أظهرت نتائج دراسة البزاز أن ٥٠٪ من مديري المدارس الإبتدائية يشكون من وجود الشواغر في مدارسهم وحدوث بعض التنقلات المفاجئة وترتبط بذلك شكوى مديري المدارس من عدم تعاون مديرية التربية معهم وقلة الصلاحيات الادارية الممنوحة لهم وهذا بدوره يؤدي الى تكرار مراجعة مديرية التربية مما يولد إستياء المديرين والشكوى من عدم تحسس مديرية التربية لمشاكلهم وعدم معاونتهم على حلها (٣) : ــ

ثالثاً ــ ندرة اعتماد المشرفات التربويات على اسس علمية للتقويم.

احتلت هذه المشكلة المرتبة الثالثة وكانت حدتها ١,٥٧١ كما هو موضح في جدول رقم (٧) وسبب هذه المشكلة كما تعتقد الباحثة يرجع الى :

١ ــ ضعف الكفاءة العلمية والمهنية للمشرفة وقلة خبرتها في مجال الإشراف .

٢ ــ قلة متابعتها واطلاعها على نتائج البحوث والنظريات التربوية والإتجاهات الحديثة في عملها .

٣ ــ قلة معرفتها بطبيعة عملها ومسؤوليتها .

٤ ــ انعدام التعاون الجماعي المشترك في عملية التقويم واسناده الى المشرفة فقط.

٥ ــ قلة زيارات المشرفات للمدارس وقصر الوقت الذي تقضيه في المدرسة .

٦ ــ قلة اشراكها في المؤتمرات والحلقات الدراسية والندوات والدورات التدريبية لتطويرها علمياً ومهنياً وتربوياً .

النتائج المتعلقة بمجال الأبنية المدرسية ،الكتب، المكتبة ،الوسائل التعليمية والاثاث والاجهزة

جدول رقم (٨) يوضح النسبة المئوية ومراتب المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية فيما يخص الابنية المدرسية، الكتب، المكتبة، الوسائل التعليمية، الاثاث والمكتبة .

التسلسل	المشكلات	التكرار	النسبة	حدة المشكلة
١ —	فقدان قاعات الاجتماعات والمحاضرات	١٠	٪٧١,٤٣	١,٤٢٩
٢ —	قلة استعمال الوسائل التعليمية من قبل المدرسات	١٠	٪٧١,٤٣	١,٤٢٩
٣ —	ضيق الأبنية المدرسية	٦	٪٤٢,٨٦	٠,٩٢٩
٤ —	اسناد مسؤولية المكتبة لغير ذوات الاختصاص	٦	٪٤٢,٨٦	٠,٩٢٩
٥ —	موقع المدرسة غير ملائم لسير العملية التربوية	٦	٪٤٢,٨٦٦	٠,٨٥٧
٦ —	قلة اشراك المدرسات في وضع المناهج وتأليف الكتب	٦	٪٤٢,٨٦	٠,٨٥٧
٧ —	قلة الاهتمام بصيانة بناية المدرسة	٥	٪٣٥,٧١	٠,٧١٤

أولاً — فقدان قاعات الاجتماعات والمحاضرات .

احتلت هذه المشكلة المرتبة الاولى وكانت حدتها ١,٤٢٩ كما هو موضح في جدول رقم (٨) . أن وجود القاعات في المدارس أمر ضروري نظراً لما تقدمه من خدمات تربوية كثيرة . فهي تستخدم في الإحتفالات الوطنية والقومية والحفلات الإجتماعية واجتماعات مجالس الآباء والمعلمين وتستخدم كقاعة امتحانية وكصالة للتربية الرياضية ففقدانها يرجع الى أسباب عديدة منها :

١ — عدم اعداد مخططات البناء من قبل خبراء معماريين ومختصين .

٢ — المتعهدون بأمر بناء المدارس تنقصهم المعلومات الضرورية عن متطلبات المدارس الحديثة .

٣ — استخدام المخططات القديمة في بناء المدارس .

٤ ــ المحافظة هي الجهة المصممة والمنفذة بمفردها .

ثانياً ــ قلة استعمال الوسائل التعليمية من قبل المدرسات

احتلت هذه المشكلة المرتبة الاولى ايضاً وكانت حدتها ١,٤٢٩ كما هو موضح في جدول رقم (٨) . ندرك جيداً أن الوسائل التعليمية جزء متمم للمنهج لما توفره من خبرات منوعة لا يمكن الحصول عليها بوسائل اخرى فتستعمل لتمثيل ما لا يمكن احضاره أما لكبره أو لصغره أو لغلاء ثمنه أو لما فيه من ضرر أو خطر انها تبسط وتيسر عمل الحواس وان قلة استعمالها يرجع الى اسباب عديدة منها :

١ ــ قلة استعمال الوسائل التعليمية ناتج عن ضعف ادراك معظم المدرسات للدور الذي تلعبه الوسائل التعليمية في مجال التربية والتعليم .

٢ ــ إتباع معظم المدرسات الاسلوب التقليدي القديم في التدريس القائم على الحفظ والتلقين .

٣ ــ قلة المام المدرسات بأنتاج الوسائل التعليمية البسيطة واستخدامها وصيانتها لقلة الدورات التدريبية .

٤ ــ افتقار تصميم ابنية المدارس الى مركز الوسائل التعليمية السمعية والبصرية .

٥ ــ ندرة زيارة المشرفات الإختصاصيات للمدرسات وضعف متابعتهن لاستخدام الوسائل التعليمية .

وتؤيد دراسة الرفاعي هي الاخرى ان مشكلة الوسائل التعليمية احتلت المرتبة الثانية وكانت حدتها ١,٤٥ وبنسبة مئوية مقدارها ٩٧٪ وقد اشارت هذه الدراسة أن سبب هذه المشكلة يرجع الى كيفية الإحتفاظ بها وتسهيل الحصول عليها ، والمحافظة عليها خصوصاً عندما تزيد كميتها وتتعدد انواعها كما أن افتقار المدرسة الى بعض المرافق والغرف الضرورية وهيئة تدريس متحمسة لإستخدامها (١٢ ص٩٠) .

توصيات البحث

في ضوء النتائج التي توصل اليها البحث تطرح الباحثة عدداً من التوصيات الملائمة لمعالجة المشاكل التي تواجه ادارة المدرسة الأعدادية للبنات :

أولاً – التوصيات الخاصة بمعالجة مشكلات المجال الاول (المنظمات الاجتماعية والامهات) .

١ – أن تراعي الادارة والهيئة التدريسية في اجتماعات مجالس الآباء والمعلمين الإعتبارات الرئيسية في تعاملهن مع الأمهات . كالتقدير والإحترام وتبادل الآراء .

٢ – التأكيد المستمر والمتواصل من قبل الادارة الى امهات الطالبات لحضور الإجتماع.

٣ – دعوة مديرة المدرسة امهات الطالبات للمشاركة في الحفلات واقامة المعارض والسفرات والإستفادة من ذوات المواهب والخبرات والعمل على ايجاد علاقة طيبة معينة قائمة على التعاون بين الطرفين .

٤ – أن يشتمل برنامج عمل المجالس على (أ)بحث شؤون ومشكلات الطالبات (ب) التعاون مع الجهات الاخرى في تلبية بعض احتياجات البيئة .

٥ – القيام بحملات توعية واسعة تقوم بها المنظمات الجماهيرية وعلى الأخص منظمة الإتحاد العام لنساء العراق لضم الأمهات لتلك المنظمة باتباع مختلف الأساليب كزيارة الأمهات في منازلهن واطلاعهن على مسؤوليات تلك المنظمات وما تقدمه من خدمات في سبيل رفع مستوى المرأة الثقافي وتنمية خبراتها لتساهم في التنمية الشاملة . وان هذه المنظمات جاءت لتدافع عن حقوقها وحل مشاكلها والوصول بها الى المستوى اللائق والإستفادة من الأنشطة الإتحادية المركزية العامة والثقافية المتخصصة لتبصير الأمهات في كيفية التعامل مع بناتهن وكيفية التعاون مع ادارات المدارس .

٦ – على الادارة أن تتعاون مع اللجنة الإتحادية وتساعدها في تنفيذ خططها واحترام آرائها وضرورة مشاركتها في حفظ النظام المدرسي وتسوية مشكلات الطالبات .

ثانياً – التوصيات الخاصة بمعالجة مشكلات المجال الثاني (الطالبات)

١ – تطوير نظام الامتحانات العامة عن طريق التنسيق بين الجهات المسؤولة في وزارتي التربية والتعليم العالي ووضع أسس جديدة للقبول في الجامعات تخفف من حدة الاعتماد على الدرجات كأساس للمفاضلة للقبول في الجامعات .

٢ ـ العمل على ايجاد وسط أسري ومدرسي يسوده الوفاق والتعاون والتقدير والثقة بالنفس والأمن والطمأنينة .

٣ ـ الارشاد والتوجيه المستمر والوقوف على أهم المشكلات التي تعانيها الطالبة وضرورة تعاون البيت والمدرسة في علاجها وإيجاد الحلول المناسبة .

٤ ـ مساعدة وتوجيه الطالبات على اختيار فرع التخصص بناء على قدراتهن واستعداداتهن.

٥ ـ اتباع الطرق الحديثة في التدريس وترك الطريقة التقليدية التلقينية القديمة القائمة على الحفظ والتسميع .

٦ ـ تعزيز المحاضرة بوسائل تعليمية مشوقة تجذب إنتباه الطالبات .

٧ ـ إعادة النظر في المناهج والكتب المدرسية وجعلها مناسبة لقدرات واستعدادات وميول الطالبات وذات صلة بخبرات حياتهن اليومية .

٨ ـ التعاون المستمر بين البيت والمدرسة للوقوف على العوامل الظاهرة والدفينة التي تدفع الطالبة بالتغيب عن المدرسة .

٩ ـ الاهتمام بالواجبات البيتية ومن المعايير التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار بالنسبة للواجبات هي كم الواجبات ونوعيتها .

١٠ ـ البحث عن العوامل التي تدفع الطالبة الى الإهتمام بالتحضير اليومي .

١١ ـ متابعة المدرسات للتحضير اليومي وثواب اللاتي يحضرن ومحاسبة اللاتي يقصرن في أداء واجباتهن .

١٢ ـ أن تلتزم الادارة والهيئة التدريسية بتطبيق الزي الموحد لكي يكن قدوة للطالبات.

١٣ ـ قيام الادارة والهيئة التدريسية بالتعاون مع اللجنة الإتحادية بسفرات وحفلات ترفيهية تمنح الطالبة خلالها حرية ارتداء البدلة المفضلة لديها لكي تشبع غريزة حب الظهور وجذب انتباه الآخرين .

ثالثاً ـ التوصيات الخاصة بمعالجة مشكلات المجال الثالث (المدرسات)

١ ـ خلق جو تعاوني ديمقراطي قائم على الحب والانسجام والتعاون والاحترام المتبادل للمدرسة الأدارة مع المدرسات ومساعدتهن قدر الامكان في حل مشكلاتهن الرسمية والخاصة أحياناً .

٢ – الاكثار من فتح حضانات ورياض الاطفال واعطاء الاولوية في القبول لإطفال المدرسين والمدرسات .

٣ – عدم تساهل الادارة والصحة المدرسية في منح المدرسات إجازات مرضية واعتيادية الا عند الحاجة الماسة .

٤ – تخفيف المسؤوليات الملقاة على عاتق المدرسة داخل المدرسة كتقليل عدد الحصص الاسبوعية .

٥ – تحديد ثلاثة أزياء للمدرسات بدل زي موحد واحد ليتمكن من التنويع ومنحهن الحرية في أرتداء ملابسهن المفضلة في الاحتفالات بالمناسبات والاعياد الوطنية والقومية .

٦ – أبتعاد الادارة عن التفرقة والتحيز وتطبيق مبدأ العدالة في توزيع الدروس والاعمال بين المدرسات دون تفضيل فئة على حساب فئة أخرى .

٧ – أن تسعى مديرة المدرسة على تحفيز المدرسة وحملها على النشاط .

٨ – الاكثار من الحلقات الدراسية والندوات العلمية والتربوية والأنشطة التدريبية لتطوير المدرسة مهنياً وتربوياً .

٩ – تدريب المدرسة اثناء الخدمة وذلك عن طريق أشراكها في دورات تدريبية تعقد في داخل وخارج القطر للوقوف على أحدث النظريات والأساليب التربوية .

١٠ – منح الامتيازات والحوافز المادية والمعنوية للمدرسات الكفوءات .

١١ – حث المدرسة على الاكثار من مطالعة الكتب والمجلات التربوية الحديثة والنشرات الدورية وتشجيعها للقيام ببحوث تتعلق بالتغيرات في العلم والتربية والوقوف على أحدث نتائج البحوث في ميدان عملها .

١٢ – تقييم وتثمين جهود المدرسة من قبل الادارة والمشرفة بالرجوع الى دفتر الخطة وأوراق الامتحانات ودفاتر الواجبات .

رابعاً – التوصيات الخاصة بمعالجة مشكلات المجال الرابع .

السلطات التعليمية (موظفي مديريات التربية والوزارة والمشرفات التربويات)

١ – ان تناط مهام الادارة الى من تتمتع بكفاءة عالية وخبرة في الامور الادارية قادرة على البت والحسم في الامور تتحلى بالصبر وسعة الصدر والسمعة الحسنة ونكران الذات .

٢ — ان تقام لموظفي (مديريات التربية والوزارة والمشرفات التربويات) دورات تدريبية لتطوير اعمالهم والتخلص من الروتين الرتيب لتسهيل معاملات المراجعين وسرعة انجازها .

٣ — التمسك بقواعد ثابتة في التعيين والنقل وتوزيع الاختصاصات على المدارس تحقيقاً للعدالة وتلافياً للتداخل .

٤ — عدم تكليف المدرسات اللواتي تفتقر المدارس الاعدادية الى اختصاصهن بشؤون ادارية.

٥ — اعادة المدرسات اللواتي يعملن في بعض الوزارات الى وزارة التربية والغاء تنسيبهن.

٦ — ان تكون المشرفة ذات خبرة بالادارة المدرسية ومشكلاتها وان تتمتع بكفاءة علمية ومهنية عالية.

٧ — ان عملية التقويم عملية تعاونية جماعية لاتقتصر على المشرفة بل تشمل جميع العاملين في المدرسة وخارجها من مديرة الى معاونة الى مدرسة الى طالبة الى ولي أمر .

٨ — ان تكون الأحكام والترجيحات والتوصيات التي تتخذها المشرفة بعيدة عن العنصر الذاتي والمؤثرات الشخصية .

٩ — ان تكون المشرفة على اتصال دائم وزيارات مستمرة للمدارس التي بعهدتها .

خامساً — التوصيات الخاصة بمعالجة مشكلات المجال الخامس. (الابنية المدرسية، الكتب، المكتبة، الوسائل التعليمية والاثاث والاجهزة).

١ — ضرورة إشراك المحافظة عند تصميمها الأبنية المدرسية وتنفيذها لجنة مكونة من ممثلي وزارة الصحة ، مركز البحوث التربوية والنفسية مديري ومديرات المدارس ، الاشراف التربوي ، الاتحاد الوطني لطلبة وشباب العراق ومهندسين معماريين في وزارة التربية.

٢ — ضرورة وجود برنامج متكامل للتطبيقات التربوية في كليات التربية يعمل على تطوير الممارسات التربوية داخل الكليات وخارجها .

٣ — عقد دورات لمديري ومديرات ومدرسي ومدرسات المدارس الاعدادية والمشرفين التربويين لتطوير طرائق التدريس وطرق التدريب اثناء الخدمة على تشغيل وصيانة الأجهزة والوسائل التعليمية ودورات اخرى لتطوير المقررات الدراسية وأساليب التقويم .

مقترحات البحث

من خلال النتائج التي أفرزها البحث تقترح الباحثة اجراء بحوث اخرى متعلقة بالبحث ومتممة لإهدافه منها :

١ — قيام دراسة تتناول المشكلات التي تواجه ادارات المدارس الاعدادية للبنين في القطر العراقي .

٢ — قيام دراسة لمقارنة المشكلات الادارية في المدارس الاعدادية للبنات مع المشكلات الادارية في المدارس الاعدادية للبنين.

٣ — قيام دراسة لمقارنة المشاكل الادارية في المدارس الاعدادية للبنات في بغداد من جهة ومراكز المحافظات الاخرى من جهة ثانية .

٤ — قيام دراسة لايجاد العلاقة بين المشكلات الادارية في المدارس الاعدادية وبعض المتغيرات الاخرى منها (عدد الشعب ، اختصاص المديرة ، مدة الخبرة التربوية للمديرة).

٥ — اجراء دراسة تتناول واقع التطبيق ومشكلاته من وجهة نظر ادارات المدارس .

٦ — اجراء دراسة تتناول مشكلات تأنيث التعليم في المدارس الثانوية للبنين .

مصادر البحث

١ – جورج شهلا ، عبدالسميع حربلي ، الماس حنانيا ، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٨ .

٢ – جيمس هارولد فوكس : الادارة المدرسية وعملياتها ، ترجمة وهيب سمعان، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ .

٣ – حكمت عبدالله البزاز وآخرون : ادارة المدرسة الابتدائية تحليل وتقويم ، بغداد ، مطبعة الشعب ، ١٩٧٤.

٤ – حنان عيسى الجبوري : مشكلات ادارة المدرسة الثانوية في العراق . رسالة ماجستير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد ،الدائرة العلمية للتربية وعلم النفس ، ١٩٦٨ .

٥ – رياض منقريوس : الادارة المدرسية،القاهرة،الانجلو مصرية، الطبعة الثانية ب.ت

٦ – زيد سليمان فائق الطائي : دراسة تقويمية لاتخاذ القرارات في الادارة المدرسية العراقية للمرحلة الثانوية . رسالة ماجستير منشورة مقدمة الى جامعة المينا – كلية التربية،قسم اصول التربية،القاهرة ١٩٨٠–.

٧ – طه الحاج الياس : الادارة التربوية،بغداد،مطبعة المعارف ،الطبعة الاولى ، ١٩٧١.

٨ – طه الحاج الياس ومحمد مصطفى يحيى : الادارلآة التربوية لدور المعلمين والمعلمات الابتدائية ، بغداد مطبعة الحكومة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٦ .

٩ – عبد الله عبد الدائم : التربية عبرالتاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ .

١٠ – عرفات عبد العزيز سليمان : استراتيجية الادارة في التعليم دراسة تحليلية مقارنة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٨.

١١ – فؤاد البهي السيد : علم النفس الاحصائي وقياس العقل البشري ، مصر ، دار التأليف ، الطبعة الثانية المعدل ، ١٩٧١ .

١٢ – ماجد حمزة الرفاعي : مشكلات الادارة المدرسية لثانويات بغداد المسائية ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية، بجامعة بغداد، آداب في التربية وعلم النفس ، ١٩٧٩.

١٣ — مجيد ابراهيم دمعة وآخرون : الادارة والاشراف للصف الثاني معاهد المعلمين ، الجمهورية العراقية ، وزارة التربية بغداد طبع في مطبعتي دار الساعة والعبايجي الطبعة الاولى ١٩٧٨.

١٤ — محمد مصطفى يحيى : المشكلات التربوية في المدرسة ومقترحات،حلها ، بغداد ، مطبعة سلمان الأعظمي ، ١٩٦٨.

١٥ — مسارع الراوي : مشكلة الرسوب في الثانويات ومصير الخريجين . بغداد . مطبعة العاني ، ١٩٦٦ .

١٦ — منيرة احمد حلمي : مشكلات الفتاة المراهقة وحاجاتها الارشادية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥ .

١٧ — نبيل احمد عامر صبيح : التعليم الثانوي في البلاد العربية ، الجمهورية العربية المتحدة ، الجمهورية العراقية ، الجمهورية العربية السورية ، القاهرة ١٩٧١.

١٨ — واجدة الأطرقجي : المشكلات المدرسية للطالب في المرحلة المتوسطة . دراسات الأجيال تصدرها نقابة المعلمين ، العدد ٣ أيلول ١٩٨٠ .

١٩ — وهيب سمعان ، محمد منير مرسي . الادارة المدرسية الحديثة . القاهرة عالم الكتب الطبعة الاولى ١٩٧٥ .

20– Burrup, Percy E., *Modern High School Administration* (New York: Harpers and brothers publishers, 1962).

21– Fischer, C. (*National-Survey of the beginig teacher*) in Youch, Wilbur, A., The beginig teacher, New-York, Hold, 1955.

22– Luther Gulick and L-Urwick, *Institute of Public Adm*, New York. Columbia University 1937.

23– Roald F. Cambel and Russel T. Gregg eds. *Administrative Behavior in Education*, (New-York Harper and brother, Publishers 1957).

الجامعة المستنصرية ملحق رقم (١)

كلية التربية

قسم العلوم التربوية والنفسية

«استفتاء مفتوح»

الاخت الفاضلة مديرة المدرسة المحترمة :-

يهدف هذا البحث الكشف عن المشكلات التي تواجه ادارات المدارس الاعدادية للبنات في القطر العراقي ، ولثقة الباحثة بصراحتكن المعبرة عن نضج الخبرة في هذا الميدان ، يرجى تعاونكن معها في اخراج هذا البحث بصيغته النهائية عن طريق الاجابة عن اسئلة هذا الاستفتاء .

وشكراً لتعاونكن سلفاً ..

ملاحظة : -

لايغيب عن بالكن ان المشكلات ترجع الى مصادر عديدة من بينها المدرسات والطالبات والسلطات التعليمية والمنظمات الاجتماعية الخ ..

يرجى ذكر هذه المشكلات حسب مصادرها .

١ - مشكلات المدرسات : - عددي المشكلات التي يرجع سببها الى المدرسات .

٢ - مشكلات الطالبات : - عددي المشكلات التي يرجع سببها الى الطالبات

٣ - مشكلات المنظمات الاجتماعية والامهات : عددي المشكلات التي يرجع سببها الى المنظمات الاجتماعية والامهات .

٤ - مشكلات السلطات التعليمية : عددي المشكلات التي يرجع سببها الى المشرفات التربويات وموظفي مديريات التربية والوزارة .

٥ - مشكلات ادارية اخرى : عددي المشكلات التي يرجع سببها الى الأبنية المدرسية ، الكتب ، المكتبة ، الوسائل التعليمية ، الأثاث والأجهزة الخ.

ملحق رقم (٢)

الجامعة المستنصرية

كلية التربية

قسم العلوم التربوية والنفسية

« استفتاء مغلق »

الاخت الفاضلة مديرة المدرسة المحترمة :

يهدف هذا البحث عن المشكلات التي تواجه ادارات المدارس الاعدادية للبنات في القطر العراقي ولثقة الباحثة بصراحتكن المعبرة عن نضج الخبرة في هذا الميدان ، يرجى تعاونكن معها في اخراج هذا البحث بصيغته النهائية وشكراً لتعاونكن سلفاً .

ملاحظة : — ارجو وضع علامة (√) امام الفقرة في الحقل المناسب

الفقرات	اوافق	لاادري	غير موافق
اولا — المشكلات الخاصة بالطالبات			
١ — كثرة غيابات الطالبات			
٢ — ندرة الاهتمام بالتحضير اليومي			
٣ — المغالاة في الاهتمام بالمظهر			
٤ — تفشي عادة الغش			
٥ — تفشي عادة السرقة			
٦ — قلة المحافظة على الاثاث والكتب المدرسية			
٧ — عدم الاستناد الى معايير علمية في اختيار الفرع العلمي والادبي			
٨ — طغيان روح اللامبالاة على روح الطموح			
٩ — قلة التركيز والانتباه اثناء المحاضرة			

الفقرات	اوافق	لاادري	غير موافق

ثانياً : ـ المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية
فيما يخص الهيئة التدريسية (المدرسات)

١ ـ كثرة الاجازات المرضية والاعتيادية واجازة الامومة وا لحمل.
٢ ـ ضعف تعاون بعض المدرسات مع الادارة.
٣ ـ قلة اهتمام بعض المدرسات بالالتزام بالزي المدرسي الموحد.
٤ ـ كثرة تأخر بعض المدرسات عن الدرس الأول
٥ ـ ضعف الكفاءة العلمية لدى بعض المدرسات
٦ ـ قلة خبرة المدرسة الجديدة
٧ ـ قلة حيوية المدرسة المسنة القديمة
٨ ـ شيوع ظاهرة عدم تبادل الاحترام بين بعض المدرسات
٩ ـ قلة التزام بعض المدرسات بالخطة اليومية والسنوية

ثالثاً ـ المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية فيما يخص السلطات التعليمية(موظفي مديريات التربية و الوزارة والمشرفات التربويات)

١ ـ ضعف تعاون مديرية التربية مع الادارة في اختيار ملاك المدرسة.
٢ ـ ضعف تعاون بعض موظفي مديرياتالتربية مع ادارة المدرسة.
٣ ـ شيوع ظاهرة الوساطة فيمتابعة الادارة لاعمالها في الدوائر،
٤ ـ تأخر وصول الكتبالرسمية.
٥ ـ فقدان الكتب الرسمية والاحصائيات من قبل موظفي التربية

الفقرات	اوافق	لاادري	غيرموافق
٦ ـ افتقار مهمة الاشراف التربوي على الجانب الروتيني الرتيب.			
٧ ـ ندرة اعتماد المشرفات على اسس علمية للتقويم.			
٨ ـ قلة زيارات المشرفات للمدارس			
٩ ـ قلة زيارة المشرفات للمدارس.			
٩ ـ الزيارات المفاجئة للمدارس من قبل المشرفات			
١٠ ـ قلة متابعة مشرفات الاختصاص لتوصياتهن			
١١ ـ قلة الدورات التدريبية الادارية والتدريسية .			
١٢ ـ صيغة مخاطبة الادارة في كثيرمن الكتب الرسمية وماتحويه من التهديد والوعيد.			
رابعاً ـ المشكلات التي تواجه ادارة المدرسة الاعدادية فيما يخص المنظمات الاجتماعية والامهات			
١ ـ قلة تجاوب الامهات مع مجالس الاباء والمعلمين			
٢ ـ ضعف العلاقة بين المنظمات الاجتماعية والامهات			
٣ ـ انحياز بعض طالبات الاتحاد الى جانب الطالبات المقصرات.			
خامساً مشكلات ادارية اخرى فيما يخص الأبنية المدرسية الكتب، المكتبة ، الوسائل التعليمية ، الاثاث والاجهزة			
١ ـ قلة الاهتمام بصيانة بناية المدرسة			
٢ ـ ضيق الأبنية المدرسية			
٣ ـ فقدان قاعات الاجتماعات والمحاضرات			
٤ ـ موقع المدرسة غيرملائم لسير العملية التربوية			
٥ ـ اسناد مسؤولية المكتبة لغيرذوات الاختصاص			
٦ ـ قلة استعمال الوسائل التعليمية من قبل المدرسات			
٧ ـ قلة اشراك المدرسات في وضع المناهج وتأليف الكتب			

محاولات تجديد روسيا في اعقاب حرب القرم

د ـ طالب رجب خطاب
كلية التربية / جامعة بغداد

اولا : خلفيات واحداث حرب القرم :ـ

اتبعت روسيا تجاه الدولة العثمانية بعد عام ١٨٢٩ (١) سياسة قائمة على الابقاء على الوضع الراهن والمحافظة على سلامة الدولة العثمانية ، في حين ظلت بريطانيا تعتقد ان روسيا تنوي ضم القسطنطينية والاستيلاء على الدردنيل . وقد ادت الحرب بين العثمانين ومحمد علي باشا واندحارهم في قونيه عام ١٨٣٢ (٢) الى حاجتهم للمعونة الخارجية وقد طلبوها من روسيا بعد ان ترددت بريطانيا في تقديم تلك المساعدة . وبعد تسوية الأزمة بين السلطات العثمانية ومحمد علي باشا ، شرعت روسيا في سحب قواتها من الدولة العثمانية بعد ان عقدت معها معاهدة سرية وهي معاهدة (٣) (خنكيار اسكلەسي) في تموز ١٨٣٣ . ولما تجددت

(١) أ.ن. جرانت ونخيرلي : أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين الجزء الأول ، ترجمة بهاء فهمي ، الطبعة السادسة بدون تاريخ ، ص٣٤٦.
(٢) نفس المصدر ص٣٤٨ .
(٣) نفس المصدر ص٣٥٠ .

الحرب بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا عام ١٨٣٩ (١) وقفت بريطانيا الى جانب السلطان العثماني وحاولت روسيا التقرب من بريطانيا واتبعت سياسة مخالفة لما كان متوقعاً منها ، فلم تستغل نصوص اتفاقية (٢) (خنكيار اسكله سي) ، الخاصة بارسال قوات روسية الى القسطنطينية ، وابدت استعدادها للتعاون مع بريطانيا والمساهمة في اية اجراءات لازمة لتنفيذ وجهة النظر البريطانية فيما يخص المشكلة بين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا،واخيراً ساهمت(٣) في التوقيع على معاهدة لندن عام ١٨٤١ والتي تعهدت الدول والسلطان العثماني بموجبها بعدم السماح للسفن الحربية التابعة لدول أجنبية في الدخول الى الدردنيل والبسفور. وهكذا(٤) كشفت روسيا عن سياستها الجديدة فهي تريد ان تسيرمع بريطانيا، وهي مستعدة لأن تتنازل عن بعض المزايا التي حصلت عليها بمقتضى معاهدة (خنكيار اسكله سي) حتى لاتتسبب في ضيق بريطانيا من سياستها تجاه الدولة العثمانية كما حدث في ايام الازمة الاولى بين السلطان ومحمد علي باشا . لذلك فلا غرابة ان راح القيصر نيقولا الأول يعتقد ان تقسيم الامبراطورية العثمانية يمكن تحقيقه بموافقة بريطانيا .

لذلك فقد اجرى القيصرعام ١٨٤٤ محادثاته مع اللورد (٥) ابروين وزيرالخارجية البريطانية موضوع تقسيم الامبراطورية العثمانية وابدى رغبته في الحصول على القسطنطينية وموافقته على حصول بريطانيا على مصر وكريت . ولكن بريطانيا لم توافق على ذلك ، اذ كانت (٦) المحافظة على الدولة العثمانية سياسة بريطانية تقليدية ولم يكن لها رغبة في تبديلها .

ومع ذلك ظلت روسيا مصرة على موقفها من الدولة العثمانية وتتحين الفرص للتدخل في شؤونها الداخلية . فلما (٧) قامت الثورة في ملدافيا وفالاشيا عام ١٨٤٨ بهدف الاستقلال

---

(١) نفس المصدر ص٣٥٠ .

(٢) نفس المصدر ص٣٤٩

(٣) نفس المصدر ص٣٥٠ .

(٤) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية .
(القاهرة ، ١٩٧٦) ص١٨٣ .

(٥) Pierre renouvin: Histoire des relations internationales, le XIX 'siecle, De 1815 a 1971, Vol, V Paris 1955 P. 285.

(٦) أ.ن. جرانت وشميرلي : المصدر السابق ، الجزء الأول ص٣٦٠ .

(٧) Pierre renouvin : Histoire des relations internationales, Le XIX' Siecle, de 1815–1871, Vol, V 1955 Paris P. 285.

وتأسيس دولة رومانية أخذت روسيا على عاتقها قمع تلك الثورة وذلك للمحافظة على مصالحها ومن جهة ومن جهة أخرى فأن السيادة النظرية للدولة العثمانية على هاتين المقاطعتين كان يتيح لهامجالا للتدخل ولفرض السيطـرة والنفوذ عليها (١) . وفي خـريف عـام ١٨٤٩ حينمـا رفـضت الدولـة العثمانيـة تـسليم اللاجئيـن الهنغاريين الموجودين في الاراضي العثمانيـة الى النمسـا تـدخلت روسـيا لصالـح النمسا وقـد وصـل الأمر الى التهديد بالحرب . وفي مطلع (٢) عـام ١٨٥٣ تداول القيصـر نيقولا الاول مـع السيد هاملتـون سيمور Hamilton Seymour سفيـر بريطانيـا في القسطنطينية ، ثلاث مرات حـول تقسيم الدولة العثمانية مدعياً بأن هـذا الرجـل المريض ، أي الدولة العثمانية ، ستنجم عند وفاته اضطرابات وتسفر عن حرب اوربية فالافضل أتخاذ اجراءات بصدده مقدماً خوفاً من التعرض إلى مالايحمد عقباه . وكان (٣) القيصر حسب خطته يريد أن تسيطر بريطانيا على مصـر وكريت وتدخل المناطق العثمانية في اوربا تحت حماية الروس وتتكون دولة صربية مستقلة وبلغاريا ورومانيا مستقلتين ايضاً واعلم (٤) القيصر بريطانيا بأنها عند الموافقة على هـذا الاقتراح فأنه لايأبه بأمور اخرى سواها . ولكن بريطانيا رفضت ذلك .

بقيت روسيا مصرة على اهدافها التوسعية حيال الدولة العثمانية رغم عدم تأييد الدول الأوربية الكبرى لتلك الأهداف . وقد صادف في هذه الفترة حدوث (٥) نزاع محلي في فلسطين ، حول حراسة بعض الأماكن المقدسة المسيحية ، بين (٦) الرهبان الكاثوليك

---

(١) هـ.أ.ل فشر : تأريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠)
ترجمة أحمد نجيب - وديع الضبع ، الطبعة السادسة ، القاهرة ١٩٧٢ ص٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) Pierre renouvin : Histoire des Relations Internationales, Vo, V P. 288.

(٣) Pierre renouvin : Historie des relations internationales , Le XIX' Siecle, de 1815–1871, Vo, .V, 1955 Paris P. 287 .

(٤) Ibid, P. 288 .

(٥) Welter : Histoire de la Russie. 1946, P. 172.

(٦) Pierre renouvin : Histoire des relations internationales, de XIX' Siecle 1815 a 1891 Vo, V 1955 Paris P. 289 – 291.

الذين تؤيدهم فرنسا وبين الرهبان الارثودوكس الذين تسندهم روسيا . عندئذ أخذ القيصر نيقولا الأول يستغل ذلك النزاع الناشب بين الطائفتين المسيحيتين من اجل تحقيق اهداف روسيا التوسعية في الدولة العثمانيةو صار يدعي ان الارثودوكس يعاملون بغبن كما ان حجاج تلك الطائفة أي (الارثودوكس) لايلقون معاملة حسنة في فلسطين. ثم ارسلت روسيا في شباط ١٨٥٣ (١) وفداً دبلوماسياً الى القسطنطينية وطلبت الاعتراف بحقها في حماية المسيحيين الارثودوكس في الدولة العثمانية . لكن السلطان العثماني عبد المجيد رفض مطاليب روسيا وتلى ذلك تعقيدات دبلوماسية تخللها دخول الجيش الروسي الى بعض المناطق الرومانية واصطدامه بالقوات العثمانية . وهكذا نشبت حالة حرب بين الدولتين الروسية والعثمانية في تشرين الأول (٢) ١٨٥٣ اعقبها اعلان كل من بريطانيا وفرنسا ومملكة ساردينيا الحرب على روسيا .

بدأت الحرب على الدانوب وكان الروس قد احتلوا(٣) ولايتي الافلاق والبغدان فغدا الهدف الأول للحلفاء هو اخراجهم منهما (٤). عبرالروس نهر الدانوب (١٣ مارت ١٨٥٤) وحاصروا سيلسترة (١٤ نيسان) على امل العبور منها الى البلقان وشق طريقهم الى القسطنطينية الا انهم جوبهوا بمقاومة شديدة وهدد النمساويون للحاق بالحلفاء لأجل ان يترك الروس لهم الافلاق والبغدان فعاد الروس واخلوا الافلاق والبغدان (حزيران ١٨٥٤) حيث اشغلها النمساويون .

ووجد الحلفاء ضرورة تخريب سواستوبول الواقعة في شبه جزيرة القرم والتي كانت تهدد القسطنطينية باستمرار ، وفي (٥) أيلول ١٩٨٤ أبحرت قوات الحلفاء المؤلفة من ٣٥٦ سفينة، ٧٠٠٠ عثماني و (٢١) الف بريطاني و (٣٠) فرنسي من فارنا قاصدة

---

(١) Girault et Ferro : De la Russie a Lu.R.S.S. (1850-1917) 1974 P. 45

(٢) Ibid. P. 18.

(٣) Pierrc Renouvin: Histoire des relations internationales, le XiXe Siecle, 1815-1871 Vo, V 1955 Paris P. 292-298.

(٤) Pierre renouvin : Histoire des relations internationales de Xixe Siecle 1815-1871, 1955.

(٥) Welter: Histoire de la Russie 1946 P. 185.

أوبا توريا Oupa Toria شمال سواستوبول وفرضت الحصار والذي استمر (١١) (١) شهراً (٩ تشرين الأول ١٨٥٤ – ٨ أيلول ١٨٥٥) فكانت الخسائر كبيرة فمن جانب الروس (٢٠٠) الف ومن الحلفاء (١٠٠) الف. وفي معركة حدثت على نهر (الما aLma التقى الحلفاء بجيش روسي قوامه (٤٠) (٢) الف وانتصروا عليه وفتحت امامهم ابواب سواستوبول في ٢٠ أيلول . الا أن الحلفاء تحركوا بكل بطء مما فسح المجال للروس لتحصين المدينة من جانب البر وتغلبوا على الأسطول في خليج سواستوبول للملك نجت المدينة من نيران الحرب . وكان ملك بيدمونت – ساردينا فيكتور عما نوئيل سبق وان انضم إلى الحلفاء (٣) في ٢٦ كانون الثاني ١٨٥٥ وأرسل (١٥) ألف جندي بقيادة الجنرال La Marmora إلى القرم .

ويبدو أن هدف الملك فيكتور عما نوئيل هو الحصول على تأييد ومساعدة الدول الأوربية لتحقيق الوحدة القومية لايطاليا . أكمل (٤) الحلفاء استعداداتهم العسكرية وبلغت قواتهم (١٥٠) ألف . لم يكن جيش الحلفاء تحت قيادة واحدة وكان الشتاء بارداً جداً وبالرغم من ذلك استطاع الحلفاء من الاستيلاء على سواستيبول بعد خسائر فادحة جداً .

وفي (٥) ٢ مارت ١٨٥٥ توفي القيصر نيقولا الأول وتولى الحكم ابنه القيصر الاسكندر الثاني .

ان السيطرة على سواستوبول وما كابدته روسيا من خسائر في شرق الأناضول دفعت القيصر الجديد الى طلب الصلح ووافق الحلفاء على ذلك فبدأت مفاوضات انتهت بعقد معاهدة باريس .

عقدت معاهدة باريس في ٣٠ مارت ١٨٥٦ (٦) بين روسيا من جهة وبريطانيا وفرنسا والدولة العثمانية من جهة اخرى . وكانت اهم موادها مايلي : –

(١) Welter: Histoire de la Russie 1946. P. 191.
(٢) Ibid., P. 193.
(٣) Pierre Renouvin : Histoire des relations internationa - les le Xixe Siecle 1815–1871 Co, V 1955 Paris P. 299.
(٤) Ramboud : Histoire de la Russie. 1878 P. 230.
(٥) Ranboid: Histoire de la Russie. 1878 P. 233.
(٦) Pierre Renouvin: Histoire des relatious internationales le Xixe Siecle 1815–1871 Vo, V 1955 Paris P. 293–298.

١ – قررت الدول تأييد معاهدة لندن لعام (١)١٨٤٠ بضرورة سد المضايق امام السفن الحربية ، ويكون البحر الأسود منطقة حياد، لاتدخل فيه سفن حربية روسية او عثمانية، كما لايجوز اقامة موانيء حربية عليه .

٢ – تألفت لجنة دولية لضمان سلامة الملاحة في نهر الدانوب .

٣ – اعيدت مدينة قارص الى الدولة العثمانية وشبه جزيرة القرم الى روسيا .

٤ – تخلى الروس عن جنوب بسارابيا (٢) التي اضيفت الى البقدان وجعلت كل من الافلاق والبقدان تابعة للسلطان على ان يكون لهما استقلال داخلي وان يكون لكل منهما مجلس يقرر شكل الحكم وتخلت روسيا عن حمايتها لهاتين الولايتين .

٥ – تكفلت الدولة بسيادة الدولة العثمانية (٣) ، وتعهدت الدولة العثمانية بزيادة العطف على المسيحيين في الدولة العثمانية بدون تدخل اية دولة خارجية .

٦ – تعاد حدود الأناضول الى ماكانت عليه قبل الحرب (٤).

٧ – قررت الدول تبادل الأسرى فيما بينها .

يبدو لنا من الامعان في هذه البنود التي تضمنتها معاهدة باريس ان الدولة العثمانية قد اصبحت تحت حماية اوربا ، وان الروس فقدوا المنافع التي حصلوا عليها خلال الفترة مابين معاهدة كوجك كينارجة ومعاهدة ادرنه وصار عليهم ان يكفوا عن محاولة الوصول الى البحر الأبيض المتوسط لأنهم ان أرادوا مواجهة العثمانيين بالحرب عندئذ ستهب الدول الأوربية لنجدة الدولة العثمانية.

---

(١) Ibid. P. 293–298.

(٢) Pievre Venouvin: Histoire des relations international-es, le XIxe Siecle (1815–1871) 1955 Paris Vo, V P. 301.

(٣) نفس المصدر المذكور اعلاه ص ٣٠٢ .

(٤) نفس المصدر المذكور أعلاه ص ٣٠٢ – ٣٠٣

ثانياً – محاولات تجديد روسيا

شكلت حرب القرم حدثاً تأريخياً عظيم الأهمية في تأريخ روسيا . فقد عجلت هذه الحرب بالغاء نظام الرق وذلك(١) لما سبب نظام القنانة من المخاطر على الخطط العسكرية في فترة الحرب .

فالهزائم العسكرية لروسيا كشفت تخلف المؤسسات الوطنية وتخلف نظام القيصر نيقولا الأول . لذلك فلا غرابة ان (٢) اجتمع القيصر الاسكندر الثاني مع النبلاء عام ١٨٥٦ حيث أكد على الاصلاح وان «تبدأ الدولة به قبل أن يأتي من الاسفل » . وأدرك القيصر أن الاصلاح العسكري لوحده لم يكن كافياً وهو يتطلب اعادة النظر في المؤسسات الروسية . فكانت الخطوات الاولى هي القضاء على عبودية الأرض فأمر (٣) القيصر اسكندر الثاني عام ١٨٥٧ تشكيل لجان من النبلاء في بتراسبورغ Petersbourg وفلنا Vilna كلفت باعداد الخطط لتنظيم واصلاح حياة الفلاحين الأقنان التابعين إلى ملاكي الأراضي . وقد نالت هذه الفكرة التأييد من بعض النبلاء واعتبرت الخطوة الأولى نحو تقدم روسيا . (٤) ولما قام الفلاحون بثورة ضد النبلاء عام ١٨٥٨ وعام ١٨٥٩ رأى القيصر الاسكندر الثاني ضرورة اعادة النظر في المواد الاصلاحية التي أعدت، وعمل على وضع تسوية جذرية فأصدر قانون (٥) التحرير في ١٩ شباط عام ١٨٦١ والذي اعتبر انعطافاً كبيراً في تأريخ روسيا ، وهو لم يؤد إلى تحرير أكثر من ٢٠ مليون من رقيق الأرض فحسب ، بل إلى امدادهم بالأرض كذلك وقد أعطي النبلاء تعويضات .

ان القضاء على نظام القنانة وتجديد نظم الدولة الروسية القديمة، التي أصبحت لاتنسجم مع روحية العصر وبالتالي تقف حجر عثرة في طريق الاصلاح ، هو خير عطاء جاءت

---

(١) Histoire de l ' U.R.SS. de l'antiquite a nos Jours: editions Du Progre's Moscou 1967 P. 180

(٢) نفس المصدر اعلاه ص١٨٢ – ٠٠ .

(٣) نفس المصدر اعلاه ص١٨٢ .

(٤) Histoire de l' u, R.S.S. de l'anciquite' a nos Jours: editions Du Progres Moscou 1967 P. 185

(٥) جرانت وتمبرلي : تاريخ أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ٢/د

به حرب القرم على روسيا . وفي (١) عام ١٨٥٧ أنشئت مؤسسة السكك الحديد ، حيث كان التخلف في مضمار النقل والمواصلات من الأسباب الرئيسة في هزيمة روسيا عام ١٨٥٤ . وكان القيصر نيقولا الأول (١٨٢٥ — ١٨٥٥) قد اهتم بتطوير وسائل النقل والمواصلات ولكن اعماله كانت بطيئة كما أن الاموال التي كانت مخصصة لها قليلة. لقد تم (٢) في الفترة (١٨٤٢ — ١٨٥١) بناء الخط الواصل بين ستراسبورغ — موسكو وطوله ١٠٠٠ كم اضافة إلى الخط الذي تملكته روسيا بعد حرب القرم عام ١٨٦٠ وطوله ١٦٢٦ كم يربط بين وارشو وستراسبورغ . علق (٣) الاسكندر الثاني أهمية كبيرة على وسائل النقل والخطوط الحديد لنقل وحدات الجيش الروسي والمؤونة بسرعة عند التعبئة العسكرية ، وهو الاسلوب الذي كان متبعاً من قبل الجيوش الأوربية المتقدمة . هذا وقد (٤) انجزت مؤسسة السكك الحديد ٢١,٠٠٠ كم من الخطوط ومنها خط موسكو — نفوكراد الذي انتهى في عام ١٨٦٢ . (٥) أما الصحافة في عهد الاسكندر الثاني فكانت أكثر حرية من السابق ولكن النقد الشديد للحكم المطلق قد ازعج القيصر . فما جاءت سنة (٦) ١٨٦٠ حتى كان الاسكندر الثاني قد نفر من حرية الرأي وأدار لها ظهره .

وقد اعاد (٧) في عام ١٨٦٢ الرقابة الشديدة على الصحافة ، وعند ذلك التهبت المشاعر وازدادت المنظمات واشتدت المعارضة السرية للحكومة . على الرغم من هذه الاصلاحات فالمجتمع ظل مهدداً من قبل الأجهزة الاوتقراطية ، وان قيام الثورة البولندية في عام (٢) ١٨٦٣ اضطر الاسكندر الثاني الى التراجع عن سياسته بتأثير طبقة المحافظين التي ادعت بان اصلاحات الاسكندر الثاني هي التي ادت الى ثورة البولنديين . رغم ان الاسكندر الثاني

---

(١) Grunduld : le Tzar Alexandre II et son Temps. 1963 P. 120–125.

(٢) Welter: Histoire de la Russie 1946 P. 161.

(٣) R.M.E. P. 39 No 507–16 Juillet 1880 Vo, 18.

(٤) Welter: Histoire de la Russie 1946 P. 161.

(٥) Grunduld: letzar Alexandre II etson Temps. 1963 P. 140

(٦) Grunduld: le tzar Alexander II stson Temps 1963 P. 142

(٧) Grunduld: le tzar Alexander II etson Temps. 1963 p.140
Ibid P. 141.

قد اخذ على عاتقه تنفيذ الاصلاح الذي كان يقتضيه ذلك العصر فان رفضه ان ينال من اجهزة الحكم الأوتقراطي والسلطة نفسها قد جعل الاصلاح ناقصاً وغير كامل . ومع ذلك يمكن القول ان الاصلاح كان له الفضل في السماح لروسيا لتلحق الدول الأوربية وذلك بتجديد مؤسساتها وبناء المجالس التمثيلية . ففي عام(١) ١٨٦٤ أدخل نظام الحكم المحلي وبدىء به في المناطق الريفية ثم في المدن عام (٢)١٨٧٠. ودارت في الفترة (٣) ١٨٦٤ ــ ١٨٧٠ مناقشات لانشاء مجالس بلدية في البلاد . وفي عام (٤) ١٨٦٤ أدخلت اصلاحات قضائية واسعة النطاق . فقد فصلت المحاكم واعطيت لها الاستقلالية الكاملة في عملها . وصار استخدام نظام المحلفين من الامور الاساسية والمميزة للقضاء . لقد خلقت هذه الاصلاحات نظاماً جديداً للعدالة وحدت من التعسف والاستبداد واصلحت العلاقات الاجتماعية .

وأما الاصلاح العسكري ، فقد سعت روسيا بعد حرب القرم ١٨٥٤ إلى الأخذ بالتقدم الذي أصاب الجيوش الأوربية فيما يخص (٥) تنوع الأسلحة ومناهج التدريب وتطور القتال . وكان (٦) ضرورياً أن تأخذ روسيا بالمكتشفات الحديثة بهدف تغيير تكتيكها العسكري ، ولاسيما ان(٧) نجاح الحرب قد اصبح لايتوقف على المواجهة بين جيشين وانما يخضع للتخطيط والتنظيم العسكري . كما ان البحث المنظم والمنسق من اجل وقاية الجند من الأسلحة الحديثة قد اصبح ضرورياً عند الدول الأوربية المتنافسة من اجل جعل اسلحتها اكثر تطوراً وفتكاً . فما كان من روسيا إلا أن تحسب حساباً لهذا الأمر ، فأحدثت (٨) تغيرات كثيرة في اسلحتها القديمة وفي التجهيزات والعدد والألبسة ، في عصر اصبح اوضوع النقل والتلغراف فيه اهمية كبيرة في كسب الحرب . كشفت حرب القرم جوانب كثيرة من التخلف

---

(١) Histoire de l'U.R.S.S. de l'an Tiquite a nos Jours: editions Du progres Moscou, 1967 P. 186.

(٢) نفس المصدر المذكور اعلاه ص١٨٦ .

(٣) Grunduld: le tzar Alexander II et son Temp 1963 P.151

(٤) نفس المصدر المذكور اعلاه أولا ص١٨٦ .

(٥) *R.M.E.* P.11 No 507–16 Jullet 1880 Vo, 15

(٦) *R.M.E* P.11 No 507–16 Jullet 1880 Vo, 15.

(٧) *R.M.E.* P. 336 No 552–Ler Juin 1882 Vo, 21.

(٨) *R.M.E.* P. 331 No 460–21 Juin 1879 Vo, 15.

في الجيش الروسي ، وقد تطلب ذلك اعادة النظر في جميع مناهج التدريب ، لأن الوسائل العلمية قد غيرت الكثير من نظريات الحرب . كان(١) سلاح الخيالة حتى بدء حرب القرم ١٨٥٤ يحتل موقعاً متقدماً في الجيش الروسي بينما اصبح دوره في الجيوش الأوربية ثانوياً إذ حل المشاة والمدفعية محله . اصبح (٢) لزاماً على روسيا ان تضع المشاة والمدفعية في الموقع الأول وتعطي للخيالة دوراً يقوم على تدمير طرق مواصلات العدو وخطوط التلغراف

كما ان دخول البندقية(berdon) كسلاح(٣)، اقتضى اعادة النظر في مناهج التدريب على الرمي ولأجل ذلك نظمت معسكرات التدريب الصيفية والمناورات العسكرية لتدريب الجنود على الخطط والأساليب الحديثة . واذا كانت الحروب الحديثة عام(٤) ١٨٦٦ بين بروسيا والنمسا وعام ١٨٧٠ بين بروسيا وفرنسا قد اشارت الى ضرورة احداث تغير في مناهج التدريب فانها ادت ايضاً الى ضرورة اعادة النظر في البناء الداخلي للجيش .ولأجل تحقيق هذا الهدف اعد القيصر الاسكندر الثاني في عام (٥) ١٨٧٤ خطة لتنظيم القوى العسكرية الروسية ، فادخل نظماً جديدة الى المؤسسات العسكرية . وتلك النظم سبق لها ان طورت اساليب القتال في الجيوش الأوربية الاخرى . ان اكثر هذه النظم مستوحاة من النظام العسكري البروسي . بدأ (٦) القيصر عمله الأول في الاصلاح العسكري بالقضاء على المركزية وما كانت تفرزه من تسلط واستبداد في العمل العسكري . لقد تم تقسيم روسيا الى (١٢) منطقة عسكرية كل واحدة منها قادرة على الاهتمام بالمسائل العسكرية المحلية ، كما تأسست رئاسة الأركان وبدأت تهتم بالجند من ناحية التدريب والتسليح والاتقان . كما اجريت تعديلات كثيرة على وزارة الحرب . اما العمل الآخر من الاصلاح فهو التدريب لقد اظهر(٧) الضباط الروس عجزاً في قيادة وحداتهم العسكرية في حرب

---

(١) Camena d'Almeida: l'armee Russe 1968 P. 210.

(٢) R.M.E. P. 194 No 617-28 Fevrier-1885-No 27.

(٣) R.M.E. P. 312 No 458-7 Juin 1879-Vo, 15.

(٤) R.M.E. P. 49 No 449 6 I Feveier 1879. Vo. 15.

(٥) Histoire de L'U.R.S.S. de l'antiqutes a nos Jours: editions du Progres Moscou 1967 P. 187

(٦) And Olenko : Histoire de l'armee Russe nosjour iedtions Du Progres Moscou 1967 P. 187

(٧) R..E. P. 335 IVo 52 1882-Vo, 21

القرم ١٨٥٤ لكونهم جاءوا من مدارس خاصة تسمى مدارس الكوادر. لقد تم انشاء معاهد ومدارس عسكرية عليا يدرس فيها الطلبة ممن انهوا الدراسة الاعدادية وذلك لاعداد ضباط أكفاء. أما مراكز التدريب التي أسست في عام ١٨٢٦ (١) والخاصة باعداد كوادر من المدربين فقد الغيت وحلت محلها مدارس حديثة. من اجل زيادة القوات المسلحة ومن أجل بناء ملاكات للاحتياط اصدر القيصر الاسكندر الثاني في عام ١٨٧٤(٢) قانون الخدمة العسكرية والذي اصبح افراد الشعب بموجبه خاضعين للخدمة العسكرية من عمر ٢٠ سنة الى ٤٠ سنة فالمشاة المبتدئون بعمر ٢٠ سنة يشملهم السوق السنوي وتكون مدة خدمتهم ٦ سنوات في الخدمة الفعلية و (٩) سنوات في الاحتياط واخيراً (٤) سنوات في المليشيا التي تعرف باسم (Oprichnina) يبدو لي انه من المؤكد ان الاصلاح العسكري قد اسدى فائدة لروسيا رغم انه بقي متخلفاً بعض الشيء بالمقارنة بجيش بروسيا الذي بدأ تنظيمه في عام ١٨٦٦ أي الحرب البروسية النمساوية لقد تناول هذا الاصلاح فترة الخدمة ووحدة التنظيم والحركة بالاضافة الى تنظيم ملاكات الضباط.

لقد ظهر من خلال هذا البحث ان الجيش باعتباره من المؤسسات الوطنية الكبرى لذلك فان الاصلاح العسكري لوحده لم يكن كافياً دون ان تمتد الاصلاحات الى بقية المؤسسات الوطنية التي صار وجودها في روسيا لاينسجم مع روحية القرن التاسع عشر.

(١) Camena d'almeida: l'armee Russe 1968 P. 230.

(٢) Histoire de L'U.R.S.S. de L'antiquite a nos Jour: editions Du Progres moscou 1967 P. 187.

المصادر

1– la Revue Militaive de l'e Tranger de 1872 a 1902.
2– Pierre renouvin: Histoire des relations internationales I Xixe Siecle, de 1815 a 1871 Vo, V 1955 Paris.
3– Grunduld: le Tzar Alexander II et son Temps. 1963.
4– Camena d'Almeida: l'armee russe. 1968.
5– Welter: Histoire de la Russie 1946.
6– Ranbaud: Histoire de la Russie 1878.
7– Andolenko: Histoire de L'armee Russe–Coll. Histoire 1967.
8– Histoire de J'U.R.S.S. de l'antiquite a son Jours: editions Du Progres Moscou 1967.

١ – أ – ن. جرات وتجرلي : اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين . الجزء الأول، ترجمة بهاء فهمي، الطبعة السادسة ، بدون تاريخ .
٢ – د. محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية (١٩٧٦ القاهرة) .
٣ – هـ. أ. ل فشر : تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩ – ١٩٥٠). ترجمة احمد نجيب – وديع الضبع ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٢ القاهرة

المظاهر العسكرية في المدن العربية قبل الإسلام

الدكتور طاهر مظفر العميد
كلية الآداب / جامعة بغداد

كان لحضارة العرب قبل الأسلام سمات أصيلة . تمتد جذورها إلى فترات تأريخية مبكرة ، ومن هذه السمات الحضارية ، الفــن المعماري بكافة أوجهه . المدنية والدينية والعسكرية ، وسوف نتطرق في هذا البحث إلى الوسائل العسكرية المميزة التي ظهرت ملامحها في عمارة العرب قبل الأسلام ومدنهم .

ولقد وصلت الينا العديد من المخطوطات والمؤلفات العربية ، التي تتضمن بعض نصوص عن المدن والقلاع والحصون والمحافد التي بناها العرب في آقاليم مختلفة من آراضيهم ، ولقد أمدتنا هذه المؤلفات ، وعلى وجه الخصوص ، الكتب البلدانية والجغرافية ،بمعلومات طيبة عن المنشآت العسكرية ، مثل الثغور ، والقلاع ، والحصون ، والمسالح ، وما فيها من أسوار وأبراج للمراقبة ومزاغل كما وفرت لنا معلومات طيبة أيضاً ، عن مواد البناء التي استخدمت كالحجر والطابوق والجص والخشب والحديد وغيرها (١) .

(١) يستطيع الباحث أن يستقي مادة تحصين العواصم والثغور من المراجع التي تفيد في الحصول على مادة خطط المدن بصورة عامة ، وهي مبثوثة في المؤلفات العربية المختلفة . منها كتب =

ويستشف من هذه المخطوطات والمؤلفات بأن العرب أسسوا المئات من المدن والقلاع والحصون ، ولعل أهم تلك المنشآت التي آقاموها في الفترة التي سبقت الاسلام ، تلك التي أقيمت في جزيرة العرب (١) وفي العراق وسوريا والاردن وفلسطين .

والمعروف أن الجزيرة العربية والأقاليم العربية الأخرى تكاد لاتخلو بقعة فيها قبل الأسلام من مدينة أو حصن او قلعة او محفد ، الا أن الذي يؤسف له ، أن الباحث في

= الخطط مثل كتاب «المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار...» للمقريزي، «وتأريخ مدينة دمشق» لأبن عساكر ، وكتب معاجم البلدان مثل كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي ، و«مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» لصفي الدين البغدادي ، و«الأكليل» و «حفة جزيرة العرب» للهمداني ، وكتب الجغرافية مثل كتاب «البلدان» لليعقوبي ، و «البلدان» لأبن الفقيه الهمذاني ، وكتاب «المسالك والممالك» للبكري ، وكتاب «صورة الأرض» لأبن حوقل ، وكتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي ، وكتاب «الأعلاق النفيسة» لأبن رسته ، وكتاب «المسالك والممالك» للأصطخري ، وكتاب «الروض المعطار في خبر الأقطار» للحميري ، وكتاب «البيان المغرب في أخبار المغرب» لأبن عذارى المراكشي . ومنها كتب التراجم والسير ، مثل كتاب «تأريخ بغداد » لأبي بكر الخطيب البغدادي ، اذ تضمن الجزء الأول منه روايات مفصلة عن أسوار بغداد وأبعادها وأبراجها وفصلانها ، وخندقها . كما يجد الباحث بعض المعلومات عن التحصين في كتب التأريخ العام التي بحثت في الدول الأسلامية عبر العصور ، وتناولت الحديث عن أرباض المدن وأستحكاماتها وأسوارها . مثل كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري ، و «تأريخ الرسل والملوك» للطبري ، و «مروج الذهب» للمسعودي و «المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب» للبكري ، و «الكامل في التأريخ» لأبن الأثير ، و«النجوم الزاهرة» لأبن تغري بردي ، و «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب » للمقري . وتزود كتب الرحلات الباحثين أيضاً لبعض المعلومات عن المنشآت العسكرية في المدن والثغور التي زارها الرحالة ، منها رحلة ابن فضلان ، ورحلة ابن جبير ، ورحلة ابن بطوطة ، هذا إضافة إلى مايرد من ذكر التحصينات المدن والثغور في كتب الحضارة والعمران .

(١) المدن التي اقيمت في الحجاز منها ، مكة ، يثرب ، الطائف ، وادي القرى ، ينبع ، الجحفة تيماء ، مدين ، تبوك ، الحجر ، جدة ، ودان ، فيد الأبواء ، دومة الجندل ، الديدان ، العلبا ، المجاز ، شمذ ، قراح ، حصن المشيرة ، نطاة ، البحار ، حباشة ، الحديقة ، القاحلة ، القرداء ، قرن ، الجار . وغيرها . وشيد العرب في اليمن ، صنعاء ، ظفار ، مرباط ، نجران ، جرش ، بينون ، عدن ، صحار ، سبأ ، ناعط ، إب ، ذو أشرف . وفي اليمامة شيدوا ، صمشوق ، الوشم ، القرية ، اباض ، أكة ، بلاد ،

تلك المدن أو القلاع ، أو الحصون ، لايستطيع الاهتداء إلى تأريخ إختطاطها ، ولا العثور على أسماء الملوك أو القادة أو الموسرين المتنفذين الذين بنوها ، الا في النادر اليسير ويعزى أحياناً بناء المدن العظيمة أو القلاع المنيعة، أو الحصون العجيبة الخارقة إلى النبي سليمان(١) اذ كان مدونو تأريخ هذه المباني يلجأون إلى ذلك عندما يجهلون أسماء مؤسسيها ، أو عندما تبهرهم عظمتها ، وتدهشهم منعتها وأحياناً ينسبون تحقيق ذلك إلى قدماء العرب من التبابعة او العمالقة ، أو إلى عاد — أو ثمود ، أو طسم ، أو جديس (٢) . كما أن ذكر المدن والقصور والحصون هذه ترتبط لدى الشاعر العربي في هذه الفترة بنزعة غيبية مغرقة، حتى انه ليعزو كل ظواهر العمران إلى جهود غير بشرية (٣) .

ولقد ذكر المؤرخون والجغرافيون بأن العرب قبل الأسلام قاموا بأمور ذات قيمة ، لها علاقتها بتخطيط المدن منها انهم (٤) : —

أولاً — كانوا يسورون مدنهم ، فذكروا أن يثرب كانت مسورة ، وأن صنعاء كان لها سور محكم ، وفي أحد أبوابه أجراس تدق اذا دخله أحد ، ويسمع صوتها من بعيد .

ثانياً — كانوا يبنون مدنهم وقلاعهم بالصفاح (٥) ، وبالحجارة العادية ، أو المهندمة بألوانها المختلفة ، السود أو البيض . وأنهم استخدموا الأعمدة الحجرية ، والرخام الملون في واجهات البناء ، كل وجه بلون خاص (٦) .

ثالثاً — وأنهم استعملوا التماثيل في داخل الدور — والقصور والمعابد ، وفي أفنيتها كما في قصر غمدان ، والكعبة ، والمعابد المختلفة ، ومما يؤيد ذلك الاصنام التي كانت في الحجاز واليمن . وما كان منها بوجه خاص في الكعبة .

---

(١) للاطلاع على الأمثلة يراجع كتاب معجم البلدان ، لياقوت ٥٣٥/١ ، ٢٣٥/٣ و٤٠٢/٣ ٢١٠/٤ ، ٤١٩/٥ .
وكذلك صبح الأعشى . للقلقشندي ١٩/٤و١٤ .

(٢) ناجي معروف ، عروبة المدن الاسلامية ، صفحة ١٤ .

(٣) عادل جاسم البياتي ، مجلة كلية الآداب ، عدد خاص ١٩٧٨ بحث « المدن التأريخية والحصون الأثرية في الشعر قبل الاسلام» ص١٥١ .

(٤) ناجي معروف ، نفس المصدر ، صفحات ١٤—١٥ .

(٥) الصفاح : الحجارة العريضة .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢١٠/٤ .

رابعاً – وانهم زوقوا الدور بالجص والآجر ، واستعملوا فيها خشب الساج .

وان كانت بعض الآثار والمخلفات في المدن والقلاع والحصون لازالت شاخصة إلى يومنا هذا ، فأن القسم الأكبر منها قد اندلر ، وعفى عليه الزمن ، ولم يبق منها سوى بعض الأشارات . والأخبار في الكتب والكتابات الأثرية ، وسوف نشير إلى تلك الآثار وما تشتمله على مظاهر عسكرية . معتمدين على النصوص التأريخية ، وعلى نتائج التنقيبات الأثرية التي جرت في مواقع تلك الآثار ، وعلى ماتركه لنا الرحالة العرب والأجانب الذين زاروها وسجلوا ملاحظاتهم عنها .

ولقد درج العرب على تحصين مدنهم وقلاعهم في العصر السابق للأسلام ، وقاموا بتنفيذ الأساليب المعمارية العسكرية التي تتصل بالدفاع عن مدنهم وقلاعهم ، ضد الغزاة الطامعين ، وجعلتها تصمد في وجههم .

ولقد أشارت النصوص التأريخية بأنهم كانوا يسورون مدنهم ، فتذكر بأن مدينة يثرب (التي سميت فيما بعد المدينة المنورة) كانت مسورة ، كما انه كان لمدينة الطائف سور ، ولعل أول من أشار اليه امية بن ابي الصلت في ديوانه ، ثم ذكره ابن هشام في سيرته (١) عند حديثه عن حصار النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، للطائف لمدة ثلاثة أسابيع ثم تخلى عن حصارها ، ومما يدل على وجود سور يحيط بمدينة الطائف ماذكره البلاذري بان اسم الطائف كان « وج» الى ان احيطت بسور فغير اسمها الى الطائف (٢) .

وقد شيد العرب ، في هذه الفترة ، بعض المدن على شكل مستدير او قريب من الاستدارة (بيضوي) ، والمعروف ان المدن ذات الاسوار المستديرة او البيضوية يكون الدفاع عنها من الناحية العسكرية أفضل من تلك التي تحيطها أسوار مربعة او مستطيلة .

ومن المدن العربية المستديرة في اليمن . مدينة مأرب ، وقد قام (ارنو) برسم تخطيطي لهذه المدينة القديمة ، وذكر بأنها مستديرة (٣) وقد اورد جرجي زيدان رسماً تخطيطياً للمدينة أيضاً بعد خرابها ، ويؤخذ مما عثر عليه من أنقاض مأرب انها كانت مستديرة الشكل (٤)

---

(١) سيرة ابن هشام .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحة ٥٦ .

(٣) أحمد فخري ، دراسات في تأريخ الشرق القديم ، صفحة ١٧٦ .

(٤) جرجي زيدان ، العرب قبل الأسلام ، صفحة ١٤٢ .

وهذا مايؤيد رأي ارنو ويدل على ان مثل هذا التخطيط الدائري للمدن معروف لدى عرب اليمن في الفترة التي سبقت الاسلام .

وفي عام ١٩٤٤ اوفدت جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) الاستاذ محمد توفيق الى اليمن (١) وقد تسنى له زيارة منطقة الجوف ، ومن مشاهدة الصور الفوتوغرافية التي ارفقها الاستاذ محمد توفيق ضمن بحثه نستطيع ان ندرك متانة الاستحكامات المعمارية العسكرية المتخذة في بناء هذه المدينة (٢) . وقد ذكر في مؤلفه ، بأن الاطلال الباقية في مدينة معين تدل على انها « كانت مدينة مسورة بسور عال عظيم تهدم اكثره ، ولم يبق منه الا ارتفاع جزء بسيط منه عند الباب الغربي ، وهو نحو مترين ونصف المتروجزء آخر عند الباب الشرقي ، وهذا باق على حاله الأصلي ويبلغ ارتفاعه نحو خمسة عشر متراً ، ولاتزال ترى به فتحات المزاغل لتصويب السهام والمراقبة »(٣) .

وبالاضافة الى المدن العديدة التي بنيت في اليمن فان الأخباريين العرب ، وعلى وجه الخصوص ، الهمداني صاحب كتاب الأكليل ، اورد اسماء كثيرة للمحافد والحصون والقلاع ، فمن الحصون المشهورة « مسلحين » الذي وصفه ياقوت بانه « حصن عظيم » (٤) وحصن « ناعط » الذي كان لبعض الأذواء قرب عدن (٥) . وحصن بينون على مقربة من صنعاء (٦) .

وفي العراق شيد العرب قبل الإسلام مدينة «الحضر» وتقع على مسافة ١١٠ كم جنوب غربي الموصل ، وعلى بعد ٧٠ كيلو متراً غربي القيارة ، وقد كان قدرها أن تنمو وتزدهر في ظرف خاص ملائم لوجودها ، في مكان منعزل على طرف البادية، بين امبراطوريتين كبيرتين ، الرومانية والفرثية واعتبرت الحضر احدى الدويلات التي كانت تتمتع بالاستقلال الذاتي ضمن نفوذ الدولة الفرثية في العصر الذي اطلق عليه المؤرخون العرب «عصر ملوك الطوائف» وقد تبوأت الحضر مكانة مرموقة ، وأصبحت عاصمة

---

(١) كان الغرض من هذا الأيفاد هو لدراسة الجراد الرحال والكشف عن مناطق توالده وتكاثره ، وقد ساهمت جامعة فؤاد الأول آنذاك مع المركز العام لأبحاث الجراد بلندن .

(٢) تراجع الأشكال من رقم (٤) حتى رقم (٢٣) من كتاب آثار معين لمحمد توفيق .

(٣) محمد توفيق ، آثار معين ، صفحة ٤ وصفحة ٥ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ١١٥/١ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٧٧٦/٣ ، ٧٣١/٤ .

(٦) المصدر السابق ، ٨٠١/١ .

لمملكة يحدها نهر دجلة من الشرق، ونهر الفرات من الغرب، وجبل سنجار من الشمال واتسعت الحضر وصارت مدينة كبيرة بعد نمو أهميتها العسكرية منذ نشوب الحروب الطاحنة التي دارت رحاها في آسيا الصغرى بين الفرثيين في عهد ملكهم « افراط » الثالث (٦٩ – ٥٧ق .م) وابنه «ورود» الثاني (٥٧ – ٣٦ق. م)، وبين الرومان. ونتيجة لذلك برزت أهمية القبائل العربية التي أصبحت الحضر أكبر مركز لها كقوة عسكرية أساسية يحسب لها الحساب في الدفاع والهجوم (١) .

ولابد أن تكون هناك بعض العوامل التي هيأت شعب الحضر ليأخذ دوره في تلك المهام العسكرية، واضطلاعه في رسم خارطة المنطقة ، منها أن الحضريين بطبيعتهم كعرب تنزع نفوسهم الى الحرية والإستقلال ، يأبون الذل والهوان ، فضلاً عن مزاولتهم لشؤون الحرب وتمرسهم في المعارك ، وقد كان لموقع مدينتهم وتحصيناتها الدفاعية وما توفر في اسوارها وابنيتها من مظاهر عسكرية الأثر الكبير في ممارسة هذا الدور.

وقد كشفت التنقيبات الأثرية التي أجرتها المؤسسة العامة للاثار في الحضر ، أن للمدينة سوراً خارجياً ، يبعد عن السور الرئيسي حوالي ٥٠٠ متراً يحيط بها من كافة جوانبها وقد أثبتت التنقيبات أن هذا السور ترابي ، وأسسه مرصوفة بأحجار صغيرة بغير إنتظام وقد أقامه الحضريون مانعاً اولياً لإعاقة الجيوش الغازية ، بالإضافة الى وجود اربعة أبراج لا تزال آثارها شاخصة للعيان ، واقعة على مقربة من السور الترابي ، وقد تعتبر ابراج رصد متقدمة (٢) . وقد تهدم هذا السور ولم يتخلف إلا ما يدل عليه ، ويبلغ قطره ثلاثة كيلو مترات تقريباً (٣) .

يلي هذا السور . سور آخر ، وبعد السور الرئيسي للمدينة ، ويحيط بالمدينة من جميع جهاتها ، وهو دائري الشكل تقريباً ، ومبني من اللبن المنتظم ، عرضه ثلاث أمتار ، يقوم على اسس من أحجار مهندمة قد ترتفع مترين ، في بعض المناطق فوق مستوى

---

(١) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، صفحة ١٨ .

(٢) واثق الصالحي ، التنقيب في البوابة الشمالية ، سومر ٣٦ (١٩٨٠) صفحات ١٥٨–١٨٩ ويشير فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، نفس المصدر ، صفحة ٢٢ بأنه يوجد خط يبدو أنه ترابي يلف بالمدينة من جميع الجهات على بعد نصف كيلو متر خارج السور ، ولا يعرف ان كان سوراً خارجياً ام حلقة أحكم بها العدو حصاره للمدينة .

(٣) ماجد الشمس ، الحضر ، صفحة ٢٤ .

الآخر الخارجية (١) . ويمتاز هذا السور بقوة من متانته وسمكه لذلك يتعذر على العدو اختراقه ، عدا حالتين ذكرهما المؤرخون الكلاسيكيون (٢) .

وقطر هذا السور كيلو مترين تقريباً . وتدعم هذا السور سلسلة من الأبراج يزيد عددها على (١٦٣) برجاً ، ومجموعة من القلاع الحجرية الصلدة،وظيفتها الأساسية دفاعية اضافة الى استخدام سقوفها لوضع المعدات الحربية المختلفة وعلى واجهة احدى هذه القلاع من الخارج . بنيت الواح حجرية كبيرة (٣) .

وبجانب السور من الداخل ، سلالم عديدة مبنية من الحجر أخضر اللون ، مسندة بأقواس لصعود المدافعين عن المدينة للدفاع عن السور . وتتميز الأبراج والقلاع الصلدة بظاهرة تعبوية هامة ، اذ تبرز عن محيط السور مما يساعد ويوسع عملية الرصد (٤) . ويتكون هذا السور من جدارين ، عرض كل منهما (٣م) و(٢,٥ م) والمسافة بينهما (١٢متراً) عند البوابة الشمالية (٥) .

ويحيط بالسور الداخلي خندق كبير ، يبلغ عمقه بين (٤ — ٥) أمتار وعرضه ثمانية أمتار فأما جانبه القريب من المدينة فقد بني شكل جدار من الحجر يقوم على الأرض الصخرية البكر ، وهذا الجدار مدعم بطلعات أو أبراج صغيرة لأسناده وزيادة مناعته (٦)

---

(١) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، نفس المصدر ، صفحة ٢٢ .

(٢) واثق الصالحي ، نفس المصدر .
فقد استطاع جنود «سفيروس» أن يحدثوا فجوة في السور خلال محاصرته للمدينة في عام ١٩٨–١٩٩ ميلادية ، ولكنه فشل في اخضاعها . والحالة الثانية عندما حاصرها الملك الساساني ، اردشير بعد سقوط المدائن في عام ٢٢٦م ولكنه فشل أيضاً في السيطرة عليها.

(٣) واثق الصالحي ، الحضر التنقيب في البوابة الشمالية ، سومر ٣٦ (١٩٨٠) ،صفحات ١٧٧–١٧٩ . ويذكر ماجد الشمس ، الحضر ، صفحة ٢٤ ، بأن ابراج هذا السور مستطيلة المقطع .

(٤) واثق الصالحي ، نفس المصدر .

(٥) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، نفس المصدر ، صفحة ٢٢ .

(٦) واثق الصالحي ، نفس المصدر .
هذا بينما يذكر ماجد الشمس في كتابه الحضر صفحة ٢٤ ، بأن عرض الخندق يبلغ في احسن النقاط بين عشرين إلى ثلاثين متراً ، كما يشير إلى الجدار بأنه يمكن مشاهدة جدار سميك مبني بالحجارة ، وهو غير مرتفع ويحاذي السور الرئيسي في كثير من النقاط ، ولا نعرف فيما اذا كان يمثل سوراً ثالثاً ، او انه بمثابة شارع يسهل عملية الدفاع عن المدينة للسماح بنقل الجيش عليه أو جسر العربات .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

وقد كانت القوافل التجارية الذاهبة من العراق الى الشام ، أو القاد
العراق ، تمر بمدينة تدمر (١) ، كما كانت القوافل التجارية في حدو
الميلاد تمر بمدينة تدمر عند سفرها بين مدينة «دورا» والشام (٢) وبين
كانت تقطن قبائل عربية من سكان الخيام .

ولضمان سلامة هذه القوافل التجارية ، كان التدمريون يضطرون
القوافل بحراس ، فضلاً عن أنهم عمدوا الى إقامة العديد من المواضع للحم
في أماكن متعددة من الصحراء .

وبالنظر لأهمية موقع تدمر العسكري والتجاري ، فقد استولى عليها
«تجلا تبلسر» الأول (١١١٧ — ١٠٨٠ ق. م) ، ثم إستولى عليها الإسك
لحكمه (٣) . وعندما توفي الإسكندر إنقسمت إمبراطوريته الى ثلاثة أجز
تدمر من نصيب السلوقيين (٤) .

ويشير أحد المراجع بأن قائداً من السلوقيين بنى حصناً للجنود المقدو
عام ٢٨٠ ق. م ، ولعل هذا الحصن ، هو واحد من سلسلة حصون أقا
في المواضع المهمة ذات الموضع الستراتيجي من الوجهة السياسية والعسك
لحماية مصالحهم فيها (٥) .

وعند قيام الدولة الساسانية عام ٢٢٦م . تجددت الحروب بين الرومان والفر
تدمر الى جانب الرومان . وعندما وقع الإمبراطور الروماني «فاليرِ يانوس
الفرس ، هب «أذينة» ملك تدمر لقتال الفرس وملكهم «شابور الأول» و
المدائن ، وادرك الفرس قبل تمكنهم من عبور نهر الفرات ، فالتحم معهم و
فانهزم شابور خائباً مع فلول جيشه المذكور تاركاً أهله وأمواله غنيمة بأيد
وأزاء هذا الإنتصار الرائع للملك أذينة منحه الإمبراطور الروماني الجديد
درجة قائد عام على جميع عساكر المشرق .

---

(١) ...ie Araber, II, S., 61.
(٢) ...he Cambridge Ancient History, Vol., Ix, P. 599.
(٣) ...cy. Vol., III, P. 1020, Hommel in Zdmg., Xliv, 547.
(٤) ... (F.), Rome on the Euphrates, P., 242
(٥) جواد علي ، المفصل في تأريخ العرب قبل الأسلام ٨٥/٣ .

وبعد أذينه آل الحكم الى زوجته التي عرفت بأسم «زنوبيا» أو «الزباء» وصية على إبنها القاصر «وهب اللات» . وقد اتبعت الزباء سياسة عربية فتوددت من الاعراب واعتمدت عليهم في القتال والحروب ، وذلك بعد أن رأت أن الرومان هم اعداء تدمر أيضاً ، وتقربت ايضاً الى العناصر العربية المستوطنة في المدن ، وعزمت على تكوين دولة عربية قوية واحدة بزعامتها .

وقد إعتمدت على تحصينات المدينة في الصمود بوجه الاعداء ، وقد كان لتدمر أسوار منيعة تحيط بها على شكل غير منتظم ، وتتقاطع أجزاء هذا السور بزوايا مختلفة ، يدعم كل زاوية فيها أبراج رئيسة نصف مستديرة ، كما أن لها أبراجاً مربعة في منتصف أضلاع سورها ، وكانت تحف بأبوابها ابراج نصف مستديرة .

ولم يحالف الحظ الملكة الزباء إذ أسرها الرومان وهي تروم ركوب زورق لينقلها الى الشاطئ الآخر من نهر الفرات (١) ولعلها كانت تروم التوجه نحو حصنها المسمى بـ «زنوبيـة » (٢) .

وحصن زنوبيا هذا ورد ذكره في تاريخ الطبري فقال عنه «وكانت للزباء أخت يقال لها زبيبة، فبنت لها قصراً حصيناً على شاطئ الفرات الغربي » (٣) . وقد ورد ذكر الحصن في العديد من المراجع العربية (٤) .

والراجح أن الملكة «زنوبيا» أقامت هذا الحصن على شاطيء نهر الفرات الغربي لحماية حدود مملكتها من الجهة الشرقيـة .

ويشير «هرتسفيلد» بأن هذه المدينة هي الموضع الذي يعرف اليوم بـ «الحلبيه» ويقابله في الضفة الثانية من النهر موضع آخر يعرف بأسم «الزلبية» . وهذا الرأي يغاير رأي من يدعي بأن الزلبيه هي المدينة التي بنتها الزباء .

(١) "Recepto Igitur Orientis", Flav. Vop. Aur. 25

(٢) Oberdisk. S., III.

(٣) الطبري ٢/٣٢ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ٢/٥١٥ ، ٢٠ .
البكري ، المعجم ، ١/٣٢٠ .
جواد علي ، نفس المصدر ٣/١٣٦ .

ويرى بعض الباحثين بأنه من المحتمل أن يكون «الحلبية» هو القصر الثاني الذي ينسب بناؤه الى الملكة الزباء، والذي ورد ذكره في المصادر العربية . وذهب فريق آخر الى أن «زنوبية »هي مدينة «السبخة» الحالية (١) .

وفي عام «٥٤٠ م» استولى خسرو الأول على مدينة زنوبية ، وقام بتدميرها . وعندما استرجعها الامبراطور الروماني«حستينيانوس» (٥٢٧ـ٥٦٥م) قام باعادة ماتهدم من بنايتها .

وفي عام ٦١٠م هاجمها خسرو الثاني، ودمرها كسلفه (٢) ويبدو أنما أصابهامن خراب ودمار على يد هذا الملك الفارسي كان كبيراً وفظيعاً ، إذ أن إسمها لم يعد يتوردد لدى المؤرخين ، وكذلك لم يرد إسمها في أخبار الفتوح والتحرير على يد جند العرب في صدر ألإسلام (٣) .

وهكذا يتبين لنا ، من دراسة بعض النماذج والأمثلة ، من مدن وحصون العرب قبل الأسلام . بأن العرب عرفوا ، وبشكل مميز ، الأسلوب العسكري في مبانيهم وعمارتهم

(١) المشرق ، السنة الأولى (١٨٩٨) صفحات ٤٩٥و٩٢٠ .
Sarre and Herzfeld, Archaologische., I, S., 164.
جواد علي ، نفس المصدر ، ١٣٣/١٣ .
(٢) Sarre and Herzfeld, Archaologische., I. S., 167, II, S., 365.
(٣) المصدر السابق .

الأثر الرواقي في فجر الفلسفة الأخلاقية المسيحية

كيورك مرزينا كرومي
كلية الآداب / جامعة الموصل

مبررات البحث

إن الغرض الأساسي من بحثنا المعنون بـ

«الأثر الرواقي في فجر الفلسفة الأخلاقية المسيحية» هو إقامة الدليل للأعتبارات التالية :

— إن الموضوع ما زال قائماً ولم يحسم من قبل المفكرين المعاصرين وذلك لتضارب آرائهم وتباين نظرياتهم .

— فقر المكتبة العربية التي ما زال الفراغ فيها كبيراً لمثل هذه البحوث وذلك لقلة المصادر التي تناولت هذا الموضوع .

— ما زالت الفلسفة الوسيطة في مرحلتها الاولى لم تأخذ حقها في البحث الأكاديمي الناضج — ولذا أقدمنا لوضع هذا البحث لإيضاح بعض المجاهيل فيها .

تمهيد :

ربما يتبادر لذهن القارىء أن العنوان الذي وسمته به « الاثر الرواقي في فجر الفلسفة الاخلاقية المسيحية » قد لايطابق ماجاء في مضمونه، لانه سيجد في ثناياه التأثير الرواقي على رائد الفكر المسيحي (بولس) لكن هذه البادرة تزول عندما نوضح للقارىء بأن بولس بالنسبة للفلسفة المسيحية يعتبر واضع أسسها وباني صرحها وهكذا يكون عنوان البحث مطابقاً ومنسجماً لما جاء في ثناياه .

وبحثنا سيقوم بالدرجة الاولى على المصادر الاساسية وبعض المراجع أهمها هي :

— رسائل بولس وأعمال الرسل .

— رسائل سنيكا .

وأهم المراجع فهي كتب حديثة أغلبها أجنبية تخص الفكر الرواقي .

ودراستنا المتواضعة هذه وجدت أن هناك روافد كثيرة أصبحت في الفلسفة الاخلاقية عند بولص منها :

— فكربعض الفرق اليهودية كالسامرية والاسينية . لانه كان سامرياً ولانه هجر حياة التمدن واتجه الى الصحراء . واعتقد بأنه أحتك بالجماعة الاخيرة واقتبس منها أسلوب التزهد لان الاسلوب كان متعارفاً لابل اساساً لحياة هذه الجماعة . (١)

— ماجاء في العهد الجديد .

— الفكر اليوناني وخاصة الفكر الذي كان سائداً في المدينة التي ولد وعاش وترعرع فيها ، وهي مدينة طرسوس التي كانت محجا للفلاسفة الرواقيين وكان فيها أيضاً حركة فلسفية قائمة على قدم وساق خاصة الفلسفة الرواقية والابيقورية ، وكان بولس يغرف من آراء فلاسفة هذه المدينة ويستفيد منها في مجادلاته معهم . (٢) وأن البحث سوف ينصب على هذا الرافد .

---

(١) للمزيد في فكر هذه الجماعة انظر : جيمس ولبي وابراهيم مطر ، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران ، ٥٨ ، ٦٢ — ٧٠

(٢) انظر جرزف هولزنر مقتطفات من كتاب بولس الطرسوسي ، ص ٣ — ٧ ، وجميل طربوش القديس بولص ، ص ٣٢. وكذلك :

Werner, Jaeger, The Theology of Earely Greek Philosophers, p.50

وان هذا الموضوع قائم على الدراسة النقدية لاعتقادي أن هذا الاسلوب يخلص الباحث من المواقف العاطفية ويسير به منسجماً مع الطريقة العلمية ويتخلص من الاوثان التي تزج العقل واحكامه في متاهات . وتناولت فيه جوانب اخلاقية فقط دون أن اتطرق الى الجوانب الفلسفية الاخرى كالمنطقية والطبيعية والميتاطبيعية كي لايخرج مضمونه عن العنوان لانه يدور في نطاق الفلسفة الاخلاقية .

أني مدين في موضوعي هذا الى الدكتور ناجي عباس التكريتي أذ شجعني على الكتابة في هذا الموضوع منذ عام ١٩٧٢ واصبح هذا الموضوع من الامور المهمة في حياتي ، وقدمت أكثر من محاضرة في هذا الصدد في ندوات شبابية .

ويعود الفضل في المامي بالفكر الرواقي الى الاب ماريكو اليسوعي الذي لم يبخل علينا في ترجمة الفكر الرواقي من المصادر اللاتينية والفرنسية ، والتي كان لي الحظ في العثور عليها من مكتبة الاباء اليسوعيين في الموصل ، وأنني أشكر مسؤول المكتبة لانه سمح لي بالتصرف في المكتبة بكل حرية ، وكان لدي الوقت الكافي في معرفة ما في بطون تلك الكتب .

والله الموفق

اثر الاخلاق الرواقية على الاخلاق المسيحية في بواكيرها الاولى :

قبل الكلام عن اثر الأخلاق الرواقية على الأخلاق المسيحية ينبغي ان نوجز اهم خصائص الأخلاق الرواقية كمقدمة للموضوع كي يسهل على القارىء ربط افكار البحث وتحليلاتنا ومقارناتنا في كلا النموذجين ويمكن اجمال اهم خصائص الأخلاق الرواقية بما يلي :

- ان الفلسفة الأخلاقية هي اهم الفروع الفلسفية (١).
- الاذعان القدر (٢).
- الفضيلة هي وحدها الخير (٣).
- الفضيلة تتحقق عندما يكون فعل الانسان منسجما مع الطبيعة والعقل (٤) .
- اتخاذ موقف الثبات في السلوك (٥).
- وحدة الفضائل في فضيلة واحدة (٦) وهي الحكمة (٧).
- يمكن الحصول على السعادة بغض النظر عن الفقر او المرض او الاهانة او الاذى لأن السعادة باطنية (٨).
- السعادة يمكن التماسها بمزاولة الفضيلة (٩).
- الاخلاص بالواجب والثقة بالنفس (١٠).
- الصبر وتحمل الآلام (١١) .

---

(١) Emil, Brehier, Chrysipp, PP. 53-55.

(٢) Gabriel German, Epictete, P. 30.

(٣) الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها فؤاد كامل واخرون ص ١٦٤ .

(٤) Seneque, Lettres, 107.

(٥) Seneque, Lettres, 120.

(٦) احمد أمين ، قصة الفلسفة اليونانية ، ص ٢١٠ .

(٧) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٣٠٧ .

(٨) Emile Brehier, Chrysippe, P 215.

وكذلك عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، ص ٢٠١ وكريم متي ، الفلسفة اليونانية ، ص ٢٦٤ ، وايضا شارل فرنر ، الفلسفة اليونانية ، ص ٢٧٩ .

(٩) Bertrand Resalt, History of western Philosophy, P. 262.

(١٠) عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، ص ٢١٢ – ٢١٤ .

(١١) نفسه ، ص ٢١٢ – ٢١٤.

- التحدي للظروف (١).
- الحكيم الرواقي معصوم من الخطأ (٢).
- قبولها بالانتحار (٣).
- الفضيلة هي النهاية القصوى في الشيء ذاته (٤).
- ايمانها بقهر العواطف والانفعالات (٥).
- انها اخلاق عملية (٦).
- انها قائمة على الضمير (٧).
- انها اخلاق انسحابية (٨).
- انها تؤمن بحرية الفرد (٩).
- البشر عندها ابناء الله (١٠).
- ايمانها بالعالمية (١١).
- انها تؤمن بان القوة الكلية « الله » حاضر في النفس الانسانية وان حضوره ينكشف بتسامي النفس (١٢).

---

(١) نفسه ، ص ٢١٢ – ٢١٤ .

(٢) Seneque, Lettres, 50-63.
Emile Brehier, Chrysippe, PP. 221-222.

(٣) عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، ص ٢٧٣ .

(٤) Margaret E. J.Taylor, M.A. Greek Philosophy An introduction, P 136.

(٥) Seneque, Lettres, 24 werner, Jaeger, The Theology of Early Greek Philosophers P 24.

(٦) عبدالرحمن بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، ص ١١ .

(٧) شارل فرنر ، الفلسفة اليونانية ، ص ٢٧٩ .

(٨) Seneque, Lettres, 14.

(٩) عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، ص ١٦٩ .

(١٠) Bertrand Ressalt, P. 269.

(١١) Emile Brehier, Chresippe, P. 12.

(١٢) Seneque,Lettres,14
وكذلك عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، ص ٢٣٤ .

الاخلاق المسيحية عند الرواد الاوائل :

ان الأخلاق المسيحية لها خصوصية تقوم على مبدأ قهر العواطف والاحاسيس دون النظر في تنظيمها ، وتكون عبارة عن حرب ضد الأهواء ، لأجل الوصول الى حالة متسامية من الاستقلال الذاتي ، وان العواطف والاحاسيس حسب اعتقادها اذا اطلق عنانها فانها تشوه النفس الانسانية ، وتدفع الانسان في ان يسلك سلوكية غير طبيعية وتجعله يحصد الامور المادية (١).

واكدت على ان اهم اسلوب يمكن الاستعانة به لقهر العواطف والاحاسيس هو الاعتماد على العقل لأنه :

— خير معيار لتشخيص القانون الاخلاقي .

— انه كذلك يستطيع ان يجعل الانسان يتصرف وفقا للامور التي تنسجم مع طبيعته ويقوده للقيام في افعال لاتختلف نتائجها عن سمات العقل يقول :

« فليتيقن كل واحد في عقله »(٢) .

وارى ان المسيحية قد اتفقت في هذا الرأي مع المدرسة الرواقية ، (٣) ويبدو ان عبدالرحمن بدوي قد لاحظ هذا التوافق فأشار الى ان بولص قد اعترف لفلاسفة اليونان بشيء من العقل الطبيعي لكي يدرك القانون الأخلاقي(٤). وسبب تأكيد بولص على العقل في مجال الأخلاق جاء:

— ان الانسان عنده يختلف عن باقي الموجودات ويتميز عنها والشيء الذي يميزه عنها هو لأنه وحده يمتلك العقل « النفس »(٥) .

---

(١) انظر ٥ : ١٩ — ٢١ غلاطية .

(٢) ١٤ : ٥ روما وانظر كذلك ١٢ : ١ — ٤ ، روما و ٢ : ١ تيطس .

(٣) قارن مع رسائل سنيكا .

A/Seneque, Lettres, lyl.

B/Frederick Copleston, A history of philosophy, Vol I, P. 398.

(٤) عبدالرحمن بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ، ص ٩ . واعتقد ان بدوي لرأيه هذا كان مستندا ٤ : ١ ... كورنثوس .

(٥) انظر ، ١٥ : ٤٤ — ٥٧ . كورنثوس ١و ٢ : ٦ ، ٢٢ ، تيطس ٥ : ١٥ ، ١٦ انس

— وانه اراد ان يساوي بين احكام العقل واحكام الناموس ، لأن الامور التي تنسجم مع الطبيعة هي عينها التي تنسجم مع الناموس (١) .

واكدت في مجال الأخلاق على قضية اخرى عدا العقل وهو الضمير او الوجدان ، اذ اعتبرته صوت العلة الاولى الذي يستقر في الانسان ، وان حضور هذا الصوت في الانسان يجعله يسير وفقا للحياة الانسانية ويشعر الفرد بالطمأنينة والهدوء والاستقرار ، اما اذا غاب هذا الصوت عن الانسان ، فان الانسان يخرج في تصرفاته عن السلوك الانساني ، لأن بغيابه تؤثر العواطف والاهواء على النفس فتخرجها عن طبيعتها ، واكدت كذلك على ان الانسان هو عبارة عن هيكل تستقر فيه العلة الاولى ويجب صيانة هذا الهيكل من الامور التي تشوهه واعتقدت ايضاً ان الضمير هو اهم رادع اخلاقي يمنع الانسان من الخروج عن السلوك الطبيعي لأن الاله يكون فيه (٢). واني اجد ان هذه الفكرة لاتختلف عن فكرة المدرسة الرواقية وخاصة الفيلسوف سنيكا (٣).

واكدت كذلك على الأخلاق العملية ، اذ تعتقد بان الانسان لايمكن ان يكون متكاملا الا اذا احتك بالآخرين ويكون مثالا لهم كي يحتذوا به ، وان العمل في مجال الحياة ليس الا الفضيلة بعينها ، ولايمكن لانسان ان يكون فاضلا اذا تغاضى عن العمل ، لأن في العمل يستطيع ان يجد نفسه ويجد الآخرين فيه ايضاً ، وفي العمل ايضاً يكون الانسان سيد نفسه غير محتاج الى الآخرين يسد رمقه ويقضي حاجاته الضرورية ، وان الاخلاق العملية لايمكن الاستغناء عنها وهي والاخلاق النظرية على السواء تكملان البناء الاخلاقي ، لأن الاخلاق العملية عنده تكمل الاخلاق النظرية (٤) . وفي هذه الناحية اجد ان المسيحية كانت متفقة مع المدرسة الرواقية في مجال الأخلاق العملية وخاصة الفيلسوف سنيكا لأنها اعتقدت بأن هناك اخلاقاً للعامة واخلاقاً للخاصة وان اخلاق الخاصة تتكامل عندما يحتك الانسان مع الطبقة العاملة التي تمتلك الاخلاق العامة (٥) . ويبدو ان جميل ظرابرش قد شخص الأخلاق العملية في المسيحية اذ يقول : « استطاع بولس الا يتصل بالطبقة العاملة وحدها وهذا مثل

---

(١) انظر ٢ : ١٤ ، روما ١٢ : ١٥ كورنثوس ١ وقارنه مع
Seneque, Lettres, 29.

(٢) ٣ : ١٦ كورنثوس و ٤ : ٦ افسس انظر كذلك برلي رسول الامم ، ص ١٤٩ — ١٥٠

(٣) قارنه مع Seneque, Lettres, 76

(٤) انظر ٤ : ١١ تسالونيكي و ٤ : ٨ — ١٢ فيلبي .

(٥) قارنه مع سنيكا انظر عبد الرحمن بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، ص ٤٩.

معاناتها .. واعتقد بان العيش مع تلك الطبقة تبرز الصفات الصادقة والأفكار العملية وكان كذلك يتصور بان العمل هو وسيلة وواسطة وحافز للكمال» (١) .

ومن تأكيد الاخلاق المسيحية على الجانب العملي جاء أهتمامها بربط مصطلح السعادة بالفضيلة أذ أكدت على أن سعادة الفرد لايمكن أن تتم الا بمزاولة العمل الفاضل لان سعادة الانسان تتحقق في الفضيلة ، وأن أسلوب الفضيلة واجب على كل فرد يريد أن يعيش سعيداً حتى أذا كان جائعاً أو مريضاً وأن الامورالخارجية لاتستطيع أن تنال من سعادة الفرد ولاتقدر أن تبعده عن الفضيلة مهما كانت مادام هناك الحرية للفرد في تقبل أو رفض المواقف، ولان القيمة الاخلاقية في الاخلاق المسيحية تقوم على الموقف النفسي بالنسبة للانسان أزاء الفعل دون النظر الى النتائج الانية . (٢) وارى أن هذا الموقف الذي وقفته الفلسفة المسيحية هو عينه الموقف الذي أكدت عليه الفلسفة الرواقية والذي أعتبرته من الامور البديهية (٣) .

واكدت كذلك في مجال الاخلاق على وحدة الفضائل الاخلاقية حيث وضعت الفضائل الاخلاقية على شكل هرمي ، وجعلت الفضيلة التي تستقر في قمة الهرم أعظم الفضائل وعند تحقيقها في مجال العمل تتحقق الفضائل الاخرى ، وتكون هذه الفضيلة بالنسبة للمسيحية كأنها قاسم مشترك أعظم للفضائل الاخرى ، وجعلت المسيحية في قمة الهرم فضيلة المحبة (الحكمة) (٤) أما في قاعدة الهرم فقد وضعت الفضائل الاخرى كالشجاعة والصبر وبعد النظر وضبط النفس والعدل وبذل الذات والتفاني والعفة، (٥) وتعتقد الاخلاق

(١) جميل لربوش ، القديس بولس ، ص ٢٩ — ٣٠ .

(٢) انظر ٢٦:٨ روما .

(٣) لمعرفة الفكر الرواقي في هذا الصدد انظر ، عبد الرحمن بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، ص٢٤ . وكذلك توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية ، ص٧٩ وكذلك :
Bertrand Resslit, History of Westeren Philosophy, P. 262.

(٤) يجعل بولس مصطلح المحبة مساوياً لمصطلح الحكمة لأنه يعتقد أن المحبة تكمل الناموس وان الحكمة كذلك ومن هذا التصور جاء موقف بولس في جعل فضيلة المحبة في قمة الفضائل الاخلاقية .

(٥) في معظم رسائل بولس نجد الفضائل الأخلاقية يتكلم فيها باسهاب انظر على سبيل المثال لا الحصر ١:١ كولوسي و١:٢٨ و٤:١ وأيضاً ٨:٢٥ روما و ٢:٦-٨ كورنثوس.

المسيحية بأن فضيلة المحبة هي رباط الكمال، (١) وهي أعظم الفضائل ، (٢) وفي هذا الصدد أي في فكرة وحدة الفضائل أرى أن المسيحية كانت متفقة مع المدرسة الرواقية(٣).

وعالجت المسيحية في مجال الاخلاق قضية اخرى تتعلق بحرية الارادة ، وكان مفكرو المسيحية الأوائل متحمسين لها ودافعوا عنها لكي يؤكدوا على ان الانسان كائن حر وانه تحرر من القيود والعبودية بالولادة الثانية ، (٤) وانه أي الانسان يعتمد في سلوكه تجاه مايريد ان يفعل على طبيعته الخاصة (٥)، وان له تصوراً كاملاً عن العلل القريبة والبعيدة بسبب امتلاكه العقل كما بينا وان ارادته هي العلة الاولى التي تحدد افعاله ويكون الانسان سيد المواقف الا ان هذه السيادة عنده لم تمنع بولس من أن يقول بان هناك ارادة خارجة عنه وهي الارادة الالهية ، بل نجده يؤكد على الثانية ايضاً ، وكان كذلك يوفق بين الارادة الاولى والارادة الثانية ليصون ارادة الفرد والارادة الالهية اذ يعتقد بأن الانسان اذا تصرف وفق العقل الطبيعي فإنه لا يخالف الارادة الالهية بل يعمل وفقها يقول : « متى فعلوا بالطبيعة ماهو في الناموس فهؤلاء اذ ليس لهم الناموس هم ناموس لانفسهم» (٦) .

ويمكن ان نحشر الفلسفة الخلقية في المسيحية في هذا المجال في صفوف انصار الاختيار ويكون مفكرو هذه المدرسة الأوائل الذين وضعوا الاطار العام لفكرة حرية الارادة في القرن الأول الميلادي قد اقتربوا من فكرة احد الرواد الأوائل في المدرسة الرواقية وهو كريسيبوس (٧) الذي عدل بعض افكار المدرسة الرواقية في القضاء والقدر اذ اعتقد بأن هناك ارادة تامة للانسان وارادة للطبيعة ، وان هناك انسجاماً بين الارادتين ، وعندما تتحقق الارادة الانسانية تكون متفقة مع الارادة الطبيعية ، واعتقد بأن بولس اخذ بهذه الفكرة — حرية الارادة — كي يجعل الانسان مسؤولا عن تصرفاته ، صغيرة كانت ام

---

(١) انظر ٣: ١٢ ، ١٣ ، ١٤ كولوسي .

(٢) انظر ١٣: ٨—١٠ روما و ١٤: ١١ كورنثوس ١ و ١٣: ٢ كورنثوس .

(٣) قارنه مع ماجاء في الفكر الرواقي انظر أحمد امين قصة الفلسفة اليونانية ، ص٢٠٩—٢١٠.

(٤) انظر ٨: ١٦—١٧ كولوسي .

(٥) انظر ٨: ١٤—١٧ روما .

(٦) ٢: ١٤ روما

(٧) قارنه مع كريسيبوس انظر :

Clark, G, H. Selections from Hellenistic Philosophy , P. 101–102.

كبيرة ، وان يحاسب وفقا لتصرفاته يقول : « لانا ان خطئنا اختيارا بعد ان حصلنا على معرفة الحق فلا يبقى بعد ذبيحة عن الخطايا »(١).

اما فيما يتعلق في تعريف الفضيلة في الأخلاق المسيحية نراها تتماشى مع تعريف المدرسة الرواقية وخاصة سنيكا – الذي يؤكد على ان الفضيلة سلوك خاص بالانسان يلائم طبيعة الانسان والطبيعة ملاءمة تامة» (٢).

اذ تعرفها بانها العمل الموافق للطبيعة التي لاتخالف المواقف الانسانية وان الفضيلة تضع الانسان في موقعه الملائم ولا يمكن الوصول الى الفضيلة « الحياة الفاضلة » الا باسلوب قهر الشهوات او استئصالها ، لأن الأهواء تولد الشهوة والشهوة تولد الفساد . ونجدها ايضاً تطالب بالاباثي (٣) وتعتبره الاسلوب الوحيد للوصول الى الحياة الفاضلة لأنه حسب اعتقاد بولس لايمكن تحرير النفس الا بهذا الاسلوب ويمكن فيما بعد تخليصها من القيود والاثام وتعيش حياة سعيدة هادئة ملؤها الفضيلة . تقول : « فاميتوا اعضاءكم التي على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية الطمع »(٤).

وارى ان الأخلاق المسيحية في تشخيصها للفضيلة وفق هذا الاسلوب أي الاعتماد على طريقة الاباثي قد قادت الملتزمين بها الى حياة الزهد وادت بهم كذلك الى ان يحتقروا الأهواء لا بل ايضاً البدن الذي اعتبروه مخزن الفساد : « لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً »(٥). ويبدو لي بأن المسيحية كانت متأثرة بالمدرسة الرواقية في هذا المجال لأن هناك تشابهاً واضحاً بينها وبين فلاسفة الرواق (٦).

واعتقدت كذلك ان العمل الفاضل يكون فاضلا عندما يكون منسجماً مع العمل الطبيعي ، وان العيش وفقا للطبيعة هي القاعدة الايجابية للسلوك البشري وانه لايختلف عن القاعدة اللاهوتية ، وان الفعل الانساني يكون موافقاً للقانون الطبيعي واللاهوتي لأنه يسترشد بالعقل ويقتديه « لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم ابرار .. بل الذين يعملون بالناموس هم

---

(١) ٢٦ : ١٠ عبرانيين .

(٢) Seneque, Lettres, 29.

(٣) الاباثي مصطلح رواقي يعني اماتة الاهواء وانعدام الشعور .

(٤) ٣ : ٥ كولوسي .

(٥) ٩ : ٨ غلاطية .

(٦) قارنه مع فلاسفة الرواق انظر توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ، ص٧٥.

يبررون لأنه الامم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ماهو في الناموس فهؤلاء اذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم»(١).واجد هنا ان رائد الفلسفة الأخلاقية المسيحية

في موقفه الصريح هذا من الطبيعة كان يسير على منوال المدرسة الرواقية وخاصة المفكر كريسبوس (٢) وكذلك كان متفقاً مع الفيلسوف الرواقي كليانتش (٣) في أن أسلوب الخير يصاب عندما يرغب الانسان في معرفة الناموس ، لان الانسان يصيب الحكمة الحقيقية أذا أتبع القانون الالهي (٤) .

ومن الآراء التي ثبتت فيما يتعلق في الالتزام بالقانون الطبيعي والقانون الالهي ، أرى الرائد الاول كان توفيقياً في مجال الاخلاق ، توفيقياً بين الاخلاق الطبيعية والاخلاق النقلية ، وأن التزامه بالقانون الالهي لم يؤثر على موقفه من القانون الطبيعي ، بل نجده يعظم الحالة الطبيعية يقول : « لانه أن كنت قد قطعت من الزيتونة البرية حسب الطبيعة وطعمت بخلاف الطبيعة في زيتونة جيدة فكم بالحرى — هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة في زيتونتهم الخاصة (٥) .

أما فيما يتعلق بصدد موضوع الجامعة « الاممية » في الفلسفة الاخلاقية المسيحية نجدها قد أعطتها أهمية كبيرة واعتبرتها من الامور المهمة والضروية لاجل الوصول الى الحالة الطبيعية لوضع الانسان في مكانه الملائم لان فيها يتخلص من الامور التي تقف كحجر عثرة في تحقيق أنسانيته . وأكدت المسيحية في هذا الصدد على أن الامور غير الطبيعية التي وضعت من قبل تشكيلة معينة لقهر تشكيلة أخرى ماجاءت تلك الا عندما غاب مصطلح الاممية ، وظهر أسلوب قهر الانسان من قبل أخيه الانسان ، وتجسد النمط العرقي الذي أدى الى ظهور نمط غير طبيعي حيث غاب مصطلح السلام في المجتمعات ،

---

(١) ٢ : ١٣ روما ، انظر كذلك ٢ : ١٤—١٥ وايضاً ١ : ١٩—٢٠ وايضاً و٢ : ٢٧ .

(٢) قارنه مع كريسبوس انظر :

A History bof Philosophy Greeya and Rome, Fredrick Co - pleston, Vol. I, P. 395.

(٣) قارنه مع كليانتش انظر :

The Fragmentt of Zeno and clennthes, A.C. Pearson . PP. 274-275.

(٤) انظر ٢ : ١ كولوسي .

(٥) ١١ : ٢٤ روما .

وبدأ الانسان ينظر الى الامور بمنظار ضيق واعطى أحكاماً غير طبيعة وتصرف وفقاً لها تصرفاً بعيداً عن الواقع ، ولهذا السبب أعطت المسيحية الاهمية الكبيرة لمصطلح الجامعة واعتبرته أسلوباً ليس فيه النقص لاجل الوصول الى حالة التسامي والتقدم في المجتمعات لان فيه تزول المصادمات والمشاحنات ويتجسد الاطمئنان في البشرية وتكون المحبة السراج الذي ينير الانسانية ، ويزول الغرور والتعالي وفكرة السادة والعبيد ، وتتحقق العدالة الاجتماعية ويصبح البشر سواسية وليس هناك فضل أنسان على أنسان لانهم في الطبيعة خلقية واحدة ، تقول : « ليس يهودي ولايوناني . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وانثى لانكم جميعاً واحد»(١). وايضاً«حيث ليس يوناني ويهودي ختان وغرلة بربري سكيثي عبد حر .. » (٢) . « فماذا أذا نحن أفضل كلا البتة . .» (٣) . وأيضاً«أم الله لليهود فقط . اليس للامم أيضاً بلى للامم أيضاً » (٤) وأيضاً لانه لا فرق بين اليهودي واليوناني لان ربا واحدا للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به » (٥) .

واعتقد بأن السبب الرئيس الذي جعل رائد الفلسفة الاخلاقية المسيحية يأخذ بالفكرة الاممية كان الظرف السياسي غير الطبيعي الذي ساد الوطن الذي كان يعيش فيه ، لذا اراد ان يتخلص من الاطار الضيق واعتقد بان فكرة المواطن العالمي يمكن ان يجد فيه الهدوء والطمأنينة ويمكن كذلك ان يحس البشر بانهم اخوان للبشر مهما كانت الوانهم والسنتهم ويمكن في النهاية عند الحصول على هذا النمط من المواطنين ان تتجلى فكرة جديدة في فهم الانسان الا وهي فكرة الاخاء التي تقضي على العصبية القبلية المتزمتة .

وارى ايضاً بأن هذه الفكرة اي الفكرة الاممية هي عين الفكرة التي شخصتها المدرسة الرواقية ، وان الاخلاق المسيحية في هذا الصدد تقتفي الأثر الرواقي (٦) خطوة فخطوة ، الم يكن هذا التأثير كبيراً ومباشراً ؟ ولو لم يكن كذلك لما استطاع الرواد الأوائل ان يتخلوا

(١) ٣ : ٢٨ غلاطية .

(٢) ٣ : ١١ كولوسي .

(٣) ٣ : ٩ روما .

(٤) ٣ : ٢٩ روما .

(٥) ١٠ : ١٢ روما .

(٦) قارنه مع ماجاء في Seneque, Lettres, 47.

وكذلك انظر : شارل فرنز ، الفلسفة اليونانية ، ص٢٦.

وأيضاً : Bartrand Rassalt, History of Western Philosophy,p.26

انظر كذلك عبد الرحمن بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، ص ٤٩–٥٥ .

عن الفكرة التي تربو عليها – شعب الله المختار – وان يلتزموا الفكرة الامية التي كانت تناقض ماكان لديهم من قيم وعادات وتقاليد الم يكن التأثير مباشراً على رائد الفلسفة الأخلاقية المسيحية الذي عاش في مدينة طرسوس والتي كانت محجا للفلاسفة الرواقين والذي تربى على التربية الاغريقية اعتقد انه كذلك.

وقاد الفلسفة الأخلاقية المسيحية مصطلح الامية الى ان تنظر الى الانسانية وكأنه مشروع قائم على البناء الهرمي ، وان البشر اعضاء في هذا البناء وكل انسان عضو في هذا المشروع ، ويكون في قمة الهرم الروح الكلية ، ويكون البشر في هذا المشروع متساوين في الحقوق ، وكل واحد منهم له واجباته التي تناط به ، ويجب ان يقوم كل واحد بواجبه خيرقيام ، (١) ويكون الاخلاص المؤشر الوحيد في ذلك (٢) .

واكدت الأخلاق المسيحية على ان فضيلة المحبة هي اهم الفضائل (٣) التي تستطيع ان تجعل مشروع الامية منسجماً ومترابطاً ، لأنها تحقق التفاني والفداء ويزول الخبث من النفس الانسانية لأنها المبدأ الأول الذي تشخص انسانية الفرد . يقول بولس في هذا الصدد « ان كنت اتكلم بالسنة الناس والملائكة ولكن لي محبة فقد صرت نحاسا يطن وصنجا يرن . وان كانت لي نبوة واعلم جميع اسرار الكون ، وان كان لي كل الايمان حتى انقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً وان اطعمت اموالي وان سلمت جدي ولكن ليس لي محبة فلا انتفع شيئا .

المحبة هي ذات صبر ورفق . المحبة لاتحسد ، المحبة لاتتفاخر ولاتنتفخ ولاتقبح . ولاتطلب ما هو لها ولاتغضب ولاتفتكر بالسوء ولاتفرح بالاثم بل تفرح بالحق . وتصبر على جميع الأشياء وتصدق كل الأشياء وترجو كل شيء وتحتمل كل شيء . المحبة لاتسقط ابداً»(٤).

واعتقد بأن المفهوم الرواقي للمحبة يتفق مع المفهوم المسيحي حيث تؤكد الرواقية على ان الجامعة الامية يكون لها الوجود والانسجام والاستمرار في هذه الفضيلة ، وان الكائنات العاقلة تتساوى فيها (٥) .

---

(١) انظر ١٢ : ٥ روما ، ٤ : ٢٥ افسس ، ١٠ : ١٧ كورنثوس .
(٢) انظر ٣ : ٢٢ كورنثوس وأيضاً ١٣ : ٢–٧ روما .
(٣) انظر ١٢ : ٩–٢١ روما .
(٤) ١٣ : ١–٨ كورنثوس ١ .
(٥) انظر :

Seneque, Lettres, 65, 52.

وقاد مفهوم « الجامعة» الرواد الأوائل في الفلسفة الأخلاقية المسيحية الى القول بأن البشر جميعهم ابناء الله وان هناك علاقة او رابطة تربطهم ارتباطاً وثيقاً معه (١) وان هذه الفكرة كانت سائدة في الفكر الرواقي (٢) واعتقد بان السبب الذي ادى الى الأخذ بهذه الفكرة من قبل الرواقية والمسيحية هو التزامهم بالبناء الهرمي الكوني.

وثبتت الأخلاق المسيحية في « الاممية » صفات اساسية يجب ان تلتزم بها الادات التي هي في ضمن هذا البناء اهمها : الاخاء والمساواة ، المحبة والتعاون على العمل الصالح والبر والتقوى والاحسان في السراء والضراء وايواء الفقراء والمساكين واغاثة المنكوبين واللاجئين وهداية الضالين وتحمل الآلام من قبل الآخرين حتى الفداء والعفو والعطف على من يحتاج العطف وخاصة العبيد وتحريرهم ومساواتهم (٣) والصبر والثبات على المواقف الصادقة مهما كانت الظروف والنتائج (٤) والافتخار بالضعف (٥) وان يسر في الاضطهادات والضيقات والشتائم لأن هذه الامور خسيسة لاتؤثر في النفس الانسانية (٦) وينبغي ان يكون تفكير النفس مقتصراً على الأشياء الفاضلة التي تهذب سلوك الفرد كي نحيا على الفضيلة (٧) والطاعة (٨) والشجاعة (٩)

وارى ان هذه الصفات والخصائل الأخلاقية التي ثبتتها المسيحية قد اكدت عليها مدرسة اخلاقية اخرى وهي المدرسة الرواقية وان هناك تواصلاً او تكاملاً كبيراً بينهما وخاصة بين بولص وسنيكا (١٠) .

Frederick Copleston, S.J. A History of Philosophy, Vol I. P. 400.

Bartrand Rassalt. History of Western Philosophy, P. 268.

(١) أنظر : ٣ : ٢٦ غلاطية وأيضاً ٤ : ٦-٧ غلاطية .

(٢) Bartrand Rassalt, History of wostern Philosophy, P. 269
Emile Brehier, Dusage Antique an cityen moderen, P 27.

(٣) أنظر ٩-٢١-١٢ روما .

(٤) أنظر ٢٢/٣ غلاطية .

(٥) أنظر ١١/٣٠ كورنثوس الثانية .

(٦) نفس المصدر ١٢/١٠ .

(٧) نظر ٤/٨ فليبي .

(٨) أنظر ٢٩-٣٠/٩ أعمال الرسل وأيضاً ١٧-٢١/٢٢ .

(٩) ٢٣-٣٣/١١ كورنثوس الثانية .

(١٠) أنظر : Seneque, Lettres, 47. 95, 103, 107, 10, 29

وعالجت الفلسفة الأخلاقية المسيحية في مجال الاخلاق مصطلحاً مهما – والذي يعتبر من الامور المهمة في مجال الفلسفة الأخلاقية فيما بعد – ألا وهو مصطلح الحرية، اذ اعتبرته من الامور الجوهرية للوصول الى حالة متسامية لتحديد هوية الانسان ، مبتدئة من حالة تحريره فكرياً كي يختار المواقف التي يهواها ، مارة بالغاء النظام السائد كي تحرره من النظام الطبقي ويتخلص من العبودية المصطنعة التي كانت سمة للعصور السابقة والراهنة آنذاك ومنتهية بربط مصطلح الحرية بالمحبة لتكون الحرية ملتزمة كي لاتتحول الى تهور ومن ثم تكون اداة يستعين بها الانسان لنهش اخيه الانسان (١). ويصبح فيما بعد العبد كسيده – اذ جرد الرياسات والسلاطين اشهرهم جهادا ظافراً لهم فيه فلا يحكم عليكم احد في اكل او شرب او من جهة عيد او هلال او سبت التي هي ظل الامور العتيدة » (٢). وارى ان الاخلاق المسيحية متفقة ايضاً في هذا المجال مع الأخلاق الرواقية (٣) .

(١) أنظر ٥: ١–٣ غلاطية .
٢: ١٦، ١٧ كولوسي .
(٢) انظر مع شارل فرنر ، الفلسفة اليونانية ، ص ٢٣٠ وكذلك يوسف كرم :
(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٠٧ وكذلك
Bartrand Ressait, History of westeren Philosophy, P 263
Fredrick Copleston A History of Philosophy, Vol. I.
Greeco and Rome, P.P. 396–399 .

وأيضاً عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، ص٢٠٦ ، ٢٢٤ .

الخلاصة :

من خلال البحث وجدنا امورا مهمة لايستطيع قارىء الفلسفة الوسيطة الاستغناء عنها:

— انه لايمكن للبناء الفكري مهما كان اصيلا ان يبدأ من الصفر ، بل يقوم على استمرار الأفكار السابقة والمعاصرة له ، يغرف منها ويتغذى عليها وخاصة الأمور التي يرى وفق النمط الجديد انها امور ايجابية ، ويرفض بعض تلك التي يراها غير ملائمة وينقدها .

— هناك تفاعل بين البناء الفكري الفلسفي واللاهوتي في الاخلاق المسيحية ، وقد ادى في النهاية إلى ان تنصب الافكار الرواقية في فكر الرواد الاوائل وخاصة بولس ، واصبحت تلك الافكار رافدا مهما للفلسفة الاخلاقية المسيحية .

— نرى انه لايمكن تحديد الفلسفة الوسيطة من اوغسطين حتى عصر الاستنارة بل ينبغي تحديدها بالآباء الاوائل مارين بالمدرسيين ثم بالمفكرين اللاحقين واغسطين وبعده حتى الفترة الحديثة ، لان هناك تشابهاً ، لابل تطابقاً وانسجاما في المنهجية ، والطروحات والنتائج بين المفكرين الذين ظهروا في القرن الأول وحتى القرن الرابع عشر .

— ان المفكر بولس في مجال الاخلاق توفيقي اذ جمع بين الاخلاق العقلية الرواقية والاخلاق النقلية اللاهوتية وخاصة تلك التي وجد بانها لاتناقض بعضها البعض ، ومن خلال هذا الموقف يمكن ان نجعله رائدا للفلسفة الاخلاقية المسيحية ومجددا للفلسفة الرواقية وخاصة فلسفة سنيكا .

The Impact of Stoicism in Christianity Ethics

By

K.M. Karroumy

Department of History

University of Mosul

ABSTRACT

This piece of research has come out with a number of significant points, seem to be indispensible for a reader of midaevel philosophy:

1– It seems extremely difficult for an ideology, however original, to start from scratch. Its recognition can only be realized when other ideologies, past and contemporary, are still much alive. This is essential in the build–up of a new ideology, for it necessarilly interacts with them, taking whatever suitable and positive. It, on the other hand criticises them when certain things are inconvenient.

2– Thus, there is mutual interaction between philosophical and theological ideologies in Christianity ethics. Rational thoughts have, in the end, greatly influenced the pioneering ideologists, particularly st. Paul, later becoming a source of inspiration for Christian ethics.

3– It would be impractical to talk about midaevel philosophy starting with St. Augustine and ending with the age of enlightenment. We should begin with the pioneers, scholastic and following philosophers. Only then St. Augustine comes into question. Later periods up to modern philosophy, would mark the era, This is due to the fact that these dichotomies are not only similar but harmonious. And this is reflected in their presentation as well as

of conclusions; that is, among philosophers between 1st–14th c. A.D.

4– St. Paul reconciles between rational and theological ethics particularly the uncontradictory sides. In the light of this one can rightly call him a pioneer in Christian ethics , also Promoting rational philosophy, especially that of Cenica

مصادر البحث/ أ ــ العربية

ــ احمد أمين ، زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة اليونانية ، ط ٦ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ .

ــ بولس ، رسائل بولس :

= رسالة إلى أهل افسس .

= رسالة إلى تيطس .

= رسالة إلى أهل روما .

= رسالة إلى فيلبي .

= رسالة إلى العبرانيين .

= رسالة إلى أهل غلاطية .

= الرسالة الاولى إلى أهل كورثوس .

= الرسالة الثانية إلى أهل كورثوس .

= رسالة إلى أهل كولوسي .

ــ توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠ .

ــ جوزيف هولزنر ، مقتطفات من كتاب بولس رسول الأمم ، المطبعة البوليسية ، لبنان ١٩٦٣ .

ــ جميل طربوش ، القديس بولس ، المطبعة البوليسية ، لبنان ، ١٩٥٩ .

ــ جيمس ولبي وابراهيم مطر ، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران ، بيروت، ١٩٥٧ .

ــ عبدالرحمن بدوي :

= خريف الفكر اليوناني ، ط ٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٠.

= فلسفة العصور الوسطى ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٧٩ .

ــ عثمان امين الفلسفة الرواقية ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٧١ .

ــ كريم متي ، الفلسفة اليونانية ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧١ .

— يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ١٩٣٦ .

— اعمال الرسل .

— الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها إلى العربية ، فؤاد كامل واخرون ، القاهرة، ١٩٦٣ .

ب ــ المصادر الاجنبية

1- Bertrand Ressalt, History of Westeren Philosophy, london, 1962.
2- Clark, G,H. Selections Frcm Hellenistic Philosophy, New York, 1940.
3- A- Emile Brehier. Chrysippe, Paris 1910.
B-Emile Brehier, Dusage Antique an Cityen Moderne Paris, 1921.
4- Frederick Copleston, S.J. A History of Philosophy, Vol. I, New York, 1950.
5- Cabriel German, Epictete et La spiritualite stoicienne, Naitres spirituels Aux Editions Du Seul
6- Margret E.J. Taylor, M.A, Greek Philosophy An Tntr, Duction, London, 1945.
7- Seneque, Lettres alucilius, ed, et tr. fr. (Garnier) 1920.
8- Pearson, A.G, The fraqments of Zeno and Cleanthes, London, 1891.
9- Werner Jaeger, The theology of Greek Philosophy, Vol. I, Greece and Rome, New York, 1950.

ب — المصادر الاجنبية

1- Bertrand Ressalt, History of Westeren Philosophy, london, 1962.

2- Clark, G,H. Selections From Hellenistic Philosophy, New York, 1940.

3- A- Emile Brehier. Chrysippe, Paris 1910.

B-Emile Brehier, Dusage Antique an Cityen Moderne Paris, 1921.

4- Frederick Copleston, S.J. A History of Philosophy, Vol. I, New York, 1950.

5- Cabriel German, Epictete et La spiritualite stoicienne, Naitres spirituels Aux Editions Du Seul

6- Margret E.J. Taylor, M.A, Greek Philosophy An Tntr, Duction, London, 1945.

7- Seneque, Lettres alucilius, ed, et tr. fr. (Garnier) 1920.

8- Pearson, A.G, The fraqments of Zeno and Cleanthes, London, 1891.

9- Werner Jaeger, The theology of Greek Philosophy, Vol. I, Greece and Rome, New York, 1950.



لوحة رقم (١)

دينار بيزنطي للامبراطور هرقل وولديه قسطنطين وهرقليوناس

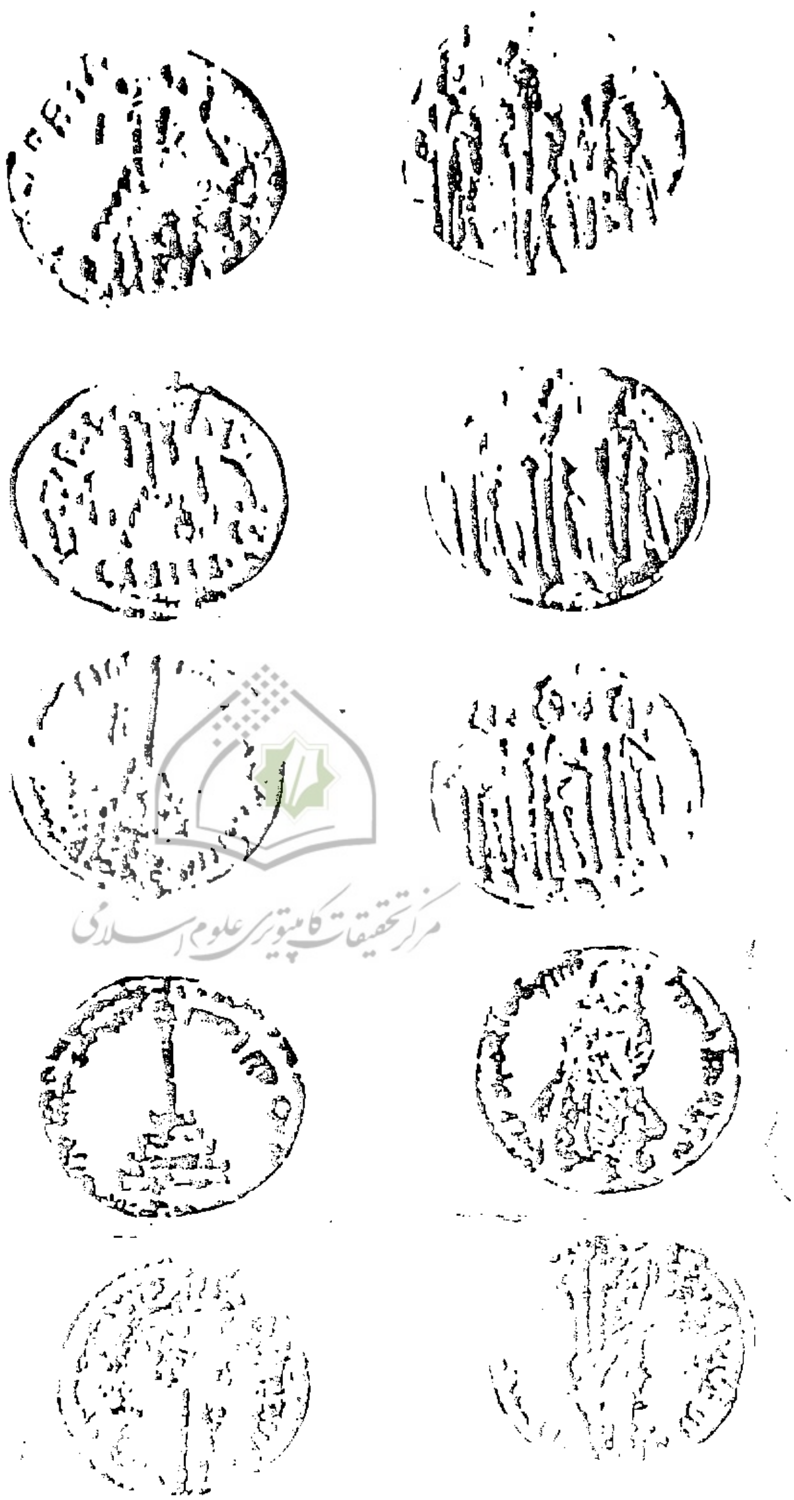


لوحة رقم (٢)

درهم ساساني لكسرى هرمز الخامس

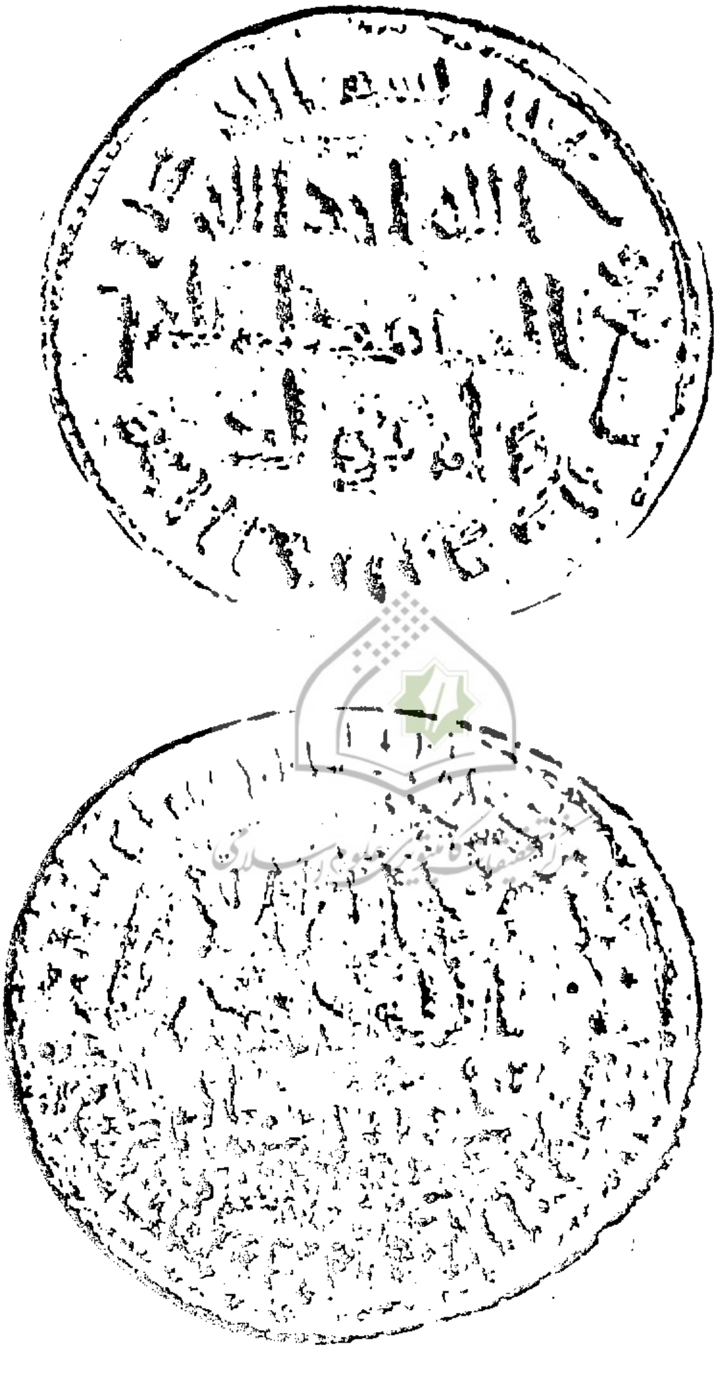


لوحة رقم (٣)
فلس عربي بيزنطي



لوحة رقم (٤) آ. ب

مجموعة من الدنانير المصورة التي توضح خطوات التعريب التي مر بها الدينار العربي الاسلامي في زمن الخليفة عبدالملك بن مروان



لوحة رقم (٥)

دينار ذهبي على الطراز العربي الأسلامي اصدار عبدالملك بن مروان عام ٧٨ﻫ



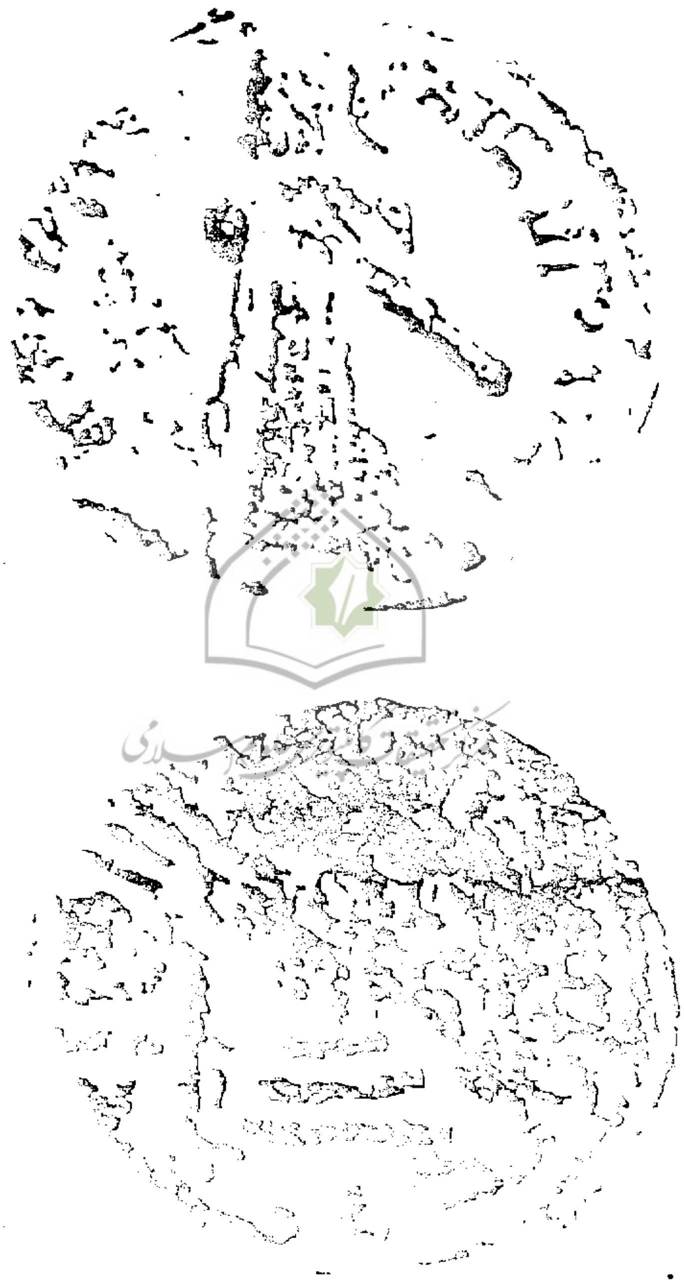
لوحة رقم (٦)

فلس للخليفة الاموي عبدالملك بن مروان



لوحة رقم (٧)

فلس للخليفة الاموي عبدالملك بن مروان



لوحة رقم (٨)

فلس مطلي بالفضة صادر قبيل تعريب النقد عليه اسم وصورة عبدالملك بن مروان



أوحة رقم (٩)

درهم عربي ساساني باسم معاوية امير المؤمنين ضرب عام ٤١هـ





لوحة رقم (١٠)

درهم للخليفة العباسي المتوكل على الله ضرب سنة ٢٤١هـ



لوحة رقم (١١)

درهم الخليفة العباسي المقتدر بالله العاني ٢٩٥هـ ـ ٣٢٠م



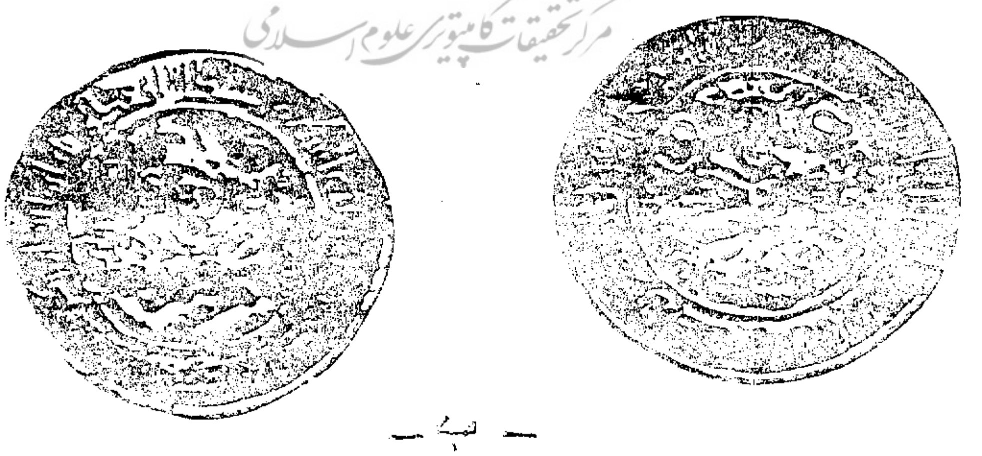
لوحة رقم (١٢)

(أ) درهم للخليفة العباسي جعفر المقتدر بالله ٢٩٥هـ ـ ٣٢٠هـ.

(ب) رسم تخطيطي لصورة الدرهم .



ـ أ ـ



ـ ب ـ

لوحة رقم (١٣)

(أ) دينار الخليفة العباسي الطايع لله ووزيره البويهي عز الدولة ضرب سنة ٣٦٥هـ .

(ب) دينار للخليفة العباسي القائم بأمر الله ووزيره السلطان السلجوقي طغرل بك ابو طالب ضرب سنة ٤٥٠هـ .



لوحة رقم (١٥)

درهم للسلطان السلجوقي كيخسرو الثاني بن كيقباذ ضرب سنة ثمان .... وستماية



أ



لوحة رقم (٥٥)

(أ) فلس للامير الارتقي حسام الدين يولق ارسلان ضرب سنة [illegible] .

(ب) فلس للامير الارتقي ناصرالدين ارتق ارسلان ضرب سنة ٦٠٠هـ .

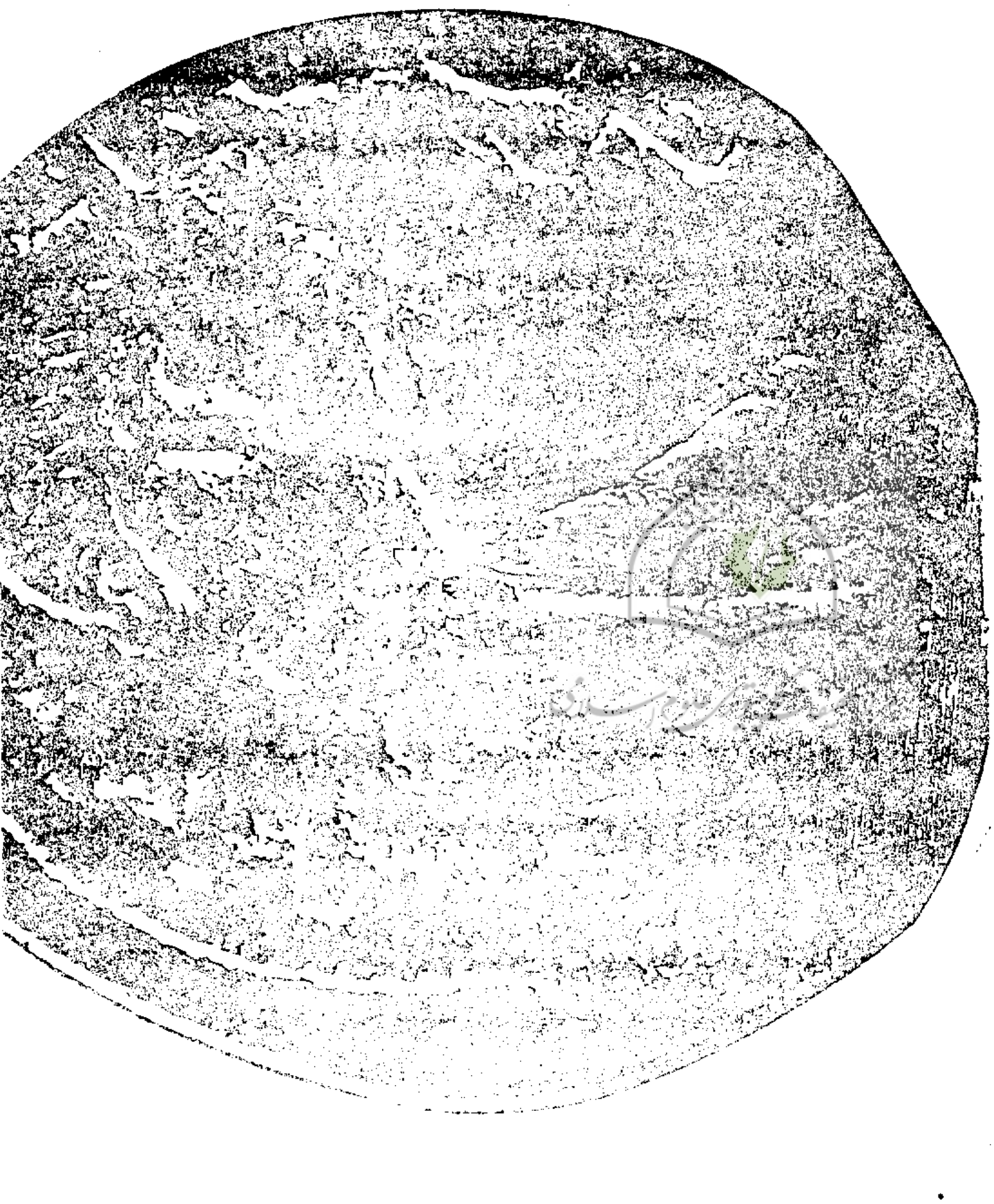


لوحة رقم (١٦)

نماذج مختلفة لفلوس اموية يحوي بعضها تصاوير للأسماك والطيور

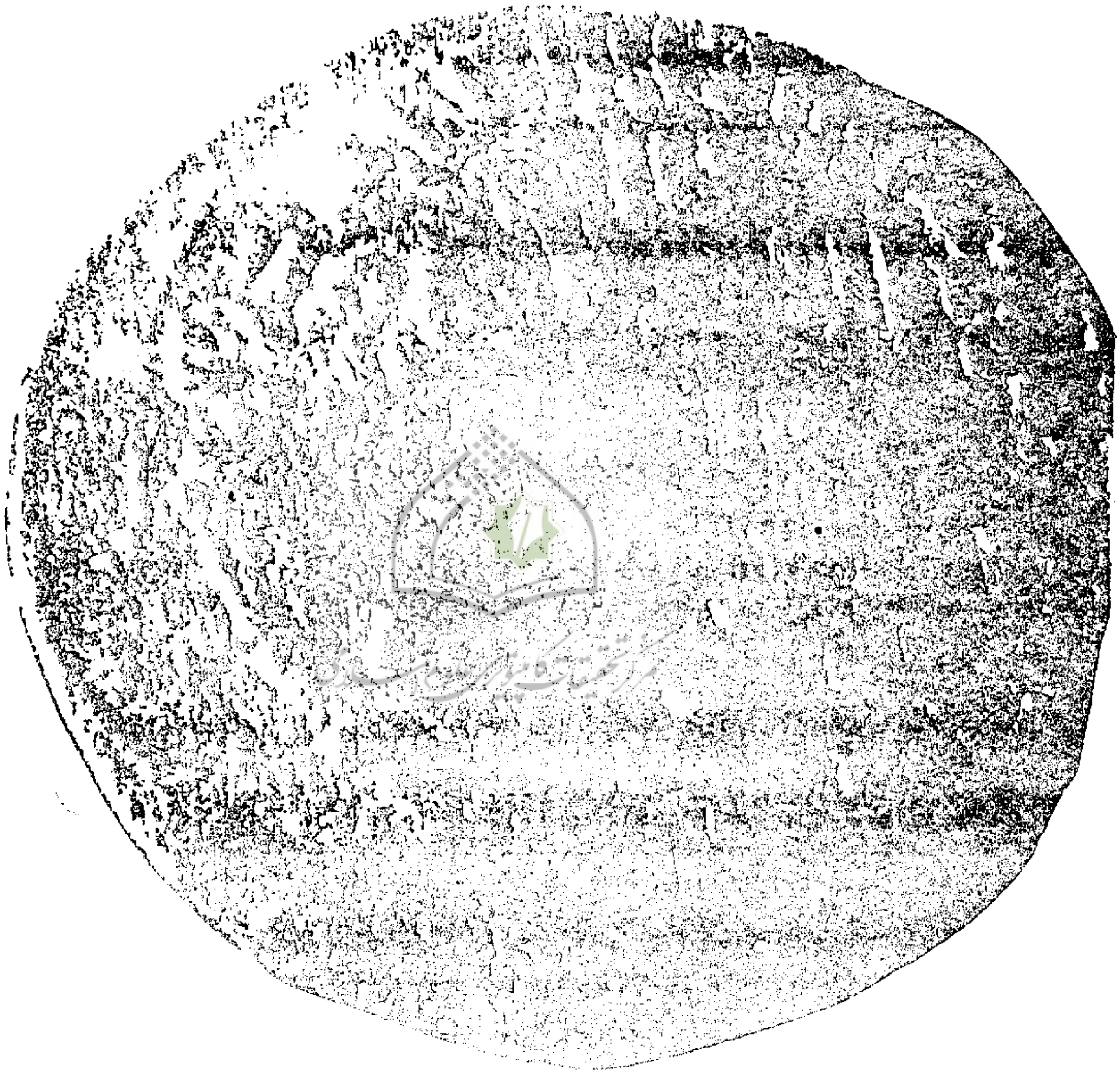
این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است



لوحة رقم (١٩)

وجه فلس لهولاكو ضرب سنة ٦٦٣هـ



لوحة رقم (٢١)

ظهر فلس لهولاكو ضرب سنة ٦٦٣هـ

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

٣ — المواصفات العلمية والشكلية بالخارطة مثل الهدف من رسمها : الابعاد الصحيحة المساحة الصحيحة ، الأتجاه الصحيح .

٤ — مقدار الدقة المطلوبة في المواصفات السابقة او المقدار الذي يمكن به الاستعانة عن مسقط بمسقط اخر يحقق ذات الهدف ، ولكن بدرجة اقل ، كالاستعاضة مثلا بالمسقط المجسم بدل المسقط العمودي عند اظهار الشكل المجسم للارض ، وذلك لسهولة حسابه ورسمه على الرغم من ان المسقط العمودي يجسم الارض بشكل افضل .

٢— موقع العراق وامتداداته

يقع العراق بين دوائر العرض ٥َ٠ ٢٩° و ٢٥َ ٣٧° شمالاً وخطوط الطول ٤٥َ ٣٨ـ٤٥ َ٤٨° شرقاً أي بامتداد شمالي جنوبي اقصاه ٢٠َ ٨° من درجات العرض (٩٢٦) كم في حين يبلغ اقصى امتداد شرقي — غربي ١٠ خطوط طول ، يبلغ طول هذا الامتداد على دائرة عرض ٢٩° (٩٧٢ كسم ٢) «١» ، وبذلك فان امتداد العراق من الشرق للغرب لايختلف كثيراً في طوله عن امتداده الشمالي الجنوبي الا بمقدار ٥٦ كم ، على ان شكل العراق لايتفق مع أية من الأشكال الهندسية المنتظمة ، فهذه الابعاد لاتمثل الا الابعاد الهندسية الواجب استخدامها عند رسم الخارطة .

٣— الاسقاط الملائم

من ملاحظة موقع العراق وامتداداته لابد لنا من اختيار المساقط الملائمة للعروض الوسطى الدنيا منها والتي لاتتأثر كثيراً بالتشويهات بجميع الاتجاهات، سواء بالابعاد ، الزوايا او المساحة . وان تكون هذه المساقط ذات قابلية لاجراء بعض التعديلات الخاصة الامر الذي يستوجب استبعاد المساقط الاسطوانية وذلك لأن هذه المساقط لاتصلح لرسم الخرائط الا للمناطق الواقعة على خط الاستواء كما في الاسقاط الاسطواني العمودي ، أو على عدد قليل جداً من خطوط الطول في الاسقاط الاسطواني المستعرض او على اية دائرة عظمى كما في الاسقاط الاسطواني المنحرف ، فالمساقط الاسطوانية تحدث تشويها

---

(١) يتم حساب البعد على أساس :

ط

ع ×ق ——— ح تاس .

١٨٠

ع = عدد خطوط الطول

كبيراً في الابعاد والمساحة (عدا المسقط الاسطواني المتساوي المساحات) بالابتعاد عن خط المماس ، وهذا التشويه (شرقياً–غربياً) موجباً (وشمالياً)– جنوبياً موجباً في البعض منها كما هو الحال في مسقط مركاتور وسالبا في المسقط الاسطواني المتساوي المساحات وليست المساقط الاتجاهية بافضل حالاً من سابقتها لرسم خارطة العراق فهي لاتصلح الا لبعض الحالات مثل خرائط الملاحة كالمسقط المركزي والخرائط الفلكية كالمسقط المجسم ، وذلك لان المقياس في هذه المجموعة من المساقط يتغير كثيراً بالابتعاد عن مركز الخارطة .

وعليه وبعد استثناء المجموعتين السابقتين لابد من اللجوء اخيراً إلى المجموعة الاخيرة اي المجموعة المخروطية بانواعها للبحث عن المسقط الاكثر ملاءمة ضمنها .

٤. المساقط المخروطية

المساقط المخروطية تحقق شروط تمثيل خرائط الاقاليم والاقطار ذات الموقع المتوسط او القريب المتوسط على دوائر العرض وهذه المساقط يمكن تصنيفها إلى مايلي :

أولاً : المساقط المخروطية المتساوية الابعاد : وهذه المساقط على نوعين :

١ – المسقط المخروطي المتساوي الابعاد على جميع دوائر العرض وخطوط الطول. وهذا المسقط هو مسقط ماندليف ويتم رسمه كما يلي :

– تكون زاوية رأس المخروط متساوية لفواصل خطوط الطول .

– يكون بعد قوس دوائر العرض عن رأس المخروط وفق الصيغة التالية :

$$\text{نق ص} = \frac{\text{٢ ط نق} \times \text{م}}{\text{٣٦٠}}$$

حيث ان

م : متمم دائرة العرض

٢ – المساقط المخروطية المتساوية الابعاد على خطوط الطول وعلى دائرة او دائرتي عرض رئيسيتين وهذه المساقط :

أ – المسقط المخروطي البسيط بدائرة عرض رئيسية واحدة ويتم رسمه :

– اختيار دائرة العرض الرئيسية وهي بالنسبة للعراق ٢٥ً / ٣٣ْ
– ثابت المخروط
– ث = حاص
– قيمة زاوية الرأس : حا ص ع
– نق ص = نق ظتا ص
– بعد أي دائرة عرض اخرى عن رأس المخروط

نق ص + (س نق ط / ١٨٠)

وفي هذا المسقط يكون المقياس على جميع خطوط الطول صحيحاً وعلى دائرة العرض الرئيسية فقط ، ويحدث تشويها على جميع دوائر العرض الاخرى وهذا التشويه هو :

دائرة العرض	التشويه
٢٩	٠,٩٩٧١
٣٠	٠,٩٩٦
٣١	٠,٩٩٥٢
٣٢	٠,٩٩٤٦
٣٣	٠,٩٩٤٣
٣٤	٠,٩٩٤٣
٣٥	٠,٩٩٤٦
٣٦	٠,٩٩٥٢
٣٧	٠,٩٩٦٣
٣٨	٠,٩٩٧٩

المتوسط المرجح للتشويه ٠,٠٠٢٣٤٢١

(ب) المسقط المخروطي بدائرتي عرض رئيسيتين ويتم رسمه مما يلي :
– اختيار دائرتي العرض الرئيسين بحيث تغطي المساحة الواقعة بين دائرتي العرض

الرئيستين ٢/٣ من امتداد الخارطة ، وبذلك تستخدم دوائر العرض ٢٧َ ٣٠° ، و٣٠َ ٣٦° كدوائر رئيسية للعراق .

— ث = (حتاص١ − حتاص٢) / (ص٢ − ص١) × ١٨٠ / ط

— قيمة زاوية الرأس :

ث ع

— نق ص١ = نق حتاص١ / ث

— نق س = نق ص١ + (س نق ط / ١٨٠)

في هذا المسقط تكون دائرتي العرض الرئيستين مساوية لاطولهما على الطبيعة وكذلك الأمر بالنسبة لجميع خطوط الطول ، الا ان اطوال دوائر العرض الاخرى يحدث فيها تشويه كما يلي :

دائرة العرض	التشويه
٢٩	٠,٩٩٩١
٣٠	٠,٩٩٧٩
٣١	٠,٩٩٦٧
٣٢	٠,٩٩٦١
٣٣	٠,٩٦٥٩
٣٤	٠,٩٦٥٩

٣٥	٠,٩٩٦٦
٣٦	٠,٩٦٦٨
٣٧	٠,٩٦٨١
٣٨	٠,٩٦٩٣

المتوسط المرجح ٠,٠١٧٢٧

(ح) المسقط المتعدد المخاريط ويتم رسمه

— لأيجاد ثابت مخروط لكل دائرة عرض :

ث س = جاس

— زاوية الرأس

ث ع

— ايجاد نصف قطر لكل دائرة عرض :

نق طتاس

— حساب البعد بين دوائر العرض :

ط

نق ———

١٨٠

في هذا المسقط تكون جميع دوائر العرض مساوية لاطوالها الحقيقية ويزداد التشويه كثيراً في اطوال خطوط الطول بالابتعاد عن الخط الرئيسي الأمر الذي يجعل تطابق عدد من الخرائط في خارطة كبيرة غير ممكناً (١) .

ثانياً : المساقط المخروطية المتساوية المساحة : وهذه المساقط يمكن تصنيفها الى مجموعات :

(أ) مساقط مخروطية متساوية المساحة متساوية الأبعاد على جميع خطوط الطول وعلى دائرتي العرض الرئيستين وهي :

١ — مسقط ماردوش الأول ولرسم هذا المسقط نحدد مايلي :

— اختيار دائرتي العرض الرئيستين وهما ٥َ٩٠ ٢ْ و ٥َ٢ ٣٧ْ

J.A. Steers. An Introduction to the Srudy of Map Projections (٣) Fifteenth edition London 1970 P 118.

ص$_1$ + ص$_2$

— ث = حا ————————

٢

— زاوية رأس المخروط :

ث ع

— استخراج نسبة لنصف قطر دائرة العرض الأوسط الى نصف قطر الأرض

ص$_1$ — ص$_2$

٢حا ————————

٢

لوع$_1$ = ————————————

ص$_1$ — ص$_2$

— استخراج نسبة نصف قطر متمم دائرة العرض الوسطى :

ن = ل × ظاد

ع ١

حيث ان :

د = متمم دائرة العرض الوسطى

— ايجاد قيمة نق ص$_2$

ص$_1$ — ص$_2$

= (ن + ٢ط ————————) نق

٢

————

٣٦٠

— ايجاد انصاف اقطار دوائر العرض الاخرى :

نق ط

ص$_2$ + (س نق ————)

١٨٠

في هذا المسقط يحدث هنالك تسوية على دوائر العرض وهو

درجة العرض	التشويه
٢٩	١,٠٠١٨٢
٣٠	١,٠٠٠٣
٣١	٠,٩٩٩٤٨
٣٢	٠,٩٩٨٩٩
٣٣	٠,٩٩٨٧
٣٤	٠,٩٩٨٧
٣٥	٠,٩٩٩١
٣٦	٠,٩٩٩٨
٣٧	١,٠٠١٢
٣٨	١,٠٠٢٥

المتوسط المرجح لتشويه ٠,٠٠٠٠٥٨٩٤٧

٢ — مسقط ماردوش الثاني : وعملية رسمه لاتختلف عن سابقه الا في قيمة لع

$$\frac{\text{ل}}{\text{٢ع}} = \text{حتا}\ \frac{\text{ص١} - \text{ص٢}}{\text{٢}}$$

وفي هذا المسقط يكون التشويه على دوائر العرض كما يلي :

دائرة العرض	التشويه
٢٩	٠.٩٩٠٥٩
٣٠	٠.٩٨٨٩
٣١	٠,٩٨٨٠
٣٢	٠,٩٨٧٣
٣٣	٠,٩٨٦٩٩

٣٤	٠,٩٨٦٩١
٣٥	٠,٩٨٧١
٣٦	٠,٩٨٧٦
٣٧	٠,٩٨٨٩
٣٨	٠,٩٩٠١

المتوسط المرجح للتشويه ٠,٠٠٠٦٢

٣ ــ مسقط ماردوش الثالث : وهو يختلف في طريقة حسابه عن ماردوش الأول

ــ طريقة حساب ثابت المخروط :

$$\text{ث} = \text{حا}\ \frac{\text{ص}_{٢} \times \text{ص}_{٢}}{٢} \times \text{حا}\ \frac{\text{ص}_{١} - \text{ص}_{٢}}{٢}$$

$$\left\{ \frac{٢\text{ط}\ \left(\frac{\text{ص}_{١} - \text{ص}_{٢}}{٢} \right)}{٣٦٠} \right\} \ ٢\ \text{طتا} \left[\frac{\text{ص}_{١} - \text{ص}_{٢}}{٢} \right]$$

$$\text{ــ ل ع}_{٣} = \frac{٢\text{ط}\ \frac{\text{ص}_{١} - \text{ص}_{٢}}{٢} \times \text{طتا}\ \frac{\text{ص}_{١} - \text{ص}_{٢}}{٢}}{٣٦٠}$$

وفي هذا المسقط يحدث هنالك تشويه على دوائر العرض وهو :

درجة العرض	التشويه
٢٩	١,٠٠٠٠٤
٣٠	٠,٩٩٨٥

٣١	٠,٩٩٧٦٤
٣٢	٠,٩٩٧٠٨
٣٣	٠,٩٩٦٨١
٣٤	٠,٩٩٦٨٣
٣٥	٠,٩٩٧١٧
٣٦	٠,٩٩٧٨٢٩
٣٧	٠,٩٩٩٢١
٣٨	١,٠٠٠٥٢

المتوسط المرجح للتشويه ٠,٠٠١٠٣٦٨

(ب) المسقط المخروطي المتساوي في المساحة متساوي الابعاد على خط الطول الرئيسي وعلى جميع دوائر العرض وهذا المسقط هو مسقط بون حيث يتم رسمه كما يلي :

— اختيار دائرة العرض الرئيسة ٢٥ ٣٣°

— نقص = نق طتا ص

— شاص = حاص

— نقس = نقص — نق $\frac{ط}{١٨٠}$

— ثابت المخروط لكل دائرة عرض :

شاس = $\frac{\text{نق حتا س}}{\text{نق س}}$

في هذا المسقط يظهر هنالك تشويه على جميع خطوط الطول عدا خط الطول الرئيسي فهي تظهر على شكل منحنيات الجيب .

(حـ) المساقط المخروطية المتساوية المساحة متساوية البعد على دوائر العرض الرئيسية .

١ — المسقط المتساوي المساحة متساوي البعد على دائرتي العرض الرئيسية (البرز) ويتم رسمه .

— اختيار دائرتي العرض الرئيسيتين ٢٧′ ٣٠° و ٣٠′ ٣٦°

$$— \text{ث} = \frac{\text{حاص}_1 + \text{حاص}_2}{2}$$

$$— \text{نق ص}_1 = \frac{\text{نق حتا ص}_1}{\text{ث}}$$

$$— \text{نق ص}_2 = \frac{\text{نق حتا ص}_2}{\text{ث}}$$

$$— \text{نق س} = (\text{نق ص})^2 - \frac{2\ \text{نق}^2}{\text{ث}} (\text{حاس} - \text{حاص})$$

وفي هذا المسقط يحدث تشويه في اطوال دوائر العرض غير الرئيسية وجميع خطوط الطول وهذا التشويه

درجة العرض	تشويه العرض	درجة العرض	تشويه الطول
٢٩	١,٠٠٠١	٢٩ — ٣٠	٠,٩٩٨٦
٣٠	٠,٩٩٩٩	٣٠ — ٣١	٠,٩٩٩٦
٣١	٠,٩٩٩١	٣١ — ٣٢	١,٠٠٠٣
٣٢	٠,٩٩٨٦	٣٢ — ٣٣	١,٠٠٠٦
٣٣	٠,٩٩٨٤	٣٣ — ٣٤	١,٠٠٠٧
٣٤	٠,٩٩٨٤	٣٤ — ٣٥	١,٠٠٠٥
٣٥	٠,٩٩٨٨	٣٥ — ٣٦	١———
٣٦	٠,٩٩٩٥	٣٦ — ٣٧	٠,٩٩٩١
٣٧	١,٠٠٠٩٩	٣٧ — ٣٨	٠,٩٩٨٠
٣٨	١,٠٠٢٣٧		

المتوسط المرجع للتشويه ٠,٠٠٠٩١٥٧

٢ — مسقط لامبرت الاول : ويتم رسمه

— اختيار دائرة العرض الرئيسية ٢٥َ ٣٣°

— ث = حا ص

— زاوية الراس :

حا ص ع

— نق ص : نق طتا ص

— نق = نق ———————————

س حا س

طتا٢ ص + ٢ — ٢ ———————

حا ص

في هذا المسقط يحدث تشويه لاطوال دوائر العرض وخطوط الطول جميعاً عدا دائرة العرض الرئيسة وهذا التشويه :

درجة العرض	تشويه العرض	درجة العرض	تشويه الطول
٢٩	١,٠٠٢٦	٢٩ — ٣٠	٠,٩٩٧٧
٣٠	١,٠٠١١	٣٠ — ٣١	٠,٩٩٨٢
٣١	١,٠٠٠٣	٣١ — ٣٢	٠,٩٩٩٣٨
٣٢	٠,٩٩٩٨	٣٢ — ٣٣	٠,٩٩٩٣٣
٣٣	٠,٩٩٩٦	٣٣ — ٣٤	٠,٩٩٩٧
٣٤	٠,٩٩٩٦٨	٣٤ — ٣٥	٠,٩٩٩٣
٣٥	١,٠٠٠٠٧	٤٥ — ٣٦	٠,٩٩٨٧
٣٦	١,٠٠٠٧٨	٣٦ — ٣٧	٠,٩٩٧٧
٣٧	١,٠٠٢٢٣	٣٧ — ٣٨	٠,٩٩٦٨
٣٨	١,٠٠٣٦٤ .		

المتوسط المرجع للتشويه ٠,٠٠١٣٥٢ .

٣ — لامبرت الثاني ويتم رسمه

— اختيار دائرة العرض الرئيسية ٣٣° ٢٥′

— $ث = حتا^{2} \frac{م}{2}$

— $نق ص = 2 نق \ ظا \frac{م}{2}$

— $نق س = 2 نق \times حا \frac{90 - س}{2} \times قا \frac{م}{2}$

في هذا المسقط تكون التشويهات :

درجة العرض	تشويه العرض	درجة العرض	تشويه العرض
٢٩	١,٠٢٢٨	٢٩ — ٣٠	٠,٩٨١٣٩
٣٠	١,٠١٧٢	٣٠ — ٣١	٠,٩٨٦٣٤
٣١	١,٠١٢٢	٣١ — ٣٢	٠,٩٩١٢٣
٣٢	١,٠٠٧٢	٣٢ — ٣٣	٠,٩٩٦٠٤
٣	١,٠٠٢٤	٣٣ — ٣٤	١,٠٠٠٧٧
٣٤ —	٠,٩٩٧٧	٣٤ — ٣٥	١,٠٠٥٤
٣٥	٠,٩٩٣٢	٣٥ — ٣٦	١,٠١٠٠
٣٦	٠,٩٨٨٧	٣٦ — ٣٧	١,٠١٤٥
٣٧	٠,٩٨٤٨	٣٧ — ٣٨	١,٠١٨٩
٣٨	٠,٩٨٠٥		

متوسط الأعراض المرجح للتشويه ٠,٠٠١١٢٦٨٤

٥ـ الخلاصة

يتضح مما سبق بأن هنالك أفضلية باستخدام بعض انواع المساقط المخروطية دون غيرها عند رسم خارطة العراق وهذه الأفضلية تتحدد بما يلي :

١ ـ الابعاد الصحيحة يفضل استخدام مانديليف اولاً ثم بتشويه متدرج : مادروش الأول ، مادروش الثاني ، البرز ، ماردش الثالث ، لامبرت الأول المسقط المخروطي البسيط بدائرتي عرض رئيسيتين .

٢ ـ المساحة المتساوية يفضل اولاً استخدام مسقط ماردوش الأول فمادروش الثاني ، البرز ، ماردش الثالث ، لامبرت الأول ، لامبرت الثاني ، حيث ان جميع هذه المساقط تحقق المساحة المتساوية ، الا ان التفضيل يتم على اساس نسبة تشويه الأبعاد .

٣ ـ الاتجاه الصحيح : للحصول على مسقط الاتجاه يتوجب الحصول على مسقط يحقق خاصية التشابه أي تساوي الزوايا بين المسقط والأرض وهذا يتحقق باستخدام المسقط المخروطي البسيط بدائرة عرض واحدة او بدائرتي عرض رئيسين بعد استخدام معامل التصحيح :

$$ق = \frac{نق\ حا\ م}{ث\ (ظا\ \frac{م}{٢})^{ث}}$$

غير ان استخدام احد المساقط دون غيره قد تفرضه ضرورة معينة فمثلا ان خرائط العراق الصادرة عن المؤسسة العامة للمساحة تستخدم مسقط مركاتور المستعرض وهو من المساقط التي تم الاتفاق عليها في المؤتمرات الدولية لرسم الخرائط المليونية للعالم .

المراجع

١ ـ فتحي ابراهيم مساقط الخرائط الجغرافية الاسكندرية ١٩٧٥ .

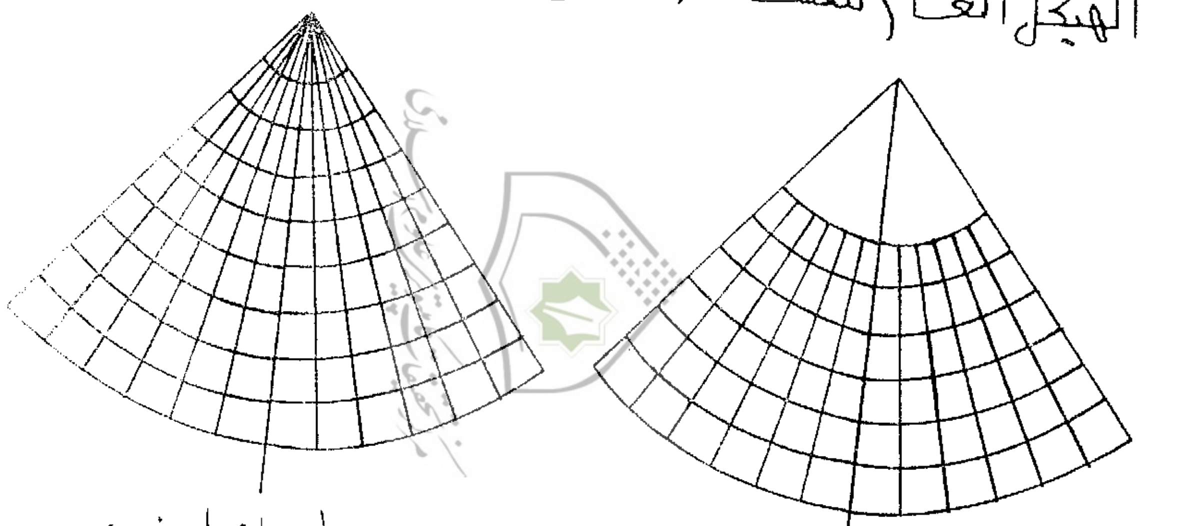
2- Kellaway G. P. Map projection Lonydon 1970.

3- Reingier, F. Les systeme de projection et Leur Application. paris 1957.

4- Steers J. A. An Introduction to the study of Map Projections London. Fifteenth edition 1970.

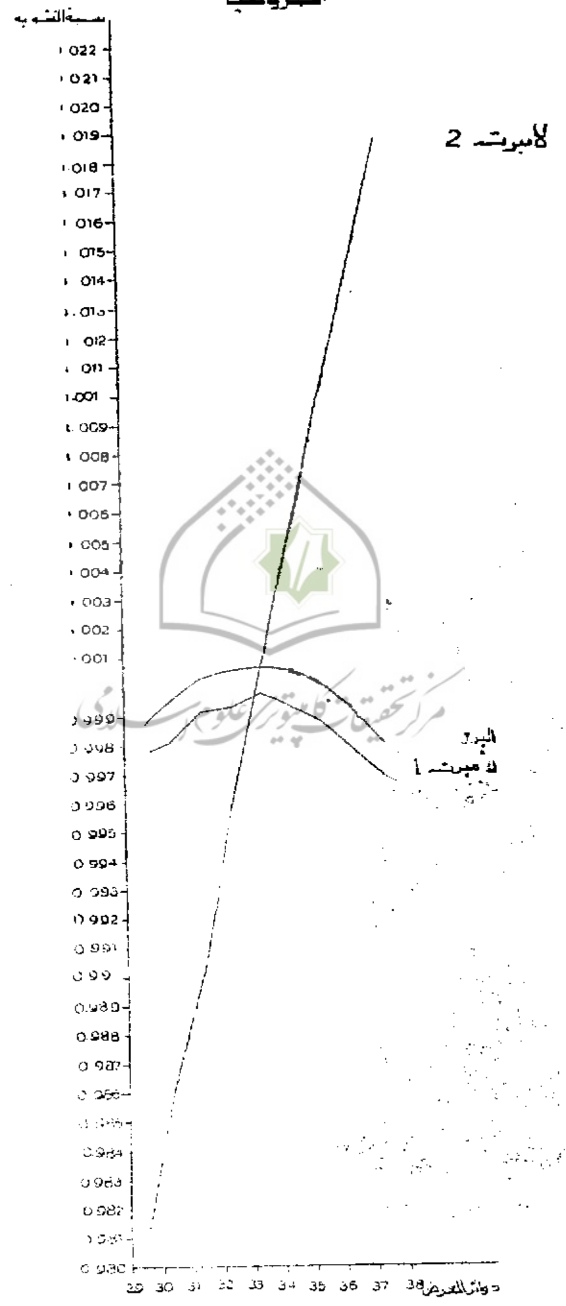
شكل -١-

الهيكل العام للمساقط المخروطية

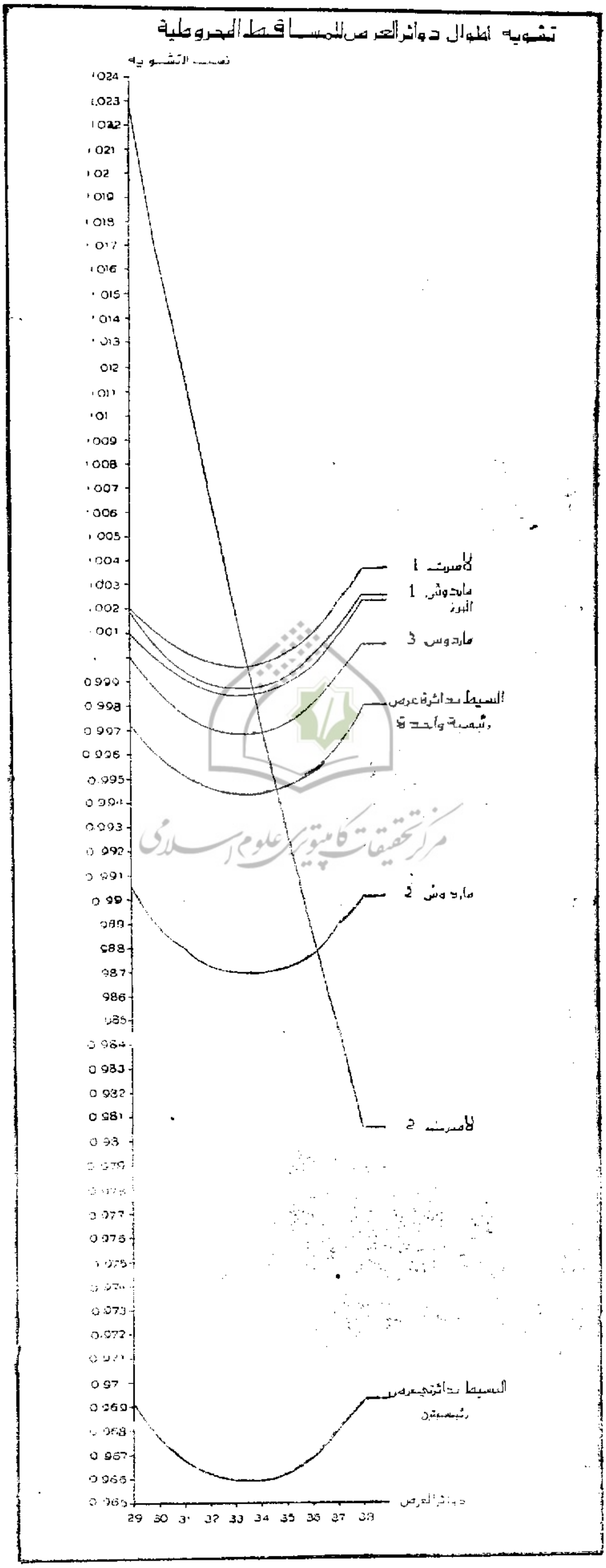


شكل - ٢ -

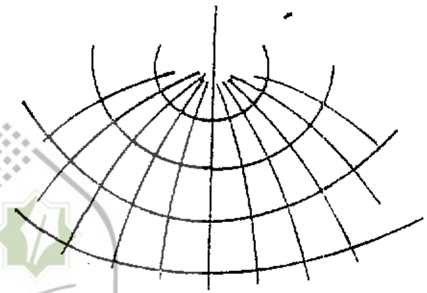
تشويه ابعاد خطوط الطول بين دوائر العرض للمساقط المخروطية



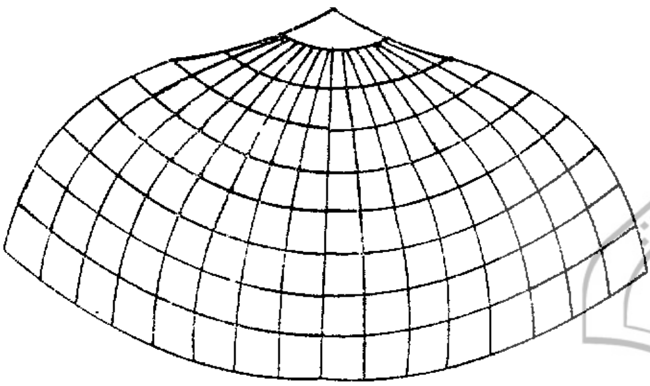
شكل -٣-



تشويه اطوال دوائر العرض للمساقط المخروطية
نسبة التشويه
لامبرت 1
ماردوش 1
البرز
ماردوس 3
البسيط بدائرة عرض رئيسية واحدة
ماردوش 2
لامبرت 2
البسيط بدائرتي عرض رئيسيتين
دوائر العرض
29 30 31 32 33 34 35 36 37 38



المسقط المتعدد المخاريط



مسقط بونت

تحليل جغرافي لأحجام ومراتب المدن في اقليم مدينة الموصل

صبيح يوسف طاهر
كلية التربية / جامعة الموصل

المقدمة :

يهدف البحث الى تحليل التوزيع الجغرافي للمدن في اقليم مدينة الموصل تبعاً للطبقة الحجمية ، والتعرف على النمط الذي يتخذه توزيعها طبقاً للقواعد والقوانين التي عالجت الحجم في مناطق مختلفة من العالم وفسرته .

لم يقتصر اهتمام الباحثين بجغرافية المدن على دراسة مواضع المدن ومواقعها Site&Situation والعلاقة بينها وبين اقاليمها فحسب، بل أنه تناول ايضاً علاقات المدن بعضها مع بعض وتدرج احجامها من اجل الكشف عن القوانين والنظريات التي تتحكم في ترتيب العلاقة بين احجام المدن ومراتبها واعدادها .

وفيما يتعلق بالأهداف من البحث ... المفاهيم والقواعد التي وضعت لتفسير تلك العلاقة فان هناك ضرورة لاستخدامها في الكشف عن التركز السكاني في اقليم ... الدراسة من اجل توضيح الكيفية التي تتوزع بها النشاطات الإقتصادية والخدمية كماً ونوعاً إذ أن تركز السكان هو دالة تركز الأنشطة الإقتصادية والخدمات الإجتماعية المرتبطة بها.

هذا من جانب ومن جانب آخر فان توزيع المدن حسب احجامها إنما يكشف عن ظاهرة وجود أو إنتفاء وجود التوازن الاقليمي ، كما أنه يكشف ايضاً عن سير ظاهرة النمو الحضري والمشاكل التي يمكن أن ترافقها ، والتي تبرز في ظواهر تفاقم مشاكل الإسكان واختناق حركة النقل داخل المدن وما يتسبب عنه من هدر في الزمن اللازم للحصول على السلع والخدمات ، وعدم كفاءة او إنعدام بعض المرافق العامة (البلدية والنقل والهاتف على سبيل المثال) وطمس بعض الخصائص العمارية في بؤرة المدينة القديمة لغرض مواكبة الجديد جراء وضع دراسات واعداد خرائط التصميم الأساسي للمدن .

إن تلمس الجغرافي لقصور وتخلف المركز الحضري بمؤسساته المختلفة عن تلبية احتياجات سكانه وسكان اقليمية بصورة بارزة مع تباين المرتبة الحجمية انما يفترض منه البحث والمعالجة من اجل ايضاح دوره باعتباره جغرافياً في مجال التخطيط الحضري لأظهار المقدرة على الاسهام في هذا المجال والعمل على تطوير اختصاصه في الوقت ذاته على وجه الخصوص ، ولا يوجد ادنى شك من أن الحاجة لدراسة قائمة من أجل التخطيط في مدننا «بسبب التدفق البشري السريع نحو بعضها والناجمة عن حالة اللاتوازن بين الأقاليم ومراكز الإستيطان الأمر الذي يتطلب من المدن توفير المستلزمات للأعداد المتزايدة من السكان والا فانها ستفقد اهميتها بكونها مراكز للأستقرار» (١) .

منطقة الدراسة :

يتمثل اقليم مدينة الموصل بمحافظتي نينوى ودهوك (٢) التي تشغل (٤٧٦٩٤) كيلو متر مربع أو ١٠,٩ ٪ من مساحة القطر (انظر الخارطة شكل ١) وحسب احصاء عام ١٩٧٧ بلغ مجموع سكان منطقة الدراسة ١,٣٢٦,٦٠٩ نسمة . يستوطن ٥١,٨٩ ٪ منهم

(١) الدكتور خالص الأشعب ، التخطيط الطبيعي ضرورة دائمة لتطوير مستوطناتنا البشرية ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، المجلد العاشر ، تموز ١٩٧٨ ، ص١٦٩-٢٠٤ .

(٢) عد الباحث محافظة دهوك ضمن أقليم مدينة الموصل على الرغم من كونها خارج الحدود الادارية لمحافظة نينوى ، حيث تعد مدينة الموصل مركزها الاداري ، وذلك لاعتبارات عديدة منها :

أ : ان محافظة دهوك كانت منذ تشكيل محافظة نينوى (الموصل سابقاً) جزءاً من لواء الموصل إلى أن فك أرتباطها اداريأ باستحداث محافظة دهوك مركزها مدينة دهوك ، لذا فأن مدينة الموصل كانت البؤرة المراكز الحضارية في دهوك ، حيث تتجه نحوها باعتبارها المركز الاداري الكبير (مركز اللواء والمحافظة) من أجل الحصول =

في مراكز حضرية (١) تتباين في حجومها ، ما بين مدينة صغيرة ، لا يتجاوز عدد نفوسها ٣٥٧ نسمة ، مثل مدينة بروارى بالا ، واخرى طاغية ، مثل مدينة الموصل (٤١٤٦٦٠ نسمة) .

= على أهم البضائع والخدمات .

ب : العلاقات السكانية الواضحة ، اذ أن هناك ١٩,٩٤٥ نسمة من سكان محافظة نينوى يسكنون مدن وقرى دهوك منهم ١١,٤١٦ نسمة من سكان القرى.

ج : العلاقات الوظيفية :

١- العلاقات التجارية ، ترتبط محافظة دهوك مع محافظة نينوى حيث يوجد مركز اشراف المنطقة الشمالية، وخاصة بالنسبة الشركة التجارية العراقية التي يتعدى ذلك إلى محافظة أربيل أيضاً .

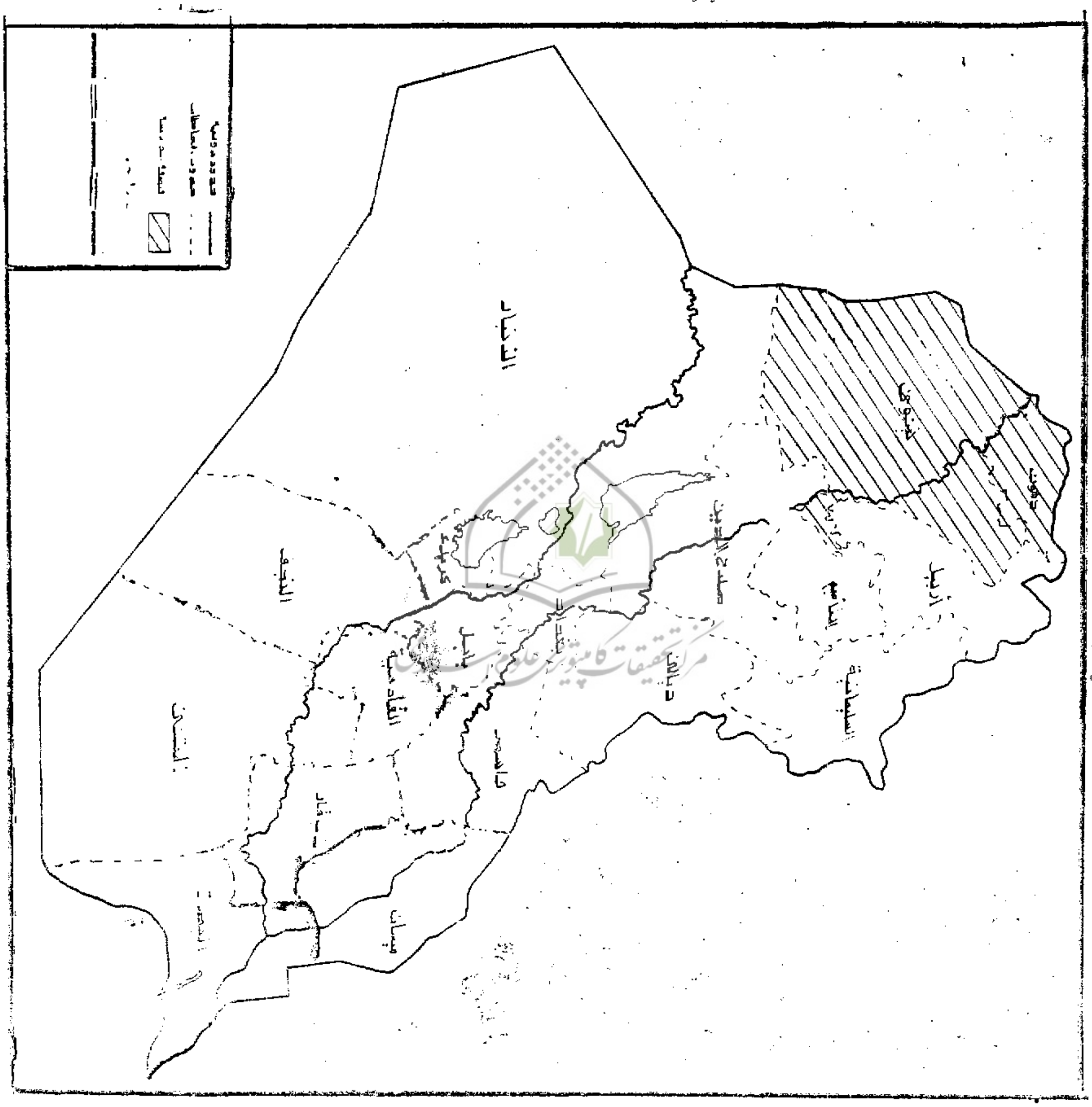
٢- مازالت فروع بعض المؤسسات التجارية في محافظة دهوك ترتبط مع المؤسسات التجارية في محافظة نينوى حسابياً (كالشركة التجارية العراقية لعدم توفر الكادر) والمنشأة العامة للمخازن العراقية ، رغم أن الفروع الشمالية عموماً انتهى ارتباطها ادارياً وتسويقياً مع المديرية في مدينة الموصل منذ عام ١٩٨٠ هذا من جانب ومن جانب آخر ترتبط فروع المؤسسات التجارية في دهوك مع الموصل من حيث التجهيز وخاصة وكلاء البطاريات أو التنسيق بشأن البضائع العاطلة الحركة أو النقص ، اذ يوجد تنسيق بين مديرية المخازن العراقية في الموصل ودهوك بشأن توزيع البضائع التي لاتباع في دهوك الا أن الحاجة تزداد لها في الموصل وبالعكس . وكذلك في حالة وجود نقص لبضاعة في دهوك حيث تجهز عن طريق الموصل .

د : الخدمات الصحية : تعتمد محافظة دهوك على مدينة الموصل في الحالات المرضية المهمة كأمراض القلب والأمراض العصبية والجلدية ، كما أن الكثير من الحالات الغذائية التي تستدعي التحليل مختبرياً ترسل الى مختبر فحص المواد الغذائية في مدينة الموصل ، اضافة الى خدمات الأطباء الإختصاصية .

هـ : بفعل موقع مدينة الموصل المتميز وأهميتها الوظيفية وطبيعة السطح في محافظة دهوك فإنه لا توجد طرق مهمة أخرى [illegible] محافظة دهوك في عموم [illegible] . والطرق البرية المهمة سواء التي تربط دهوك [illegible] (العمادية وزاخو) تربطها مباشرة بمدينة الموصل .

(١) المقصود بالمراكز الحضرية مختلف مراتب المدن مع اختلاف مرتبتها الإدارية (مراكز نواحي ، أقضية ، ومراكز محافظات ، وبدون اعتبار عدد السكان التي يضمها كل من هذه المراكز الإدارية ، أنظر :

الدكتور عبد الرزاق عباس حسين ، نشأة مدن العراق وتطورها ، معهد البحوث والدراسات العربية ، [illegible]



شكل رقم (1)

وتتباين طوبوغرافية اقليم مدينة الموصل، حيث يمكن أن نلاحظ المناطق الطبيعية الآتية:

١ ــ منطقة السهول المتموجة .

٢ ــ المنطقة الجبلية .

وتتباين المناطق الطبيعية السابقة في مظاهرها فهي تتنوع من سلاسل جبلية يتباين معدل ارتفاعها ما بين (جبل عديه ٤٢٧ متر) الى (٢٠٩٥ متراً كما في جبال بروارى بالا) . الى الهضاب والتلال والأودية والسهول . (انظر الخارطة شكل (٢)). لقد رسمت طوبوغرافية المنطقة مواقع مختلفة للمدن منها مواقع اقدام الجبال مثل مواقع مدن بعشيقة وبحزاني وعين سفني (مركز قضاء الشيخان) والقوش ودهوك والسندي ، كما ظهرت مواقع مقدمات الجبال ، مثل مدن سنجار والسنوني (مركز ناحية الشمال). ومواقع داخلية الجبال مثل العمادية ، سرسنك ، سواره توكه ، كاني ماسي ، وزاويته . والمواقع العقدية مثل مدينة الموصل ، ومدينة تلعفر ، ومدينة زاخو .

وتغطي الأقليم شبكة من طرق المواصلات البرية (طرق السيارات) كما ويخدمه خط السكك الحديد ، تقوم جميعاً على ربط المدن بعضها مع البعض والمدينة الأم مدينة الموصل والأخيرة مع انحاء القطر(١)، ولعد حالة الطرق البرية في اقليم مدينة الموصل جيدة، اذا ما علمنا أن ٢٥٠٣ كيلو متراً منها أو ما يعادل ٦١٫٢٪ من المجموع الكلي للطرق معبدة تعبيداً حديثاً ، كما أن هنالك ١٣١٠ كيلو مترات من الطرق الصالحة للأستعمال على الرغم من قدم إنشائها ، في حين لا تمثل الطرق الترابية سوى (٢٧٦) كيلو متراً (٢) .

(١) يبلغ مجموع أطوال الطرق البرية (طرق السيارات) في منطقة الدراسة ٤٠٨٩ كيلو متر منها (٤٨٣) كيلو متر من الطرق الجبلية الوعرة والمتمثلة بمعظم طريق موصل – نهلة ، وموصل – السرجية ، وسنجار – الشمال، وطريق عقرة – سورجية ، عقرة – نهلة، وطريق موصل – منداني أنظر : وزارة الأسكان ، مديرية الطرق والجسور ، قسم التصاميم والمناهج ، شبكة الطرق ، جداول المسافات عام ١٩٧٨ .

أما السكك الحديد فيبلغ طولها (٢٩٢) كيلو متر ، تمثل ١٦٫٣٪ من اجمالي أطوال خطوط السكك الحديد العريضة والمترية ، اذا ماعلمنا بأن اجمالي خطوط السكك الحديد العريضة والمترية في القطر هي [illegible] كيلو متر ، أنظر :

د . سعدي علي غالب ، جغرافية النقل البري في العراق ، الجزء الثاني الجداول الإحصائيـة جداول الجداول رقم (٤) ص [illegible] ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨ .

(٢) وزارة الأسكان ، مديرية الطرق والجسور ، قسم التصاميم والمناهج ، شبكة الطرق ، جداول بالمسافات ، عام ١٩٧٨ (بيانات مطبوعة بالالة الكاتبة) .

التوزيع الجغرافي للمراكز الحضرية في منطقة الدراسة :

يمثل التركيز على دراسة التوزيع الجغرافي للمدن طبقاً لأحجامها واعدادها ومراتبها والمكانية وجود قواعد وقوانين يتحكم بها أحد الجوانب التي تناولتها الدراسات الحضرية التي اهتمت بدراسة علاقات المدن بعضها مع بعض ضمن الشبكة الحضرية . واذا كانت دراسة أحجام المدن ذات أهمية خاصة بحيث تقدم المؤشر على وزن أية مدينة بالنسبة لبقية المدن الأخرى ، علاوة على كونها المعيار للأهمية العامة للمدينة على وجه العموم ولقيمة مرافقها على وجه الخصوص (١) الا أنه ليس مقياساً لمركزيتها (٢) . فلا غرابة إذن أن تشهد الكتابات الجغرافية الحضرية العديد من الدراسات والأبحاث التي تناولت هذا الجانب .

التوزيع الجغرافي لطبقات احجام المدن ومراتبها :

نستنتج من الجدول رقم (١) والخارطة شكل ٣ خارطة الاحجام) ما يأتي :

١ — بلغ المجموع الكلي للمراكز الحضرية ٢٨ مركزاً حضرياً في عام ١٩٧٧ في حين أنها لم تتعد نصف ذلك بقليل (١٨ مركزاً) عام ١٩٤٧. ثم ازدادت فجأة في السنوات ١٩٥٧ ، ١٩٦٥ حيث اصبحت ٢٣، ٢٣ مركزاً لكل منها على التوالي، وهو لا يدل على ظهور مدن جديدة ، وانما ارتقاء بعض المراكز الريفية (القرى) الى المرتبة الحضرية بقرار اداري (*) .

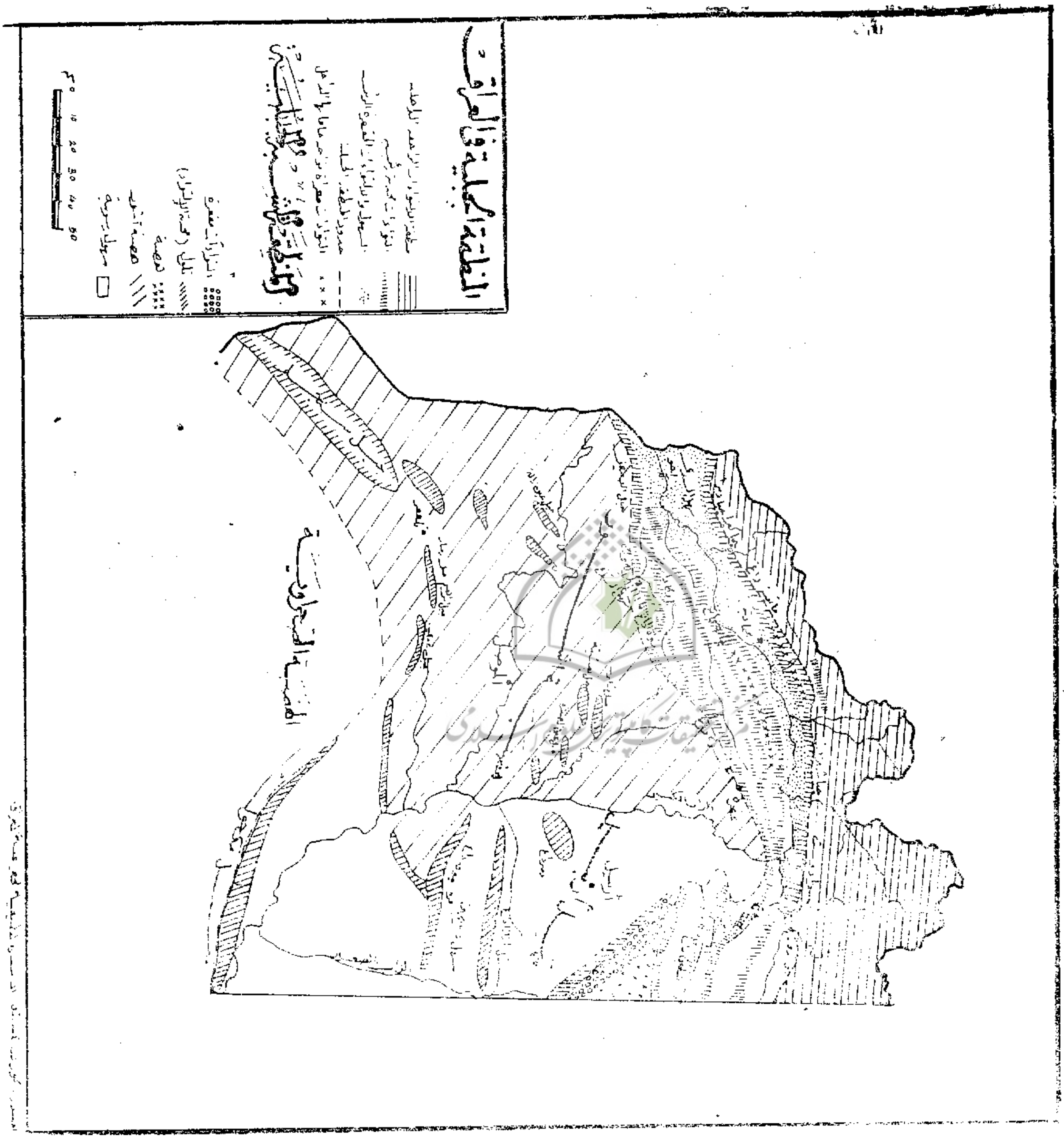
---

(١) جمال حمدان ، جغرافية المدن ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٢٣٢.

(٢) يؤكد والتركريستالر في نظرية المشهورة بنظرية الأماكن المركزية بأن عدد سكان المدينة (الحجم) معيار لأهمية المدينة وليس لمركزيتها أي الدرجة التي تخدم بها المدينة سكانها وسكان المناطق المجاورة لها ، انظر :

Harold Carter, "The study of Urban Geograpy, Second Edition, Great Britain, 1976. P. 74.

(*) في تعداد عام ١٩٥٧ ظهرت مدن بعشيقة (حمام العليل والقيارة [illegible] وسجيل وتلة والشخان [illegible] وزمار [illegible] في تعداد عام ١٩٦٥ مدن أخرى أمثال مركز ناحية [illegible] ومركز ناحية [illegible] فقد ظهرت في نتائج تعداد السكان لعام ١٩٧٠ ، أما في نتائج التعداد العام للسكان ١٩٧٧ [illegible]
[illegible] .



شكل رقم (٢)

جدول رقم (١)

تطور اعداد وأحجام المدن في محافظتي نينوى ودهوك للأعوام ٤٧–٥٧–٦٥ و ١٩٧٧

الطبقة الحجمية	عدد المـــــــدن				اجمالي سكان الطبقة الحجمية			
	١٩٤٧	١٩٥٧	١٩٦٥	١٩٧٧	١٩٤٧	١٩٥٧	١٩٦٥	١٩٧٧
أقل من ٢٥٠٠ نسمة	٨	١٨	٢٢	١٤	٨٩٠٩	١٧١٤٣	٢٢٩١٦	١٩٢٠٢
٢٥٠١–٥٠٠٠	٧	٥	٤	٩	٩٢٧٣	١٥٣٥٠	١٣٣٦٩	٣٣٥٢٥
٥٠٠١–١٠,٠٠٠	[illegible]	٥	٥	١٠	٢٩٢٧٦	٣٥٤٠٣	٣٨٠٧٥	٧١٠٦٠
١٠,٠٠١–٢٠,٠٠٠	١	—	٢	١	١٩٩٠١	—	٣١٤٥٠ مدينة دهوك وزاخو	١٢١٣٦ (مدينةالشرقاط)
٢٠,٠٠١–٥٠,٠٠٠	—	١	١	٢	—	٢٥٤٥٣ (مدينة تلعفر)	٣٦٩٩٨ (مدينة تلعفر)	٧٠٤٩٠ (دهوكوزاخو)
٥٠,٠٠١–١٠٠,٠٠٠	—	—	—	١	—	—	—	٥٧٦٥٩
١٠٠,٠٠١–٢٥٠,٠٠٠	١	١	—	—	١٣٢٧٤٩	١٧٨٢٢٢	—	—
٢٥٠,٠٠١–٥٠٠,٠٠٠	—	—	١	١	—	—	٢٦٤١٤٦	٤١٤٦٦٠
المجموع الكلي	١٨	٣٠	٣٥	٣٨	٢٠٠٢٥٥	٢٧١٥٧١	٤٠٧٠٤٤	٦٧٨٧٣٢

١) عمل الباحث استناداً على المصادر التالية : —

أ: المملكة العراقية ، وزارة الشؤون الاجتماعية ، مديرية النفوس العامة ، احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ ، بغداد ، ١٩٥٤ ، عدة اجزاء .

ب: الجمهورية العراقية ، وزارة الداخلية ، مديرية النفوس العامة ، المجموعة الاحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧ ، لوائي الموصل واربيل ، مطبعة الارشاد ، بغداد .

ج: الجمهورية العراقية ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥ ، بغداد ، ١٩٧٣ .

د: وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، نتائج ترقيم المباني وحصر السكان لسنة ١٩٧٧ ، محافظة نينوى ، تشرين الأول ١٩٧٧ غيرمنشور .

هـ: وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٧٧ ، محافظة دهوك ، تشرين الأول ١٩٧٢ ، غيرمنشور .

ملحق جدول رقم (١)

النسبة المئوية في اجمالي الحضر				النسبة المئوية لعدد المدن			
١٩٧٧	١٩٦٥	١٩٥٧	١٩٤٧	١٩٧٧	١٩٦٥	١٩٥٧	١٩٤٧
٢٫٨	٥٫٦	٦٫٣	٤٫٠	٣٧٫٠	٦٢٫٨	٦٠٫٠	٤٤٫٠
٤٫٩	٣٫٢	٩٫٧	٥٫٠	٢٤٫٠	١١٫٤	١٦٫٧	١٧٫٠
١٠٫٥	٩٫٤	١٣٫٠	١٥٫٠	٢٩٫٠	١٤٫٣	١٦٫٧	٢٨٫٠
١٫٨	٧٫٧	—	١٠٫٠	٢٫٦	٥٫٧	—	٥٫٥
١٠٫٤	٩٫١	٩٫٤	—	٥٫٢	٢٫٩	٣٫٣	—
٨٫٥	—	—	—	٢٫٦	—	—	—
—	—	٦٥٫٦	٦٦٫٠	—	—	٣٫٣	٥٫٩
٦١٫١	٦٥٫٠	—	—	٢٫٦	٢٫٩	—	—
١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠

٢ – تنتظم المراكز الحضرية في منطقة الدراسة في ثماني طبقات حجمية (١) .

٣ – اما حسب الطبقات الحجمية ، فقد ازداد عدد مراكز بعض الطبقات الحجمية في عام ١٩٧٧ الى الضعف مما كانت عليه في الأعوام الماضية ومنذ عام ١٩٤٧ ، امثال الطبقات الحجمية (٢٥٠ – ٥٠٠٠ نسمة) و (٥٠٠ – ١٠.٠٠٠ نسمة) . كما ظهرت مراكز تنتمي الى طبقات حجمية جديدة وتقلصت قاعدة الهرم لصالح الحجوم الكبرى نسبياً ، فبينما اقتصر عدد مراكز الطبقة (٢٥٠ – ٥٠٠٠ نسمة) على ثلاثة مدن فقط هي مراكز نواحي القوش والحمدانية (قرة قوش) ومركز قضاء العمادية ، إذ قفز العدد الى تسعة مراكز في عام ١٩٧٧ ، وهي مركز قضاء البعاج (٣٠٨٤ نسمة) ومراكز نواحي الكلي (باطوفة ٤٩٢٠ نسمة) ، (حمام العليل ٤٦٠٢ نسمة) ، (الشمال ٤١١٣ نسمة) ، برطلة ٤٠٤٣ نسمة ، القوش ٣٧٢٠ نسمة ، السندي ٣٣٢٠ نسمة ، الزاب ٢٩٠٥ نسمة ، العياضية ٢٨١٨ نسمة وهناك عشرة مراكز تنتمي للطبقة (٥٠٠١ –١٠٠٠٠ نسمة) انظر الجدول ٩. ومدينتان في الطبقة المتوسطة (٢٠٠٠١ – ٥٠٠٠٠نسمة) وهما مركز قضاء دهوك ٤٠١٩١ نسمة ومركز قضاء زاخو ٣٠٢٩٩ نسمة ، في حين كانت هذه الطبقة معدومة في عام ١٩٤٧ ، واقتصرت إلاّ على مركز مدينة تلعفر في تعدادي السكان عام ١٩٥٧ و ١٩٦٥ .

٤ – (أ) : هناك ٢٣ مركزاً حضرياً ينتمي للطبقة الحجمية دون ٥٠٠٠ نسمة تشكل ٦١٪ من المجموع الكلي لعدد مراكز الإستيطان الحضرية عام ١٩٧٧ والبالغة ٣٨ مركزاً حضرياً يسكنها (٥٧٧٢٧ نسمة) أو ما يعادل ٧و٧٪ فقط من المجموع الكلي للسكان الحضر . ومنذ عام ١٩٤٧ ارتفع عدد المراكز الحضرية التي تنتمي الى هذه الطبقة في مقابل تذبذب نسبة مجموع سكان مدنها وإن أقصى زيادة في عدد مراكز هذه الطبقة ومجموع ساكنيها برز عام ١٩٥٧ (انظر الجدول ١) .

وعلاوة على إنخفاض مجموع سكان هذه الطبقة قياساً بسائر الطبقات الحجمية العليا عام ١٩٧٧ ، وسكان نفس الطبقة للأعوام ٤٧ – ١٩٦٥ ، فأن تجزئة مدن هذه الطبقة للعام نفسه الى مدن الطبقة دون (٢٥٠٠ نسمة) و (٢٥٠١ – ٥٠٠٠ نسمة) سيبرز لنا ظاهرة مهمة ، وهي أن هناك تركيزاً في الطبقة (٢٥٠١ – ٥٠٠٠) منه في الطبقة دون ٢٥٠٠ نسمة

---

(١) تم تحديد فئات الطبقات الحجمية في هذا البحث على أساس التوزيع الحجمي الفعلي لحجوم مراكز الوحدات الادارية في منطقة الدراسة .

جدول رقم (٢)

جدول يوضح الزيادة المطلقة ونسبتها حسب الطبقات الحجمية في مدن منطقة الدراسة

الطبقة الحجمية	الزيادة المطلقة لسكان الحضر ٩٥٧–٤٧	٩٦٥–٥٧	٩٧٧–٦٥	النسبة المئوية للزيادة ٩٥٧–٤٧	٩٦٥–٥٧	٩٧٧–٦٥
أقل من ٢٥٠٠	٨٢٣٤	٥٧٧٣	٣٧١٤–	١١,٥	٤,٢	١,٦–
٢٥٠١–٥٠٠٠	٥٩٧٧	١٩٨١–	٢٠١٥٦	٨,٤	١,٤–	٨,٤٩
٥٠٠١–١٠,٠٠٠	٦١٢٧	٦١٧٢	٢٢٩٨٥	٨,٦	١,٩	١٣,٩
١٠,٠٠١ – ٢٠,٠٠٠	(١)	(٤) ٣١٤٥٠	١٩٧١٤–		—	٨,١–
٢٠,٠٠١ – ٥٠,٠٠٠	(٣) (٢)	١١٥٤٥	٣٣٤٩٧	٧,٧	٨,٤٠	١٤,١٢
٥٠,٠٠١ – ١٠٠,٠٠٠	—	—	—	—	—	—
١٠٠,٠٠١–٢٥٠,٠٠٠	٤٥٤٧٦		—	٦٣,٨	—	—
٢٥٠,٠٠١–٥٠٠,٠٠٠	—	(٥) ٨٥٩٢٤	١٥٠٥١٤	—	٦٢,٩٥	٦٣,٤٦
المجموع الكلي	٧١٣١٦	١٣٧٣٦٤	٢٣٧١٤٧	١٠٠,٠		

عمل الباحث اعتماداً على مصادر الجدول رقم (١)

(١) لم تظهر الطبقة الحجمية في عام ١٩٥٧ بينما توجد مدينتان فقط عام ١٩٦٥ وهما مركز قضاء دهوك ([illegible] نسمة) ومركز قضاء زاخو (١٤٤٦٧ نسمة).

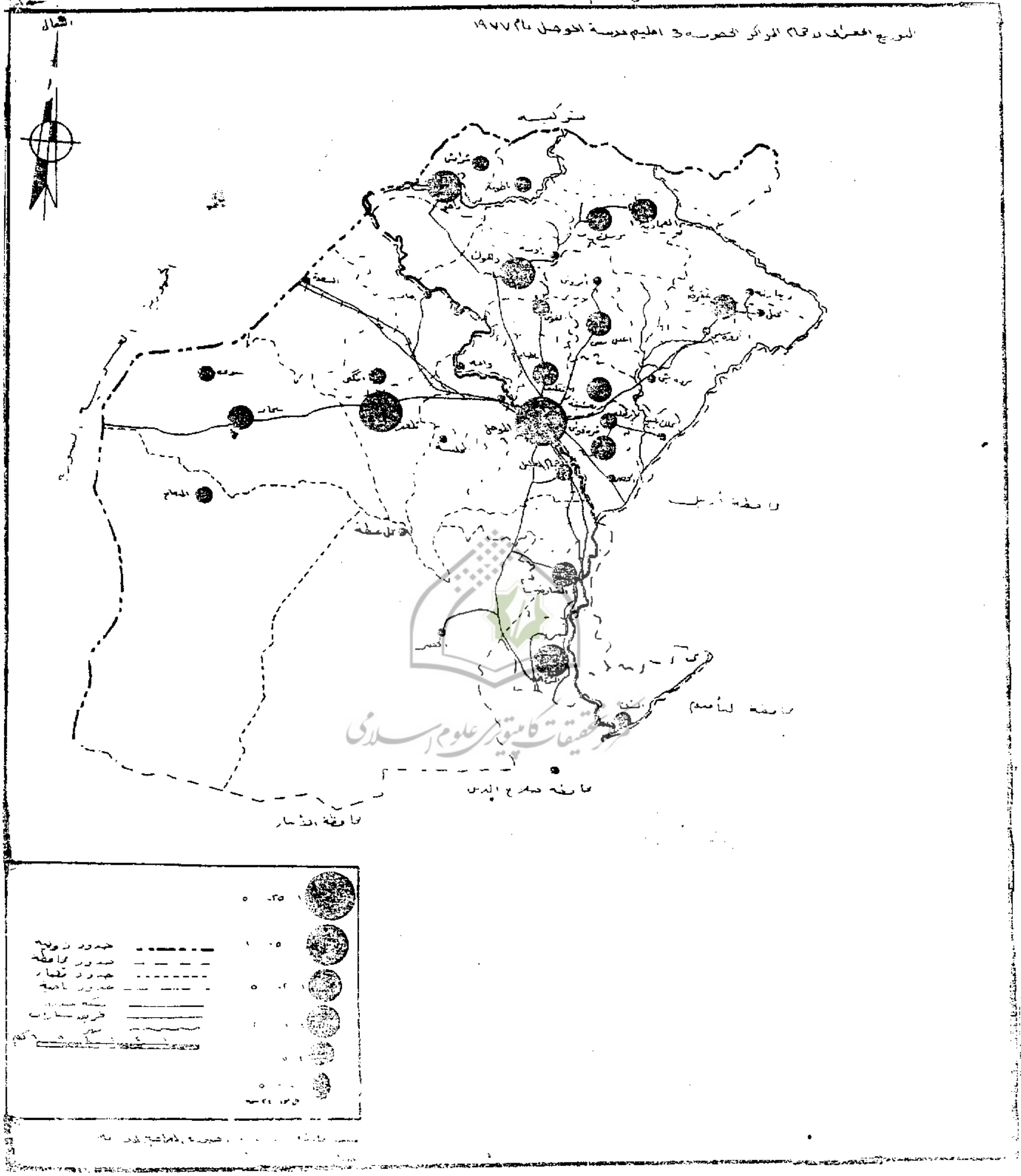
(٢) لم تظهر الطبقة الحجمية في عام ١٩٤٧ والمدينة التي تمثل هذه الطبقة الحجمية هي تلعفر وزاخو من (١٥٥٩٠) نسمة في عام ١٩٤٧ إلى (٢٠٥٤٩ نسمة) في عام ١٩٥٧.

(٣) لما كان الهدف هو التعرف على الزيادة المطلقة ونسبتها فقد أدمجت الطبقتان الرابعة والخامسة للطبقة المطلقة الزيادة للثالثة (٢٠٠٥٥ نسمة).

(٤) يشمل سكان مدينتي دهوك وزاخو.

(٥) يشمل الزيادة المطلقة للطبقة الحجمية التي تزيد عن ١٠٠,٠٠٠ نسمة نظراً لارتفاع الحجم السكاني لمدينة الموصل عام ١٩٦٥ بحيث أصبحت ضمن الطبقة الحجمية (٢٥٠,٠٠١ – ٥٠٠,٠٠٠) نسمة.

شكل رقم (٣)



شكل رقم (٣)

كما هو ملاحظ على طبيعة التوزيع للسنوات السابقة (الجدول رقم ١) الأمر الذي يعكس ارتفاع الحدود السكانية للمدن والدليل على أن نقص سكان المدن الصغرى لفائدة المدن من الطبقات الحجمية العليا (جدول رقم ٢) بتأثير عدة عوامل كأرتفاع مستوى التحضر . ومعدله وارتفاع معدلات نمو بعض مراكز هذه الطبقة حيث بلغت النسبة المئوية للزيادة في

مراكز هذه الطبقة ٤٩ر٨٪ . انظر الجدول رقم (٢) .

(ب) : تقف (١٠) مدن ضمن الطبقة الحجمية (٠٠١ر٥ — ٠٠٠ر١٠ نسمة) . يبلغ عدد سكانها (٧١٠٦٠) نسمة أو ٥ر١٠٪ من اجمالي السكان الحضر ، لقد تضاعف عدد مراكز هذه الطبقة بعد أن كان خمس مدن فقط تغيرت في اهميتها باعتبارها طبقة حجمية حيث إستوطنها ٠ر١٥٪ و ١٣٪ و ٤ر٩٪ من السكان الحضر للسنوات ٤٧، ١٩٥٧ أو ١٩٦٥ ، على التوالي . انظر الجدول رقم (١) . ومدن هذه المرتبة الحجمية هي الحمدانية (قره قوش) ٩٤٧٨ نسمة ، بعشيقة ٩٠٣٢ نسمة ، سميل ٧٧٨١ نسمة ، سرسنك ٧٧٦٠ نسمة ، العمادية ٦٩٤٦ نسمة ، وتلكيف ٦٩١٦ نسمة ، وغيرها (انظر الخارطة شكل رقم ٢) ومعظم مدن المرتبة مراكز ادارية بدرجة قضاء عدا ثلاثة منها مراكز لنواحي وهي بعشيقة ، وسرسنك والقيارة .

(ج) : تنتمي مدينة الشرقاط ١٢١٣٦ نسمة الى الطبقة الحجمية (٠٠١ر١٠ — ٠٠٠ر٢٠ كما تبرز مدينة دهوك وزاخو ضمن الطبقة (٠٠١ر٢٠ — ٠٠٠ر٥٠) تضم سوية ٤ر١٠٪ من السكان الحضر . اما مدينة تلعفر فقد ارتقى سقفها السكاني بحيث ظهرت مدينة وحيدة ضمن المرتبة (٠٠١ر٥٠ — ٠٠٠ر١٠٠) وهي طبقة حجمية جديدة على احجام مدن اقليم مدينة الموصل (منطقة الدراسة) . وتكتسب مدينة تلعفر اهميتها الحجمية في كونها ثاني اكبر مدينة في منطقة الدراسة بعد مدينة الموصل حيث تضم ٥ر٤٪ من اجمالي السكان و ٥ر٨٪ من اجمالي السكان الحضر أو ما يعادل أكثر من عدد السكان الحضر في ٢٣ مدينة ، يقل حجمها عن ٥٠٠٠ نسمة ، ويقارب عدد سكان مدينتي دهوك وزاخو عام ١٩٧٧ سوية .

لقد شهدت الطبقات الحجمية (٠٠١ر٥ — ٠٠٠ر١٠) و(٠٠١ر٢٠ — ٠٠٠ر٥٠) اعظم زيادة في عدد سكانها للفترة ما بين ١٩٦٥ — ١٩٧٧ مقارنة بالفترات التي سبقتها وذلك بسبب ارتفاع معدلات نمو معظم مراكز هذه الطبقة (انظر الجدول رقم ٢) . فيما عدا مدن مراكز اقضية عقرة ، والشيخان وتلكيف التي تعود الى الطبقة الاولى (٠٠١ر٥ — ٠٠٠ر١٠ نسمة) حيث شهدت تدهوراً في تمركز سكانها بحيث لم تصل نسبة الزيادة المئوية

فيها الآن الى -٢٠٪ و -٦ر٢٪ و -٤ر٥٪ لكل منها على التوالي فقد ارتفعت معدلات ... مراكز هذه الطبقة وقد تراوحت نسبة الزيادة السنوية فيها من ١ر٢٢٪ في مركز ناحية سرسنك الى ١ر٢٪ في مركز قضاء الحمدانية في حين أنها وصلت الى ١٣٪ في مركز قضاء سميل و٦ر٨٪ في العمادية و٥ر٧٪ و٢ر٧٪ لكل من مركز قضاء دهوك وناحية بعشيقة وهي تزيد على نسبة الزيادة السنوية للسكان الحضر في منطقة الدراسة وللفترة ذاتها (١).

(د) : تقع مدينة الموصل لوحدها ضمن طبقة المدن الكبرى (اكثر من ٠٠٠ر١٠٠ نسمة) يبلغ حجمها السكاني (٤١٤٦٦٠ نسمة) بحيث تستأثر بـ ١ر٦١٪ من اجمالي السكان الحضر و ٠٣ر٣٢٪ من اجمالي سكان منطقة الدراسة عام ١٩٧٧ . وتظهر الأرقام في الجدول رقم (١) حدوث هبوط خفيف في تلك النسبة منذ عام ١٩٤٧، ، الأمر الذي يعكس ارتفاع نصيب مدن الطبقات الحجمية الأدنى من الزيادة في السكان الحضر ولكن مع استمرار مدينة الموصل في الأستئثار باعلى نصيب من تلك الزيادة وللفترات كافة (انظر الجدول رقم٢) الأمر الذي يمكن تعليله بفضل فعالية مدينة الموصل في استقطاب السكان وزيادة تركيزهم أن لهذه الظاهرة تأثيرات واضحة على بقية المدن في منطقة الدراسة ، اذ قامت بتجريدها من معظم وظائفها وبالتالي عرقلة نموها مما يشلها عن امكانية تقديم الخدمات لسكانها وسكان اقاليمها مما يفقد تلك المدن اسباب وجودها كمراكز لتقديم الخدمات (انظر الملاحق ١، ٢)

٥ - أن ملامح التركيز تتضح في منطقة الدراسة ، حيث تستأثر مدينة واحدة فقط ، هي مدينة الموصل بثلثي السكان الحضر والزيادة المطلقة لهم (جدول رقم ١، ٢) وأن الميل العام للمدن دون ٠٠٠ر١٠ نسمة يعكس لنا بأنها تفقد سكانها لصالح مدن الطبقة العليا ولصالح الطبقات الحجمية التي ظهرت حديثاً .

٦ - ومن الأشكال اللوغارتمية (١، ٢، ٣، ٤) التي توضح انماط توزيع احجام مدن منطقة الدراسة نستنتج ما يأتي :

(أ) : على حين لم يتجاوز سكان مدينة الموصل في الأعوام ١٩٤٧، ١٩٥٧ حدود الطبقة الحجمية ٠٠١ر١٠٠ - ٠٠٠ر٢٥٠ نسمة قفز فجأة الى الطبقة الحجمية (٠٠١ر٢٥٠ - ٠٠٠ر٥٠٠ نسمة) في الأعوام ١٩٦٥ و ١٩٧٧

(١) بلغت الزيادة السنوية للسكان الحضر في منطقة الدراسة للفترة ١٩٦٥-١٩٧٧ ٤ر٤٪ ، انظر جدول معدلات النمو .

(ب) : أن قاعدة الهرم الحجمي عام ١٩٤٧ هزيلة ولا تتكون الا من (١٦) مركزاً حضارياً لا يزيد سكان اكبرها عن ١٠٫٠٠٠ نسمة منها (١١) مدينة يقل عدد سكانها عن (٥٠٠٠ نسمة) تهوى بشدة نحوها من القمة ، مدينة الموصل ١٣٢٧٤٦ نسمة الى المدينة الثانية تلعفر (١٩٩٥١) التي لم تكون سوى ١٥و٠ من سكان المدينة الأولى ، ومنها الى المدينة الثالثة تلكيف ثم الرابعة زاخو والخامسة مدينة دهوك (انظر الجدول رقم ٣) .

أحجام سكان خمس مدن في منطقة الدراسة بالنسبة للمدينة الأولى (الموصل)

للسنوات ٤٧ — ٥٧ — ٦٥ — ١٩٧٧ .

السنة	مدينة الموصل	المدينة الثانية	المدينة الثالثة	المدينة الرابعة	المدينة الخامسة
١٩٤٧	١	تلعفر	تلكيف	زاخو	دهوك
		١٥و٠	٠٥و٠	٠٥و٠	٠٤و٠
١٩٥٧	١	تلعفر	زاخو	دهوك	تلكيف
		١٤و٠	١٤و٠	٠٤و٠	٠٤و٠
١٩٦٥	١	تلعفر	دهوك	زاخو	عقرة
		١٤و٠	٠٦و٠	٠٥و٠	٠٣و٠
١٩٧٧	١	تلعفر	دهوك	زاخو	الحمدانية
		١٤و٠	١٠و٠	٠٧و٠	٠٣و٠
قاعدة المرتبة الحجم (زيف)	١	٥٠و٠	٣٣و٠	٢٥و٠	٢٠و٠
قاعدة جفرسون	١	٣٠و٠	٢٠و٠	—	—

ويستمر الاتجاه في عامي ١٩٥٧ و ١٩٦٥ مع ظاهرة ازدياد في عدد مراكز الطبقة الحجمية دون ٥٠٠٠ نسمة حيث ارتفع عددها الى (١٨) و (٢٢) مركزاً لكل منها على التوالي (راجع جدول رقم ١) . مع مؤشر نمو مدن المرتبة الثالثة والرابعة حجمياً وهي المتمثلة بدهوك وزاخو حيث تقلصت الفجوة بينهما وبين المدينة الأولى (الجدول رقم ٣) .

أما فترة السبعينات فقد شهدت تبدلا في الهرم الحجمي بحيث تقلصت قاعدته كما أرتقت بعض المدن الى طبقة حجمية جديدة عليا مثل مدينة تلعفر (١٠٠,٠٥٠ ــ ٠٠٠,١٠٠) . مع الأتجاه العام نحو تقلص الفجوة بين مدينة الموصل والمدينة الثالثة والرابعة . فعلى حين كانت المدينتان الثالثة والرابعة (دهوك وزاخو) لاتمثلان سوى ٠,٠٦ و٠,٠٥٠ من عدد سكان المدينة الأولى عام ١٩٦٥ ارتفع ذلك بحيث ازداد تركز السكان فيهما بفعل عوامل عديدة (١) فأصبح ٠,١٠ و٠,٠٧ في بغداد عام ١٩٧٧ (الجدول رقم) . وارتفع نسبة نصيبهما من جملة السكان الحضر الى ٤,١٠٪ مقابل ٧,٧٪ للعام ١٩٦٥ . أما مدينة تلعفر فقد حافظت على مركزها منذ عام ١٩٤٧ ثاني مدينة في منطقة الدراسة رغم انخفاض نسبتها عن المدينة الأولى .

ج : تستمر الفجوة التي تفصل المدينة الأولى وبقية المدن في اتساعها ، كما يظهر من الأشكال اللوغارتمية (١،٢،٣،٤) ، والجدول رقم (٣) . الا انه يظهر من منحنى تسلسل احجام ومراتب مدن منطقة الدراسة ، الميل للتقليل من شدة الأنحدار في الفترة بعد عام ١٩٥٧ . فحين تنحدر الأحجام في سنة ١٩٤٧ من مدينة كبيرة وهي مدينة (الموصل) بأتجاه مدينة صغيرة متوسطة عام ١٩٥٧ ، ثم منها بشدة الى مدن يقل عدد سكانها عن ١٠,٠٠٠ نسمة ، يكون الأنحدار شديداً أيضاً عام ١٩٧٧ ولكن بأتجاه ثلاث مدن من الأحجام المتوسطة (٢٠,٠٠٠ ــ ١٠٠,٠٠٠) وهي تلعفر ، ودهوك وزاخو ثم تنحدر منها بالتدريج الى المدينة الرابعة مركز قضاء الشرقاط (١٢١٣٩) نسمة .

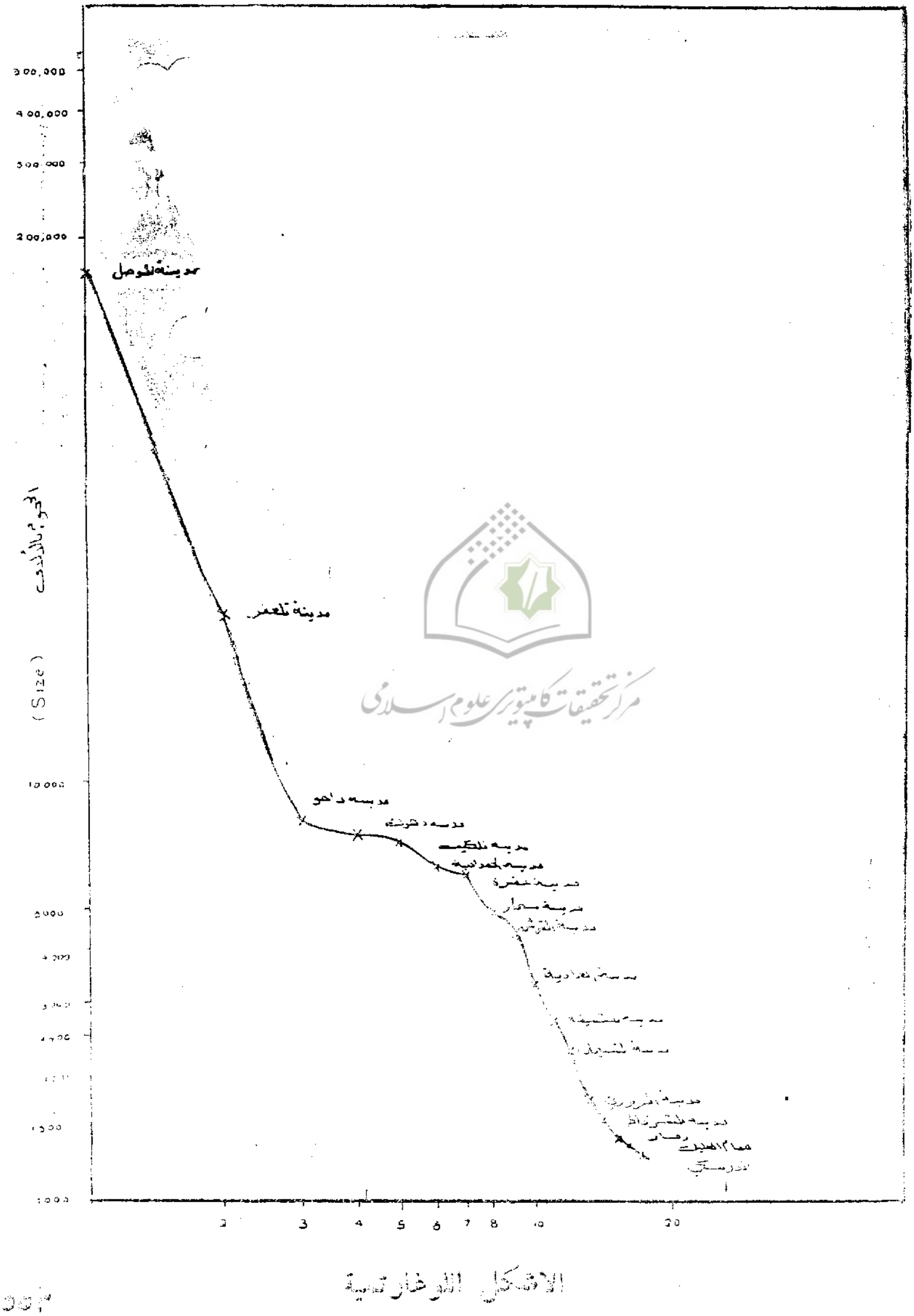
قاعدة المرتبة ــ الحجم :

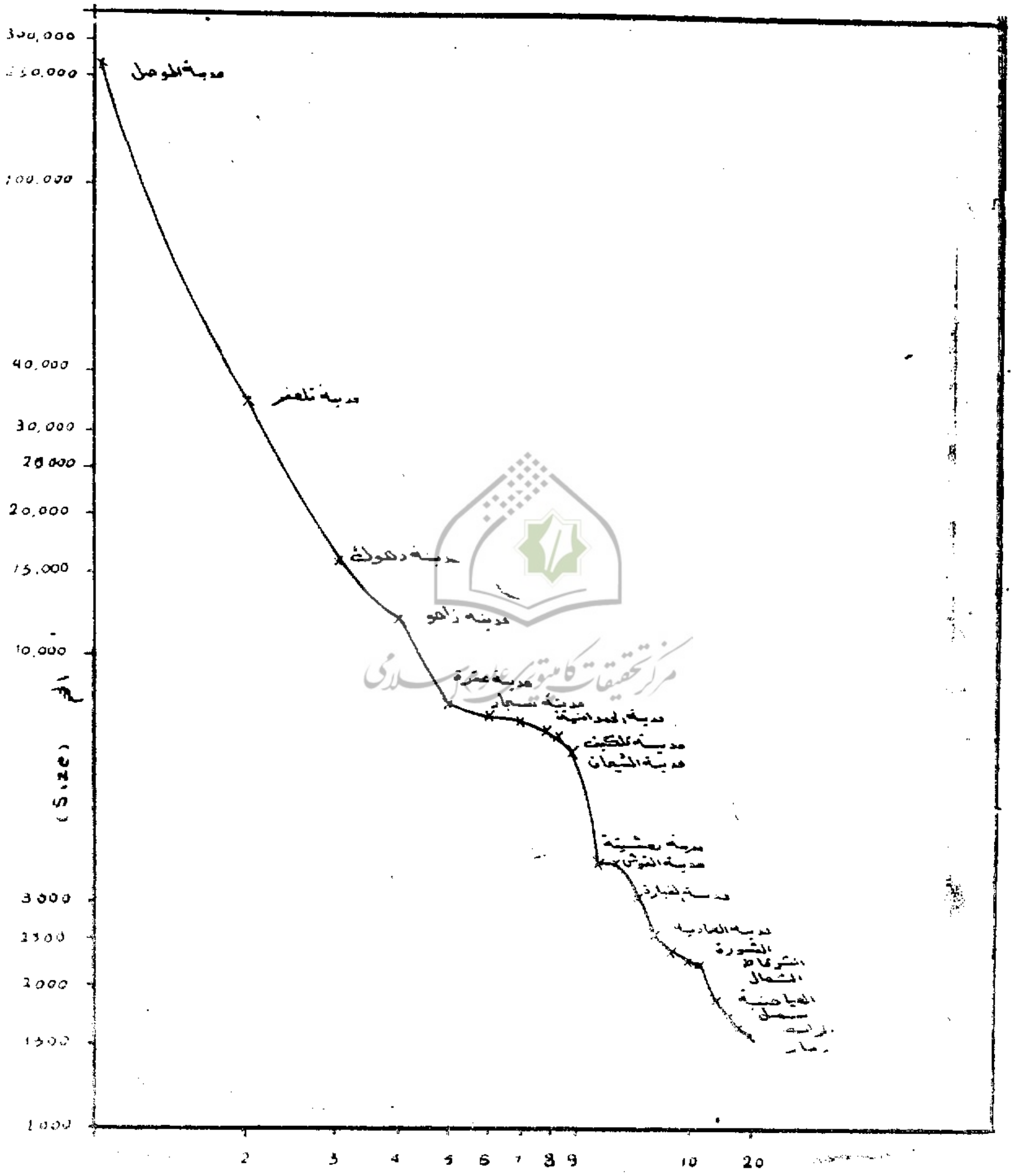
لاقى مفهوم المرتبة ــ الحجم Rank- Size Rule أهمية من لدن جغرافي المدن عموماً الذين اتخذوا من نظرية الأماكن المركزية نظرية شاملة في مواقع المدن على وجه الخصوص(٢). حيث استهدفت الكثير من الدراسات احجام المدن ومراتبها وكانت في معظمها تبحث عما اذا كان ثمة علاقات متبادلة بين مرتبة المدينة Rank وعدد سكانها Size ومحاولة الكشف عما اذا كان هنالك نظام يفسر هذا الأنتظام . وحسب ماتوصل اليه G.k. Zipf

---

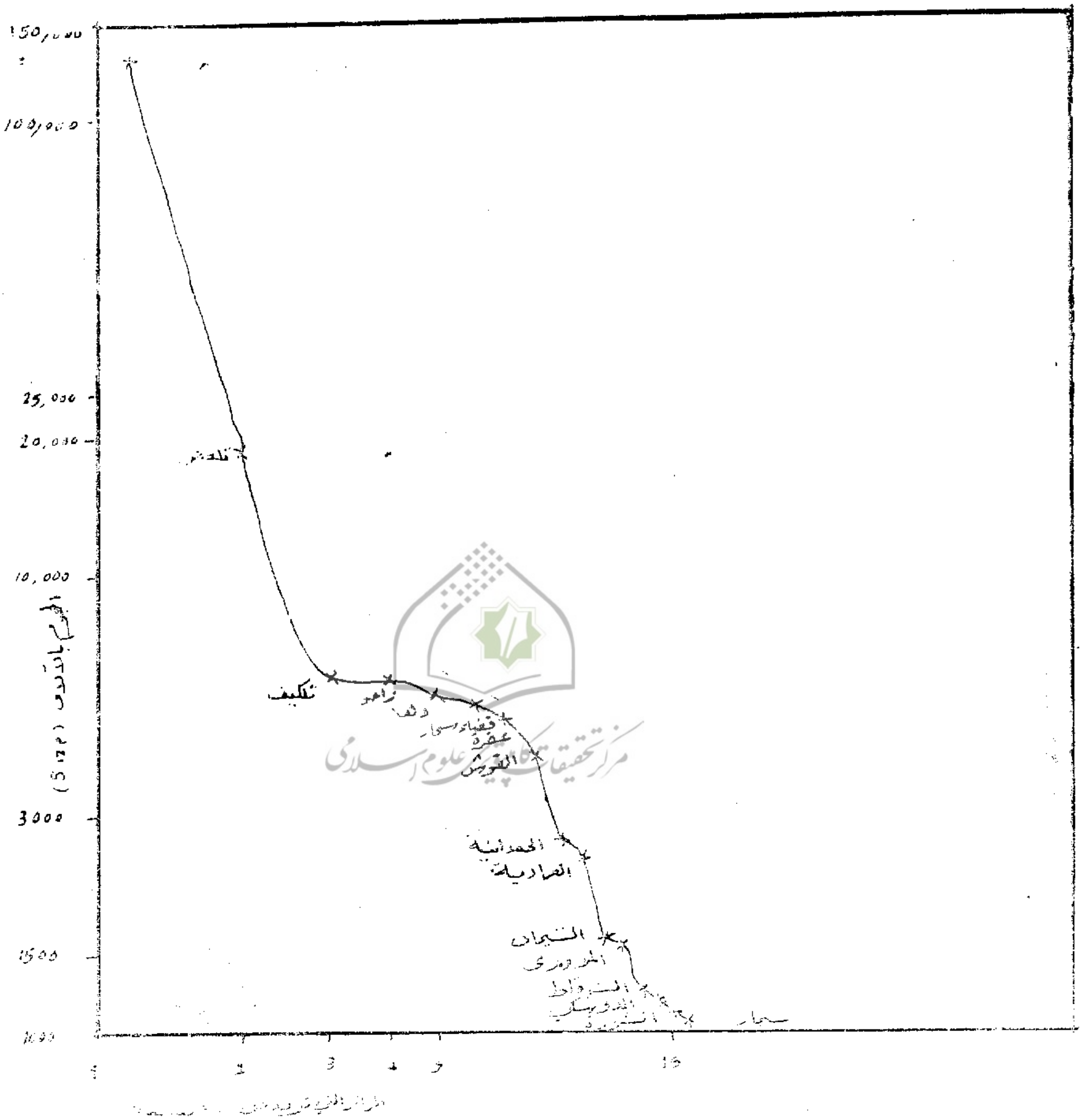
(١) راجع العوامل في موضوع العامل الديموغرافي كأحد العوامل التي تعلل تباين أحجام ومراتب المدن في منطقة الدراسة .

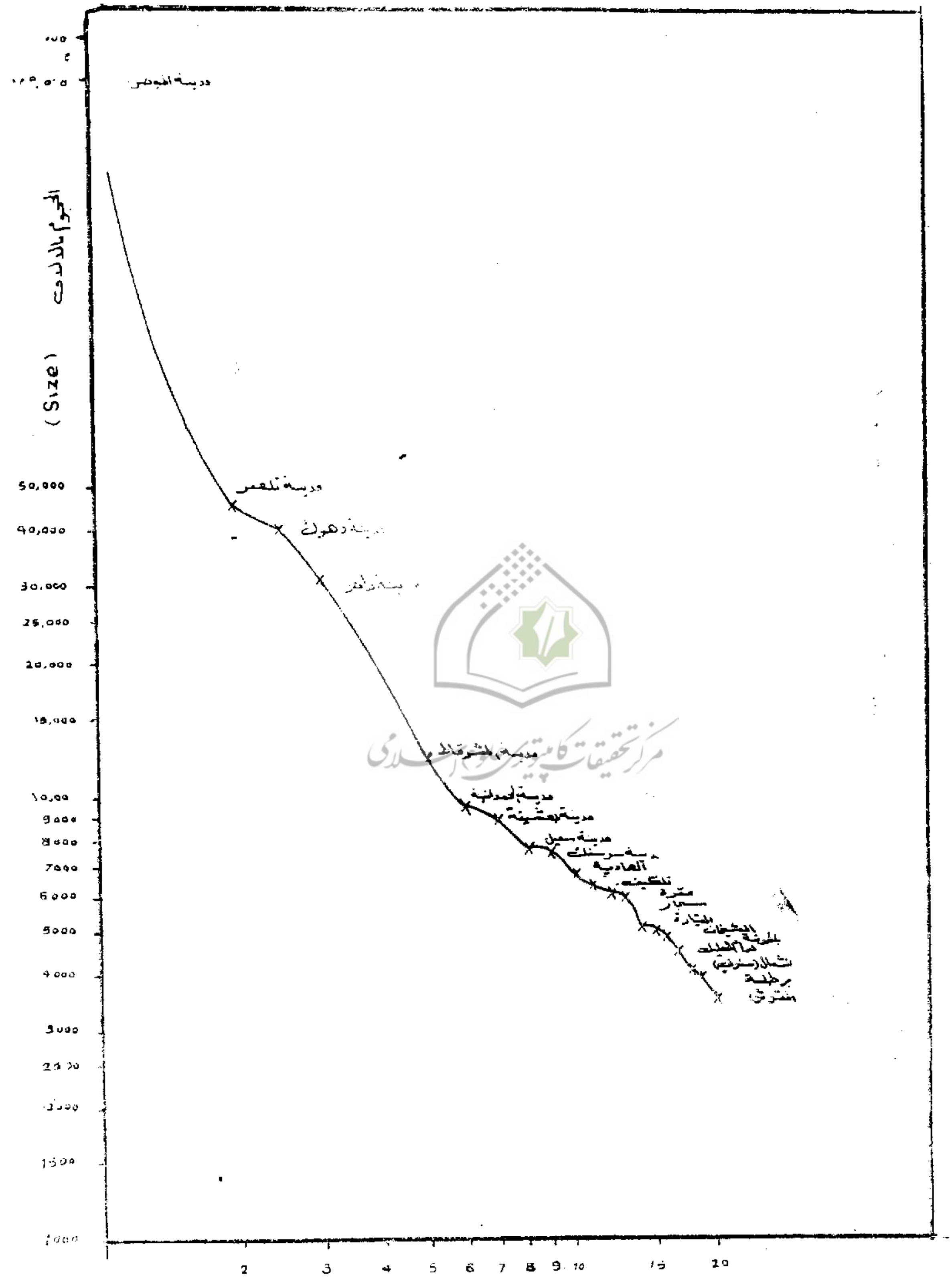
(٢) Harold Carter, The Study of Urban Geography, Second Edition, Great Britian, 1976-P. 117.


500,000
400,000
300,000
200,000
مدينة الموصل
الحجوم بالألف
(Size)
مدينة تلعفر
10,000
مدينة تلكيف
مدينة الحمدانية
5000
1000
2
3
4
5
6
7
8
10
20
الاشكال اللوغارتمية



300,000
250,000
100,000
40,000
30,000
25000
20,000
15,000
10,000
3000
2500
2000
1500
1000
(Size)
2
3
4
5
6
7
8
9
10
20
مدينة الموصل
مدينة تلعفر
مدينة دهوك
مدينة زاخو
مدينة عقرة
مدينة سنجار
مدينة الحمدانية
مدينة تلكيف
مدينة الشيخان
مدينة بعشيقة
مدينة القوش
مدينة العمادية
الشورة
الشرقاط
الشمال


150,000
100,000
25,000
20,000
10,000
3000
1500
ثكليف
زاهر
الحمدانية
العارية
1
2
3
4
15


(Size)
العادية
50,000
40,000
30,000
25,000
20,000
15,000
10,000
9000
8000
7000
6000
5000
4000
3000
1000
2
3
4
5
6
7
8
9
10
15
20

فأن المدن في أية منطقة أو بلد اذا ماربت من الكبرى الى الصغرى طبقاً لعدد سكانها فأنها سوف تأخذ المتتالية :

١ ، ١/٢ ، ١/٣ ، ١/٤ ، ١/٥ ... الخ واطلق على ذلك اسم قاعدة المرتبة – الحجم التي تعود في فكرتها لاخرين قبله (١) *

(١) لاحظ الباحث عام ١٩١٣ ان هناك علاقة منتظمة بين حجم المدن ومراتبها انظر :
Peter Haggett & Andrew Cliff & Allan Frey, "Locational analysis in Human Geography, Second Edition. Great Britain, 1977, P. 111.

لم يضيف Zipf بمناقشته لفكرة تأثير قوة التباين والتماثل شيئاً سوى انه أعاد الذاكرة لأجزاء من النظرية العامة للموقع ، ففكرة التماثل والتباين تخص نظرية الموقع لوبير ، كما أنها تخص فكرة مدى السلع Rang of Good للجغرافي الالماني والتر كرستالر (Walter Christaller) . ورغم التشابه بين أفكار الأخير وزيف من حيث أن عدد المدن يقل عندهما كلما ارتفعت مرتبتها الحجمية Rank الا أن استنتاجات زيف نظرية . والفضل له يعود فقط الا في توجيه الانتباه إلى مسألة المرتبة – الحجم وتطبيقها سكانياً ،انظر :
Brian J.L. Berry and william L. Garrison, "Altemate explanations of Urban Rank-Size Relationships in Reading in Urban Geography. P. 230-238.

انظر أيضاً :

Zipf, G.K.National Unity and Disunity, Bloomington 2nd Principia press, 1941.

انظر أيضاً :

Zipf, G.K, "Human Behaviour and the Principle of least Effort, Cambridge, 1949.

(*) وحسب قاعدة المرتبة – الحجم ، فاذا كان عدد سكان المدينة الاولى ١٠٠,٠٠٠ نسمة فان عدد سكان المدينة الخامسة يجب أن يكون خمس أو ٠,٢٠ من عدد سكان المدينة الأولى إذ يجب أن يساوي ٢٠,٠٠٠ نسمة وهكذا حسب المتسلسلة :

Pr... P4, P3. P2. P

جدول رقم (٤)

تطبيق قاعدة المرتبة – الحجم على مدن أقليم مدينة الموصل (١)

المراكز الحضارية العمود (١)	المرتبة حسب الحجم السكاني العمود (٢)	مكوس الرتبة العمود (٣)	حجم المراكز الحضرية عام ١٩٧٧ الفعلي (الحقيقي) العمود (٤)	حجم المراكز الحضرية عام ١٩٧٧ المتوقع (النظري) العمود (٥)	الفرق بين حجم السكان المتوقع (الحقيقي) العمود (٦)	الفرق كنسبة من الحقيقي العمود (٧)	الفرق كنسبة من المتوقع العمود (٨)
مركز قضاء الموصل	١	١,٠٠٠٠	٤١٤٦٦٠	١٧٩,٩٦٩	– ٢٣٤,٦٩١	– ٥٦,٩	– ١٣٠,٤
مركز قضاء تلعفر	٢	٠,٥٠٠٠	٥٧٦٥٩	٨٩,٩٨٥	+ ٣٢,٣٢٦	+ ٥٦,٠	+ ٣٥,٩
مركز قضاء دهوك	٣	٠,٣٣٣٣	٤٠١٩١	٥٩,٩٨٩	+ ١٩,٧٩٨	+ ٤٩,٣	+ ٣٣,٠
مركز قضاء زاخو	٤	٠,٢٥٠٠	٣٠٢٩٩	٤٤,٩٩٢	+ ١٤,٦٩٣	+ ٤٨,٥	+ ٣٢,٧
مركز قضاء الشرقاط	٥	٠,٢٠٠٠	١٢١٣٦	٣٥,٩٩٤	+ ٢٣,٨٥٨	+ ١٩٦,٦	+ ٦٦,٣
مركز قضاء الحمدانية	٦	٠,١٦٦٦	٩٤٧٨	٢٩,٩٩٤	+ ٢٠,٥١٦	+ ٢١٦,٥	+ ٦٨,٤
مركز ناحية بعشيقة	٧	٠,١٤٢٨	٩٠٣٢	٢٥,٧٠٩	+ ١٦,٦٧٧	+ ١٨٤,٦	+ ٦٤,٩
مركز قضاء سميل	٨	٠,١٢٥٠	٧٧٨١	٢٢,٤٩٦	+ ١٤,٧١٥	+ ١٨٩,١	+ ٦٥,٤
مركز ناحية سرسنك	٩	٠,١١١١	٧٧٦٠	١٩,٩٩٦	+ ١٢,٢٣٦	+ ١٢٧,٧	+ ٦١,٢
مركز قضاء العمادية	١٠	٠,١٠٠٠	٦٩٤٦	١٧,٩٩٦	+ ١١,٠٥٠	+ ١٥٩,١	+ ٦١,٤
مركز قضاء تلكيف	١١	٠,٠٩٠٩	٦٩١٦	١٦,٣٦٠	+ ٩,٤٤٤	+ ١٣٦,٦	+ ٥٧,٧
مركز قضاء عقرة	١٢	٠,٠٨٣٣	٦٦٦٥	١٤,٩٩٧	+ ٨,٣٣٢	+ ١٢٥,٠	+ ٥٥,٥
مركز قضاء سنجار	١٣	٠,٠٧٦٩	٦٢٨٠	١٣,٨٤٣	+ ٧,٥٦٣	+ ١٢٠,٤	+ ٥٤,٦

مركز ناحية القيارة	١٤	٠,٠٧١٤	٥١٢٩	١٢٨٥٤	+٧,٧٢٥	+١٥٠,٦	+٦٠,١
مركز قضاء الشيخان (عين سفني)	١٥	٠,٠٦٦٦	٥٠٧٣	١١,٩٩٧	+٦,٩٢٤	+١٣٦,٥	+٥٧,٧
مركز ناحية الكلي (باطوفة)	١٦	٠,٠٦٢٥	٤٩٢٠	١١,٢٤٨	+٦,٣٢٨	+١٢٨,٦	+٥٦,٣
مركز ناحية حمام العليل	١٧	٠,٠٥٨٨	٤٦٠٢	١٠,٥٨٦	+٥,٩٨٤	+١٣٠,٠	+٥٦,٥
مركز ناحية الشمال (سنوني)	١٨	٠,٠٥٥٥	٤١١٣	٩,٩٩٨	+٥,٨٨٥	+١٤٣,١	+٥٨,٩
مركز ناحية برطلة	١٩	٠,٠٥٢٦	٤٠٤٣	٩,٤٧٢	+٥,٤٢٩	+١٣٤,٣	+٥٧,٣
مركز ناحية القوش	٢٠	٠,٠٥٠٠	٣٧٢٠	٨,٩٩٨	+٥,٢٧٨	+١٤١,٩	+٥٨,٧
		٣,٥٩٧٣	٦٤٧,٤٠٣	٦٤٧,٤٧٣	٤٥٩,٥٠٧	٢٦٣١	١٩٢,٩
			٣٢,٣٧٠	٣٢,٣٧٣	٢٢,٩٧٥	١٣١,٦	٥٩,٦

(١) عمل الباحث اعتماداً على :

أ: وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، نتائج ترقيم المباني وحصر السكان لسنة ١٩٧٧. محافظة نينوى، تشرين الأول ١٩٧٧ (غير منشور).

ب: وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، نتائج التعداد العام السكان لسنة ١٩٧٧. محافظة دهوك، تشرين الأول، ١٩٧٧ (غير منشور).

ج: وحول كيفية احتساب الأحجام النظرية راجع المصدر التالي :

جدول رقم (٥)

تطبيق قاعدة المرتبة — الحجم على مدن محافظة نينوى طبقاً لتعداد السكان عام ١٩٧٧ (١)

المركز الحضري العمود (١)	المرتبة حسب الحجم السكاني العمود (٢)	معكوس الرتبة العمود (٣)	حجم المراكز الحضرية عام ١٩٧٧ الفعلي (الحقيقي) العمود (٤)	حجم المراكز الحضرية عام ١٩٧٧ المتوقع (النظري) العمود (٥)	الفرق بين حجم السكان المتوقع والحقيقي العمود (٦)	الفرق كنسبة من الحقيقي العمود (٧)	الفرق كنسبة من المتوقع العمود (٨)
				(٢)			
مركز قضاء الموصل	١	١,٠٠٠٠	٤١٤٦٦٠	١٥٧,٠٥٤	− ٢٥٧,٩٠٦	− ٦٢,١	− ١٦٤,٠
مركز قضاء تلعفر	٢	٠,٥٠٠٠	٥٧٦٥٩	٧٨٥٢٧	+ ٢٠,٨٦٨	+ ٣٦,١	+ ٢٦,٥
مركز قضاء الشرقاط	٣	٠,٣٣٣٣	١٢١٣٦	٥٢٣٥١	+ ٤٠,٢١٥	+ ٣٣١,٤	+ ٧٦,٨
مركز قضاء الحمدانية	٤	٠,٢٥٠٠	٩٤٧٨	٣٩٢٦٣	+ ٢٩,٧٨٥	٣١٤,٣	+ ٧٥,٩
مركز ناحية بعشيقة	٥	٠,٢٠٠٠	٩٠٣٢	٣١٤١٠	+ ٢٢,٣٧٨	+ ٢٤٧,٨	+ ٧١,٢
مركز قضاء تلكيف	٦	٠,١٦٦٦	٦٩١٦	٢٦١٧٥	+ ١٩,٢٥٩	+ ٢٧٨,٥	+ ٧٣,٦
مركز قضاء عقرة	٧	٠,١٤٢٨	٦٦٦٥	٢٢٤٣٦	+ ١٥,٧٧١	+ ٢٣٦,٦	+ ٧٠,٤
مركز قضاء سنجار	٨	٠,٢٥٠	٦٢٨٠	١٩٦٣١	+ ١٣,٣٥١	+ ٢١٢,٦	+ ٦٨,٠
مركز ناحية القيارة	٩	٠,١١١١	٥١٢٩	١٧٤٥٠	+ ١٢,٣٢١	+ ٢٤٠,٢	+ ٧٠,٦
مركز ناحية عين سفني	١٠	٠,١٠٠٠	٥٠٧٣	١٥٧٠٥	+ ١٠,٦٣٢	+ ٢٠٩,٦	+ ٦٧,٧
مركز ناحية حمام العليل	١١	٠,٠٩٠٩	٤٩٠٢	١٤٢٧٧	+ ٩,٦٧٥	+ ٢١٠,٢	+ ٦٧,٨

مركز ناحية الشمال ١٢	٠,٠٨٣٣	٤١١٣	١٣٠٨٧	+ ٨,٩٧٤	+ ٢١٨,٢	+ ٦٨,٦
مركز ناحية برطلة ١٣	٠,٠٧٦٩	٤٠٤٣	١٢٠٨١	+ ٨,٠٣٨	+ ١٩٨,٨	+ ٦٦,٥
مركز ناحية القوش ١٤	٠,٠٧١٤	٣٧٢٠	١١٢١٨	+ ٧,٤٩٨	+ ٢١٠,٦	+ ٦٦,٨
مركز قضاء البعاج ١٥	٠,٠٦٦٦	٣٠٨٤	١٠٤٧٠	+ ٧,٣٨٦	+ ٢٣٩,٤	+ ٧٠,٥
مركز ناحية الزاب ١٦	٠,٠٦٢٥	٢٩٠٥	٩٨١٥	+ ٦,٩١٠	+ ٢٣٧,٩	+ ٧٠,٤
مركز ناحيةالعياضية ١٧	٠,٠٥٨٨	٢٨١٨	٩٢٣٨	+ ٦٤٢٠	+ ٢٢٧,٨	+ ٦٩,٥
مركز ناحية المحلبية ١٨	٠,٠٥٥٥	٢٤٥٩	٨٧٥٢	+ ٦٢٩٣	+ ٢٥٥,٩	+ ٧١,٩
مركز ناحيةالحميدات١٩	٠,٠٥٢٦	٢١٠١	٨٢٦٦	+ ٦١٦٥	+ ٢٩٣,٤	+ ٧٠,٥
مركز ناحية زمار ٢٠	٠,٠٥٠٠	٢٠٩٩	٧٨٥٢	+ ٥٧٥٣	+ ٢٧٤,٠	+ ٧٣,٢
	٣,٠٥٩٧٣	٥٦٤,٩٧٧	٥٦٥,٠٥٨	٥١٥,٢٩٣	٤٥٣٥,٤	١٤٦٠,٥
		٢٨,٢٤٨	٢٨,٢٥٢	٢٥,٧٦٤	٢٢٦,٧٧	٧٣,٠٢

(١) المراكز الحضرية التي يزيد عدد نفوسها عن ٢٠٠٠ نسمة وتظهر فيها ملامح حضرية .

(٢) تم تحديد الحجم المتوقع للمدينة الأولى وذلك بقسمة المجموع الفعلي على مجموع معكوس الرتبة (العمود ٣) انظر :

نطبيق قاعدة المرتبة ــ الحجم :

يظهر من تطبيق قاعدة المرتبة ــ الحجم على مدن اقليم مدينة الموصل (منطقة الدراسة) والمدن الواقعة ضمن الحدود الإدارية لمحافظة نينوى . كما تظهر في الجداول (٤ و ٥) ومنهما نستنتج مايأتي :

١ ــ هناك اختلاف في الأحجام النظرية (المثالية) (١) والفعلية الحقيقية لعشرين مركزاً حضرياً شملتهم الدراسة .

٢ ــ أن قيمة معيار الأختلاف التام The over all index of deviation) مثالا على مقياس عدم التطابق مع قاعدة المرتبة ــ الحجم هو ٩, ٥٠ ٪ لمنطقة الدراسة و ٧ و ٥٠ ٪ لمحافظة نينوى ، وهي تمثل النسبة التي يجب ان تتغير من مدينة الى اخرى لكي يحدث تطابق تام بين الحجم النظري (المثالي) للمدن واحجامها الفعلية .

وتستأثر مدينة الموصل وحدها بنصف قيمة معيار الأختلاف التام ، لذا فأن تحرك السكان الحضر يفترض أن يتم منها الى بقية المدن الأخرى ، في منطقة الدراسة (أنظر الجدول رقم ٦)

٣ ــ ويظهر لنا نمط واتجاه اختلاف مدن منطقة الدراسة ومحافظة نينوى عن قاعدة المرتبة ــ الحجم في قيم الأعمدة ٧ و ٨ حيث تدل العلامات السالبة والموجبة على درجة الأختلاف عن قاعدة المرتبة ــ الحجم ، اضافة الى اتجاهه . اذ نستنتج من قيم العمود (٧) على أن سكان مدينة الموصل يفترض أن يقلوا بنسبة (ــ ٥, ٥٦ ٪ و ــ ١, ٦٢ ٪) بالمقارنة مع بقية المدن الأخرى التي يتطلب أن يزداد عدد سكانها بالنسب الموجبة المؤشرة ازاءها . وعلى سبيل المثال فأن أقصى زيادة في منطقة الدراسة يجب أن تتحقق في مدينة الحمدانية ٤, ٢١٦ ٪ وأدنى زيادة في مدينة زاخو ٤, ٤٨ ٪ (أنظر الجدول رقم ٤) . على حين انه في محافظة نينوى يفترض تحقق أقصى زيادة في السكان في مدينة الشرقاط (٣٦٩ و ٣٣١ ٪) ، وأوطأ زيادة في مدينة تلعفر ١, ٣٦ ٪ (الجدول رقم ٥) .

---

(١) تم احتساب قيمة الاحجام النظرية (المثالية) اعتماداً على طريقة :
انظر : BrowningL.H.

Browning L.H.and Gibbs, J.P.,, "Some Measures of Demographic and spatial Relationships Among Cities," urban Research Method, D.Van Norstrand Inc, Co, Ltd, 1961 PP. 430–459.

٤ـ كما نستنتج من قيم العمود (٨) أن الحجم الفعلي (الحقيقي) لمدينة الموصل يزيد على الحجم المتوقع (النظري) وعلى سبيل المثال فأن الحجم المتوقع (النظري) لمدينة الموصل واطيء (ــ ٤,١٣٠٪ و ــ ٠,١٦٤٪)، على حين تزيد الحجوم النظرية (المتوقعة) للمدن على الحجوم الفعلية (الحقيقية) لها وان الحجم المتوقع للمدن (عدا مدينة الموصل) يقع بين ٧,٣٢٪ لمدينة زاخو و ٤,٦٨٪ لمدينة الحمدانية (الجدول رقم ٤) .

٥ ــ كما يظهر لنا أيضاً أن الحجم الحقيقي لمدينة الموصل كأكبر مركز حضري يفوق الحجم المتوقع لها حسب قاعدة المرتبة ــ الحجم . والعكس بالنسبة للمراكز الحضرية الصغرى حيث تتميز بحجوم حقيقية أصغر مما يتوقع لها بموجب القاعدة ، وان وجود مدينة الموصل يربك التسلسل الطبيعي للمراتب الحجمية للمدن ، حيث تزداد الفجوة التي تفصلها عن المدينة الثانية (مدينة تلعفر) وبقية المدن الأخرى (راجع الأشكال اللوغارتمية ١، ٢ ، ٣ ، ٤) والجدول رقم (٣) .

جدول رقم (٦)

معيار الأختلاف التام للمراكز الحضرية العشرين عن قاعدة المرتبة ــ الحجم عام١٩٧٧ (١)

المركز الحضري	قيمة نسبة الأختلاف التام عن قاعدة المرتبة ــ الحجم أقليم مدينة الموصل	محافظة نينوى
مركز قضاء الموصل	٢٥ ,٥—	٢٥ ,—
مركز قضاء تلعفر	٣,٥	٢,٠
مركز قضاء دهوك	٢,٣	—
مركز قضاء زاخو	١,٦	—
مركز قضاء الشرقاط	٢,٦	٣,٠
مركز قضاء الحمدانية	٢,٢	٢,٩
مركز ناحية بعشيقة	١,٨	٢,٢
مركز قضاء سميل	١,٦	—
مركز ناحية سرسنك	١,٣	—
مركز قضاء العمادية	١,٢٠	—
مركز قضاء تلكيف	١,٠	١,٩

مركز قضاء عقرة	٠,٩	٠,٥
مركز قضاء سنجار	٠,٨	١,٣
مركز ناحية القيارة	٠,٨	١,٢
مركز قضاء الشيخان	٠,٨	١,٠
مركز ناحية الكلي (باطوفة)	٠,٧	—
مركز ناحية حمام العليل	٠,٧	٠,٩
مركز ناحية الشمال	٠,٦	٠,٩
مركز ناحية برطلة	٠,٦	٠,٨
	٠,٦	٠,٧
مركز قضاء البعاج	—	٠,٧
مركز ناحية الزاب	—	٠,٦
مركز ناحية العياضية	—	٠,٦
مركز ناحية المحلبية	—	٠,٦
مركز ناحية الحميدات	—	٠,٥
مركز ناحية زمار	—	٠,٥
	٥٠,٠	٥٠,٠

(١) تم أحتساب قيمة المعيار للأختلاف التام عن قاعدة المرتبة – الحجم .
طريقة Browning L.H J Gibbs. J.P. حيث تم جمع الأختلافات المطلقة في العمودة من الجداول (٤ ، ٥) ثم ايجاد النطبة لكل مدينة وذلك بقسمة الفرق بين عدد سكانها الحقيقي . تم قسمة الناتج على مجموع قيم ٦ ×١٠٠ انظر :
نفس المصدر السابق .

— تتمة البحث في العدد القادم —

ستراتيجية الحدود العراقية - الايرانية وتطوراتها السياسية

د. عبد خليل فضل
كلية التربية / جامعة بغداد

من الأمور التي شغلت الساسة العراقيين لفترة طويلة هي مشكلة الحدود الدولية مع إيران . وقد ازدادت هذه الأمور من التعقيد بما جعلها تصل الى المرحلة الحالية من ، العلاقات بين الدولتين .وكان تعقيد هذه المشكلة ناشيء من ايران ذاتها ، وذلك عزّ عليها أن ترى العراق دولة قوية متطورة ، لها سياسة قومية واضحة وقد بدأت تحتل مكانة عالمية في السياسة الدولية خصوصاً بعد أن تولى زعامة الأمة وسياستها في العراق حزب البعث العربي الأشتراكي بعد قيامه بثورته التقدمية في (١٧) تموز من سنة ١٩٦٨ . وكان لمجيء القائد العربي صدام حسين الى الحكم وتبنيه مشاكل العرب، في الخليج العربي ومشاكل العرب في فلسطين وغيرها من أقطار الوطن العربي ، وتبنيه سياسة التنمية السريعة وتحرير الأقتصاد العراقي من التبعية . كل ذلك جعل الساسة في إيران تبني افعالاتها بالإحتكاك وبالإعاقة لهذه الدولة الفتية ، إلاّ أن الزعيم المقدام اراد انهاء تدخل ايران في شوون العراق الداخلية والخارجية ، وقد اتبع سياسة بمنتهى الحكمة في المحافظة على العلاقات الودية مع ايران رغم أن الساسة في هذه الدولة الجارة أظهروا في كل المناسبات عداءهم السافر للعراق وللأمة العربيـة .

إعتقد حكام ايران أن تحقيق أطماعهم في ارض العراق وخيراته يتم بالتمادي بهذه السياسة وبهذه الأفكار المتطابقة مع أفكار الغرب والساسة في حكومات الكيان الصهيوني وقد اعتبر بعض الجغرافيين أن موقع ايران ضمن ما يسمي بأقليم الشرق الأوسط راجع الى أن أكثر مدنها المهمة بما فيها العاصمة طهران تقع في الأقاليم الغربية من ايران (١) ، فهذا الموقع المتقدم ربما أسعف أحلام الساسة الإيرانيين في تبني أفكارهم الوهمية وهي السيطرة على العراق وشعبه وخيراته وموارده المتعددة .

يتفق علماء الجغرافية السياسية وعلماء القانون الدولي على أن الحدود الدولية هي فواصل سياسية وقانونية بين الدول . فالولاء الذي يقدم من شعب لحكومته مبعثها الشخصية السياسية لتلك الدولة . فالحماية وتطبيق القانون ورعاية مصالح الشعب إنما هي الوظيفة الأساسية لأية حكومة تعيش في أرض لها اطار حدودي سياسي وشعب مؤمن بها . وفي نفس الوقت فأن الدولة تخضع للقوانين الدولية ولاتخالف المجتمع الدولي . فالحدود السياسية المرسومة على الخرائط تؤدي بفواصل حقيقية بين الدول ، وتهتم الحكومة بمساحتها ولاتفرط بالسنتمتر الواحد منها. وعادة ماتكون الحدود المرسومة كنتيجة لظروف تاريخية وجغرافية محيطة بها . وكثير ماتكون الحدود قومية . أي أنها تفصل بين قوميات غير متجانسة ، فالقوميات يمكن اقتفاءها من خلال امتداد الحدود الفاصلة بين القوميات . فالحدود القومية هي مثال الموازنة مابين قوميتين تعيش كل منها على جانبي الخط فالتغيير في هذه الحدود قد تؤدي الى حالة تأزم وحرب . بينما الحدود قد تكون مرسومة بسبب فواصل طبيعية (٢) ، أي على اساس خصائص الارض الطبيعية ونجاح الفواصل الطبيعية يعتمد على تلك الخصائص للارض . وأن رسم مثل هذه الحدود يتوقف على نوع هذه الخصائص كالتلال وسلاسل الجبال التي من شأنها أن تساعد على رسم هذه الحدود . وأحياناً تكون بعض الحدود عبارة عن حواجز وحيطان عالية معرقلة للنقل

---

(١) W.B.Fisher, The Middle East, Methuen: London, 1956. pp. 1.8.

(٢) Jon. Ombrock, "The problem of Natural Forntiers" In Frontiers of The Futuyre, University of California Press, 1941. pp. 3–20.

والعلاقات الاقتصادية والبشرية . وقد ترسم بشكل خطوط مستقيمة موازية لدوائر العرض أو خطوط الطول والغاية من رسمها الفصل مابين شعبين مختلفين ثقافياً وجنسياً . وعادة ماترسم الحدود وفق الخصائص الطبيعية تؤخذ أو تنفذ من خلال أماكن تقسيم المياه وقمم الجبال وخط المرتفعات . وعاده مايعطى للحدود الطبيعية مكانة ستراتيجية وعسكرية . ولكن الخطأ الذي يحصل في مثل هذه الحدود هو أن تحديد أو رسم الحدود في مثل هذه المناطق المرتفعة هو أعتبار الحدود خط سياسي فاصل أكثر مما هو طبيعي(١). فقد ترسم الحدود على الجبال فيعاكس رسمها أمتداد الجبال أو كثيراً ماتظهر بعض الوديان المعاكسة لوجهة أمتداد الحدود أو أنها منشأ لخلق منافذ فيها ، ورغم كل هذا نجد من النادر أتخاذ خط تقسيم المياه مابين الدولتين لتحديد هذه المناطق الطبيعية ، ولكن أكثر هذه الاعتبارات لاتؤخذ بنظر الاعتبار عند رسم الحدود ، ورغم معاهدات الحدود التي تؤكد أحياناً على ضم أقاليم وسلخ أقاليم الا أنها لاتعتبر الحدود مستقرة وثابتة . وهنا نصل الى غاية هذا البحث وهي ماهي الحدود المثالية بنظر الساسة ؟ ماهي أضمن الحدود المثالية وأحسنها فاصلة بين دولتين ويمكن الاخذ بها دون عائق أو أعتراض؟ وكانت الاجابات متعددة . فبعض الكتاب يفترض الاجابة عن الحدود المثالية هي المطالبة بأن تكون حدود أستراتيجية أي التي تصد الهجوم وتقوي الدفاع . ومثل هذه الحاجات العسكرية هي ضرورية جداً فالمرتفعات تعطى لدولة وتحرم منها دولة أخرى قد تؤدي الى مشاكل عديدة . فمثل هذه الحدود تجعل المدفعية الايرانية قريبة أو مهيمنة على الطرق المؤدية الى بغداد لاتكون مناسبة . وأحياناً لاتكون خطوط الحدود هي من أسباب تعكير السلام مابين الدول وأنما الأوضاع والحالة التي عليها الدولة وسلوك القادة والساسة فيها وهو مايتبع الوضع القائم فيها وعلى الرغم من أن حدودنا المرسومة هي حدود دولية معترف فيها ، وقد رسمت وعلمت على الخرائط برغبة الطرفين ، الا أن ايران لازالت تعتقد أن هذه الحدود لاتعتبر حدوداً سياسية أو لها شرعية وقانونية في المجتمع الدولي .

فالوضع القائم في أيران وأحلام الساسة فيها من حيث أعتبار حدود ايران مع العراق هي حدود عنصرية قابلة للتغير في أي وقت أو أن الفكر الذي يؤمنون فيه يرغبون تصديره الى شعوب أخرى ، أو إذا أرادت أيران أن تغير خطوط الحدود فقد لاينهي المشكلة ويسبب الاستقرار والسلام وانما قد يحصل العكس وهذا ما أظهره الايرانيون في كل

(١) Norman, J.G. Pounds, Political Geography, Mcgrew Hill U.SA, 1972. PP. 70–86.

الاوقات والظروف.إذ أن الجوانب الايدلوجية والازمات النفسية والاوضاع المتدهورة التي تعيشها أيران كانت وراء الحرب وهجومها الغادر على العراق العربي المسلم . أن تثبيت الحدود لم تكن مشكلة جغرافية ، ولكنها ستبقى خاضعة للقرارات السياسية . ولكنها يجب أن لاتخضع الى أهواء الحاكم الفردي فمثل هذه الحدود لاتخدم الدولتين فيجب أن يكون تحديدها بشكل موضوعي . وعليه يجب أن لايكون هنالك أختلافات بين حدود تفصل دولتين على الاسس الطبيعية وحدود تفصلها على الاسس البشرية ، إذ أن كل منها يؤدي للاخر ، وحدوداً من هذا النوع تكون حدوداً موضوعية (١).

أن المشكلة التي يعانيها العراق اليوم الناشئة من مسألة الحدود هي في الاساس أختلاف العراق عن أيران في الافكار السياسية والقومية والحضارية والتاريخية . وتتطلب دراستها الى جهود كبيرة والى وقت كاف . وأن الطريقة التي أتبعتها في تحديد أسس الموضوع سيكون من الاهتمام بالمشاكل الجغرافية لمسألة الحدود العراقيـــة الايرانية وضمن الظروف السلمية وتتطلب مثل هذه الدراسة زيارات ميدانيـة لجميع خطوط الحدود والاراضي المجاورة من الجانبين ، ولكن مثل هذه الدراسة مثالية أكثر من أنها واقعية ، إذ يمكن للجغرافي أن يعالج مسألة الحدود دون أن يزورها وذلك من خلال الاعتماد على الخرائط التفصيلية الحدودية وهذا ماجعلني أن أتجه الى بعض الدوائر الرسمية المدنية والعسكرية للحصول على الخرائط التي تشاهدون أشكالها التخطيطية أمامكم .(لاحظ الخرائط رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) .

بعض الجوانب الجيوبوليتكية للمشكلة : —

ويمكن طرح بعض الاراء الجيوبولتيكية الصادرة من علماء بعض الدول الغربية فقد أفترقت الاراء السياسية في الجوانب المكانية واهميتها في كل من الولايات المتحدة وفي المانيا قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد مثل الجانب الامريكي بوغس ، بينما مثلت الجانب الالماني مدرسة هاوس هوفر . وقد أعتقدت المدرسة الالمانية بالحدود الدفاعية النامية المتحركة وان مثل هذه الحدود لا تحتاج الا القليل من التفسير فالجيش وقدرته بما لا تقبل السلام عن قناعة . فالازمات الاقتصادية التي أصابت المانيا بعد الحرب العالمية الاولى . جعلت المدرسة الالمانية تفكر بالمجال الحيوي ، فما المقصود بالحدود

(١) Harm, J.DE Bliy–Systematic Political Geography, John Wiley And Sonsine., New York, 1973. pp. 36–41.

بنظر هاوس هوفر ، يلخصها باجابة قصيرة : — أنها حقل من الصراع البايلوجي من حياة الشعوب، وهذا لايشمل الحدود وأنما يشمل التخوم أي الاراضي المجاورة الحدود. وهكذا المقصود بتغيير الحدود يكون ضمن الاراء السياسية التي تقرر هذا التغيير وهذا شي طبيعي فمسألة التخوم تتلو الحدود .

أما المفهوم الامريكي ، فأنه يعتقد بأن الحدود ليست فقط ترسم للفصل مابين الانظمة القانونية ولكن تعتبر خط التماس للكيانات المتجاورة ذات قوى أقليمية (١) . وعليه فأن الحدود المرسومة ضمن فترة تاريخية تعتبر أنعكاس للظروف الجغرافية السياسية وميزان القوى السائدة في تلك الفترة . وقد جاء سبيكمان بنظرية عضوية ، إذ أعتقد أن دولة شبيهة بقوى متغيرة تخص الوجود لاية حالة عضوية بينما الاشياء الاخرى تكون متساوية فأن الدول إذا كانت ميالة للاخذ بهذه الحالة فأنها ميالة للتوسع .وأعتقد أن هذا التوسع القائم على تغيير الحدود له علاقة بالقوى السياسية أكثر مما تكون له علاقة بالمعاهدات والتعاقد على قبول حدود ثابتة . أذا أخذنا هذه الاعتبارات وحاولنا تطبيقها على النظارة التي آمن بها الساسة الايرانيون خصوصاً وأن هذه النظارة وقبل أن تظهر بشكل اراء كانت هي السائدة لدى حكام أيران علماً بأن مشكلة الحدود العراقية — الايرانية قائمة على هذا الاساس من النظرة السياسية والعلاقات الدولية الضيقة التي آمن بها ساسة أيران الجدد .

وفي الحقيقة أن المشاكل التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية هي بزوغ دول ذات نزعة قومية ووطنية والنظرة القومية قامت على بعدين : الاول الامكانيات الطبيعية وما فيها من موارد وقدرة استراتيجية ، والثاني الامكانيات البشرية ، ومعنى هذا تفحص القوى السياسية بماذا تمتلك ، وبماذا تحصل ؟ المصادر الطبيعية والصناعات والزراعة والخدمات وصيانة هذه المصالح . وهذا الاتجاه كثيراً ماأقلق الدول الكبرى وجعلها تتنازل عن الامبراطوريات التي أسستها في ظروف تاريخية كان أكثرها يقع فيما وراء البحار . كما أقلق الدول الكبرى التطاحن الابدارجي للدول القومية الجديدة ، وفي هذا أشارات الى مايحدث الان في هذه المنطقة وبالذات في العراق . فالمنطقة العربية ، وكما يطلق الساسة عليها بمنطقة الشرق الاوسط ، تعاني حاليا مشاكل عديدة منها : —

(١) nicholes John Spykman, "Frontiers Security And International Organization" The Geographic Review, Vol. 32, 1942. (PP. 437-496.)

١ — أزدياد الوجود الامريكي فيها وخاصة في الخليج العربي . وكان مبعث قلق أمريكا على منطقة الخليج هو أزمة الطاقة ، وقد ساعدت هذه الازمة على ظهور أنفعالات في السياسة الامريكية ، حيث أخذت تعزز مكانتها العسكرية لغرض أحكام السيطرة على منابع البترول في هذه المنطقة الغنية بها ، بالاضافة الى الوقاية من أحتمال ظهور النفوذ السوفياتي فيها .

٢ — الحرب العراقية — الايرانية ، فقد أحتلت في أخبار العالم مكاناً بارزاً ، وأن هذه الحرب نتجت عن أستمرار تجاوزات ايران على أراضي ومدن العراق خصوصاً الحدودية فيها ، كما بدأ الخميني يطلق تصريحاته من أجل تهديد أمن ووجود دول الخليج وكان الخوف ظاهراً في هذه الدول الخليجية العربية ، فقد أطلق عدد من ساسة هذه الدول تصريحات منها : —

(أ) ظهور نتائج الحرب على الشعب الكويتي ، أبرزها أنخفاض دخل الفرد وتعني تجارة الكويت وأنخفاض عوائد النقد والعقارات فيها .

(ب) كما ظهرت نتائجها في البحرين وعاصمتها المنامة وهي عاصمة الالمنيوم ، فقد أعلن أحد الساسة فيها بأنه يشعر بالقلق من دولة الخميني ، إذ ظهرت أطماع أيران في البحرين والامارات العربية وقطر ، فقد قال صادق روحاني في مؤتمر عقده في مدينة قم ونقلته جريدة الرأي العام الكويتية في ١٩٧٩/٦/١٦ ، «أن البحرين ستظل جزءاً لايتجزأ من أيران» وفي ١٩٨٠/٣/٢١ صرح أبن الخميني في حديث القاه من الاذاعة نيابة عن والده بأنه سيقوم بتصدير الثورة الى أجزاء أخرى من العالم (١) .

٣ — أبعاد العراق عن قضية العرب المصيرية — فلسطين — باشغاله بهذه الحرب ، وفسح المجال للجيش الاسرائيلي باحتلال لبنان ومنع الثوار الفلسطينيين في لبنان من العمل من هناك .

٤ — تؤثر هذه الحرب على الفلسطينيين المقيمين في دول الخليج ، إذ هؤلاء مؤهلين لكل الاختصاصات ووجودهم ضروري لهذه الدول المتأخرة ، وقد يعتقد البعض ان عددهم في الكويت قد يصل الى حوالي ٤٢ ٪ من مجموع سكان الكويت ، وعليه لايمكن الاستغناء عنهم .

(١) د. سعدون حمادي ، ملاحظات حول قضية الحرب مع ايران ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢ ، ص ٢٥ — ص ٢٨ .

٥ ــ أن أستنزاف أموال طائلة في هذه الحرب سيؤثر على تنمية العراق الاقتصادية ، وكذلك على بلدان الخليج العربي ، وهذا سيكون له نتائجه على السياسة العربية والعالمية .

٦ــ سلوك الكيان الصيهوني والاعلان عن أطماعه التوسعية ، إذ أعلن شارون بأن دولته ستمتد الى حدود الباكستان ، وهذا يعني أن عوامل التوتر والقلاقل ستبقى مادامت الفئات الصهيونية قائمة على أحتلال أراضي جديدة فقد أعلنت حكومة الكيان الصهيوني بأن شرقي الأردن هي جزء من الكيان الصهيوني أذن كيف يستتب الامن في المنطقة . وما هي رغبة الدول الكبرى من هذه الاضطرابات التي تنشرها أسرائيل في المنطقة ؟ أذن الاخطار كثيرة ومستمرة ومحيطة بالامة العربية ، ولايمكن الوصول الى شاطيء الامان دون توحيد جهودها وسياستها تجاه هذه الاخطار .

تخطيط ايران للحرب قبل اعلانها الحرب على العراق :

سيطرت على أفكار الساسة الايرانيين نظرية المجال الحيوي والحدود العضوية القابلة للتغيير على وفق اهوائهم ، وان هذا التغيير سيتوقف على ارادتها العسكرية . فإذا مادرسنا مشاكل الحدود في الفترات القريبة وجدنا إيران عندما تحقق أنتصاراً عسكرياً على الدولة العثمانية تبسط سيطرتها على أراضي جديدة تضيفها إلى اقليمها السياسي. فمنطقة زهاب وغربي نهر دوبرج والكرخة والاهواز والمحمرة هي أمثلة على ذلك، اي أنها كانت تتخذ من انتصاراتها العسكرية وسيلة لاحتلال الأرض المطلوبة خاضعة لمثل هذه القوى غير الطبيعية ، وأنها بعد ذلك تحاول المحافظة عليها بالقوى العسكرية فقط، ومن هذا يظهر ان السياسة القائمة على القوى العسكرية قد حققت لايران ضم أراضي تخومية ضمن فترات تأريخية متعددة ، وقد أرادت من حكومة العراق بعد قيام الحكم الوطني فيه الاعتراف بهذه السياسة اي الاعتراف بحدوده مع ايران حدود عضوية قابلة للتغيير متى أرادت ايران، ومتى يقرر ذلك الساسة فيها، وهذا يعني أن فكرة الحدود ستكون خاضعة بصورة ذاتية تفسر بمسودها بحسب الاهواء والظروف. أما إذا قبل العراق مثل هذه الحدود فأنه سيقبل بحدود حيوية قانونية مطاطة وحجيتها غير مقبولة وسيادة ، وستكون المشاكل مستمرة بين البلدين، وأخيراً الركوع والاستسلام لرغبات الجانب الايراني، وقبول مثل هذه الحدود القائمة على عدم الثبوت والاستقرار فأنها تفسر نفسها بنفسها ، ومن الصعب لأية دولة في العالم تقبل حدوداً قابلة للتغيير من جانب واحد فقط.

وبناءاً على هذه الافكار الشاذة واعتماد القوة لتحقيقها فأن ايران إتجهت في الفترة التي أعقبت حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ إلى التسلح، فقد انفق العرب اموالاً طائلة في الحرب مع الكيان الصهيوني بينما استغلت ايران عائداتها النفطية بالتسلح، وبدأت من جديد الاتجاه نحو المناطق العربية لتغير سياستها وضم اراضي جديدة بل وبدأت تهدد استقلال الاقطار العربية الخليجية، وكانت القوى الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا تعملان على تمرين عضلات ايران من أجل ان تصبح القوة الرئيسة في أقليم الشرق الاوسط.
وكان اول خطوة خطتها ايران من أجل تحقيق احلامها التوسعية بمساعدة الدول الامبريالية هي شراء الاسلحة من الدول الغربية والولايات المتحدة، ففي الفترة الواقعة من ١٩٥٤ – ١٩٧٢ اشترت بما قيمته ٨٣٧ مليون دولار من الاسلحة الامريكية، ثم اتبعتها بعد نهاية ١٩٧٣ بانفاق ٤٠٠٠ مليون دولار لشراء الاسلحة والاجهزة والمعدات الحربية الامريكية وفي بداية ١٩٧٤ اشترت صفقة أخرى من الاسلحة بلغت نحو ٤٠٠٠ مليون دولار اي في خلال سنتين اشترت ما قيمته ٨٠٠٠ مليون دولار من الاسلحة الامريكية (١) كما انفقت بلايين أخرى اشترت فيها من دول أوربا الغربية والاتحاد السوفياتي واستقدمت الخبراء العسكريين من الولايات المتحدة والكيان الصهيوني لتدريب جيشها على هذه الاسلحة. ووصلت قيمة استيراداتها من الاسلحة في عام ١٩٧٨ فقط نحو عشرة مليارات دولار وبلغ عدد الخبراء العسكريين نحو ٦٠ ألف خبير (٢). من هنا يمكن ان نتساءل ما الغاية من هذه القوة؟ هل هذه القوة ستستخدم للمداعبة السياسية مع الدول العربية المجاورة أم أن هذه القوة تمكنه من ضمان المصالح الامريكية والاحلاف الغربية في السيطرة على منابع البترول؟ إن أرتباطه الوثيق بالولايات المتحدة وبالكيان الصهيوني ومعاداته السافرة للامة العربية خصوصاً عدائه للعراق هي اساس الحرب الحالية معنا. فالعراق دون غيره من أقطار الوطن العربي المتقدم في موقعه شرقاً وعلى تماس مباشر مع ايران يتمتع بقوة يحسب لها الف حساب يستطيع ان يلعب دوراً معاكساً لاطماع ايران في منطقة الخليج.

(١) Marvim Zonis, "Petroleum And Politics in The Arabian Gulf" University of Chicago Magazine, V. LxvIII, No.2, 1975. (PP. 14–19).

(٢) حزب البعث العربي الاشتراكي – القيادة القومية – نشرة داخلية حول الموقف من ايران مايس ١٩٨٠ ص ٥ – ص٦.

الإتفاقيات الخاصة بتحديد الحدود : ـ

في خلال الاربعة قرون الماضية من تاريخ العراق الحديث شهد نوع من العلاقات العدائية ما بين الامبراطورية العثمانية والدولة الفارسية ، وبعد خروج العراق من السيطرة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ ورث هذه المشكلة التي لا زالت حتى الوقت الحاضر . وكانت اول معاهدة تم توقيعها في زهاب سنة ١٦٣٩ لتحديد جزء من تخوم المنطقة التي كانت تتكون من بلاد ما بين النهرين أو العراق حالياً ثم ظهرت بنود هذه المعاهدة في سنة ١٧٤٦ ومرة اخرى في سنة ١٨٢٣ في ارضروم وعرفت الأخيرة بمعاهدة ارضروم الاولى وفيها تم تنظيم شؤون الرعي الصيفية والشتوية لقبائل الأراضي المتنازع عليها التي تعرف بأراضي التخوم . ثم ظهرت الحاجة مرة ثانية لعقد معاهدة ارضروم الثانية في سنة ١٨٤٧ والغاية منها حل المشاكل الحدودية ورسم هذه الحدود وكان من أهم بنودها إعادة السليمانية الى العراق مقابل تنازل الحكومة العثمانية عن ميناء المحمرة الى الدولة الفارسية وكذلك جزيرة عبادان ومرفأ عبادان والمنطقة الواقعة الى الشرق من شط العرب . ومن بنودها المحافظة على حدود كل دولة وضبط حركة العشائر وحل جميع مشاكل الحدود عن طريق اللجان وبتسوية جميع الأضرار التي الحقت بالطرفين . وقد عملت لجان وسطية من دول أخرى مدة (١٦) عاماً لمسح المنطقة ، وعمل الخرائط كشريط واسع من منطقة الحدود ثم ترك الأمر الى لجنة تؤلف من الطرفين لرسم وتعليم خط الحدود على الأراضي وبشكله الأخير ، وقد تأخر ذلك الى سنة ١٩١٣ حيث وقع بروتوكول في القسطنطينية لتعليم الحدود من قبل الدولتين وبمساهمة روسيا وبريطانيا .

الا أن خروج العراق بعد الحرب العالمية الاولى من الحكم العثماني واستقلاله عن بريطانيا جعل ايران تتجاوز مرات عديدة على حدوده مما ادى برفع القضية الى عصبة الأمم سنة ١٩٣٤ وبعد المفاوضات ظهرت معاهدة ١٩٣٧ اكدت هذه المعاهدة على قرارات معاهدة ارضروم الثانية (١٨٤٧) وبروتوكول القسطنطينية ، وتحددت حدود ايران على شط العرب حيث لا تتعدى الضفة الشرقية وسائرة مع مستوى الماء الواطيء باستثناء ستة كيلو مترات من شط العرب مقابل ميناء عبادان حيث تتمشى الحدود مع خط التالوك . ومع هذا فأن إيران لم تحل مشكلتها مع العراق حول شط العرب فقد طلبت من العراق سنة ١٩٥٤ لتشكيل لجنة حول اعادة النظر في حدود شط العرب . وقد طالبت العراق بمشاركته بمياه النهر حتى وسط مجراه وفي سنة ١٩٥٩ طالبت بسيادتها على جميع نهر شط العرب

وفي سنة ١٩٦٩ أعلنت ايران بأن الحدود المعقودة مع العراق سنة ١٩٣٧ باطلة وملغاة وبعدها حشدت ايران قواتها البرية والبحرية والجوية على الحدود وتحدت السلطة العراقية حينما سيرت سفنها التجارية تحت حراسة السفن الحربية الإيرانية . وفي سنة ١٩٧٥ وقعت معاهدة مع العراق خاصة بالحدود البحرية والنهرية والبرية وأمن الحدود ، وكان اهم بنودها حفظ الحدود من تسلل العناصر المخربة والسماح لإيران أن تنال حريتها في الملاحة بشط العرب وقد كان من أسباب قبول هذه المعاهدة هي رغبة حكومة العراق في حل المشاكل التي ورثها من العهود السابقة وبالطرق السلمية وتحقيق الوحدة الداخلية وتحسين العلاقات الخارجية وحسن الجوار مع ايران .

سير الحدود العراقية — الإيرانية وفقاً لمعاهدات الحدود بينهما : —

كثيراً ما تتعرض الحدود السياسية المرسومة الى تغيرات نتيجة اتفاقيات ومعاهدات مما تؤدي الى ظهور تعديلات في الحدود السابقة ، وقد تكون مثل هذه الحدود مفروضة على طرف دون آخر ، ومع ذلك فقد ارتضاها نتيجة الظروف التي تحيط به ، إلا أن هذا التحديد لا يمنع من إيجاد حلول جذرية تدعو الى استقرارها ومنع التلاعب فيها ومن ثم العمل على تغييرها أي لا بد من ايجاد حدود يرتضيها الطرفان وضمن اتفاقية جديدة تعيد للحدود وضعها الصحيح .

والاتفاقية لا تتم دون أن تمر على جملة من الخبراء عن الأرض وطبيعتها والسكان الذين يعيشون فوقها. فيجب المساحون والخبراء لتحديد الأماكن والتي يمر فيها خط الحدود إلا أن هذه الخرائط يجب أن تتضمن الدقة في رسمها بحيث لا تظلم قرية حدودية فتجعل مياهها واراضيها الزراعية في جانب والسكان واماكن سكنها في جانب آخر ، فأن اغفال مثل هذه الأمور سيؤدي ثانية الى تأزم الحدود . ويمكن القول مقدماً بأن الحدود العراقية الحالية هي حدود لا تتفق ومطامح الشعب العراقي القومية والوطنية . لأنها حدود فرضت عليه وضمن ظروف غير طبيعية وهي أقرب الى الحدود المصطنعة التالية منها الى الحدود الطبيعية رغم أن الأراضي بتنوع ظروفها ومكونات أرضها تصلح لخلق مثل هذه الحدود خاصة وإن الإنسان الذي يسكن إيران يختلف حضارياً وثقافياً عن الإنسان الذي يسكن العراق . وارجو ألا يفهم من قولي هذا إن الحدود يجب أن تكون فواصل قاطعة وصعبة الاجتياز وفي هذه الحالة تصبح الحدود حواجز طبيعية تحد من الإتصال والحركة عبرها إذ تستطيع احياناً بعض الدول أن تضع أسلاكاً شائكة إذا لم تكن هنالك حواجز طبيعية .

وعندئذ تقتصر منافذ معينة للحركة والإنتقال كما هي الحال في بعض مواقع الحدود بين تركيا وسوريا . ولذلك لو راجعنا خرائط العراق وحدودها الشرقية مع ايران ابتداءاً من اقصى نقطة في الشمال ولغاية دائرة عرض قصبة خانقين يظهر لنا أن خطوط الحدود تسير احياناً مع السلاسل الجبلية التي تظهر فيها الوديان وقد نفذت من خلالها الى العراق وقد عملت فيها خوانق عميقة تعلو جوانب هذه الوديان سفوح جبلية صعبة الاجتياز ، ولم يظهر أن كان خط الحدود متفق مع خط تقسيم المياه الموجودة في هذه الوديان الا انها تقف عائقاً أمام انتقال الجماعات البشرية فهي كذلك حدود استراتيجية أما من الناحية البشرية فأنها تسكن بيئة طبيعية ذات خصائص معينة كوعورة الاراضي واقاليم غير جذابة خاصة وان الشتاء بارد جداً تتراكم على الجبال الثلوج بالاضافة الى صعوبة الزراعة والسكن على سفوحها ما عدا مناطق معينة منها ، ورغم قلة عدد السكان في مثل هذه المناطق الوعرة فهم متجانسون في كثير من الخصائص النسبية والحضارية ومما يمكن استنتاجه عن المنطقة بأنها متجانسة طبيعياً وبشرياً وعلى جانبي الحدود سواء في التخوم الإيرانية أو التخوم العراقية . ولذلك فأن صلات الشعوب القاطنة على جانبي الحدود كبيرة رغم وجود الحدود السياسية ، ومثل هذه الصلات والحركات الإنتقالية الفردية أو الرعوية ما بين المناطق الجبلية وعلى جانبي الحدود لا تتسبب في بعض الأحيان علاقات دولية متدهورة . فعلى العموم المنطقة الجبلية صعبة الاجتياز وارتفاعها كبير وانحدار سفوحها يزيد من وعورتها مما جعل عبور الحدود أمراً صعباً ، ولكن قد يجد الرعاة منافذ معينة لعبور الحدود إلى الجهة المقابلة ، ومع هذا فلا يمكن اعتبار هذه الحدود التي تتبع في بعض الاحيان امتداد السلاسل الجبلية خالية من المشاكل تماماً. فقد كان لحركة القبائل العراقية الفصلية سبباً لخلق مثل هذه المتاعب للدولتين العثمانية والايرانية في الازمنة السابقة. ولهذا كان من الصعوبات التي خلقت للمنطقة هو وجود قبائل متجانسة وبيئة متجانسة على جانبي الحدود ، اضافة إلى تعقيد الوضع الطبيعي للمنطقة. والتعقيد ظهر من التداخل من الوجهة الانثروغرافية ، إذ أن مثل هذه القبائل تتوغل داخل حدود واراضي دولة أخرى. وعليه فأن الحدود أخذت امتداد السلاسل الجبلية ولم تراع القضايا البشرية . الا ان مثل هذه الحدود لم تكن غير مألوفة في مناطق أخرى من العالم، فجبال البرانس لم تكن فاصلة تماماً ما بين الشعب الفرنسي والشعب الاسباني اذ نجد على جانبي الحدود يسكن شعب الباسك وبمرور الايام استقر الشعب الواحد على جانبي هذه الحدود بشكل هادىء ومستقر وكان عامل الوقت الاثر الكبير في هدوء المنطقة .

والى الجنوب من دائرة عرض قصبة خانقين وفي حدود محافظة واسط مع ايران.الى دائرة عرض ٣٣ْ من دوائر العرض الشمالي ،فأن الحدود لها مظهر آخر وخصائص اخرى تختلف عما يقع الى الجنوب او الى الشمال منها .فالمنطقة الوعرة غير الصالحة للاستقرار والسهول المحدودة في الجانب الايراني بينما تنخفض الارض نحو الغرب وبأتجاه العراق حتى تتدرج في الانخفاض لتصل اخيرا الى السهل الرسوبي . والمشكلة التي تظهر ضمن المنطقة هذه تأخذ بعدين : — الاول ،ان الارض الوعرة والتي تقل فيها الارض الصالحة للزراعة والاستقرار تظهر في الجانب الايراني ،ولذلك فأن المسالك تكون من خلال الوديان المنحدرة من حواف الهضبة ومن سلاسل جبال بشتكوه المحيطة بها الى سطح الهضبة او الى السهل الرسوبي في العراق ولهذا فأن الطرق المعبدة يجب ان تسير بصورة موازية لأمتدادات هذه الوديان لتجد لها المنفذ للوصول الى سطح الهضبة أو الانحدار نحو السهل الرسوبي في العراق .

الثاني ،ان اكثر مياه هذه الوديان المنحدرة من سطوح الهضبة وحوافها الجبلية تنحدر نحو الاراضي العراقية المجاورة مما ادى الى ظهور بعض المدن العراقية المجاورة لخط الحدود مع ايران فخانقين ومندلي وبدرة وجصان وزرباطية والقرى المحيطة بهذه القصبات جميعها يعتمد على هذه المياه .فأذا ماأراد الجانب الايراني والعراقي استثمار هذه المياه لصالح المناطق الزراعية فأن ذلك يتوقف على ايجاد حل مشاكل تقسيم المياه مابين الجانبين ،وقد ظهرت المشكلة ولا زالت قائمة منذ سنة ١٩٣٤ أيما قطع الجانب الايراني الماء عن قصبة زرباطية ومن ثم عن خانقين وعن مندلي .

اما الجوانب الاثنوغرافية، فهي كذلك معقدة، ولايقل تعقيدها عن طبيعة الاراضي التي يسكنها الانسان في الجانب الايراني .وعندما كانت الحدود غير مرسومة فأن القبائل الايرانية والقبائل العراقية تجتاز هذه المناطق ضمن حركتها الرعوية الفصلية . فكانت هنالك مرونة سياسية لتقبل الحركة الرعوية مابين الدولتين الفارسية والعثمانية باعتبار ان الفائدة تتحقق للسكان في هذه التخوم الانتقالية وبين التخوم الجبلية الوعرة . ومع هذا فأن المتاعب لهذه القبائل كانت تظهر من جانب واحد وهو ايران .

والى الجنوب من خط ٣٣ْ شمالا فأن الحدود تنحرف قليلا الى الجنوب الشرقي وتبتعد بعدها الاراضي الوعرة نحو الشرق بينما تظهر اراضي سهلة ورسوبية على جانبي الحدود وغالبا ماتظهر الكثبان الرملية في الجانب الايراني فتبعد عنا مناطق الاستقرار في الجانب

الايراني اي هذه الكثبان الرملية المتحركة هي من الوعورة مايجعل اجتيازها صعبا وكذلك السكن عليها ولهذا فأن اقرب مدينة من الحدود العراقية لاتقل بعدها عن ثلاثين كيلومتراً مثل دهلران وديزفول وغيرها . وقد ظهرت ضمن هذه المناطق وعلى الجانبين العراقي والايراني مستودعات نفطية . وبهذه الاكتشافات الجديدة لموارد المنطقتين الاقتصادية يجب ان تتبدل سياسة ايران تجاه العراق اذا ارادت استثمار النفط . كما ان استغلال مثل هذا المورد الثمين ربما سيولد في المستقبل مناطق عمرانية مهمة فقد تظهر مدن ومستوطنات حضرية تحتاج الى المياه المنحدرة من سفوح الهضبة وبأتجاه هذه المستودعات النفطية فأستثمار هذه الموارد المائية يجب ان يحل مستقبلا .

أما باقي سير الحدود في جنوب دائرة عرض ٣٢° فأن الحدود تسير بخطوط مستقيمة ومنكسرة وتلج على الجانب العراقي بينما تترك على جانبها اراضي متماثلة ومتجانسة وهي جزء من سهل العراق الرسوبي ومكملة له سهول الاحواز ، كما ان الانسان الذي يسكن العمارة والبصرة هو نفس الانسان الذي يسكن المحمرة والاحواز والخفاجية والحويزة والبسيتين وغيرها من المدن العربية . فالحدود هذه لم تمنع من اتصال سكان هذه القصبات مع سكان القصبات المماثلة في الجانب العراقي ،فالصلات قائمة باستمرار ولم تمنعها الحدود السياسية ، وليس فيها مايكدر صفو العلاقات الدولية بين الجانبين الا ان ايران في هذه المرة تعتقد ان هذه القبائل هي ايرانية . أما الحدود جنوب ميناء المحمرة فأنها تسير مع ضفة شط العرب الشرقية ولايوجد للجانب الايراني مياه عميقة [illegible] كيلومترات امام مرسى المحمرة ومثلها امام مرسى عبادان حيث تسير الحدود مع خط التالوك أو المجرى الوسط العميق ، وهذه الحالة مألوفة كخط حدود مائية مابين الولايات المتحدة والمكسيك عبر نهر ريوجراند (١) . ومع هذا فأن شط العرب واهميته للعراق اكثر من اهميته لايران لانه المنفذ الوحيد للعراق مع العالم الخارجي وعبر الطرق المائية والبحرية ، ومع هذا فأيران تعزز وجودها ضمن هذه المنطقة مستهدفة السيطرة على مياهنا الاقليمية والوطنية (٢)

---

(١) Derwent Whitlesey, The Earth And The Statse, New York 1944, PP. 483-495.

(٢) راجع مقالة، د. عبد خليل فضيل ، السيطرة على مياهنا الاقليمية ضرورة قومية – مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الثالث عشر ١٩٨٠. ص ١٦٣ – ٢١٥ .

م/٣٧/ م.أ.س

بعض أسباب المشكلة من الوجهة الجغرافية

ان جذور المشكلة التي سببت الحرب الحالية لم تكن تاريخية فقط وانما هنالك جوانب جغرافية للمشكلة تتمثل بطبيعة أراضي التخوم وسير خط الحدود المرسوم أو الفاصل بينها ، ان اية حلول للمشكلة القائمة لاتراعى فيها الظروف الجغرافية تصل في النهاية الى اهداف محدودة لاتلبث ان ترجع المشكلة كما كانت في السابق او اشد تعقيدا . ولاتختلف المشكلة الحدودية عن المشاكل الحدودية الأخرى القائمة في جهات من العالم ولكن لكل حالة اسبابها ، فما هي الاسباب الفعلية للمشكلة الحدودية ؟ وما اسباب اعلان ايران الحرب على العراق ؟ وما الاهداف التي ترمي ايران تحقيقها من حربها مع العراق ؟ ان خلاف ايران مع العراق بدأ قبل أن يستقل العراق وينسلخ عن الدولة العثمانية تمتد نحوَ أربعة قرون وخلال هذه الفترة الطويلة حصُلت ايران على اراضي كانت جزءاً من العراق . ولكن المشكلة ازدادت منذ أكثر من ١٦ سنة، أي منذ ان قامت الثورة العربية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق وظهر بشكله الجديد في سياسته وبناء اسسه الحضارية والاقتصادية مما عز على ايران ان ترى دولة صامدة قوية واطماعها ستكون جزء من احلام اليقظة . ويمكن تفسير المشاكل بالجوانب التالية

١ ــ اذا أخذنا الجوانب الاثنوغرافية ، فأن ايران تنحدر من اصول تاريخية قديمة تتمثل بالميديين وبالفرس والبارثيين . وجميعها من اصول آرية ، كما ان هنالك شعوب أخرى قديمة سكنت ايران منها السكيثيين والبختاريين . ويقطن ايران عدد من الشعوب كالاتراك ومجموعات أخرى من الارمن واليهود ومجموعات كبيرة من الاكراد ومن العرب والبلوش ، اما اللغات السائدة عند الفارسية فهي اللغة الكردية والتركية ولغة اللروالفيولية والجبلاك ولهجات من المازندرية بالاضافة الى اللغة العربية، وجميعها تشير الى تعدد الشعوب القاطنة ايران ، ومن الوجهة الدينية فأن ايران تدين بالدين الاسلامي ولكن هنالك اديان أخرى كالمسيحية واليهودية والزرادشتية والمعتقد الاخير من معتقدات ايران القديمة ان تعدد الاديان واللغات والقوميات في ايران وتعدد اقاليمها الجغرافية يعتبر احدى مظاهر الضعف في حياتها السياسية خاصة وانها لاتتبع الطريق الديمقراطي في حكمها ان وجود اكثر هذه الاقليات في اطراف اقاليمها مما يشير انها تعمل على طردهم منها ولكنها في الوقت نفسه كانت تساندها من اجل ايجاد اضطرابات في التخوم المجاورة لحدودها الأمر الذي يجعل لها المجال للتوسع على حساب غيرها وقد تساندها الدول الغربية لأنها تريد من ايران ان تبقى اسفيناً فاصلا عن الكتلة السوفياتية .

٢ - المشاكل الناجمة عن القبائل الساكنة ضمن المناطق الحدودية - فالقبائل العربية المتاخمة للحدود العراقية في المحافظات الجنوبية / البصرة وميسان وواسط كانت هدفُ للسياسة الايرانية العقيمة ، فقبيلة بني كعب الساكنة في قصبة المحمرة وجزيرة الخضر والجهات الداخلية الواقعة الى الشرق من هاتين المنطقتين والى الجنوب على سواحل شط العرب الشرقية ، لقد جاءت هذه القبيلة العربية من نجد وقد باشر حاكم البصرة باسكانها في المكان المسمى بالسابلة على ضفاف نهر كارون (١) . وقد قام هؤلاء باعمار الأراضي وقد بادرت الحكومة الايرانية بتخريب سدودهم واراضيهم الزراعية مما سبب تغيير مجرى نهر الكارون الى مجراه الحالي ، ولما كانت الاعتداءات الايرانية متكررة على اراضي بني كعب فلم تستطيع هذه القبيلة من اعادة تعمير سدودها واراضيها المخربة فانتقل قسم منهم الى الفلاحية فقاموا باعمارها ، وقام الايرانيون باكراه سكانها على دفع الضرائب وقد استطاع الوالي العثماني داود باشا من ارجاع هذه المناطق الى السلطة العثمانية ان خط الحدود الفاصل مابين الدولتين بين المحمرة من الجنوب ثم يتوجه شمالاً بمحاذاة نهر السويب (الكرخة) ثم شمالاً ماراً بقصبة الحويزة وقد استفادت من هذا النهر عشائر بني لام . اما السلسلة الجبلية الواقعة الى الشمال من نهر الكرخة (السويب) فخط الحدود يمر من السفوح الجبلية في زرباطية فالقسم الجنوبي الغربي منها يقع تحت حوزة هذه القبائل التي تعود بولائها الى حكام بغداد اما القسم الشمالي والشمال الشرقي من الأراضي فهي تحت تصرف قبائل القبوبلية التي تدين بولائها لايران . سكنت عشائر بني لام الفلاحية وشادر على نهر الكرخة ورامز وديزفول والحويزة وأطرافها وعلى نهر الكارون ، بينماسكنت قبائل الفيولية على سفوح الجبال والتلال المحاذية لهضبة ايران . وقد كانت ايران تدفع بعشائر القبوبلية نحو الخارج من الهضبة فسكن بعضها المدن الحدودية وقسم منها تسلل الى المدن الواقعة على نهر دجلة ونهر ديالى ووصل بعضها الى مدينة بغداد . وقد تمادى هؤلاء في تعاليهم على السكان الأصليين ، اضافة الى اتخاذ ايران منهم واسطة لاثارة القلاقل والنعرة الطائفية في العراق مما ادى الى ازاحتهم من العراق وبصورة نهائية . ولعل الحدود قبل ١٩١٤ غير معروفة . فقد جاء في مضبطة بني لام مايأتي : نحن عشيرة بني لام لانعرف شيئاً عن الحدود الصحيحة بين الدولة العثمانية والدولة الايرانية ، والشيء الوحيد الذي نعرفه هو انه كان في الماضي

(١) وزارة الخارجية العراقية - تقرير تفضل بتقديمه صاحب السعادة المغفور له درويش باشا الذي عين لتحديد الحدود العراقية - مطبعة الحكومة بغداد ١٩٥٣ - راجع البند الرابع من التقرير .

مجرى مائي يدعى بالدوبرج كحد فاصل مابين عشيرة بني لام وايران .. اما المناطق الواقعة في الجهة اليمنى من النهر وجنوباً فهي اراضينا وليس للايرانيين اراضي فيها بينما اليسرى تعود لهم . ومن محل صدر الكرخة الى مندلي فالحد الفاصل بيننا وبين عشيرة الفيولية هي الجبال .

وتعود بيات ودهلران وباكسابة الينا وهي تحت تصرفنا .. اما الأراضي الواقعة بالقرب من زرباطية بين نهر كنجاجم ونهر كاوي تحت تصرفنا وليس لايران اي حق بالتدخل فيها . وبناء على ذلك فإن خط الحدود القديمة تمر من خط تقسيم المياه ، وان المياه الجارية التي تصل الى مندلي هي جزء من الدولة العثمانية ، اما منطقة سومار والمجرى المسمى بنفس الأسم الذي يسقي القريتين مزانية ودوشيخ الواقعتين بالقرب من مندلي فهي جزء من الدولة العثمانية وهي تدفع الضريبة الى حاكم مندلي . اما القبائل التي جاءت من وسط ايران الى زهاب فكانت تدفع الضرائب الى متصرف زهاب وقد استطاعت ان ترشوا حاكم زهاب فيسمح لها بالاستقرار ، ومع هذا فإن الأراضي الواقعة الى الشرق من زهاب تابعة الى ايران بينما السهول الواقعة الى غربها تتبع والي بغداد . ان تسلط ايران على بعض الممرات والمواقع الجبلية جعل في امكانها السيطرة على الطرق المؤدية الى بغداد والى مناطق عربستان .

٣ ــ الحدود في المناطق الجبلية وأثرها على خلق مشاكل حدودية تقع ضمن مناطق صعبة فالى الشمال من دائرة عرض سربيل زهاب وخانقين تسير الحدود من الجهة الشرقية لسفوح جبال هاورمان وجميع القرى بما فيها قرية ظالم تقع ضمن العراق (الدولة العثمانية) وعلى مايظهر ان صعوبة اجتياز مثل هذه الحدود جعل اتجاه الدولتين نحو السيطرة على الممرات الجبلية ، فمثلاً مرجنان متصل بسلسلة جبال هاورمان وتؤكد الدولة العثمانية على امتلاكه لأنه ينهي القلاقل العشائرية التي تظهر في تلك التخوم وعلى طرفي الحدود .

ومع هذا فإن جبال هاورمان وسهول شهرزور في السليمانية وحيث تنتشر قرى تجاوز عددها الـ (١٧) قرية فقد تجاوزت ايران عليها ، ان تجاوز ايران على هذه المناطق يتوقف على ظروفها العسكرية فعندما تحرز انتصاراً عسكرياً على الدولة العثمانية تضم اراضي لها ، ولكن عندما ينحسر مدها تؤخذ منها . إن منطقة قزلجة وسردشت ولاهيجان وتوابعها تابعة للدولة العثمانية بينما قرى تابعة لقضاء قزلجة تبعت ايران . وكان لبعض من ذوي النفوذ مثل عائلة آل بابان ملك لهذه القرى التابعة للسلطة الايرانية يستوفون منها الضرائب

قسم من الحاصلات وعليه فان مثل هذه القرى تتبع في ملكيتها لجانب وتدفع الضرائب لجانب آخر . وهكذا نجد العلاقات قائمة . بين تخوم العراق وتخوم ايران ضمن المناطق الجبلية وان حركة القبائل الرعوية وهي من اصول متجانسة وتسكن مناطق متجانسة لاتسبب مشاكل الا اذا حاولت ايران من جانبها مساعدة بعض هذه القبائل لتكون ضد السلطة . وهكذا فان مناطق النفوذ جعلت من افراد العشيرة الواحدة منقسمين الى قسمين . وقد سيطرت بعض المواقع على الممرات الجبلية التي تجتازها القبائل ، فايران سيطرت فترة طويلة على بنة ولكن لاهميتها استعادتها الدولة العثمانية والقرى التي حولها . وكانت حركة القبائل الجبلية مصدر لمشاكل هذه المنطقة فعشيرة بلباس مرة تسكن بالقرب من كويسنجق شتاءاً بينما صيفاً تجدها في الجهات الشرقية من جبال لاهيجان في ايران ، وهذه الحالة كانت من ظروف غير مستقرة سادت بين الدولتين ، خاصة وان نزاع القبائل حول المرعى قد سبب متاعب كثيرة .

وقد حاولت ايران ان تبني بعض القلاع على جبال لاهيجان وضمن مناطق تتبع الدولة العثمانية ، وكانت القبائل مرة تدفع الضرائب الى ايران وتارة الى الدولة العثمانية ، وحالياً مثل قبائل الجاف وبلباس وسورجي جميعها عراقية ، وسبب لجوء بعض القبائل الى ايران هو وجود الخلافات مابينها فحينما لم تنصرها الدولة العثمانية تذهب الى ايران فتطلب حمايتها على هذا الأساس استفاد الايرانيون من هذا الانشقاق فتقضي على المناوئين لايران . وقد تباع القرى لايران فتستفيد منها في الظروف الحربية والعسكرية . ومن هذا السرد ان مشاكل الحدود ضمن المناطق الجبلية تظهر من الأسباب التالية :

أ — حركة القبائل الأصلية وحركتها تتبع اماكن المرعى .

ب — النزاع بينها على ملكية الأرض ،

ج — النزاع حول الدولتين للحصول على الضرائب من القبائل اثناء وجودها ضمن اقاليمها السياسية.

د — عدم استطاعة الموظفين الاداريين من السيطرة على حركة الرعاة او حل مشاكل النزاع بينهم .

— تذبذب عائدية هذه الأراضي التنموية وفقاً للحالة العسكرية والادارية والسلطة الحاكمة .

هذه الظروف السائدة في المناطق الحدودية مكنت الحكام الايرانيين وفي زمن الشاه وزمن الخميني من التدخل في شؤون هذه المناطق وتقوية حركة انشقاق بعض هذه القبائل عن السلطة في العراق ، هذا مما دفع العراق الشيء الكثير في ارجاع وحدة تراب الوطن ومنع تدخل الأجنبي في شؤون القطر الداخلية .

٤ — مشكلة الأنهار الحدودية : — وعلى مايظهر ان المشكلة المتعلقة بالحدود مع ايران لم تكن من ظروف الوقت الحاضر وانما هي قديمة وبعيدة تناولت بعض مشاكلها الانهار المنحدرة من حافات الجبال المحاذية لهضبة ايران وباتجاه العراق ، ورغم انها انهار قصيرة لاتنتهي بعصباتها الى مخارج بحرية لأنها قليلة المياه الا انها مهمة من الناحية البشرية والزراعية، وتتلخص مشاكل اكثر هذه الأنهار مايأتي : —

أ — نهر كنجان جم : وينبع من الحافة الغربية لجبال بشتكوه ، وترجع اهميته الى كونه يسير في جزء منه مع الحدود ، أي حوالي ١٢ كم منه يؤلف النهر حدوداً مابين الدولتين وبعدها يدخل العراق فيكون نهراً عراقياً ماراً ببدرة بينما تستلم زرباطية وبساتينها من الجانب الايمن من النهر عبر قناة . وقد حولت الحكومة الايرانية مجرى النهر سنة ١٩٣٠ فاقامت سداً عليه ضمن سهل سومار وحرمت المنطقة العراقية من مياهه ، فاصبحت الزراعة صيفاً غير ممكنة . وقد أعطت اللجنة التي حددت الحدود حقاً للعراق في هذه المياه وليس لايران اية حقوق في وضع السدود والتأثير على الجانب العراقي .

ب — نهر كنجير — فقد وضعت ايران سدوداً قللت المياه المعطاة الى قصبة مندلي وقد حولت ايران اكثر مياه هذا النهر مما تسبب عن هذا التحول القضاء على ٧٠٪ من الفواكه و ٣٠٪ من اشجار النخيل في مندلي كما اصبحت الزراعة الصيفية غير ممكنة . وهذه الحالة ادت الى ترك الزراعة وكما هاجر عدد كبير من سكان المدينة الى المدن الاخرى وخاصة الى بغداد .

حـ — نهر الوند (١) — وهو رافد من روافد نهر ديالى المنحدر مياهه من الأراضي الايرانية ماراً في الجانب العراقي بمدينة خانقين — اتجهت ايران الى تحويل مياه هذا النهر بواسطة قناة الى خسروي في مقابل مدينة خانقين . وتعتمد على هذا النهر اكثر

---

(١) Republic of Iraq: Facts Concerning The Iraqi-Iranian Frontier. Ministry of foreign Affairs Jan. 1960. PP. 3-12.

بساتين خانقين ، فقد كان مقدار تصريف المياه نحو ٥م٣ في الثانية بينما اصبح بعد هذه العملية أقل من ٢م٣ في الثانية وهذه الكمية لاتكفي سقي البساتين .

وهكذا فان ايران تعمل على اصلاح بيئتها وتوسيع نطاق زراعتها على حساب تدمير البيئة العراقية المجاورة وزراعتها ومناطق الاستقرار فيها . بينما من جهة ثانية لحدودها مع دولة افغانستان تطلب عدم اقامة السدود على انهارها المنحدرة من مرتفعاتها وخاصة نهر هلمند ولكنها تناست انها ارتكبت الأعمـــال نفسها مع العراق . فالاهداف التي تريد تحقيقها ايران من وراء قطع المياه عن هذه المدن الحدودية هي تدمير الاساس الاقتصادي وهو الزراعة في هذه المناطق ومن ثم هذا سيساعد على هجرة السكان ومن ثم يمكن في المستقبل ان تتوسع نحو هذه المناطق او انها تخلت جواً وعلاقاتها متأزمة مع العراق . وهكذا كانت تنظر الى الحدود على انها حدود عضوية تقبل التغير والنمو متى ماقرر الساسة فيها .

د ـ وضع شط العرب . كمنطقة نهرية حدودية تمتد من مدينة المحمرة حتى مصبه في الخليج العربي وتؤلف هذه الحدود مسافة تصل نحو ٥٠ ميلاً ، فالحدود تتمثل بالضفة الشرقية لشط العرب وهذا لايوجد حق قانوني لايران لأن تطالب بمياه شط العرب ، ماعدا ١٢ كم امام مرفأ المحمرة ومرفأ عبادان ويمتاز النهر بظهور بعض الجزر في وسطه وبأنثناءاته بسبب ظهور الارسابات في مجراه . ويختلف النهر في عمقه وصلاحيته للملاحة فكلما اتجهنا جنوباً ازداد مقدار عمقه ، ومع هذا فقد أصبح النهر فاصلاً طبيعياً وحدوداً سياسية بين البلدين ، ولاتمتلك ايران بموجب جميع المعاهدات السابقة (١٨٤٧، ١٩١٣ ، ١٩٣٧) شيئاً من مياهه وقد أقتنع الطرفان بأن الضفة الشرقية من شط العرب وضمن المياه الواطئة هي الحدود المقبولة ولكن المخالفات الايرانية لاتحصى ، وسلوك ايران مناف لحقوقنا القومية في هذا النهر العراقي ، فقد بدأت ايران تطالب بسيطرتها على النهر منذ سنة ١٩٥٤ ، واعلنت حكومة الشاه ان مدينة خسرو اباد هي ميناء حربياً على نهر شط العرب كما الغت من جانبها جميع الاتفاقات الخاصة بشط العرب وبدأت تأخذ حريتها الملاحية في هذا النهر . ان مطالبة ايران الشاذة لاتقف بمشاركة العراق في هذا الجزء الحيوي من النهر وانما وجود هذا الفاصل الطبيعي يحول دون زيادة اطماع ايران في العراق . بالاضافة الى ان هذا النهر يعتبر المجرى المائي الوحيد الذي يخرج منه العراق الى العالم الخارجي وعن طريق الخليج العربي ، فهذه مسألة اساسية في كيان العراق السياسي .

٥ ـ بناء المخافر الحدودية الايرانية داخل الأراضي العراقية ، وكان بعضها داخل اراضي محافظة ميسان وبعضها داخل محافظة واسط وديالى ، وقد ادى هذا التجاوز الى اقتطاع اراضي عراقية بمساحة تزيد عن ٨٠ كم٢ في سيف سعد وزين القوس أمام مرتفعات ميمك وهذه احدى الأسباب المباشرة لهذه الحرب التي زاد أمدها عن اربع سنوات ولما تنتهي .

الحدود قـوة جيوبولتيكية .

وكما اشير في الفقرات السابقة بأن الحدود المرسومة ربما لاتكون مقنعة لأية حالة ادت الى رسمها ، فمثلاً الحدود التي تقطع السلم الأرضي الموصل مابين سطح الهضبة الايرانية وبين السهل الرسوبي العراقي في القسم الأوسط من الحدود مالت نحو الجانب العراقي ، فاصبحت تلك الحدود اقرب الى قلب العراق منه الى وسط ايران ، ان هذا السلم ينقل الانسان من الجانب الايراني الأقل مورداً الى المناطق العراقية حيث السهول والمياه الوفيرة .

ان هذه الحدود كانت ولازالت من اكثر المناطق التي يحصل فيها التماس مع الجانب الايراني ، فالتخوم الحدودية ضمن هذه المنطقة تمتاز بمناخها الجاف وكمية المطر فيها تتراوح مابين ١٠٠ ـ ٢٠٠ ملم في السنة لاتساعد على الزراعة ، فاذا ماستثنينا بعض القطع القليلة المساحة التي تتوفر لها بعض المياه النازلة من سفوح جبال بشتكوه وحيث تكون صالحة للزراعة فإن جميع المنطقة ارض وعرة وغير صالحة في الجانب الايراني الى الاستقرار والى الاستثمار . وقد ظهرت في وقت مبكر مناطق فيها نفط تقع على جانبي الحدود ـ نفط شاه في ايران ـ ونفط خانة في العراق ان استثمار هذا المورد سيتوقف على التزام ايران بالهدوء والطمأنينة في مثل هذه المناطق الحدودية . وقد ظهرت مستودعات جديدة للنفط في محافظة العمارة وكذلك في الجهة المقابلة لايران ،فإذا ما ارادت ايران استثمار موردها الجديد فما عليها الا أن تحسن علاقاتها مع العراق .

وبعد هذا الى اي حد تعتبر هذه الحدود فواصل قاطعة مابين البلدين ؟ هل هنالك طرق معبدة اوسكك حديدية تقطع الحدود لتربط البلدين بصلات بشرية او تجارية ؟ عند ملاحظة سير الطرق المعبدة في الجانب الايراني نجدها تسير بصورة موازية لسير الحدود وذلك لأنها لاتستطيع قطع المرتفعات وانما تسير مع اتجاه وديانها الطولية وسلاسل جبالها الوعرة ولذلك فان طرقها المعبدة تسير من الشمال الى الجنوب بينما نجد سير الطرق المعبدة في العراق بصورة عمودية مع اتجاه سير الحدود وذلك لسهولة الأراضي وطبيعتها ، فالمدن الحدودية

تتصل بطرق معبدة مع المدن الكبيرة الواقعة على نهر دجلة مما يمكن العراق ضمن حالات معينة التحرك بسرعة من هذه المدن الى المدن الحدودية . اما الطرق البرية الاخرى فلا توجد سكك حديد تقطع الحدود وتربط الدولتين بها . فالعراق لديه خط حديدي يصل الى خانقين ويبدأ من العاصمة بغداد . هذا اذا عرفنا انه لاتوجد طرق معبدة تقطع الحدود الدولية مع ايران سوى خط بغداد ـ خانقين في الجانب العراقي ، وقصر شيرين ـ طهران في الجانب الايراني .

ومن اسباب ذلك وجود الأهوار والمستنقعات والكثبان الرملية جنوباً والأرض الوعرة في المنطقة الوسطى من الحدود والأراضي الجبلية المضرسة في المناطق الحدودية الشمالية.

لقد أنشأ العراق طرقاً معبدة تربط جميع مدنه الحدودية مع المدن الكبيرة الواقعة بعيداً عن هذه الحدود وكانت الطرق الجبلية في الجانب العراقي أبرز خصائص الحركة والانتقال فيها ولذلك فان حركة القبائل الرعوية بدأت تقل فقد اتجه اكثرهم نحو الاستقرار والزراعة وهذه السياسة التنموية اتبعتها حكومة الثورة لغرض خدمة جميع الأقاليم بما فيها المناطق الجبلية وعلى الرغم من أن خط الحدود المرسوم ضمن المناطق الجبلية لايتفق في اكثر الأحيان مع امتدادات الجبال الا ان المشاكل التي تحصل للمنطقة الناتجة من احتكاك السكان في العراق مع السكان في ايران كانت أقل مما هي في المناطق الحدودية الوسطى وكانت أقل من التجاوزات التي ارتكبتها ايران في شط العرب .

الا ان ايران كانت ولازالت تستغل وعورة المنطقة فتثير القلاقل فيها باستمالة بعض القبائل المنشقة عن سكان المنطقة ، وهذه مسائل تقع خارج مسائل الحدود المرسومة .

الاستنتاجات :ـ

لقد قسمنا خط الحدود مابين ايران والعراق الى ثلاثة مناطق تمتاز كل منطقة عن الاخرى بميزات وخصائص تتحدد بموجبها بعض مشاكل الحدود . وعندما تنفرد المناطق الحدودية التي تظهر منها بعض الحوادث التي ربما تعكر العلاقات وضمن الوضع الآمن الهادىء .

١ ـ المنطقة التي تقع مابين دائرة عرض ٥ر٣٤° شمالاً . ونهاية الحدود العراقية من جهة الشمال فان هذه المنطقة تمتاز بوعورتها وقساوة مناخها خصوصاً في الشتاء وقلت منافذها وهي متجانسة في مثل هذه الخصائص الطبيعية في الجانب الايراني مع الجانب العراقي . كما ان سكان هذه المناطق هي الاخرى متجانسة حضارياً وثقافياً ، ولهذا لاتوجد مشاكل تأتي من شكل الحدود وطبيعة الأراضي وانما من العلاقات البشرية مابين سكان الجانبين

وهي ضمن ظروف وعلاقات جيدة مابين الدولتين فلا تعاني كل منهما من هذه الروابط البشرية ، ولكن اذا استغلت من جانب كما حصل بتسلل المخربين من ايران عبرهذه المناطق وضمن الظروف الحالية التي تسود فيها علاقات دولية متوترة فان مثل هذه الحدود تحتاج الى ضبط منافذها وتوفير الأمن لسكانها ولايتم ذلك الا بوجود حركة مرنة للقوات العراقية وهذا يعتمد كذلك على زيادة الطرق المعبدة وتوفير وسائلها المتعددة .

٢ – الحدود الواقعة مابين دائرة عرض ٣٤،٥ درجة و ٣٢° من دوائر العرض الشمالية وهذه المنطقة تعتبر من أخطر مناطق التماس – حيث طبيعة الاراضي في الجانب الايراني يختلف عن طبيعة الاراضي في الجانب العراقي – حيث الاراضي الوعرة – غير الصالحة للزراعة في الجانب الايراني ، بينما اراضي السهول المروجية الصالحة للزراعة في الجانب العراقي معتمدة على المياه المنحدرة من الجانب الايراني والاختلافات لاتتمثل في هذه المنطقة الحدودية بالبيئة الطبيعية وإنما كذلك بالانسان – فأكثر سكان المدن الحدودية في الجانب العراقي هي من العرب . بينما في الجانب الايراني هي من أصول فيوليه واللر والفرس وهذا لاتتوقع وجود صلات بشرية بين الجانبين .

الا ان الجانب الايراني تتمثل فيه عوامل طرد للانسان ولذلك يحصل تسلل استيطاني من هذا الجانب ، كما يمكن ان يحصل منه عمليات تهريب وتجارة غير شرعية او قانونية وربما ارتكاب قضايا تخل بالأمن(*). كما ان سير خط الحدود الكثير الانكسارات يشمل فيه تداخل اراضي عراقية مع اراضي ايرانية وهذا لابد من اقامة وزيادة عدد المخافر الحدودية ومراقبة حركات التسلل إلى العراق .

٣ – المنطقة الواقعة جنوب دائرة عرض ٣٢° شمالاً وهي دائرة عرض المحمرة فهي مناطق متجانسة طبيعياً وبشريا ، ومشابهة لحالتها وظروفها المنطقة الأولى الا ان الأراضي في هذه المرة تتكون من السهول والمستنقعات والمناخ الشبه مداري ، وكذلك لتجانس السكان حيث اكثرهم من القبائل العربية ولكنها منقسمة إلى منطقتين تابعة إلى دولتين تفصل بينهما الحدود ولذلك فأن العلاقة البشرية. إن ازدادت مابين الجانبين فهي ودية

(*) أثرت تجارة التهريب وخاصة الاقمشة الحريرية من ايران إلى العراق على كساد منتجات المصانع العراقية وتدهورها وتوقفها عن الانتاج وذلك خلال الفترة ١٩٦٤ – ١٩٦٦.

لاينشأ عنها مايكدر العلاقات الدولية ومما يقوى اهمية هذه المناطق من الوجهة الاقتصادية ظهور النفط ، فاذا ارادت ايران ان تحترم نفسها وتحاول ان تستثمر هذه المادة الثمينة من مواردها فما عليها الا ان تسلك ضمن الوضع المستقر الهادىء المحب للسلام .

٤ — الوضع على شط العرب جنوب ميناء المحمرة . يعتبر كذلك قلقاً ومزعجاً ، ومسألة وجود ايران الملاحي في مياه شط العرب مسألة غير مناسبة ، ولذلك الحوادث الماضية تشير إلى انتهاك ايران كل المواثيق والمعاهدات الخاصة بتنظيم الملاحة مابين الطرفين . ولهذا اعتقد ان هذا النهر لايحتاج إلى دليل من حيث أنه عراقي المولد والنشأة والحياة وسيبقى إلى النهاية عراقي — لأنه المنفذ الوحيد للعراق ومنه يمكن الخروج والاتصال مع العالم الخارجي .

والخلاصة ان العمليات التي قام بها الجيش العراقي على الحدود هي اساسية للدفاع عن تربة الوطن ، وعن مياهه الوطنية والاقليمية وستنهي أية محاولة ايرانية ضد العراق وستقرر بعدها نهاية احلامه في الخليج العربي .

المصادر

١ ــ حزب البعث العربي الاشتراكي ــ القيادة القومية ــ نشرة داخلية حول الموقف من ايران ــ مايس ١٩٨٠ .

٢ ــ د. سعدون حمادي. ملاحظات حول قضية الحرب مع ايران . بغداد ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢ .

٣ ــ د. عبد خليل فضيل ــ السيطرة على مياهنا الاقليمية ضرورة قومية ــ مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الثالث عشر ١٩٨١ .

٤ ــ وزارة الخارجية، تقرير تقدم به صاحب السعادة المغفور له درويش باشا، بغداد مطبعة الحكومة ١٩٥٣ .

5- Derwent Whitlesty, The Earth And The State, New-York 1944.

6- Harm, J.D Blij, Systematic Political Geography. Johnwiley and Somsind, New York, 1973.

7- Ton. OM. Brock, "The Problem of Natural Frontiers In Frontiers of the future. Uni of California press 1941.

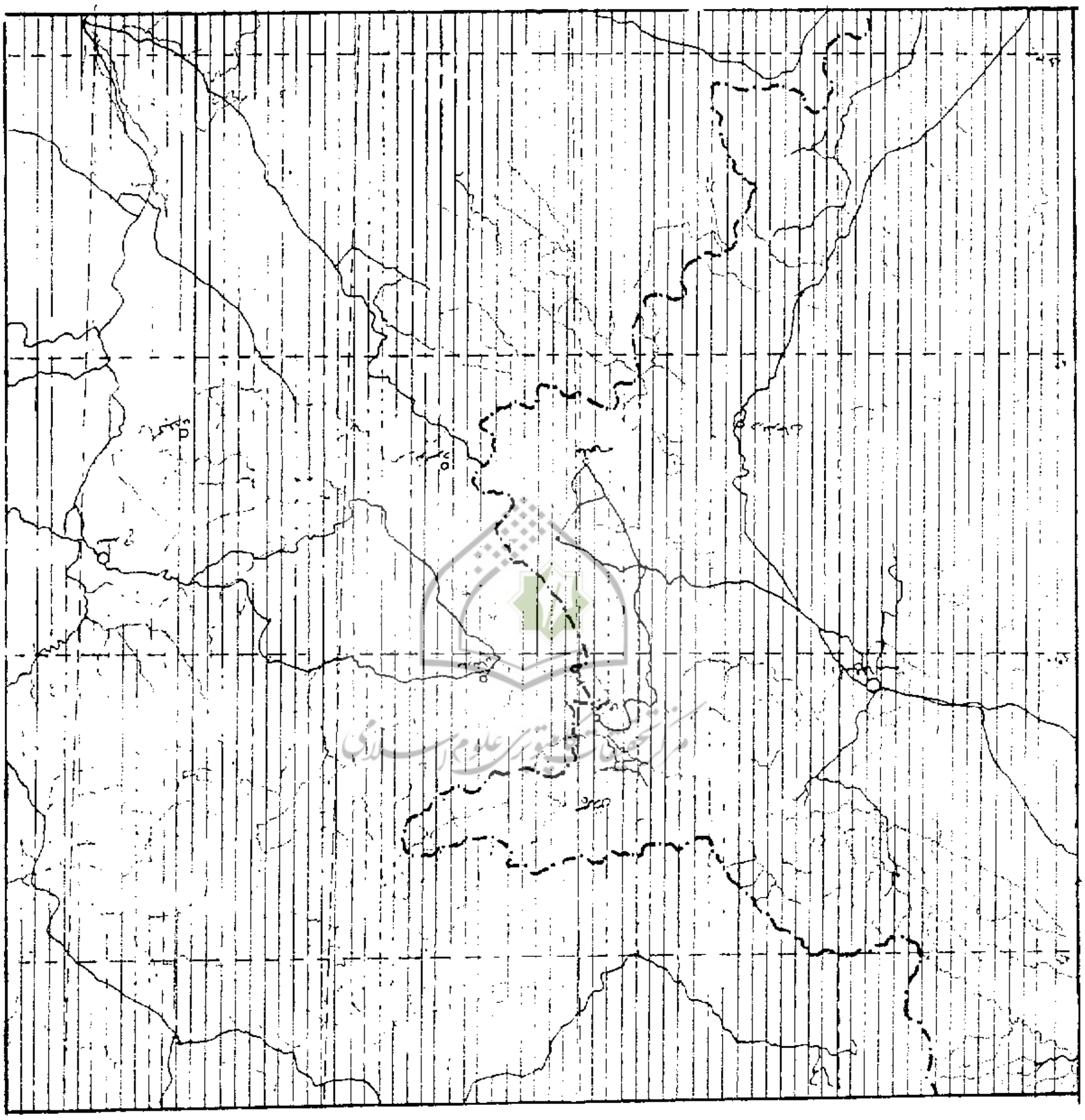
8- Marvim Zonis, "Petroleum And Politics in The Arabian Gulf" Uni , of Chicago Magayine. Vol. LxvIII, No.2. 1975.

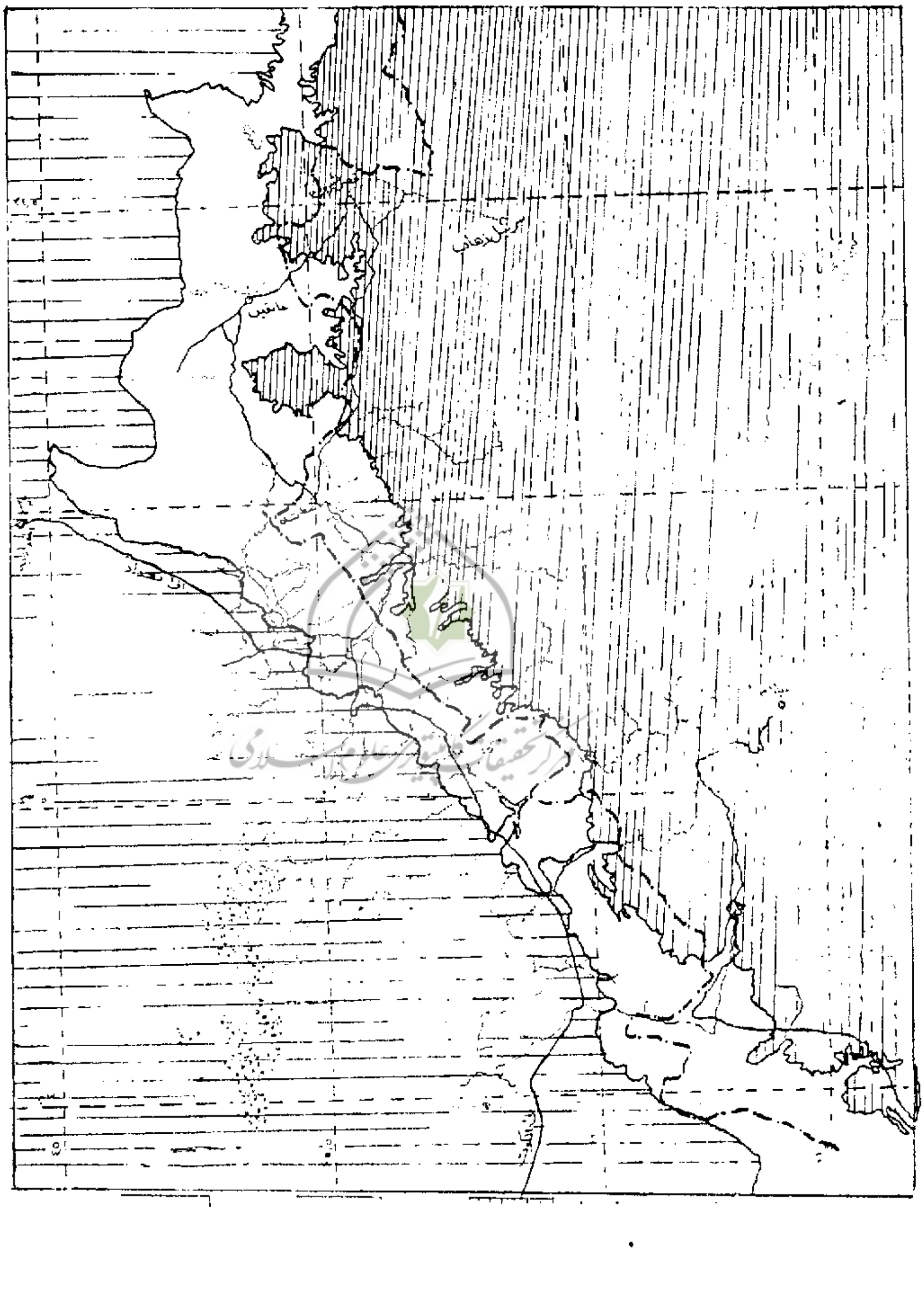
9- Nicholes John Spykman, "Frontiers Security And International Orgnization." The Gographical Review, Vol 32. 1942.

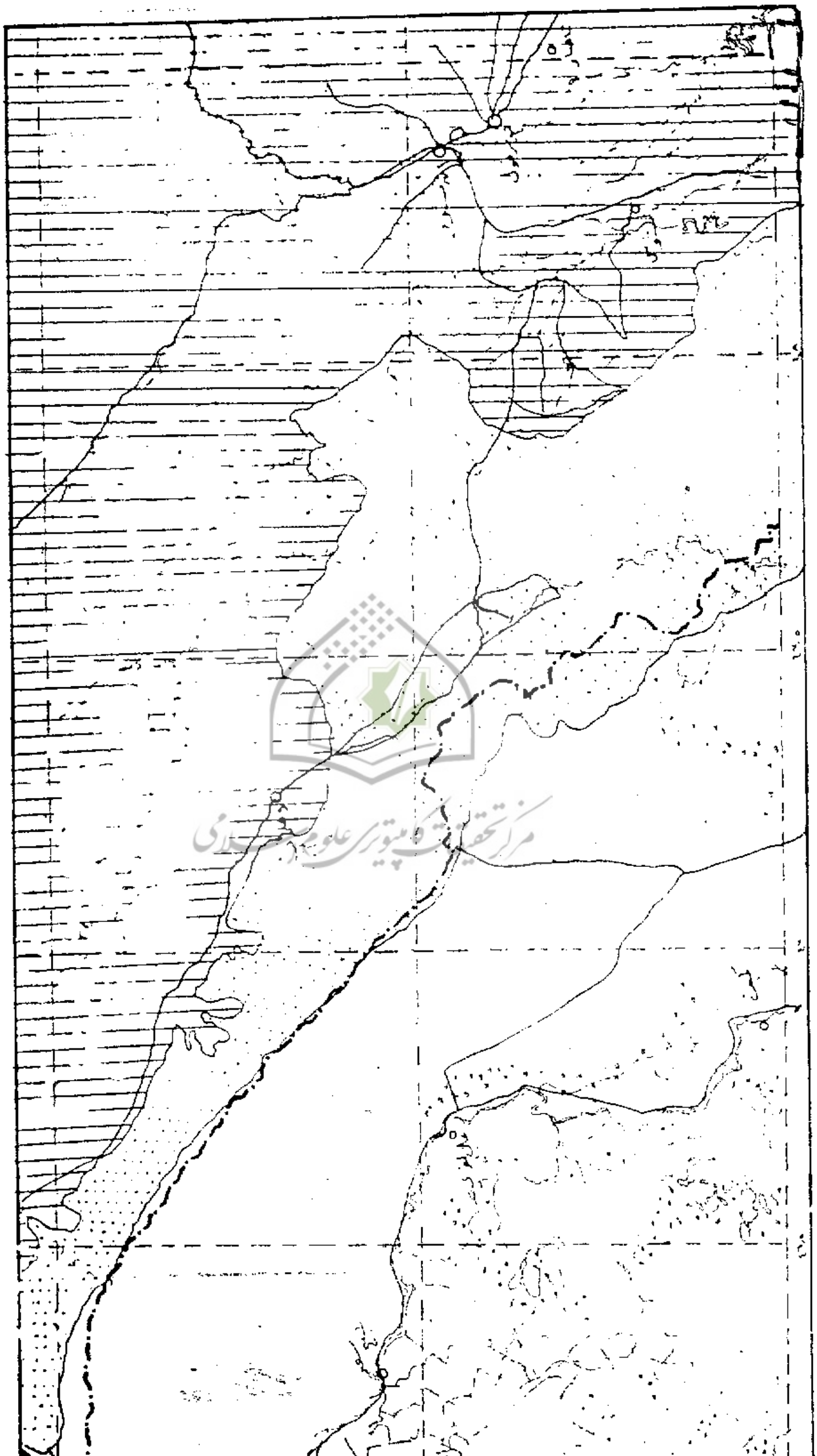
10- Norman, J.G. Founds, Political Geography Mcgraw Gill USA, 1972.

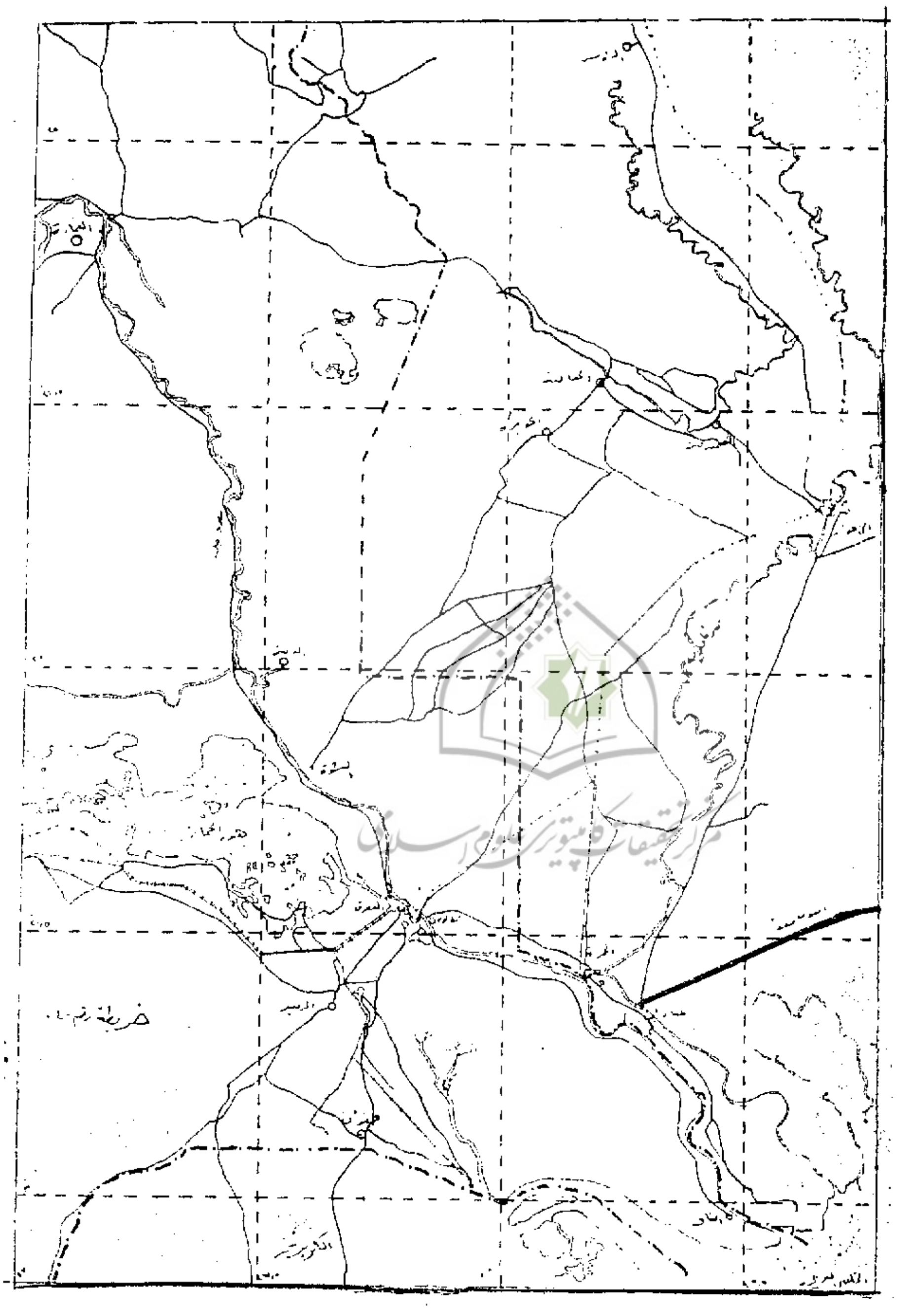
11- Republic of Iraq, Ministry of Foregien Affairs, Facts Concerning The Iraqi-Iranian Frontiers 1960.

12- W.B. Fisher. The Middls East, Methuem, London, 1956.









الرواسب الفلزية
في نطاق المعادن بالمغرب العربي

د . مهدي الصحاف
كلية الاداب / جامعة بغداد

د . وفيق الخشاب
كلية الاداب / جامعة بغداد

أثبتت الدراسات الأولية منذ نهاية القرن التاسع وجود رواسب المعادن الفلزية في الصخور النارية العائدة للزمن ماقبل الكبرى أو تظهر بين طبقات الصخور الرسوبية المتوسطة التي تكونت في فترة الزمن الثالث الجيولوجي . ولذا توجد هذه الرواسب على شكل نطاق واسع يمتد من موريتانيا على المحيط الاطلسي مارا بالمغرب والجزائر وتونس متمشيا مع رواسب الزمن الثالث الجيولوجي المتمثل بجبال الأطلسي والرسوبيات المتوسطة التي تحتويها الهضاب .

لقد دلت الابحاث الجيولوجية على وجود عدد من الخامات الفلزية في هذا النطاق الا ان المعادن التي يعتبر استخراجها اقتصادياً في الوقت الحاضر تنحصر بخامات الحديد بالدرجة الأولى والرصاص والنحاس والزنك والمنغنيز بدرجات لاحقة وفقاً للعوامل الجغرافية والاقتصادية التي ساعدت على أفضلية تعدين هذا المعدن على غيره من المعادن الأخرى من مثل نوعية المعدن وكميته ونسبته اضافة إلى موقعه الجغرافي كالقرب من وسائل النقل والمراكز الصناعية وموانىء التصدير ومصادر الوقود فنقل خامات الحديد

من مناطق فديريك وردية وتازاديت في موريتانيا إلى ساحل المحيط الاطلسي ، استلزم انشاء خط حديدي خاص بطول ٦٥٠ كيلو مترا حتى ميناء نواذيبو . وكذلك الحال خلال عمليات نقل خامات المنغنيز في المغرب من حقول ايمين وتيوني إلى مراكش التي تعتبر من العمليات الشاقة حيث تنقل هذه الخامات عبر طرق وعرة .

فأهمية الموقع الجغرافي لها الأثر الاساس في عملية استغلال الموارد المعدنية مثل القرب من وسائل النقل الرخيصة وتوفر الوقود اضافة إلى قربها من مراكز الاستهلاك وقلة نفقات استخراجها . تعاني غالبية حقول النطاق المعدني المغربي من موقع داخلي متطرف بعيد عن مراكز الصناعة ومناطق العمران وموانيء التصدير مما حدى إلى انشاء شبكة من سكك الحديد او الطرق المعبدة كما هو الحال في موريتانيا (لنقل الحديد) والمغرب (لنقل الفوسفات والمنغنيز) وفي الجزائر (لنقل خامات الحديد لمسافة حوالي ١٢٠٠ كيلو متر) .

فضلاً عن ذلك فان للاحوال المناخية والهيدرواوجية السائدة في نطاق المعادن المغربي تؤثر سلبياً على الانتاج نتيجة لان النطاق المغربي يسوده المناخ الجاف الامر الذي ادى إلى قلة المراكز الحضرية وصعوبة نقل الانتاج إضافة إلى ان هذا المناخ الحار والجاف يقلل من نشاط الانسان وقدرته على العمل ، زيادة على ان قلة الماء التي يعاني منها نطاق المعادن المغربي والتي هي ضرورية للاستعمالات المدنية وعمليات التعدين قد خلقت صعوبات كبيرة عرقلت عملية الاستغلال المعدني في نطاق المعادن المغربي . ومن أهم المعادن الفازية انتشاراً واستغلالاً في هذا النطاق هي خامات الحديد .

١ ـ خامات الحديد .

تنتشر خامات الحديد في الصخور العائدة للعصر الطباشيري في مناطق متعددة من نطاق المغرب العربي المعدني كما هو الحال في حديد المنطقة الوسطى من تونس وفي منطقة بني أنصاف في وهران بالجزائر ورواسب الحديد في نواحي مدينة الناطور بالمغرب ورواسب الحديد في كدية بموريتانيا .

تدل نتائج التنقيبات الجيولوجية في النطاق المعدني بالمغرب العربي على أن احتياطي خامات الحديد تقدر بحوالي (٥٦٥٠) مليون طن موزعة كالتالي (٤٥٠٠ مليون طن في الجزائر و ٥٠٠ مليون طن في تونس و٥٥٠ مليون في موريتانيا وحوالي ١٥٠ مليون في المغرب) الا أن المرجح بأن احتياطي النطاق المعدني بالمغرب العربي يحتوي على خامات الحديد بنسب أعلى من التقديرات والبيانات المتوفرة حاليا . بالنظر إلى ضعف وقلة العمليات الاستكشافية عن معادن الوطن العربي .

ـ الجدول رقم ـ ١

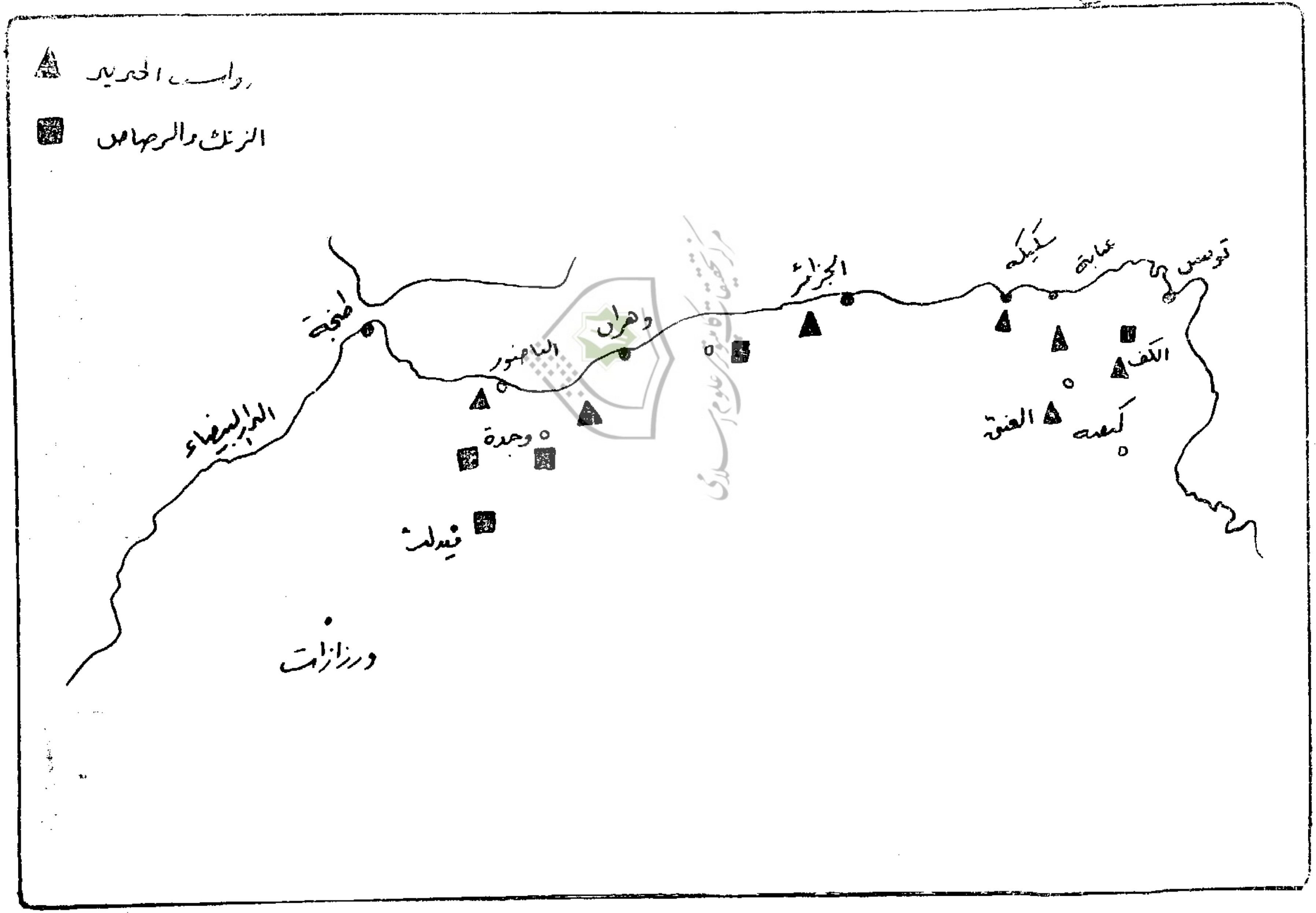
انتاج خامات الحديد في العالم ونطاق الحديد بالمغرب العربي (مليون طن)

	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٤	١٩٧٦	١٩٧٨	١٩٨٠
العالم	٣٨٦,٥	٤٢١,٣	٤٢٧,٢	٤٢٧,٣	٥١٣,٨	٥٢٢,٥	٥٣٠,٣	٥٥٠
نطاق الحديد بالمغرب العربي.	٨,١٦٧	٨,٤١٣	٨,١٤٤	٨,٤٣٨	١٠,٣٥٠	١٣,٠٦٣	١٠,٥٨٦	١٢,٥٥٧
موريتانيا	٥,٦٤١	٥,٩٢٣	٥,٤٩٧	٥,٨٤٠	٧,٦٥٠	٩,٤٢٠	٧,٤٣٤	٨,٦٠٠
الجزائر	١,٥٩٩	١,٥٤٦	١,٦٩٩	١,٩٧٨	٢,٠٦٤	٢,٧٨٨	٢,٧٥٠	٣,٥٠٠
تونس	٠,٥١٥	٠,٤٢٢	٠,٥١٥	٠,٤٨٥	٠,٤٢٢	٠,٥١٢	٠,٣٣٩	٠,٣٨٩
المغرب	٠,٤١٢	٠,٥٢٢	٠,٤٣٣	٠,١٣٥	٠,٢١٤	٠,٣٤٣	٠,٠٦٣	٠,٠٦٨

(المصدر : احصائية الأمم المتحدة لسنة ١٩٨٠ ومجلة المنظمة العربية للثروة المعدنية ،العدد العاشر ـ الرباط ١٩٨٢)

(٢)

توزيع رواسب الحديد والزنك والرصاص — شكل ٢-١٠



تطور انتاج خامات الحديد .

تطور انتاج الحديد في العالم خلال القرن العشرين حيث قد ارتفع الأنتاج خلال الثمانين السنة الاخيرة بحوالي ثمانية مرات قد ازداد الأنتاج العالمي من ٧٩ مليون طن سنة ١٩٠٠ للميلاد ووصل الأنتاج إلى حوالي ٥٥٠ مليون طن سنة ١٩٨٠ . وقد ازداد انتاج النطاق المعدني بالمغرب العربي بشكل واضح وبخاصة في النصف الثاني من هذا القرن كما يتبين من الجدول رقم ــ ١ ــ .

ويتضح من الجدول السابق بأن انتاج الوطن العربي كان يحتل سنة ١٩٦٩ حوالي ١,٢٪ من الانتاج العالمي الا أنه ازداد في سنة ١٩٧٦ حيث وصل إلى حوالي ٢,٥٪ من الانتاج العالمي .

يحتل انتاج نطاق الحديد بالمغرب العربي نسبة عالية من انتاج الحديد العربي إذ يمثل نسبة تزيد على ٨٧,٦٪ من الانتاج العربي لهذا المعدن . كما يتضح من الجدول التالي رقم/٢. .

الجدول رقم ــ ٢ ــ

انتاج الوطن العربي ونطاق الحديد بالمغرب العربي (الف طن)

	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠
الوطن العربي	١٤١٣٥	١٤٣٠٦	١٢٨٠٩	١٢٠٥٤	١٤٠٣٠	١٤٣٣٠
نطاق الحديد بالمغرب العربي	٧٩٦٠	١٣٠٦٣	٦٩٣٠	١٠٥٨٦	١١١٧٠	١٢٥٥٧

توزيع خامات الحديد في نطاق الحديد بالمغرب العربي : ــ

يمتد نطاق الحديد كما أسلفنا بنطاق من الشرق إلى الغرب شاملاً الأقطار العربية وهي تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا . الا أن كمية الحديد ونوعيته تختلف نسبيا بين جهاته الشرقية والغربية . ولهذا سنتطرق بالتفصيل عن رواسب الحديد في هذا النطاق .

١ ــ خامات الحديد في الواجهة الشرقية (تونس) .

يوجد الحديد في مناجم جريسة بدريشيا وضوهرية وجبل عنق وتامرة في الوسط الغربي قرب الحدود التونسية الجزائرية وهو من النوع حديد الهيماتيت وكاربونات الحديد الذي تتفاوت نسبة المعدن فيه من ٥٠ ــ ٥٧ ٪ . . اضافة الى قرب الرواسب الحديدية

من سطح الأرض مما يقلل من تكاليف الاستخراج . ينقل الخام المستخرج من حقول جريسة بواسطة سكك الحديد منذ سنة ١٩٠٦ إلى ميناء سوس حيث يصدر إلى الخارج ، بينما ترتبط حقول تامرة الواقعة في شمال تونس بخط سكك حديد بنزريوت ويصدر منها أو من ميناء حلق الوادي إلى الاقطار الاوربية . بدأ الانتاج من حقول الحديد من الواجهة الشرقية بنطاق الحديد المغربي في بداية القرن العشرين . الا أن الانتاج أخذ بالهبوط سنة بعد أخرى كما يلاحظ من الجدول السابق رقم (١) ، لاحظ الشكل رقم (٢) .

اذ بدأ الانتاج بحوالي ١٤٨ الف طن سنة ١٩٠٨ ووصل إلى ٥٠٠ الف طن سنة ١٩١٦ وحوالي ٩٥٠ الف طن سنة ١٩٣٧ . الا أن الانتاج بدأ يهبط تدريجياً حتى وصل به المطاف سنة ١٩٨٠ إلى حوالي ٣٨٩ الف طن وذلك لاسباب يرجع معظمها إلى ارتفاع كلفة الاستخراج والتركيز واضطراب اسعار الخامات وانخفاض نسبة الفلز في الخامات لذا اغلقت بعض المناجم لانعدام مردوديتها .

٢ — خامات الحديد في القسم الاوسط من نطاق الحديد (الجزائر)

تنتشر خامات الحديد بشكل مركز في الاقليم الأوسط من نطاق الحديد حيث يبلغ احتياطي الرواسب الحديدية في هذا الجزء حوالي ٤٥٠٠ مليون طن من الحديد الخام. تتركز مناطق الرواسب الحديدية في عدة حقول منها :

١ — منطقة وهران — بني عساف ، يكثر فيها خام الحديد من نوع الهيماتيت .

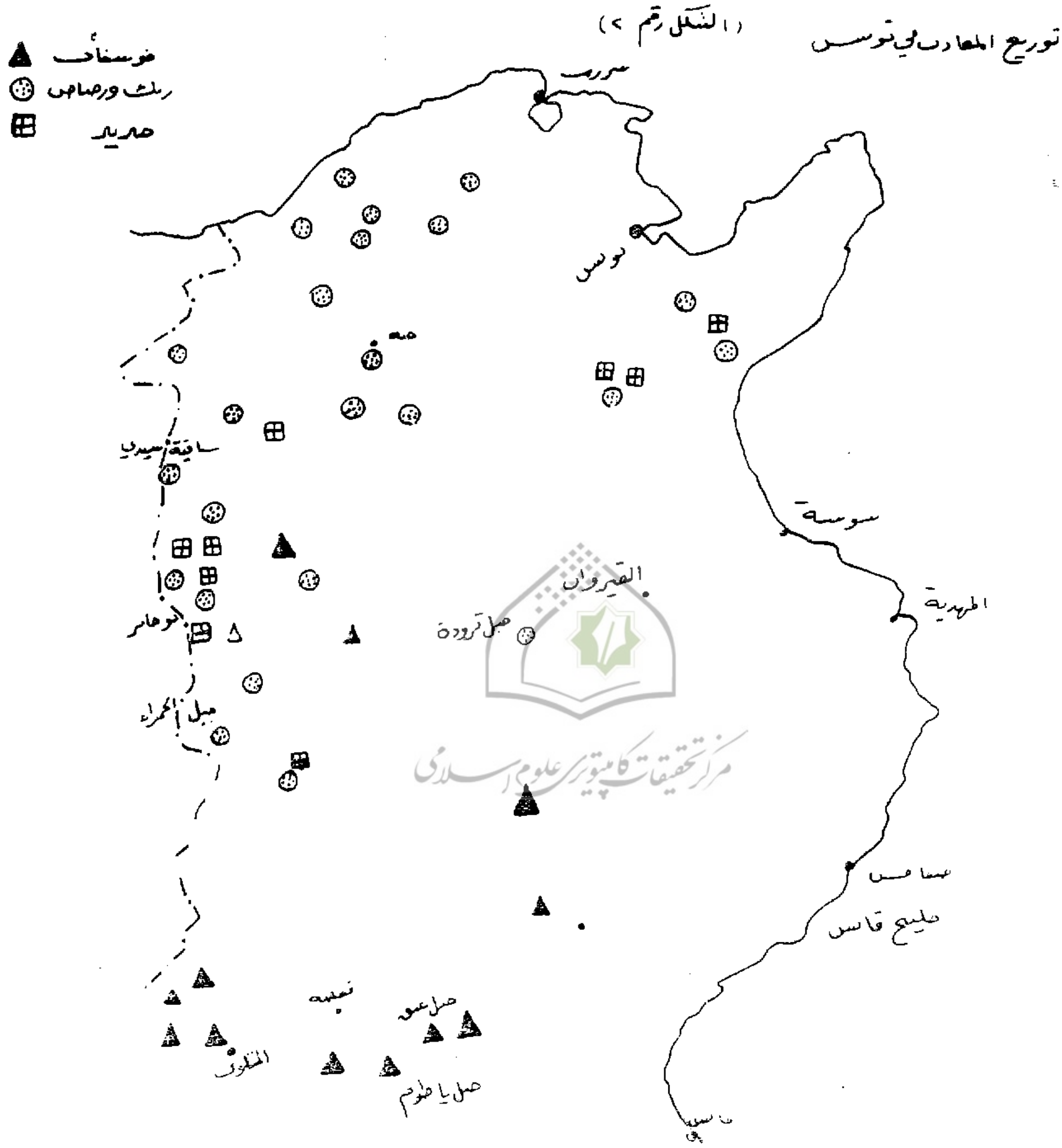
٢ — منطقة الجزائر — زاكار بالقرب من مدينة ميليانا على بعد ١٣٠ كم من مدينة الجزائر .

٣ — منطقة قسطنطينية — تيمزريت .

٤ — منطقة لوانزا — بو خضرة ، حيث يعتبر هذا الحقل من أكبر مناطق انتاج خامات الحديد وتقع على بعد ١٩٣ كيلو متر من الحدود التونسية (في منطقة قسطنطينية) . تبلغ نسبة الحديد في الخامات ٥٥ بالمائة يستغل بطريقة المناجم المفتوحة حيث بلغ الانتاج سنة ١٩٧٩ حوالي ٣,٣ مليون طن. ينقل جميعه إلى مركز الصلب بالحجار ومركز الصلب في جيجل ومركز عنابة .

٥ — حقول ضنجة الوهاد ، تقع هذه الحقول على بعد ٣٥ كيلو متر إلى الشمال الشرقي من مدينة تبسة الواقعة قرب الحدود التونسية .

٦ — حقول غارة الجبل ، تقع هذه الحقول على بعد ١٣٠ كيلو متر جنوب شرقي


توزيع المعادن في تونس
(الشكل رقم ٢)
فوسفات
زنك ورصاص
حديد
تونس
سوسة
المهدية
صفاقس
خليج قابس
القيروان
ساقية سيدي
جبل الحمراء

مدينة تندوف الواقعة بالقرب من الحدود المغربية ويعتبر هذا الحقل من أغنى الحقول الجزائرية حيث يقدر احتياطي الحديد فيها بحدود مليارين طن ويحتوي على نسبة عالية من الحديد تصل إلى حوالي ٥٧٪ كما يلاحظ في الشكل ــ ٣ ــ .

انتاج الحديد في القطاع الاوسط (الجزائر) .

تعتبر الجزائر ثاني منتج لخامات الحديد في الوطن العربي بعد موريتانيا حيث يبلغ انتاجها الآن اكثر من أربعة ملايين طن من الحديد الخام .

يستخرج أغلبها من حقول عونزا الحديدية حيث يبلغ انتاجها السنوي بحدود (٢٣٠٢ الف طن سنة ١٩٦٩ وحوالي ٣ ملايين طن سنة ١٩٧٠ و٣ ,٣ ملايين سنة ١٩٧٩) وبلغت انتاجية بقية الحقول سنة ١٩٦٩ كالتالي حقول بوخضرا انتجت حوالي ١١١ الف طن وحقول بني سيف ١٩٢ الف طن وزاكار ١٢٦ الف طن وغرزت حوالي ١٣١ الف طن . ولذا تعتبر حقول عونزا وبو خضرة أهم مركز لانتاج الحديد في الجزائر وكذلك اكتشاف حقول غارة الجبل الغنية برواسب الحديد ذو الجودة المرتفعة كما يتضح من الجدول رقم ــ ١ ــ بدأ انتاج خامات الحديد في الجزائر منذ سنة ١٨٨٠ في منطقة تل وارسينين الواقعة حول ميناء بني صاف ، لاحظ الشكل رقم (٣) .

ان اغلب الأنتاج المعدني لخامات الحديد قبل سنة ١٩٦٩ يصدر إلى الخارج عن طريق ميناء عنابة حيث وصلت الكمية المصدرة سنة ١٩٦٩ حوالي ٣٠٩٠ الف طن من أصل الأنتاج الكلي البالغ ٣٩٦٢ الف طن حيث صنع الحديد الخام الباقي في مجمع الحجار الذي بلغت طاقته الأنتاجية في تلك السنة بحدود ٨٠٠ الف طن . وقد ارتفعت الطاقة الأنتاجية لمصنع الحجار إلى حوالي ثلاثة ملايين طن سنة ١٩٧٨ ومن المتوقع ان يزداد انتاج الجزائر من الحديد إلى حوالي ٥,٢٠٠ مليون طن في سنة ١٩٨٣ .

الحديد في الواجهة الغربية من نطاق الحديد المغربي (المغرب) .

لقد اكتشفت عدة رواسب حديدية في الأجزاء الغربية من نطاق الحديد المغربي وبخاصة في جبال الريف الشرقية وفي الهضبة الوسطى وفي منطقة تافيلالت ، الا أن الحقول الرئيسية التي تستثمر في الوقت الحاضر تنحصر في مناجم الريف الشرقي الواقعة بجوار مدينة الناضور في منجمي أبركائن وديشان . أما مناجم آيت عمار الواقعة بجوار وادي ز م فقد أقفلت في السنوات الأخيرة نظرا لاستنزاف رواسب الحديد . وهناك رواسب للحديد عثر عليها بالقرب من مدينة خنيفرة . وكذلك بالقرب من تافيلالت . الا أنها لم تستغل حتى الآن بالنظر لبعدها عن الموانيء . تتميز خامات الحديد في الواجهة الغربية

(الشكل رقم ٣)



توزيع المعادن الفلزية في الجزائر
اسبانيا
وهران
الجزائر
المغرب
تونس
حاسي رمل
حاسي مسعود
الحديد
الزئبق
النحاس

من نطاق الحديد العربي بنسبة معتدلة من الحديد حيث تبلغ ٥٠ ـ ٥٥ بالمائة.

يبلغ انتاج المغرب من خامات الحديد الآن حوالي ستين الـف طـن الا أن الأنتاج قبل سنة ١٩٦٠ كان حوالي المليون طن . ومن المؤمل أن يزداد الانتاج باستثمار الحقـول الجنوبية المتمثلة برواسب تافيلالت وخنيفرة . وفيما يلي بعض الارقام عن كمية الأنتاج المغربي بخامات الحديد .

كان الأنتاج في سنة ١٩٧٦ حوالي ٣٤٣ الف طن وفي سنة ١٩٧٨ حوالي ٦٣ الف طن . وفي سنة ١٩٨٠ حوالي ٦٨ الف طن فقط .

يصدر أغلب الأنتاج من ميناء الناضور ومليلية اضافة إلى تغذية مصنع الحديد في مدينة الناضور الذي انشيء حديثا ، لاحظ الشكل رقم (٤) .

رواسب خامات الحديد في موريتانيا :ـ

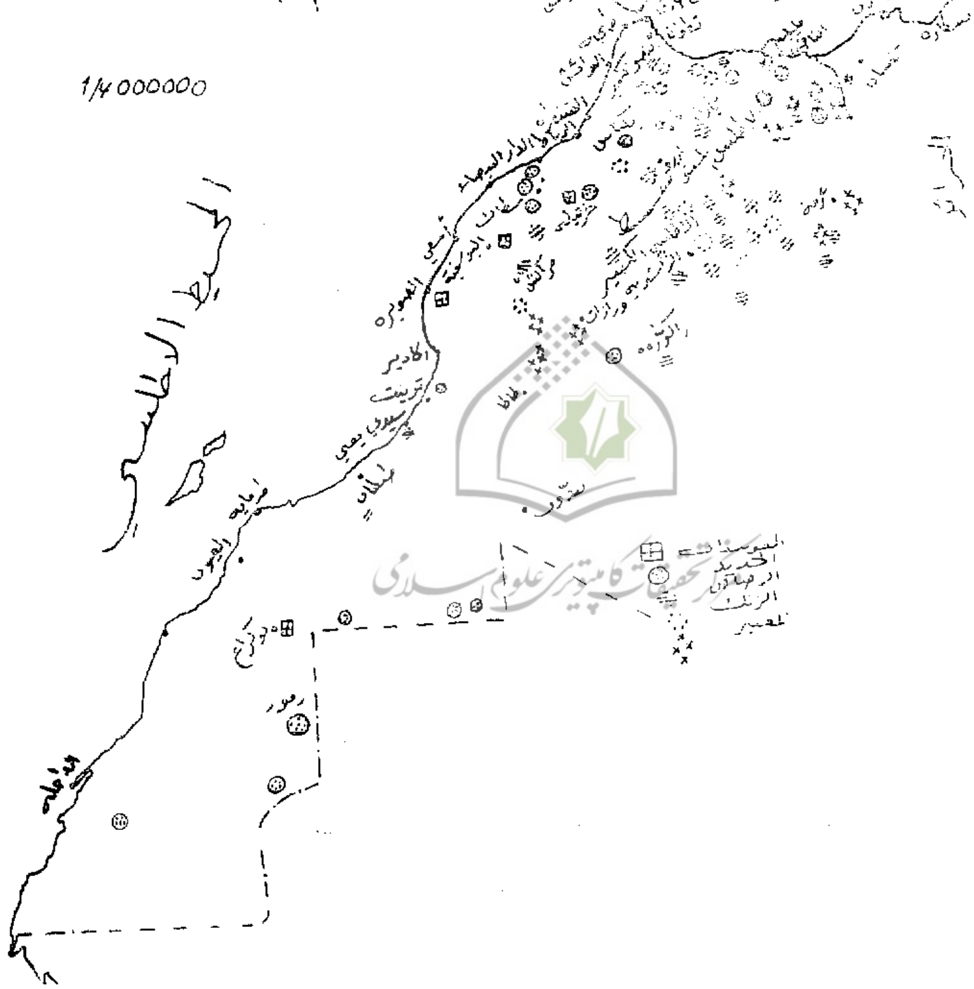
تنتشر رواسب الحديد في الجمهورية الموريتانية بشكل واسع وخاصة بعد الدراسات والاكتشافات الجديدة، ولقد بدأت الأشغال الممهدة لاستغلال الحديد بكدية سنة ١٩٦٠ حيث قدر الاحتياطي آنذاك بحوالي ١٩٦ مليون طن وتتراوح جودة المعدن بين ٦٤ ـ٦٦٪ وقد شيدت الطرق الكهربائية والآلية لنقل خامات الحديد من مراكز الاستغلال المتمثلة بثلاثة مناجم هي : تازاديت وأرويصات وأفديرك. وقد بنيت السكاك الحديد لنقل الخام من أزويرات الى ميناء أنواذيبو على المحيط الأطلسي بطول ٦٥٠ كم.لقد تطورت عمليات استخراج الحديد في موريتانيا حيث انها تأتي بالدرجة الاولى في انتاج الحديد بالنسبة للوطن العربي . اذ يبلغ انتاجها السنوي حوالي ٦٠٪ من انتاج الوطن العربي سنة ١٩٨٠ (بلغ انتاج موريتانيا سنة ١٩٨٠ حوالي ٨٦٠٠ الف طن . بينما بلغ انتاج الوطن العربي بأجمعه في تلك السنة ١٤٣٣٠ الف طن فقط). لاحظ الجدول رقم ـ ١ ـ السابق . ويتوقع ان يزداد الانتاج تدريجياً في المستقبل حيث يصل الى حوالي ١٣٫٨ مليون طن سنة ١٩٨٥(*) لاحظ الشكل رقم (٥) .

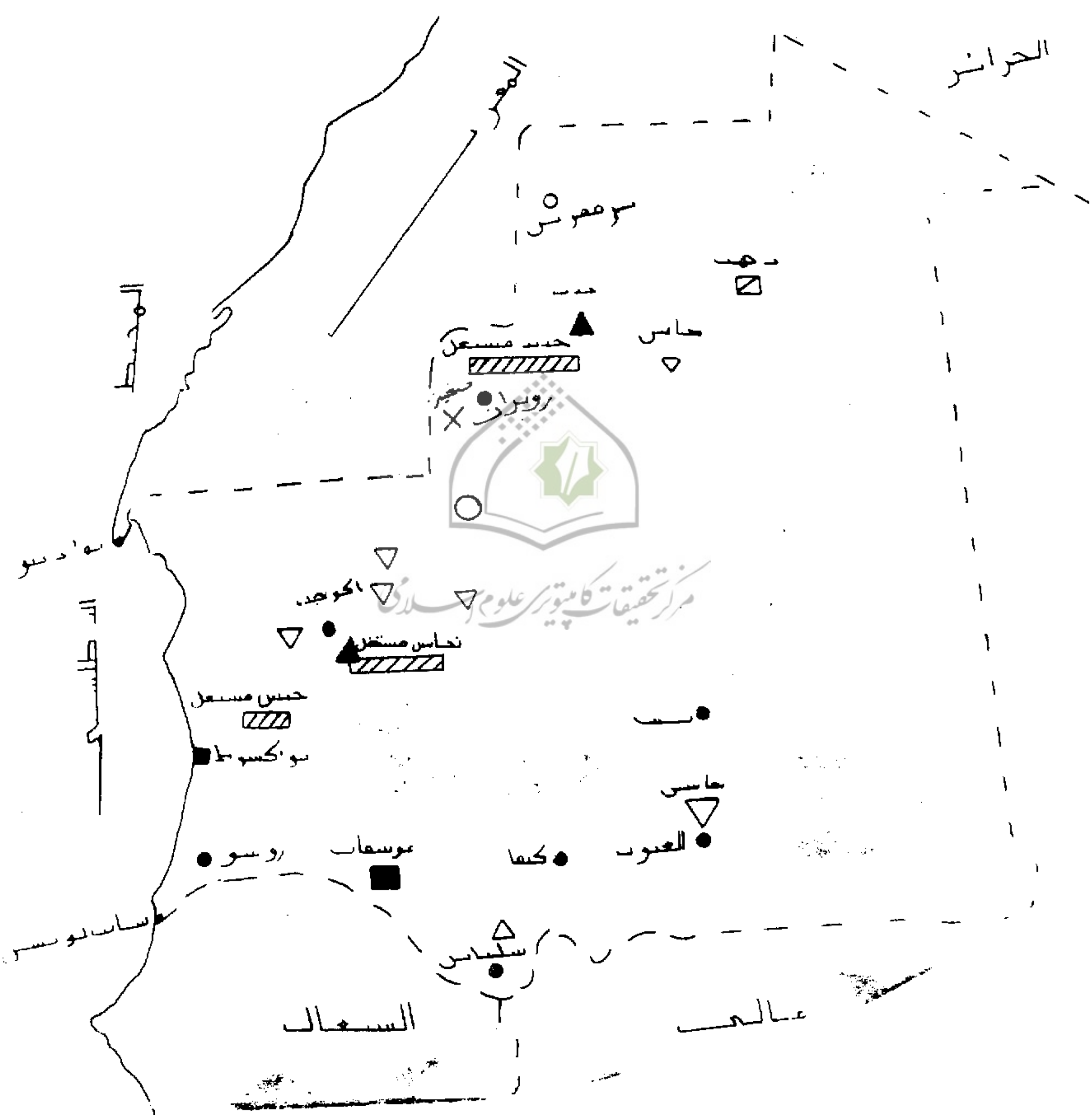
صناعة الحديد في المغرب العربي

ازداد معدل نمو صناعة الحديد في العالم بعد الحرب العالمية الثانية فقد ازدادت هذه الصناعة بشكل ملحوظ في اليابان والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . ولقد ظهرت بعض الأقطار المنتجة للحديد من الأقطار النامية كالهند واستراليا .غير ان صناعة الحديد والفولاذ لم يساعدها الحظ بالنمو. وانما كانت تشترك مع بقية الأقطار النامية بتخلف هذه الصناعة.

(*) المؤتمر العربي الرابع للثروة المعدنية ـ المجلد الثاني ـ الجزء الاول عمان ١٩٨١.

(الشكل رقم ٤)


1/4000000
المحيط الاطلسي
البحر المتوسط
الدار البيضاء
الصويرة
اكادير
تزنيت
سيدي افني
العيون
الداخلة


الجزائر
المغرب
حديد مستغل
نحاس
نحاس مستغل
كيفا
العيون
السنغال
مالي

لقد ارتفع الانتاج العالمي للفولاذ من ١٨٠ مليون طن سنوياً قبل الحرب العالمية الثانية الى حوالي ٢٠٠ مليون طن بعد الحرب العالمية مباشرة والى حوالي ٦٢٨ مليون طن سنة ١٩٦٨ والى حوالي ٩٩٠ مليون طن سنة ١٩٨٠ . وعلى هذا ارتفع استهلاك الفرد في الأقطار المتطورة الى حوالي نصف طن في السنة . لقد أقامت بعض اقطار نطاق الحديد المغربي صناعات للحديد والفولاذ على اساس الخامات المتاحة والخبرة الفنية الوطنية والأجنبية . ولقد اتسعت هذه الصناعة سنة بعد اخرى طبقا لحاجة الأسواق العربية والأجنبية لهذا المعدن .

فبالرغم من أن صناعة استخراج خام الحديد بدأت في هذا النطاق منذ بداية القرن العشرين (صدرت تونس ١٤٨ الف طن سنة ١٩٠٨ . وحوالي ٥٠٠ الف طن سنة ١٩١٦ . وحوالي ٩٥٠ الف طن سنة ١٩٣٧). الا ان ، الصناعات الحديدية في أقطار هذا النطاق لم يكتب لها النور الا في العقد السابع من هذا القرن كما هو مدرج في الأسطر التاليـة : —

انشىء مصنع للحديد والصلب في القطر التونسي بمدينة منزل بورقيبة بطاقة انتاجية قدرها ١٥٠ الف طن سنوياً . وانشىء مصنع آخر بطاقة انتاجية قدرها ١٥٠ الف طن سنوياً . أما في الجزائر فقد أنشأت خمسة مصانع للحديد والفولاذ تبلغ مجموع طاقاتها الانتاجية حوالي ١،٧ مليون طن ، حيث بني الأول في سنة ١٩٥٦ بطاقة انتاجية مقدارها ٤٠ الف طن فقط وأكبر هذه المصانع هو مجمع الحجار للحديد والصلب الذي يشتمل على وحدات، لتجهيز الخام وتلبيده بطاقة انتاجية سنوية قدرها مليون طن من الحديد الزهر .

لقد انشىء مجمع الحجار للحديد والصلب عند سفح مرتفعات بليكا غربا أي على بعد (١٥٠ كم) من مناجم عوانزا للحديد (حيث ينقل الحديد الخام بواسطة سكك الحديد) ويقع على بعد (١١ كم) من ميناء عنابة وهو الميناء الذي ترد عن طريقه واردات فحم الكوك يصل الحديد الخام على شكل كتل بأحجام تتراوح بين (١٠ — ٨٠ملم) ثم تطحن وتتجانس ، ويوجد الخام الناعم بأحجام تتفاوت بين (١ — ١٠ ملم)أما مصنع الحديد في وهران فيتكون من فرن صهر مفتوح سعته (٣٠ طناً) بطاقة انتاجية من العروق الصلبة تصل الى حوالي (٣٠ الف طن في السنة) اضافة الى أن هذا المصنع يستمد بعض مصادره من حديد الخردة (الأنقاض) . ويتوقع أن يصل الحديد المصنع في الجزائر الى حوالي ٣،٥ مليون طن سنة ١٩٨٣ من جملة الأنتاج المتوقعة بحوالي ٥ مليون طن لنفس السنـة .

يوجد في القطر المغربي مصنع واحد لأنتاج الحديد يقع في مدينة الناضور (شمال المغرب) حيث قربها من رواسب خامات الحديد الواسعة والعالية الجودة في مناجم جبال الريف والتي كانت تصدر الى الأسواق الخارجية . انشىء هذا المصنع لأنتاج الخام المكرر ذو الجودة العالية

من الخام الناعم المستخرج من المنجم . حيث أن استخدام هذه الخامات في المصنع المذكور أو المصانع المجاورة في الجزائر مما يقلل من استخدامات فحم الكوك .

يبلغ مجموع الطلب على المنتجات الحديدية في الوطن العربي بحدود ٥,٧ مليون طن . الا أن الأنتاج الحاضر لايغطي الطلب المتزايد في الوطن العربي غير أن الأنتاج المقترح في أقطار النطاق الحديدي بالمغرب العربي والأقطار العربية الأخرى يقلل من استيراد الحديد المصنع من الأقطار الأجنبية ، كما يتضح من الجدول التالي :— رقم — ٣ —

القطر	عدد السكان ١٩٨٠	استهلاك الحديد (ألف طن) ١٩٨٠	استهلاك الفرد في السنة / كغم ١٩٨٠
الجزائر	٢١,٦	١٠١٥	٤٧
المغرب	٢٢,٢	٣٠٦,٩	١٤
تونس	٦	٣٥٤	٥٩
الوطن العربي	١٦٦,٨	٦٢٥٦	٣٧

واقع صناعة الحديد والصلب في نطاق المعادن المغربي .

بالرغم من أهمية الأحتياطي والأنتاج في خامات الحديد في القطر الموريتاني غير ان صناعة الحديد والصلب لم تحض بأهتمام خاص اذ لقد تركز الأهتمام بزيادة الأنتاج لخامات الحديد واقامة مصنع في نواذيبو لتكرير خامات الحديد بطاقة انتاجية مقدارها مليون طن / سنة ومصنع للحديد والصلب على الأمد البعيد بطاقة انتاجية مقدارها ٥٠٠ الف طن في السنة .

أما في المغرب فقد اقتصر الأستخراج على منجمين هما وكسان وسيتولازار حيث انخفض الأنتاج الى حوالي ٦٨ الف طن في السنة ولقد شيد القطر المغربي مصنعاً للحديد والصلب في مدينة الناضور لتصنيع الخامات المستخرجة من نفس المنطقة .

ويصنع القطر الجزائري حوالي ١,٥ مليون طن سنوياً في عدة مراكز الا أن المؤمل أن يزداد التصنيع الى حوالي ٣,٥ مليون طن سنة ١٩٨٣ .

وفي تونس يصنع حوالي ١٨٠ الف طن بمصنع الفولاذ بمنزل بورقبة اضافة الى مشروع بناء مصنع ثاني للحديد والصلب في مدينة منزل بورقيبة يستخدم الأختزال المباشر بأستعمال

٦٧٥ الف طن من كريات الحديد بطاقة تقدر بحوالي ٥٠٠ الف طن من الحديد الأسفنجي في السنة بالرغم من أن صناعة الحديد قد تطورت بشكل ملحوظ في العالم حيث بلغت سنة ١٩٧٩ حوالي ٧١٧ مليون طن غير أن الوطن العربي لايشترك الا بنسبة قليلة جداً تقدر بحوالي ٣٤, ٠ بالمائة من الأنتاج العالمي ، بالرغم من ان استهلاك الوطن العربي يقدر بحوالي ٥, ٨ مليون طن سنة ١٩٧٨ وحوالي ١٦ مليون طن سنة ١٩٨٥ وحوالي ٥, ٢٤ مليون طن سنة ١٩٩٠ لذا فأن العجز كبير بين الأنتاج القومي وكمية الحديد المطلوبة . أن التكامل العربي في ميدان الصناعات الحديدية يكاد يكون معدوماً في الوقت الحاضر ، اذ أن بعض الأقطار التي تتمتع بخامات هامة مثل الجزائر وليبيا تتجه نحو تركيز صناعة حديدية تعتمد اساساً على الخام المستورد ، وبعض الأقطار العربية الأخرى تستورد الحديد الخام من أقطار عربية ، لذا كان لأبد من وجود القرار السياسي والإرادة العربية لخلق الجو اللازم لهذا التكامل فتصبح كل الظروف والعوامل متوفرة لأيجاد صناعة تعدينية متطورة .

وهناك رواسب معدنية متعددة اخرى في نطاق المعادن المغربي منها :

رواسب النحاس :

تنتشر رواسب النحاس في كل من موريتانيا والمغرب والجزائر حيث اثبتت الدلائل الجيولوجية عن وجود رواسب النحاس في الجبال الموريتانية وفي المناطق المستوية كما هو الحال بحوض تاوديني وكذلك الرواسب الواقعة تحت الكثبان الرملية وتوجد هذه الرواسب النحاسية في نطاقات ثلاث هي : —

(١) نسق اكجوجت (أنشيري) حيث يصل فيه الاحتياطي الى حوالي (١٩٢٠٠) الف طن من خام النحاس بنسبة ٩٣,٠١٪ ، اضافة الى حوالي ٤٠ طناً من الذهب وقد بدأ بتعدين المعدن منذ سنة ١٩٧٠ ، تبلغ طاقة المنجم بحدود ١,٥ مليون طن في السنة ويعالج الانتاج بحدود ١٠٨,٥ ألف طن من مركزات النحاس بنسبة ٢٥ بالمائة في السنة .

(٢) نسق جاديل : يقدر احتياطي الفلز فيه بحدود عشرة آلاف طن من فلز النحاس ، تصل نسبة النحاس فيه الى ١,٥٪ مع وجود رواسب الزنك والكوبالت المخلوطة .

(٣) نسق صخور آم بوت الرسوبية البركانية ، يقع هذا الحقل الى الغرب من منخفض جاديل ويمتد جنوباً حتى الحدود السنغالية .

(٤) حقول سيدي بحيع ووادي الجاع وحقول تارادنت الواقعة في الأجزاء الشمالية من موريتانيا بالقرب من الحدود المغربية .

(٥) حقل حنك وشيجا الواقعة بالقرب من الحدود الجزائرية ومالي . أما الحقول المستغلة فتتركز في الوقت الحاضر في حقل جولب مفري الواقع على بعد اربعة كيلومترات الى الغرب من الجوجت، اكتشف الحقل سنة ١٩٤٦ ويبلغ احتياطي النحاس فيه ١٩٢٠٠ الف طن من من النحاس وقد تم استغلاله سنة ١٩٧٠ .

أما رواسب النحاس في المغرب فقد عرفت خلال العقد السادس من هذا القرن بالرغم من اشارات تاريخية تدل على استخراج هذا المعدن ومعالجته في المغرب . لقد عرفت الرواسب النحاسية في بعض حقول المغرب مثل حقول كندافة (سيدي رحمون) وبودفت. وحقول بوسكور (وارزازات) وجبل الكلخ وأزكور وتاويرت (بنى ملال) حيث بلغ انتاج الحقول الأربعة الأخيرة ، بحدود خمسة آلاف طن سنوياً من مركز النحاس سنة ١٩٦٥ وازداد الانتاج الى حوالي ١٨ الف طن سنة ١٩٧٥ . ثم اكتشفت حقول اخرى غنية برواسب النحاس تتمثل بمناجم وانسيمي وتزالاغت وطلعة النعمان (اغادير) ومنجم أسالفو (وأرزازات) وأم جردان وبليدة ونامور (وارزازات) التي تحتوي على احتياطي ١,٩ مليون طن بنسبة ٩,٣ بالمائة او مايعادل ١٧٦ الف طن من فلز النحاس الخالص ، يبلغ الاحتياطي المؤكد من النحاس في بليدة بحوالي ٢٠٠ ألف طن ينتج الآن ٢٠٠ طن من الخام يومياً ويعادل ٥٧ الف طن سنوياً ، كذلك يوجد منجم تيزرت في اغادير وفي منطقة بولمان وتانفيت (مراكش) وبشكل عام فان رواسب خامات النحاس في المغرب توجد في جبال الأطلس الصغير والمتوسط وسواحل المحيط الأطلسي (الذي هو امتداد لرواسب النحاس السابقة في موريتانيا) وكذلك في جبال الريف في شمال المغرب .

لقد تطور انتاج خامات النحاس في المغرب بشكل بطيء حيث وصل مجموع الانتاج الى حوالي ٢٤ الف طن . سنة ١٩٨٠ . كما يلاحظ من الجدول التالي رقم (٤) .

الجدول رقم — ٤ —

انتاج النحاس في العالم والوطن العربي ونطاق المعادن في المغرب العربي

	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠
العالم (الف طن)	٧٧٨٠	٧٤٠٠	٧٩٠٠	٧٩٨٠	٧٨٩٠	—	—
الوطن العربي (الف طن)	—	٢٥,٢	٢٧,٢	٢١,٨	١٥,٦	٢٤,٢٠	٢٤,٨
المغرب (الف طن)	١٦,٥	١٧,٩	١٦,٤	١٢,١	١٢	٢٣,٥	٢٤
موريتانيا (الف طن)	٢٠,٠٨	٦,١	٩,٤	٧,٧	٢,٩	—	—
الجزائر	٠,٥	٠,٤	١,٨	٠,٤	٠,٧	—	٠,٨

تعتبر المغرب اول منتج للنحاس في الوطن العربي. اذ يبلغ انتاجها حوالي ٩٦,٨٪ من انتاج الوطن العربي لسنة ١٩٨٠ . الا أن انتاج المغرب لايزيد على ٠.٣٪ من الانتاج العالمي ، جميع الانتاج المغربي يصدر الى الخارج .

أما في الجزائر فتوجد رواسب النحاس في بعض الحقول في نطاق المعادن العربي. الا ان كمية الاحتياطي فيها قليل بالمقارنة مع القطرين السابقين ويتركز الانتاج الذي لايتجاوز ثمانية آلاف طن سنوياً في الحقول التالية : —

١ — حقول التل وكيف او يثبول ويظهر المعدن على شكل عروق متداخلة في الصخور النارية او الصخور المتحولة (النيس والشيست) .

٢ — حقول عين بربر الواقعة على بعد (٣٥كم) غرب مدينة عنابة حيث يقدر نسبة النحاس في هذه الرواسب بحوالي ٣,٤٥٪ حيث بلغ انتاج هذا الحقل لوحده سنة ١٩٦٩ حوالي ٣٦٦٠ طن .

اضافة الى خامات النحاس السالفة الذكر توجد في النطاق المعدني بالمغرب العربي معادن الرصاص والزنك والمنغنيز والباريت .

فتوجد رواسب الرصاص والزنك في الأجزاء الغربية من النطاق المعدني (بالمغرب) حيث يمثل هذان المعدنان مكانة هامة في اقتصاد المغرب كما توفره من عائدات تأتي بالدرجة الثانية بعد الفوسفات وبالدرجة الاولى بالنسبة لعائدات المعادن الفلزية. يبلغ مجموع احتياطي الرصاص في النطاق المعدني المغربي ٢٣٠٠ الف طن بينما يبلغ احتياطي الزنك في هذا النطاق ٢٤١٢ الف طن . يوجد في القطر المغربي حوالي خمسة عشرة حقلاً ينتج كل منها منذ بداية الانتاج مايزيد على عشرة آلاف طن من فلز الرصاص والزنك . حيث يصل مجموع ماستخرج من هذين المعدنين منذ بداية الانتاج حتى تاريخ ١٩٧٦/١/١ بحدود ٢.٤ مليون طن من الرصاص وحوالي ٨٣٠ الف طن من الزنك . وندرج أدناه جدولا بانتاج الرصاص والزنك في العالم والوطن العربي ونطاق المعادن بالمغرب العربي.

ان اهم حقول رواسب الرصاص والزنك تتركز في حقول بوبكر (توسيت ويديان) وحقول وميبلادن وزايدة ، ان تقع الحقول الاولى قريبة من الحدود الجزائرية على بعد (٥كم) جنوب شرق مدينة وجدة . حيث تمتد هذه الحقول داخل الأراضي الجزائرية مكونة حقلاً واسعاً ممتدا بين المغرب والجزائر ويقدر احتياطي هذا الحقل في المغرب بحوالي ثلاثة ملايين طن من الرصاص والزنك وتصل نسبة الرصاص في الخامات الى حوالي ١٢ ويقدر الانتاج الكلي لهذا الحقل منذ بداية استخراج الخامات بحوالي مليون طن من الرصاص

م/٣٩/ م.أ.س

الجدول رقم — ٥ — انتاج الرصاص والزنك في الوطن والعالم

	١٩٧٤		١٩٧٥		١٩٧٦		١٩٧٧		١٩٧٨		١٩٨٠	
العالم (الف طن)	٣٤١٠	٥٦٠٠	٣٤١٠	٥٤٨٠	٣٣٦٠	٥٥٣٠	٣٢٣٠	٥٨٠٠	٣٤٦٠	٥٧٢٠	—	—
الوطن العربي (الف طن)	١٢٥,٥	—	١٢٥,٥	٦٧٤٠٠	١١٩,١	٥٧٥٠٠	١٧٤١٣	٣٩٨٠٠	١٨٥,٦	٣١٠٠٠	١٨٨,٩	٣٦٩٠٠
المغرب	١٥١	٢٧	١٠٤	٣٦	٩٩	٣٠	—	—	١٧٠	١٠	١٧٢	١٣,١
الجزائر	٣	١٠,٤	١٠,٦	١٣	٣,٢	١٤,٢	٩,٠	٣,١	٢,٨	٧,٦	٢,٧	٧,٦
موريتانيا	—	—	—	—	—	—	—	—	١٢,٨	—	١٤,٢	—
تونس	١٢,٥	—	١٠,٦	—	١٠,٥	١٣,٣	١٠,٢	٧,١	٨,٠	١٣,٤	—	١٦,٢

المصدر : المنظمة العربية للثروة المعدنية — العدد العاشر سنة ١٩٨٢ الرباط

والزنك ويقع حقل ميبلادن على بعد حوالي (١٥ كم) من شمال شرق مدينة ميدلت يمتد هذا الحقل ايضاً داخل الأراضي الجزائرية .

أما حقل زايدة فيقع على بعد (٣٠ كم) شمال غرب مدينة ميدلت ويقدر الاحتياطي في هذا الحقل بحوالي ثلاثة ملايين طن من فلز الرصاص . وتقل نسبة معدن الرصاص الى حوالي ٣ اما الحقل الرابع فهو حقل احولى الواقع على بعد (٢٥ كم) شمال شرق مدينة ميدلت ، يقدر احتياطي الرصاص فيها بحوالي خمسة ملايين طن . وتصل نسبة معدن الرصاص فيه الى حوالي ٢,٨ ، ويبلغ انتاج هذا الحقل حوالي ١٩ الف طن من الرصاص

وهناك حقول اخرى منها حقل جبل عوام الواقع على بعد (٨٠ كم) جنوب مدينة مكناس تبلغ نسبة الرصاص فيه حوالي (٥ ـ ١٠٪) اضافة الى نسبة (١٪) من معدن الزنك وكذلك حقول مقد الواقعة على بعد (١١٠) كم جنوب شرق مدينة الراشدية ، ومنجم بوظهار الواقعة على بعد (١٠٠ كم) شمال شرق مدينة الراشدية وأخيرا حقول تاجوت الواقعة على بعد (١٢٠ كم) جنوب شرق اكادير .

أما في القطر الجزائري فتوجد رواسب الزنك مختلطة مع انواع أخرى من المعادن وبخاصة في حقول العابد ووادي زوندر وخرزت يوسف، وأغلب المعادن غير الحديدية الموجودة في هذه الحقول تكونت بطريقة الاحلال في التكوينات الجيرية كما هو الحال في حقول باتنة والعابد وخرزت يوسف الا ان خامات الزنك والرصاص قد توجد على هيئة عروق معدنية ، كما هو الحال في حقول التل وكيف أم يثبول وعين برباز حيث توجد رواسب الزنك والرصاص متداخلة مع الصخور النارية . وندرج أدناه وصفاً لأهم حقول استخراج الرصاص والزنك في الجزائر . وقد اهتمت الجزائر بتصنيع الزنك فأنشأت مصنعاً بغزوات في الشمال الغربي بطاقة ٤٠ الف طن من الفلز سنوياً .

١ ـ حقول العابد ووادي زوندر (أقليم وهران) .

تقع هذه الحقول على مسافة (٧٢ كم) جنوب مدينة مغنية، وتحتوي هذه الحقول على خامات احلالية واسعة . ولهذا فانها تعتبر أعظم مصادر الرصاص والزنك في الجزائر حيث تعتبر هذه الحقول امتداداً لحقول بوبكر (تويسست) في المغرب ، يبلغ سمك هذه الرواسب بين (١ ـ ١٢ م) ويستخرج اما بطريقة الحفر المفتوحة أو بواسطة الانفاق ، يبلغ متوسط الانتاج لكل منطقة ١٣٠٠ طن في اليوم من الصخور التي تحتوي

على نسبة ٧ – ٨٪ من الزنك وبين ١ – ٧٪ من الرصاص حيث يبلغ انتاج خام الرصاص المركز سنة ١٩٦٩ ، حوالي ٩١٥٠ طن بينما بلغ انتاج الخام المركز من الزنك في نفس السنة حوالي ٤٧٨٥٠ طن .

٢ – حقول وارسبنس (الجزائر) .

توجد رواسب الرصاص والزنك في هذه الحقول على شكل عروق تتواجد فيها الرصاص والزنك . وتقع هذه الحقول على بعد حوالي (٥٥ كم) من مدينة الاصنام المعروفة ، يبلغ انتاج هذه الحقول من معدن الرصاص والزنك حوالي ٦٠٠ – ١٣ ألف طن من الخام المركز في السنة .

٣ – حقول قسطنطينية : –

يوجد الرصاص والزنك في العروق المعدنية المتداخلة بالصخور المتحولة (النيس والشيست) والواقعة على بعد (٣٥ كم) جنوب مدينة سكيكدة ، يقدر احتياطي هذه الحقول بحوالي (٥٥٧٥٠ طن) من مخلوط ، الرصاص والزنك بنسبة (٦ر٨٪) من الرصاص وحوالي (٦ر ٥٪) من الزنك وتعالج الخامات المستخرجة من هذه الحقول في الوحدة الخاصة بالمصنع .

٤ – حقول عين بربر : –

توجد خامات معدن الرصاص والزنك على هيئة عروق في الحقول الواقعة على بعد (٣٥ كم) غرب مدينة عنابة ، يبلغ الاحتياطي في هذه الحقول حوالي (٢٥ ألف طن) محتوياً معدن الرصاص بنسبة (١،٢٪) وحوالي (٣،٢٪) من معدن الزنك وقد بلغ الانتاج في هذه الحقول سنة ١٩٦٩ ، حوالي (٣٩٥ طن) من الرصاص و(١٤٧ طن) من الزنك .

توجد رواسب مهمة لمعدن المنغنيز والباريت في نطاق المعادن بالمغرب العربي وبخاصة في القطر المغربي والجزائري وتونس حيث توجد رواسب المنغنيز في حقول بايميس (وارزازات – المغرب) الذي وصل انتاجه سنة ١٩٧٢ ، الى حوالي (٢٢٣ ألف طن) من المنغنيز ، وتوجد رواسب المنغنيز في حقول جيفارا الواقعة بمنطقة بشار عبد الله (الجزائر) باحتياطي مقدارة (١،٤ مليون طن) . يحتوي على نسبة حوالي (٤٢٪) من المنغنيز . بينما توجد رواسب قليلة من المنغنيز في تونس وبخاصة في منجم جريسة

الجدول ـــ ٦ ـــ انتاج معدن المنغنيز والباريت في نطاق المعادن بالمغرب العربي

	١٩٧٤		١٩٧٥		١٩٧٦		١٩٧٨		١٩٨٠	
	المنغنيز	الباريت	المنغنيز	الباريت	المنغنيز	الباريت	المنغنيز	الباريت	المنغنيز	الباريت
العالم (الف طن)	٩٤٥٠	—	٩٦٩٠	—	١٠١٩٠	—	٩٩٠٠	—	—	—
الوطن العربي (الف طن)	١٧٥,٧	٢١١	١٣٥,٧	٢١٧,٣	١٢٠,٦	٢٣٥,٩	١٢٩,٦	١٩١,٣	١٣١	٣٤٣,٦
المغرب	١٧٥	٩٣	١٣٦	١٢٠	١١٧	١٣٩	١٢٦	١٧٤	١٣١	٣٢١
الجزائر	—	٥٣	—	٩١	٩١	٧٤,٥	—	١٢٠	—	١٣٥
تونس	—	—	—	—	—	٢٢,٢	—	١٦,٣	—	٢٠,٩

بحيث يقدر الاحتياطي بحوالي (٦٠ ألف طن) وتصل نسبة المعدن فيه حوالي (٤٣٪) ندرج أدناه جدولاً عن انتاج المنغنيز والباريت في نطاق المعادن بالمغرب المغربي : —

اضافة الى ذلك توجد رواسب الفضة في مناطق متعددة في المغرب والجزائر ، كما هو الحال في منجم تيوبت للفضة والذهب والذي يقع باقليم وارزازات (جنوب المغرب) ومنجم أسفالو للفضة الواقع بالقرب من وارزازات ومنجم سيدي الحسن للفضة والرصاص الذي يقع شرق المغرب حيث يوجد فيه من الاحتياطي الكبير الذي يقدر بحوالي مليون طن ويحتوي على نسبة (٦٪) من الرصاص وحوالي (١٢٠ غم) من الفضة في الطن وكذلك منجم آزكوندر للفضة الواقع في أقليم تارودانت (جنوب المغرب) حيث يبلغ الاحتياطي فيه بحوالي (٤٠٠ ألف طن) يحتوي على (٥٧٢ غم) من الفضة في الطن الواحد ينتج حوالي (٣٢ طن) من الفضة سنويا .

وتعتبر الجزائر هي القطر الوحيد بين اقطار الوطن العربي في انتاج معدن الزئبق وتأتي بالدرجة الثالثة بالنسبة للانتاج العالمي بعد الاتحاد السوفيتي واسبانيا وقد بلغ الانتاج سنة ١٩٧٨ حوالي ١٠٣٤ طن وفي سنة ١٩٨٠ انخفض الى حوالي ٩٣١ طن ينتج هذا المعدن من منجم عزابة جنوب سكيكدة حيث يبلغ الاحتياطي الصام فيها حوالي ١٧٢٥٠ طن ويعالج بالقرب من المنجم ، يصدر اغلب الانتاج الى الاقطار الاوربية واليابان بينما لايزيد الاستهلاك المحلي عن ١٥ طن في السنة .

ولقد اكتشفت في الفترة الاخيرة خامات اليورانيوم في القطر الجزائري باقليم تمقاوين الواقعة على بعد ٢٠٠ كم جنوب غرب مدينة تمنراست وكذلك في منطقة الهوفار ومنطقة أجلاب (في الجنوب) . يقدر الاحتياطي من اليورانيوم حوالي ٢٨ الف طن ومن المتوقع ان يبدأ الاستغلال سنة ٨٤ — ١٩٨٥ بطاقة الف طن من مركزات اليورانيوم سنوياً .

حقيقة الصناعة التعدينية في نطاق المعادن المغربي :

بالنظر لاتساع رقعة نطاق المعادن المغربي ولأسباب متعددة اخرى يتضح للقارئ بأن صناعة التعدين في هذا النطاق لاتساهم الا بدور قليل في تنمية اقتصاد اقطار هذا النطاق بشكل خاص واقطار الوطن العربي بشكل عام حيث ان انتاج هذا النطاق لا لاتشكل الا نسبة واطئة من الانتاج العالمي (باستثناء الفوسفات والزئبق) اضافة الى

وجود معوقات اساسية في تطور الصناعة التعدينية في هذا النطاق بوجه خاص والوطن العربي بشكل عام يمكن حصرها بما يلي :

١ ـ ضعف النشاط الجيولوجي لاككتشاف الموارد المعدنية وقلة الدراسات التطبيقية في هذا المضمار والتي تشتمل على قلة الخرائط والتنقيبات .

٢ ـ قلة القدرة المالية لمواجهة نفقات التنقيب والتعدين حيث ان عمليات الاكتشاف والتنقيب المعدني تتطلب مبالغ باهضة يمكن الحصول عليها من اقطار عربية تمتلك فائضاً مالياً غير مستثمر وعند توفر الارادة والتصميم .

٣ ـ ضعف او انعدام العوامل المساعدة في عمليات الانتاج المعدني مثل الموارد المائية والطاقة الكهربائية ووسائل النقل السريعة والمنشآت الحضرية السكنية التي تتطلبها عمليات التعدّين والاستكشاف .

٤ ـ قلة القوى العاملة الفنية المؤهلة للصناعات التعدينية وعدم انتظام توزيعها في اقطار النطاق .

٥ ـ ضعف السياسة التسويقية للانتاج المعدني

ولاجل تطوير هذه الصناعة الاساسية في هذا النطاق نقترح بعض النقاط المساعدة لدفع عجلة هذه الصناعة نحو الافضل لخدمة اقطار النطاق بشكل خاص والوطن العربي بشكل عام ومنها :

١ ـ التنقيب بشكل جدي ومتكامل في جميع اقطار النطاق عن الثروات المعدنية باستخدام احدث الطرق العلمية والتكنولوجية لاكتشاف معادن الوطن العربي .

٢ ـ إقامة شركات عربية مساهمة لادارة عمليات الانتاج والتصنيع والتسويق تشترك فيها الاقطار العربية المختلفة دعماً للتكامل الاقتصادي العربي حيث يشترك رأس المال والخبرة العربية مع المكامن المعدنية في تسيير دفة هذه الصناعة نحو الاستغلال الامثل للموارد المعدنية العربية .

٣ ـ الشروع بتأسيس قاعدة عمالية فنية مؤهلة لعمليات الانتاج والتصنيع ويتم ذلك بأنشاء المدارس الصناعية والمعاهد المختصة بمختلف اشكال التنقيب والتعدين .

الصناعة التحويلية في نطاق المعادن المغربي :

تمتاز اقطار النطاق المعدني المغربي بصناعة تعدينية قديمة نسبياً في مستوى الاستخراج وحديثة في التحويل اذ ان نصيب الصناعة التحويلية بشكل عام صغير جداً بالمقارنة مع الانتاج الكلي وانها لم تتطور بالقدر المرجو بالنظر لضعف امكانيات الصناعة التحويلية . حيث ان وجود الخامات المعدنية لايكفي لاقامة الصناعات التحويلية وانما لابد من توفر عدد من العوامل الاساسية لعملية التحويل مثل طرق المواصلات الجيدة وتوفير الموارد المائية والمنشآت الحضرية والطاقة الكهربائية وغيرها التي تتطلب الاموال إضافة الى أهمية الخبرة الفنية المؤهلة ، واذا كان من الصعب تذليل هذه العقبات على المستوى القطري الا انه يبدو سهل المنال على النطاق القومي حيث ان جميع تلك السلبيات تبدو سهلة الحل على المستوى القومي وامكانياته الطائلة ، فضلا من ان عامل التسويق الان يبدو معضلة تجابه الصناعة القطرية المحلية بالنظر لضعف القوة الشرائية غير ان التسويق على النطاق القومي الواسع كفيل بحل هذه المعضلة التي طالما جابهت الصناعات التحويلية . ومما هو جدير بالذكر ان المشاريع التحويلية المعدنية في اقطار النطاق المعدني المغربي او اقطار الوطن العربي بشكل عام انشأت على اساس الحاجة القطرية ولذا كان من الاجدر ان يظهر التنسيق والتكامل الاقتصادي بين اقطار الوطن العربي لتهيئة اساسيات التنمية والتصنيع على المستوى القومي مثل المستوى الاقليمي او القطري والاكثر من ذلك فأن الصناعات التحويلية المعدنية لايمكن ان تنشأ بدون الخامات المعدنية الاساسية لذا يتطلب الامر اجراء الدراسات الجيولوجية المستفيضة للارض العربية لاكتشاف المكائن المعدنية المخفية مما يتطلب خلق الفكر الصناعي التكنولوجي على الصعيد القومي .

لقد ادركت اقطار النطاق المعدني المغربي اهمية تصنيع الخامات المستخرجة المتاحة فجعلت هذه الصناعات تتصدر مشاريعها المستقبلية بشكل تدريجي الا ان الصناعات التحويلية في هذا النطاق لا زالت تتسم بالقطرية اكثر منها بالاقليمية او القومية .

المراجع :

١ – بحوث المؤتمر العربي الرابع للثروة المعدنية – عمان ١٩٨١ .

٢ – مجلة المنظمة العربية للثروة المعدنية – العدد العاشر الرباط ٨٢ .

٣ – مديرية المعادن والجيولوجيا – القطاع المعدني في المغرب وامكاناته الاقتصادية. الرباط ١٩٧٧ .

٤ – بحوث المؤتمر العربي الثالث للثروة المعدنية – الرباط ١٩٧٧ .

٥ – مديرية المعادن والجيولوجيا – النحاس في المغرب – من بحوث المؤتمر العربي الثالث ١٩٧٧ .

٦ – المؤتمر العربي الاول للمعادن – الثروات المعدنية في الوطن العربي – بغداد ١٩٧٢ .

٧ – د . محمد غيث – النحاس – من بحوث المؤتمر العربي الثالث للثروة المعدنيـة الرباط – ١٩٧٧ .

٨ – مديرية المعادن والجيولوجيا – الرصاص والزنك في المغرب – من بحوث المؤتمر العربي الثالث – الرباط ١٩٧٧ .

٩ – مركز التنمية الصناعية للدول العربية – الحديد والصلب في الاقطار العربية – الجزائر – ١٩٧٠ .

١٠ – الاحصائية السنوية للأمم المتحدة لسنة ١٩٧٩ .

١١ – خطاب العاني – الجغرافية الاقتصادية – بغداد – ١٩٨١ .

١٢ – مهدي الصحاف – هذه موريتانيا . – بغداد – ١٩٨١ .

١٣ – محمد سعودي – الوطن العربي . بيروت ١٩٦٧ .

١٤ – محمد أزهر السماك وجماعته – جغرافية الموارد المعدنية – الموصل ١٩٨٢ .

١٥ – عبد العزيز أمين وجماعته – جغرافية البحر المتوسط – الدار البيضاء ١٩٧٤ .

١٦ – مهدي الصحاف – الموارد الطبيعية في المغرب – بحث غير منشور ١٩٨٠ .

أثر الثروة المعدنية في المغرب العربي
في التكامل الاقتصادي العربي

نعمان دهش
كلية الاداب / جامعة بغداد

تمهيد :

يشغل الوطن العربي أرضاً واسعة تمتد بين خطي عرض ٣٧° شمالاً – ٢° جنوباً وخطي طول ١٧ غرباً – ٦٠° شرقاً وهو بهذا الأمتداد الواسع المتباين في بيئاته المناخية وتكويناته الجيولوجية وظواهره الفيزيوغرافية يجعل التكامل الأقتصادي ممكناً بين أقطار الوطن العربي سواء كان ذلك من الناحية الزراعية أم الصناعية لاسيما وقد برزت للوجود الشركات العربية المشتركة مثل شركة المعادن العربية . وفي هذا البحث سيجرى التأكيد على أهم المعادن الموجوده في المغرب العربي والتي تساعد في عملية تنمية المشاريع المشتركة التي بدورها تؤدي الى تكامل اقتصادي أفضل . اذ من المعروف أن الثروات المعدنية عماد الصناعة في الوقت الحاضر ولا يخلو يوم من حياتنا دون استخدام مباشر أو غير مباشر لها . كما وتمتاز المعادن بصفتها غير المتجددة بالنسبة الى مصادر الثروة الطبيعية الأخرى وذلك لأنها تكونت في القشرة الأرضية بعوامل جيولوجية بطيئة استغرقت ملايين السنين. ولذلك فأن بأستخراجها لاتتجدد ولايتكون بديل لها خلال فترة ملموسة من الزمن بحيث يمكن أن نطلق عليها ثروة قابلة للنفاذ غير

متجددة . وعندما يتحدث المختصون عن الرواسب المعدنية فهم يقصدون تركزها تحت سطح الأرض أو على سطحها وفي المحيطات وقيعانها حيث تتخذ أشكالا يمكن استخراجها .
ونحدد كمية احتياطي رواسب المعادن بمقدار مايمكن أن يستغل منها اقتصادياً في ظروف تقنية معينة ولذلك فأن تطور الوسائل التقنية ادت الى زيادة كمية الأحتياطي وذلك بأستغلال رواسب لم يكن استغلالها ممكناً في السابق لأسباب فنية أما لأن درجة تركزها قليلة أو لأنها بعيدة الغور أو أنها تحوي شوائب من الصعوبة التخلص منها (١) ومن الأمثلة على ذلك ما حصل على احتياطي النحاس من تغيرات ، ففي عام ١٧٠٠ كانت رواسب النحاس الصالحة للأستغلال لاتقل نسبة المعدن فيها عن ١٣٪ في حين أن نسبتها عام ١٩٠٠ تتراوح بين من ٥ ــ ٢/٥ ٪ واصبحت تلك النسبة عام ١٩٧٠ تتراوح بين ٥, ٠ــ ٦٥, ٪ مما زاد من مقدار احتياطي هذا المعدن وانتشار توزيعه الجغرافي . ولا يحد من هذا التناقص في درجات الرواسب القابلة للاستغلال الا عوامل التكلفة والطرق التقنية المستخدمة والطاقة اللازمة .
وقد تكون نهاية المطاف مستقبلا هو اللجوء الى استغلال كتلة الصخر كلها في موقع معين واستخلاص المعادن منها .

واذا ماتحقق هذا الهدف فأنه لايتوقع حدوث أي نقص في الرواسب المعدنية في الوقت القريب فكل مائة طن من أي صخر ناري يحتوي على ٨ طن من الألمنيوم و /٥/ طن من الحديد و /٥٤٠/ كغم من التيتانيوم و /٣٢/ كغم من الكرمبوم و /١٥ / كغم من الفاناديوم و /٩/ كغم من النحاس و /٨, ١/ كغم من الرصاص . ومن ضمن المقترحات للتغلب على أزمة الرواسب المعدنيـــة المرتقبة الأهتمام بأعادة الأستفادة من الخردة وادخالها مرة أخرى في دورة الأستهلاك . ولذلك فأن أهمية ترشيد الأنتاج بصورة عقلانية من هذه المعادن في المغرب العربي واتخاذ ذلك مثالا لبيان امكانية قيام تكامل صناعي في ضوء ما يتوفر من معادن في هذا الجزء من الوطن العربي .

الفوسفات في المغرب العربي :

توجد الفوسفات في معظم الأقطار العربية مما يدل على سعة انتشارها وقد تزايد الاهتمام باستكشاف وتقييم الفوسفات في الوطن العربي في الآونة الاخيرة نظراً لتزايد الطلب عليها مع تزايد الاهتمام العالمي بمشكلة انتاج الغذاء . اذ أن أهم استخدام للفوسفات هو في صناعة المخصبات التي تستوعب /٩٠ ٪ / من الانتاج العالمي بينما تتجه الـ /١٠٪ / الباقية الى اوجه صنـــاعيـــة أخـرى (٣) .

هذا وقد عرف الانسان استخدام الفوسفات لاغراض التسميد من قديم الزمان . فقد كان اهالي قرطاجنة يستخدمون فضلات الطيور قبل الميلاد وقبائل الانكافي بيرو والهنود الحمر في امريكا الشمالية تستخدم الاسماك والجوانو لتسميد التربة قبل اكتشاف الامريكيتين بازمان سحيقة وبالرغم من أن تركيب تلك المواد لم يكن معروفاً لهؤلاء الاقوام الا أن مزاياها كانت معروفة لديهم جيداً في زيادة انتاجية النبات .

يبلغ انتاج الوطن العربي حوالي ١/٥ الانتاج العالمي كما يحوي اكثر من (*) /٣٨٪ / من احتياطي العالم . ويمتلك المغرب العربي حوالي / ٨٣٪ / من احتياطي الوطن العربي ولذلك فليس من شك أن يكون للفوسفات مصدر قوه يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار من حيث اهميتها عربياً وعالمياً والجدول التالي يوضح احتياطي راسب الفوسفات .

ومما هو جدير بالذكر ان رقم الاحتياطي قابل للزيادة تبعا لنشاط الاستكشاف وتطور الوسائل العلمية في هذا الخصوص . وتقنية استخراج المعدن واستخدامه ولذلك فاننا نتوقع تغيرا في النسبة المئوية لرصيد اي قطر عربي إلى الرصيد العربي العام .

انتاج الفوسفات :

تستخرج الفوسفات في الوقت الحاضر من الاقطار العربية التالية المغرب ، الجزائر تونس ، مصر ، الاردن ، سوريا ، فلسطين المحتلة والصحراء الغربية ومما يجدر ذكره، ان التغير في مساحة الأرض المغربية بعد انتزاع منطقة الصحراء من اسبانيا يعطي المغرب العربي احتياطياً ضخماً يستمر الف عام بمعدلات الانتاج الحالية.

أما العراق فسيدخل الانتاج قريباً عند اكمال مجمع عكاشات وهو يضم المجمع الكيمياوي الذي يشمل الجزء الرئيسي من مشروع فوسفات عكاشات في الهضبة الغربية ويتكون من عده معامل هي :

١ — معمل تركيز رواسب الفوسفات التي يتم نقلها من عكاشات بواسطة السكة الحديد إلى مدينة القائم بطاقة ١/٧ مليون طن .

(*) د. مهدي الصحاف و د. وفيق الخشاب. اهم الموارد المعدنية في المغرب العربي نطاق الفوسفات معهد الدراسات الأسيوية والأفريقية. الجامعة المستنصرية بغداد ١٩٨٣ (ص ١٥ — ١٦ (بحث غير منشور)

احتياطي خامات الفوسفات ١٩٧٤

القطـــر	الاحتياطي مليون طن	النسبة إلى الاحتياطي العربي٪
المملكة المغربية	٤٠٠٠٠	٧٥,٥
جمهورية مصر العربية	٣٣٢٥	٦,٢٢
الصحراء (الاسبانية سابقا)	٣٠٠٠	٥,٦٦
الجمهورية العراقية	١٧٦٠	٣,٣
المملكة الاردنية	١٠٦٢	٢,٠
المملكة العربية السعودية	٩١٢	١,٧
تـونـس	٨٨٥	١,٦
سـورية	٨٦٠	١,٦
الجزائر	٦٤٢	١,٢
فلسطين	٦٣٠	١,٢
المجموع	٥٣٠٧٦	٪١٠٠

٢ ـ معمل انتاج حامض الكبريتيك بطاقة ١/٥ مليون طن سنويا ويستهلك مليون طن من كبريت المشراق .

٣ ـ معمل انتاج حامض الفسفوريك بطاقة / ٤٠٠/ الف طن سنوياً من خامس أوكسيد الفسفور .

٤ ـ معامل انتاج مخصبات الفوسفات الثلاثية المركزة بطاقة /٦٠٠/ الف طن وانتاج احادي الفوسفات الألمنيوم بطاقة $\frac{١}{٤}$ مليون طن .

٥ ـ معمل انتاج المخصبات المركبة بطاقة /٢٧٠ / الف طن .

٦ ـ معمل لانتاج كلوريد الألمنيوم بطاقة .(٢١) الف طن .

المصدر: محمد سميح عافية واحمد عمران/ تنمية الموارد المعدنية في الوطن العربي، معهد البحوث والدراسات العربية ومركز التنمية الصناعية للدول العربية ١٩٧٧.

٧ — معمل لانتاج الكرابولايت بطاقة / ٦٤ / الف طن .

هذا اضافة إلى منشآت الخدمات والصيانة والمخازن وايصال الماء من الفرات وتعبيد طريق يربط القائم بالمجمع والسكن لألفي مهندس وعامل واداري الذين سيقومون بتشغيل المشروع الذي يعتبر من أكبر المشاريع في العالم (٤). ولعل الجدول رقم (٢) يبين تطور الانتاج الذي سيكون واضحاً منها انتاجية المغرب العربي حيث يسيطر على اغلب الأنتاج العربي .

صادرات الفوسفات :

ان معظم الانتاج يصدر إلى الخارج وان مايستهلك في الداخل هو نسبة ضئيلة . فقد كانت نسبة التصدير إلى الانتاج للاقطار العربية المنتجة خلال الفترة من ٩٦١ — ١٩٧٥ ٨٩,٧٪ (٢٢١,٣) مليون طن في حين كان الانتاج / ٢٤٦,٥ / مليون طَن ومعنى ذلك ان نسبة المستخدم في التصنيع المحلي يتراوح بين /٨,٤٪ — ١٠,٣٪ من الانتاج ومعنى هذا ان الاقطار العربية لازالت مصدره اساسا لخامات الفوسفات وتأتي اقطار المغرب العربي بالمرتبة الأولى اذ بلغت كمية المصدر / ١٥,٠٢٠ / مليون طن من الكمية المصدرة من الوطن العربي البالغة / ١٦,٦٢٠ / مليون طن عام ١٩٧٥ ويمكن ملاحظة ذلك من الجدول التالي بالنسبة إلى الصادرات .

مستقبل الفوسفات :

يمثل احتياطي الفوسفات عام ١٩٧٤ ٥٣/ بليون طن بنسبة / ٣٨,٤٦٪ / من الاحتياطي العالمي . ويشكل احتياطي المغرب العربي / ٤٤,٥ / بليون طن ونسبة / ٨٣,٩٪ / من احتياطي الوطن العربي . ويكون انتاج المغرب العربي بنسبة تتراوح بين / ٨٦ — ٩٤٪ / من انتاج الوطن العربي وبنسبة /٢٢ — ٢٨٪ / من انتاج العالم (*) ان هذه النسبة تظهر اهمية هذا المعدن بالاضافة إلى نوعيته الجيدة .

ولو اعتبرنا نصف احتياطي الوطن العربي يصلح للاستخراج والتي ستكون / ٢٦,٥/ بليون طن واعتبرنا ايضا ان من/ ٢٠ — ٢٥٪ / من هذه الكمية يفقد اثناء عمليات معالجة الخام بالتركيز لتهيئه للتسويق فان الخام الصالح للتسويق يكفي لانتاج بمعدل / ١٩٧٣ وهو/ ٢٣,٥ / مليون طن مده تزيد على / ٨٥٠ / (٥) سنة ولذلك فلا خوف من استنزاف مخزوننا من الخام مع تزايد الانتاج في اي خطة طموحة ففي امكان المغرب التوسع في طاقتها الانتاجية مستندة إلى رصيدها الهائل .

(*) راجع جدول ١ — ٢ — ٣ من البحث

جدول (٢) تطور انتاج خام الفوسفات العربي ومقارنته مع الأنتاج العالمي بالمليون طن للدول المنتجة

	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٨
اجمالي انتاج المغرب العربي	٦/٣١	١٠/٦٦	١٥/٣٩	١٨/٤٥	٢٢/٩	٢١	٢٤
اجمالي الانتاج العربي	٦/٤٥	١١/٣	١٧/٨٩	٢٠/٩٢	٢٦/٣٠	٢٤	٢٧/٨
اجمالي الانتاج العالمي	٢٢/٨٠	٤٠/٧	٨١	٩٠	١١٠/٥	١٠٦	١٢٥
نسبة الانتاج العربي إلى الأنتاج العالمي	٢٨،٢٪	٢٧/٧٪	٢٢٪	٢٣/٢٪	٢٣/٨	٢٢/٦٪	٢٢/٢٪
نسبة انتاج المغرب الى انتاج الوطن العربي	٩٧/٨٪	٩٤/٣	٨٦٪	٨٨/٢٪	٨٧٪	٨٧/٥٪	٨٦/٣٪

المصدر :

محمد سميح ، مصدر سابق، ص ٨ أما سنة ١٩٧٨ فمن بحث الدكتور مهدي الصحاف ، اهم الموارد المعدنية في المغرب العربي نطاق الفوسفات .

جدول رقم ٣ نسبة صادرات الفوسفات لأقطار المغرب العربي بالصادرات العالمية بملايين الأطنان

	١٩٦٦	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٨
الصادرات العالمية	٣٢	٣٨/٦٩	٤٠/٦٦	٤٣/٢٩	٤٨/٩٥	٥٥/٢	٤٤	٥٢
اقطار المغرب العربي	١١/٩	١٣/٨٤	١٤/٨٥	١٦/١٧	١٨/٦٤	٢١/٥	١٥	٢١
نسبة صادرات المغرب العربي إلى صادرات العالم	٣٧/١	٣٥/٧	٣٦/٢	٣٨/٥	٤٠/١	٣٨/٩	٣٤/٦	٪٤٠/٣

المصدر – محمد سميح عافية مصدر سابق واحصائيات هيئة الامم ١٩٨٠

كما أن العراق والسعودية يمكنهما الدخول في ميدان الانتاج بما لديهما من خامات كبيرة. فقد سبق ان ذكرنا مجمع عكاشات في العراق لانتاج الفوسفات والأسمدة الفوسفاتية والذي بدء العمل به في ١٩٧٦ .

ان أمر استغلال الفوسفات يحتاج إلى تخطيط لكي يمكننا القول انه يحق لنا أن نعتبر الفوسفات مادة اولية وثروة طبيعية غير زراعية تلي النفط مباشرة في قيمتها المادية . فقد كانت قيمة المستخرج من الفوسفات العربي عام ١٩٧٤ نحو / ١٣٥٠ / مليون دولار . وهذا لاشك يمثل دخلا كبيرا ومنتظماً ودائماً لسنوات طويلة تمتد إلى مابعد استنزاف كافة الموارد النفطية في الوطن العربي . كما أن الفوسفات مادة خام يستطيع الوطن العربي أن يساهم بها في تخفيف وطأة الجوع العالي وان يساهم في اتاحة الرخاء الاقتصادي للعالم . ولما كانت هذه الرواسب الفوسفاتية على هذا الأساس ركيزة اقتصادية هامة للوطن العربي فان ذلك لاشك يستدعي التنسيق والتعاون بين الاقطار العربية في مجالات الاستكشاف والانتاج والتصنيع والتسويق كما جاء في مؤتمر جدة عام ١٩٧٤ والرباط عام ١٩٧٧ بانشاء اتحاد يضم الأقطار العربية المنتجة للفوسفات تكون مهمته متابعة احدث التطورات التكنولوجية في الكشف والاستخراج والتركيز والتصنيع . ولقد اوصى المؤتمران المذكوران ايضاً بالربط بين خطط الأنتاج واحتياجات الأستهلاك لتجنب زيادة العرض على الطلب من الفوسفات ولتخطيط سياسة سليمة للانتاج يلتزم التعاون والتنسيق بين المنتجين كما يلزم توافر المعلومات والدراسات الدقيقة للطاقات الأنتاجية المتاحة على المستويين العربي والدولي وكذا الامكانات المتوفرة لزيادة تلك الطاقات في المستقبل القريب والبعيد على حد سواء . وتشجيع الأموال العربية واستثمارها في تمويل اعمال الكشف والبحث عن خامات الفوسفات بالوطن العربي وتنمية المناجم القائمة وانشاء مصانع للاسمدة والمنتجات الفوسفاتية الأخرى . والافادة من التكامل المعدني بين الأقطار العربية بترتيبات ثنائية أوجماعية بين الدول التي تنتج الفوسفات وتلك التي تنتج الكبريت المستخرج سواء كان من المناجم أومن عمليات تكرير النفط . وتلك التي تتوافر فيها عناصر الانتاج من خبرة فنية وعمالة وطاقة ... الخ (٦) .

وتستطيع الاقطار العربية خاصة المنتجة للنفط أن تلعب دوراً أساسياً في استثمار رؤوس أموالها في المغرب العربي لزيادة الأنتاج وتصديره مصنعا بدلا من تصديره على شكل خامات اذ ان الصادرات المصنعة تزيد من واردات الاقطار المصدرة خاصة والوطن العربي عامة

وأثر ذلك في التكامل الأقتصادي العربي بدلا من استثمار رؤوس الأموال العربية خارج الوطن العربي .

الحديد :

يمتلك الوطن العربي أكثر من عشرة آلاف مليون طن من احتياطي رواسب الحديد حسب البيانات المتوفرة حاليا . وتدل الشواهد الجيولوجية عن احتمال العثور على رواسب اضافية في عدد من الأقطار العربية مما يزيد من احتياطي الوطن العربي ، خاصة في موريتانيا والسعودية والسودان .

والجدول التالي يوضح احتياطي رواسب الحديد حسب المعلومات المتوفرة لعام١٩٧٤ . وفيها يظهر ان اقطار المغرب العربي تمتلك ٥٤٪ من هذا الأحتياطي وتأتي الجزائر في المقدمة .

وتبلغ نسبة الاحتياطي العربي/ ٩,٣٧٪/من جملة الاحتياطي العالمي وهي نسبة ضئيلة. ونظرا لان البحث الجيولوجي في كثير من الأقطار العربية لازال قاصرا عن تغطية معظم سطح الأرض العربية لذلك مازال هناك مجال الاكتشافات واسعاً ومن ثم زيادة الاحتياطي العربي .

وتأتي موريتانيا في مقدمة الأقطار العربية انتاجا لخام الحديد حيث تقوم بتصدير كافة انتاجها منه فقد صدرت أكثر من عشرة ملايين طن عام ١٩٧٤ اما الجزائر فتقوم بتصدير انتاجها من الخام فيما عدا احتياجات التصنيع ... المحلي وكذلك الحال بالنسبة لتونس . ورغم حداثة دخول صناعة الحديد والصلب إلى الوطن العربي الا انها سجلت تقدما ملحوظا فالى جانب المصانع التي تعتمد اساسا على خامات أكاسيد الحديد المحلية فهناك عدد من المصانع تعتمد على صهر الحديد الخردة (السكراب) . ان معظم متطلبات قيام هذه الصناعة تتوفر ضمن اقطار الوطن العربي حيث توجد خامات الحديد والمنغنيز والغاز الطبيعي المصاحب وغير المصاحب لاستخراج النفط والمنتجات النفطية المكررة بالاضافة إلى الطلب المتزايد على الحديد والصلب في اسواق الوطن العربي عامة.

حيث تشير البيانات ان الطاقة الأنتاجية هي ٣/٤,٦/ مليون طن من منتجات الصلب في عام ١٩٨٠ بينما الأستهلاك/٦,٢٥/ مليون طن وان الفرق يتم تغطيته بالاستيراد من الخارج (٧).

جدول (٤)

احتياطي خام الحديد حسب المعلومات المتوفرة لعام ١٩٧٤

ت القطـــر	الأحتياطي بالمليون طن (١)
١ ــ جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية	٤٤٧٧
٢ ــ الجماهيرية الشعبية الليبية	٣٠٨٢
٣ ــ جمهورية مصر العربية	٨٢٢ ــ ٩٨٢
٤ ــ المملكة العربية السعودية	٥٢٩
٥ ــ الجمهورية التونسية	٥٠٠
٦ ــ جمهورية موريتانيا الاسلامية	٤٨٨
٧ ــ جمهورية السودان الديمقراطية	١٠٧ ــ ١٤٨
٨ ــ المملكة المغـربيـة	١١٨
٩ ــ الجمهورية العربية السوريـة	١١٦
الاجمالي العام المحسوب	١٠,٣٠٤ ١٠,٥٠٥

متوسط استهلاك الفرد من منتجات الصلب في الأقطار العربية (٢)

البيـــان	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
١ ــ عدد سكان الوطن العربي (مليون نسمة)	١٠٩	١٢٥	١٤٥	١٦٧
٢ ــ اجمالي الأستهلاك (مليون طن)	٢,٣	٣,٢	٤,٧	٦,٣
٣ ــ متوسط استهلاك الفرد (كغم)	٢٠,٣	٢٥,٤	٣٢,٥٨	٣٧,٥

(١) المصدر محمد سميح عافيه، تنمية الموارد المعدنية في الوطن العربي ص ٣١ .

(٢) المصدر : محمد فتحي عوض الله ــ مصدر سابق ص ٢٦٢

ان متوسط استهلاك الفرد العربي من هذه المنتجات كما يتضح من الجدول السابق هي نموذج لمتوسط استهلاك الفرد في دول العالم الثالث وان كان اعلى بقليل منها ، اذ ان متوسط استهلاك الفرد في العالم الثالث (١٩) كغم والدول النامية (٢٠) كغم ولكنه اقل من متوسط استهلاك الفرد في امريكا اللاتينية (٥٧) كغم وهذه المعدلات ايضا اقل بكثير من معدل استهلاك الفرد في الدول الصناعية (٥٠٣) كغم . (٩) .

وتشير الاحصاءات والبيانات الى ضعف طلب الامة العربية على الصلب ومنتجاته برغم ان استهلاك الفرد من تلك المنتجات يعد مقياساً حضارياً في حد ذاته . هذا وان الطاقات الحالية والمقترحة للتوسعات في المصانع العربية القائمة للحديد والصلب وحتى عام ١٩٨٠ هي ٤,٦٣ مليون طن . بينما الاستهلاك الظاهري المقدر لنفس العام من تلك المنتجات للامة العربية يبلغ /٩,٢٥ /مليون طن على اساس استهلاك الفرد العربي في العام من منتجات الصلب تبلغ /٣٧,٥ / كيلوغرام ويظهر من ذلك ان الامة العربية سوف تستمر في تغطية احتياجاتها المتزايدة من هذه المنتجات بالاستيراد . فما هو الحال عام /٢٠٠٠/ عندما يصل تعداد الوطن العربي حسب توقعات بعض المصادر حوالي / ٣٥٠ / مليون نسمة فاذا فرضنا ان الاستهلاك السنوي للفرد العربي سيكون بمقدار / ٤٠ / كيلو غرام فأن الانتاج المطلوب عام /٢٠٠٠ / الذي يغطي الاستهلاك يجب أن يصل الى /١٤/ مليون طن . أما اذا اريد أن يكون الاستهلاك / ١٠٠ / كيلو غرام للفرد فأن الانتاج يجب ان يصل الى / ٣٥ / مليون طن سنويا . مع العلم ان هذان المعدلان لاستهلاك الفرد لايرفعان الانسان العربي كثيراً عن مستوى الدول النامية . أما اذا اريد للامة العربية اللحاق بالدول الصناعية فأن نصيب الفرد لن يقل عن / ٣٠٠ / كيلوغراما في العالم فأن ذلك يستلزم انتاجا قدره / ١٠٥ / مليون طن من الصلب العادي في العام .

ولانتاج / ١٠٥ / مليون طن من الصلب سنويا فأن خام الحديد اللازم لتغذية الافراد حوالي ٢١٠ ــ ٢١٥ مليون طن ، اخذا في الاعتبار التفاوت في درجات الخام من جهة ومقدار مايمكن توفيره من الحديد الخردة لاعادة صهره وادخاله في دورة الانتاج من جهة أخرى . ونظرة الى رصيدنا المعروف حاليا من خامات ، وهو أكثر من عشرة بليونات من الاطنان ، يظهر لنا اننا يمكننا بهذه الاحتياطات الاستمرار في الانتاج بهذا المعدل مدة من /٤٠ ــ ٤٧ / عاما اما اذا كان المعدل /٣٥/ مليون طن من الصلب في العام فهي تكفي مدة /١٢٥ ــ ١٣٤/ سنة (١٠) .

ان اهم حدث تكنولوجي عالمي في صناعة الصلب يرتبط ارتباطا فعالا ومؤثرا بصناعة الصلب العربية هو طريقة الاختزال الغازي لخامات الحديد اي باستخدام الغازات المختزلة بدلا من الفحم في انتاج الحديد . هذه الغازات اساسها الايدروجين وأول أوكسيد الكاربون ويمكن الحصول عليها من الغازات الطبيعية والنفايات النفطية وبجانب وفرة النفط والغاز في الوطن العربي فأن تلك الغازات تمتاز عن الفحم بكونها اعلى في الطاقة الحرارية والاختزالية مع كونها اقل كلفة واسهل في المعاملة والنقل . وخامات الحديد العربية بصفة عامة عالية الشوائب وصعبة التركيز الا أن الاختزال .. الغازي يسر الاستفادة منها .

ان قيمة الفحم كمصدر للطاقة الحرارية انما تتوقف على حرارته النوعية التي تتراوح بين ٦ ــ ٨ الاف كيلو كالوري للكيلوغرام من الفحم ، أما النفط فيعطي قدرا ما بين ٩ ــ ١٢/ الف كيلو كالوري للكيلوغرام الواحد ، تلك هي القيمة ، اما التكاليف في حالة النفط اقل بكثير منها في حالة استخراج الفحم مما يرجح كفة استخدام النفط . وبالاضافة الى ذلك فأن كيلوغرام واحد من عنصر الكاربون ذلك الذي يحتويه الفحم ويجعل منه عاملا هاما يمكن ان يختزل وزنا قدره (٤,٤٤) كيلوغرام من اوكسيد الحديد من خاماته ليعطي في النهاية وزنا قدره /٢,٩٨/ كيلوغراما من الفلز . اما الكيلوغرام الواحد من عنصر الايدروجين ذلك الذي يحتويه النفط ويجعل منه بذلك عاملا مختزلا هاما فيمكنه ان يختزل /٢٦,٦/ كيلوغراما من اوكسيد الحديد من خاماته ليعطي في النهاية وزنا قدره /١٩,٩٠/ كيلوغراما من الفلز . ومن هنا كان النفط اجدى واوفر في صناعة الحديد (١١) وعلى هذا الاساس يمكننا ان نقدر مستقبل صناعة الحديد والصلب وانتاجه في الوطن العربي على ضوء الامكانات النفطية ومشتقاتها . حيث يمكن تطوير انتاج خامات الحديد وتركيزها وتحويلها الى أنواع مختلفة تسد حاجة الوطن العربي ولا سيما في موريتانيا والجزائر تستطيع معه سد حاجة كثير من الاقطار العربية التي بدأت فيها صناعة الحديد والصلب كالعراق مثلا من خامات موريتانيا بدلا من تصديرها الى الدول الصناعية في الخارج والجدول التالي يوضح نسبة انتاجية المغرب العربي من خامات الحديد لبعض السنوات الاخيرة مما يشجع على دعم هذه الصناعة وجعلها في خدمة التكامل الاقتصادي العربي .

جدول رقم (٥)

انتاج الوطن العربي من الحديد مع نطاق المغرب العربي مليون طن

	١٩٧٦	١٩٧٨	١٩٨٠
موريتانيا	٩/٤٢٠	٧/٤٣٤	٨/٦٠٠
الجزائر	٢/٧٨٨	٢/٧٥٠	٣/٥٠٠
تونس	,٥١٢	,٣٣٩	,٣٨٩
المغرب	,٣٤٣	٠,٠٦٣	٠,٠٦٨
المجموع	١٣/٠٦٣	١٠/٥٨٦	١٢/٥٥٧
الوطن العربي	١٤/٣	١٢/٠٥٤	١٤/٣٣٠
نسبة انتاج المغرب إلى الانتاج العربي	/٩٥/٣	/ ٨٨/٣	/ ٨٧/٩

النحاس :

ان المعلومات المتوفرة لدينا غير كافية لاعطاء صورة واضحة وحقيقية عن احتياطي النحاس وتبلغ الخامات المقدرة لاحتياطي هذا المعدن حوالي / ٣٠٠ / مليون طن . واذا كان متوسط نسبة النحاس ١/٥ / فأن هذه الكمية من الخام تحوي ٤/٥ مليون طن من فلز النحاس (١٢) . وتشير الاحصائيات ان الدول المنتجة لخامات النحاس هي كل من موريتانيا والمغرب والجزائر .

والجدول التالي يمثل الانتاج .

ويصدر الخام المركز للخارج دون استخلاص الفلز النقي ، وتستورد الأقطار العربية النحاس مصنعاً او نصف مصنع لتغطية احتياجها . ولغرض سد حاجة الوطن العربي من هذا الفلز يجب أن يبدأ بتنمية الموارد الموجودة في كل من الأردن والسعودية والسودان واعدادها للانتاج . وانه من المهم توفير رؤوس الأموال للتنقيب التفصيلي واعداد المناجم

المصدر : احصائيات هيئة الامم عدا ١٩٨٠ فمن جدول ٢ ص ٥ د. مهدي الصحاف الرواسب الفلزية بالمغرب العربي

جدول رقم (٦) (*)

انتاج النحاس بالاف الأطنان

السنة	موريتانيا	المغرب	الجزائر
١٩٧٣	٢١/٨	٤/٣	٠/٣
١٩٧٤	٢٠/١	٥/٣	٠/٤
١٩٧٥	١٦/٢	٤/٨	٠/٤
١٩٧٦	٩/٤	٤/٦	٠/٤
١٩٧٧	٤/٨	٣/٨	٠/٣
١٩٧٨	٢/٨	٣/٨	٠/٤

والاستغلال ثم التصنيع المحلي للفلز . وتجدر الاشارة أيضاً الى اهمية الخامات الموجودة في قاع البحر الأحمر ووجوب تعاون الدول المطلة عليه في سبيل اكتشافه وبحث تفاصيل تكنولوجيته وكيفية استغلاله (١٣) ، وذلك لأن حاجة الوطن العربي الى فلز النحاس ستزداد مستقبلاً . اذ يعتبر استهلاك النحاس مقياساً حضارياً فهو في الدول الصناعية عامة ٦,٣ كيلوغرامات للفرد في السنة وفي الدول الصناعية الغربية بالذات ٧/٧ كغم وفي الدول الشيوعية المتقدمة ٣ ــ ٤ وفي غيرها ١/٢ بينما استهلاك الفرد في الدول النامية ٠,١٧ كيلوغرام / فرد / سنة وفي عام ٢٠٠٠ سوف يبلغ تعداد الامة العربية حوالي ٣٥٠ مليون نسمة . واذا كان معدل استهلاك الفرد العربي سيبقى في حدود متوسط الدول النامية ١٧/. كغم فان الحاجة السنوية من فلز النحاس ستكون ٥٩/٥ الف طن . أما اذا اريد للفرد العربي ان يبلغ الحد الادنى لمعدل استهلاك الفرد في الدول المتقدمة (كيلوغرام واحد) فان الحاجة السنوية ستبلغ (٣٥٠) الف طن ومن ثم يلزم البدء من الآن في تنمية الموارد الموجودة في الوطن العربي وخاصة الاردن والسعودية والسودان اضافة الى الخامات الموجودة في قاع البحر الاحمر (١٤)

الرصاص والزنك والمنغنيز

تدل الاحصائيات المتوفرة على ان اقطار المغرب العربي تنتج وحدها من هذه المعادن مما يجعل اهمية استغلالها بصورة تعمل على سد جزء كبير من حاجة الوطن الى هذه المعادن والجدول التالي يوضح الانتاج .

(*)المصدر ــ احصائية هيئة الامم المتحدة ١٩٨٠ ص ٢١٢ ــ ٢١٣

جدول رقم(٧) انتاج الرصاص والزنك والمنغنيز بالاف الأطنان (*)

السنة	المغرب			الجزائر		تونس	
	رصاص	زنك	منغنيز	رصاص	زنك	رصاص	زنك
١٩٧٣	١٠٣	١٧/٦	٦٤/٧	٣/٧	١٤/٤	٦/٢	٩/١
١٩٧٤	٨٣/٧	١٣/٨	٥٨/٢	٣	١٠/٤	٨	٦/٢
١٩٧٥	٦٧/٨	١٦/٨	٦٠/١	٢/٨	١٣/ـ	٦/٥	٦
١٩٧٦	٦٨/١	١٥/٤	٦٧/١	١/٧	٦/٢	٤/٨	٧/٣
١٩٧٧	١٠٧/٤	٤٢/٧	٨٩/٤	٠/٩	٣/١	٨/٩	٧/١
١٩٧٨	١١٥/٣	٥/٤	٧٤/٨	٢/٤	١٠	١٤/٨	٧/٤

الخلاصة :

من دراستنا لأهم المعادن في المغرب العربي ركزنا على كل من الفوسفات والحديد لأنها تشكل في نسبة انتاجها مايجعلها يمكن ان تساهم في التكامل الاقتصادي العربي في الوقت الحاضر . فعلى نطاق الفوسفات نجد أن نسبة انتاج المغرب العربي الى انتاج الوطن العربي اكثر من ٨٦ ٪ كما هو واضح من الجدول (٢) وان هذه الكميات تصدر اغلبها على شكل خامات دون تصنيعها فاذا ماتظافرت الجهود المشتركة في تصنيعها فان قيمة الصادرات ستكون عالية جداً .

أما الحديد فواضح اهميته بالنسبة للفرد عموماً وان انتاج المغرب العربي الى انتاج الوطن العربي بشكل ٣ / ٩٥٪ ، ٨٨/٣٪، ـ٨٧/٩٪ للسنوات ١٩٧٦ ، ١٩٧٨ ، ١٩٨٠ على التوالي كما ان احتياطي المغرب العربي يشكل اكثر من نصف احتياطي الوطن العربي . ولذلك يمكن الاستفادة من تصنيعه او تهيئته للصناعة على شكل حديد زهر وتصديره الى الأقطار العربية التي تم انشاء معامل لانتاج الحديد فيها معتمدة على الاستيراد من الخارج. وكذلك بالنسبة الى النحاس والرصاص والزنك والمنغنيز فان الانتاج يتركز في اقطار المغرب

(*) المصدر/ احصائيات/ هيئة الامم/ ص ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٦ للسنوات المذكورة

العربي مما يمكن تطويره ايضاً ويمكن الاستفادة منموارد الطاقة المتوفرة في المغرب في تطوير استثمار هذه المعادن لاسيما النفط والغاز الذي تمثل فيه الجزائر المرتبة الاولى احتياطيا وانتاجا تليها تونس والمغرب ويمكن ملاحظة ذلك في الجدول الآتي :

جدول رقم (٨)

السنة	الجزائر		تونس		المغرب	
	نفط	غاز	نفط	غاز	نفط	غاز
	الف طن	مليون م٣		مليون م٣		مليون م٣
١٩٦٠	٨٦٣٢	٧	—	٧	٩٢	٩
١٩٦٥	٢٦٠٢٥	١٨٣٩	—	٨	١٠٣	١١
١٩٧٠	٤٧٢٠٥	٢٨٣٨	٤١٥١	٥	٤٤	٤٤
١٩٧٥	٤٤١٢٠	٥٥٠٠	٤٦٠٩	٢١١	٢٠	٧١
١٩٨٠	٥٤٩٠٠	١٥٥٣١	٥٦٢٧	٣٣٧	١٤	٦٦

هذا وان التكامل يظهر في الاستفادة من هذه المعادن من عدة جوانب :

١ — الأول يبرز في تطوير تعدينها وزيادته وتصنيعه ، ولما كانت هذه المعادن توجد في اقطار ينقصها رأس المال اللازم لذا فان التكامل يمكن ان يتم بين دول المغرب والمشرق العربي حيث توجد المعادن في الأول ورأس المال في الأقطار النفطية من جهة اخرى لتصبح هذه الصناعات التطويرية والاستخراجية مخرجا لاستثمار رأس المال الفائض وتحقيق مردود مما يخلصه من قيود التحكم التي تفرضها بنوك الاستيداع في الخارج .

٢ — ويبرز هذا التكامل من ناحية ثانية في استغلال هذه المخصبات في زيادة الانتاج الزراعي وهنا لابد من توفر شيئين اساسيين .

(آ) دراسة ظروف التربة في الأقطار العربية التي تتوفر فيها مساحات زراعية شاسعة كالسودان وغيرها .

المصدر : احصائيات هيئة الامم (١٨) عبدالعزيز محمد حبيب ، الطاقة في المغرب العربي. من بحوث ندوة المغرب العربي/ الجامعة المستنصرية .

(ب) معرفة حاجات تربتها الى نوع المخصبات ، اذ أن العناصر التي تفتقر اليها التربة تحدد نوع المخصبات التي يمكن استخدامها كما ان نوع المحاصيل الزراعية المنتجة لها نفس الأهمية في هذا المجال . وما يقال عن الفوسفات يمكن ان يقال عن المعادن الفلزية المتوفرة في هذا الجزء من الوطن العربي التي ذكرناها آنفاً .

ولما كانت هذه المعادن في تنوعها وتركزها تنحصر في هذا الجزء من الوطن العربي فإن استغلالها على الوجه الأمثل وتصنيعها وما يتشعب عنها من صناعات تكميلية يجعل من هذه المنطقة العربية منطقة صناعية رئيسية فهي منطقة المرور العربي وغيرها من مراكز الصناعات المتكاملة من أوربا وأمريكا .

الهوامش والمراجع

١ – محمد سميح عافية وأحمد عمران منصور ، تنمية الموارد المعدنية في الوطن العربي معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٧ ص ٢ وكذلك محمد فتحي عوض الله ، الانسان والثروات المعدنية – سلسلة اعلام المعرفة (٢٣) الكويت ١٩٨٠ ص ٨ – ٢٩

٢ – محمد سميح – مصدر سابق ص ١٨ – ١٩ .

٣ – المصدر السابق ٨ .

٤ – محمد أزهر السماك وأخرين، جغرافية الموارد المعدنية في العراق والوطن العربي مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٢ ص ٤٠١، ٤٠٢ .

٥ – راجع محمد سميح عافية مصدر سابق ص ١١٥ .

٦ – محمد فتحي عوض الله – مصدر سابق ص ٢٨٣ – ٢٨٤ ومحمد سميح مصدر سابق ايضاً ص ١١٦ – ١١٩ .

٧ – محمد ازهر السماك ، مصدر سابق ص ٤١٦ – ٤٤٢ .

٨ – محمد سميح عافية مصدر سابق، ملحق رقم ٤ ص ٦٦٨ – ٦٧٠ .

٩ – محمد فتحي عوض الله ، مصدر سابق ص ٢٦٢ .

١٠ – محمد سميح عافية ، مصدر سابق ص ٤١ .

١١ – المصدر السابق ص ٤١ – ٤٢ .

١٢ – المصدر السابق ص ٦٨ – ٦٩ .

١٣ – المصدر السابق ص ٧٢ – ٧٣ .

١٤ – محمد فتحي عوض الله ، مصدر سابق ص ٢٧٤ .

١٥ – احصائيات هيئة الامم التي شير اليها اثناء البحث والجداول .

١٦ – مهدي الصحاف ووفيق الخشاب اهم الموارد المعدنية في المغرب العربي الرواسب الفلزية ونطاق الفوسفات – الجامعة المستنصرية/ من بحوث الندوة .

١٧ – عبد العزيز محمد حبيب. الطاقة في المغرب العربي/ الجامعة المستنصرية من بحوث الندوة .

تقييم الخدمات المكتبية لمركز التوثيق العلمي ومكتبات مراكز البحوث في مجلس البحث العلمي في القطر العراقي

الدكتور جاسم محمد جرجيس
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

السيدة روباك محمد علي
مركز التوثيق العلمي

يهدف هذا البحث إلى دراسة واقع مركز التوثيق العلمي والمكتبات الفرعية لمراكز البحوث في مجلس البحث العلمي في العراق كما يستهدف البحث دراسة الخدمات والفعاليات والأنشطة التي تقدمها هذه المكتبات والمركز ومدى استخدام تلك المرافق العلمية من قبل الباحثين وافادتهم منها .

استخدم المنهج الوصفي القائم على التحليل والنقد والملاحظات الميدانية وقد تم تجميع البيانات بواسطة استبيانين : الأول خاص بالمستفيدين من الخدمات المكتبية والتوثيقية ، والثاني خاص بأمناء المكتبات اضافة إلى طريقة المسح والملاحظة المباشرة .

من ابرز النتائج والتوصيات التي توصلت اليها هذه الدراسة :
أولا : ان ٥٥ ٪ من الباحثين يعتمدون على مكتبات المجلس في حصولهم على آخر المعلومات في مجال اختصاصهم . ثانياً : ان ٦٣٫٤ ٪ من الباحثين ذكروا أن نتائج البحث البيليوغرافي وصلت في الوقت المناسب . ثالثاً : ان ٨٥ ٪منهم ذكروا أن خدمات البحث البيليوغرافي التي يقدمها لهم مركز التوثيق العلمي كانت جيدة . رابعاً : ضرورة وضع سياسة مكتوبة تعتمد في عملية أختيار المواد المكتبية واعارتها .

القسم الأول

الاطار العام للبحث

اهمية البحث والحاجة اليه :

ان حجم المعلومات العلمية والفنية في العصر الحديث وصل إلى درجة كبيرة لم يسبق لها مثيل في تأريخ الحضارة الأنسانية ، ودخل العالم عصر ثورة علمية وانفجار هائل في المعلومات . يشير العالم الأمريكي دي سولا برايس (١) DeSolaPrice إلى أنه في الوقت الذي يزداد فيه سكان العالم إلى الضعف كل خمسين سنة فأن نسبة العاملين الجدد في الحقول العلمية لكل الف مواطن تتضاعف كل عشرين سنة ، وان كلا من عدد العلماء المؤهلين وعدد المجلات العلمية يتضاعف كل خمس عشرة سنة وان الناتج الفكري لموضوعات معينة كاشعة اكس مثلاً أو علم النفس التجريبي يتضاعف كل عشر سنوات(٢) ان «انفجار المعلومات» والمتمثل في حجم مايطبع وينشر من معلومات علمية عبر قنوات بث المعلومات المختلفة التقليدية منها والحديثة جعل من الصعب على أي عالم متخصص أن يتابع كل مايصدر في حقل تخصصه ومما زاد من تعقيد عملية متابعة الباحثين والعلماء لما يجد في مجالات تخصصهم ، اللغات التي تنشر بها المعلومات التي وصلت بدورها إلى أكثر من ثلاثين لغة ، اضافة إلى الأشكال التي تنشر بها تلك المعلومات والكتب والدوريات ، نجد التقارير والحوليات والقصاصات والرسوم البيانية والصور والأفلام بأشكالها المختلفة والمصغرات (Microforms) .

ان هذه العوامل منفردة ومجتمعة جعلت من الصعب على الباحثين معرفة مايدور في جهات بعيدة عنهم وادى إلى تكرار البحوث العلمية التي ينفق عليها الكثير من المال والجهد ، وان كانت مشكلة الحصول على المعلومات المطلوبة قد اصبحت معقدة بالنسبة للباحث الفرد ، فأنها اكثر تعقيدا بالنسبة للمؤسسات الصناعية والاجتماعية والسياسية المعاصرة التي يتحتم عليها ان تحصل على معلومات محددة في وقت معين لاتخاذ قرارات حاسمة تتعلق بنشاطها ومستقبلها ومن هنا فقد ظهرت الحاجة إلى انشاء خدمات المعلومات ومراكز التوثيق باشكالها المختلفة للقيام بعمليات التوثيق المتعددة لتحقيق الهدف المثالي لنظام المعلومات ، وهو تقديم المعلومات المناسبة في الوقت المناسب وبالقدر المناسب .

---

(١) Price, D.S. Little Science, Big Science. Colombia, 1965 P. 118.

(٢) ميخائيلوف وكلياريفسكي. مدخل في علم المعلومات والتوثيق. ترجمة نزار محمد علي قاسم . جامعة الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر. ١٩٨٢ . ص ١٤.

وفي قطرنا العراقي الذي تشكل فيه المعلومات جزءا من ثرواته الوطنية تم انشاء مركز متخصص للتوثيق العلمي في مجلس البحث العلمي يهدف إلى « جمع وتحليل وخزن الأنتاج العلمي العراقي والعربي والعالمي ، ونشر المعلومات عنه وتسهيل سبل استرجاعه لخدمة الباحثين ، واعداد البيليوغرافيات والفهارس والكشافات بما يؤمن سرعة الرجوع اليه ، والقيام بخدمات الاعلام العلمي لتعريف العلماء والباحثين بما يجد في العلوم قطريا وعربيا وعالميا ، اضافة إلى قيامه بتنظيم عمليات نشر وتوزيع الأنتاج العلمي في المجلس» (١)

ونظرا لان المركز المذكور قد أسس قبل اكثر من عشر سنوات فهو بحاجة لدراسة علمية منهجية يعرف من خلالها ماحققه هذا المركز من الاهداف المرسومة وتشخيص عناصر القوة والايجابية في مسيرته لكي يتمكن من التأكيد عليها ودعمها وتحديد العوامل التي تعرقل العمل في هذه المؤسسة الفتية نسبيا من أجل التغلب عليها حيث ان الخطوة الأولى للسير في الأتجاه الصحيح للتغلب على المعوقات هي تشخيص نقاط الضعف .

وتأتي أهمية هذا البحث من ان الاستنتاجات التي سيخرج بها ستفيد في تطوير اساليب العمل المعمول بها حاليا في مركز التوثيق العلمي و المكتبات التابعة لمراكز البحوث في المجلس .

واخيراً فأن التعرف على اراء المستفيدين من خدمات مركز التوثيق العلمي ومكتبات المجلس سيغني بلا شك النتائج التي سيتوصل اليها البحث ، حيث ان مدى قناعتهم بمستوى الخدمات العلمية التي تقدمها لهم سيكون مؤشرا مهما في الحكم على كفاءة تلك الخدمات وسيكون مقدار الرضا عنها معيارا مهما ومؤشرا لابد منه للنهوض بمستوى تلك الخدمات.

مشكلة البحث :

يهدف هذا البحث ، دراسة واقع مركز التوثيق العلمي ومكتبات مجلس البحث العلمي، والخدمات التي تقدم للمستفيدين من هذه المكتبات والمركز ومدى استخدام تلك المرافق العلمية والافادة منها وعليه فأن الباحثين سيحاولان من خلال هذه الدراسة ايجاد اجابات ملائمة للاسئلة التالية : —

١ — ماهو واقع مركز التوثيق العلمي والمكتبات الفرعية التابعة لمراكز البحوث في مجلس البحث العلمي ؟ وما هي المشكلات التي تعترض هذه المؤسسات ؟

٢ — إلى أي مدى استطاع المركز والمكتبات قيد الدرس تأمين احتياجات الباحثين من المعلومات ؟

---

(١) الوقائع العراقية عدد ٢٨٢٧، ١٩٨١/٤/٢٧، ص ٣٩٧.

٣ – ماهي الخدمات والفعاليات التي ينبغي ان يقوم بها المركز والمكتبات الفرعية التابعة لمراكز البحوث في المجلس والتي تجعلها قادرة على تحقيق الاهداف والاغراض المرسومة لها ؟

٤ – مدى الافادة من هذه المرافق العلمية وحجم استخدامها من قبل الباحثين ؟

خطة البحث :

للاجابة عن الاسئلة المذكورة التي تضمنتها مشكلة البحث سوف تسير خطة البحث على النحو التالي :

١ – القسم الاول : الاطار العام للبحث ويتضمن توضيح اهميته ومبرراته ، وموضوعه، واهدافه ، ومنهجه ، وذكر بعض الدراسات السابقة التي تناولت موضوع هذه الدراسة

٢ – القسم الثاني : يعطي فكرة تأريخية ووصفية لمراكز ومكتبات مجلس البحث العلمي ويتناول بالتفصيل مركز التوثيق العلمي واهميته واهدافه وأقسامه والتطورات التي مر بها .

٣ – القسم الثالث : – خصص للدراسة الميدانية ولعرض الوسائل التي استخدمت في تجميع البيانات وطرقها .

٤ – القسم الرابع : ويتضمن النتائج والتوصيات التي خرج بها البحث

منهج البحث وادواته :

لما كان البحث يتناول مشكلة ميدانية حقيقية لذا استخدمت اكثر من اداة في تجميع البيانات اللازمة عن موضوع الدراسة والمنهج الوصفي وبأدوات هي : –

١ – تحليل ودراسة الخطط السنوية ومانشر من بيانات رسمية وتقارير وانظمة وتعليمات ووثائق واحصاءات خاصة بمركز التوثيق العلمي ومكتبات مجلس البحث العلمي .

٢ – الاستبيانات : وزع استبيانين الأول خاص بالمستفيدين من خدمات مركز التوثيق العلمي ومكتبات المجلس للتعرف على مدى استفادة هؤلاء من الخدمات التي تقدم والمعوقات التي تواجههم اثناء افادتهم من تلك الخدمات ، الثاني خاص بامناء مكتبات تلك المراكز ، الغرض منه التعرف على السياسة المتبعة في تقديم الخدمات التوثيقية والمكتبية وبرامج العمل في تلك المرافق .

٣ – رصدت المكتبات التي شملها البحث لمدة اسبوع كامل لمراقبة طبيعة العمل فيها كما وزعت استمارة مسح Survey Format للتعرف على مدى الافادة الحقيقية والاستخدام الفعلي لخدمات تلك المرافق .

٤ ــ دراسة المواد المكتبية التي استخدمها الباحثون في اعداد بحوثهم للتأكد من مدى توفر تلك المصادر في مكتبات مراكز البحوث في مجلس البحث العلمي للتوصل بالنتيجة إلى دور تلك المكتبات الفعلي في توفير المصادر التي اعتمدت فعلا في كتابة البحوث المنجزة في المجلس .

حدود البحث

١ ــ اقتصر البحث على دراسة الخدمات المكتبية في مركز التوثيق العلمي ومكتبات مراكز البحوث في المجلس فقط .

٢ ــ ان الفترة المشمولة بالدراسة هي ابتداء من عام ١٩٧٦ ولغاية عام ١٩٨٢ .

الدراسات السابقة :

تعتبر الدراسة التي اعدها الدكتور احمد حلمي هلال (١) خبير اليونسكو في نهاية مهمته التي استمرت حوالي ثلاثة اشهر اول دراسة تناولت مركز التوثيق العلمي والخدمات المكتبية والتوثيقية التي تقدمها مكتبات مراكز البحوث في المجلس .

أبتدأ المؤلف التقرير بوصف المكتبات العراقية والخدمات التي تقدمها ونظم العمل فيها وطرق تمويلها ومواصفات العاملين فيها ثم قدم وصفا لمواقع التعليم المكتبي في العراق . وقد خصص القسم الباقي من التقرير لتقديم شرحا وافيا للاقسام المختلفة التي سوف تكون وحدات مركز التوثيق العلمي وطرق العمل لكل قسم من تلك الاقسام وقد اختتم المؤلف تقريره بالتوصيات التي يراها كفيلة بتأسيس مركز وطني للتوثيق في العراق مع رسم لخطة عمل مقترحة لتنفيذ المشروع ضمن برنامج (UNDP)

والمادة الثانية في هذا العرض هي مقالة الدكتور طالب الشريفي (٢) الذي كان اول مدير لمركز التوثيق العلمي ونشرت بالانكليزية . تضمنت المقالة وصفا لطبيعة مركز التوثيق العلمي واهدافه ووظائفه والخدمات التي يقدمها والاقسام التي يتكون منها المركز .

---

(١) – Helal, A.H. Iraqi *Scientific Documentation Centre*. 1972 Paris, 1972, 61 P.

(٢) El-Sharifi, T.H. Iraqi Scientific Documentation Centre *Unesco Bulletin for liprarais, Vol 24, no 11, P37-39.*

والمادة الثالثة في هذا العرض هي تقرير سيمون فرنسيس (١) بالانكليزية والذي يتضمن وصفا للخدمات التوثيقية التي يقدمها مركز التوثيق العلمي ومكتبات مراكز البحوث في مؤسسة البحث العلمي انذاك اضافة الى استعراض الخدمات المكتبية التي تقدمها المكتبات الجامعية العراقية كما يتضمن التوصيات والمقترحات الخاصة بتطوير تلك الخدمات .

والدراسة الاخيرة في هذا العرض اعدها مركز التوثيق العلمي (٢) من خلال خطة عمل المركز للسنوات ١٩٨٢ ــ ١٩٨٥ .

ضمن هذه الخطة نجد اشارة الى ان المركز قام بمحاولة لتقييم الخدمات التي يقدمها ووزع استبيان على الباحثين في المجلس وكانت الاهداف الرئيسية للاستبيان هي مايلي : ــ

١ ــ التعرف على رأي الباحثين بالمركز .

٢ ــ التعرف على اساليب العمل في المراكز والجامعات التي سبق للباحثين العمل فيها او الدراسة فيها .

٣ ــ التعرف على اهم المقترحات التي يرغب الباحثون رفعها للمركز بخصوص اساليب عمل المركز وكيفية تطويرها .

ان ادارة المركز كانت تهدف من خلال تحليل نتائج الاستبيان الى وضع خطة اولية لعرضهاعلى الباحثين في ندوة اعدت لهذا الغرض ومن ثم التوصل الى خطة عمل شاملة للمركز للسنوات القادمة .

ومن خلال هذا العرض للدراسات السابقة التي تناولت موضوع البحث اتضح لنا عدم وجود دراسة تناولت الجوانب الكمية والنوعية للخدمات التي يقدمها مركز التوثيق العلمي والمكتبات المشمولة بالبحث كما هو الحال في هذه الدراسة ومن هنا تأتي اهمية هذا البحث الذي سيتم التركيز فيه على تقييم ومقياس اداء هذه المؤسسات الحيوية .

---

(١) Francis, Simon. Development Documentation and Academic Library Services. Unesco, Paris, 1977, 51p.

(٢) مركز التوثيق العلمي. خطة عمل مركز التوثيق العلمي للسنوات ٨٢ ــ ٨٥ مركز التوثيق العلمي، مجلس البحث العلمي. بغداد، تموز ١٩٨٢، ٣٣ ص

القسم الثاني

مجلس البحث العلمي

يمكن اعتبار عام ١٩٦٣ عندما انشأ (المجلس الاعلى للبحوث العلمية) والذي كان مرتبطا بجامعة بغداد ، بداية لتكوين اول جهاز في القطر العراقي يعني بتنظيم شؤون البحث العلمي . وفي سنة ١٩٦٧ غير اسم الجهاز وغيرت جهة ارتباطه حيث اصبح (مجلس البحث العلمي) وارتبط بمجلس الوزراء . عند تأسيس وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في سنة ١٩٧٠ تغير اسم المجلس الى مؤسسة البحث العلمي وارتبطت المؤسسة بتلك الوزارة . وفي عام ١٩٧٤ ارتبطت مؤسسة البحث العلمي بمجلس التخطيط واستمر ذلك الارتباط ست سنوات . وعندما شرع القانون رقم ١٧٢ لسنة ١٩٨٠ والذي تضمن تأسيس (مجلس - البحث العلمي) في الجمهورية العراقية بأهدافه وتشكيلاته الادارية الجديدة تقرر ربطه بمجلس الوزراء .

اهداف مجلس البحث العلمي :

١ - النهوض بالبحث العلمي في جميع الاختصاصات والقطاعات وخصوصا مايتعلق بتنمية موارد وثروات القطر على اختلاف انواعها وصيغها بما يؤدي الى ترسيخ المقومات الاساسية للتقدم العلمي والاقتصاد القومي .

٢ - تكييف اتجاهات استخدام العلم والتكنولوجيا ، والتعامل مع مبتكراتهما ووضعهما بصيغ علمية ، بما يحقق اهداف قيادة الحزب والثورة ويتلائم مع الظروف والمعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة .

٣ - خلق القاعدة العلمية الرصينة في القطر ضمن الاطار الوحدوي الأشتراكي للدولة والسعي الدائم لتركيز مفاهيم العلم والبحث العلمي في جميع مفاصل الحياة ، واستقطاب الامكانات البشرية المتاحة بهدف ايجاد نخبة من العلماء والباحثين القادرين على تحمل اعباء القفزة النوعية التي تسعى اليها قيادة الحزب والثورة في مجال التعامل مع العلم والتكنولوجيا .

٤ - تعميق صيغ الربط بين نتائج البحوث الأساسية التي تقوم بها الجامعات والمعاهد العلمية من جهة ، ومتطلبات البحوث التطبيقية التي تقوم بها وحدات البحث والتطوير العاملة في دوائر الدولة والقطاع الأشتراكي من جهة اخرى لغرض ترجمة البحوث وتكييفها لخدمة التنمية الأقتصادية والاجتماعية في القطر .

اقسام المجلس :

يتكون مجلس البحث العلمي اضافة إلى مركز المجلس والذي يضم هيئة المجلس العلمية برئاسة رئيس المجلس والذي هو بدرجة وزير ودائرة الشؤون العلمية والقسم الخاص ، من ثمان مراكز للبحوث وهذه المراكز مستقلة ماليا واداريا ويدير كل منها مجلس ادارة برئاسة مدير عام المركز ويضم في عضويته ممثلين من الجهات المختصة في القطر اضافة إلى عدد من رؤساء الاقسام في المركز وتهدف هذه المراكز إلى تحقيق النهوض بالبحث العلمي كل في مجال تخصصه والمراكز الثمانية التي يتكون منها المجلس هي :
١ - مركز البحوث الزراعية والمواد المائية ٢ - مركز بحوث علوم الحياة ٣ - مركز بحوث البناء ٤ - مركز بحوث الفضاء والفلك ٥ - مركز التوثيق العلمي ٦ - مركز الطاقة الشمسية ٧ - مركز بحوث النفط ٨ - مركز البحوث الالكترونية والحاسبات .

مركز التوثيق العلمي :

تأسس المركز عام ١٩٧٢ شغل بنايتين في موقعين مختلفين قبل انتقاله في عام ١٩٧٦ الى بنايته الحالية ضمن ابنية مجلس البحث العلمي في الجادرية . تعاقب على رئاسة المركز خمسة اشخاص ثلاثة منهم يحملون شهادة الدكتوراه في موضوعات علمية والاخرين يحملان شهادة الماجستير في علم المكتبات . والمدير العام الحالي حاصل على شهادة الدكتوراه في موضوع الصناعات الغذائية .

يعمل في المركز ستون شخصا اثنان من حملة شهادة الماجستير وتسع من حملة شهادة الدبلوم العالي وثمان من حملة شهادة البكالوريوس اما الباقي فهم من الكوادر الوسيطة المساعدة والعمال .

يتألف المركز من الاقسام التالية : -

اولا : قسم الخدمات الفنية :

يعمل في القسم اربعة موظفين حاصلين على شهادة الدبلوم العالي في علم المكتبات والتوثيق واربعة اخرون حاصلون على دبلوم اولي في نفس الاختصاص .

ويقوم القسم بتسليم الطلبات الخاصة بالمراكز التابعة لمجلس البحث العلمي من الدوريات والكتب وتدقيقها ، وطلب المواد من المجهزين وتسلمها وفهرستها بعد تسجيلها ، واعداد بطاقات الفهرسة بالمجموعات اللازمة لها ، ومتابعة تحويل اثمان تلك المواد وعمليات تسلم مطبوعات المركز المرسلة كهدايا والمستلمة كذلك .

يتألف القسم من شعبتين هما : —

(آ) شعبة الكتب : — تقوم بتنفيذ طلبات الكتب والاطروحات والبحوث والدراسات داخل القطر وخارجه واستلام الهدايا وادخالها ضمن مجاميع المكتبات بعد اجراء العمليات الفنية عليها ويوجد في الشعبة فهرس بطاقي يضم بطاقات الكتب في مكتبات المجلس .

(ب) شعبة الدوريات : تقوم بتنفيذ طلبات المجلات العلمية للمراكز التابعة للمجلس ويوجد فيها فهرس بطاقي موحد خاص بمجلات المجلس تقوم هذه الشعبة بتلبية طلبات المستفيدين من داخل وخارج المجلس من المقالات العلمية سواء المتوفر منها داخل القطر او خارجه .

ثانياً — قسم المعلومات :

يعمل في القسم موظف حاصل على شهادة الماجستير واربعة من الموظفين الحاصلين على شهادة الدبلوم العالي في علم المكتبات واخر حاصل على شهادة البكلوريوس في العلوم الزراعية واثنان من الكوادر الوسطية المساعدة يقوم القسم باصدار المطبوعات الدورية التالية :

١ — الكشاف التحليلي للمجلات العراقية .
٢ — نشرة الأبحاث الجارية في القطر .
٣ — نشرة الأبحاث المنجزة في المجلس .
٤ — نشرة الأبحاث المنجزة في القطر .
٥ — مستخلصات الرسائل الجامعية العراقية .
٦ — نشرة المركز — ويشمل على قوائم الكتب والمجلات الجديدة التي ترد ،

ثالثاً — قسم المكتبة :

يتولى تقديم الخدمات المكتبية للباحثين العاملين في مجلس البحث العلمي وخارجه ، ويشتمل على المكتبات التالية :

١ — مكتبة مركز بحوث النفط .
٢ — مكتبة مركز بحوث البناء .
٣ — مكتبة مركز البحوث الزراعية والموارد المائية .
٤ — مكتبة مركز بحوث علوم الحياة ومركز التوثيق العلمي .

يعمل في القسم خمسة من الموظفين الحاصلين على شهادة الدبلوم الاولى في علم المكتبات

رابعاً ــ قسم الخدمات المساعدة :

يعمل في القسم ثلاثة عشر فردا بين موظف وعامل يتولون تقديم الخدمات المساعدة كالطباعة والرسم والاستنساخ والتصوير والمايكروفيلم والتلكس والصيانة بما يضمن قيام المركز بتقديم خدماته في مجال التوثيق العلمي على افضل وجه .

خامساً : القسم الاداري :

يعمل في القسم خمسة من الموظفين يتولون القيام بالاعمال الادارية المتعلقة بنشاطات المركز ، بما فيها اعداد خطة الافراد والملاك ، وتنظيم شؤون الافراد العاملين في المركز وادارة شؤون البريد والحفظ وتقديم الخدمات الادارية المختلفة والقيام بجميع الاعمال الحسابية المتعلقة بمصروفات وايرادات المركز .

سادساً ــ وحدة الخدمات الخاصة :

يعمل في القسم ثلاثة من الموظفين يتولون تنظيم مواعيد واجتماعات واتصالات مدير عام المركز ومساعدته في تنظيم مناهج ومحاضر جلسات مجلس الادارة ، واللجان التي يرأسها او يشارك فيها ، وتنظيم شؤون البريد والحفظ السري والاشراف على مراسلاته .

مكتبات مجلس البحث العلمي :

يوجد في مجلس البحث العلمي اربع مكتبات هي :

١ ــ مكتبة مركز بحوث علوم الحياة ومركز التوثيق العلمي :ــ

تشغل هذه المكتبة بناية تقع ضمن مجمع مركز بحوث علوم الحياة في المجلس وقد بنيت بطريقة البناء الجاهز وتبلغ مساحتها ٣٠٠ مترمربع . وقسمت هذه المكتبة إلى قسمين متساويين ، يحتوي القسم الأيسر منها على المجموعة المكتبية الخاصة بمركز التوثيق العلمي من كتب ودوريات والتي تبلغ حوالي ١٠٠٠ كتاب و٣٧٠ دورية اضافة إلى مجموعة كبيرة من التقارير والقسم الأيمن منها يحتوي على المجاميع المكتبية الخاصة بكل من :

١ ــ مركز البحوث الالكترونية والحاسبات وتتكون هذه المجموعة من ٢٠٠ كتاب و٣٢ مجلة .

٢ ــ مركز بحوث علوم الحياة : وتتكون هذه المجموعة من ٣٠٠٠ كتاب و ٣٥٠ مجلة .

٣ ــ مركز بحوث الفضاء والفلك وتتكون هذه المجموعة من ٥٠٠ كتاب و٥٩ مجلة.

تضم هذه المكتبة الرسائل الجامعية للطلبة العراقيين المجازة من الجامعات داخل القطر او خارجه ، اضافة إلى الكشافات والمستخلصات المشترك بها من قبل مراكز المجلس.

٢ ــ مكتبة مركز بحوث النفط (المركزية) :

تقع هذه المكتبة في الطابق الارضي من بناية مركز بحوث النفط وتشمل مجاميعها على اختصاصات كل من مركز بحوث النفط وقسم التلوث بمركز بحوث علوم الحياة وقسم التربة واستصلاح الأراضي وقسم الموارد المائية من مركز البحوث الزراعية والموارد المائية .

يبلغ حجم المجموعة المكتبية ١١٣٥٠ كتاب و٣٩٥ دورية ويتم طلب المواد المكتبية عن طريق مركز التوثيق العلمي .

٣ ــ مكتبة مركز بحوث البناء :

تشغل المكتبة جزء صغير من الطابق الأول من بناية مركز بحوث البناء ، مجاميعها خاصة بكل من مركز بحوث الطاقة الشمسية ومركز بحوث البناء وتبلغ مجاميعها حوالي ٢٥٠٠ كتاب و٢٦٧ دورية تضم المكتبة مجموعة جيدة من المواصفات والمقاييس الدولية يتم طلبها من خلال الجهاز المركزي للتقييس والسيطرة النوعية كما تحتوي على البحوث وتقارير الندوات والافلام العلمية في مختلف اختصاصات الاقسام العلمية للمركز كما يوجد برنامج لتبادل المطبوعات بين المكتبة والجهات العلمية العربية والأجنبية .

٤ ــ مكتبة مركز البحوث الزراعية والموارد المائية :

تشغل المكتبة جزء من بناية الادارة في مركز البحوث الزراعية والموارد المائية في الفضيلية تبلغ موجوداتها حوالي ٥٥٥٤ كتاب و٥٦٨ دورية . وقد الحق بهذه المكتبة مجاميع مركز بحوث النخيل والتمور الذي ادمج مع مركز البحوث الزراعية والموارد المائية .

القسم الثالث

الدراسة الميدانية :

يتناول هذا القسم الدراسة الميدانية وعرض الوسائل التي استخدمت في تجميع البيانات عن موضوع الدراسة .

بعد عرض الواقع الراهن لمركز التوثيق العلمي ومكتبات مراكز البحوث التابعة لمجلس البحث العلمي ، تتركز مشكلة البحث كما سبقت الأشارة في تبيان نقاط القوة والضعف في الخدمات التوثيقية والمكتبية التي تقدمها تلك المرافق العلمية والخطوات والوسائل التي تسلكها في دعمها للبحث العلمي والتكنولوجي الذي يجرى في القطر العراقي . هذا قد استخدمت ثلاث طرق في تجميع البيانات الخاصة بهذه الدراسة . ان استخدام اكثر من طريقة في تجميع البيانات يرجع في الأساس إلى ان ذلك سيؤدي إلى الحصول على نتائج أفضل مما لو استخدمت طريقة واحدة في تجميع البيانات وبهذا الصدد تشير جوليان سايمون بأن جمع عدة طرائق في البحث يعطي اجوبة افضل من استخدام طريقة واحدة(١).

أولا : طريقة استطلاع آراء العاملين والمستفيدين :

لغرض الحصول على معلومات واقعية عن الخدمات التوثيقية والمكتبية التي يقدمها مركز التوثيق العلمي ومكتبات مراكز البحوث وللتعرف على المعوقات والمشاكل التي تعاني منها هذه المرافق استخدم استبيانين الأول خاص بالمستفيدين من خدمات تلك المرافق الحيوية والثاني خاص بامناء المكتبات وفيما يلي الخطوات المنهجية التي اتبعت في تصميم الاستبيانين .

(أ) الاستبيان الخاص بالمستفيدين

الغرض منه ، الحصول على بيانات عن طبيعة الخدمات المقدمة في مركز التوثيق العلمي ومكتبات المجلس اضافة الى الطرق التي يسلكها الباحثون في الحصول على المعلومات في المكتبات موضوع بحثنا هذا ومعرفة الاسباب التي تحد من الافادة من الامكانات المتوفرة في تلك المرافق وتشخيص الصعوبات التي تواجه المستفيدين خلال استخدامهم لها لقد

(١) Simon, J. L. Basic resarch Methods in social Sciences N. Y. Random House, 1969 P. 46

اتبعت عدة خطوات في اعداد الاستبيان واعتمدت على دراسات في اعداد الاسئلة التي تضمنها الاستبيان اضافة الى الافادة من خبرة المتخصصين في مجال علم المعلومات والمكتبات عند صياغة الاسئلة . طبق الاستبيان على عينة من خمسة عشر متخصصا للتعرف على ارائهم وملاحظاتهم من حيث وضوح عباراته وسهولة اسلوبه ومايبغي تعديله او اضافته او حذفه او تغييره . ثم دراسة صدق الاستبيان وثباته حتى يكون ممثلا للغرض الذي وضع من اجله ، وبعد اعداده بصيغته النهائية تقرر تطبيقه على كافة الباحثين لان المجتمع المدروس ليس من الكبر بحيث يضطرنا اللجوء الى اختيار عينه . ان عدد افراد المجتمع المشمول بالدراسة يبلغ ٣٥٠ شخصا ومن المعلوم في طرق البحث العلمي ان القيام بالبحث على جميع افراد المجتمع الاصلي بما تتضمنه العملية من صعوبات هو أمر محبذ ويعطي نتائج أفضل مما لو لجأنا الى اختيار العينات لتمثيل هذا المجتمع .

لغرض ضمان تطبيق الاستبيان بشكل جيد قامت الباحثة بتوزيعه على الاشخاص المشمولين بالبحث وامضت الكثير من الوقت معهم للرد على استفساراتهم وتسلم الاستبيانات منهم بعد ملئها وفي الحالات التي تعذر اتباع مثل هذا الاسلوب نظرا لكثرة المشمولين بالدراسة وتوزيعهم الجغرافي فقد طلبت من المشاركين بالدراسة ارجاع الاستبيان بعد ملئه الى شخص محدد في المركز الذي ينتسبون اليه وبهذه الطريقة ضمن نسبة رجوع عالية جدا للاستبيانات والتي بلغت ٩٦٪ حيث ان المتابعة الشخصية وتعاون الاشخاص الذين عينوا لغرض تسلم الاستبيانات بعد ملئها اظهرت للمشاركين مدى اهمية البحث .

(ب) الاستبيان الخاص بامناء المكتبات

اعد استبيان لغرض التعرف على واقع التوثيق العلمي ومكتبات مراكز البحوث والتعرف على ماهية وظائف وانشطة هذه المرافق والسياسة المتبعة في تقديم الخدمات المناطة بها ووزع على كل من السيد المدير العام لمركز التوثيق العلمي وأمناء مكتبات مراكز البحوث المشمولة بالدراسة واتبعت في اعداده وتطبيقه نفس الخطوات المنهجية التي اتبعت في الاستبيان الخاص بالمستفيدين والتي ضمنت صدق الاستبيان وثباته كما ضمنت نسبة ارجاع عالية جدا حيث اجاب امناء المكتبات كافة والسيد مدير عام مركز التوثيق العلمي على الاستبيان .

ثانياً ــ طريقة المسح Survey

يعرف موريس لاين Maurice Line مسوحات المكتبات Library Surveys بانها تجميع منظم لبيانات تخص تلك المكتبات من انشطة وعمليات ، وعامليـــن ، واستخدام ، والمستفيدين منها في وقت معين او عبر فترة زمنية محددة (١) ، وتعتبـــر الدراسات المسحية من اوسع طرق البحث واكثرها انتشارا واستعمالاً في البحوث الوصفية كما هو الحال في هذه الدراسة . ولغرض تجميع بيانات دقيقة عن مشكلة البحث استخدمت طريقة المسح اضافة الى الطريقتين الاخريين اللتين استخدمتا في تجميع البيانات وبهـذه الطريقة تم تحديد الاستخدام الحقيقي والواقعي للمكتبات وعدد المستفيدين الحقيقيين خلال الفترة التي حددت لرصد ومراقبة تلك المكتبات اضافة الى التعرف على هوية المستفيديـن فيما اذا كانوا من منتسبي المجلس ام من خارجه واختصاصاتهم والوقت الذي امضـوه في المكتبة والغرض الذي دفعوا الى المكتبة من اجله تم الاتفاق مع امناء المكتبات على قيامهم بتوزيع نسخة من استمارة المسح على كل من يدخل مكتباتهم خلال تلك الفترة وقد حددت الفترة الزمنية بستة ايام لتجري اللاحقة خلالها باعتبار ان هذه الفترة ستكون ممثلة للاستخدام الواقعي لتلك المكتبات .

ثالثاً طريقة التحليل الببليوغرافي

لكي تكون العينة المشمولة بالتحليل الببليوغرافي ممثلة لمختلف مراكز البحوث في مجلس البحث العلمي ولكي يكون عدد البحوث المشمولة بالعينة من كل مركز متناسبا مع العدد الكلي للبحوث المنجزة في ذلك المركز اعتمدت العينة الحصصية العشوائية Random Sample Stratified في تصميم العينة التـــي اخضعت لتحليل الببليوغرافي والتـي تمثل المجتمع الاصلي .

ولتكوين هذه العينة اعدت قائمة بجميع البحوث التي انجزت في مجلس البحث العلمي المنجزة من ١٩٧١ – ١٩٨١ وبلغ مجموعها ٨٧٢ بحثا (١) كما موضح في الجدول رقم (٢) . تم اختيار عينة حصصية بنسبة ١ : ٦ وبحساب هذه النسبة في عدد البحوث المنجزة

---

(١) – Line, Maurice. *Library Surveys*. London, Clive Bingley, 1967 P.12.

(٢) مجلس البحث العلمي ، مركز التوثيق العلمي . الابحاث العلمية المنجزة في مجلس البحث العلمي ، ١٩٧٩ ، ١٩٨١ .

في كل مركز بلغ حجم العينة ٦٤ بحثا . اتبع الاسلوب العشوائي في اختيار البحوث التي تتكون منها العينة ضمن كل مركز وبهذا ازداد احتمال تمثيل كل مركز من هذه المراكز في العينة وفي نفس الوقت تم ضمان توفير ميزات العينة العشوائية في العينة المشمولة بالتحليل الببليوغرافي .

اخذت قائمة المراجع او مصادر البحث في كل بحث وتم تدقيقها في الفهرس البطاقي العام الموجود في مركز التوثيق العلمي للتأكد من وجودها او عدم وجودها . اما في حالة اعتماد المؤلف على بحث منشور في دورية فقد تم التدقيق في فهرس الدوريات الموحد لمكتبات مراكز البحوث في مجلس البحث العلمي وذلك للتأكد من وجود او عدم وجود تلك الدورية المنشور فيها البحث اضافة الى فهرس الدوريات البطاقي العام لمركز التوثيق العلمي وتم التأكيد على العدد المعين المنشور فيه البحث ويوضح الجدول رقم ١٦ مجموع المصادر التي اعتمدها الباحثون موزعة حسب مراكز البحوث مع الاشارة الى المتوفر منها وغير المتوفر في مكتبات مجلس البحث العلمي .

جدول رقم (١)

عدد الابحاث المنجزة في مجلس البحث العلمي وعدد القائمين بها في كل مركز منذ عام ١٩٧٦ (١)

المركز	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	مجموع الابحاث	مجموع الباحثين القائمين
١ ـ الزراعية	٤٣	٢٩	٢٧	٢٨	٢٨	٧	٣٠	١٩٢	٧٠
٢ ـ البناء	١١	٤	١٣	٩	٤	٥	١١	٥٧	١٩
٣ ـ النفط	٢	١٥	٥	٩	١٦	٤	١١	٦٢	٢٦
٤ ـ علوم الحياة	١١	٣	١٢	٥	١٠	١	٩	٥١	٢٥
٥ ـ الطاقة الشمسية	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	١١	١	١٢	٥
المجموع	٦٧	٥١	٥٧	٥١	٥٨	٢٨	٦١	٣٧٤	١٤٥

(١) مجلس البحث العلمي ، مركز التوثيق العلمي . الابحاث العلمية المنجزة في مجلس البحث العامي ١٩٧٩ـ ١٩٨١ .

القسم الرابع

النتائج والتوصيات

في هذا القسم سنناقش نتائج الأستبيانين الذين استخدما في تجميع البيانات ، ونتائج استمارة المسح Survey Format اضافة إلى نتائج التحليل الببليوغرافي الذي استخدم.

أولا : نتائج الاستبيان الخاص بالمستفيدين

بعد اعداد الاستبيان الخاص بصيغته النهائية تمت محاولة تطبيقه على مجتمع الدراسة وهم المنتسبون العلميون العاملون في مجلس البحث العلمي حيث بلغ عددهم ٣٥٠ وكما ذكر في القسم السابق لم يلجأ إلى العينة بل تم تطبيق الأستبيان على كل مجتمع الدراسة. وزع الاستبيان على الباحثين بلغ مجموع الاستبيانات المعادة ٢٧٢ وقد استبعد ٣٦ من الاستبيانات المعادة بسبب عدم استكمال الاجابات وعدم وضوحها وبهذا اصبحت الاستبيانات الخاضعة لهذا التحليل مكونة من (٢٣٦) استبيانا .

السؤال الأول : البحث عن المعلومات في المكتبات :

يبدأ الاستبيان بالسؤال عن الطريقة التي يتبعها الباحث في بحثه عن مطبوع معين او مادة مكتبية معينة. أجاب ٩٤ باحثا بنسبة ٣٠,٥٪ بأنهم يقومون بانفسهم وبدون مساعدة أمين المكتبة بالبحث عن رقم المادة المكتبية في الفهرس البطاقي ومن ثم يذهبون إلى رفوف المكتبة للحصول على المادة المطلوبة وقد حظيت هذه الطريقة باكبر تكرار من بين الطرق الأخرى . ذكر ٨١ باحثا بنسبة ٢٦,٣٪ انهم عند بحثهم عن المواد المكتبية في مكتبة المجالس يذهبون مباشرة إلى رفوف المكتبة . يعزى ذلك إلى ان هؤلاء الباحثين يعرفون المجموعة المكتبية بشكل جيد ومن رواد المكتبة الدائميين وكذلك إلى كون هذه المكتبات متخصصة وذات مجاميع ليست بالكبيرة .

— ذكر ٧٦ باحثا بنسبة ٢٤,٧٪ انهم يعتمدون على امين المكتبة في ايجاد المادة المكتبية المطلوبة .

— ذكر ٥٧ باحثا بنسبة ١٨,٥٪ انهم يطلبون مساعدة امين المكتبة فقط لاحضار المادة المكتبية أي انهم يفتشون عن رقم المادة المكتبية المطلوبة بانفسهم من هذا يبدو ان هؤلاء الباحثين غير مستوعبين لنظام التصنيف المتبع في مكتباتهم ومن الممكن ان يعزى ذلك إلى عملية اعادة الفهرسة والتصنيف والتغيير من نظام UDC إلى نظام مكتبة الكونكرس والتي

لم تنته بعد بالرغم من أنه قد ابتدأ بها منذ بضعة سنوات حيث نجد حاليا مجموعتين مكتبيتين ضمن المكتبة الواحدة فالباحث يوفر على نفسه الجهد بالاستعانة بامين المكتبة الذي يشعر انه اكثر معرفة بالمجموعة المكتبية ونظام التصنيف المتبع .

السؤال الثاني : الطرق التي يفضلها الباحثون في تعلم استخدام الفهرس البطاقي .

خصص السؤال للاستفسار عن الطرق التي يفضلها الباحثون في تعلم استخدام الفهرس البطاقي ويتضح من كثرة من اجاب منهم على هذا السؤال ، حيث بلغ مجموع التكرار ٢٠٩ .إن الكثير من الباحثين يلاقون صعوبة بشكل او اخر في استخدامهم للفهرس المذكور ويشير الجدول رقم (٢) إلى ابرز الطرق التي يفضلها الباحثون ممن يواجهون صعوبات في استخدام الفهارس البطاقية في تعلم استخدام تلك الفهارس وان بعض الباحثين ذكروا طرقا اخرى في هذا المجال حظيت بنسبة (٤و٣ ٪) منها : كتابة الارشادات الخاصة باستخدام الفهرس البطاقي بخط واضح وبحروف كبيرة على اوحة بالقرب من الفهرس والاستعانة بالاشرطة والشرائح الفلمية الثابتة في تعليم استخدام الفهرس البطاقي .

جدول رقم (٢) الطرق التي يفضلها الباحثون في تعلم استخدام الفهرس البطاقي

الطريقة	التكرار	النسبة ٪
١ ـ شرح يقدمه امين المكتبة	٩٨	٤٦,٩
٢ ـ قراءة نشرة قصيرة	٦١	٢٩,٢
٣ ـ مشاهدة فلم تعليمي	٤٢	٢٠,١
٤ ـ طرق اخرى	٨	٣,٤
	٢٠٩	٪١٠٠

السؤال الثالث : الاجابة على الاستفسارات المرجعية

يهدف السؤال إلى التعرف على نوع ومستوى الخدمة المرجعية التي تقدمها المكتبات موضوع بحثنا ، وقد أتضح من خلال تحليل اجوبة المستفيدين مايلي :

١ ـ ان المستوى المعتدل من الخدمة المرجعية

Moderate or Middling Reference Service

هو السائد في المكتبات المشمولة بالبحث حيث ذكر ١١١ باحثا بنسبة (٤و٥٩ ٪) انه عند تقدمهم باستفسارات مرجعية الى امين المكتبة فانه يقوم بارشادهم الى المرجع الذي يحتوي على الاجابة على استفساراتهم ويعاونهم الى حد ما بايجاد الجواب .

٢ — ذكر ٤٣ باحثا بنسبة (٤٤,٥٪) انهم قد حصلوا على الخدمة المرجعية التامة Liberal or Maximum Reference Service حيث قام امين المكتبة بايجاد الجواب لاستفساراتهم المرجعية . ذكر ٥٢ باحثا بنسبة (٥٤,١٪) ان امين المكتبة اكتفى بتوجيههم الى المرجع الذي يحتوي على الجواب وبهذا يكون امين المكتبة قد اتبع مايعرف بالخدمة المرجعية المتحفظة Conservative Reference Service نستقرىء من هذه البيانات ان المكتبات المشمولة بهذا البحث لاتقوم بايجاد الجواب للاستفسارات المرجعية توفيرا لوقت الباحث اي تقديم الخدمة المرجعية التامة وانما يكتفى فيها بالاشارة الى المراجع التي يحتمل ان يجد السائل فيها اجابة لاستفساراته واحيانا يلقى هذا السائل بعض العون من امين المكتبة .

السؤال الرابع : حجم المجموعة المكتبية

خصص السؤال لمعرفة رأي الباحثين بما يتوفر من مواد مكتبية في مكتباتهم وفيما اذا كانت المجموعة المكتبية كافية بشكل تسهل عملية الافادة القصوى منها ومن تحليل اجابات المستجيبين تبين مايلي : —

رأى ٥٥ باحثا بنسبة (٥٦/٧٪) ان مايتوفر من مواد مكتبية في مكتباتهم هو كاف بينما رأى ٤٢ باحثا بنسبة (٤٣/٣٪) أن ما يتوفر من مواد مكتبية في مكتباتهم هو غير كاف ان هذه النتيجة [illegible] توضح لنا ان المجموعة المكتبية الحالية [illegible] نقاط الضعف والقوة فيها والعمل على تعزيزها كما ونوعا بما يجعلها قادرة على تحقيق الاهداف المرسومة لها ويجعل هذه المكتبات قادرة على الايفاء بالتزاماتها تجاه الباحثين. ومما يؤيد صحة هذا الرأي هو قلة من اجاب على السؤال حيث اجاب ٩٧ شخصا فقط على السؤال من مجموع ٦٣٩ استمارة خضعت للتحليل في هذه الدراسة .

السؤال الخامس : خدمات البحث البيلوغرافي(*)

يهدف السؤال الى معرفة عدد الباحثين الذين استفادوا من خدمات البحث الببلوغرافي والذين لم يستفيدوا منها . دلت النتائج ان ٤٠ باحثا بنسبة ٥١/٧٪ لم يستفيدوا من الخدمة

(*) [illegible] في المركز .
يقصد بالبحث الببلوغرافي تقديم معلومات عن الوثائق الموجودة فعلا (مطبوعة وغير مطبوعة) بحيث يستطيع المستفيد من خلالها ان يحدد الوثائق التي تهمه وان يعرف عنوانها ومصدرها وعادة تكون هذه الوثائق حول موضوع معين او مشكلة معينة.

المذكورة وهذا الامر ملفت للنظر لان هذه الخدمة تعتبر من صميم اعمال مركز التوثيق العلمي ويبدوا ان جهل الباحثين و عدم الاعلام عنها هو الذي ادى الى مثل هذه النتيجة .

السؤال السادس : وصول نتائج البحث البيليوغرافي :

الهدف من السؤال ، معرفة اذا كان المستفيد قد استلم نتائج البحث البيليوغرافي في الوقت المناسب ام انها وصلت متاخرة مما جعلها بلا فائدة اظهرت النتائج ان ٤٥ باحثا بنسبة (٦٣/٤ ٪) تسلموا نتائج البحث البيليوغرافي في الوقت المناسب وان ٢٦ باحثا بنسبة (٣٦/٦ ٪) لم يستلموا النتائج في الوقت وانما كان وصول تلك النتائج متأخرا مما جعلها بلا فائدة بالنسبة للبحوث التي يقومون بها .

السؤال السابع : الافادة من خدمات البحث البيليوغرافي :

خصص السؤال لمعرفة رأي المستفيدين من مقدار الفائدة المتحققة من خدمات البحث البيليوغرافي التي يقدمها مركز التوثيق العلمي ، اظهرت نتائج التحليل ما يلي :

اولا : ايد ٣٨ باحثا بنسبة (٥٨/٥ ٪) ان خدمة البحث البيليوغرافي التي قدمها له المركز كانت مفيدة إلى حد ما ، كما ذكر ١٧ باحثا بنسبة (٢٦/٢ ٪) ان تلك الخدمة كانت مفيدة جدا . وبهذا نرى ان الخدمة كانت مفيدة بشكل اواخر إلى ٥٥ باحثا بنسبة (٨٤/٧ ٪) من الأشخاص الذين قدمت لهم ولكن هذه النسبة ليست كبيرة اذا علمنا ان هؤلاء الباحثين لايشكلون اكثر من ٧٥ ٪ من مجتمع الدراسة .

ثانيا : ذكر ١٠ باحثين بنسبة (١٥/٤ ٪) ان خدمة البحث البيليوغرافي التي تلقوها لم تكن ذات فائدة بالنسبة لهم . وهذه النسبة على قلتها من الممكن ان تسيء إلى سمعة هذه الخدمة والى سمعة الجهة التي تقدمها .

السؤال الثامن : مدى ملاءمة نتائج خدمات البحث البيليوغرافي لحاجات المستفيدين .

يهدف السؤال إلى معرفة رأي الباحثين بمدى ملاءمة المصادر التي قدمت لهم خلال عملية البحث البيليوغرافي للموضوع الذي يبحثون فيه ، يوضح الجدول رقم (٣) اجابات الباحثين بهذا الخصوص .

جدول رقم (٣) مدى ملائمة نتائج البحث الببليوغرافي لحاجة المستفيدين

المصادر وعلاقتها بالموضوع	التكرار	النسبة٪
١ – جميع المصادر التي احتوتها القائمة الببليوغرافية ذات علاقة بالموضوع	٣٣	٥٣,٢
٢ – بعض المصادر التي احتوتها القائمة الببليوغرافية ذات علاقة بالموضوع	٢٣	٣٧,١
٣ – جميع المصادر التي احتوتها القائمة الببليوغرافية ليست ذات علاقة بالموضوع	٦	٩,٧
	٦٢	٪١٠٠

السؤال التاسع طريقة الحصول على المعلومات الحديثة :

وعند التحري عن الطرق التي يتبعها الباحثون في حصولهم على المعلومات الحديثة اظهرت الدراسة طرقا عديدة يوضحها الجدول رقم (٤) حسب تكرارها بين مجتمع الدراسة ومن الجدير بالذكر ان ١٦ باحثاً بنسبة ٥,٤٪ ذكروا وسائل اخرى منها :

– الاتصال الشخصي بالعلماء المتخصصين في نفس الموضوع داخل القطر او خارجه .

– حضور المؤتمرات العلمية او الحلقات الدراسية والندوات التي تقام داخل القطر اوخارجه

السؤال العاشر : الأسباب التي تحد من الافادة من المجموعة المكتبية

من المسلم به ان المجموعة المكتبية هي احدى المجالات الهامة التي يمكن اخضاعها لعملية التقييم والقياس وعند تحري الاسباب التي تحد من الافادة من المجموعة المكتبية اظهرت الدراسة الاحصائية اسبابا متعددة يمكن حصرها في خمس مجالات

١ – عدم تنظيم المجموعة المكتبية :

حظي بتأييد ٣٠ باحثاً بنسبة ٣/٢٦٪ ان عدم ترتيب الكتب على الرفوف بشكل جيد ومسلسل او احياناً عدم اعادة الكتب المعارة الى اماكنها الصحيحة يجعل عملية العثور على الكتاب المعين صعبة جداً اضافة الى ان عملية تغيير نظام التصنيف من النظام العشري العالمي

جدول رقم (٤) حصول الباحثين على المعلومات

الطريقة	التكرار	النسبة٪
١ — التردد على مكتبات المجلس	١٩٤	٥٥
٢ — التردد على مكتبات اخرى (خارج المجلس)	٧٨	٢٢,١
٣ — الاشتراك الشخصي بالدوريات العلمية	٤٠	١١,٣
٤ — شراء المطبوعات من محلات بيع الكتب	٢٥	٧,١
٥ — وسائل اخرى	١٦	٤,٥
	٣٥٣	٪١٠٠

(UDC) الى نظام مكتبة الكونكرس قد ساهمت بعض الشيء في عملية الارباك هذه حيث ان تعود الباحث على نظام معين قد يجعل من الصعوبة استخدامه للنظام الجديد ولكون العملية لم تنته بعد يعني وجود مجموعتين مكتبيتين داخل المكتبة الواحدة وتجزأ المواد المكتبية الخاصة بموضوع معين الى قسمين منفصلين .

٢ — النقص في اعداد بعض الدوريات :

حظي بتأييد ٢٩ باحثاً بنسبة (٢٥,٤٪) حيث ان الكثير من اعداد اغلب الدوريات غير متوفرة وهذه الظاهرة تبدو بشكل واضح في اعداد الدوريات ماقبل عام ١٩٧٢ وهو عام تأسيس مركز التوثيق العلمي حيث شهدت الفترة التي تلت التأسيس عملية مشاركة واسعة وكبيرة في كثير من الدوريات العلمية وبمختلف تخصصات مجلس البحث العلمي وبدأت معظم الاشتراكات باعداد سنة ١٩٧٣ ولم يؤخذ بالحسبان عند الاشتراك بتلك الدوريات الاعداد السابقة منها ومن هنا تأتي اهمية سد هذا النقص .

٣ ـ قلة حجم المجموعة المكتبية

حظي بتأييد ٢٤ باحثاً بنسبة (٢١,٠٥٪)ومن الجدير بالذكر هنا ان نتائج التحليل البيليوغرافي اظهرت ان نسبة ٦٣و٦٪ من المصادر التي اعتمدها الباحثون لم تكن متوفرة في مكتبات المجلس وهذه النتيجة تؤكد لنا كما ذكر سابقا ضرورة اعادة النظر بالمجموعة المكتبية كما ونوعاً .

٤ ـ عدم حداثة المجموعة المكتبية

ايد ١٥,٨٪ من الباحثين عدم حداثة المجموعة المكتبية وهذا يتطلب عملية مراجعة مستمرة للمجموعة المكتبية خاصة المرجعية منها وتحديثها وقد اتضح من دراسة المجموعة المرجعية في مكتبات مراكز البحوث وجود نسبة كبيرة من المراجع العلمية ذات الطبعات القديمة وعدم توفر الطبعات الحديثة منها .

٥ ـ كذلك ذكر بعض الباحثين اسبابا اخرى تحد من الافادة القصوى من المجموعة المكتبية منها :

(أ) عدم وجود نسخ كافية من المطبوعات التي عليها طلب كبير .

(ب) عدم وجود كتب ومطبوعات باللغة العربية في اختصاصاتهم .

السؤال الحادي عشر : الصعوبات والمعوقات التي تجابه الباحث اثناء استعمال المكتبة

ركز في هذا السؤال على المضايقات والصعوبات التي يواجهها الباحثون في اثناء استخدامهم للمكتبة عدا تلك الصعوبات التي تتعلق بالمجموعة المكتبية والتي كنا قد افردنا لها سؤالاً خاصاً (السؤال العاشر) وقد طلب من الباحثين تعداد تلك الصعوبات والمضايقات. وتبين انه بالامكان حصر تلك الأسباب في اربع مجالات وهي :

١ ـ البناية والاثاث والاجهزة .

ذكر ٧٢ باحثاً بنسبة (٤٧,١ ٪)ان المكان المخصص للمكتبة والاثاث المكتبي غير ملائمين اضافة الى عدم توفر اجهزة الاستنساخ بشكل كاف .

ان تشتت مكتبات مراكز البحوث وعدم وجود مكتبة مركزية فاعلة هما العاملان الأساسيان اللذان يحدان من الافادة القصوى من الخدمات المكتبية والتوثيقية في المجلس وان هذه الحالة تضيع الكثير من جهد ووقت الباحث في الوقت الذي نجد ان مركزية الخدمات المكتبية ستوفر الكثير من الامكانيات البشرية والمادية .

٢- الخدمات المكتبية والتوثيقية :

ذكر ٥٠ باحثاً بنسبة (٣٢,٧٪) ان من المعوقات التي تجابههم اثناء استخدامهم للمكتبة عدم انتظام فهارس المكتبة وعدم التقيد بضوابط في عملية الاعارة حيث قد يبقى المستفيد المادة التي يستعيرها لفترة طويلة مما يحرم المستفيدين الاخرين من تلك المادة . اضافة الى عدم وجود قسم للترجمة . في مركز التوثيق العلمي مما يحرم هؤلاء الباحثين من الافادة من المواد المكتوبة بلغات عالمية هم يجهلوها

٣ - الموظفون :

ذكر ١٩ باحثاً بنسبة (٤,٢١٪) أن من المسائل التي تحد من الافادة من مكتباتهم هي قلة وعدم كفاءة العاملين في المكتبة اضافة إلى طريقة معاملة هؤلاء للمستفيدين التي لاتتسم بالايجابية في كثير من الأحيان . من المسلم به أن فعالية الخدمة المكتبية والتوثيقية تتحدد قطعاً بشخصيات العاملين في تلك المكتبات ومراكز التوثيق وتأهيلهم العلمي ومعرفتهم ومهاراتهم في عملهم اليومي ، وان الجهود الفعلية والمهنية التي يبذلها هؤلاء العاملون تزيد من فاعلية اداء الوظائف الأساسية لتلك المؤسسات ويصح القول بأن المجموعات المكتبية الجيدة والأبنية الصالحة والأثاث المناسب كلها بدون موظفين اكفاء تصبح طاقات معطلة(١).

٤ - أسباب أخرى :

كذلك ذكر ١٢ باحثاً بنسبة (٨,٧٪) أسباب أخرى منها سلوك بعض المستفيدين داخل المكتبة الذي قد لايتسم بالذوق السليم اضافة إلى جهل بعض المستفيدين بنظام التصنيف المستخدم في المكتبة .

ثانياً : الاستبيان الخاص بامناء المكتبات

كما اشرنا في الفصل الثالث ، أستخدم استبيان خاص لتجميع بيانات تتعلق بسياسة المكتبات موضوع الدراسة وأساليب العمل فيها والخدمات التي تقدمها للمستفيدين وقد أقتصرت عملية توزيع الأستبيان على المكتبات الخمسة الموجودة بالمجلس ومركز التوثيق العلمي وقد طلب من أمناء هذه المكتبات ومن السيد المدير العام لمركز التوثيق العلمي الاجابة على الاستبيان الذي أعد لهذا الغرض والأستبيان كان مغلقاً حيث طلب من الأشخاص المعنيين الأجابة بنعم او لا على الأسئلة الواردة فيه وقد أجاب جميع المعنيين بالاستبيان على الاسئلة الواردة فيه وبهذا نكون قد حصلنا على نسبة ارجاع ١٠٠٪ بالنسبة للأسئلة

(١) عبد الجبار عبد الرحمن: «تقييم المكتبة الجامعية وقياس محتوياتها واعمالها وخدماتها» بحث قدم إلى الحلقة الدراسية لتطوير المكتبات الجامعية المنعقدة في المكتبة المركزية لجامعة البصرة ١ - ٤ نيسان ١٩٧٨. ص ٥ (مطبوع رونيو)

الثلاث الأولى من الأستبيان والتي تتعلق بوجود أو عدم وجود سياسة مكتوبة تبين الخدمات التي تقدمها المكتبة اجمع جميع امناء المكتبات بأنه لاتوجد سياسة مكتوبة تبين الخدمات التي تقدمها مكتباتهم وبهذا نجد أن هذه المكتبات تعمل بدون دليل عمل مكتوب يوضح الخدمات التي تقدمها للمستفيدين كما أنه ليس بأمكان المستفيدين التعرف عن طريق مرشد مكتوب بالخدمات التي تقدم لهم حيث لايوجد شيء مكتوب يوضح عدد الكتب المسموح باعارتها او الفترة الزمنية المسموحة للاحتفاظ بالمواد المعارة او نوع الكتب التي تعار خارج المكتبة .

بالنسبة للسؤال الرابع والخاص بسياسة اختيار المواد المكتبية ، ذكر ثلاثة امناء مكتبات ، انه لايوجد هناك سياسة اختيار مكتوبة في الوقت الذي ذكر اثنان من الامناء وجود مثل هذه السياسة . حيث يقوم الباحثون من منتسبي المجلس بأختيار المواد المكتبية المطلوبة لبحوثهم وتقديم الطلبات إلى مكتبات مراكزهم التي بدورها تحولها إلى قسم الخدمات الفنية في مركز التوثيق العلمي والذي يقوم بطلبها من المجهزين . وبعد البحث والتدقيق تبين لنا عدم وجود مثل هذه السياسة مكتوبة ولكن ماهو قائم ومعمول به عند طلب المواد المكتبية هو الذي خيل لاميني المكتبتين الذين أجابوا بنعم بأنها سياسة مكتوبة لأختيار المواد المكتبية وفيما يتعلق بالأسئلة من ٥ ـ ٧ والخاصة بتقديم الخدمات المكتبية الى الباحثين من غير منتسبي المجلس والضوابط المفروضة على هؤلاء ، اجمع امناء المكتبات على أن مكتباتهم تقدم خدماتها الى الباحثين سواء كانوا من منتسبي المجلس أو من غير المنتسبين للمجلس ، الا انه توجد بعض الضوابط تفرض على المستفيدين من غير منتسبي المجلس .

أما السؤال التاسع من الأستبيان والخاص بتبادل الأعارة بين مكتبات المجلس والمكتبات الأخرى من خارج المجلس ذكر ثلاثة امناء مكتبات على وجود مثل هذه الأعاره في الوقت الذي ذكر الأثنان الأخران عدم وجود مثل هذه الأعارة . ومن دراسة واقع الحال تبين عدم وجود هذه الخدمة حيث يوجد حالياً مقترح مطروح على فريق العمل المكون من مدراء المكتبات الجامعية في القطر ومدير عام مركز التوثيق العلمي لدراسة امكانية الأستفادة من مثل هذه الخدمة ، الأعاره المتبادلة بين المكتبات . أن ذكر ثلاثة امناء مكتبات بوجود مثل هذه الخدمة يشير الى عدم المامهم بما يدور بمكتباتهم أو يبدو أن خدمة كهذه بدت لهم جيدة فذكروا انهم يقدمونها في مكتباتهم بالرغم من أن واقع الحال يشير الى عكس ذلك .

بالنسبة للسؤالين العاشر والحادي عشر والخاصين بالطريقة التي تعالج بها المكتبة الحالات التي لا تتوفر لديها البيانات الخاصة بطلبات المستفيدين . اجمع كل الذين اجابوا على

السؤالين بأنهم يحيلون المستفيد الى المكتبات التي يعتقدون انه بأمكان المستفيد ايجاد الأجابة على استفساره فيها وكأمثلة على تلك المكتبات ذكرت مكتبة كلية العلوم والمكتبة المركزية في جامعة بغداد .

بالنسبة للسؤال الثاني عشر والخاص بمدى توفر المتخصصين في تلك المكتبات في الموضوعات العلمية المختلفة اضافة الى المتخصصين في علم المكتبات اجمع امناء المكتبات بأنه لا يتوفر في مكتباتهم متخصصين عدا المتخصصين في علم المكتبات .

أما فيما يتعلق بالسؤال الثالث عشر ، فقد ذكر جميع امناء المكتبات المشمولين بالبحث بعدم وجود قائمة لديهم بالمتخصصين في مجالات المعرفة للرجوع اليها عند قيام الحاجة لمعرفة متخصص في حقل معين يمكنه المساعدة في الأجابة على استفسار يوجه الى المكتبة في ذلك الحقل .

ان مثل هذه القائمة بتقديرنا ضرورية لكل من المكتبات موضوع بحثنا لأنه كما هو معلوم بأن الأشخاص هم مصدر كثير من المعلومات وكثيراً ماتقوم الحاجة للأستفسار منهم عن سؤال معين ويكون الأتصال بهم أما مباشرة أو من خلال المؤسسات التي يعملون بها .

أما بالنسبة للسؤال الرابع عشر والمتعلق بأمكانية الأفادة من المطبوع عن طريق استعارته قبل اكتمال العمليات الفنية الخاصة بذلك المطبوع فقد أجاب كل امناء المكتبات المشمولة بالبحث بأنهم يقدمون مثل هذه التسهيلات للباحثين .

أما بالنسبة للسؤال الخامس عشر والخاص بأخبار المستفيد الذي كان قد طلب مطبوعاً معيناً بوصول ذلك المطبوع ، أجاب امناء المكتبات بأنهم يقدمون مثل هذه الخدمة . أن مثل هذه الخدمات المذكورة في هذا السؤال والسؤال الذي سبقه تختصر الوقت بالنسبة للباحثين .

أما بالنسبة للسؤال السادس عشر والسابع عشر والخاصين بالاعلان عن وصول الكتب الحديثة والطرق المتبعة في ذلك فقد اجمع امناء المكتبات على انهم يقدمون مثل هذه الخدمة ، اما بالنسبة لطرق الاعلان عن وصول تلك المطبوعات الحديثة فقد اجمع امناء المكتبات على انهم يقومون بذلك اما عن طريق قوائم الاضافات (التي تصدر بصورة غير منتظمة الصدور) او عن طريق عرض تلك المواد في دولاب خاص ولم يشر أي من الامناء الى الطريقة الثالثة والتي تتلخص بذكر تلك المواد في المجلات التي تصدر عن مراكز البحوث وقد برر قسم منهم هذا ان تلك المجلات حديثة الصدور حيث ابتدأت بالصدور في اوائل عام ١٩٨٣ ونظراً لكونها فصلية فسيكون الاعلان عن وصول المطبوعات الى المكتبات

متأخراً جداً . بتقديرنا ان التبرير غير مقنع حيث ان الاشارة الى تسلم المكتبات الى تلك المطبوعات في مجلات المركز سيكون ذو فائدة كبيرة للباحثين وتعتبر نوعا من خدمات الاحاطة الجارية والاعلام بما وصل هذه المكتبات من مطبوعات . كما ذكر احد امناء المكتبات انهم في مكتبته يقومون بالاعلان عن وصول المواد المكتبية الحديثة بواسطة لوحة الاعلانات وذلك عن طريق وضع بطاقات طلب الكتب في لوحة الاعلان وذلك بعد وصول الكتاب او المطبوع وفيما يخص السؤالين الثامن عشر والتاسع عشر والخاصين بخدمات البث الانتقائي للمعلومات ذكر جميع امناء المكتبات بأن مكتباتهم لاتقدم مثل هذه الخدمة الى الباحثين .

بالنسبة للسؤال العشرين والخاص بخدمة التوعية الجارية Current Awareness اجمع امناء المكتبات ان مكتباتهم تقوم بتقديم مثل هذه الخدمة الى الباحثين وعند الاستفسار عن الصيغ والأساليب التي تقدم بها تلك الخدمة للباحثين والتي كانت موضوع السؤال رقم واحد وعشرون في الاستبيان وجد ان الطريقة الوحيدة في التوعية الجارية والتي تستخدمها جميع المكتبات هي عرض المطبوعات الحديثة الوصول في اماكن خاصة وان مركز التوثيق العلمي وحده هو الذي انفرد في الطرق التالية في التوعية الجارية وهي : اصدار قائمة بالاضافات الجديدة التي تصل المكتبة ، نشرة الأبحاث المنجزة في المجلس ، نشرة الابحاث الجارية في العراق ، ومستخلصات الأبحاث المنجزة في القطر ، البحث البليوغرافي والاتصالات الشخصية بالباحثين بينما ذكر احد امناء المكتبات (مركز البحوث الزراعية والموارد المالية) بان مكتبته تقوم باستنساخ كل مقالة ترد في مجلة علمية عامة وتقدمها الى الباحث صاحب الاختصاص في ذلك الموضوع .

اما بالنسبة للسؤال الثاني والعشرون والخاص بفحص مجاميع المكتبة باستمرار للتأكد من حداثتها فقد ذكر اربعة امناء مكتبات انهم لايقومون بهذه المهـمة ، بينما ذكر احدهم انه يقوم بهذه المهمة.

اما السؤال الثالث والعشرون والخاص بمدى توفر عنصر الحداثة في المجموعة المكتبية ذكر اربعة امناء مكتبات انهم يعتقدون بأن عنصر الحداثة متوفر في مجاميع مكتباتهم بشكل يجعلها مؤهلة لتلبية حاجة المستفيدين بينما ذكر امين مكتبة واحد بانه لايعتقد بتوفر عنصر الحداثة في المجموعة المكتبية الخاصة بمكتبته وقد عزى ذلك لتأخر وصول المواد المكتبية من دوريات وكتب الى تلك المكتبة . ان نتائج الاستبيان الخاص بالمستفيدين تعزز ماذهب اليه امين المكتبة هذا بأن عنصر الحداثة غير متوفر في المجموعة المكتبية .

بالنسبة للسؤال الرابع والعشرين والخاص برأي امين المكتبة بالمجموعة المكتبية في مكتبته من ناحية الكم وهل هي كافية لاحتياجات المركز الذي تخدمه اجاب ثلاثة امناء بنعم على هذا السؤال بينما ذكر اثنان من الامناء بان المجموعة المكتبية في مكتبتهما غير كافية من ناحية الكمية لاحتياجات مركزيهما ويبرر احدهما ذلك بتعليقه على السؤال بقوله «لاتقاس حاجة المركز والباحثين بالكمية انما بالنوعية» .

ان نتائج البحث الببليوغرافي الذي طبق في هذه الدراسة ونتائج الاستبيان الخاص بالمستفيدين تعزز الرأي القائل بعدم كفاية المجموعة المكتبية الحالية من ناحية الكم .

اما بالنسبة للسؤال رقم (٢٥) والذي يهدف الى التعرف على نمط الخدمة المرجعية التي تقدمها المكتبات المشمولة بهذا البحث فقد ظهر تباين في الاجابات بين امناء المكتبات ، اشار امين المكتبة الاولى بانهم يقدمون الخدمة المرجعية المتحفظة اما المكتبة الثانية فقد ذكر امينها بانه في مكتبته يقدمون الخدمة المرجعية المتحفظة والمعتدلة في التعامل مع الأسئلة المرجعية وفي المكتبة الثالثة اشار امين المكتبة الى انهم يقدمون الخدمة المرجعية التامة وفي المكتبة الرابعة لم يؤشر امين المكتبة على أي من الاختيارات وانما ذكر « نظرا لاختلاف نوعية المستفيدين في المجلس عن المكتبات الجامعية فان الباحث يجد الجواب لاسئلته المرجعية بنفسه من المراجع المتوفرة» نستقرىء من هذا الجواب بان امين المكتبة لايلعب أي دور في الخدمة المرجعية والاجابة على استفسارات المستفيدين.

وفي المكتبة الخامسة، اشار امينها الى انهم يقومون بتقديم انماط الخدمة المرجعية الثلاث حسب حاجة المستفيد وفي تبريره لهذه الحالة يذكر امين المكتبة بان سياسة مكتبته هي تعريف المستفيد بكيفية استعمال المراجع والاعتماد على نفسه في ذلك .

ومما يجدر ذكره هنا ان نتائج الاستبيان الخاص بالمستفيدين اوضحت ان هذه المكتبات لاتقوم بايجاد الجواب للاستفسارات المرجعية توفيراً لوقت الباحث وانما تحيله الى المراجع التي يحتمل ان يجد فيها اجابة لاستفساره .

اما بالنسبة للسؤال رقم (٢٦) والخاص بالاشكال والصيغ التي يجب ان تكون عليها الاستفسارات والاسئلة المرجعية ذكر ثلاثة امناء بانه في مكتباتهم يجيبون على الاسئلة المرجعية بالصيغ الثلاث بينما ذكر اثنان من امناء المكتبات بانه يقتضي حضور السائل شخصياً الى المكتبة لكي يجاب على استفساره او سؤاله .

اما بالنسبة للسؤال رقم (٢٧) والذي يهدف الى معرفة فيما اذا كانت الاجابة على الاستفسار المرجعي تدقق في اكثر من مرجع قبل تسليمها للمستفيد . ذكر ثلاثة امناء مكتبات بأنهم

يقومون بالتأكد من الاجابة على الاستفسار المرجعي في اكثرمن مرجع قبل تسليمها للمستفيد
بينما ذكر اثنان من امناء المكتبات بانهم لا يقومون بعملية تدقيق الاجابة على الاستفسار
المرجعي في اكثرمن مرجع واحد قبل تسليمها للمستفيد وانما يكتفون بايجاد الجواب من
مرجع واحد فقط .

الطريقة الثانية

المسح Survey

كما أشرنا سابقاً ، استخدم أسلوب المسح Survey في تجميع البيانات عن موضوع
الدراسة حيث استخدمت طريقة الملاحظة المباشرة للتعرف على طبيعة العمل في هذه المكتبات
ومدى استخدامها من قبل المستفيدين . كما طلب من المستفيدين ملء استمارة خاصة لغرض
معرفة مدى الأفادة الحقيقية والأستخدام الفعلي لتلك المكتبات .

بلغ عدد المستفيدين للفترة من ١٩٨٢/٥/٣٠ ـ ١٩٨٢/٦/٥ من مكتبة مركز بحوث
علوم الحياة ٢٨ مستفيداً ومكتبة مركز بحوث النفط ١٠٣ مستفيداً ومكتبة مركز البحوث
الزراعية والموارد المائية ٥٨ مستفيداً ومركز بحوث البناء ١٠١ مستفيداً ومركز التوثيق العلمي
١٦ مستفيداً . وان معظم المستفيدين هم من الباحثين العاملين في مجلس البحث العلمي حيث
بلغ مجموع المستفيدين الكلي ٣٠٨ مستفيداً منهم ٢٩١ مستفيداً من داخل المجلس أما عدد
المستفيدين من خارج المجلس فقد بلغ ١٧ مستفيداً وعند تحليل نتائج المسح نجد أن معدل
عدد المستفيدين من مكتبة مركز بحوث علوم الحياة في اليوم الواحد هو ٧، ٤ مستفيداً ومكتبة
مركز بحوث النفط هو ٢، ١٧ مستفيداً ومكتبة مركز البحوث الزراعية والموارد المائية هو
٧، ٩ مستفيداً ومكتبة مركز البحوث البناء هو ٨، ١٦ مستفيداً ومركز التوثيق العلمي هو
٣ مستفيدين .

يتضح من هذه الأرقام أن استخدام هذه المكتبات هو قليل جداً ودون المستوى المطلوب
ولايتناسب مع الجهود والنفقات المبذولة من قبل مجلس البحث العلمي كما أن هذه الأرقام
هي أقل بكثير من تلك الأرقام التي يوردها امناء المكتبات في تقاريرهم الشهرية عن حجم
الأستخدام لمكتباتهم .

كما أن تحليل نتائج المسح أظهر لنا أن استخدام مكتبات مجلس البحث العلمي يبدأ في
الزيادة بعد الساعة العاشرة صباحاً ويكون ذروته في الساعة الواحدة بعد الظهر . وعند
الأستفسار من المستفيدين عن الغرض من دخولهم للمكتبة ذكر الباحثون الأسباب التالية :

١ ـ ذكر ١٢٥ باحثاً بنسبة (٣١,٦٪) أن الغرض من دخولهم الى المكتبة هو المطالعة .

٢ ـ كما ذكر ١٢٠ باحثاً بنسبة (٣٠,٤٪) أن الغرض من دخولهم الى المكتبة هو البحث عن مصدر معين ذو علاقة بمواضيع بحوثهم .

٣ ـ كما ذكر ٣٩ باحثاً بنسبة (٩,٩٪) أن الغرض من دخولهم الى المكتبة هو استعارة كتاب فأذا علمنا أن الفترة التي شملها البحث هي ستة أيام فستكون النتيجة أن معدل الأشخاص الذين يستعيرون الكتب في اليوم الواحد لايزيد عن ٦,٥ شخصاً وهذا الرقم وكما ذكرنا سابقاً ، منخفض جداً ولايتناسب مع الجهد المبذول .

٤ ـ كما ذكر ٣٨ باحثاً بنسبة (٩,٦٪) أن الغرض من دخولهم المكتبة هو استعارة دورية . كما أشرنا أعلاه أن الفترة التي شملها البحث هي ستة أيام فهذا معناه أن المعدل اليومي للأشخاص الذين استعاروا هو ٦,٣ شخصاً فكما هو معلوم أن المكتبات موضوع بحثنا هذا هي مكتبات متخصصة ويبلغ مجموع الدوريات فيها ٣٠٠٠ دورية وان الأشتراك السنوي في هذه الدوريات مكلف جداً والباحثون والعلماء بشكل عام يتابعون في مجال تخصصاتهم عن طريق الدوريات لأنها تحوي على معلومات أكثر حداثة من الكتب من هنا يتضح لنا ضآلة حجم استخدام الدوريات في مكتبات مجلس البحث العلمي وهذه النتيجة تعززت بنتائج التحليل البيليوغرافي في هذه الدراسة .

٥ ـ كما ذكر ٣٨ باحثاً بنسبة (٩,٦٪) أن الغرض من دخولهم المكتبة هو لأرجاع كتب سبق وان استعارها من المكتبة .

٦ ـ ذكر ٣٥ باحثاً بنسبة (٨,٩٪) أسباباً أخرى لزيارتهم المكتبة منها طلب مقالات علمية منشورة في دوريات لا تتوفر في مكتبات المجلس ، قراءة صحف مثلا .. الخ .

الطريقة الثانية

التحليل البيليوغرافي

كما ذكرنا في الفصل الثالث ان الباحثين اعتمدا طريقة التحليل البيليوغرافي لدراسة المصادر التي اعتمدهاالباحثون في بحوثهم لمعرفة نسبة المتوفرة وغير المتوفرة منها في مكتبات المجلس لتحديد حجم مساهمة تلك المكتبات لتوفير المصادر التي يعتمدها الباحثون في بحوثهم وقد اظهرت نتائج التحليل البيليوغرافي مايلي : ـ

اولا : بالنسبة لمركز البحوث الزراعية نجد ان مجموع المصادر التي اعتمدها الباحثون والتي بلغت ٤٨٦ مصدراً يتوفر في مكتبات المجلس (١٥٧) مصدرا بنسبة (٣٢,٣٢٪) وان (٣٢٩) مصدرا بنسبة (٦٧,٧٪) لاتتوفر في مكتبات المجلس .

ثانيا : بالنسبة لمركز بحوث علوم الحياة نجد ان مجموع المصادر التي اعتمدها الباحثون والتي بلغت ١١١ مصدرا يتوفر في مكتبات المجلس (٤١) مصدرا بنسبة (٣٦,٩٪) وان (٧٠) مصدرا بنسبة (٦٣,١٪) لايتوفر في مكتبات المجلس .

ثالثاً : بالنسبة لمركز بحوث البناء نجد ان مجموع المصادر التي اعتمدها الباحثون والتي بلغت ١٢٩ مصدرا تتوفر في مكتبات المجلس ٥٠ مصدرا بنسبة ٣٨,٨ ٪ وان ٧٩ مصدرا بنسبة (٦١,٢٪) لاتتوفر في مكتبات المجلس .

رابعاً : بالنسبة لمركز بحوث النفط نجد ان مجموع المصادر التي اعتمدها الباحثون والتي بلغت ١٨١ مصدرا يتوفر في مكتبات المجلس ٧٣ مصدراً بنسبة (٤٠,٣ ٪) وان ١٠٨ مصدراً بنسبة (٥٩,٧٪) لاتتوفر في مكتبات المجلس .

خامساً : بالنسبة لمركز بحوث الطاقة الشمسية نجد ان مجموع المصادر التي اعتمدها الباحثون والتي بلغت ٤٤ مصدراً يتوفر في مكتبات المجلس ٢٥ مصدراً بنسبة (٥٦,٨٪) وان ١٩ مصدراً بنسبة (٤٣,٢٪) لاتتوفر في مكتبات المجلس .

سادساً : ومما تقدم نجد ان مجموع المصادر التي اعتمدها الباحثون في مجلس البحث العلمي بلغت ٩٥١ مصدراً ، المتوفر منها في مكتبات المجلس هو ٣٤٦ مصدراً بنسبة ٣٦,٤ ٪ وان مجموع المصادر غير المتوفرة هو ٦٠٥ مصدرا بنسبة ٦٣,٦ ٪

أن هذه النتيجة ترينا ان نسبة كبيرة من الدوريات التي يعتمدها الباحثون بدرجة كبيرة لاتتوفر في مكتبات المجلس وان هناك نسبة كبيرة من الدوريات المتوفرة في تلك المكتبات لاتستخدم .

التوصيات والمقترحات

لغرض الافادة من نتائج هذه الدراسة يوصي الباحثان بما يلي :

١ — ضم جميع مكتبات مراكز البحوث العلمية الموجودة في مجمع المجلس في الجادرية الى بعضها وتكوين مكتبة مركزية واحدة تابعة لمركز التوثيق العلمي ورعاية هذه المكتبة وتطويرها الى المكتبة العلمية للقطر العراقي وعلى ان تكون لهذه المكتبة بناية خاصة تتوفر فيها مواصفات المكتبة المتخصصة وتجهيزها بالاثاث والمستلزمات والمعدات المكتبية المناسبة وان الأخذ بهذه التوصية يتطلب اعادة النظر في نظام مركز التوثيق العلمي رقم ١٥ لسنة

١٩٨١ . وان عملية اعادة النظر هذه ستجعل المركز مواكبا للتطورات والمستجدات التي حصلت في المجلس ومنها ادخال الحاسب الالكتروني في السيطرة على المعلومات والشروع في تقديم خدمات البحث الببليوغرافي الآلي المباشر Online -Searching- Services

٢ — ضرورة وضع سياسة مكتوبة Written- Library -Policy لمركز التوثيق العلمي ولمكتبات مراكز البحوث يبين الخدمات التي تقدمها لتكون دليل عمل للمستفيدين وللعاملين في تلك المكتبات .

٣ — وضع سياسة مكتوبة لاختيار المواد المكتبية لمكتبات المجلس .

٤ — زيادة المجموعة المكتبية كما ونوعا وضرورة التأكيد على توفير عنصر الحداثة فيها.

٥ — الانتهاء من عملية فهرسة وتصنيف المواد المكتبية حسب نظام تصنيف مكتبة الكونكرس

٦ — توفير الاعداد الناقصة من الدوريات .

٧ — توفير عدة نسخ من المواد المكتبية التي عليها طلب كبير .

٨ — الاكثار من المواد المكتبية العلمية المتخصصة باللغة العربية.

٩ — ضرورة قيام مكتبات المجلس بتقديم الخدمة المرجعية التامة والتي تقضي بقيام امين المراجع بايجاد الجواب بنفسه للمستفيد ولايكتفي بمجرد الاشارة الى المصدر او تعليم المستفيد طريقة استخدام ذلك المصدر .

١٠ — استحداث الخدمة المرجعية عن طريق الهاتف والمراسلة فيصبح بامكان المستفيدين التوجه باستفساراتهم الى خبير المعلومات في المكتبة عن طريق الهاتف او الكتابة لـــ باستفساراتهم .

١١ — ضرورة اعداد دليل لتعريف المستفيدين بطرق استخدام المكتبة ومجالات الافادة منها .

١٢ — ضرورة تدقيق الاجابات على الاستفسارات المرجعية في اكثر من مصدر قبل تسليمها للمستفيد .

١٣ — اعادة النظر باسلوب تقديم خدمات البحث الببليوغرافي والعمل على تخصيص وقت اكثر لمقابلة الباحث وتحديد رؤوس الموضوعات بدقة اكثر .

١٤ — التعريف والاعلام بخدمات البحث الببليوغرافي التي يقدمها مركز التوثيق العلمي لمنتسبي مجلس البحث العلمي .

١٥ —ضرورة عمل دليل بالمختصين في مجالات المعرفة للرجوع اليه عند قيام الحاجة لمعرفة اسم متخصص في حقل معين يمكنه المساعدة في الاجابة على استفسار يوجه الى المكتبة في ذلك الحقل .

١٦ — تنشيط عمليات الاعلان عن وصول المواد المكتبية الحديثة الى المكتبة واتباع مختلف الوسائل المعروفة لانجاز تلك الخدمات .

١٧ — ضرورة قيام مركز التوثيق العلمي بتقديم خدمة البث الانتقائي للمعلومات .

١٨ — رسم سياسة للاعارة واضحة المعالم وذلك عن طريق وضع ضوابط ومعايير تنظيم عملية الاعارة في مكتبات المجلس لكي لاينفرد بعض الافراد بالافادة من المواد المكتبية وتحرم الغالبية من المستفيدين بسبب ذلك .

١٩ — ضرورة الاهتمام بفهارس المكتبات وتنظيمها اضافة الى ضرورة استحداث فهرس مرتب حسب نظام التصنيف المستخدم .

٢٠ — ضرورة استحداث قسم للترجمة في مركز التوثيق العلمي يقوم بترجمة ملخصات الابحاث العلمية التي تنشر بلغات مثل الروسية ، الالمانية ، الفرنسية ... الخ

٢١ — ضرورة ان يكون العاملين في مكتبات المجلس من حملة الشهادات في الموضوعات العلمية اضافة الى تخصصهم في علم المكتبات والتوثيق .

٢٢ — ضرورة دراسة المجموعة المكتبية في مكتبات المجلس لتحديد عناصر القوة والضعف فيها .

٢٣ — دراسة استخدام الدوريات في مكتبات المجلس لتحديد التي تستخدم منها لتوفيرها بدلا من الاعتماد على المكتبات الاخرى خاصة الاجنبية منها لان هذا الاسلوب مكلف جدا .

٢٤ — ضرورة قيام دراسة مماثلة للخدمات المكتبية والتوثيقية التي يقدمها مركز التوثيق العلمي ومكتبات المجلس منذ عام ١٩٨٢ ولحد الان . وستبرز تلك الدراسة التطورات التي حصلت في هذه المرافق العلمية خلال السنوات الاخيرة .

المراجع

١ ـ احمد بدر . اصول البحث العلمي . الكويت ، وكالة المطبوعات /ط٣/ ١٩٧٧

٢ ـ احمد حلمي هلال . تقرير مبدئي عن مركز التوثيق العلمي بالعراق . بغداد ابريل ١٩٧٢ ، ٦١ص .

٣ ـ ———— . ملاحظات عامة وتوصيات حول المكتبات العراقية بغداد ، ١٩٧٢ ، ٤٥ص . (مطبوع رونيو) .

٤ ـ عبد الجبار عبد الرحمن . تقييم المكتبة الجامعية وقياس محتوياتها واعمالها وخدماتها / بحث قدم الى الحلقة الدراسية لتطوير المكتبات الجامعية المنعقدة في المكتبة المركزية لجامعة البصرة ١ ـ ٤ نيسان ١٩٧٨ . (مطبوع رونيو) .

٥ ـ مجلس البحث العلمي ـ مركز التوثيق العلمي . الابحاث العلمية المنجزة في مجلس البحث العلمي . ١٩٧٩ ، ١٩٨١ .

٦ ـ ———— . خطة عمل مركز التوثيق العلمي للسنوات ٨٢ ـ ٨٥ . بغداد ، تموز ١٩٨٢ ، ٣٣ص . (مطبوع رونيو) .

٧ ـ ميخائيل وكلياريفسكي . مدخل في علم المعلومات والتوثيق . ترجمة نزار محمد علي القاسم . جامعة الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٢ ، ٣١٢ص .

٨ ـ الوقائع العراقية ، ٢٨٧٤ ، ٢٧/٤/١٩٨١ ، ص٣٩٧ .

9- Artandi, Susan. *An Introduction to Computers in Information Science*, 2nd ed., Metuchen, N.J. Scare Craw Press, 1972.

10- Francis, Simon. *Development of Documentation & Academic Library Services*. Unesco. Paris. 1977. 51 P.

11- Helal,A.H. *Iraqi Scientific Documentation Centre*, Vnesco Paris 1972 61 P.3

12- Katz, W.A. *Introduction to Reference Work*, 2nd ed. Vol. II: Reference Process. N.Y. Mchraw Hill Co. 1978. P 60.

13- Line, M.B. Information service in University Libraries. *J. Librarianship*, L (4) Oct., 1969, PP. 211-224.

14- Line, Maurice, Libvdry Surveys, London Clive Bingley. 1967 .

15- Price, D.S. Little Science, Big Science. Colombia, London, 1965, 118 p.

16- El-Sherifi. T.R. Iraqi Scientific. Documentation Centre. *Vnesco Bulletin for Libraries*, Vol. 24, No. 11 Jan-Feb., 1975 PP. 37-39.

17- Simon, J.L. *Basic Research Methods in Social Sciences*. N.Y. Random House, 1969, 525 P.

الحاسبة المايكروية .. ماهيتها وتطبيقاتها في المكتبات ومراكز المعلومات

ميسون حبيب حسو
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

المقدمة

في العقود القليلة الماضية كان للحاسبة الالكترونية دور متميز في كافة مجالات الحياة واعتبرت من احدى الحقول التي لاقت نجاحا كبيرا لانها ساعدت على تحقيق الكثير مما كان يصبو اليه المجتمع الانساني .

ظهر مؤخرا مصطلح جديد بين مفردات الحاسبة الالكترونية الا وهو الحاسبة المايكروية او الدقيقة Microcomputers التي تميزت بقلة كلفتها وقدرتها وامكانياتها العالية فضاهت به الحاسبات التي سبقتها . وكان لهذه الحاسبة تطبيقات هامة في مجالات المكتبات والمعلومات ، لذا فانني سأعرض في هذه الدراسة تطورها وأهم خصائصها وحدود قدراتها ومجالات تطبيقها .

نبذة تاريخية عن تطور الحاسبة الالكترونية

تطورت الحاسبات الالكترونية بخطوات سريعة منذ العقد الرابع لهذا القرن ومر تطور وتصنيع الحاسبات الالكترونية منذ ذلك الحين بأربع مراحل رئيسية كما أشار اليها شيلي . ففي اوائل الاربعينات وبالتحديد في الفترة مابين 1940–1952 كانت الصمامات المفرغة Vaccuum Tubes الجزء الالكتروني لها ، حيث تجمع عناصرها يدويا . وقد كانت بحجم كبير قياسا بالحاسبات الحالية كما تحرر طاقة عند تشغيلها ، لذا استوجب استخدام مكيفات هواء خاصة لغرض المحافظة على درجات الحرارة المطلوبة وتطلبت ادامة مستمرة .

م/٤٣/ م.أ.س

تقع المرحلة الثانية من تطور الحاسبة الالكترونية في الفترة مابين 1952–1964 حيث تم استخدام دوائر الترانزستور Transistor (*) كعنصر اساسي لمكونات الحاسبة ، ومن الجدير بالاشارة هنا بأن الترانزستور تم اكتشافه عام 1947 الا انه لم يستعمل حتى عام 1952 لعدم ادراك مصممي هذه الاجهزة بأهميته والذي بدونه لما تطورت الحاسبات بهذه الخطوات السريعة . تتميز الحاسبة في هذه المرحلة الاولى ، بحجم اصغر من المرحلة الاولى واكثر اعتمادا من ناحية الدقة والسرعة ومعالجة العمليات الاكثر تعقيدا واقل تحريرا للطاقة الحرارية.واحتاجت الى مكيفات وادامة مستمرة ، لكن الحاسبة في هذه المرحلة ظلت كما في المرحلة الاولى تجمع اجزاؤها المختلفة يدويا . عتبرت هاتان المرحلتان غير اقتصادية لاستخدامها العنصر اليدوي الذي ارتفعت كلفته بمرور الزمن . .

أما التقدم المفاجيء فقد حصل بعد بضع سنوات من اختراع الترانزستور وقد استغرق حوالي عقد من الزمن . واستخدمت فيه التكنلوجيا الحديثة وبوجه التحديد الالكترون المايكروي او الدقيق Microelectronics حيث اصبح بالامكان ربط مجموعة من الدوائر الى وحدة متكاملة على سطح صغير ابعاده أقل من 5 مم او $\frac{1}{4}$ – انج تعرف بالدوائر المتكاملة Integrated Circuits وبواسطته تقلصت تكاليف العمل على ما كانت عليه في السابق وتميزت الحاسبات في هذه المرحلة وللفترة مابين 1964–1971 بصغر حجمها وتفوقها وكفاءتها وسرعتها وعدم احتياجها الى طاقة كبيرة وتوليدها حرارة قليلة . ومن احدى نقاط ضعفها هي ظهور بعض المشاكل في تصنيعها في المراحل الاولى .

استمر العمل في تحسين الحاسبات الالكترونية منذ عام 1971 والى حد الان لغرض رفع كفاءتها من ناحية التركيب الداخلي او الفني والسرعة وطاقة التخزين وتقليل الكلفة. ومن ثمار هذه المرحلة تصنيع الحاسبة المايكروية او الدقيقة Microcomputers . استخدم هذا المصطلح ليعبر عن حجم الجهاز مقارنة بغيره وذلك باستعمال المكونات الالكترونية المسماة بدوائر تكامل بقياس كبير Large Scale Integrated Circuits اذ تجمع مئات من المكونات على شريحة رقيقة تسمى شريحة السليكون Silicon Chips مساحتها 5مم^2 وسمكها 1مم وتثبت هذه الشرائح الدقيقة داخل حاوية بلاستيكية بعد ان توصل كهربائيا مع بعضها .

(*) الترانزستور : وسيلة شبه موصلة استعملت للتعويض عن صمام الكتروني ثلاثي لغرض زيادة حجم القوة الكهربائية الصغيرة .

وبصورة اساسية ، ليس هناك فارق بين الحاسبات في الاجيال الاولى عن الجيل الرابع اذ ان جميعها تحتوي على نفس المكونات الاساسية وتعمل بنفس الاسلوب ، لكـــن الفارق الوحيد بينهم هو الحجم والكلفة وعدم احتياج الاخيرة الى مكيفات وادامـــة مستمرة (١)

ماالمقصود بالحاسبة المايكروية

استخدمت مصطلحات عديدة لتعبر عن الحاسبة المايكروية فدعيت بالحاسبة الشخصية Personal Computer ، والحاسبة البيتية Home Computer ،والحاسبـــة المنضدية Desk Computer .

وقد قدمت تعاريف مختلفة للحاسبة المايكروية فقد عرفها كرافت وتوي بأنهـــا الحاسبة المبنية حول وحدة المعالجة المايكروية Microprocessor وتستخدم وحدة ذاكرة القراءة Read Only Memory ووحدة ذاكرة الوصول العشوائي Random Access Memory لتنفيذ سيطرة الايعازات وتحتاج الى شريحة لتشبيك Interface وسائل الادخال Input والاخراج Output لغرض الاتصال مع الاجهزة الخارجية (٢) وقدم هورنر وتيسكي تعريفا أبسط من السابق حيث عرفها .« بالحاسبة المنضدية التي تتكون من لوحة المفاتيح Keyboard ووحدة العرض المرئي Visual Display Unit ووحدة معالجة Processor ودوائر تكامل تعرف بشرائح السليكون (٣)

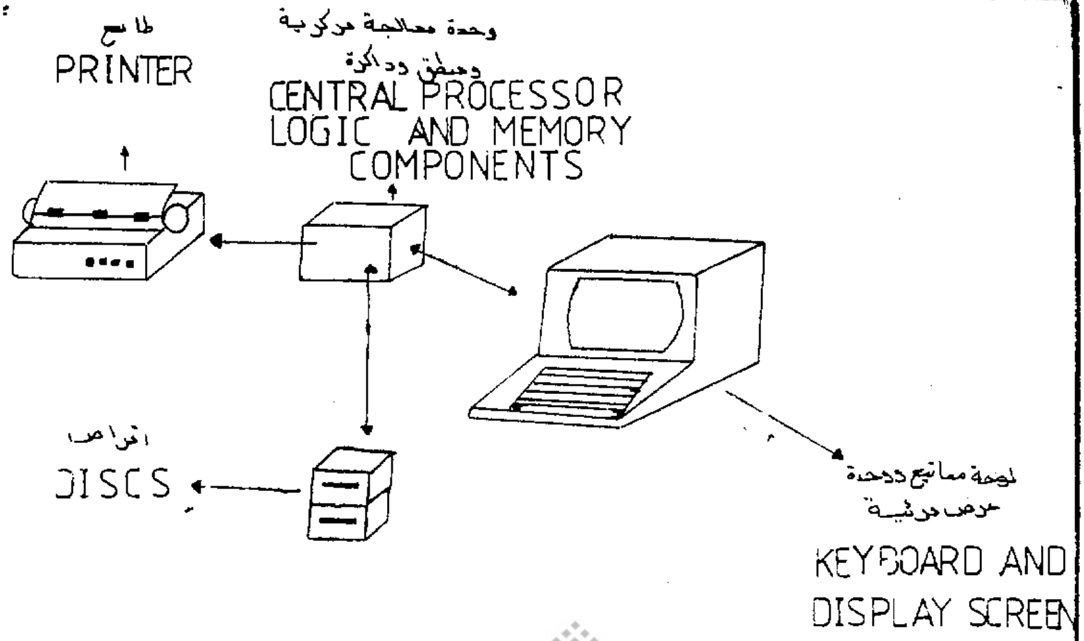
مكونات الحاسبة المايكروية

يتكون نظام أي حاسبة من الجهاز Hardware والبرنامج Software ،ولايمكن أن يتجرد الواحد عن الاخر. ومن الخصائص التي تميزالحاسبة المايكروية عن غيرها هو الحجم حيث بالأمكان وضعها على منضدة وربطها في التيار الكهربائي كأية الة طابعة. أما من الناحية العملية فأن مكوناتها هي نفس المكونات الأساسية للحاسبة الكبيرة كما هو موضح في الشكل رقم (١) .

(١) John, Shelley. Preparing for Computers. London, Pitman, 1982. P. 56.

(٢) George D. Kraft and Wing N. Toy
Mini Microcomputer Hardware Design
Englewood Cliffs, N.J. Prentice Hall, 1979.

(٣) G. Horner and F. J. Teskey
Microcomputer and the School Library
The School Librarian, Vol. 27, Dec. 1979, P. 340



شكل رقم (١) المكونات الاساسية للحاسبة المايكروية

يتكون النظام من لوحة مفاتيح Typewriter Keyboard والتي بواسطتها يتمكن المستخدم الاتصال بالنظام واعطائه معلومات او بيانات جديدة ، وكذلك وحدة العرض المرئي Visual Display Unit والتي يظهر فيها مايطبع الشخص الذي يتصل بالنظام او اجابة النظام وتعرض على الشاشة .

اما المكونات الاساسية المنطقية والحسابية للنظام فهي وحدة المعالجة المركزية Central Processor Unit والذاكرة Memory ومايتعلق بها من دوائر لتشغيل الحاسبة. اما وحدة المعالجة المركزية فهي جزء المعالجة المايكروية Microprocessor والذي هو عبارة عن شريحة احادية من السليكون لها القابلية على القيام بعمليات حسابية ومنطقية.

اما الذاكرة فهي عبارة عن سلسلة من دوائر متكاملة تخزن البرامج والبيانات ويتراوح حجمها مابين 64k–8k ، ولو ان البعض من الحاسبات كنظم الحاسبات الرقمية Digital Micro Systems لها قدرة اوسع في الذاكرة (١) . وهناك انواع من الذاكرة منها ذاكرة القراءة فقط والتي تحتاج الى البرامج الضرورية لتشغيل نظام الحاسبة وتكون محتوياتها محددة عادة من قبل المصنع ولا يمكن ازالتها او الكتابة عليها . والنوع الاخر هي ذاكرة الوصول العشوائي (المباشر) والتي تحتوي على بيانات المستخدم وبرامجه التي ستنفذ مباشرة وبامكان المستخدم توسيع القدرة باضافة بطاقات ذاكرة اضافية .

وللحاسبة المايكروية وحدة للخزن على شكل اقراص Discs تحفظ في حافظات تخزن فيها البرامج . وتكون الأقراص على نوعين الاقراص الصلبة Hard Discs والاقراص الطرية او المرنة Floppy Discs . وللاقراص الصلبة قدرة عالية للخزن لكنها غالية الثمن ، وقد استخدمت الاخيرة بنطاق واسع لاعتدال ثمنها وقد توفرت بحجمين يعرف الاول بالقرص الصغير Mini Disc ويكون بقياس ¼ انج ،والنوع الثاني القرص القياسي Standard Disc يتوفر بحجم 8 انج .

اما الطريقة التي تخزن فيها البيانات على الاقراص فتختلف من نظام الى آخر ، وتخزن اما على جانب واحد من القرص او على جانبيه ويختلف عدد الاقراص التي يمكن استخدامها للمرة الواحدة من جهاز الى اخر .

---

(١) C.J. Armstrong and R.F. Guy
Microcomputers or word processors in the Library
Reprographics Quarterly, 14 (3), 1981, p 98.

ومن المكونات الاخرى للحاسبة هو الطابع Printer الذي يزود بنسخة مطبوعة للبرامج والبيانات . وتقوم الحاسبة المايكروية بانجاز العمليات الحسابية والمنطقية وتتقبل المعلومات من اجهزة الادخال Input عن طريق لوحة المفاتيح وترسل نتائجها النهائية عن طريق اجهزة الاخراج من شاشة مرئية تعرض عليها النتائج المستحصلة او عن طريق الطابع .

ويقوم مصنعو الحاسبات المايكروية بجمع هذه المكونات بطرق مختلفة ، فالبعض من الاجهزة تجمع المكونات الاربعة في وحدة مادية منفصلة . بينما يقوم البعض الاخر بدمج جزئين او اكثر معا (١) والاساليب المختلفة في دمج هذه الوحدات موضحة في شكل (3,2) وقد لخص برات خصائص الحاسبة المايكروية المرغوبة بالنقاط التالية:

١ – يكون الحد الادنى للذاكرة الداخلية 32 k

٢ – قرصان كحد ادنى تكون قدرتها الكلية حوالي نصف مليون رمز

٣ – جهاز طابع تعد حروفه ضمن طوق Formed Character وبسرعة 30–60 رمز بالثانية

٤– وحدة عرض مرئية ولوحة مفاتيح مماثلة الى آلة الطابعة

البرنامج

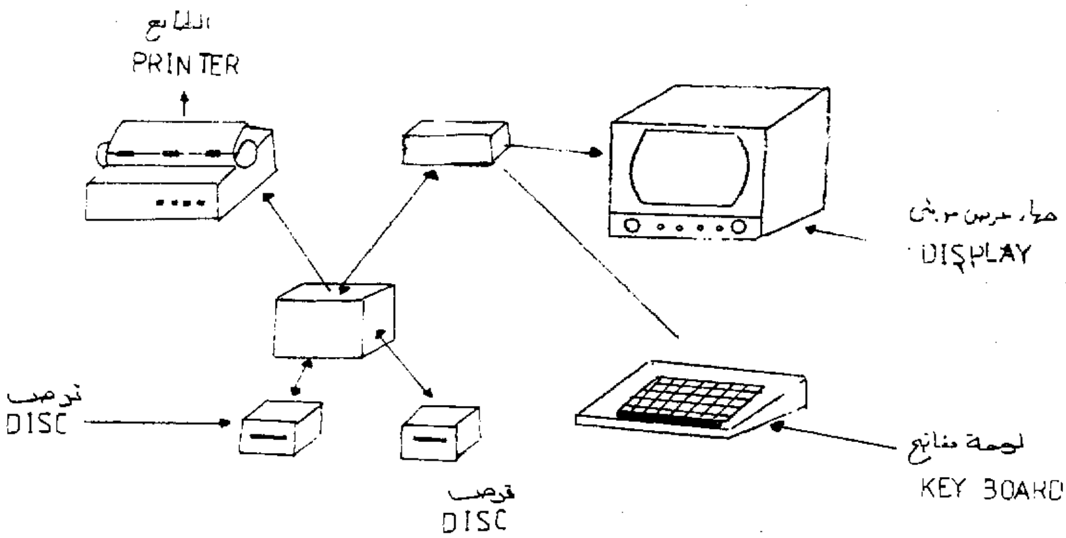
وتحتاج الحاسبة عادة الى سلسلة من الايعازات والتعليمات المنطقية للسيطرة على البيانات او المعلومات وتدعى بالبرامج Soffware او احيانا بالكيان الرياضي . وتقوم البرامج بارشاد الجهاز بالاعمال التي يجب ان ينجزها او التي تم انجازها . ويعتبر البرنامج من المكونات الرئيسية للحاسبة المايكروية . وبالامكان تقسيم البرامج الى ثلاثة انواع : –

ا – البرامج الاساسية Systems Softuare وهو من البرامج المهمة التي تشغل الحاسبة وتجعلها تتسلم وتقدم الايعازات والتعليمات ويربط الملحقات بالوحدة المركزية ويكتب التعليمات على الوحدة المرئية . وهذا النوع من البرامج غير منظورة وتؤثر على سرعة وكفاءة الحاسبة .

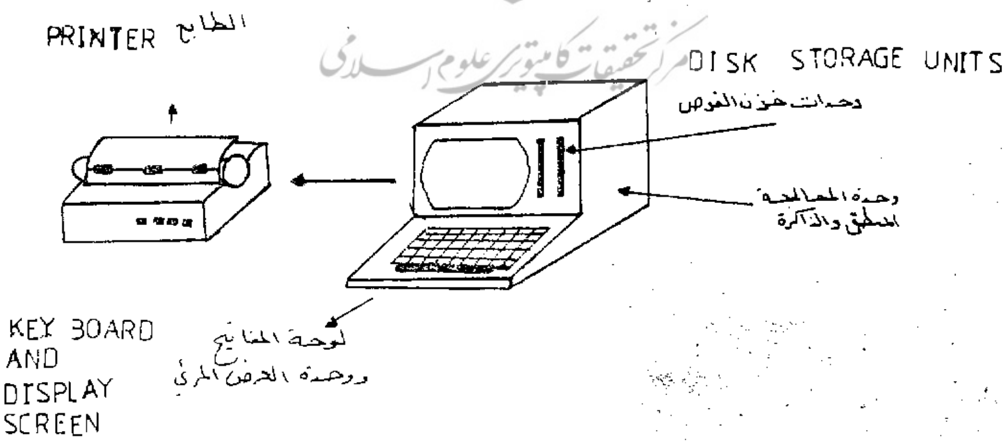
---

(١) P.W. Williams
The potential of the micropracessor in Library and Information work.
Aslib Proceedings. 31 (4), April 1979, p

(٢) . Allan Pratt
The Use of Microcomputers in Libraries
Journal of Library Automation, Vol. 13/1, March 1980, P. 12



شكل رقم (2) مكونات النظام كوحدات منفصلة



شكل رقم (3) الحاسبة الالكترونية مع كافة مكوناتها بوحدة واحدة ما عدا الطابع بوحدة منفصلة

2 – البرامج التطويرية Development Software . وهذا النوع من البرامج مهم عند التخطيط لكتابة البرامج الخاصة او عند تغيير او تطوير البرامج الأساسية للحاسبة نفسها .

3 – البرامج التطبيقية Applications Software . وهـذا النوع مـن البرامج من الممكن شراؤه كبرامج جاهزة (حزم) Packages مكتوبة على اقراص وتكون جاهزة للتشغيل بدون الحاجة الى معرفة في اسلوب عمل الجهاز .ولا يشغل هذا النوع من البرنامج بدون البرنامج الاساسي . ويكتب احيانا بناء على طلب خاص . ويرافق هذا البرنامج كتاب يدوي لغرض متابعة العمل .

ويبدو مفضلا ان لاتحاول المكتبة في اعداد البرامج الاساسية لانها معقدة جدا وصعبة وغالية الثمن وانما يجب ان تحصل عليها جاهزة من مؤسسات تقوم بكتابتها . وبصورة عامة ، يجهز الحاسب والبرنامج معا ، ويقوم البعض من المؤسسات ببيع انواع من برامج التطبيقات والتي عادة لاتتطلب برمجة وانما اتباع تعليمات خاصة بتشغيل البرنامج والمبادرة بالاعمال التي صمم البرنامج من اجلها (١).

خصائص الحاسبة المايكروية

في السنين القلائل الماضية توفرت الحاسبات المايكروية في الأسواق بأسعار رخيصة مما جعلها تضاهي الحاسبات الأخرى كالحاسبة الصغيرة Minicomputer والحاسبة الكبيرة Mainframe من حيث الثمن .

ومن خصائصها المميزة صغر حجمها حيث بالأمكان امتلاكها بالبيت أو الدائرة لعدم اشغالها حيز كبير وسهولة تنقلها من مكان الى اخر .

تقوم الحاسبة المايكروية بنفس العمل الذي تقوم به الحاسبة الكبيرة وبأمكان غير المتخصصين التدريب على استعمالها بفترة قصيرة . وتعتبر كمرحلة أولى للتهيؤ للتعلم على الحاسبات الأكثر تعقيداً لما تتميز به من عدم التقيد بالوقت عند الأستعمال مقارنة بالحاسبة الكبيرة ، وبالأمكان السيطرة على استخدامها وبدقة أكثر بدون اللجوء الى خبراء متخصصين .

ومن مميزاتها أيضاً سهولة استخدام البرامج الجاهزة دون التقيد بالبرنامج المصمم للحاسب (٢).

---

(١) Rose Deakin.
Microcomputing: Every thing you ever wanted to know
Great Britain, Sphere Books, 1982, P. 33–43.

(٢) Rose Deakin. P3

وفي مجال المكتبات لها فائدتين اذ يمكن استعمالها بصورة منفردة أو ربطها بحاسبة كبيرة ، وبهذه الحالة تعتبر كمحطة طرفية Terminal أو بكليهما . واذا تم استعمالها كما ذكر أعلاه فسيصبح بالأمكان التوصل للحصول على معلومات وملفات من الحاسبة الكبيرة واستنساخها على شكل أقراص والتصرف بهذه المعلومات ومقارنتها بالمعلومات المتوفرة في الحاسبة وتحليلها . ومن التطورات الحديثة الأخرى ماقدمته مؤسسة Telecommuni cation Corporation of America بتوفير خدمة تدعى المصدر (Source) الى مالكي الحاسبات المايكروية الذي يفيد في البحث عن ملفات البيانات وكذلك في امكانية ارسال بريد الكتروني لمستفيد آخر مربوط جهازه بالحاسبة الكبيرة المستعملة من قبل الأول يستلمه عند تشغيل حاسبته واشعاره بما ارسله الأول (١) .

وقد ذكر هاينز ونيكل بأن الحاسبة المايكروية تشغل في اية لحظة نرغبها ، وان استعمالها غير خاضع الى توفر خطوط الهاتف ، لذا فأن استعمالها لايضيف كلفة استعمال الهاتف الا في حالة استخدامها كمحطة طرفية (٢) .

تحديدات الحاسبة المايكروية

بالرغم من تطور الحاسبة المايكروية وشهرتها وكثرة مبيعاتها في الأسواق وتطبيقاتها المختلفة ، الا أن فيها بعض التحديدات قد تمنع من استخدامها في بعض التطبيقات ومنها :

١ — حجم الذاكرة : ان حجم الذاكرة في الحاسبة المايكروية محدد بـ 64k أي مايساوي 65536 bytes

٢ — الخزن : ان من ارخص الأشكال المستخدمة في الخزن هي اشرطة الكاسيت ، وللوصول الى البرنامج المطلوب فأنه من الواجب تشغيله بصورة متسلسلة وهذا قد يستغرق بعض الوقت تصل الى بضعة دقائق أحياناً . لكن ظهور الأقراص الطرية المرنة ساعد على التغلب على هذه المشكلة اضافة الى قابلية خزن معلومات أكثر بمقدار (70 K bytes الى فوق المليون بايت (M byte)) وعلى قرص واحد . وبالرغم من ذلك فلا يزال هناك

---

(١) نفس المصدر ص 8
Allan Pratt.

(٢) Theodore C. Hines and Lois Winkel
Microcomputer aided production of indexes
The Indexer. Vol. 11, No. 4, Oct. 1979, P. 198.

تأخير ملحوظ في الحصول على البيانات وقد تم التغلب عليها أيضاً عن طريق استخدام الأقراص الصلبة (١) .

٣ ـ تقوم الحاسبة المايكروية بأنجاز عمل واحد فقط ، أي أنه لايمكن استعمال الحاسبة لغرض آخر في نفس الوقت على خلاف الحاسبات الكبيرة التي تسيطر على الكثير من العمليات المختلفة في آن واحد . وتنفذ الحاسبة اعتيادياً البرنامج المخزون في ذاكرة القراءة فقط ، ولايمكن تغيير وظيفة الحاسبة بالسهولة التي تتم في الحاسبات الكبيرة والتي يمكن أن يتغير فيها البرنامج حسب الطلب (٢)

تطبيقات الحاسبة المايكروية في المكتبات ومراكز المعلومات

لقد طبقت الحاسبات المايكروية في مجالات الحياة المختلفة للتعويض عن العمليات اليدوية ولتخفيض الكلفة وتحسين الجودة والكفاءة والأسراع في العمل ولتقديم أفضل الخدمات للمستفيدين .

ولو أخذنا نظرة على الأنشطة التي تتم في المكتبات ومراكز المعلومات لتبين لنا بأن عدد كبير منها قد خضعت الى تطبيقات الحاسبات المايكروية ، وان العائق الوحيد لتوسع استعمالها في الوقت الحاضر هو عدم توفر البرامج المناسبة وندرة البرامج الأكثر استعمالاً في المكتبات للأغراض المختلفة . اضافة الى الكلفة الباهضة للخدمات المايكروية مقارنة ببدائلها من الخدمات التقليدية المستخدمة حالياً (٣)

---

(١) Adrian Stokes
Characteristics of Micros and their applications, in: —Minis, -Micros and Terminals for Libraries and Information services, edited by Alan Gilchrist. London, Heyden & Son, 1981, P. 47–53. (British Computer Society Series).

(٢) جان سعيد سركيس في تطبيقات الحاسبات المايكروية،الحاسبات الالكترونية. ع٧، ١٩٨١، ص ٦٩ .

(٣) M.J. Rowat
Microcomputers inLibraries and information depar-ments.
Aslib Proceedings, 34 (1), Jan. 1982, P: 30.

أدناه بعض التطبيقات المستخدمة في مجال المكتبات والمعلومات : —

١ — التزويد : لقد ذكر (طيب) بأنه بالأمكان وضع محطات طرفية في قسم التزويد لغرض ارسال مدخلات المعلومات الى الحاسبة الرئيسية والتي يتم معالجتها من قبل المبرمجين والمحللين Programmers Analysts .

وقد لوحظ بأن بعض الأعمال تعالج بصيغة أفضل في الحاسبة المايكروية مثلاً : —

(أ) تدقيق استلام الدوريات الواردة
(ب) اعداد قوائم الحسابات (الفاتورات)
(ج) الأحصائيات
(د) معاملات تجار الكتب .

وبأمكان الحاسبة تدقيق قوائم الكتب هجائياً عن طريق العنوان والمؤلف وهذه الطريقة تساعد في ضبط وتحسين عملية الأستلام وتساعد في تسهيل تسجيل المدفوعات لكل كتاب مما تحقق اقتصاداً في الوقت والمصروف (١).

نظام الفهرسة

لايزال استخدام الحاسبة المايكروية في نظام الفهرسة محدود لحاجتها لجهاز طابع متطور للحصول على مخرجات جيدة ، واستخدامه يكلف مبالغ كبيرة ، وتتطلب الفهرسة أيضاً حاسبة بقدرة خزن عالية لتتضمن كافة سجلات الفهرسة . والأمثلة بهذا الخصوص محدودة ، فقد بين وينفيلد بأن مؤسسة (SETRHA)

South East Thames Regional Health Authority

استخدمت منظومة معالجة العبارة (**) Word Processor لأدامة الفهرس واعداد فهارس بطاقية حيث تقدم تفاصيل الكتب وتدخل الى المنظومة ومن ثم تخزن على القرص الطري ، ويقوم البرنامج بمعالجة التفاصيل الببليوغرافية لينتج العدد المطلوب من البطاقات بصورة أوتوماتيكية بالصيغة المطلوبة (٢) .

---

(١) Rasid Tayeb.
Microcomputers: implications for technical Services.
Canadian Library Journal. April 1983, P. 64.

(**) راجع الشرح في المفردات

(٢) R.B Winifield.
An informal survey of operational microprocessor based Systems, Autumn 1979.
Program, Vol. 14, No. 3, July 1980, P. 126.

تكشيف الكتب والكشافات

لقد بين (هاينز ونيكل) بأنه بالأمكان استخدام الحاسبة المايكروية في تكشيف الكتب وذلك بأستخدام اربعة مراحل: يستخدم في المرحلة الأولى برنامج القلم الكهربائي Electric Pencil Program لغرض جمع البيانات الأولية وتحريرها editing وتختار مدخلات بسيطة جداً لتقليل الجهد ولغرض تقديم مداخل بصيغة مناسبة. أما البرنامج الثاني Entry Development Program فيتم فيه وضع ارقام الصفحات وتوسيع المداخل ، ويطبق هذا البرنامج على مخرجات القلم الكهربائي . والبرنامج الثالث هو من نوع افرز وادمج Sort/Merge والذي يكون بصورة أوتوماتيكية مفاتيح فرز sort keys وقد يضيف أو يدمج مداخل الكشاف بواسطتها . ويعتبر البرنامج الأخير للكشاف Basic index Program هو البرنامج المفتاحي للمجموعة ويقوم بتوحيد أرقام الصفحات بالنسبة للمداخل المتماثلة ويعالج المداخل الفرعية ويضع الأشارات في حالة المواضيع المجزئة ما بين الأعمدة والصفحات ويهيء كشاف مكتوب جاهز للطبع أو للأوفسيت أو أي طريقة أخرى للأستنساخ (١) .

تعتبر هذه العملية أقتصادية بسبب قلة كلفتها وبأمكان العاملين في اعداد التكشيف الأستفادة من الجهاز لغرض جمع البيانات وتحرير الكشافات والتخلص من مشاكل تصحيح الأخطاء التي تتطلب عادة الجهد والوقت .

وما يتعلق بأعداد الكشافات فقد قامت مؤسسة BCRA CBritish Ceramics - Research Association في اعداد كشاف بطاقي بواسطة الحاسبة المايكروية ، اذ حددت رموز وعلامات للكشاف عند كتابة المستخلصات التي تعود الى مجلة British Ceramics Abstractcs والتي تدل الجهاز عن رقم وترتيب البطاقات التي ستعد (٢) .

٤ — الاعارة

ظهر عدد لابأس به من الممارسات في استخدام الحاسبة المايكروية في الاعارة ، اذ استخدم الجهاز لتطوير نظام الاعارة في المكتبة العامة في نيويورك East Meadow, Long Island, New York

---

(١) نفس المصدر السابق ص 198 – 201 Theodore C. Hines & Lois Winkel

(٢) نفس المصدر السابق ص 126 R.B. Winifield·

المصنع من قبل شركة Decicom Systems Inc. Farmingdale وبقيمة ثلاثون الـف دولار عام 1978 . ومن ميزة استخداماته كما بينتها مسؤولة المكتبة المذكورة هو انخفاض كلفة الخدمات الى الثلث اضافة الى سهولة استخدامه . ويزود المشترك بالمكتبة ببطاقة خاصة وعند اعارة كتاب من المكتبة يقوم المكتبي بوضعه في محطات نظام المكتبة الالي، كما يوجد لكل كتاب بطاقة ورقية موجودة في جيب الكتاب . وعند اعارة الكتاب يقوم المكتبي بوضع البطاقات في المحطة الطرفية لجهاز الحاسبة المايكروية والذي بدوره مربوط بجهاز حاسبة مركزي وبهذه الطريقة تتمكن المكتبة من الحصول على المعلومات التالية : —

(أ) اسماء الكتب المعارة والمعادة .

(ب) اسماء الأشخاص الذين عليهم غرامات أو الذين عليهم كتب مستحقة منذ فترة طويلة .

(ج) الكتب المعادة والتي قد حجزت من قبل اشخاص آخرين .

أما الحاسبة المركزية فتجهز بأحصائية اسبوعية بالمعلومات الانفة الذكر اضافة الى معلومات احصائية أخرى مثل قوائم الجرد واسماء الكتب الشائعة والأكثر عرضة للأستعمال وكذلك للسرقة (١) .

كما لوحظت عمليات مماثلة للمذكورة اعلاه وذلك عند تطبيق الحاسبة المايكروية في جامعة نيوكاسل (٢) وجامعة سري (٣) في المملكة المتحدة .

٥ — استرجاع المعلومات :

وضمن هذا الموضوع حصل نوعين من التطبيقات ، اولا هو استخدام الحاسبة لنظم الاسترجاع المكتفية ذاتيا Self contained retrieval systems

(١) "Low cost microcomputer System automate, Library Services"
Design News, May 1979, P. 54.

(٢) J. Bagnall and M. Spring
New Circulation System at Newcastle University
Vine, no. 37, Feb 1981, P. 12–18.

(٣) G. Davies, M. Burden
Micro–aided Systems at the University of Surrey....
Vine, no. 47, 1983, P. 25–31.

اما الثانية فهو استخدامها كمحطة ذكية Intelligent Terminals وبخصوص النوع الأول يتوفر في الحال الحاضر برامج لمختلف انواع الحاسبات . ومن التطبيقات المتميزة في هذا المجال هو التطبيق الذي قامت به مؤسسة British Ceramics (BCRA) Research Association لاسترجاع محتويات اعـــداد مجلة مستـــخلصات السيراميك البريطانية British Ceramics Abstracts واستخدمت اجزاء من القيود records لاصدار نشرة المستخلصات والتي نقلت إلى قرصين طريين والتي تم تحديثها شهريا لتنتج الكشاف السنوي ويحمل القرص الأول اسماء وارقام المستخلصات بينما يحمل الاخر رموز الكشاف والعلامات الأخرى وارقام المستخلصات .

وقد استخدمت الحاسبة المايكروية كمحطة ذكية في مؤسستي (ICI) Pilkington Brothers , Imperial Chemical Industris لغرض الاسترجاع من قواعد المعلومات الداخلية والخارجية المثبتة في نظم الحاسبة الالكترونية الكبيرة وبعد الحصول على المعلومات المطلوبة تتيح هذه النظم اعادة صياغتها بطرق متعددة وتعدل المعلومات وفقاً للطلبات الفردية او الجماعية . وبالامكان ايضا جمع معلومات من مصادر متنوعة اوقواعد للبيانات في منظومة معالجة العبارة Word Processor لاصدار ببليوغرافية مثلا اضافة إلى ذلك بالامكان خزن المعلومات والبيانات وتقديمها إلى النشرة الدورية للمؤسسة (١)

٦ — العمليات الحسابية

استخدمت الحاسبة المايكروية في اعداد الميزانية وفي اجراء التصحيحات والتعديلات عليها قبل تقديمها بصورة نهائية وذلك في مؤسسة Pilkington Brothers وكذلك استخدمت في اجراء عمليات حسابية بسيطة في مؤسسة (BCRA) British Ceramics Research Association لترقيم النشرة التي تصدرها المؤسسة (٢)

٧ — معالجة العبارة

ان المعنى الحقيقي لمعالجة العبارة هو اعداد وتحرير وخزن واسترجاع النصوص . وباستخدام جهاز من نوع Wang 25/2 في مؤسسة National Reprographic Center for Documenration ساعد على تحويل كافة المراسلات الروتينية الى الجهاز وكذلك مسودات وتحرير تقارير البحوث (٣)

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٢٦ R.B. Winifield

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٢٧ R.B. Winifield

(٣) « « « « ١٢٥ « « «

الخلاصة

لقد كانت تطبيقات الحاسبة الكبيرة في مجال المكتبات والمعلومات محددا نوعا ما بسبب كلفتها الباهضة . وساعد التقدم الحاصل في تكنلوجيا الالكترون المايكروي المكتبات ومراكز المعلومات التي لم تتمكن من استخدام الحاسبة الكبيرة على استخدام الحاسبة المايكروية لقد نافست الحاسبة المايكروية الحاسبات الكبيرة من ناحية قلة كلفتها وقدرتها العاليـــة اذ انها تنجز نفس العمليات التي تنجزها الحاسبة الكبيرة . وبدون شك ، فان امكانيـة استخدامها من قبل غير المتخصصين كان العامل الاخر في زيادة اهميتها .

وقد اثبتت الحاسبات المايكروية فائدتها بالنسبة للمكتبي وموظف المعلومات من خلال التطبيقات التي تمت في هذا المجال ، حيث اصبح بالامكان اعتبار هذه التطبيقات ادلة مقنعة على توسع استخدامها في العمليات المكتبية المختلفة .

اما الجوانب التي يجب التركيز عليها قبل المبادرة باقتنائها فهي تحليل ودراسة العمليات والانشطة المرغوب تطبيق الحاسب فيها ثم اختيار الجهاز المناسب مع الاخذ بنظر الاعتبار سعة ذاكرتها وعدد الاقراص والقدرات الكلية لها . اضافة الى توفر جهاز طابع جيد وشاشة عرض مرئية . ومن اكثر الامور اهمية هي توفير البرنامج المناسب للعمليات التي نرغب تطبيق الحاسب فيها .

فيما يلي شرح لبعض المفردات الواردة في الدراسة :

1 – البت : bit : منفذ – أصغر وحدة للمعلومات في النظام الثنائي. وهي الاختيار بين حالتين ممكنتين وتتمثل بالرقمين واحد وصفر .

2 – البايت : byte : وحدة اساسية للمعلومات في الحاسب وعادة يمثل البايت رمز واحد ويتكون من 8 بتات ويساوي رمز واحد اربايت واحد . ان معظم الحاسبات في الحال الحاضر مستندة على وحدة الخزن بايت والعديد منها لها بايتين في وحدة الخزن .

3 – البيانات : Data : المعلومات التي تنقل من والى الحاسبة .

4– الحاسبة الصغيرة : Minicomputer : تستخدم لـوصف نظـام الحاسب الصغيرة والتي تكون فيها الملحقات والبرامج الأساسية محدودة نسبياً .

5 – الحاسبة الكبيرة : Main. Frame : تستخدم لوصف انظمــة الحاسب المعقدة التي تحتاج إلى برامج اساسية واسعة وتستخدم لوصف الاجزاء الرئيسية من الحاسب وهي وحدة المعالجة المركزية والمخزن .

6 – الذاكرة Memory : مـن المكونات الالكترونية التي تقوم بخزن المعلومات وتدعـى احياناً ذاكرة القراءة فقط او ذاكرة الوصول العشوائي .

7 – ذاكرة القراءة فقط : Read Only Memory هي الذاكرة التي لا تكتب بعد تصنيع الجهاز وانما تقرأ فقط من قبل المستفيد ، وعادة لا تفقد هذه الذاكرة عند انقطاع القوة الكهربائية ولا يمكن تغييرها من قبل الحاسبة او العاملين على الحاسبة .

8 – ذاكرة الوصول العشوائي Random Access Memory هي الذاكــرة العاملة في الحاسب . وبالامكان تغييرها حسب الحاجة وتفقد هذه الذاكرة عند انقطاع التيار الكهربائي .

9 – الرمز : Character ويتمثل بالحروف والارقام والرموز التي قد ترتب لتصبح معلومات

10 – القرص : Disc/Disk وسيلة لخزن المعلومات وتكون على شكل قرص دائري مسطح . تخزن عليه المعلومات بواسطة المغنطة الموجودة على سطحه ويكون اما طري او مرن Floppy واما صلب hard

11 – الكيلوبايت : Kbyte . قدرة خزن شريحة الذاكرة وهي عادة عدد مضاعف لـ 1024 بايت . ويمثل الكيلو الواحد رقم 2 مرفوع للاس 10 او مـا يساوي 1.024

13 – المدخلات : Input : عملية نقل البيانات او المعلومات لنظام الحاسب .

13 – المحطة : Terminal : جهاز ملحق بالحاسب ويحتوي على طابع وجهاز للعرض ولوحة مفاتيح . ويستخدم لايصال المعلومات من والى نظــام الحاسب.وبالامكان ان يكون بعيدا عن نظام الحاسب بربطه بقناة اتصالات

14 – المخرجات : Output : عملية نقل البيانات او المعلومات من نظام الحاسب الى خارجه

١٥ ـ منظومة معالجة العبارة Word procesoor ـ عبارة عن آلة طابعة كهربائية لها خواص ميكانيكية ومفاتيح للاحرف والارقام ووحدة مرئية لادخال المعلومات ووحدات لخزن المعلومات على شكل اشرطة او اقراص ولها امكانية تصحيح الاخطاء عند ادخال المعلومات او اعادة تصميمها بعد خزنها . وان الفارق بينها وبين الحاسبة المايكروية بسيط جدا اذ انهـا اكثر تحديدا من الأخيرة .

١٦ ـ ميغابايت Meyabyte مليون بايت

١٧ ـ وحدة المعالجة المركزية Central Processing Unit وهي جزء من الحاسب الذي يمثل (العقل) والذي يرشد الحاسب على العمليات التي يجب ان يقوم بها .

المصادر : الكتب

1- Deakin, Rose. *Microcomputing: Everything you Ever Wanted to know*. London: Sphere Books, 1982.

2- Kraft, George D. and Wing M. Toy. *Mini Microcomputer Hardware Design*. Englewood Cliffs N.J: Prentice Hall, 1979.

3- Osborne, Adam. *An Introduction to Microcomputers*. Vol. O. California: The Beginners Book, 1977

4- Shelley, John. *Preparing for Computers*. London: Pitman, 1982.

5- Stokes, Adrian V. "Characteristics of Micros and Their Applications. in *Minis, Micros and Terminals for Libraries and Information Services*. edited by Alan Gilchrist. (British Computer Society Workshop Series). London Heyden & Son, 1981.

1- Armstrong, C.J, R.F. Guy and J.D. Painter. "Micro-computers or word processors in the Library," *Reprographics Quarterly,* 14, No. 13 (1981), 98-103'

2- Bagnall, J. and M. Spring. "New Circulation System at Newcastle University," *Vine,* No. 37 (Feb 1981) 12-18

3- Davies, G. and M. Burden. "Micro-aided systems at the Universty of Surrey. "*Vine,* No. 47 (1983), 25-31.

4- Hines, Theodore C. and Winkel Lois. "Microcompuler aided production of indexes," *The Indexesr,* 11, No.4 (Oct. 1979), 198-201.

5- Horner, G. and F. J. Teskey. "Microcomputer and the School Library," *The School Librarian,* 27, (Dec. 1979), 340-344.

6- Lopez, Antonio M. "Microcomputers: Tools of the present and Future," *School and Media Quarterly,* (Spring 1981), 164-167.

7- Mason, Robert. "What good are Microcomputers Anyway?," *Library Trends,* (Jan 1983), 108-110.

8- Pratt, Allan. "The Use of Microcomputers in Libraries," *Journal of Library Automation,* 13, No.1 (March 1980), 7-17.

9- Rowat. M.J. 'Microcomputers in Cibraries and Information Departments," *Aslib Proceedings* 34, N.1 (Jan. 1982), 26-37.

10- Tayyeb, Rashid. "Microcomputers: Implication for Technical Services, "*Canadian Library Journal,* (April 1983 64.

11- Thomason, Nevada. "Micro computers and Automation in the School Library mediaCenter," *School Library Media Quarterly*, (Summer 1982) 312–319.

12- Williams, P.W. "The Potential of the Microprocessor in Library and Information, "*Aslib Proceedings*, 31, No. 4 (April 1979), 202–299

13- Winifield, R.B. "An Informal Survey of Operational Microprocessor Based Systems, Autumn 1979," *Program*, 14, No.3 (July 1980), 121–129.

14- "Low Cost Microcomputer System Automates Library Servces." *Design Neios*, 5,8 (1978), 54-56.

(١٥) جان سعيد سركيس في تطبيقات الحاسبة المايكروية الحاسبات الالكترونية ع ٧ ، (١٩٨١) ص ٦٧ — ٧١ .

اللغات الاوربية

CONTENTS

References :

1. Badir *Kh*an, K.A. Elfabeya Kurdi . Damascus, 1938 (a). 48 p.
2. ———— Elfabeya min. Damascus, 1938 (b). 23 p.
3. Bois, T. The Kurds / translated from French by professor M.W.M. Welland. Beirut, 1966. iii, 159 p.
4. Edmonds, C.J. Suggestions for the use of Latin characters in the writing of Kurdish. *Journal of the Royal Asiatic Societ3,* 1931, pp.27 - 46.
5. ———— Some developments in the use of Latin character for the writing of Kurdish. *Journal of the Royal Asiatic Society,* 1933, pp. 629 - 642.
6. Garzoni, M. Grammatica e vocablario della lingua kurda. Rome, 1787. 288 p.
7. Heroqol Azizan Rezana elfabeya Kurdi Note sur l'alphabet Kurde. Damascus, 1932.
8. Kori zanyari Kurd Renusi Kurdi. Baghdad, 1976. 18 p.
9. Mackenzie, D.N. Kurdish dialect studies. London, 1961. 2 vol. (XX,247; Xiv, 378 p.).
10. Minorsky, V. Remarks on the Romanized Kurdish alphabet. *Journal of the Royal Asiatic Society,* 1933.pp. 643 - 650.
11. Nariman, M.A. Bibliografiyay kitibi Kurdi 1787 - 1975. Baghdad, 1977. 237 p.
12. Rondot,p. L'alphabet kurde en caracteres Latins d'Armenie sovietique. *Revue des etudes islamiques, 7, 1933. pp. 411 – 417.*
13. ———— *L'adoption des caracteres Latins et le mouvement culturel chez les Kurds de L' U.R.S.S. Revue des etudes islamiques,* 9, 1935 (a) pp.87 – 96.
14. ———— Trois essais de latinisation de l'alphabet kurde : Iraq, Syrie, U.R.S.S. *Bulletin d'etudes orientales,* 5,1935 (b). pp.1 - 31.
15. Wahbi,T. Dasturi zmani Kurdi. Baghdad, 1929.48p.

	Modified Arabic characters	Roman Characters
	گ	g
	غ	*gh*
	ع	ʿ
	ه	h
	ح	ḥ
	ـــ	i
	ی	ī
	ج	j
	گ	k
	ح	*kh*
	ل	l
	ل	ł
	م	m
	ن	n
	و	o
	پ	p
	ق	q
	ر	r
	ر	r̄
	س	s
	ش	*sh*
	ص	ṣ
(see rule no.1)	ت	t
	و	u
	و	ū
	ڤ	v
— (See rule no.1)		w
	وی	we
	ی	y
	ز	z
	ژ	*zh*

Modified Arabic characters	Roman characters Small	Capital
م	m	M
ن	n	N
ه	h	H
و	u/w (See rule no.1)	U/w
وَ	ū	Ū
	o	O
— (See foot note no.8)	i	I
ی	y	Y
یَ	ī	Ī
یٓ	e	E
ویٓ	we	WE

For filing reasons the characters could be arranged as follows :

Modified Arabic characters	Roman characters
ه ، سه	a
ا ، آ	ā
ب	b
جَ	<u>ch</u>
	d
یٓ	e
ف	f

Modified Arabic characters	Roman characters Small	Capital
ئ (hamzah)	Not transliterated (see rule no.3)	
ه ، ـه	a	A
ا ، آ	ā	Ā
ب	b	B
پ	p	P
ت	t	T
ج	j	J
چ	*ch*	*CH*
ح	ḥ	Ḥ
خ	*kh*	*KH*
د	d	D
ر	r	R
ر	ṛ	Ṛ
ز	z	Z
ژ	*zh*	*ZH*
س	s	S
ش	*sh*	*SH*
ص	ṣ	Ṣ
ع		
غ	*gh*	*GH*
ف	f	F
ڤ	v	V
ق	q̀	Q̇
ك	k	K
گ	g	G
ل	l	L
	ł	Ł

an orthographic one, is transliterated as (i) :

ژن *zh*in (not *zh*n) (woman)

بردن birdin (not brdn or biridin) (taking)

3. In the Kurdish orthography the hamzah ئ always proceeds a vowel in initial word position. However, this ئ is not transliterated e.g.

ئەڕۆم arom (I go)

ئیوارە ewara (evening)

This also applies when it occurs in medial word position e.g.

دائەنیشت daanisht (he was sitting).

4. Loan words :

i. Loan words which occur in a Kurdish context are transliterated according to the Kurdish transliteration rules :

زەرف	zarf (not darf) ظرف)	
مستەفا	Mistafa (not Mustafa) مصطفى)	
مارف	Marif (not Ma'ruf) معروف)	
تەلەفزیون	talafizyon (not television)	

ii. Arabic names which occur in a Kurdish context and are written according to the Arabic orthographic rules are transliterated according to the Arabic transliteration rules :

عبدالرحمن	Abdul Rahman	(not Awrahman) ئەورەحمان)
مصطفى	Mustafa	(not Mistafa مستەفا)
ناظم	Nazim	(not Nāzim نازم)
مظهر	Mazhar	(not Mazhar مەزەر)

5. Capitalization:

Rules for the capitalization of English are followed.

The characters (vowels and consonants together with their equivillants);

2 - Vowels

Modified characters	Roman characters	Examples	
ه ، سه	a	ئەڕۆم	arom (I go)
ا ، آ	a	بار	bar (load)
و		كورد	kurd
وو	u	روون	rūn (clear)
ۆ	o	بۆن	bon (smell)
(8)	i	گرد	gird (hill)
ی	ī	مراوی	mirawī (duck)
ێ	e	پێرێ	pere (the day before yesterday)
وێ	We	خوێ	khwe (salt)

GENERAL RULES :

1. The lette(و)may be transliterated in different ways :
   a. As (w) when occurs :
      i. Initially, e.g.
         وەرە wara (come)
      ...Medially or finally preceeded by a vowel sound e.g.
         ناو naw (name)
         باوەر bawar (faith)
   b. As (u) when it represents a vowel sound, i.e. occurs in sylabic positions e.g.
         تونگ tung (strong)
2. Short vowel as in the word ژن , when medially between two consonants within the same syllable, has a phonemic value rather than

(8) The Kurdish short vowel (i) is not represented in the Arabic alphabet, i.e. it is not shown orthographically. See also rule 2.

(9) In Kurdish orthography, as it is stated by Mackenzie (1961, p.10), this vowel is "generally writtenوێ,and has at times been transliterated as (ö).
However ö, unlike (we) "never appears in initial position, while both may appear in medial position" e.g. weran, bărwez, blör. However, the form (We) is Preferred in this study.

1. CONSONANTS

Modified Arabic characters	Transliteration into Roman characters
ك	See rule no.3
ب	b
پ	p
ث	t
ج	j
چ	*ch*
ح	ḥ
خ	*kh*
د	d

Modified Arabic characters	Transliteration into Roman charact
ر	r
ر	r
ز	z
ژ	*zh*
س	s
ش	*sh*
ص	s
ع	ʿ
غ	*gh*
ف	f
ڤ	v
ق	q
ك	k
گ	g
ل	l
ل	t
م	m
ن	n
و	w
هـ	h
ى	y

N.B. In Arabic loan words the characters ث and ص become س; ذ , ض and ظ become ز and ط becomes ت..

The transliteration system proposed for use in libraries:

A certain number of Kurdish publications found their way to some of the Western World libraries and their transliteration has been an outstanding problem.

There are certain transliteration rules for the Arabic, Turkish and Persian publications; but as far as the Kurdish publications are concerned there is no generally accepted transliteration system, and each library either applies the existing systems for Arabic, Turkish or Persian, or follows a modified system of its own which is often unsatisfatory and inconsistent. For example :

	Library	Transliteration
قادر فتّاحي قاضي	– School of Oriental and African Studies.	QAZI (Qādir Fattāhi)
	– Brisish Library	KĀZĪ (Kādir Fattāḥi)
	– Manchester University	QADI (Qadir Fattahi)
ئەورەحمانی حاجیَ مار	– School of Oriental and African Studies	MARIF (Awrahmān-ī Haji)
	– Oxford University	MARF (Ewreḥman-î Ḧacî)
مەسعود محمەد	– School of Oriental and African Studies	MUHAMMAD (Mas'ūd)
	– Oxford University	MIHEMED (Mes'ūd)

	Library	Transliteration
جەمال نەبەز	– Schoool of Oriental and African Studies	NABAZ (Jamal)
	– British Library	NEBEZ (Jemal)
کەمال مظهر أحمد	– Oxford University	EḦMED (Kemal Mezhar)
	– Oxford University	MEZHER (Kemal)

The following proposed system is the transliteration of the Kurdish characters currently in use. These characters were proposed by the Kurdish Academy in Baghdad in 1976 to be used as standards for Kurdish publications.[7]

---

7. Previously ر was used instead of ڕ, ل instead of ڵ, و instead of ۆ, and the long vowel ێ was not distinguished from the consonant ی.

entirely unsitable for the Kurdish language as Minorsky (1933 p.643) comments : "The inconvenient side of all semitis alphabets is their disregard of vowels (not only short ones, but some of the long ones and the diphthongs)... This system is entirely unsuitable for languages with a developed vocalic system where vowels are not accessories consonantic frame but integral parts of the stem..."

For this reason, as early as 1920 the adoption of the Latin alphabet was considered and a small pamphlet was published in Baghdad by two Sulaimaniya schoolmasters, Muhammad Zakī Effendī and Mirzā Muhammad Bāshka, with the assistance of Major E.B. Soane and Captain W.J. Farrell. This was followed by other efforts, such as two articles by Edmonds (1931,1933); Edmonds suggested Latin equivalents for the modified Arabic characters proposed by Taufiq Wahbi (1929). Minorsky (1933) in an article made comments on Edmonds' two articles and put forward his suggestions.

In Syria Kurdish intellectuals, notably the Badir Khan family in 1932, founded another Latinized system. The system was published in the first issue of 'Hawar' review (15th May 1932, pp.8-10.)[5]

In the Soviet Union the Latin alphabet was adopted in 1930. However, later on the Cyrillic alphabet replaced it and it is in use at the present time.[6]

In Iraq as well as in Iran Latin alphabet was not adopted, but rather the Arabic alphabet has been used. In order to minimise the deficiency of the alphabet, Kurdish intellectuals added certain signs and modified some letters.

The latest modified Arabic system for Kurdish is the one proposed by the Iraqi Academy - Kurdish Committee in Baghdad (1976). This system, though successful to some extent, is still not very suitable. For example the short vowel (i) cannot be expressed. However, it is meant for use as standards for all publications.

---

5. Heroqol Azizan (1932) and also Kameran Ali Badir Khan (1938a; 1938b) published pamphlets on the system with texts. See the bibliography.

6. For detailed accounts of the adoption of the Latincharacters for Kurdish in the USSR see Rondot (1933; 1935a; 1935b).

The alphabet used for Kurdish publications and a proposed transliteration system for use in the Western World libraries:

By: Dishyar Muhammed

The first book printed in Kurdish was a grammar written by an Italian writer, P.Maurizio Garzoni and was printed in 1787 in Italy[1]. It contains a grammar (pp. 1-74) and vocabulary of Italian and Kurdish (pp. 75-288). The writer confines himself to the dialect of Kurmanji[2].

Few books only were published during the 19th and the early 20th centuries; but following the Great War Kurdish publications have been gradually increased in the number of titles. [3] The number of the titles published anywhere up to 1975 is 1254 titles; they are mostly published in Iraq.[4].

The alphabet used

The Kurds like Persians and also other Iranian nations and Turks (before the Latinization of the Turkish by Kemal Atatürk), use the Arabic alphabet to write their language. The Arabic alphabet without modification is

---

1. Three copies of this book are kept at the British Library (formerly the British Museum Library) and one copy at the Iraqi Academy - Kurdish Committee Library at Baghdad.

   The first Kurdish periodical publication was "Kurdistan" newspaper and the first issue was published on 22nd April 1898: For a detailed account of the Kurdish periodical publications see the author's thesis "A History and Union Catalogue of the Kurdish Periodical Publication, 1898- 1958".
   Submitted for the M.Phil degree at the University College London.
2. Kurdish consists of two main dialects : Kurmanji, spoken by the Kurds of Turkey, Syria, Soviet Union and Northern Iraq; and Sorani dialect used by the Kurds of Iran, and Eastern Iraq (Bois, 1966.pp.111).
3. Between 1787 and 1919 only 19 books were published (Nariman. p. 18).
4. Out of this number 1007 titles were published in Iraq, while 27 titles in Syria; 54 titles in Iran; 12 titles in Turkey; 130 titles in the USSR; 7 titles in Lebanon and Egypt; 9 - titles in the USA ; 3 titles in the UK and 5 titles in Pakistan (Nariman. p. 256).

BIBLIOGRAPHIE SOMMAIRE

- V. Hugo, odes et ballades - Les orientales, Garnier- Flammarion, Paris 1968.

- Maurice Grammont, petit traité de versification francaise, Armand Colin, coll. U Paris 1969.
- Yves Le Hir, analyses stylistiques, Armand Colin, coll. U Paris 1965.
- Pierre Guiraud, La stylistique, Presses universitaires de France Paris 1975.
- Pierre Guiraud, Essais de stylistique, C. Klinchsiedh, Paris 1970.
- W. Th. Elmert. La versification francaise, klinchsiech, Paris 1965.
- Bally Ch., Stylistique générale et stylistique francaise, Franche, Berne 1944.
- Cressot Marcel, Le style et ses techniques, Presse universitaires de France, Paris 1968.

volent (strophe 5); désert/ douce/ danse/ dune; beau/ blanc/ bel (strophe 7); bruns/ brûle; vieilel /va; baton/ blanc; soir/ cercles/ salles... (dernière strophe); tant que l'esprit est amené àtisser des liens nouveaux entre les différents concepts ou des images voisines.

Par là aussi, la nature essentiellement visuelle de ce texte s'enrichit des vibrations d'une harmonie subtile qui accompagne les divers mouvements des mètres; l'un césuré par tradition à l'hemistiche, l'autre, d'hèritage musical, affranchi de toute contrainte à priori, quels que soient par ailleurs les reliefs que le sens et une diction soutenue (celle de Victor Hugo lui-même) sont amenés à situer à des intervalles rapprochés.

Les Adieux de l'hôtesse arabe prennent ainsi la densité d'une prière voisine de la mélopée.

L'analyse ne peut jamais dénombrer totalement les richesses d'un beau texte. Mais on ne saurait caractériser celui-ci par ses seules qualités pittoresques. Sans doute on appréciera la ferveur du regard isolant des scènes, des moments privilégiés : "les soirs"; des gestes ou des attitudes apaises. La description n'est pourtant pas gratuite. Elle transcrit, à la facon d'une métaphore discrète. un message désenchanté.

L'alexandrin a perdu définitivement la ligne raide qui était souvent la sienne dans le style noble. Des reposoires variés en brisent le déroulement uniforme, suscitant des mises en relief variées : *Adieu, Adieu donc ! - Mais tu pars!* - Encadrés par des virgules, on reocontre : *gravis; car peut - être :* la conjonction avait été exclue sinon du beau style.

Des discordances nombreuses assouplissent le cadre des 12 syllables; rejet métrique : "de nos soeurs" (v.5); enjambements surtout qui étalent le champ du regard. Le cas se produit souvent de l'alexandrin vers l'octosyllable final : vers 5-6; 10-11; 29-30; 35-36. De même l'insolite ouverture du poème sur une discordance de strophe en strophe cette fois : une ample protase est suivie d'une apodose abrupte : *Adieu...* On ressaisit de cette faconeted manière exemplaire le courant bouleversé des pensées de l'hôtesse.

C'est moins aux énoncés excalmatifs inhérents qu discours lyrique, qui évitentla succession monotone de courbes assertives, qu'à la structure des phrases qu'il convient d'être receptif. Victor Hugo se plait è différer la proxosition principale pour mieux créer une tension : puisque...si tu l'avais voulu...si tu reviens... si tu ne reviens pas...

L'inversion a cessé d'être un artifice du vers. Elle peut suggérer un ordre logique. On voit d'abord la lance ou les démons se déchirent les ailes.

La phrase elle - même est ample, chargée d'incidents variées. D'où des éléments coordonnés de statut différent :

Ni l'ombre du palmier, ni le jaune maïs,...
Ni le repas, ni l'abondance,
Ni de voir...

La nominalisation est assurée par l'outil *de*.

Songe a son toit
Qu'elle n'a qu'une porte et qu'elle s'ouvre au ciel...

Une identique pensee selle le developpement. Cette respiration large souleve toutes les strophes; si bien qu'on retrouve sans une césure interne ou placée ailleurs qu'après le distique initial. La dissociation syntaxe et rime se révèle ainsi absolue, mais le rythme des vers 43-48 se fait plus haletant en liaison métaphorique avec l'idée. Une surcharge sonore enfin accompagne sans cesse l'enoncé : voir/voix; sein/ soeurs/ soirs; essaim/ danse; couronne/ coteau; dans la seule strophe 1! Au gré d'une lecture cursive : moucherons/ méchants; évantail/ vertes, (strophe 4); aveugles/

généreusement :

Du côté d'où vient l'hirondelle.

Chez les Arabes cet oiseau est un symbole de bonne compagnie.

Le sème du voyage (aventure, quête ou errance) s'oppose a celui de l'oasis (obnheur, plénitude de vie). "le" "voyageur blanc" est son cheval; ou bien le :

(...) beau jeune homme blanc, bel oiseau passager...

d'autre part le "toit de branches ou de toiles" ou la hutte. Un cavalier qui va "seul et jaloux", et les

(...) filles du désert
qui dansent pieds nus sur la lune.

Dans un premier moment [strophe 5], le, voici victorieux de forces surnaturelles; puis sous la menace de puissances maléfiques autrement dangereuses.

Signalons. enfin, que c'est sous le signe de la mort possible que le destin apparaît. Infranchissable et cercle (v. 48) à des positions symétriques dans la strophe renvoient aux mêmes idées d'interdit et d'anéantissement.

Ainsi la description n'est pas liée seulement à l'existant. Accordée au rêve, elle offre une transfiguration du réel; elle finit par ouvrir une perspective dramatique à la sensibilité.

La versification parachève la forme lyrique *des Adieux de l'hôtesse arabe*. Le choix du sizain hétérométrique signale tout de suite un dessein affectif.

Un tel schéma peut renvoyer à la *Jeune captive* d'A. Chenier. La resolution des strophes sur une consonne, et sur une rime feminine suscite des vibrations supplémentaires à ce mot ainsi Valorisé. A cet égard. on enregistrera la coloration du guatrin final (-a-) unie à -an- si différente de celle des autres strophes : indice du nouveau plan accordé à la derniere évocation.

Margré les homophonies complémentaires du type "*ses* chants", *mé*chants, les accords, sans être somptueux uniformément, restent suffisants : "pays" et "mais" sont de type traditionnel avec une consonne éteinte. Plus qu'un niveau grammatical et phonétique, c'est à l'aspect sémantique des rimes qu'il faut être affectif. Victor Hugo associe des mots insolites dans le discours verfié! jaloux – cailloux; hameau - les deux termes sont assimilés jusque dans une même vision graphique; dune - d'une... ici encore la jeune femme se confond avec le paysage.

Le plus que parfait rejette définitivement hors de tout saisie possible une époque abolie. C'est l'irréel du passé, le regret sans équivoque

Dans cet esprit, il convient d'interpréter les démonstratifs : gestes dérisoires d'une vaine tendresse dirigés vers des objets absents ou refusés á tout jamais.

Considérons la strophe :

Si tu reviens, grains, pour trouver le hameau,
Ce mont noir qui de loin semble un dos de chameau,
Pour trouver ma hutte fidèle,
Songe à son toit aigu...

Par la pensée, la jeune femme a suivi le voyageur. Le progrès du temps a été signalé par le tiret :

Mais tu pars? - nuit et jour, tu vas seul...

procédé typographique inventé sans doute par A. de Vigny dans *Moise* (1822). Une nouvelle étape sera franchie plus tard :

Adieu donc! - va tout droit...

La réussite d'un pareil texte vient de ce qu'il concilie ferveur et poésie du regard.

Les comparaisons visuelles sont si variées qu'il semble presque superflu d'en isoler :

Ce mont noir qui de loin semble un dos de chameau

On pourra encore admirer la présentation énergique de l'image servant à recréer un univers préservé grâce aux sensations qui en détaillent les éléments.

Ici, il ne s'agit pas de marquer l'exactitude des rapports mais leur force de suggestion. "Le rocher noir" et "l'onde rapide" sont évoqués dans un paysage d'orient ou la secheresse est redoutable. Le *miel* a été choisi à cause de ses connotations variées : douceur et fécondite.

A la manière arabe un énoncé intellectuel se dérobe sous l'expression figurée ou concrète : *palmier* et *feuilles vertes* sont des substituts d' immortalité ou de permanence. Le *maïs* signifie à la fois prospérité et fertilité. *Jaune* avive la représentation.

Les poètes n'ont pas besoin d'évasion matérielle; il leur suffit :

De s'en aller dans les étoiles!

La hutte est ouverte non pas vers l'un des points continentaux, mais

5-6; 39 et 40. L'art du poète assure une gradation ou une variété suffisante à l'interieur d'un schéma originaire.

La couleur locale est donnée par arabe, infranchissable, palmier, dune, chameau... par la peinture aussi ou la suggestion d'habitudes étrangères au monde du "voyageur blanc": contes *des milles et une nuits* (v.16), oubli du temps, lois de l'hospitalité arabe.

Moeurs patriarcales comme dans la *Genèse,* terre promise, mythe de l'homme et de la femme restés heureux au contact de la nature : telles sont les resonances majeures de notre poème qui s'inscrit dans une tradition heritée du XVIII[e] siècle surtout.

Ce poème est un révélateur d'un style noble insistant qui dématérialise un objet trop précis, il limite grâce au singulier dit poëtique et à l'article défini qui virtualise totalement: le palmier, le mais, lesein, l'oeil, l'hirondelle...

L'epithète trahit parfois aussi cet héritage : "hutte fidèle", comme le "lit effronté" de Boileou... C'est pourtant de ce côté gue la maitrise de Victor Hugo se manifeste tout de suite avec éclat. Les qualifications sont choisies pour leur sûreté expressive autant que leurs reflets symboliques. Racine pouveit écrire :

"Hippolyte étendu sans forme et sans couleur" A. Chenier (1819) et Delacroix (le Romantisme en peinture a précédé le romantisme dans les lettres) avaient montré le pouvoir de la couleur. De là ces touches précises souvent distribuées en antithèses complèmentaires :

garde-toi du soleil
Qui dore nos fronts bruns, mais brûle un teint vermeil.

Il convient même de valoriser des adjectifs en apparence usés : "*heureux* pays" (v.1), de mettre en rapport "onde rapide" (v.11) et "rapide étranger" (v.11), plus encore de noter l'esquisse de tableaux animés grâce à une forme verbale:

...la vieille qui va seule et d'un pas tremblant...

le mouvement s'installe dans la contemplation.

C'est bien ainsi qu'il faut interpréter ces *Adieux,* comme un soliloque *Tu* rétablit une présence idéale, alors gue l'ensemble de ces propos concerne un univers qui soustrait la durée : d'où le présent, le plus inactuel des temps, à toutes les strophes, sauf dans la strophe centrale :

Si tu l'avais voulu, peut-être une de nous
O jeunehomme, eût aimé te servir à genoux...

car on la retrouve dans l'Enfant (XVI):

Chio qui dans ses plats refeltait ses grands bois,
Ses coteaux, ses palais, et le soir quelquefois
Un choeur dansant de jeunes filles.

Sans doute, elle reparait avec plus de naturel à la fin de notre poème :

(Les) filles du désert, soeurs à la douce voix,
Qui dansent pieds nus sur la lune .....

Mais comment l'expliquer? certainement pas en référence à l'orient, mais par un spectacle vu à Paris durant la belle saison en 1828.

L'idée directrice de notre poème existait déjà dans *l'Ode de la Fille d'O' Taïti (IV,7)*

Oh : dis-mois, tu veux fuir?...
Pourquoi quitter notre île?...
Tu rempliras nos jours : à toi je m'abandonne.
Que t'ai-je fait pour fuir? Demeure sous nos cieux.
Je serai, si tu veux, ton esclave fidèle...
Reste, jeune étranger! reste et je serai belle.
Mais tu n'aimes qu'un temps, comme notre hirondelle.

L'oiseau reparait dans *Adieux de l'hotesse arabe (v. 36).* Signe et témoin d'une atmosphère comparable. Mais le ton demeure ici d'une discrétion plus émouvante, et Victor Hugo a renonce à un dénouement trop pathétique. Le dialogue fait place à un monologue qu'on peut imaginer intérieur surtout. Les propos de lajeune femme sont différents d'esprit : m'emmène-moi seulement mon maître. Allons-nous en, toi et moi...". Il n'y a aucune nostalgie dans cette demande, aucun regret pour ce qu'elle abandonne. La sensibilité de Victor Hugo a donc recréé, un personnage dans un univers de rêve.

Le titre nous offre les mots vecteurs du poème. Si l'on veut bien se rappeler en outre que l'un des sens de *Arabe* est "retour", on comprendra meiux le halo dont s'entoure cette évocation.

Tout texte poétique est une reprise incantatoire ou symétrie d'idées simples ou fondamentales. Ici : "Adieux", "Adieu donc" avec un adverbe qui souligne en conclusion une soumission au destin. "Si tu ne reviens pas" (positif, negatif) variation synonymique autour de soeurs et danse : v.

nous ne puissions les comprendre désormais que par cette lecture en filigrane en quelque sorte du recit de l'Ancien Testament. Moeurs patriarcales ou arabes sont confondues par le poète : le temps est donc aboli.

Dans une première rédaction, aprés avoir évoqué les aveugles démons qui volent dans la nuit Victor Hugo avait ecrit :

Crains les djinns, esprits noirs aux mains pleines de maux,
Tantôt du voyageur égarant les chameaux,
Ou du rocher rampant les voiles,
Sombre essaim qui, pareil au nuage qui fuit,
De ses ailes de plomb battant l'air de la nuit,
Vole en sou soufflant sur les étoiles.

or trois mois auparavant il leur avait consacré tout un poème "Djinns, octobre 1828". Il a donc jugé superflue cette nouvelle strophe très particularisée.

Au vers 5 une épithète molle a été supprimée : "le gracieux essaim" au profit d'une qualification non plus statique, mais dynamique accordée au verbe "couronne" et au substantif "danse" : "le tournoyant essaim".

Ajoutons aussi que Victor Hugo dans cette première rédaction avait mis (vers 32) :

Ce mont noir qui *là-bas* semble un dos de chameau. L'adverbe manquait de précision par rapport au regard : *de loin* est au contraire satisfaisant.

Signalons enfin que dans la première rédaction on lisait : La hutte n'a qu'une porte et regarde le ciel (v. 35). La personnification était trop hardie et n'exprimait qu'une idée passive, "et qu'elle s'ouvre au ciel" offre une valeur d'accueil beaucoup plus intéressante.

Quant aux étapes de la création de ce poème. Il est daté de movembre 1828. Un rapprochement s'impose avec *novembre* qui clot le recueil. On pourra des lors comprendre l'échappée offerte à la sensibilité hors d'une saison de brume et d'un lieu sans lumière.

On trouvera d'ailleurscette curieuse image :

De nos soeurs, dont, les soirs, le tournoyant essaim
Couronne un coteau de sa danse .....

Une poussière d'étincelles ;
A ta lance qui passe et dans l'ombre reluit,
Les aveugles démons qui volent dans la nuit
Souvent ont déchiré leurs ailes.

Si tu reviens, gravis, pour trouver ce hameau,
Ce mont noir qui de loin semble un dos de chameau ;
Pour trouver ma hutte fidèle,
Songe a son toit aigu comme une ruche à miel,
Qu'elle n'a qu'une porte et qu'elle s'ouvre au ciel,
Du côté d'où vient l'hirondelle.
Si tu ne reviens pas, songe un peu quelquefois
Aux filles du désert, soeurs à la douce voix,
Qui dansent pieds nus sur la dune ;
O beau jeune homme blanc, bel oiseau passager,
Souviens-toi ; car, peut-être, o rapide etranger,
Ton souvenir reste à plus d'une!

Adieu donc! - Va tout droit. Garde-toi du soleil,
Qui dore nos fronts bruns, mais brûle un teint vermeil ;
De l'Arabie infranchissable ;
De la vieille qui va seule et d'un pas tremblant ;
Et de ceux qui le soir, avec un bâton blanc, Tracent des cercles sur le sable!

Novembre 1828

Au préalable il convient d'examiner un certain de variantes.

L'épigraphe est absente du manuscrit, et Victor Hugo a placé son poème sous le signe d'un verset de la Genèse. Le problème se complique du fait qu'il s'agit en réalité du Ch. XXXIV. Pourquoi dans cette indication XXIV? Ceci est significatif. Au Ch. XXIV, on raconte l'histoire touchante de Rebecca. Il importe donc de lire notre poème avec en surimpression le récit bibliquecontenu dans le chapitre XXXIV. On ne saura jamais sans doute si le texte de la Bible s'est trouvé tout de suite à l'horizon de lapensée de Victor Hugo au moment où il écrivait ses vers. L'important c'est que

LES ORIENTALES
ADIEUX DE L'HOTESSE ARABE
LE STYLE ET LA VERSIFICATION DANS ADIEUX DE L'HÔTESSE ARABE

Dr. Abidali Abdulrida

Les orientales offrent une image colorée du monde méditerranéen :
arabe, grec, turc, sans localisation géographique très rigoureuse. Ce pcème *Adieux de l'hôtesse arabe* donne de cet univers une vision synthétique unie a un sentiment mélancoliqus.

Puisque rien ne t'arrête en cet heureux pays,
Ni l'ombre du palmier, ni le jaune maïs,
Ni le rapas, ni l'abondance;
Ni de voir à ta voix battre le jeune sein
De nos soeurs, dont, les soirs, le tournoyant essaim
Couronne un coteau de sa danse;
Adieu, voyageur blanc! J'ai sellé de ma main,
De peur qu'il ne te jette aux pierres du chemin,
Ton cheval à l'oeil intrépide;
Ses peids fouillent le sol, sa croupe est belle à voir,
Ferme, ronde et luisante, ainsi qu'un rocher noir
Que polit une onde rapide.
Tu marches donc sans cesse! Oh! qu n'es-tu de ceux Qui donnent pour limite à leurs pieds paresseux
Leur toit de branches ou de toiles!
Qui rêveurs, sans en faire, écoutent les récits, Et souhaitent, le soir, devant leur porte assis, De s'en aller dans les étoiles!

Si tu l'avais voulu, peut-être une de nous,
O jeune homme, eût aime te servir à genoux
Dans nos huttes toujours ouvertes ;
Elle eût fait, en berçant ton sommeil de ses chants,
Pour chasser de ton front les moucherons méchants,
Un évanteil de feuilles vertes.

Mais tu pars! - Nuit et jour tu va seul et jaloux,
Le fer de ton cheval arrache aux durs cailloux

REFERENCES

2. Abbs, B., Cook, V. and Underwod, M. *Realistic English Dialogues* Oxford University Press, 1968 .

2. Bloomfield, L. *Language*, Henry Holt and Co. New York 1933.

3. Crystal, D and Davy, D. *Investigating English Style*, London Longman 1969.

4. Crystal, D. and Davy, D. *Advanced Conversational Engiish* London, Longman , 1975

5. Gimson, A.C. *An Introduction to the pronunciation of English* Arnold , 1970.

6. Gopnik, M. *Linguistic Structures in Scientific English*, The Hague, Mouton aod Co. 1972 .

7. Hughes, A. and Trudgill, D, *English Accents and Dialects*, -London, Arnold, 11979.

8. Mclean, A.C. *Authentic Speech*, In 'Modern English Teacher' Vol. 8 Number 3 , 1981 .

9. Morrow, K. *Authentic Texts amd ESP*, In 'English for Specific Purposes, Susan Holden , 2977 .

10. Porter, D. and Robert, J. *Authentic Listening Activities*,, ELT Journal, Vol. 36/2, 1981 .

11. Quirk, R., Creenbaum, S. Leech, G. and Svartvik, J. *A Grammar of Contemporary English*, London and New York. 1972 .

12. Scott, F.S., Bowley, C.C., Brozkett, C.S., Brown, G.J. and .. Goddard, P.R. *English Grammar, A Linguistic Studay of its Cases and Structures*, Heinemann Educational Books Ltd 1968 .

to this subject, bearing in mind that the learners someday may confront real conversational situations where effective participation is necessary . Further research into the learners' needs and motivations is also helpful at this stage .

can no longer be neglected in the teaching of conversational English as they have come to be part and parcel of ACE extracts

Behind learners inadequate genuine conversational competence are perhaps the salient linguistic features of ACE dialogues such as incomplete sentences and words, constant repetitions, repidity, the presence of attention singnals and the very particularities of everyday life, frequent use of paranthetic hesotations and stereototyped conversational fillers, humorous words and phrases, jokes nonsense talk, interruptions,loosely connected sentences .. etc.

7. Suggestions and Recommendations :

To bridge the gap between ACE and NACE the authors recommend the following :

1. Learners should be exposed, at some stage to ACE extracts. It is preferable that the classroom activity involve listening comprehension of genuine informal situations and conversations

2. Learners should be made aware of at least part of the culture of the foreign language, signs of which are indeed very common in ACE. A knowledge of the culture of the foreign language adds a great deal to learners' comprehensibility and also helps to communicate effectively in genuine conversational speech .

3. Learners must also be made aware of the big differences existing between both types of conversational English. It is advisable that the teacher devote sometime to a discussion of the most salient features of ACE and NACE .

4. Although conversational English has become part of the ELT programmes at the university level, there has not been so far any guidelines to define the aim and objectives of the course. The authors recommend that more attention be paid

and do not join in the smiles of the friends around, or fail to understand the instructions of the public system announce-ments at the railway stations or cannot cope with an ordinary conversation on the particularities of everyday life between two or three speakers .

Judging by the wide range of differences in the linguistic features of ACE and NACE ELT materials comprising, in the main, relatively formal dialogues whether in the form of scripts or tape or cassette recordings have been inadequate for an effective participation in informal conversation. Participants in the ELT conversational materials are mostly EFL teachers or students of Applied lLinguistics who strictly adhere to the norms of RP accents.– (4) If learners are exposed only to NACE extracts they will not be able to communicate effectively with the majority of English people as Hughes and Trudgil (1979) point out "it is only 3% of the population of Britain speak RP"

The previous analysis has shown beyond doubt that differe-nces between NACE and ACE are too large to be ingnored. The language of classroom tape recorded dialogues , which is controlled, relatively formal and articulated clearly by professi-onals is insufficient by itself for a confident and fluent partici-pation in situations involving genuine conversational acts. It does not take learners of NACE dialogues a long time to disco-ver that most people do not speak like their teachers or text-books .

The differences noted on the various levels of analysis adopted in this paper define some of the areas leading to learn-ers' troubles with ACE. The absence or the very low frequency of certtain features in NACE extracts are perhaps among the most outstanding factors leading to such troubles. These factors

(4) Most of the EFL books in Iraq are RP oriented

NACE has a very limited range of such hesitation sounds. All in all there are (84) instances in ACE and only (10) in NACE.

Finally NACE is characterized by the absence of some other phonetic vocalizations such as clicks, trills, in–takes of breath, whistles, artificial clearing of the throat,coughing for purpose of irony and so on. These are commonly used in ACE. e.g.,
.... M .... OOH.... MHM .... HOO .... HA .. TUT TUT. etc.

6. **Iraqi Learners Problems and ACE :**

Many Iraqi learners who endured long years of classroom English probably recall the shock when they got to England and had to cope with informal , authentic and jenuine 'jungle' o English all around them. Their problem was not in asking the right questions, or asking for permission or inviting people to dinner but in understanding the replies and how to steer through this 'jungle'. Their textbooks back home have not prepared them to :

but erm I ban all bangers (1) we dont have bangers .... er two or three years ago we were in the thick of what was called the Paki (2) bashing (ACE 3) . (ACE)
.... and watch Tony Bennet for about thirty BOB (3) (ACE 1). (to quote only three examples).

Iraqi learners with good command of English but with little experience of authentic conversation have on several occasions expressed their dissatisfaction with the kind of conversational English they encounter in the classroom.Their embarrassing moments come when they fail to see the point of a simple joke

---

(1) .... fireworts
(2) .... Pakistani .... Also : In the thick of In the middle of
(3) .... shilling .

a uniform pace, read slowly and deliberately and is usually governed by costraints, a fundamental aspect of all pedagogical tape recordings. These constraints include the studio, the script,the presence of the tape recorder, professional RP speakers non-interruption, enunciation . . . . etc. Artficiality is indeed the best term which we can choose to describe the pronunciation of NACE.

Intonation plays a great role in conveying the speakers' messages' meanings and intentions. Thus one can easily notice the frequency of variation in the pitch movement and intonation 'falls and rises' in ACE as speakers express their agruments, refusals, emotional feelings, exclamatory signals etc .These are expressed by the use of simple falling tones with a possibility of having lengthy tone units though there is, most of the time a tendency to break them down into smaller units whenever possible.In NACE the tone units are mostly similar in length consisting approximately of not more than six word each. Besides, no instance of incomplete tone units is to be found and the range of pitch is less frequent and aims primarily at clarity of meaning and avoidance of ambiguity. ACE has a higher proportion of incomplete tone units due to interruptions and the nature of the interchanges. Also AECE speakers are freer than those of NACE in using stress and stress shift to express emphasis, intentions and contrasts .

5.3.3. **Paralinguistic Features :**

ACE reveals a wide distribution of what Bloomfield calls 'paranthetic hesitation ' (Bloomfield 1933). There are frequent and obvious signs of such hesitations in the data most of which involving sounds smaller than the morpheme, a whole morpheme or intrusive sounds. e.g.

. . . . er . . . ., ... but . . . er . . . ., ... but . . . erm . . . . I . ., ... er. the etc.

it highly serious and somewhat boring. The NACE extracts analysed are void of humorous words.

5.3. Phonology :

5.3.1. Segmental Features :

Due to clarity of pronunciation and uniformity of pace, certain features of segmental phonemes such as voicing, devoicing, aspiration, vowel length...etc. are more evident in NACE han ACE. NACE's patterns of pronunciation are mor e predictable and organized than those of ACE which are random spontaneous and unpredictable.

ACE pronunciation shows a high frequency of assimilation and elision of both vowels and consonants, examples of which are of rare occurrence in NACE where speakers achieve a high degree of enunciation by avoiding the merger and omission of certain sounds. (Porter and Roberts 1981).

Almost all vowels in untressed syllables of ACE are reduced in quality producing a high frequent occurrence of schwa. (See also Crystal and Davy 1969.). ACE also has a wide range of variation in vowel length which is not only due to the phonetic environments but to other factors such as hesitation, emphasis and certain configurations of the voice quality frequently resorted to by the speakers as they think of what to say next.

5.3.2. Non-Segmental Phonology :

The phonological distinctiveness of ACE and NACE is, beyond doubt, more apparent in the use and practice of the non-segmental features of pronuciation than in the other features of phonology. Speed and fluency are perhaps among the most important features of ACE extracts. NACE, , on the other hand, reveals aspects of ready made 'frames' of pronunciation with emphasis being placed on certain phonetic features. In NACE, conversation is controlled in speed characterized by

because they cannot readily be dealt with in terms of English clause structure. They are of a very high frequency in ACE. 'You know' is repeated for (55) times, 'I mean' (24) and 'I think' (16). The fillers distribution in NACE is less much frequent; 'you know' and 'I mean' occur once only and 'I think' twice.

Other vocabulary items noted for their high ferequency in ACE and low or zero distribution in NACE are: 'a lot', 'cos', 'got', 'sort of' ....

Colloquial idioms are also of frequent use in ACE. e. g.
.... well I-it annoys me no end reading newspaper (1) ....
(ACE 3).
.... and he's getting browned off (2) ....)(ACE 1)
Several such idioms also occur in NACE. However the difference here does not lie in the frequency but in the abrupt and artificial introduction of the idiom in NACE. They are only included for pedagogical purposes. e.g. Caroline : But I'm in college all day. It's tather difficult to get hold of me. (ANCE2).

Furthermore, ACE has number of hyperboles. e. g.
....the sea of bodies in front of you moving and people....
(ACE 1).

Exaggerated statements such as these are rarely to be found in NACE and if they occur they would probably lack the spontaniety and prominent stress they are said with in ACE, the thing that renders them out of place. e.g.
-Sally: I'm thirsty. I'm dying for a cup of coffee. (NACE 3).

Humorous words and phrases are part of ACE extracts where the message is being interrupted on several occasions by the ensuing laughter. The unspontaniety of NACE renders

(1) 'no end' is a colloquial phrase meaning 'every much ' (Crystal and Davy 1975).
(2) ' browned off' bored, fed up (Ibid 1975).

.... slapped

.... slapped on the brakes (1).... (ACE 5).

.... cottoned onto (2) .... (ACE 3).

5.2. Vocabulary :

Vocabulary is perhaps the most noticeable feature of both ACE and NACE. While words in ACE tend to be simple in structure, NACE exhibits evident signs of formal lexis both in terms of specialized idioms and formal phraseology. The few aspects of the formal language noted in ACE are most of the time toned by the speakers through the use of hesitations, or the introduction of certain informal phrases such as 'you know' and 'sort of' (Crystal and Davy 1969). e.g.

.... you know the whole place is in furore.. (ACE 3).

ACE extracts have a number of unfinished words or phrases either because of interruption or hesitation. e.g.

....cos.... (ACE 4).

.. world cup mat .... (ACE 1) .

No example of an unfinished word or phrase is to be found in in NACE extracts.

Hesitation and interruption phenomena, the two marked features of ACE are in fact of a very low frequency in NACE where words are clearly inunciated and never broken off.

ACE has a large number of what Quirk et al (1979) term as stereotyped conversational fillers, such as 'you know', 'I mean' 'I think' ... etc. Such fillers or softeners, as termed by Crystal and Davy (1975)] are discussed here under vocabulary

---

(1) *braked*

(2) *realized, taken notice of.*

.... a garden the size of this room .... (ACE 2).

.... have a nice meal in very plushy surroundings very warm nice pleasant .... (ACE 1).

Sequences of more than one adjective and the use of adverbial intensifiers in premodification is also a feature of this type of conversational speech. e.g.

....a breezy windy stand on a wonderful bench ....(ACE1).

.... a rather boring game of football .... (ACE 1).

The noun phrase in NACE, on the other hand, tends to be of the simple type with little pre-or post-modification. Out of the (794) noun phrases (120) are complex and (694) are simple. NACE displays a limited numbet of adjectives and intensifiers.

JJudging by the potentiality of the noun phrase in distinguishing between different styles and registers (Scott et al 1968, Gopnik 1972, Crystal and Davy 1969)J NACE and ACE extracts analysed here could be taken as representatives of two different styles where linguistic contrats far exceed the similarities .

A range of contrasts is also detected at the level of the verb phrase. On the whole, ACE 's verb phrases are of the simple type, consisting mainly of one element. NACE displays a range of auxiliary combinations and a higher frequency of complex phrases. There are (560) verb phrases in ACE, (145) of them are complex and (415) are simple. In NACE the total number of verb phrases is (515), (235) of them are complex and (280) are simple.

ACE employs a larger portion of phrasal verbs, some of which are colloquial or slang and others, though they have come to be part and paprcel of genuine acts of communication, are not to be found in the learners' desk dictionaries. e.g.

.... Oh in Sussex we did-I've -in fact I went to one last week but it was .... (ACE 2).

Unlike NACE, ACE is also characterized by a high frequency of occurrence of loosely connected clauses and sentences. When taken as a unit, sequences such as these characterize ACE with a high proportion of longer more complex sentence types. If, however, they are taken as separate sentences., then they will display a predominance of the simple type sentence structure. (Cf. Crystal and Davy 1975) . We adopt the former viewpoint as it is of great relevance to the purposr of this study. As far as foreign learners are concerned, loosely connected sequences render portions of ACE extracts incomprehensible, inexplicit and ambiguous particularly when listened to for the first or second times. The predominance of complex and loose compound sentences is in striking contrast to the abundance of clear-cut, short and simple sentences in NACE. Of the (310) sentences in ACE, (90) are loosely connected by the conjunction 'and'; (92) are simple and(128)are complex. In NACE, there are (490) sentences; (44) of them are complex, (30) are compound and all the others are simple.

A point to be noted here is that in NACE there is a high frequency of direct questions of different kinds all along the dialogues. This seems to be one of the means by which the pace of conversation is kept up. In ACE, conversation seems to be maintained by the use of other means such as 'agreement and refusal' signals, question tags, interpolations, configurations ....etc. (105) direct questions were found in NACE and only three in ACE.

5. 1.5. Noun and Verb Phrases :

When compared with NACE, the noun phrases in ACE displays a greater degree of complexity. Of the (689) noun phrases in ACE only (389) are simple and the rest are complex, sometimes with heavy pre or post modification. e. g.

....I 've forgotten the details now but he gets on the wrong train and ends up in the wrong place and finds that .... (ACE 3).

but erm . I ban all bangers .... (ACE 2).

In NACE every single use of 'and' and 'but' is meaningful. Leaving the conjunction out may cause a grammatical error or a serious problem of intelligibility. e.g.

-yes, I bought it for college. It's nice and warm for winter. (NACE 1).

- Sorry we 're late Mike. I tried to get here on time but I got held up by the traffic. (NACE 3).

There is a great difference in the frequency of occurrence of 'and' and 'but' in both texts. While there are (60) instances of 'and' (50) of 'but' in ACE 'and' is only repeated for (25) times and 'but' for (7) times in NACE.

But the case is quite different with other cojunctions such as 'however', 'whatever', 'therefore', 'either.. or', 'neither ... nor' ... etc. examples of which were not to be found in both ACE and NACE.

5. 1. 4. Sentence Structure :

While all sentences in NACE extracts can easily be delimited from each other, a number of ACE sentences are problematic in the sense that they are not always readily analysable into traditional components of sentence structure. One factor behind this problem is the frequent usr of incomplete sentences, examples of which abound in ACE extracts. (62) incomplete sentences have been found in ACE and none in NACE. e. g.

.... well what's .. what's the failure with the football mean this this I don't really see I mean it cos money how much does it cost to get in down the road now .... (ACE1.

In conversational speech, according to Quirk et al (1972) a word or phrase is brought forward for the sake of emphasis or focus. In ACE several instances of word order variations have been found. e. g.

the fireworks themselves we hyve little store of. . . . CA(E2)

.. and usually then it becomes much more satisfactory

No occurrence of such variations is to be found in NACE extracts.

5. 1. 2. Ellipsis :

Ellipsis is another outstanding feature of ACE extracts which have displayed a high frequency of elided grammatical forms particularly subjects of sentences and/or auxiliary verbs. e.g.

hope you enjoy the programme...... (ACE 3).

......you heard the latest (ACE 5).

There has been no instance of ellipsis involving the subject, auxiliary verb or any other grammatical item except for few examples of what Quirk et al (1972) call 'elliptic genitive'. e.g.

- I met Chris at my Aunt's (NACE 2).

5. 1. 3. Conjunctions :

By far, the most obvious featue of ACE has been the highly frequent use of 'and' and 'but'. It is not at all necessary that every single use of these conjunctions should add meaning to the linked sentences and clauses. In most cases their use is optional; omitting them will not produce a grammatical error or a problem of intelligibility as in the following examples :

....about fifty percent of his normal.. Good Lord and even he's getting browned off and he was saying that erm you can go to a night club in Birmingham and watch Tonny Bennet (ACE 1).

so on since exact statistical knowledge would have been a necessity in the case of a much larger corpus.

In the linguistic description of the corpus we have distinguished between three levels of analysis : grammatical, lexical and phonological. Under each level we have selected certain features convenient for the type of study in hand. Other features might have been introduced but their inclusion in the analysis would have added little information to the aim and purpose of this paper.

Five items have been taken as the basis of the grammatical description of both ACE and NACE. They are : Word order variations, Ellipsis, Conjunctions, Patterns of sentence structure (complete or incomplete, simple, compound and complex) and Phrases (Noun and verb phrases). The grammatical model adopted in this paper follows Quirk et al' 1979.

Vocabulary will be discussed in terms of word fromation, colloquial and slang words and the use of vocabulary which, from the point of view of culture and other social variables may seem unfamiliar to the Iraqi learners.

Disuscsion under phonology will be restricted to the most important features of sound quality and quantity of both ACE and NACE in connected words and sentences. Supra-segmental features such as intonation and stress and para-linguisic features will also be briefly accounted for. The latter include the speaker's voice shapes and the modification and congifuration of the voice quality. These, as we shall see in the analysis, represent an important point of divergence between ACE and NACE.

5. The Analysis :

5.1. Grammar :

511. 1. Word Order Variations:

2. ELT and Authentic Materials :

Recently th -- has been a growing interest in the realm of ELT in the commu... e function of language. Functional, notional, authentic and discourse have indeed become familiar terms in language teaching. In ELT literatcure, the term authentic is employed in at least two senses. It is either used to refer to genuine unconscious and spontaneous acts of communication produced in informal occasions for non–pedagogical purposes, or it is used to refer to conversation produced in formal situations for pedagogical purposes, but exhibiting as clamied by textbook designers, a high probability of occurrence in genuine acts of conversation (Crystal and Davy, 1969, 1975 ; Morrow, 1977 ; Maclean, 1981). This distinction is retained in this paper and for the sake of convenience we have referred to the former as Authentic Conversational English (ACE) and the latter as Non–Authentic Conversational English (NACE).

3. The Data :

The material for the analysis is selected from Crystal and Davy's, *Advanced Conversational English* as representative of ACE and Abbs et al's *Realistc English Dialogues* as representative of NACE. The corpus eovers the first five genuine conversational extracts of Crystal and Davy's and the first extended dialogues of Abbs et al'.

4. Methods and Levels of Analysis :

The present paper is not going to present precise statistical information on the frequencies in which the diffderent levels of analysis occur. Frequencies of various linguistic features have been accounted for only in as mush as they are relevant to the aims set above . We have, therefore, made use of quantifiers such as 'rarely' 'commonly' 'often', 'highly' and

AN ANALYSIS OF AUTHENING AND NON-AUTHENTIC TEXTS WITH SPECIAL REFERENCE TO THE TEACHING OF ENGLISH CONVERSATION TO IRAQI UNIVERSITY STUDENTS

Leon Y. Barkho M.A. Subhi Sh. P. Zora ,M.A.
College of Arts
University of Mosul
March , 1984

I. Irtroduction :

The aim of this paper is to provide a grammaticalJ lexical and phonological analysis of Authentic Conversational English (ACE) and Non–Authentic Conversational English (NACE) . We will begin with a definition of terminology. Then we will move to a discussion of the levels of linguistic analysis helpful in determining the differences and similarities between both types of conversational speech. This will be followee by an outline of some of the factors leading to Iraqi learners' failure to communicate effectively when faced with authentic conversational situations. Finally we will provide a number of suggestions and recommendations which we believe will supplement the learner's non–authentic conversational textbooks in order to help them overcome their deficiencies when exposed to to situations where genuine acts of communication are involved

BIBLIOGRAPHY

Arbini, R. *Tag-questions and Tag-imperatives in English* JL vol. 5 1969 .

Huddleston, R. *Two Approaches to the Analysis of Tags* JL vol. 6 1970 .

Quirk, R. *A University Grammar of English* Longman Group Ltd 1973 .

Quirk, R. *A Grammar of Contemporary English* Longman Group Ltd 1972 .

Sinclair , *A Course in Spoken English* :grammar Oxford University Press, London 1972 .

Thorne, J.P. *English Imperative Sentences* JL vol. 2 1966 .

Palmer, F.R. *The English Verb* London Group Ltd 1974

Bolinger' D. *Aspects of Language* Harcourt Brace Jovanovuch 1975

Shuster, E. *Grammar, Usage, and Style* McGraw–Hill 1965 .

Palmer, H. *Grammar of Spoken English* Cambridge University Press 1969 .

Conclusion

Tag phrases are placed at the end of a statement. The tag phrase consists of a subject (usually a pronoun) and an auxiliary in either its affirmative or negative form. as required. The auxiliary stands for thy specific verb that has just been used, and any other essential part of the sentence, e.g., the object of a transitive verb .

Compared with the system of an invariable word or phrase used in many other languages (including Arabic) this system is rather more complicated for the Arab–learner of English as it involves choosing the correct verb to agree with the tense and the subject, but it has the advantage of being unambiguous although the specific verb is not repeated.

Tags are used in a number of different ways, and the form of the tag varies with its meaning. Special notice should be taken of intonation, which is important in conveying the correct meaning .

language 'points' i.e. the repetitive task of saying structures and utterances that have no roots in convincing situations whether they are real or imagined.Where tags are concerned, not only should they be taught against a background of convincing situations such as plays stories, anecdotes, films but they must be taught in such settings if they are to be understood as person–sensitive structures suggestive of emotional moods and directed attitiudes through the medium of intonation . The BBC 'English Speaking Theatre' and the taped story 'The Man Who Escaped' accompanying the book 'Kernel Lessons Intermediate' are good examples of the kind of material I hvae in mind.

Drills can be useful in reinforcing habits for a few minutes at the end of the lesson but the tag–formation structure should be already well known or otherwise the student is repeating an utterance, even perfectly getting the intonation but he is not feeling the immediacy of the meaning .

When they are familiar with hearing tag–orientating structures of the following type ;

Let's pretend we're not here, shall we!

I can come, cant't I.

I'd better go, hadn't I

He's not rich enough, is he .

the students can create situations where such structures might naturally arise situations such as courtroom scenes as husband–wife confrontations. However, the decision about involving the students in play–acting is dependent upon the sense of ease of the particular group .

After all, the primary medium for teaching tags is that of speech, the speech of native speakers recorded in re c situations that demonstrate the importance of intonation in conveying the question, the statement, or the order.

Relevance for the Student's Life Outside the Classroom:

The student is most likely to remember and to use strucu-res applicable in real life, so the items to be taught should be selected with an eye to immediate and regular use.Some items can be used in the classroom as the situation arises:

Teacher: You are early, arn't you.

Close the window, would you.

You weren't here yesterday, were you.

Student : You have my homework, have you.

": We're going out today, are we.

Items will be selected on the basis of accruing difficulty using, for example, the following sentences as a starting point:

(i) John ran, didn't he.

(ii) John didn't run, did he.

(iii) John is coming , isn't he.

(iv) You must go, must you

However, whenever a real situation calls for a structure, though it may be rather late on the syntactic range of difficulty (a.g. used to+did tag, have+have / do tag), it can be introduced

Teaching Tages, When ?

Because of the communicative importance of interrogative tags as question formers and as attitude conveyors, they should be taught as early in the course as possible ; this will mean as soon as the student has acquired the syntacitic skills and vocabu-lary referred to under 'Language Level of Students'

Pedagogical Approach :

Communication is the function of language, there is nothing so destructive of a learner's interest in language as the sole concen-tration on language in the abstract, on structural drills and on

mation without recourse to continual references to syntactic construction underlying tag usage. Can he, for instance, use'do' as an auxiliary verb by itself and combined with lexical verbs and does he understand the meaning of the auxiliaries (can, could will, must, etc.) and how they contrast one with another? It is important that the student should already be able to form a Declarative question without an Interrogative, or at least that he should be aware that such tags are not absolutelly essential parts of the question : he has to recognize that the intonation pattern and stress in the Declarative statement can itself serve to form a question . He will hear tagged and tagless Declarative questions equally regularly from native speakers and that in it self is a good reason for highlighting the distinction between the main clause intonation and the tag; more important, by learning to recognize the intonation pattern of the main clause he will come to anticipate the polarity of the tag and the intonation of the tag. I am emphasizing that the tag structure alone (i.e. without the associated intonation of the preceding main clause) should not be treated as the initiator of the question ; by the time the listener hears the tag, he should already know he he is listening to a question ; then when the tag is heard the listener is ready to hear the type of expectation required of him

It is desirable then, that the student should be able to recognize, declarative question by its intonation pattern before going on to tag questions; it isn't just the tag that forms the question.

There are other basic elenents of the language that should be known before tag learning is begun, these include the relationships between nouns and their pronouns, and noun-verb concord.

You're going for dinner, are you ?

His understanding , I have found, derives from the inverted tag form which is recognizable as a question, rather than from the intonation rise . The variety of interpretations dependent upon the intonation pattern of the interrogative tag as shown in the following set of examples urge the necessity for teaching the formation primarily through speech :

Positive Statement You've finished, haven't you? (rising tone)
Negative Question (Positive Assumption + Negative Expectation)

You'v finished, havent't you ? (Falling Tone)

(Positive Assumption + Positive Expecation)

Negative Statement ..

Positive Question You haven't finished, have you ? (Rising Tone)

(Negative Assumption + Negative Expectation)

You haven't finished, have you ? (Falling Tone)

(Negative Assumption + Negative Expectation)

This set of sound patterns makes it clear that syntactic knowledge is far from enough in tag usage. Besides influencing the method in as much as it will be primarily concerned with sound, both listening to sound and speech production, this inherent possibility of intonation variations within a single syntactic stracture will also determine to some extent the choice of the taught examples. These examples will be chosen at least partly on the basis of their potentiality for illustrating various intonation patterns .

The Language Level of Students :

Obviously the student's previously attained language level will have to be at a stage which allows him to utilize the tag for-

There is another type of constant polarity tag, of the type, VO, VS (Imperative form (which expresses a sense of outrage or a threat :

Borrow my car, would you ;

Take my place, will uou !

Imperative negative reverse polarity is not possible :

*You can't go, cant't you.

However , the Imperative does take reverse polarity of the type

Speak to me, won't you.

but the constant polarity is most common :

Speak to me, will you .

Arbini claims that negative imperatives cannot take tags at all, but this is not true for most speakers .

Sentences like this seem wholly acceptable :

Don't be late, will you ? (Huddleston 1970)

But Negative Imperative can't take Negative tags .

*Don't be late , won't you ?

Pedagogical Approaeh in Teeching Interrogotive Tag Formation

In my experience of teaching English to Arab learners, it is a rash assumption to believe that students in their ealry stages can successdfully use such a basic part of the language as the, Interrogative tag formation'.The difficulty invariably lies, not in the successful construction of syntax, but in the misuse of the intonation system, the stress system and the rhythm of the utterance . The learner will respond easily enough to a question in the interrogative tag form appended to Declarative statement of the type : ,

be an obvious command or, depending on the intonation used, so especially of the imperative structures having auxiliary verbs other than will, as :

Shut the door, would you.

Hand me the book, can you.

In fact, many people would regard such structures as these as requests of differing degrees of firmness; in any case their formal structures V (O) + Tag VS are identical to the 'will' type imperatives, but they do indicate the absence of a clearcut distinction between comamnd and question. This indistinctiveness on the illocutionary level is reflected in the constituent nature of the tagged imperative, its parts being the declarative and the interrogative.

Constant Polarity

Less common than the reverse polarity tags the regular type is the constant polarity tag type. First there is the Interrogative form with positive constant polarity :

(i) You like your work, do you.

(ii) You're going now, are you .

Even less common still, except in certain city dialects such as London's , is the Declarative constant polar ty type :

(iii) That was a lark, that was .

(iv) He's a strange boy, Tom is .

(v) She hates smoking , Julia does . (Bolinger 1975).

The function of the tag here is to emphasise the main utterace ; amore standard rendering of the first of these would be :

(iiia) That was a lark, wasn't it .

(iiib) That was a lark indeed .

down? ' Will you do that?' ; since the interrogative form ultimately derives from the declarative form, we are in face asking whether the imperative is derived direct from the declarative or from the declarative via the interrogative. The following list of imperatives are shown with their related declaratives and interrogatives:

Declarative (SV)	Interrogative (VS)	Imperative (V)
1a. You will go away	1b.Will you go way	1c. Go away,will you
2a. You will do that	2b. will you do that	2c. Do that,will you
3a. You will let me go	3b.Will you let me go	3c. Let me go,will you
4a. You will let us go	4b.Will you let us go	4c. Let us go, shall we
5a. You will be quiet	5b.Will you be quiet	5c. Be quiet , will you

Emphatic 'do' may be placed before any of the imperatives but there is no indicator that this element derives from the related structures. 4c is unique in having an imperative subjec that is 1st person rather than second person, but this is the only one of the structures not to fit the triadic pattern . Any explanation of imperatives and imperative tags must regard the 'Let's Vinf' construction as an exception to the rule that imperatives have an underlying or overt 'you' as subject .

Both on a formal level and on the level of illocutionary force, the imperative is so constructed as to constitute a combination of the other two structures and interpersonal effects; on a formal level it may have the structure (S) V combined with VS as in ; 'Go away, will you' where the subject 'you' is covert . On the level of illocutionary force, this kind of construction may

However, we have two possibilities referring to the same predicate in :

I have to go now, don't I / haven't I .

Both verbs refer to the verb 'have'. This choice is not available however with other verbs, and arises only because 'have . is exceptional as a lexical verb in providing its own tag in lexical form :

You have no money, have you ?

'Do' can be used with the lexical verb 'have' in the regular tag formation process :

You don't have any money , do you ?

You have no money, do you ?

Because 'do' then is the universal tag verb for all lexical verbs , we are led to assume that its realization as a tag is not apt to mere juxtaposition of main verb clause and its tag ; it must derive from the covert structure of the utterance, from :

Everyone (does) like (s) me

They (do) like me.

Arguing by analogy then , it is reasonable to claim that the tag following the imperative is derived from underlying structures containing the form of the tag itself, so that 'Do that, will you? derives its tag from an underlying structure having' will you' part of the main verb and likewise with the constructions :

b. Sit down, would you.

cf Get it for me, can you.

How exactly is the tag derived from the main clause then? Two possibilites suggest themselves: the tag derives from a declarative structure, e.g. 'You would sit down' for (b) , on the other hand from an interrogative structure,,Would you sit

c. Get it for me , can you / could you .
d. Come in, won't you.
e. Get it for me, can't you.

The combination of main clause and tag as in the examples may be seen as a purely paratactic relationshipJ i.e. the juxta-position of two clauses without any structural co-ordination or subordination , other than the extra-formal structure (provided by intonation); therefore, according to this interpretation we can have :

bl. Sit down, would you / can you / will you.

i.e. the main clause is followed by any tag that has the meaning of invitation / command to do something .To explain the origins of the tags in bl we would then have to postulate a covert auxiliary of the tag type in the structure of the main clause, and we are then dealing with an other than paratactic structure for the whole utterance After all, if there is a system governing the origin of the tag-verb for the Interrogative Mood -structure,

Everyone likes me ——,

there is likely to be some system governing the origin of the tag in the Imperative. Or perhaps 'do (don't) pronoun ' in all its forms is the general tag for all forms of lexical verbs in the Interrogative and in the Declative, and is merely appended to the main clause in these latter Moods as a paratactic addition There is no doubt that 'do' provides the tags for all lexical verbs in the Interrogative and in the Declarative, but is this provision structurally based or is it the result of happy regularization for the sake of it ? First , let us look at the regularity of the system in

I believe Jack is innocent, isn't he / don't I ?

Whichever tag is used, the listener knows immeditely the respective predicate referred to,'don't I'can only refer to 'I believe.

(v) 'Ought' can be tagged two ways :

9. You ought to go, oughtn't you / shouldn't you .

When negated in the main verb, it is more often followed by a reassuring phrase rather than by a tag related to the main verb :

r. You ought not to see him , you know.

The tag here could derive from a pre–main verb in the underlying structure :

r1. You know you ought not to see him .

but the resulting inference that 'ought' is underlain by 'know pron). in every case makes far too strong a claim ; it would no correlate with the following structure :

s. John ought to have come, you know .

because this type of tag is addressed to the listener and does not necessarily relate to the subject of the main clause .

(vi) 'May' is only appropriately tagged when permission is requested.

t. I may see you tomorrow, may I.

u. I may not see you tomorrow .

No tag is appropriate for (u). Interrogative tags , if they serve any function other than providing reassuring noises, question the probability or possibility of a statement, and in the case of (u), the main clause itself expresses the state of probability .

Problems Concerning Imprerative Tags

Our first difficulty centres on the relating of the tag–verb. Consider the variety of tag–verbs in the following :

a. Come on, will you.

b. Sit down, would you.

l. He has some money, hasn't he / has he / doesen't he/ does he ?

Lexical Verb – intent :

m. He has to go, hasn't he/ has he/ doesn't he /does he ?

Lexical verb – causative use :

n. He has his windows cleaned every week, hasn't he/ has he/ doesn't he / does he ?

Auxiliary Verb :

o. He has gone, hasn't he .

By treating only the last example as a use of the auxiliary we have preseved the consistency of auxiliary in tag following the auxiliary in the main clause .

The examples in (l, m n) take either tag depending on whether the speaker is thinking in terms of a 'has' or a 'do' derivation for the tag. Thus (l) may be derived from :

11. Has he (*some) money ?
or from :

12. Does he have (*some) money ?

The problem lies in the ambiguity of the verb 'to have' ; it behaves like both an auxiliary verb and a main verb .

Deriving interogative tags from an underlying interrogative form is not handicapped by inability to account for the derivation of the tag in :

p. I suppose John's gone, hasn't he ?

as Huddleston claims. The tag is derived from the subordinate clause and has no relationship with the main clause ; such a relationship would generate an ungrammatical tag .

p1. I suppose John's gone !don't I ?

(ii) The auxiliary form 'used to' has a question tag with 'did', less occasionally with ' used pronoun .':

e. You used to swim, did you ?

f. You used to swim, used you ? (considered somewhat badly–formed by most people, but sometimes heard).

(iii) Private Verbs in the first person followed by subordinate clauses of assertion may have two types of question tage depending on whether the main verb or the subordinate verb is reflected in the tag :

g. I assume he is innocent, isn't he ?,

h. We believe he is innocentj isn't he/don't we ?

(The 'din't I' tag is improbable in (g) ; the s'peaker would hardly question his own choice of belief)

In other persons, there is no choice of tags ;

i. He assumes Jack is innocent, doesn't he / does he * isn't he ?

j. They believe (consider) Jack is stupid, don't they /! isn't he ?

In (h) , the speaker can question (1) whether they all believe the same thing, and (2) whether their belief is true or not, because the speakers and the subject are the same. In (i) and (j) the speaker is not the subject and therefore cannot question the correctness of the assertion; the only interrogative tag possibfe here is one related to the main verb, the one proposing the assertive context rather than the verb making the assertion, 'is' .

(iv) The verb 'to have' does not easily fit into the auxiliary or the main verb form .

Lexical Verb–possession:

The inconsistencies in subject relation discussed so far have arisen because of the speaker's indecision regarding the subject; he has to decide whether he is going to treat a compound subject as a collective group (and therefore singular) or as a plural combination .

There is another type of inter–subject relatinship where the nature of the relationship can be referred to semantic meaning or to the extralingual situation .

l. My cousin is nice, isn't he/she ?

m. The baby's lovely, isn't he/ she/it ?

We are less likely to use *it* for *child*, , (certainly not to its face);

n. The child's lovely , isn't he /she ?

Ships, cars and beloved personal belongings are often given female pronouns;

o. This ship is new, isn't she ?

It would not be unusual, however, to say ;

p. This ship is new, isn't he ?

Relationship Between Tag Verb And Main-Clause Verb

According to our definition the auxiliaries repeat themselves in the tag and other verbs use 'do' in the tag.

(i) 'Need' and 'Dare' are treated as auxiliaries except when used in the affirmative with question tags when they are treated as full verbs :

Auxiliary Form :

a. I daren't do that, dare I ?

b. He daren't do that , dare he ?

Full Verb Form :

c. You need to come early , don't you ?

d. He dares me to do that, does he ?

Agrteement of Tag Subject with Main Clause Subject:

According to the given definition above the tag subject is a pronoun agreeing in number and gender with the main clause subject. However, pronouns as main clause subjects lead to inconsistencies, both within the defined rule and amongst themselves .

2. a. Everybody is here , aren't they ?
   b. Nobody is here , are they ?
   c. Everybody is ready , isn't it ?
   d. Nothing is ready, is it. ?

The subject of the tag is a singular pronoun in (c) and (d) but plural in both (a) and (b) , yet the formal characteristics of the main–clause subjects are the same in every case. Other singular pronouns taking plural tag subjects are , *none, everyone, somebody* , *someone.*

When *every* is used with a noun, however, it generally follows the rule.

e. Every man has a gun, havn't he ?

The singular / plural division is followed also by *each* and its correspending ;

f. Each one of us has given in , haven't we ?

g. Each one of them has given in, haven't they ?

so are either / neither, though there is a variation here ;

h. Either Jack or Jill has it, haven't they ?

i. Nieher of the solutions is complete, is it / are they ?

j. Either Tom or Bill was here, wasn't he / weren't they?

Sentence (h) is likely to have the plural tag subject, possibly to gloss the gender differentiation in the main subject .
If either of the nominal groups in the main sentence is plural the rule of the subject agreement is followed :

k. Either the girls or the boys have it, haven't they ?

Imperative M.C.	Interr Ogative Tag	Illocutionary Force
f. Let's go,	shall we .	Command
g. Leave it ,	you will .	Command

(the last sentence is said as a threat with stress on the tag).

While the mood category of the tag takes its title from the structure of the tag so that Imperative Mood is always VS, Declarative Mood is always SV, Imperative Mood is always V, the illocutionary force derives less immediately from the syntactical structure of the sentence (the clauses confined) than from extra structural considerations, such as the attitude of the speaker and the implications of the situational context for interpreting the semantic and intonational meaning of the sentence

The structural relationship holding between the M.C. and the T.C. can be defined for the most part by a series of rules which tell us .

(i) The subject of the tag clause is a pronoun agreeing in person, gender and number with the subject of the main clause .

(ii) the tag is an auxiliary identical to the finite verb of the main clause if the latter is an auxiliary , otherwise the verb is do.

(iii) the polarity of the tag verb is the reverse of the main clause verb .

There are, however, exceptions to each one of the above rules, and it is with these exceptions we are now concerned ; the relationship of pronoun to subject under Rule (i) is not always an unambiguous one ; certain verbs do not follow the prescribed Rule(ii)]which leads to a consideration of the precise between the tag and the main clause. Finally, the polarity relationship is not always a mater of reversal.

Leaving aside the question of polarity for later, the tag relationship to the main clause seems to be one of direct parallelism :

Statement Main Clause + Tag Statement

Question Main Clause + Tag Question

Command Main Cause + Tag Command

The dual balanced relationships are based upon the effect upon a listener of each of the complete sentences above; we know we would use sentence type a to make a statement, sentence type to make a question, sentence type to make a command . At the same time, we can notice that these relationships form a series of Mood categories (Declarative, Interrogative or Imperative) as defined by the sequential relationship of SVO.

A list of structures illustrating the relationship between the Mood Categories of tags and their illocutionary force (working effect) might be as follows

Declarative Main Clause	Declarative Tag	Illocutionary Force of Tag
a. I come here on Sundy ,	I did	Statement
Declarative M.C.	Interrogative Tag	

d. You play tennis, don't you? (Rising Intonatiog) Question

dI. You play tennis, don't you. (Falling Intonation) Statement

Interrogative Mood main clauses cannot be followed by a tag ; thus :

c. (I) Haven't you left, have you / haven't yoy /you have .

(I) The asterisk (*) means ungrammatical

PROBLEMS IN DEVELOPING A TAPOLOGY OF TAGS IN ENGLISH

BY : Saleh M. Al-Hafidh

Intoduction :

The repetition of a specific verb that has just been used in a conversation is avoided in English by using what if often called a tag. The essential elements of a tag are the auxiliary used in the statement, or do, if no auxiliary is used plus a pronoun that repeats the subject. If the statement is positive, the tag phrase is usually negative; if the statement is negative; the tag phrase is usually positive .

The writer will consider, here, the relationships existing between the main clause and the tag clause , dealing with the illocutionary force (working effect) of the main clause and the tag clause. This involves the way in which the two clauses in the utterance both coalesce in contributing to the one speech effect .

As well as considering the regularities existing in the syntactic structure of tag formation, the writer will point to most common syntactical irregularities due to lexical idio-syncracies .

In the end, some suggestions will be presented for the teacher of Arab-learners of English which might make it easier for them to grasp the difficult aspects of tag formation .

As an initial stance we can say that tags may be added to statements, questions and commands in the following manner:

Statement : a. I came here on Sunday, I did .

Question : b. You won't come, will yoy ?

b1. You'll come, will you ?

Command : c. Come here , will you !

BIBLOGRAPHY

Abbas , Saad Fadhil, *Traces of the Absurd Theatre in Recent Iraqi Plays,* Baghdad , 1977 .

Barter, Enoch, "The 'I' in Beckett's 'Not I' ", *Twentieth Century Literature,* Vo. 20, No. 31/ London 1974 .

Beckett, Samuel, *Not I,* London Faber & Faber, 1973 .

Elovarra, Raili, *The Probelm of Identity in Samuel Beckett's Prose,* .. Helsinki, The University Press, 1976 .

Fletcher, Beryl S., *A Student Guide to the Plays of Samuel Beckett,* London, Faber & Faber, 1978 .

Fletcher, John & John Spurling , *Beckett: A Study of His Plays* London , University Press, 1976 .

Graver, Lawrence & Raymond Federman (eds), *Samuel Beckett The Critical Heritage,* London , Routledge & Kegan Paul, 1979.

Onions, C.T., *Modern English Syntax,* London, Routledge & Kegan Paul , 1971 .

Praninskas, Jean, *Rapid Review of English Grammar,* , New Jersey , Prentice –Hall, 1975 .

Quirk, Randolf et al, *Grammat of Contemporary English,* London Longman Gp. Ltd.. 1972 .

Worth, Katherine, *Beckett, The Shape Changer,* London. Routledge & Kegan Paul J 1975 .

against a background of a wall. Beckett began to wonder what that patient figure could be waiting for... only later did he learn that the previously unidentifiable figure was in fact distinctively feminine, an Arab woman waiting for her child to come from school. But by time the prospect of *Not I* had already taken hold of his imagination. See "The 'I' in Beckett's *Not I*" in *Twentieth Century Literature* (Vol. 20, No, 3, 1974, p. 196); and My thesis p. 85 .

10. See B. Fletcher et al, *A Student's Guide to the plays of Samuel Beckett*, p. 195 .
11. See Edith Oliver, *The Critical Heritage*, p. 328.
12. I **bid.**
13. See John Fletcher and John Spurling, *Beckett: A Study of His Plays*, p. 123 .
14. See My thesis J pp. 25 , 26 .
15. Opcit, p. 124 .
16. See Edith Oliver, p. 329.
17. I bid, p. 329.
18. See John Fletcher et al, p. 194 .
19. Ibid , p. 194 .
20. See KatherineWorth, p. 206 .

NOTES

1. Raili Elovaara, *Thr Problem of Identity in Samuel Beckett's Prose*, p. 7.
2. Such as *Not I* (pub. 1973)J *That Time* (pub. 1976) and *Three Occasional Pieces* (pub. 1982). In the first play there are pronouns instead of nouns whereas in the second there are letters, i.e., A, B, C to stand for the nouns, and in the third we have letters as well.
3. Such as *Waiting for Godot*, *Endgame* , *Happy Days* and *All That Fall*. In his earliest work, *Waiting for Godot* (pub 1952), it was believed that the names of his five characters, Lucky, Pozzo, Vladimir, Estragon and Godot are not real names refering to the identity of their holders; they were meant to add a universal flavour to the atmosphere of nothingness he has presented on the stage .
4. See Elovaara , p. 7.
5. See Quirk, *University Grsmmar of English;* Praninskas, *Rapid Review of English Grammar* .
6. See Onions, *Modern English Syntacx*, p. 132 .
7. See Quirk , p. 100.
8. I is the character of the Auditor whic is described as being "a tall starding figure...envelopped from head to foot in loose black djellaba, with hood, fully faintly lit, standing on invisible podium about 4' high" (p. 6).
9. A black clock usually put on by the Tunisians, with a hood in it. The reference to the Tunisian Djellabz is not without justification. Enoch Barter maintains that "the djellaba" is an Arabic word for the black clock which the Tunisians Tunisians usually wear . "Beckett was in Tunisia in 1970 sitting in a cafe when he noticed a mysterious figure completely hidden in the folds of djellaba and standing

it refers to the 'sudden ability of speaking' or to the 'brain' which controls and orders the Mouth to speak. Marking the end, probably of 'she' or the Mouth or the play the visible Mouth now specifies the nature of the 'buzzing'; it is the 'dull roar like that falls in the skull'. Yet she still has no idea what she was trying to say. At this decisive point she could not escape the chasing of an unknown and unheard investigator who has driven the same question for four times and has got the same unchanging and confirming answer which stresses the separetion of two different identities, 'I' and 'she' .

Hence, though Beckett has unevasively aimed at this identity–split, he still dose not manage to obliterate the indispensable organic coherence of the 'idem'. But in response to questions like 'where are those beings?' and 'what kind of connection is there between them?' Katharine Worth 'wrestles' to find out that "we are forced to by an arreagement that keeps us looking across the stage at an awkward angle from the mouth without a body to the body apparently without a mouth, we are drawn pretty far into the terrible experience of dissociation Mouth tells of : how at seventy, strangely wandering in a field picking cowslips, she suddenly found herself 'in the dark' "(20)

Again, 'the buzzing' keeps on, particularly at this stage of her age, nagging as if to remind her of a mystry she wants to hide altogether with her unseen body:"whole body loke gone.. just the mouth". Here she seems to lose control over the 'stre-am' of the Mouth which is 'like maddened and can't stop ... no stopping it'.What breaks the monotony of the tempo of this movement is the Mouth's unusual effort to reach an epiphany. The attempt, however, doesn't succeed; it seems that the 'buzzing' interfers and invokes a complete negation of any possible self-identification, although she belives that there is something she had to ...' probably reveal or tell.

The obsession with an evasive kind of guilt seems to be so overwhelming that she desires to keep it folded despite her particularly present excitement for the sudden uncontrolled ability of speaking. Here again, she goes back to the same them-atic refrain of recolletting her past experience of dumbness. Yet she refers to the 'sudden flash' which seems to form the turning -point in her peculiar life. Probably, she becomes confused because of the sudden change being inflicted upon the Mouth whose articulateness is unusual at this particular era of her age. Perhaps this is the reason of her confusion and therefore mistaken identity. She was not ready, neither menta-lly nor psycologically, to accept her present situation.

After the fourth movement, the Mouth presents nothing of a particular significance . It is the same story of the tiny little girl who was left alone to fight against life and ironically with speechlessness. If in the third movement she mentions the 'sudden flash' which seems responsible for the extraordinary vitality of the mouth, now it is 'this' in the fourth one. However the demonstrative here is not quite clear in its reference , owing to the fact that 'she' or the 'Mouth' is not entirely sure whether

It seems that the Mouth, despite the huge effort she exerts in acknowledging none of the things or memories described, could afford, probably unconsciously, to describe them vividly and elaborately(18).This is its fatal mistake in the game; she has created her self-trap. Yet it seems that the 'Cartesian split' between 'she' and 'I' raises severe problems to the Mouth whose present suffering under the investigating spotlight is to speak on and on, in a confessional style, with no control on the 'stream that comes'. And while the body has lost the feeling, the mind is left capable of raving away on its own, Yet, the huge burden was laid on the Mouth because what is mostly incriminating for her is not only the possibility of 'sameness' or striking similarity beteen the child and herself but also the co-existence of both. Hence, the thing that has agitated the Mouth before the second movement is, as aforementioned, the buzzing sound or the brain which on its parts is responsible for producing words that are to be articulated compulsarily by the Mouth, or other third person available(19). The Mouth, therefore, rejectsJ refuses and denies even though mechanically.

In her tirade before the third movement, the Mouth similarly concentrates on the process of the growth to old age which is characterized by unconsciousness. That is why she wonders "how she survivee !". Yet it seems that she is not quite enthusiastic to recollect the past though it may involve some excitement now she can feel. She is busy now with 'this stream' which looks incomprehensible and leaves her with the problem of finding out what it means. She admits that she is "not catching the half of it ... not the quarter... no idea . what she was saying".(p. 10) Perhaps this negation of understanding none of what she was saying is only a pretense to avoid any possibiliyty of convergence that may induce the Auditor to believe that the voice belongs to the pronoun 'I' and not 'She' as she claims.

brain to remember, has become ever throbbing. And it seems that she can not do without it because it is displayed as the only tool that remains alive and conscious in her .Yet, with the entire awareness of the possible 'agony' or 'torment' she had or she might have had, she tries again to negate any possible, 'sameness' between the waif of the past and herself now. She has to declare this disconnection between the two different persons, i.e., pronouns, every then and while. Here it appears that the brain, pointed out by 'it', plays an important role in indirectly juxtaposing the two pronouns of the naked being of 'I' and 'she' spoken about. This is because both 'I' and 'she' are always mentioned concomitantly and are presumably taken to have witnessed and suffered from the same past experiences. This witnessed and suffered from the same past experiences. This naturally makes any convergence between the strongly, possible. It however, becomes the reason, though not the only one, for the second revolting movement.

The brain here works and arouses a sense of feeling and pain in the female speaker,something she is trerrified to have now because it stands for a failing experience to her. Therefore she reacts against the mere recollecting of it in an attempt to obliterate it(16). So the past backed by the present powerful brain with all its intolerable obsessions becomes a vital factor that revoltingly spurs a painful refusal of self-identification . And this is because the monologue of the Mouth has gradually become or is becoming "a trial of some kind, when all that was required... of her was to say 'Guilty' or Not Guilty', and she stood there, her mouth half open, struck dumb."(17) Thus denial which culminates in establishing a basis of confusion in the reference of the pronouns has been naturally sassumed as a means of self defence .

or reflect 'I', in the closest sense of the word.With this assurance the Mouth catches breath only to resume the narration of the life–story of the third person. And this is the introduction of the second movement.

The key to this movement is the word 'buzzing'. In this word lies the Mouth's psychodynamic problem which has probably influenced her later behaviours and was the reason of her later coming to consciousness. The Mouth, before being urged probably by the Auditor who is placed as the "other actor.. , writer, director or member of the audience"(15), concentrates on the concept of sin and punishment. Though aware of the sins the Mouth does not seem to have a feeling of suffering or punishment "unless of course she was ... *meant* to be suffering... ha! ... *thought* to be suffering" (p. 8); she feels she is considerably numbed.

It is not the physical punishment that she is afraid of now but "that notion of punishment... for some sin or another... or for the lot ... or no particular reason... for its own sake" (p.8) Yet the nature of either the sin or the punishment is not defined in this regard; what is of a particular interst to the Mouth now is the obsession with the notion of punishment. She , nevertheless, does not refer to a particular or real crime that she committed int he past in return for which she deserves punishment. All what she remembers now is her miserable childhood with 'other waifs'. Yet, the feeling of misery is only the outcome of a recent discovery:that she can recollect her past memories vividly and thread them together with her current and culminated misery of the present.

Now , the nagging of 'buzzing sound' in the ears or in the skull worries her. Obsessed with the idea of punishment, she realizes that the buzzing sound,which may be the power of the

Though the 'she' pronoun has frequently occurred in the play–even more than the occurance of any other word –it seems to enjoy a particular impetus when metioned before any of the three movements. The Mouth, however, was roughly involved, before the first movement, in describing a course of life that extends from the very moment of love–making upto giving birth to a she–child then to her unconsious growth to the age of seventy. Despite the shortness of this part, the audience, on their part, are able to depict the three stages of the life of this desparate waif: conception, birth and growth to an old age. For her or rather its part, the Mouth is mainly interested in the last stage; first because it is her remarkably unfamiliar stage where she breaks the iron gates of her silence or probably dumbness and explodes into this "steady stream (of) mad stuff" and second she can only vaguely renmember her past :"parents unknown ... unheard of" (p.6). However, the last stage seems also a reason for arousing a sense of revolt against what she really is and what probably the Auditor might think of her . Yet this revolt assumes confusion of pronouns because they may define who she is, thus destroying all the possible bridges linking the different pronouns cast before the audience .

Furthermore, the sexual intercourse which resulted in the retarded mousy child,does not indicate any gesture of previous love relationship. It happens abruptly so that it leaves the audience with very little to ponder on. More concentration, instead was laid on the state of the newly–born infant which was described as 'speechless' and deprived of 'love of any kind... at any subsequent stage'. However, growth of the 'speechless infant goes on until she reaches the age of seventy which is thy crusial stage or juncture of all the dark past with the whole futile and hopeless present. Yet, the woman, oy the Mouth, objects, claiming that 'she' does not necessarily correspond to, belong to

the Mouth which by then comes to the verge of senility age or the summary of her days on earth : "till coming up to sixty when ... what ? ... seventy ?... good God!" (p.6). This denial is simultaneously occasioned with the movement which is statistically given number one :" ... all went out ... all that early April morning light ... and she found herself in the . what? who ?... no ! . she ! (pause and movement I) (p. 7). Besides there are some more three movement which are proportionately distributed all over the play. These are likewise given numbers two, three and four respectively . In fact these movements are not only to break the monotonous rigidity of the play, but also they become parts of a theatrical inevitability to add a colourful touch to the play and to save it from what Martin Esslin has labelled "the narrative form"(14). They also function in correspondence with the stage directions given by Beckett himself at the very end of the play. These stage directions read as follows : "Movement: this consists in simple sideways raising of arms from sides and falling back, in a gesture of hopeless compassion . It lessens with the recurrence till scarcely perceptible at third . There is just enough pause to conation it as Mouth recovers from vehement refusal to reliquish third person." (p. 16) Moreover, the significance of the movement and its relation to the thematic current of the play are among the numerous characteristics of Beckett's theatre .

The four movements are thematically involved to signify the high pitches of embracing no conformity amidst the problematic pronouns, i.e., 'she' and 'it' on the one hand, and 'she' and 'I' on the other . And since the first 'she'-it' relation has been introduced, concentration now will be on the second, that is, on that of "she–I', because it seems that conflict is more acute between them than between any others.

italics mine); and 'the unknown solution' as in ("*hit on it in* the end ... then back ... God is love ... tender mercies") (p. 15, italics mine).

These are not, J. Fletcher et al write, "the only four shifting identities which issue from the Mouth,there are others implicit in the contradictions of narrative, of time, of ability, and sensibility"(10). Yet throughout all this confusion the text aims at leading us again to the previous negation of the character to her identity or identities : "...what ?... who ? ... no! ... she!"

The confusion aroused because of these intermingled relationships does not go without jusification. The play is primarily taken to present "an aural mosaic of words" that should involve some kind of mysteriousness(11). And this is not thought to be a necessary and an inevitable factor to counterpoise the manifestation of the first hearing of the play. At least part of this state of mysteriousness is satisfied throught the confusion created by the pronoun-game(12).

More precisely, John Fletcher, in a rather brief essay, believes that the Mouth is "Beckett's most defenceless creature; alone now, alone in the past,not attempting to justify herself, hardly even a story to tell . All the same one defence remains she speaks in the third person through out crying suddenly at intervals in a ittle rush of desperation : "what ?... who . no! she !" fending off the final nakedness of ,being 'I' (13) ,Therefore confusion created by pronouns is pre-planned as the only cautious prerequisite of self-protection against the teething "buzzing in the skull'.

The play , as aforementioned, introduces a vague feminine character who, in a monologue- wise cadence, narrates of a birth experience. It, afterwards, shifts its emphasis to denying any relation whatsoever between the newly-born she-child and

tor .While the Mouth is spotlighted, the Auditor is 'enveloped' in black dejallaba(9). The audience, on their part, are not given the slightest chance to see for themselves, early at the beginning whether the Mouth basically belongs to a man or a woman . It is rather referred to within the context of the play as a neutral 'it'. Only a few seconds later and through the constant tirade of the Mouth, one may become able to infer that 'it' refers to a feminine character who has absurdly shrunk into a mouth, something not completely understandable in the Becketiatn tradition. However, the 'idem' or 'sameness' between the Mouth narrating and the woman narrated about, or between the neutral 'it' which never stops blabing and the third peeson singular 'she', is intentionally shattered.

Indedd, the possibility of confusion in the belonging of the pronoun is very high. It originally stems from the precarious relation between the character and its numerous identities. First and formost, the neutral 'it' which is contexually attached to the Mouth departs widely from this attachment in the later pages of the play. In other words, it becomes clear that 'it' would turn into a problematic feature when it leaves its neutrality; it becomes a reference to more than one identity 'the brain' as in ("... but the brain still... still sufficiently...

oh very much so... at this stage... in control... under control to question even this ... for on that April morning... so *it* reasoned...") (p.9; italics mine); 'the vocie' as in ("... no idea what she was saying!... till she began trying to ... delude herself —. *it was not hers* at all ... not her voice at all...") (p. 10, italics mine); 'the existence' as in ("something she had to tell ... could that be it ?... something that would tell... *how it was* ... how she ... what?... *had been* ? yes ... somthing that would tell how *it had been* ... how she had lived") (p. 14,

personae. The preliminary step in this regard is the defintite names which are entirely dropped from his recent plays(2) or symbolically blurred as is indicated in the characters' names of the early plays(3). The present study, therfore, concentrates on this feature as reviewed with regard to *Not I*(published 1973).

Apparently, Beckett attaches no definite names to his dramatic characters,probably because he holds that the dramatic situation demands unnamable characters, Any ambiguity, however dramatic, is intentionally created at least around the characters' names in order to render such names more flexible to controversial interpretations.

In *Not I*, his attempt of name-abolishing turns to develop into a more confusing feature by restoring to personal pronouns as a non-definite alternative. But such substitution does not suit or fit into the matrix of the play without ambiguity which is thematically justified on grounds of uncertaintity of the characters' being . These characters, however, are hard at work to find out a soluution for their problematic complex of identity in various ways(4).

Functionally, the personal pronoun is used either to refer to an antecedent noun or to substitute the noun per se, provided that the noun has aleady been mentioned.(5) Yet, *Not I* falls short of this linguistic restriction. The pronoun, futhermore, determines the case of nouns in constructions where such nouns show no help in giving any clue for indication. It , therefor , enjoys the force of person-distinction(6). But the failure to correspond to this rule has primarily been touched upon at the beginning of the play. *Not I* starts with introducing one visible quasi -character, a mouth. Yet another character·, though invisible(8), seems to be present too. Beckett conspicuously refers to this second character as an Auditor,ayn audi-

THE SPLIT IDENTITY IN BECKETT'S *NOT I*

BY

Saad Fadhil Al Hassani
College of Arts
University of Baghdad
May, 1983

And that bare vowel "I" shall poison more
Than the death–darting eye of cockatrice .
I am not I, if there be such an "I",
Or those eyes shut that makes thee answer "Áy".
If he be slain, say "Ay", or if not, "No".
Brief sounds determine my weal or woe.

Shakespeare ..

Reduction and mystification in the field of dramatic personae becomes a common faature that apparently distinguishes Samuel Bekett's recent plays and prose works . Virtually, this disposition takes various forms ranging from using rather an abstract or s ymbolic piece of decor (such as the tree in *Waiting for Godot* to substituting a whole blood– and –flesh character by a mere single organ (as the Mouth in *Not I*).

Along with this disposition , Beckett purposely intends to mystify his characterization with the aim of reducing their indentity. He must have inevitably come across the semantic implication of the word 'identity' whose root trucks back to the Latin 'idem' which imports 'same' or ' sameness' .(1) Hence, Beckett has placed his characters into the process of a never–ending inferno of struggle to negotiate about the validity of their existence and then to negate any organic relationship with the only peculiar identity they belong to. He , in other words removes all that may identify or characterize these dramatic

BIBLIOGRAPHY

Allen, Don Gameron. *The Harmonious Vision : Studies in Milton's Poetry*. Baltimore : Johns Hopkins Press, 1954 .

Craig, T. Scott. "Concerning Milton's Samson, " *Renaissance News*, V (Autumn, 1952), 45–53 .

Frye, Northrop. "The Typology of *Paradise Regained*," *Modern Philology* , LIII (May , 1956), 227–238 .

Hanford, James Holly. "*Samson Agonistes* and Milton in Old Age," as quoted in Crump, Calbraith M. (ed.). *Twentieth Century Interpretaions of Samson Agonistes*. Englewood Cliffs , N.J.: Prentice Hall, Inc., 1968 .

Krouse, F. Michael. *Milton's Samson and the Christian Tradition*. Princeton, N.J. : Princeton University Press for the University of Cincinnati, 1949 .

Lewalski, Barbara Kiefer. "Theme amd Structure in *Paradise Regained*,"*Studies in Philology*, LVIII (April, 1960), 186–220

Madsen,William G. "From Shadowy Types to Truth," as quoted in Crump, Galbraith M. (ed.). *Twentieth Century Interpretations of Samson Agonistes*. Englewood Cliffs, N.J. : Prentice Hall, Inc., 1968 .

Nicolson, Marjorie Hope *John Milton: A Reader's Guide to His Poetry*. New York : The Noonday Press 1967 .

Stein, Arnold. *Heroic Knowledge: An Interpretation of Paradise Regained and Samson Agonistes*. Hamden, Connecticut : Archon Books , 1965 .

Tillyard, E. W. *Milton*. New York: Collier Books , 1966 .

Woodhouse , A.S.P. "Theme and Pattern in *Paradise Regained*", *University of Toronto Quarterly* , XXV (January, 1951), 167 – 182 .

13Marjorie Hope Nicolson, *John Milton : A Reader's Guide, to His Poetry* (New York : The Noonday Press, 1967), p. 352 .

14James Holly Hanford, "*Samson Agonistes* and Milton in O ld Age," as quoted in Galbraith M. Crunp (ed.), *Twentieth Century Interpretations of Samson Agonistes* (Englwood Cliffs , N.J. : Prentice Hall, Inc.,

15A.S.P.Woodhouse ,"Theme and Pattern in *Paradise Regained,"University of Toronto Quarterly*, XXV (January 1956),180

NOTES

1 John Milton, *Paradise Regained,* as quoted in Merritt Y. Hughes (ed.), *John Milton: Complete Poems and Major Prose* (New York : The Odyssey Press, 1957), I, 123–128 . Subsequent refernces to this edition–including *Samson Agonistes* – will appear in my text .

2 Don Cameron Allen, *The Harmonious Vision: Studies in Milton's Poetry* (Baltimore: John Hopkins Press , 1954), p. 87.

3 E.M.W. Tillyard, *Milton* (New York: Collier Books, 1966) p. 298 .

4 Arnold Stein, *Heroic Knowledge: An Interprtation of Paradise Regained and Samson Agonistes* (Hamden , Connecticut : Archon Books, 1965). p. 201 .

5 Northrop Frye, "The Typology of *Paradise Regained,* "*Modern Philology*, LIII (May 1956) , 231 .

6 William G. Madsen, "From Shadowy Types to Truth," as quoted in Galbraith M. Grump (ed.), *Twentieth Gentury Interpretations of Samson Agonistes* (Englewood Cliffs , N. J. : Prentice Hall, Inc., 1968), p. 91

7 Arnold Stein, p. 208 .

8 William G.Madsen, p. 88.

9Barbara Kiefer Lewalski, "Theme and Structure in *Paradise Regained," Studies in Philology,* LVIII (April 1960), 189 .

10 F. Michael Krouse, *Milton's Samson and the Christian Tradition* (Princeton, N.J. : Princeton Universuty Press for the University of Cincinnati , 1949), p. 124 .

11 Ibid., pp. 78–79 .

12 T.Scott Graig, "Concerning Milton's Samson "*Renaissance News,* V (Autumn 1952), 46 .

and the resolute Christ gain victory at the end. In both poems we are acquainted with the story of heroic leaders who can bring victory to their people and mankind as well. It is a lesson to all human beings that once they are confident of achieving a good and virtuous act, they can overcome all the obstacles that stand in their way. Hioplessness leads to frustration, while confidence paves the way of aspiration to man. Temptation and evil can be resisted through obedience and devotion to one's principles and beliefs . p14

It is obvious then that Milton intended to adjust *Paradise Regained* to this structure in order to demonstrate its didactic theme.

Although *Samson Agonistes* is–as far as structure is concerned–more dramatic than *Paradise Regained*, yet it also abounds with dialogue and its chorus and messengers are employed to avoid change of scene. In both poems Milton adheres to the unity of time, place and action. In *Paradise Regained* the unity of time–as far as Satan's encounter with Christ is concerned–is more or less limited within a day including the intervening night. In *Samson Agonistes* the dramatic time is limited to less than a single day . The unity of place is equally emphasized in both poems, as it is restricted to one particular place. In *Samson Agonistes* most of the dialogue takes place in the prison in Gaza, while in *Paradise Regained* the wilderness is the central locate of nearly omst of the action. As fo rthe unity of action, it is basically limited to the protagonist of each poem and his rejection of temptation .

In conclusion, *Paradise Regained* and *Samson Agonistes* dwell structurally and thematically on a serious issue . Man must recognize his own respnonsiblilities, weaknesses and virtues . He must blame himself if he ever falls and he must extend praise to his Creator if he finds himself able to redeem himself or even other people. If man admits his faults, then he may get assistance and courage which lead him to the safe shore of this stormy life. The two poems show us that a certain man might be tempted and fall at the same time when another is proof against any temptation and full of hope. Yet the fallen man can be filled with hope through repentance and regeneration. While in the person of Samson we fell the renewal of hope and faith, it is the steadiness of hope and the consistancy of faith we fell in the person of Christ.Hence both the regenerated Samson

We have mentioned so far the thematic relations netween *Samson Agonistes* and *Paradise Regained.* It is time to point out their structural relation which has been treated separately.

As we have already mentioned, the structure of each poem focuses on three successive temptations; and the protagonist of each one has managed to resist all three temptations.
In *Paradise Regained* the three temptations for Christ are : to turn the stones into bread, to accept from Satan the kingdoms of the world, and to fling himself off the pinnacle of the Temple.
In *Samson Agonistes* Samson succeeds in rejecting three temptations : his suspicious father, his betraying wife, and the braggart knight, Harapha. In each poem the climax is introduced in its final segment.

The structure of *Paradise Regained* consists mainly of dialogue with short linking, introductory, concluding and narrative passages; or in James Holly Hanfor's words; "*Paradise Regained* is something more unusual, a heroic poem composed entirely of dialogue, save for a narrative introduction and conclusion and a few links."(14)

Milton, as it seems, has modelled the Christ of *Paradiae Regained* after the Aristotelian temperate man whose perfection enables him to withstand all the evil attractions . S. P.Wodhouse bolsters up his idea of equating Christ with the Arostotelian temperate man, which sounds convincing :

> The Christ of *Paradise Regained* is in effect a Christian version of Aristotle's temperate man, and of his magnanimous man as well. The mark of the temperate man is that he has reached a state of security where what is evil has no power to attract him: he cannot really be tempted in the full meaning of the word. And so it is with Christ .
> Satan proposes and Christ rejects: that is all. 15.

Now we can definitely answer the question we previously raised– whether or not Samson is a prototype of Christ. The answer is in the negative as long as Samson is afflicted with the sense of former sin ans is made –as he thinks–an object of mock - kery and humiliation . But unlike Samson, Christ is without sin and His triumph does not indicate a recovery of something lost through His own fault.We can then hardly agree with F. Michael Krouse, who says : "In the very title of this tragedy Milton invited his readers to think of Samson as a . counterpart of Christ."(10) Then Krouse contradicts himself when he associates Samson with conflicting epithets as he states :

> For during Milton's own lifetime Samson was remembered by many as a tragic lover ; as a man of prodigious strength ... ; as agreat historical peronage whose downfall was caused by the treachery of a woman ... ; as a sinner who repented and was restored to grace; as the original of Hercules . II

None of the foregoing epithets can be applied to Christ, and consequently Krouse's theory of associating Samson with Christ seems hard to convince us. Ir seems also hard, on the ther hand, to agree with T. Scott Craig, who still supports the idea that Samson is a prefigure of Christ. It is almost astonishimg when Craig, more or less, changes the name of Samson to "Christus" when he says : "Samson Agonistes is really Christus Agonistes,"(12) which he is really not. Yet we find word of Marjorie Nicolson's comment of dissociating Samson from Christ convincing, when she remarks : "I myself do not feel the drama Christian. Its great power im my mind lies in the very face that it is the least Christian of all Milton's major works, indeed that Christianity plays almost no part in it '"(13)

Again if Samson is destined to deliver his people from the Philistines' evil, Christ is destined to deliver all mankind from all evil represented by Satan. It is, as Wiliam G. Madsen suggests:"A realization that because of Adam's sin man is in bondage to Satan and that Christ is his only deliverer."6

Still Samson is not a perfect man as Christ is, but a tragic.. hero . "Christ's victory is the clear victory of pure intelligence Samson's victory is tragic and complex," 7 as Arnold Stein states. Samson is not a prototype of Christ because the poem emphasizes revenge, fortune and chance which are more pagan than Christian. Therefore we agree here with William G. Madsen's opinion in dissociating Samson from Christ, since Samson is:

.... less admirable, at best, in his eagerness to engage Harapha in single combat, his pathetic belief that by clubbing Harapha to death he will demonstrate the glory of God. The language of chivalric combat used by both Samson and Harapha places this encounter at a fast moral distance from the "great duel, not of arms" in which Christ engages the Father of all giants of the earth.8

Consequently, if Samson is the champion who annihilates his enemises, Christ is the Saviour, who redeems and pardons his enemies. It is true that Samson regained his hope or probably even his country's hope, at the end of the poem ; but Christ regained Paradise to all manking and ; "On this understanding, the title, *Paradise-Regained*, is far more appropriate than has been realized, for the poem thus incorporates the whole Christian theology of redemption, "(9) as Barbra Kiefer Lewalski points out .

proclaimred the Son of God and this has been witnessed by the Holy Dove and by Satan as well. Christ's Father is God, to whom all creatures extend their prayer and worship, while Samson's father is a human being who harbours doubt in God's deliverance of his son, especially when he first meets Samson in prison. He imposes himself in God's place and asks his son to depend more upon his father than upon his God. Manoa, therefore, is a suspicious believer in God since he does not justify the ways of God to man. Moreover, Samson's father degrades and humiliates both himself and his son before the Philistine Lords to secure Samson's ransom.

This foregoing contrast proves that Samson's father and Christ's are not identical; neither are the sons. Christ in *Paradise Regained* is the "true Image of the Father" (IV, 596) and "thron'd In the .... light of light " (IV, 596-597). Christ is always the same temperate man, while Samson is torn between pride and humiliation. As Christ walks hopefully and patiently in the "light of light," Samson is first hopeless and impatient ; and he pessimistically and tragically cries:

> Dark, dark, dark, amid the blaze of noon,
> Irrecoverably dark, total Eclipse,
> Without all hope of day!
>
> (80-82)

What is worse, Samson thinks that he is "still as a fool' (77), and does not even count himself with the living people-he is "half deat" and in "a living death"

> Then had I not been thus exil'd from light;
> As in the land of darkness yet in light,
> To live a life half dead, a living death,
> And buried.
>
> (98-101)

Milton's objection to the Papacy is demonstrated in Satan's suggestion to Christ to take over the Roman Empire by deposing its Emperor, Tiberius:

"This Emperor hath no Son, and now is old" (IV, 90) This reference could be to the Pope, who must be childless and is usually old.

The poet's personal antifeminism can also be traced in *Samson Agonistes*, where Milton indirectly expresses the failure of his marriage with Mary Powell. Dalila's sin is preferring her parents and country to Samson's when she reveals the secret of his strength to the Philistines, her country men.Mary Powell's sin, as it seems to Milton, is her allegiance to ther Cavalier. parents rather than to Milton's Puritanism. Milton reveals himself in Samson's reproof of his wife , Dalila :

> ... ...Why then
> Didst thou at first receive me for thy husband,
> Then, as since then, thy country 's foe profest?
> Being once a wife, for me thou wast to leave
> Parents and country. (882–886).

We would like to make allusion to some controversial issues–whether or nort Samson is the image of Christ and how far Christianity is represented in *Samson Agonistes*. A definite **Agonistes.** A definite answer is rather a hard one at first try, but still there are many things to consider before answering such a question. To equate Samson with Christ is to accept Samson's fall put this heavy burden on Christ's shoulder, which is really unjust. Samson had fallen but he was regenerated, and thus recovered hope and faith. Christ has never fallen and has not deviated from the right path whatever guiles satan has in store for Him. Throughout the poem Christ is invariably God-centred while Samson is mostly self-centred. Christ is

Christ has the spiritual world in which all the material necessities are gained spiritually–hence Christ's food and wealth in the wilderness are the spiritual ones supplied by God.

Speaking of the the matic relations, we can also trace some of Milton's personal reflections in both *Samson Agonistes* and *Paradise Regained* . In Samson we can picture Milton himself in the last span of his heroic life powerless and blind among a faithless people– as he imagines– and the alien society of the Restoration. He is frustrated and seeks spiritual relief through devotion to God in Manoa's words:

... for God,
Nothing more certain, will not long defer
To vindicate the glory of his name
Against all competition, nor will long
Endure it, doubtful whether God be Lord,
Or *Dagon*. (473 – 478 .

Milton also expresses his regrettable blindness through Samson The sun to me is dark / And silent is the Moon: (86-87). Moreover, the poet's helplessness is once more expressed in Samson words : "In power of others, never im my own "(78).

In *Paradise Regained* Milton refers to th Restoration from another angle. The ten tribes enslaved by the Parthians symbolize England. The Parthian kings represent the English Protesant churchmen who support Charles II as if they were supporting the Pope. Thus Satan suggests that Christ " captive lead away her Kings" (III, 366). Christ refuses to emancipate these slaves – the English people who worship their captors– because they are :

"Unhumbl'd, unrepentant, unreform'd (IIIJ 429); moreover, they"... serve/ Their enemies, who serve Idols with God" (III 431 – 432).

[and his] return .. to God is a return to his people" (4) as Arnold Stein puts it .

In *Paradise Regained* Christ also returns home after victory by fulfilling God's plans and defeating Satan; and thus He is : "Brought on his way with joy ... / Home to his Mother's house Private return' d"(IV , 638 – 639).

As the main theme of *Samson Agonistes* is the regeneration of man, it is the redemptiou of man in Paradise Regained. Samson on one hand, stands for human hope; and Christ, on the other hands , - stands for human salvation . He is a second Adam but with Christian virtues inspired to conquer temptation .

He is the symbol of reason triumphing over passion. He has "avenged ... *Adam*" (IV, 606 – 607) and founded "a fairer Paradise" (IV , 613). Christ's victory over Satan represents the conquest of three sins– the sin of gluttony (the lust of the flesh). the sin of avarice (the lust of the eye)a nd the sin of vainglory (the pride of life). His victory also mens rejecting false values . He rejects Satan's banquet (false invitation), the Parthian kingdom (false power), the Roman kingdom (false rule) , and the Athenian knowledge (false learning).

We can add that *Samson Agonistes* is a struggle between one's tormented conscience and one's personal hope resulting in the realization of the latter at the cost of sacrificing oneself. In *Paradise Regained* "Both Satan and Christ," as Norhtrop Frye states, "divide the world into the material and the spiritual, but for Satan the material is real and the spirtual is imaginary5 Consequently, Satan has nothing but the material world while

depends chiefly on confessing his fall. It is worth quoting E.M.W. Tillyard who remarks that :

> If Milton believes in the Fall he still believes in regeneration Man must recognize his own responsibility for his fall , he must not put the blame on Fate, he must hav a clear intellecteual grasp of his own weaknesses:then he may get help from outside ... In *Samson* the lesson regeneration (3).

It is no wonder thean that Samson's father is the other one who is regenerated at the end of the play . Manoa, who has already axpressed pessimistic doubt in God's providence, believes at the end of the play that God may even restore Samson's sight and hair:

> And I persuade me God had not permitted
> His strength again to grow up with his hair ...
> To use him further yet in some great service ...
> And since his strength with eyesight was not lost ,
> God will restore him eyesight to his strength .(1494 ff).

Manoa is optimistic even at his son's death :

> Nothing is here for tears, nothing to wail
> Or knock the breast, no weakness ,no contempt,
> Dispraise , or blame, nothing but well and fair ,
> And what may quiet us in a death so noble.
> (1721 –1724)

Again even the Chorus is optimistic and hopeful of Samson's regeneration. Nothing can hinder God from restoring Samson's eyesight, as God has already performed "Yet God hath wrouht things as incredible / For his people of old ; what hinders now ? (1532 – 1533).

The final lesson of regeneration of Samson is that once he returns to His God, he must also return dearly to his country. Thus "Samson ... becomes a symbol of human hope and virtue

Having treated the two poems piecemeal, we should like to refer to the thematic relations between them in general and between Samson and Christ in particular. In *Samson Agonistes* the main theme is the regeneration of man.We first meet Samson as both blind in eye and in mind dominated by restless thoughts despair – and totured conscience. Moreover , he is inflicted by the idea that he is no longer the Samson, whose strength and pride were his real attributes, but is no more than an object of contempt and scorn. He has come to believe that he is exposed iin his prison among the thieves and slaves to mockery . His inferiority complex is that he is a blind, humiliated fool and inferior to any creature :

Inferior to the vilest now become
Of man or worm; the vilest here excel me,
They creep, yet see; I dark in light expos'd
To daily fraud, contempt, abuse and wrong.
Within doors, or without , still as a fool,
In power of others , never in my own;
Scarce half I seem to live, dead more than half (73–79)

Samson is a sight of pity and even the Chorus refers to his imprisonment and blindness as a "Prison within Prison"(153).

Then this same Samson after rejecting the three temptations by his father, his wife, and Harapha becomes a regenrated Samson, who overcomes his despair and increases his faith in God and feels he is once more His champion waiting to fulfil divine plans. He believes that God may pardon and employ him. Samson's supernatural power and his regeneration bring bout Harapha's degeneration and make of the knightly man a lustrer and a coward which is another irony in the poem. -

In *Samson Agonistes* Milton expresses his two major beliefs the fall and the regeneration of man . Yet man's regeneration

since she desires to take him to her home in the Philistian kingdom which will have more fame, wealth and power if Samson neglects his people and joins the Philistines, side. In other words it is Satan and Dalila, who are interested in famed wealth and power for their kingdoms through Christ and Samson, who are determined not to fall into their tempters' traps.

The pinnacle temptation is similar to that of Harapha because each temptation is intended to test the protagonist's faith in God. Then Harapha, the braggart warrior, is put to rout and Satan is thrown off the pinnacle .

As for the climax of each poem, Milton decided to give it an ironical shape. Ih *Samson Agonistes* Samson is reported dead when Manoa is hopeful of ransoming him. The other irony occurs when the Philistine Lords are crushed at Samson's death which gains victory over his enemies. So Samson wen to the festival of Dagon not in surrender to the messenger, but to fulfil God's plan ;

I with this Messenger will go along
Nothing to do, be sure, that may dishonor
Our Law, or stain my vow of *Nazarite.*
If there be aught of passage in the mind.
This day will be remarkable in my life
By some great act, or of my days the last .(1384–1389).

In *Paradise Regained* Christ for the first time complies with Satan's suggestion and accompanies him to the pinnacle. There is no implication of Christ's surrender to Satan, but it is mere obedience to God, because Satan is destined to be defeated by Christ, as the Philistines were destined to be defeated by Samson. The irony is that Satan, who wanted to defeat Christ, is defeated by Christ with His echoing words : "Tempt not the Lord thy God" (IV , 561).

But Samson's reply proves that he is not the Samson fillled with despair at the opening of the poem, but a regenerate Samson, whose faith in God has no limit :

All these indignities, for such they are ...
Acknowledge them from God inflicted on me
Justly , yet despair not of his final pardon
Whose ear is ever open; and his eye
Gracious to re-admit the suppliant ;
In confidence whereof I once again
Defy thee to the trial of mortal fight ,
By combat to decide whose god is God . (1168 ff).

The foregoing lines indicate that Harapha's temptation to bring about Samson's distrust of God has come to nothing . Instead, Samson's morale is higher than ever snce his imprisonment– he is God's champion again . He finally decides to go with the officer to the place where the Philistines are celebrating in order to keep God's instruction , although he does not know exactly what will become of him at that meeting :

I begin to feel
Some rousing motions in me which dispose
To something extraordinary my thoughts. (1482 –1383).

Christ in *Paradise Regained* , on the other hand, enters the wilderness in obedience to God's plan without doubting or even questioning it :

And now by some strong motion I am led
Into this Wilderness, to what intent
I learn not yet ; perhaps I need not know ;
For what concerns my knowledge God reveals. (1,290–293)

Satan's temptation of Christ with wealth, fame, power and kingdoms also corresponds to Dalila's temptation of Samson

ies I contemn, / And count thy specious gifts no gifts but guiles" (II, 390 – 391).

If Samson has once been tempted by a lustful woman and has taken a good lesson from it, yet Christ is not likely to be tempted by women. In their respective poems Samson, at his presentstate, and Christ correspond to each other for resisting the temptation of any beauty that harbours their defeat.Christ's immunity against temptation to women is proved when Belial's suggestion to tempt Christ with womon is not granted by Satan, because "Beauty stands/ In th' admiration only of weak minds" (II, 220 – 221); beauty here of course means sensual beauty .

The third temptation in *Samson Agonistes* is in the Harapha episode. This temptation is designed to test Samson's faith in God's power which is to some extent represented in Samson's body . Samson readily challenges Harapha, the braggart giant, with full confidence that God will help him defeat his opponent Harapha's visit to Samson was intended to humiliate him, but on the contrary it is Harapha, who is degraded-while Samson is regenerated. Samson has come up with the belief that God's assistance to conquer Harapha is certain, and this Notion makes him spiritually and mentally relieved with the result that his faith in God is redoubled. Harapha tries to eliminate Samson's confidence in God by increasing his despair :

> Presume not on thy God, whate'er he be ,
> Thee he regards not, owns not, hath cut off
> Quite from his people, and delivered up
> Into thy Enemies ' hand, permitted them
> To put out both thine eyes, and fetter'd send thee
> Into the common Prison, there to grind
> Among the Slaves and Asses thy comrades,
> As good for nothing else. (1156–1163).

much better than her home : "This Gaol I count the house of Liberty / To thine whose doors my feet shall never enter" (949 –950).

When Dalia's words are not successful she tries to arouse Samson's physical passion by approaching to touch his hand which is a sensual temptation. She is once more abruptly rejc -, ted and her request is refused with a snub, leaving the Chorus to comment on her "injuruos" beauty :

Yet beauty, though injurious, hath strange power ,
After offense returning, to regain
Love once possest, nor can be easily
Repuls't without much inward passion felt
And secret sting of amorous remorse . (1003–1007)

Samson's rejection of Dalila represents his expiation for his past lascivious life with her –it is a resistance to the temptations to lust and lechery. It is not love, but lust that Dalila is after : "But Love constrain'd thee; call it furious rage / To satisfy thy lust" (836–837). Consequently, Samson passes his second test of temptation successfully by triumphing over Dalila's lures and not falling into her snares again .

In *Paradise Regained* Christ rejects the Devil's Table which was attended by :

Tall stripling youths rich , of fairer hue
Than *Ganymede* or *Hylas;* distant more
Under the Trees now tripp'd now solemn stood
Nymphs of *Diana's* train , and *Naiades* .
And Ladies of th' *Hesperides* . (II , 352 ff.)

Thus the banquent and its beautiful ladies are doomed to failure since Christ is not easy to tempt. He courageously renounces Satan's offer and considers it as a guile : "Thy pompous Delicac-

ready to disrupt Dalila's temptation which will be dealt with later .

Having dealt with Samson's father, we wish to turn to Christ and God as far as tempration is concerned, In *Paradide Regained* Christ is also exposed to three temptations. Manoa's temptation of Samson to take matters in to his hands to save himself , not awaiting God's deliverence is –despite the difference between Satan and Manoa – equal to Satan's first temptation of Christ to turn stones into bread to satisfy hunger without waiting for God's miracle in that lonely wilderness. Samson's belief is that being freed and ransomed is a violation of Gods just will to be in Gaza, which also means an expression of distrust of God's providence. Christ believes that physical hunger can be satisfied by spiritual food; so to perform a miracle to change stones into bread is also a violation of God's order by doubting His divine care: "Man lives not by Breasd only but each Word /Proceeding from the mouth of God" (I, 349–359). Samson holds to the idea that only God can free him fron his prison, which corresponds to Christ's repudiation of Satan's offer to take him out of the wilderness :"Who brought me hither / will bring me hence, no other Guide I seak" (I, 335–336) Thus in both poems the protagonist's victory on the tempter Samson on Manoa and Christ on Satan–is the victory of resistance on surrender.

Again our protagonists are exposed to another test–a second temptation. No sooner has the Ghorus announced Dalila's arrival than Samson is outraged: "My Wife, my Tratress, let her not come near" (725). Dalila, a pretty deceitful woman , represents the temptations to sin, luxury and lust. She comes to offer Samson the comfort of a home ih exchange for the prison. Samson immediately rejects her offer stating that his prison is

Samson justifies the ways of God to men–another theme which Milton emphasizes in the poem :

> Appoint not heavenly disposition, Father,
> Nothing of all these evils hath befall'n me
> But justly ; I myself have brought them on ,
> Sole Author I, sole cause. (373 – 376).

Samson, who has already been tempted is hard to tempt again He strongly resists the transon temptation and replies to his father's pressure and offer in an uncompronmising tone :,

> Here rather let me drudge and earn my bread,
> Till vermin or the draff of servile food.
> Consume me and oft–invocated death
>
> Hast'n the welcome end of all my pains. (573–576)

Manoa's despair and doubt have found their way in the Chorus' prayer to God to spare Samson, as the Chorus finds Samson's punishment so harsh. It reminds God of how He once blessed His champion who is now in a miserable state :

> So deal not with this once thy glorious Champion,
> The image of thy strength, and mighty ministr.
> What do I beg ? how hast thou dealt already ?
> Behold him in this state calamitous, and turn
> His labors, for thou canst, to ppeaceful end.(705–709)

All the foregoing quotations acquaint us with the theme of regeneration which replaces temptation. Samson, by refusing Manoa's offer, shows that divine love is superior to paternal love . It is the first time when we see Samson free from the damnable sin of despair . "Manoa is probably Milton's broadest to alleviate the suffering of his son have invariably an effect of contrary intent." (2) Thus Samson is in a better position and

regret for his son's imprisonment is so overpowering that he doubts the justice of God:

> Alas ! methinks whom God hath chosen once
> To worthiest deeds, if he through frailty err,
> He should not so o'erwhelm, and as a thrall
> Subject him to so foul indignities,
> Be it but for honor's sake of former deeds . (368–372)..

Manoa states how he earnestly prayed for a child , fearing a childless marriage, and then was given Samson . Now God is to blame since His gift is in a regretable state:

> I pray'd for Children, and thought barrenness
> In wedlock a reproach; I gain'd a Son ...
> Why are his gifts desirable ; to tempt
> Our earnest prayers, then , giv'n with solemn hand
> As Graces, draw a Scorpion's tail behind ? (351 ff).

Thus Manoa's grief is that his son who once was the champion of his people is now deserted by God . To substitute hi self for God, Manoa asks his son to accept his loving father's plans for ransoming him instead of waiting for God's plans. Moreover Manoa finds it doubtful that God will ever use Samson again against Dagon, the Philistines' god. The only thing to do now is to speed up Samson's ransom:

> But for thee what shall be done ?
> Thou must not in the meanwhile here forgot
> Lie in this miserable loathsome plight
> Neglected. I already have made way
> To some Philistain Lords, with whom to treat
> About thy ransom. (478–483).

Yet Samson resists these temptations, as he has already been convinced that he himself is to blame. In his reply to Manoa,

THEMATIC AND STRUCTURAL RELATIONS BETWEEN PARADISE REGAINED AND SAMSON AGONISTES

Dr Mohammed Baqir Twaij
College of Education,
University of Baghdad

The unifying them that links *Paraduse Regalned* and *Samson Agonistes* is the theme of temptation . Yet Milton approaches this theme in these two poems through two different media . In both poems there is a central emphasis on three temptations and they are counteracted by the protagonists. In *Paradise Regained* there is only one tempter, Satan , who directly but abortively works to bring about Christ's fall; but Satan is indirectly fulfilling God's plan for testing Christ :

Temptation and all guile on him to try ,
So to subvert whom he suspected rais'd
To end his Reign on Earth so long enjoy'd :
But contrary unweeting he fulfill'd
The purpos'd Counsel pre–ordain'd and fixt
Of the most High .[1]

In *Samson Agonistes* Samson, instead of facing one tempter has to face three–Manoa, Dalila and Harpha regardless of thier motives. He is, unlike Christ, first introduced filled with despair and self–inflicted humiliation. Nevertheless, he gets a lesson which will enable him to overcone similar or further temptattions. In each poem there is a father – son relation which sheds light on the working out of the theme of tempation. In *Samson Agonistes* Manoa– Samson's father – is a human being dominated by emotional feelings towards his son ; a loving father who seeks his son's ransom, which is the first temptation. Manoa's

1. Don Cameron Allen, *Image and Meaning* (Baltimore: The John Hopkins Press, 1968), p. 191.
2. *The Odyssey*, Book VII, tr. S.H. Butcher and A. Lang (P. F. Collier and Son, 1909), pp. 96-97.
3. Allen, p. 194.
4. *Silvae*, I. 2, tr. J. H. Mozley (Harcard University Press, 1967) p. 27.
5. R. A. Aubin, *Topographical Poetry in XVIII-Centery England* (New York: The Collegiate Press, 1936), p. 5.
6. *Ibid.*, 136.
7. *The Epigrams of Martial*, tr. James Michie (The Chaucer Press, 1973), p. 63.
8. *Ibid.*, p. 65.
9. *The Works of Horace*, tr. J. C. Elgood (London: Wyman and Sons, 1886), p. 103.
10. G. R. Hibbard, "The Country House Poem of the Seventeenth Century," *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes*, XIX (January-June 1956), p. 159.
11. *Ibid.*, p. 159 .
12. *The Complete Works of Philip Sidney*, I, ed. A. Feuillerat Cambridge University Press, 1939), p. 15.

Robert Wroth." The crucial importance of the family moral upbringing is not even hinted at.

In short, Jonson's development of the tradition of the genre, primarily in "To Penhurst," is the driving force behind the "country house" poems of the seventeenth century. Some of the more prominent poets who followed his example were Thomas Carew in "To Saxham," and To the king at His Entrance into Saxham;" Robert Herrick in "A Country-Life to His Brother Mr. Thomas Harrick' and " A Panegerick to Sir Lewis Pemberton;" and Andrew Marvell in "Upon Appleton House".

With the whole household, and may, every
Reade, in their vertuous parents noble parks,
The mysteries of manners, armes, and artes.
(93-98)

It is the religious upbringing of the family which makes the house and estate of the Sidneys a symbol of morality and cohesiveness, exemplified in their proper use of wealth and their role in the community. Adherence to religion, tradition, and moral code is the backbone of Jonson's praise in "To Penshurst." The emphasis on the family education and upbringing is a principal Jonsonian contribution to the tradition of the genre. He also develops the idea of interaction between man and external nature to a more satisfactory dimension than that found in Martial's and Horace's poems. The idea of usefulness and proper use of money is also a major Jonsonian proccupation. The description of the house emphasizes the freedom the people enjoy:

The rout of rurall folke come throning,in
(Their rudenesse then is thought no sinne)
Thy noblest spouse affords them welcome grace
And the great Heroes, of her race,
Sit mixt with losse of state, or reverence.
Freedome doth with degree dispence.

The rest of the poem is a description of the varied activities of the estate and of the hospitality of its owner. The moderate living of the country folk, as distinguished from that of the city dwellers and men of court, is highly applauded.

"To Sir Robert Wroth" celebrates the "antique" virtues of hospitality, innocence and simplicity. But the clear cut emphasis on the cohesiveness of the community and man's harmony with external nature in "To penshurst" is lacking in To Sir

the elements in collaborration, providing man with comfort and plenty:

Thou joy'st in better markes, of soyle, or ayre,
  Of wood, of water: therein thou art faire.

(7 - 8)

The soil feeds Robert Sidney's cattle which, in turn, provide him with meat, milk, etc.:

  The lower land, that to the river bends,
Thy sheepe, thy bullocks, kine, and calves doe feed:
  The middle grounds thy mares, and horses breed.

(22-24)

Even birds and other kinds of fowl present themselves to be killed:

The painted partrich lyes in every field
  And, for thy messe, is willing to be kill'd

(29-30)

Nature is, so to speak, eager to be useful. Man and external nature, as well as man and man, exist in an organic whole of interdependence. There are hints in Martial's and Horace's poems of this interdependence between man and external nature, but Jonson develops this into a richer and a fuller significance.

The house's importance in the life of the community is owing to the way its owner and his family have been brought up. Jonson greatly emphasizes the moral upbringing of the family. Children learn by the example of their parents:

They are, and have beene taught religion: Thence
  Their gentler spirits have suck'd innocence.
Each morne, and even, they are taught to pray,

Now , Penshurst , they that will proportion thee
  with other edifices, when they see
Those proud, ambitious heaps, and nothing else,
  May, say, their lords have built, but thy lord
    dwells . (99–102)

we musst also recall that Martial praises Faustinus ' house for this veıy quality of usefulness .

"Penshurst,"to Jonson, is more toan a house: it is a symbol. It stands for a spirit of benevolent relationships netween lords and tenants, and between the landed gentry and the surrounding country folk. Martial, as I tried to show earlier in this paper emphasized these interrelationships. Here are Jonson's lines:

And though thy walls be of the countrey stone,
  They are rear'd with no man's ruine, no man's grone,
There's none, that dwell about them, wish them downe;
  But all come in, the farmer, and the clowne:
And no one empty-handed, to salute
  Thy lord, and lady, though they have no sute,
Some bring a capon, some a rurall cake,
  Some nuts, some apples. .. ..

(45 - 52)

The house is not built out of the exploitation of other people. The relationship between the owner of Penshurst and the other country people is based on mutual love and mutual duties and responsibilities. People come to the house, each bringing with him what he can afford. It is these relations that make life a cohesive organism, cemented with love, respect, and compassion.

This harmony between man and man is reinforced by a harmony between man and external nature. Jonson depicts

G.R. Hibbard directs the attention of the reader of Ben Honson's poem to a famous passage, which he quotes, in Sir Philip Sidney's *Arcadia*. In that passage, Sir Philip Sidney describes the house of Kalander in words which embody Jonson's main theme. Ben Jonson, who is describing and praising the house of Sir Philip Sidney, might have had that passage in mind when he wrote his poem:

> They perceived he was not willing to open himself further and therefore without further questioning broght him to the house: about which they might see (with little consideration both of the ayre, the prospect, and the nature of the ground) all such necessarie additions to a great house, as might well showe, Kalnder knew that provision is the foundation of hospitalitie, and thrift the fewell of magnificence.
>
> The house it selfe was built of aire and strong stone, not affecting so much any extraordinarie kinde of finenes, as an honorable representing of a firme statelines. The lightes doores and staires, rather directed to the use of the guest, then to the eyes of the Artificer: and yet as the one cheefly heeded, so the other not neglected; each place handsome without curiositie, and homely without lothsomness not so daintie as not to be trode on, nor yet slubberd up with good felowshippe: all more lasting then beautifull,. . . The servants not so many in number, as cleanlie in apparell, and serviceable in behavior , testifying even in their countenaunces, that their maister tooke as well care to be served, as of them that did serve. 12

Kalender's house, like that of Sir Robert Sidney, is not bulit for an ostentatious display. The concluding lines of "To Penshurst" state this point clearly;

It is simply a glorification of the life of the country as distingu-ıshed from and preferred to city life.

II. Ben Jonson

There is certainly a debt to Martial and Horac, but as C. R. Hibbard points out, "it is a debt which can easily be overstated." 10 What classical poets, whether Greek of Roman, provided was an inspiration-or, to quote Hibbard again," a general framework for a poem which lent itself to the critical examinatuion of certain aspects of life." 11 It is Ben Jonson's adaption of and crucial contribution to the classical tradition that really mattered to most of those who followed him. Martial's and Horace's poems in the genre seem to have influenced Jonson more than those of Homer and Statius, however.

The "country house" poem in the seventeenth century is principally indebted to Jonson's "To Penshurst" and "To Sir Robert Wroth."

An understanding of Jonson's two poems is, therefore, indispensible for any sound reading of the poems of those who followed him.

The opening of "To Penshurst" sets the contrast between the good use of wealth, which is in itself a moral act, and its misuse. Robert Sidney's wealth is properly used in accordance with the traditional virtues of humility, hospitality and simplicity. Neither his house nor his estate manifests pride, extravagance or waste :

Thou art not, Penshurst, built for envious show,
  Of touch, or marble; nor canst boast a row
Of polish's pillars, or a roofe or gold:
  Thou hast no lantherne, where of tales are told.

Our friend Faustinus at his Baian place
Doesn't go in, Bassus, for wasted space ...
No useless squads of myrtle, no unmated
Planes, no clipped box; true, unsophisticated
Country's his joy .

In addition to its useful simplicity and lack of elaborate decorations, Martial also stresses the importance of the house in the life of the surrounding community :

The country – folk who call never arrive
Without some gift–pale combs straight frome the hive,
Somnolent dormice, a cheese pyramid
The big–boned daughters of the honest peasants
In wicker baskets bright their mother's presents(8).
(38–43)

Faustinus' house stands as a symbol of intimate relationships and co–operation among the members of that community . Martial's epigram, it should be stated, is a satire against the city and its useless exrtravagance. As we shall see, Martial's emphasis on the usefulness of the house and its importance ih the life of of the community are two points shared by Jonson·

Horace's Epode II is a general praise of the life of content -ment and quiet that the people of the country lead. To Horace such a life is reminiscent of the Golden Age:

Happy the man who , far from the business of towns.,
Cultivates his paternal unmortgaged inheritance with his
oxen, like the ancient race of mankind.(9).

Horace also emphasizes innocence, plenty and a healthy atmosphere as the essential virtues of the country. Although he mentions the "industrious Apulian" and his "chaste wife," the epode is not a praise of any person's house or property.

brilliant stone that is envied by Oebalian purple and the mixer of the Thrian cauldron . The ceilings rest poised on colu mns innumerable ; the beams glitter in lavish decking of Dalmatian ore (4).

This house shares with Alcinous' palace the lavish show of magnificence and greatness.

R.A.Aubin groups the country –peom genre' broadly ,with topograohical poetry. He sees the origins of topographical poetry in journey–poem(5) in pre–and post – Christian eras. He nevertheless distinguishes between the topographical poem proper and the country house poem which he calls the"estate poem." The main them of the "estate poem", he says, "is the proprietor's genius for hospitality,"(6) Though the "country–house"poem could be loosely grouped topographical poetry, it should be considered a separate genre and treated accordingly It differs from topographical poems klike Denham's *Cooper's Hil* and pope's*Windsor Forest* in concentrating on a specifi estate and a particular person.The center of emphasis in the ountry house" poem unlike the topographical,is a house and its owner. In Denham's *Cooper's Hill* and Pope's *windsoe Forest* there is no description of any individual estate; indeed, there is not even a mention of a house or an estate of a particular nobleman. Landed gentry and their property are the subject matter of the "country house " poem .

The origins of the genre have been sought in Martial's Epigram III, 58 , and in Horace's Epode II. Martial's Praise of Faustinus' Baian house has an essential point of similarity with Jonson's and Carew's poems in this genre. First of all , Faustinus house, Martial makes clear, is a country house. More to the point, however , Martial stresses the usefulness, not the wasteful show, of his frien's house :

> that were set on the brazen threshold , and silver the lintel thereupon, and the hook of the door was of gold. And on either side stood golden hounds and silver. . And without the courtyard hard by the door is a great garden, of four plouhgates, and a hedge runs round on either side. And there grow tall trees blossoming,pear–trees, and pomegranates, and apple– trees with bright fruit, and sweet figs, and olives in their bloom(2).

Homer is actually describing a king's court. King Alcinous' place is made of bronze silver, and gold.The emphasis is on the pomp and show of royalty and greatness.

Descriptions of houses in the manner of Homer's can be found in Virgil's *Aeneid,* especially in his depiction of the houses of Dido and Latinus, and in Senca's *Thyestes*. The houses in Seneca's *Thyestes,*though beautiful and magnificent inside,are environed with death and despair . Its sunless garden and its yew and cyress trees, symbols of death, clearly indicate gloom. Don cameron Allen, however, finds in Statius' epithalamion on the marriage of Aruhtius Stella and Violantilla the "true" ingredients that subsequent poets who wrote in this genre followed. He states that it is "Statius, rather than Homer or Seneca, who truly makes the die of the mode that later poets followed when they praised a man by describing his house .(3)

Let us turn to Statius' description. For one thing, the house described by Statius in his epithalamion is in Rome. It is not in the country . The pomp and the extravagant architiecture are what intrests Statius .

> Worthy of goddess was that abode, nor mean after the radiant stars. Here is marble of Libya and phrygia,and the hard green Laconian rock; here the winding pattern of the onyx, and the vein that matches the deep sea's hue, and the

BEN JONSON AND THE CONVENTIONS OF THE COUNTRY HOUSE POEM

Dr . Eid Abdallah Dahiyat
Dept . of English
University of Jordan

This paper disucsses Jonson's two "country house" poems- "To Penhurst" and "To Robers Worth."These two poems point to and stress a certain set of values, and glorify a particular attitude to life.Jonson is, however following an established tradition.Any discussion of his"courtry house"poems,it seems to me, should take the established conventions of the genre into full account.

A. The Tradition of the Genre.

The "country house" poem is traced, like almost every other literary genre, to classical times. Don Cameron Allen, for instance, takes Homer's description of King Alcinous' palace and garden as the beginning of 'poems about great men and their houses."(1) In *The Odyssey* , Books V–VIII, Homer tells how Odysseus was stranded on the Phaeacian shores, and how the goddess Athene took him to the magnificent palace of the Phaeacian King , Alcinous. In Book VII, Odysseus, invisible, entered.

> ... the famous palace of Alcinous, and his heart was full of many thoughts as he stood there or ever he had reached the threshold of bronze.For there wacs a gleam as it were of sun or moon through the high-roofed hall of great – hearted Alcinous. Brazen were the walls which ran this way and that from the threshold to the inmost chamber , and round them was a frieze of blue, and golden were the doors that closed in the good house.Silver were the door – posts

Fox, Samuel Ethan. 1979. ." Organizational and Greativ Rules in Arabic". Papers from the 15 th Regional Meeting of Chicago Linguistic Society . 121–25 .

Gorgis,Dinha T. 1982 . *The Morphophonemics of the Deverbal Noun in Modern Standard Arabic and English*. University of Manchester PhD Thesis .

——— . 1984 (forthcoming). "Some Morphophonemic Rules in the Derivation of Modern Standard Arabic Imperatives

Levy, Mary M. 1971 . *The Plural of the Noun in Medern Standard Arabic*. PhD Dissertation. The University of Michigan.

Schramm, Gene M. 1962 . "An Outline of Classical Arabic Verb Structure". *Language* . 38.4. 360–75 .

Webb, Charlotte A.Y. 1974 *Metathesis*. PhD. Dissertation . The University of Texas .

Wehr, Hans. 1976 . *Arabic - English Dictionary* , 3rd Ed. by. J. Milton Cowan. Spoken Language Services, Inc. Ithaca. New York.

Wright,William, 1896 . *A Grammar of the Arabic Language*. I. 3rd Ed. CUP.

Sefected References :

Abboud, peter. 1976. "On Ablaut in Cairo Arabic". Afro-asiatic Linguistics. 3/9. 168–187 .

Abdo, Daud. 1969. *Stress and Arabic Phonology* .PhD Dissertation University of Illinois .

———. 1983." Past and Present Tense Verbs: Which is Derived From the Other?" (in Arabic). Arab Journal for the Humanities. Kuwait University . 9/3. 135–52 .

Al–Tarazi , Fu'ad Hanna. 1968. *'Al-'ishtiqaq*. Publications of the Faculty of Science and Arts. AUB. Daru–l–kutub. Berirut

Alwahab, Abbas . S. 1971 *The- Morphophonemics of the Iraqi Arabic Verb*. PhD Dissertation . University of Chicago .

Anis, Ibrahim. 1975 . *min 'asrari-l-lughah*. 5th printing. Anglo Egyptian book – shop . Cairo .

Benhallam , Abdu. 1979. "MIT Phonology and Arabic". Papers From the 15th Regional Meeting . Chicago Linguistic Society. 30 – 41 .

b. Jinni, Abu–l–Fath 'uthman. 1954 ' *'Al-khasa' is* . Mohammed Ali Al–najjar (ed.) . Daru–l–kutub Al–masriyyah. Cairo.

Brame, Michael. 1970 . *Arabic Phonology: Implications for Phono-Logical Theory and Historical Semitic* . MIT PhD Dissertation

Chomsky , N. and M. Halle . 1968 . *The Sound Pattern of -English* (SPE). Harper and Row . New York .

Drozdik . Ladislav. 1969. "Derivation (ISTIQAQ) as Reflected in the Indigenous Arabic Grammar". Zbornik Filozofickej Fakulty University Komenskeho. Graecolatina et Orientalia. Rocnik I. Bratislava .

Erickson, Jon Laroy. 1965 . *English and Arabic: A Discussion of Contrastive Verbal Morphology*. PhD Dissertation. University of Texas.

So, in an attempt to attribute this picture to phonological reasons, one is necessarily compelled to posit the perfective vowel underlyingly. The rule of thumb I proposed above will then have no place in the phonology of Arabic unless, to reiterate, the description of BA is set apart from all other descriptions of Arabic dialects. Not favouring disassociation of any sort, the discussion above may lead us to the conclusion that ablaut as conceived by Brame is in part valid for BA, at least as far as laryngealization is concerned. Similarities and differences between MSA and BA must by now have become quite obvious. The most striking difference, though, is the fact that BA speakers tend to obligatorily extend process 3 above to non-L environments .

Having chosen Brame's at last, I feel the generative theory at present is adequate enough to circumvent the ablaut processes in the morphophonemics of Arabic, despite the fact that the foregoing generative rules are seen to be very powerful as they account for occurring and non-occurring alternations. Furthermore, the amount of phonology involved in those rules if one has conditioning in mind , is indeed very little as evidenced by laryngealization .

Contrary to Abdo's claim, however, is the fact that this piece of research consolidates the Arab grammarians' classical view that the imperfective (also the imperative; cf. Gorgis, 1984 , forthcoming) is derived from the perfective. Additionally BA has proved to be evidence to the L-assimilation rule following ablaut as linearly ordered , yet counter-evidence to phonological approaches, if we were to take the imperfective underlyingly, one which has eventually been rejected for reasons of linguistic affinitiy among the various Arabic dialects

morpholexically valid. Diachronically, one tends to conclude that it is invalid if we were to relate it to the general rule of ablaut in MSA and other Arabic dialects. I think this invalidity can easily be supported; BA seems to have undergone significant historical developments because, unlike MSA, it has always been free from prescriptive values. That is, BA speakers are not put in a position where they ought to say this and not that,The late Arab grammarian, Mustafa Jawad, insisted that people should say/qimmah /'top' instead of the widely used/qummah ' garbage', being common among Iraqi speakers. In fact, BA speakers never use / qummah / of MSA to mean *garbage* in BA . They use it to mean *top*. This explains the fact that BA has been deviating from MSA norms, at least as far as phonology is concerned , to a large extent . This point of view does apply to ablaut. Where the /a/ to/a/ alternations are exceptionally constrained by laryngealization in MSA, they can not be constraiend by whatever phonological natural class in BA, if we were to take the imperfective underlyingly. If MSA were not adopted as a written and reverential language, it would have undergone similar changes to those of BA or any other Arabic dialect. Corsequently,the ablaut rule(s)in MSA would have althogether been obliterated.

Numerically represented, however, the situation in BA is as follows :

Table II

Ablaut in BA : Frequency of Occurrence

			ob.			ob.			
	P	Imp	non-L	L	T	non-L	L	T	CT I
1.	a	u	104	6	110	20	2	21	131
2.	a	i	93	2	95	7	23	30	125
3.	a	a	56	118	174	5	3	8	182

kitAb	yiktlb	'write'
nizAl	yinzll	'descond'
3. licAb	yilcAb	'play'
sihAb	yishAb	'pull'
kirAh	yikrAh	'hate'
libAs	yilbAs	'wear'
xisAr	yixsAr	'lose'
kubAr/kibAr	yukbAr/yikbAr	'grow uigger'

This is the situation in BA: the perfective vowel is invariably /a/, whereas it is variable in the imperfective· Since classes B and C exhibited in MSA are not there, a rule of thumb can be proposed for BA: I

V — [- hi] / perfective,

one which implies that, taking the imperfective vowels underlyingly, no phonological reasons are required for its accountability- vowels of the imperfective are indiscriminately realized as /a/ in the perfective. This is a very tempting piece of evidence . Indeed, one might wonder, why not extend the implications arrived at here for BA to MSA? This is very easy to chew, but difficult to digest . For laryngeal conditioning may , irrespective of its relative regularity in the phonology of Arabic, constitute a strong arguement against this proposal. Taking the imperfective vowels of Mosuli Arabic or CA, among presumably others,underlyingly,the three– to –one straightforward correspondence existing in BA is absent in these dialects. Unlike BA, and very much like CA, Mosuli Arabic retains classes A and B verbs of MSA, where laryngeal conditioning is quite evident.This rule of thumb in BA is then liable to questioning. Viewing it synchronically, and without relating the description of BA to MSA or any other Arabic dialect , this ablaut rule is idiosyncratic of BA, and accordingly morphologically or

bilabial would generate unequal number and type of nominals to a nasal + velar + interdental sequence etc. Having done this to all the 427 verbs and related nominals as cited in the, AED in the, hope of constraining the supposedly ablaut phonological rules morphologically, I finally came t a deadldck, for the vowej of both / kataba/ and makaΘa / , among many others, is realizd asl u/in the imperfective,i.e./yaktub/and lyamkuΘ .Additionally, though very disappointing, I came up with a conclusion that many perfectives with completely different consonant sequences also showing different vowels int he respective imperfectives, may have an equal number of and the same nominal types e.g., / dara?a i — dar ?al 'prevention' (mold 6), and / fada-ama / → / fadm / 'sealing (mouth, aperture), (mold 6), with imperfectives / yadra ?u / and / yafdimu / or yafdumu / respectively. .

Further evidence, , nevereheless , is likely to be obtained from BA. Though Alwahab's (1971) is on the morphophonemics of the Iraqi Arabic verb, virtually standing for BA, ablaut "has not been researched"(p. 44, f.n.l.), I, therefore, find it very tempting to see what pholnology is there in the morpholohgy of BA verb , First, let us examine the following verb classes:

		perfective	I	imperfective	
Class A:	1.	tirAk		yitrUk	'leave'
		niqAl	I	yinqUl	'copy'
		ligAf		yilgUf	'catch'
		dirAb		yidrUb	'beat'
		xilAt		yixlut	'mix'
	2.	kisAr		yikslr	'break'
		xitAl		yixtll	'hide'
		risAb		yirslb	'fail'

there is a laryngeal conditioning. Thus a sum of 231 imperfective verbs of which 45 are optional are derived. Under Abdo's treatment 3 and 4 are accountable by ablaut but the rule here works on the imperfective vowel. That is when /a/ is the underlying vowel in these two processes / i / of the perfective is generated then realized as /a/ when there is a laryngeal environment. Thus a sum of 166 perfective verbs of which 12 are optional are set against Brame's. Optionality however should not affect the productivity of rules. So I may conclude at present that Brame has the upper hand; his approach is valid.

Still this may seem insufficient; for the question of probing into the heart of different morphological areas to find out a more revealing and conclusive thing is also of linguistic significance. I have therefore carried out a thorough examination of the various related deverbal nominals in MSA so as to link between verb and noun morphology for the sake of explaining phonological matters.

Hypothetically, we can derive 50 deverbal nominal types (termed "analogical molds" in Gorgis, 1982, cf. Vol. II, 350) from an underlying perfective. This should then mean that the 427perfective verbs used as data in this paper can generate 50x 427 deverbal nominals . Practically, this is not the case . / kataba/ 'to write' for example may derive a dozen or so of related nominals, while / maka⊖a/ 'to abode' not more than a couple. Furthermore the nominal types which are derived from the former do not necessarily paralle those generated from the latter. For instance,/ muku⊖/ 'aboding' and !/kutub /; kitab / 'book' and* / mika⊖ / etc . are not practically parallel pairs. From this , I gathered that a sequence of velar + dental

I think I should feel justified, unlike the SPE, to mention "a frequency statement of which alternant occurs more often" (Benhallm, 1979, 31). It is on the basis of figures that I shall decide what should be established as linguistically more plausible;that is, which underlies which: the perfective or imperfective? This question,then presupposes that a choice betweenBrame and Abdo's UF must be made. On the basis of productivity, as perceived by generativists, the decision can easily be deduced from the following table. In other words, any one rule that proves to generate more instances will obviouly be favoured in a grammar.

Table I

Ablaut in MSA: Frequency of Occurrence

			ob.			op.			
	P	Imp	non-L	L	T	non-L	L	T	CT
1.	a	u	98	6	104	6	43	49	153
2.	a	i	94	2	96	8	43	51	147
3.	a	a	1	72	73	0	11	11	84
4.	i	a	47	34	81	1	0	1	82
5.	u	u	14	4	18	0	0	0	18

ob. — obligatory; op — optional; L — laryngeals; T — total; C — category; P — perfective vowel; Imp — imperfective vowel.

Under Brame's analysis 2 and 3 above are accountable by the ablaut rule which operates on the perfective vowel. That is when/ a/ is the underlying vowel in these two processes /i/ of the imperfective is obtained then converted into /a/ when

A third approach, Erickson's UF (1965 39-40) is not altogether peculiar though seemingly "artificial". You are essentially deriving the perfective vowel from the imperfective. True the derivation of the imperfective is straightforward but NOT of the perfective ; an ablaut rule is still needed, one which he does not provide. The solution is therefore, as Abdo (1969, 59) puts it, "untenable".

For my own part, I should primarily like to state that three things aroused in me an interest to make a careful examination of the distribution of flanking consonants in the data. First, laryngeal conditioning: if laryngeals admit of a low vowel, then the rest of the consonants would naturally attract a high vowel Second Abboud's interesting conclusion for CA promote the suggestion made by the 'then' part of the first point: "the imperfect stem vowel is /u/ when preceded by a back consonant or followed by a back consonant or an /r/; elsewhere it is /i/." (1976, 18). Third in the derivation of the deverbal nominals in MSA, ablaut, as phonologically motivated, has proved extremely difficult. (Cf. Gorgis, 1982, 112-25; 223). The alternative there of made is that ablaut be considered 'morphophonemic with morphological conditioning. Soy the unworkablility of 'flanking' consonants might be extended to the verb paradigm.

This examination, however has been carried out in an attempt to find out homogeneous (natural) phonological classes To this end the alternating vowels in their respective environments could in no way be predicted whether the perfective or the imperfective is the UF. The only yielding class, though, is that of the laryngeals with its own exceptions. Though relatively regular in MSA, the picture of this class gets more blurred in BA; a good number of non-laryngeals admit of the same alternation.The situation is made clearer by the self-explanatory tables set below.

almost every way, the former written in Arabic and the latter in English, choice has been made to review Abdo's rather than Levy's for the simple reasons that,

first: it is basically Abdo's proposal that the imperfective should underlie the perfective; second: it is the most elaborate work made available, and, third: Abdo might be taken to represent an Arab line of thought, not to mention that he speaks and knows about the language. He, in his 1969 PhD dissertation, however, derives [tamal] 'carried', for example, from /tmil/, the UF, by two rules: the first is called 'polarization' (hi — - hi), while by the second he is enabled to insert a vowel, thus:

R1 ϕ R2 V R3	1 4 3 4 5	(where R is a radical)
1 2 3 4 5	[ɖamal]	(surface representation)

(Cf. pp. 60-9 for further examples and rules; also Alwahab, 1971, 42-6, for a similar approach adopted for BA).

What is interesting about Abdo's (1983) treatment of ablaut is the fact that he finally comes to conclude that the imperfective is the source of all derivations. (Cf. Abdo, 1983, 150). So, having argued against the widely-accepted dichotomy, viz. the perfective is the UF, he comes out with the following informal rules :

1. If /a/, then /i/, e.g. *yaclamu* *çalima* 'know'.
2. If /i/, then /a/, e.g. *yaqriʔu* *qaraʔa* 'read' ; the /i/ of the imperfective becomes /a/ when preceded or followed by a laryngeal.
3. If /u/, then /u/ when the verb is assigned [instinct], a semantic feature expressing 'natural disposition', e.g. *yakrumu* — *karuma* be generous'; exceptions to this class must have /a/ in the perfective, e.g. *yansuru* — *nasara* 'help'. (Cf. Abdo, 1983, 143-4) .

vowel of the perfective is /i/, then /a/ for the imperfective. The [—U] feature will by the definition of the rule exclude u a, while [+F] prevents all a's from becoming anything other than u's. The only remaining cases unacconunted for completely by this rule are those listed in A3, i.e. a a, for , which Brame proposes a laryngeal rule :

4. L-Assimilation

$$i \rightarrow a \;/\; \begin{bmatrix} L \text{———} \\ \text{———} L \end{bmatrix} / \text{ imperfective}$$

(cf. p. 161).

where "laryngeal includes those sounds produced in the area extending from the larynx to the upper regions of the pharynx" (Brame, 159). These are namely: ç, G, ,h, h x and , where the latter two are said to "behave as members of this class only sporadically (sic)." (Brame, 135 ,135. 7; seen Class A3 verbs in this paper for relevant examples. This situation, however, should mean that the vowel preceded or followed by one or both of the above sounds, being always (– hi) in the UF, is first converted to [hi] by Rule 3, then back into [—hi] by Rule 4. And as Brame notes the difficulty of collapsing 3 and 4, linearity demands that 3 be ordered before 4. Were these two rules inapplicable to a number of cases, lexical redundancy rules would usually be devised to account for exceptions; the following Guttural Redundancy Rule being one :

[+F] inCaLaC, CaCəL except CacaC which states that "all such sequences as CaLaC anh CaCaL with the exception of CacaC are not marked with feature [+F] ."(Cf Brame .161) .

Reversing the arguement, one feels probably more inclined to accept Abdo's (1983, 135-152) approach, one which is already attested in the literature (cf. Levy, 1971, 97-215), than that of Brame. Since both Abdo's and Levy's are similar in

Following Brame's line, a morphological rule, one which attaches a prefix (Pr) to an UF, is seen to apply first in the formation of the imperfectives, This rule will give way for another, but this time the rule is of a different name and function; the first vowel of the UF gets elided. For obvious reasons, I shall be calling this second rule morphophonemic rather than phonological, morphological or otherwise. These two rules are as follows :

1. Prefixation :

   Pr + UF = CV CVCVCV (morphological)

2. CV + CVCVCV → CVCO + CVCV (morphophonemic)

   12 345678 12345678

Now comes the question of ablauting vowels, for which the SPE (1968 , 356 – 57)suggests "polarity rules" (inapplicable to rounded vowels), also termed 'phonological' in Brame's sense. Here then is the most crucial step in the derivation, how to capture generalizations alreahy displayed by the foregoing verb classes.

To circumvent this, Brame (1970,140–70) attempts to present an exquisite generative analysis. Thus, by excluding the alternations of class C verbs, for which he suggests a lexical feature [+U] (cf. p. 143), Brame could finally come up with his ablaut rule, formally represented as follows :

3. Ablaut

[hi]	[—hi]	/ imperfective
[–U]	[+bk]	
[+F]	[+rd]	(Cf.p.157).

This rule is evidently one of inverse height formally,if the vowel of the underlying perfective is /a/J i.e. [—hi] then the vowel of the imperfective must become /iJ i.e. [+hi] ; if the

Next comes the question of the underlying form (UF). Is it the perfective that underlies the imperfective, or vice versa? Taking anyone as the UF, classes B and C are likely to cause no problems because they show one–to–one correspondence. But they do, particularly class C for which the ablaut rule requires semantic specification, when the imperfective is the UF. As for class A cases, one has to decide between a one–to–three mapping or the reverse order. And here lies the difficulty to make a more well–grounded decision.

The story of ablaut, which is not one of making decisions probably goes back to the 4th c. A. H.The problem of ablaut is still much alive.The majority of Arab and non–Arab grammarians and linguists say that the vowel of the imperfective is derived from the perfective. (Cf .Wright, 1986 ; b. Jinni, 1954; Al–Tarazi 1968;Brame, 1970;Anis,1975, Abboud,1976,among many others). Another fairly small group of scholars reverse the order. (Cf. Abdo, 1969 and particularly 1983, also Levy, 1971). Yet, it is also believed that "the imperative is the oldest one"(Schramm, 1962, 374). Additionally, Erickson's (1965, 39–40) proposal is unique; the vowels of the UF are those of the perfective and imperfective second syllable respectively, e.g. /katub/. And And apart from all these, the idea of augmenting vowel patterns in the consonatal discontinuous morpheme, e.g. k..t..b, for instance, to form different related forms (including nominals and adjectives) is by no means insignificant (cf.Webb, 1974) . This latter proposal, however, should fall outside of the scope of ablaut since no vowel alternations are involved. Below then, I shall be dealing with the available generative treatments, first assuming that the vowel of the imperfective is derived from the perfective.

	sanAda	yasnUdu	'support'
2.	kasAra	yaksIru	'break'
	farAza	yafrIzu	'separate'
	hatAfa	yahtIfu	'shout'
	nazAfa	yanzIfu	'bleed'
	faqAda	yafqIdu	'lose'
3.	bahA⊖a	yabhA⊖u	'search'
	dafAca	yadfA⊖u	'push'⊖
	qarA⊖a	yaqrA⊖u	'read'
	lahA⊖a	yalhA⊖u	'pant'
	fasAxa	yafsAxu	'cancel'
	daδAta	yadθAtu	'press'
Class B:	xasIra	yaxsAru	'lose'
	rabIha	yarbAhu	'win'
	zallqa	yazlAqu	'slip'
	dadIka	yadhAku	'laugh'
	fahIma	yafhAmu	'understand'
Class C:	raxUsa	yarxUsu	'be cheap'
	saδUra	yas Uru	'be small'
	kabUra	yakbUru	'be big'
	karUma	*bakrUmu*	'be generous'
	xasUna	yaxsUnu	'be rough'

It should become now quite obvious that the alternation of vowels in question, with the exception of /i/ /i/ found in only hasiba / :/ yahsibu/ as revealed by the data (also /yahsabu/), can be mapped as follows :

	(A)	(B)	(C)
Perfective	A	I	U
imperfective	U I A	A	U

investigation, this time bringing evidence from Baghdadi Arabic (BA) in the hope of settling this linguistic dispute . This should then imply that the present paper is essentially argumentative, tracing facts relevant to ablaut and related rules, if any,in the morphophonemics of Arabic as revealed by the verb paradigm in order to validate or invalidate the presently formulated rules for MSA.I have,therefore,gone first through Hans Wehr's *ArabicEngl ish Dictionary*(AED) and selected some 427 strong triliteral verbs in the perfective, i.e. CVCVCV, along with their related imperfectives, i.e. yaCCVCV. Similar verbs from BA, almost all sharing the same consonantal skeleton with those of MSA, have been juxtaposed to them. This has been done in an attempt, first to provide further evidence for or counter-evidence to the phonological nature and productivity of ablaut and related rules and , second, to discover similarities and differences between MSA and BA. The first objective will then constitute a major issue in this study since Benhallam (1979, 40) demands that his "observations need improvement". In short, the analysis below is deemed to verify any- one's approach as justifiable and at any level of linguistic relevance, though I feel the findings will likely be a testimony to a fourteen-year old Brame's analysis in the face of follow-up and current views.

To begin with MSA, however, let us first examine the following verb classes, bearing in mind that the capitalized vowel is the problem to be circumvented :

		perfective	imperfective	
ClassA:	I.	qatAla	yaqtUlu	'kill'
		katAba	yaktUbu	'write'
		tarAka	yatrUku	'leave'
		xazAna	yaxzUnu	'store'

tives. The experiment "did tend to support the postulation of the rules which make the perfect stem vowel *a* in the neighborhood of a pharyngeal (laryngeal)(1) , and *u* around a back consonant.". (Fox 122). This could illustrate " the survival of phonologically motivated morphological rules." (Fox ,124). A fourth work argues not only against Brame's treatment, though admitting "that it is an excellent example of analytical ingenuity within the framework of SPE–style generative phonology", but also against MIT phonology, i.e. SPE–dichotomy, in dealing with Arabic ablaut . (Cf. Benhallam, 1979, 31). His arguement goes like this:" SPE does not have a way of predicting which one of the two alternants is going to surface in the imperfectiven"when"only a frequency statment of the alternant occurs more often is given(2) . It is hard to imagine what the rule is going to look like and how it is going to work. " (ibid.). He further notes that "Brame's analysis,a more elaborate one, writes a general rule , Ablaut, which has so many exceptions that its generality is highly obscured. These exceptions, furthermore, have their own exceptions." (p.32). Though Benhallam's is no more that mere "observations", his arguement is by no means unhealthy. Since all MSA short vowels can occur in all environments as stem vowels in both the perfective and imperfective, ablaut is "neither phonologically nor morphologically motivated". (Cf-. Benhallam, 34)

These , in addition to one fairly recent work (cf. Abdo, 1983), have left me sceptical about the validity of "phonological rule (s) in the ablaut process and the identity of the underlying vowel (s). Hence the need for yet another piece of empirical

(1) Parenthese are mine.

(2) "Instead of formulating the rule , SPE just states that it will generate the expected forms. (Benhallam, 31).

two major ablaut rules, one of which is already attested and established in the derivation of deverbal nominals (and, accordingly, in deverbal adjectives; cf . Gorgis, 1982, Chapter (III), where morphological, rather than phonological or otherwise, conditioning is inevitable. (3) Another is seen by Brame, among others,to be operative in the verb paradigm,where it is claimed that "there is a good deal of systematicity to the ablaut alternations". (Brame, 1970 : 140) . Following Brame, the rules governing these paradigmatic alternations are said to the phonologically well-motivated and "well-defined" (cf. Abboud, 1976 , 2) . Abboud in this sense supports Brame's discussion and conclu - sion by bringing forward evidence from Cairene Arabic (CA). of particular interest is Abboud's "most natural solution" of setting up "a stem vowel assimilation rule following ablaut" for CA, a phonological generalization which can not be made for MSA , (Cf. Abboud, 18). Fox (1979, 121-25) also brings in evidence from CA to the ablaut alternations. His findings, which are very much like Abboud's, are mainly based on informants' responess. Having constructed a number of hypothetical verbs in the perfective, the informants were asked to give the imperfec-

(3) Phonological conditioning stands for environmental conditioning (colouring) of sounds , e.g. *dogz* /, where s is realizeh as / z/z because the neighbouring /g/ is voiced. Morphological conditioning, on the other hand , does not involve environmental influence of this sort, e.g. *ox:* oxen, where the identity of *-en*, unlike the phonologically-motivated / iz/ in *boxes* (conditioned by the final sibilant), is only morphologically accounted for See Class A3 verbs below for Arabic phonologically - conditioned vowels, where /a/ of the perfective verbs remains as /a/ in the imperfective as to seems to be constrained by the adjacent laryngeals.

A GENERATIVE ACCOUNT OF ABLAUT IN ARABIC (1)

BY

Dinha Tobiya Gorgis, M.A., PhD.
College of Arts ,
University of Mosul
November 1938

Abstract

Laryngealization seems to be the only acknowledgeable rule that can to a large extent support the phonological nature of verb vowel ablaut in Modern Standard Arabic, and to a lesser degree in Baghdadi Arabic. It is on the basis of laryngealization that a frequency count could come up with a settlement to the problem of verb derivation; it is clearly shown here that it is the imperfective verb which is derived from the perfective, and NOT vice versa as has recently been reiterated in the literature of Arabic phonology.

Ablaut (also called 'apophony') in Arabic has for long been an opaque linguistic phenomenon. Morphophonemically, it is a process which covers vowel alternations in the structurally and semantically related forms, e.g. /a/ /u in/katab/:/ yaktub/: / ?uktub / 'write'. The derivational system in the morphology of Modern Standard Arabic (MSA) exhibits a fairly big number of vocalic alternations.(2) All of these may be accounted for by

---

(1) I am indebted to Professor Yowell Y. Aziz for reading an earlier draft of this paper and commenting on some stylistic infelicities. I also owe a great deal to Dr . Amin H. AL-Bamerni fora numberi of healthy suggestions particularly that which drew my attention to explicitness.

(2) Cf. Drozdik, 1969. for different notions of derivation .

Appendix

Total percentages of the tests*

T	R	1	2	3	4	5	6	7	8	TL	%
A	C	9	8	9	7	12	7	10	11	73	36.05
	In	16	17	16	18	13	18	15	14	127	63.05
B	C	9	11	7	6	10	4	3	8	55	27.05
	In	19	14	18	19	15	21	22	17	145	72.05
C	C	14	10	12	10	12	11	9	14	92	46.00
	In	11	15	13	15	13	14	16	11	108	54.00
D	C	8	11	10	6	8	9	11	13	76	38.00
	In	17	14	15	19	17	16	14	12	124	62.00
E	C	10	11	12	7	9	12	9	15	85	42.05
	In	15	14	13	18	16	13	16	10	115	57.05
F	C	8	6	7	8	6	9	9	11	64	32.00
	In	17	19	18	17	19	16	16	14	136	68.00
G	C	9	7	12	9	61	11	7	19	61	30.05
	In	16	18	13	16	19	14	18	15	139	69.05

* The letters:

T stands for technique

I stands for items in each technique.

R stands for responses of students.

C stands for correct responses.

In. stands for incorrect responses.

TL. Stands for total responses.

BIBLIOGRAPHY

Buffaloe, N. d. and J. B. Thronenberry. *Principle of Biology.* New jersey: prentice-hall. 1967.

Ewer, J.R. and G. Latorre. A *Course in Basic Scientific English*. Longman, 1966.

Widdowson, H.G. *Exploration in Applied Linguistics*. OUP,1979.

Suggestions:

1. In selecting ESP/EST material for ILS teaching should aim not only at enabling the learners to recognise the syntactic functions of lexis and structures, including references, but enabling them to understand the semantic functions of pieces of scientific texts on the supra-sentential level of language as well. This is because teaching/learning ESP/EST for post-secondary level of education spring from the fact that English is one of the major tools for science and technology transfer, particularly after the arabicisation of science education in Iraqi universities. Thus course-designers and ESP/EST teachers should tackle , in the process of teaching, not only the linguistic properties of such devices but their communicative values as devices of cohesion.

2. Teaching references for these learners should aim at bringing them to the point where they can tackle unseen authentic scientific texts, rather than be content with handling material that has been prepared for them. Thus if technique (A), for example, is adopted in teaching , techniques B, C, D, E, or F could be used in testing them and vice versa.

3. Grading in the complexity of teaching material and techniques is also suggested. Thus techniques (C) and (E) are considered as a primary stage in teaching since the students have been familiarised with them as stated earlier. While techniques (A) and (B) could be adopted in the middle of the course, techniques (D), (F), and (G) might be introduced in advanced stage of the course.

From the table above, figures and percentages show that ILS are generally unable to identify correctly the semantic functions of refernces used in scientific writings. However, correct responses to certain techniques such as (C) and (E) score the highest percentages among the rest. This is primarily due to the fact that this type of students have been familiarised with these techniques during their provious and present courses , not only in English but in other subjects as well.

A comparision between table II and III below might enable us to conclude the following: ILS , to a certain degree, are able to understand references functioning as devices of cohesion within sentence level more than those occurring beyond the limitation of a sentence. This enability might be attributed to the learners' previous and present ELT programmes, as previously mentioned. Thus incorrect responses in table III score higher percentages if compared with the correct ones.

T R	A	B	C	D	E	F	G
C	41	31	52	39	46	32	37
Inc.	59	69	48	61	54	68	63

Table II: Percentages of references used within sentence level

T R	A	B	C	D	E	F	G
C	32	24	40	37	239	32	34
Inc.	68	76	60	63	61	68	66

·Table III: Percentages of references used beyond sentence level

subject to observation and experimentation. These basi c assumptions are made by scientists in studging or interpreting natural phenomena. ——— may be abbreviated by the key terms (1) observable phenomena, (2) uniformity, and (3) probability. Although there is no rigid pattern or scientific method throguh which scientists work , several key terms are important in deining ——— activities, Some ——— are hypothesis, theory principles, control, and date .

The field of biology includes a great many sub fields, each ——— is concerned with a particular viewpoint. Some of the more important ——— are anatomy, histology , taxonomy, embryology, genetics, evolution , and ecology, as well as such area as bacteriology and ichthyology. Many——— overlap, so ——— can not be separated from one another in an absolute sense .

To recommend the most appropriate technique or techniques for teaching reference devices for ILS, 25 students from the Department of Biology were selected at random. Six tests, each of which covers one different technique , were conducted for the same students at different times. The following table shows the results of these tests (7) .

T R	A	B	C	D	E	F	G
C	36.05	27.05	46.00	38.00	42.05	32.00	30.05
In.	63.05	72.05	54.00	62.00	57.05	68.00	69.05

Table 1 : Total percentages of the devices

7For full details concering the results of these tests see the Appendix.

1. ...... *it* restricted to those .... sentence (2).
2. *These* may be abbreviated by .... sentence (4) .
3. ...... are important in defining *their* ...... sentence (5).
4. Some of *these* are hypothesis ,........ sentence (6).
5. ......, each of *which* is concerned with .... sentence (7).
6. Some of the more important of *these* ...... sentence (8).
7. Many of *these* overlap, so that .... sentence (9).
8. ...... so that *they* can not be separated.... sentence (9).

Technique E: True / false statement .

State whether each of the following sentences is true or false;

1. "it" in sentence (2) refers to ecology .
2. "these" in sentence (4) refers to organisms.
3. "their" in sentence (5) refers to scientists .
4. "these" in sentence (6) refers to phenomena.
5. "which" in sentence (7) refers to subfields of biology .
6. "these" in sentence (8)refers to biology .
7. "these" in sentence (9) refees to the basic assumptions
8. "they" in sentence (9) refers to viewpoints.

Technique F: Substitutuions

Read the passage below then substitute the underlined words for their suitable pronouns or demonstratives. (6)

Techique G: Blank filling

Read the following passage then fill in the blanks with suitable words from the list below as substitutions for their actual pronouns or demonstratives:

sub fields, fields, assumptions, scientists, subfields, biology. key terms, sub fields.

Biology is the science of organisms. As one of the natural sciences, ——— is restricted to those phenomena which are

(6) Refer to the reading passage on page 4.

b. assumptions
c. organisms

3. "their" in sentence (5) refers to
   a. key terms
   b. activities
   c. scientists

4. "these" in sentence (6) refers to
   a. key terms
   b. activities
   c. phenomena

5. "which" in sentence (7) refers to
   a. viewpoint
   b. subfield
   c. scientist

6. "these" in sentence (8) refers to
   a. subfields
   b. viewpoints
   c. principles

7. "thes" in sentence (9) refers yto
   a. fields
   b. viewpoints
   c. principles.

8. "they" in sentence (9) refers to
   a. subfields
   b. viewpoints
   c. hypothesis .

Technique D :

Rewrite the following sentences replacing the underlined pronouns and / or demonstratives with what they actually stand for according to the passage, so as to make them as clear as possible :

Technique A: (Direct questions)

What do the following pronouns and demonstratives refer to in the reading passage .

1. "it" in sentence (2) .
2. "these" in sentence (4).
3. "their" in sentence (5).
4. "these" in sentence (6).
5. "which" in sentence (7).
6. "these" in sentence (8).
7. "these" in sentence (9).
8. "they" in sentence (9).

Technique B: (sentence – completion).

The word "one", for example, in sentence (2) refers to Biology.

Now complete the following sentences :

1. "it" in sentence (2) refers to ....
2. "these" in sentence (4) refers to ....
3. "their" in sentence (5) refers to ....
4. "these" in sentence (6) refers to ....
5. "which" in sentence (7) refers to ....
6. "these" in sentence (8) refers to ....
7. "these" in sentence (9) refers to ....
8. "they" in sentence (9) refers to ....

Technique C : (Multiple – choice items)

Encircle a,b, or c ;

1. "it" in sentence (2) refers to
   a. Phenomena .
   b. biology .
   c. organism .
2. "these" in sentence (4) refers to
   a. phenomena .

"1 Biology is the science of organisms. 2 As one of the natural sciences, *it* is restricted to th se phenomena which are subject to observation and experimentation. 3 These basic assumptions are made by scientists in studying or interpreting natural phenomena. 4 *These* may be abbreviated by the key terms (1) observable phenomena, (2) uniformity, and (3) probability. 5 Although there is no rigid pattern or scientific method through which scientists work, several key terms are important in defining *their* activities. 6 Some of *these* are hypothesis, theory, principle, control and data.

7 The field of biology includes a great many sub fields, each of *which* is concerned with a particular viewpoint. 8 Some of the more important of *these* are anatomy, taxonomy, paleontology, physiology, cytology, embryology, genetics evolution and ecology, as well as such area as bacteriology and ichtyology. 9 Many of *these* overlap, so that *they* can not be separated from one another in an absolute sense".(4)

To teach the passage above as far as references are concerned, the following techniques are suggested (5).

---

(4) This passage is quoted from N.D. Buffaloe and J,B. Throneberry, *Principles of Biology* (New jeresey : prentice-hall 1967) p. 11 used as a textbook for ILS at Mosul University Sentences of this passage are numbered here for easy reference.

(5) Although references used cataphorically are not found in the passage above and eventually are not included in the suggested techniques, an equal attention should be paid to to them in teaching / testing, Thus these techniques are also suggested for teaching cataphoric references whenever found in passages relevant to the learners' specialisation.

textbooks .(2) This trend is mainly due to the fact that the Structuralists claim that the sentence is the maximum unit of a text rather than a minimum unit of a discourse(3) . Advocates of the Communicative Approach, on the other hand, tackle the subject from different view point. They state that to teach English for students of science, the supra -- sentential level of language must be considered. Thus the semantic functions of lexis and structures, including references as devices of cohesion, are to be treated in detail. This is because such devices serve to relate one sentence to another and eventually enable the learners to undestand not only individual sentences but also pieces of communicative acts as appeared in conceptual paragraphs or even in larger stretches of scientific writings. Consequently , semantic functions of these cohesive devices are included in teaching, on the ground that they are rarely dealt–with in traditional and structural courses, since they are likely to be met frequently in the kind of texts encountered by ILS. Thus it is reasonably assumed that the lack of familiarity with the semantic functions of references adversely cause misinterpretation of the whole piece of scientific writings .

Although there are no fixed techniques for teaching references in ESP/EST, it is possible to state that the suggested techniques following the passage below, motivate the students to "scrutinise" pieces of secientific writings to assign their correct referential value .

---

(2) A good example of such books is Ewer and Latorre., *A Course in Basic Scientific English,* currently used as a textbook at Mosul University .

(3) For more detail see, for example H.G.Widdowson, *Exploration in Applied Linguistics* (OUP , 1979), p. 98.

"It is sometimes said that there is no such thing as the so called "scientific method" ; there are only the methods used in science. Nevertheless, it seems clear that there is often a special sequence of procedures which is involved in the the establishment of the working principles of science . This sequence is as follows :(1) a problem is recognized, and as much information as appears to be relevant is collected ; (2) a solution (i.e. hypothesis) is proposed and the conseq-uences arising out of this solution are deduced: (3) these deduc-tions are tested by experiment and as a result the phypot-hesis is accepted , modified or discarded .

As an illustration of this we can consider the discoverty of air pressure". (1)

From the example above , the underlined demonstrative "this" in the second paragraph of the quotation refers back to the word "sequence" stated earlier in the first paragraph.

In spite of the fact that ILS have studied English for about eight years on the basis of the audio-lingual method and may be able to construct or understand individual sentences , such learners are still unable to grasp the total meaning of paragra-phs they are required to read in scientific textbooks and refere-nces relevant to their needs and specialisation.This defect is due primarily to the nature of their previous ELT and present ESP programmes. Both of them are based on the principles of the Structural Approach in which the semantic functions of these devices are rarely treated in course design or in class room acti-vities. Therefore, exercises on teaching references as devices of cohesion are not included in most of the available ESP/EST

(1) This passage is quoted from J R Ewer and G Latorre , *A Cou urse in Basic Scientific-English* (Londgman, 1966), p. 13.

SUGGESTED TECHNIQUES FOR TEACHING TESTING REFERENCE DEVICES TO IRAQI LEARNERS OF SCIENCE

Ahmed Othman Mohammed
University of Mosul

Understanding the semantic functions of references in connection with "reading comprehension", is one of the major obstacles facing learners of EFL in general and those of ESP/EST in particular. This paper is an attempt to present some suggested techniques for teaching reference devices to Iraqi learners of science (ILS). These devices are frequently found in scientific writings, to refer back to a word, phrase, clause, sentence or even a stretch of text which appeared earlier, for the purpose of brevity and conciseness,

Grammatically speaking, reference devices are mainly divided into demonstratives, pronouns and lexical substitutions (metal for iron, liquid for mercury ect.) used either anaphorically or, to a lesser degree, cataphorically .

In scientific writings, it is essential for learners to understand what words like "this" "that" "those" "these". "it", "they", etc., refer to. This is because the selection of the wrong referent may lead to serious misinterpretation of what the writer said or meant especially when the referent is not a close antecedent. See the following example .

Al – Mustansiriya Literary Review

Published by the College of Arts

Al-Mustansiriyah University

VOL. 10

1984